بسم الله الرحمن الرحيم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين . متفق عليه

الجزء الأول

هداية الساري إلى دراسة البخاري

مقدمة شرح صحيح البخاري

للعلامة المحقق المحدث إمداد الحق السلهتي البنغلاديشي

قد اهتم بطبعه ونشره : الحافظ مستفيض أنور بن الشيخ إمداد الحق
الأمين العام لمؤسسة : شيخ الهند دار الفكر الإسلامي بنغلاديش
داكا

الطبعة الأولى : عام ١٤٢٣هـ

المطبعة : مدينة ببلكيشنس
٢/٣٨ بنغلابازار ، داكا بنغلاديش

التنضيد بالكمبيوتر :
أحمد بدر الدين خان
وقاضي صلاح الدين

الإهداء

أتشرف بإهداء هذا الجهد المتواضع
إلى الوالدين المحترمين ثم إلى الأستاذ المكرم
شيخ الحديث العلامة عبد القيوم الصاتغامي للجامعة
الإسلامية هاتهزاري قدس سره
وجميع الأساتذة الكرام

المؤلف

تقريظ

الإمام الهمام، مقدام علماء الكرام، المحقق الفقيه ، بقية السلف ، حجة الخلف، العلامة، محمد محمود، المفتي الأعظم بالجامعة الإسلامية دار العلوم، ديوبند الهند، قدس الله سره العزيز، ونفعنا بعلومه وفيوضه أمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد،

فهذا السعي المجهود على صحيح البخاري يتقبله الله تعلى ، وينفع به الطلبة أكثر فأكثر، ويرفع به شبهات المذبذبين، ومنكري الحديث ، وشكوكهم، ويسهل طباعته، ويعين في إشاعته، ويجعل المؤلف زيد مجده فائزا بنعمات قربه الخاصة ، فقط

العبد

محمود غفر له

١٤١٠/٢/١٥

يتقبله الله تعالى بفضله ويجعله نافعاً للعلماء

العبد

أسعد غفر له

(الخلف الرشيد لشيخ الإسلام المدني قدس سره)

١٤١٠/٢/٢٠ هـ

العبد

محمد طاهر غفر له

(مدني نغر، كلكتا، الهند)

١٤١٠/٢/٢١ هـ

تقريظ

العلامة المحقق، المحدث الكبير ، أستاذ العلماء ، الشيخ نصير أحمد خان، شيخ الحديث في الجامعة الإسلامية، دار العلوم ديوبند، الهند أطال الله بقائه ومتعنا بعلومه وفيوضه آمين ،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين أصطفى ، أما بعد،
فقد عمل المؤلف زيد مجده على صحيح البخاري بسعى مشكور ، والذي بحث فيه على المسائل المختلفة ، والموضوعات المتنوعة ، بتحقيقات أنيفة ، يتقبله الله عز وجل من المؤلف هذه الخدمة، للحديث الشريف بقبول حسن، و يجزل له الأجر في الدارين ، آمين.

العبد الأحقر

نصير أحمد خان غفر له

١٤/٢/١٤١٠ هـ

تقريظ

المحقق الناقد البحاثة، المحدث الكبير، العلامة الشيخ، المفتي سعيد أحمد البالنبوري، المحدث بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند في الهند، متعنا الله بطول بقائه، ونفعنا بعلومه وفيوضه آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

فلا يخفى على من له أدنى المام بالعلم، أن الحديث الشريف له مكانة عالية، ومترله سامية، في العلوم الإسلامية، إذ هو بيان اللوحى المتلو، وثاني مصادر الشريع، وتالي منابع الحكم، فهو يستحق الاعتناء من الدارسين، والتوجه من الباحثين. وقد قدر الله تعالى له بفضله ومنه افذاذا من الرجال، في العصور الغابرة ، والأيام الراهنة، أفرغوا لخدمته مجهوده، وانتجوا بجهدهم ما لا يستطيع أحد قدره .

فهذا لدنيا كتاب ماتع، وباب رفيع، ومدخل كريم، لدارسي صحيح الإمام البخاري، عليه رحمة الباري، وضعه الأستاذ العلامة، أمداد الحق البنجلاديشي، حفظه الله ورقاه إلى ما يتمناه، يبحث في هذا السفر

الجليل، عن كل ما يحتاج إليه دارس صحيح الإمام البخاري، و ما لابد منه للمشرف، إلى أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، فهو حقاً عمدة القارئ، وهداية الساري، إلى دراسة صحيح الإمام البخاري، عليه أفضال الباري، وقد قال الله تعالى: وأتوا البيوت من أبوابها، فهنيا له ولمن عرج على الباب، وتمسك بالكتاب، وقد سرحت النظر في زواياه، وبحثت عن خباياه، فوجدت الكتاب ماتعاً للدارسين والباحثين معا، لأن المصنف أتي فيه بغرر النقول، وشواهد من المعقول والمنقول، بحيث وضع الأمر على طرف الثمام، وكشف النقاب عن اللثام فلله دره ثم لله دره، والمرجو من فضل الله تعالى، أن ينفع به العلماء، وطلبة الحديث الشريف، فإنه ولي النعمة، وما ذلك عليه بعزيز، وصلى الله على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أنا الأحقر الأفقر

سعيد أحمد عفى الله عنه البالنبوري

خادم الحديث الشريف بازهر الهند دار العلوم ديوبند الهند .

تحريراً ١٦/٢/١٤١٠ هـ

تقريظ

المحدث الكبير، والعلامة المحقق مولانا الشيخ عبد الحق القاسمي الأعظم كري، المحدث في الجامعة الإسلامية، دار العلوم ديوبند في الهند وعضو هيئة التدريس بالجامعة، متعنا الله بطول بقائه، ونفعنا بعلومه وفيوضه آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد، أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد ،

فلقد أجمعت الأمة الإسلامية، وأئمة الحديث، على أن صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، رحمه الله تعالى، يلي كتاب الله عز وجل مكانة، ولذلك أكثر علماء الأمة، من المساهمة في خدمته، شرحا وتهميشا وسيتصل العمل في هذا المجال، بإذن الله سبحانه في المستقبل، ولكن الواقع ، أن هذا الكتاب العظيم، لم يوف حقه، و لا يرجى أن يتم توفيته حقه، من الخدمة الشاملة، التي لا ينقصها عمق وسعة وشمول، وقد صدق الإمام العلامة أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى إذ قال: أن الإمام البخاري بتأليفه صحيحه، قد اثقل كأهل الأمة الإسلامية، التي أنحي ظهرها من مواصلة تحمل عبأ خدمته، شرحاً وأيضاحاً ونشراً، ولكن الواقع، أن

الخدمة كلها لم توف حقه، و لعل من كرامات الإمام البخاري: أنه أتاح لعلماء الأمة، أن يكسبوا الأجر والثواب، من خلال مساهمتهم في خدمة صحيحة .

ومن هؤلاء السعداء المحظوظين، صديقنا المحدث، الشيخ إمداد الحق، السلهتي البنجلاديشي ، الذي وفق أن يضع شرحاً، لصحيح البخاري بأسلوب فريد، والأسلوب سهل سائغ جداً، وقد أسمعني الشيخ بعض صفحاته، وبعد ما اطلعت على محتوياته، توصلت إلى أنه قمين بشرح كتاب جليل، مثل صحيح البخاري، ولا غرو فقد تشرف بدراسة وتدريس الحديث، في الحرم المكي الشريف، وفي المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، مدة من الزمان، واكتسب البركات بمجاورة بيت الله الحرام، وأدعو الله أن يشمل المؤلف، وشارح صحيحه بعنايته الخاصة ويجزل الأجر، آمين آمين لا نقول بواحدة * حتى نضم إليها ألف آميناً .

العبد الضعيف

عبد الحق القاسمي غفر له

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

دار العلوم ديوبند الهند .

٣/رجب ١٤١٠هـ

تقريظ

المحدث الكبير، العلامة البحاثة، جامع المعقول والمنقول، فريد دهره ووحيد أوانه أستاذنا و مولانا الشيخ عبد العزيز، قدس الله سره العزيز، أفادنا بعلومه وفيوضه آمين، شيخ الحديث السابق في الجامعة الإسلامية دار العلوم هاتمزاري صاتغام بنجلاديش.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ويقين، رضى الله عنهم إلى يوم القيامة والدين .

أما بعد، فقد أجمعت الأمة المسلمة، على أن صحيح الإمام البخاري، أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، و أن له مكانة عظيمة، ومنقبة فخيمة، بين سائر كتب الحديث والدينية، ولذا اعتني إليه جماعة من العلماء، بشرح وتوضيح، و توجه إليه كثير من الفضلاء، بتهميش وتشريح، وقد تكفل الله تعالى بإبقاء هذا الدين المبين، فأنشأ في كل عصر طائفة من الرجال محدثين، الذين بذلوا جهودهم في خدمات احاديث النبي الأمين، فهنيئاً لمن وفقه الله تعالى لخدمة الأحاديث النبوية، وقضى عمره النفيس في وعيها ونشرها والتأليفات السنية، وإن أخانا في الله، العلامة البحاثة، المحدث الكبير، عزيزنا مولانا، إمداد الحق حفظه الله تعالى عن الشرور ونوائب الحق، قد قرأ برهة من الزمان في ثانية ديوبند و أزهر بنغال، الجامعة الأهلية الإسلامية الشهيرة

بدار العلوم معين الإسلام الهاتهزاري، قرأ الأحاديث النبوية، وسائر العلوم الدينية العلية والألية، لدينا ولدي الأساتذة المحققين، والمحدثين البارعين وكان ذكياً وكان فطيناً من بدء الأمر، ففاق الأقران من الاخوان الطالبين، وكان من قرة أعيننا وبهجة قلوبنا بين الأخرين .

فشكرا لله تعالى، على ما جمع عزيزنا المؤلف، في هذه التقدمه التي وضعها لشرح الصحيح للإمام البخاري، عليه رحمة الله و افضال الباري، غرر الفوائد، و درر الفرائد والمباحث الأنيقة، والمطالب الدقيقة وأتي فيه ببراهين من المنقول والمعقول، ما يحصر الشوارد، وشيدما أتي فيه بحجج كثيرة وأنواع الشواهد، وقد رأيت مواضع شتى من المحتويات، وسمعت بعض المباحث والتحقيقات، فوجدتها بديعة رايعة بحيث تسر الناظرين، وأنيقة ماتعة بحيث تقنع الواردين وممتعة للعلماء الباحثين خاصة لإخواننا الدارسين، فأدعوالي الله عز وجل، أن يتقبل هذا التأليف المنيف، بفضله وكرمه، وينفع به العلماء والطلباء بشراشره، و يبارك في علمه وعمله وحياته ، ويجعله ذريعة لنجاتنا ولمؤلفه، ويسهل في طبعه ونشره، ويفيد الناس أجمعين، إلى يوم القيامة و الدين، آمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين .

العبد المدعو

عبد العزيز غفرله .

١٤١١/٣/٥ هـ

تقريظ

العلامة الفهامة، جامع المعقول و المنقول شيخ المشـــــايخ والعلمـــاء، أستاذنا و مولانا، أحمد شفيع أطال الله بقاءه، ونفعنا بعلومه وفيوضـــه، رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم معين الإسلام الهاٹہزاري — صاتغـام — بنجلاديش .

باسمه تعالى وسبحانه

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين أصطفى، وبعد ،

فلا يخفى على أحد من الطلبة والعلماء، أن أصح الكتـــب وأفيدهـــا، وأقبل الكتب وأشهى ها، بعد كتاب الله في العالم الإسلامي، الصحيح البخاري للإمام الهمام محمد بن إسماعيل البخاري، ولـــه شـــروحات كثيرة، وحواشي عديدة، وتلخيصات مختلفة، وتوضيحات متنوعـة، في كل زمان ومكان، من أرباب القلب والعلم والقلم، في مختلف الألسنة، لكن ما تيسر لأحد من علماء بنغال وفضلائها، مثل تلك الخدمـــات، نعم في العصر الراهن، قد توجه إليه الشيخ محمد إمداد الحق، الحبيـــب غنجي الذي هو محدث كبير، وعالم جليل، مـــن خريـــج الجامعـــة الإسلامية الشهيرة، بدار العلوم معين الإسلام هات هزاري، قـــد دون

في مصطلحات الحديث كما هو يليق بشأنه، و أبحاثا كثيرة من التحقيقات البديعة، والتدقيقات الأنيفة، التي لا يستغني عنها الطلبة، والأساتذة، خصوصاً أتي بالمسائل الحاضرة، مثلاً مسئلة عدالة الصحابة، وعصمة الأنبياء، وفتنة أنكار الحديث وحقيقة المعجزات، وحقيقة التقليد والاجتهاد، وسلسلة الإسناد، وغير ذلك وأجاد بما أفاد، و جمع هذا الجمع العظيم، الذي فيه نهاية النفع للعباد، وأسئل الله تعالى أن يسهل طبعه، حتى ينتفع به جميع العباد في سائر البلاد، وأنه على ما شاء قدير وبالإجابة جدير، وفي ختام ندعو الله تعالى المولى الكريم، أن يبارك في علمه وعمله وسعيه وفي حياته وينفع به الناس، ويجعل هذه الخدمة الجليلة، صدقة جارية وذريعة للنجاة، ويوفق لمثل هذه الخدمات في المستقبل آمين يا رب العالمين .

أحمد شفيع

خادم الجامعة الأهلية هات هزاري — صاتغام .

٦/٣/١٤١١ هـ

تقريظ

العلامة الفقيه، المحدث الكبير، بقية السلف، حجة الخلف، مولانا الشيخ أحمد الحق أطال الله بقاءه، ومتعنا بعلومه وفيوضه، المفتي الأعظم، وشيخ الحديث في الجامعة الأهلية، دار العلوم معين الإسلام، هات هزاري صاتغام ،

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله و أصحابه أجمعين، إلى يوم الدين .

أما بعد ، فلا يخفى على أحد، أن صحيح الإمام البخاري، أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وإن له شرافة عظيمة، ومنقبة فخيمة، ولذا توجه إليه كثير من الفضلاء، وجماعة من العلماء، بتشريح وتوضيح، وبتقدمة وتوطية وأنشأ الله تعالى في كل عصر، أفرادا من الرجال، الذين بذلوا جهودهم في خدمة الحديث الشريف، وقضوا أعمارهم في نشره بالتدريس والتأليف، خصوصاً فيما يتعلق بصحيح البخاري .

وإن أخانا في الله، العلامة المحدث، مولانا إمداد الحق، سلمه الله تعالى عن الأفات و البليات، خريج الجامعة الأهلية دار العلوم هات هزاري، بنجلاديش، قد جمع في هذه المقدمة، التي وضعت بشرح الصحيح للإمام البخاري، غرر الفوائد ودرر الفرائد، وكثيراً من التحقيقات البديعة،

والمباحث الأنيقة، بحيث تسر الناظرين، أسأل الله تعالى أن ينفع به الناس من العلماء والطلباء، والمدرسين والمتدرسين، وأن يتقبل هذا التأليف المنيف، وما ذلك على الله بعزيز . فقط

العبد الضعيف

أحمد الحق عفا الله عنه

١٤٢٢/١٠/٢٠ هـ

حرره

نور أحمد عفى عنه

بأمر حضرة الشيخ دامت بركاتهم

وإنني أرجو أن يكون العلامة / إمداد الحق من ضمن أولئك الفطـاحل من العلماء الأفاضل هنيئاً له ثم هنيئاً له على ذلك .

حقاً إني أرى ان هذا الكتاب يعتبر مفخرة لبلاد بنجلاديش فنـــه أول شرح لصحيح البخاري في اللغة العربية صدر مــــن علمائــها علــى المستوى الرفيع ، والدقة الفائقة .

وأشجع العلماء وطلبة العلم على الاقتناء بنسخة من هذا الكتاب فإنــه قد يغنيه عن مطالعة كثير من المبسوطات .

وختاماً أصلي وأسلم على اشرف الخلق وأسعدهم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

ا.د. يوسف حسين أحمد

بتاريخ : ٣٠/٠٦/٢٠٠٢م

عميد كلية العلوم الدينية

جامعة دار الإحسان

داكا ، بنغلاديش

عرض الناشر

الحمد لله نحمده حمداً كثيراً، سبحانه وتعالى ونكبره تكبيراً، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد بشيراً ونذيراً، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد !

فإن هذا التاليف المنيف أعني هداية الساري إلى دراسة البخاري، للعلامة البحاثة والمحدث الكبير شيخ الحديث مولانا إمداد الحق السلهتي البنغلاديشي، نبراس عظيم في دراسة الصحيح للبخاري، وحسب علمنا أن هذا أول كتاب عربي ألف على صحيح البخاري في ديارنا .

ولقد جمع المؤلف في هذا تحقيقات بديعة وفوائد عجيبة، التي يحتاج إليها كل باحث ودارس، فجزاه الله عنا وعن سائر الطلبة والدارسين .

وبالحقيقة كان الشيخ يلقي في أثناء الدراسة أكثر هذه المباحث الثمينة، ويسيل عليهم قطرات من بحار العلوم العميقة، فهذا السفر الجليل الذي بين أيدينا فهو نبذة من علومه وحكمه، وأنه على تبحره وتعمقه، ونحن نسعد بنشر هذا الكتاب من مؤسسة "شيخ الهند دار الفكر الإسلامي" التي أسسها الشيخ بنفسه بأهداف ثمينة ، وجلها نشر الكتب الدينية وأذاعتها، أبقاء للعلوم وإرضاء لله تعالى، فنرجو من يطالع هذا السفر الجليل أن يدعو لنا ولهذه المؤسسة والله هو الموفق لكل خير وهو حسبنا ونعم الوكيل.

العبد

الحافظ مستفيض أنور

الأمين العالم لمؤسسة "شيخ الهند دار الفكر الإسلامي بنغلاديش ".

ترجمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، اما بعد ! فان الكتاب هداية الساري إلى دراسة البخاري من أثمن وأغلى المؤلفات التي ألفها أستاذي النبيل ، المحدث الكبير العلامة إمداد الحق الحبيب غنجي حفظه الله .

وهذا التاليف الفخيم في الحقيقة مجموعة المعارف والحقائق والدقائق العلمية ، التي قدمها إلى الطلاب ، واطلع عليها عند المطالعة لكتب الأحاديث النبوية الشريفة ، وانا لما سمعت من الشيخ بتأليف هذا الكتاب وطباعته فرحت جداً ، لأني قد مضيت أثمن أوقاتي عند هذا العالم الجليل ، وتلمذت على يديه حينما كان محدثاً في الجامعة الحسينية داكا دكهن سلهيت . فأردت أن أتشرف بعرض مختصر لترجمة شيخي المحترم فبقلة باعي ما استطعت تصوير ترجمة حياته كاملاً كما يليق ، لأنه البحر المستطيل فالى أين اسيح ، ومن الله التوفيق .

هو العلامة المحقق البحاثة المدقق المحدث الكبير الشيخ امدا الحق بن مولانا عبد النور الحبيب غنجي جلال آبادي حفظه الله تعالى ولد

الشيخ ١٥/٣/١٩٤١م الموافق ١٣٦١هـ بقرية كاتا خالي من محافظة حبيب غنج إحدى مناطق سلهت ، اما سلسلة نسبه هكذا :
أنيس الاولياء إمداد الحق بن مولانا عبد النور بن المولوي شهادة الله بن عتيق الله بن الشيخ بنكو رحمهم الله تعالى ، كان والده عالماً كبيراً تقيا باراً ، وكذلك أمه من اماء الله الصفية ، واتقى النساء في عصرها والمولف قد تأثر بعرق والده وأمه لأن العرق دساس .
وقبل ولادته رأت أمه في المنام ، أنه قد طلعت الشمس في بيتها ، ومرة رأت أن القمر دخل في حجرها حتى جاء في يديها ، فتلك بشرى عظيمة لوالديه في فخامة شخصيته وأنارة صيته ، وكان اسمه أنيس الاولياء إمداد الحق ، سماه بذلك قبل ولادته جده لأمه ، المجاهد البطل المرشد الكامل مولانا محمد سعد المعروف بأسد الله ، وهو كان من كبار العلماء والدعاة المخلصين ، ووليا من أولياء الله تعالى ، وذا أثر راسخ في الناس ، مقبولاً عند الخواص والعوام.
بدأت مرحلة تحصيل العلم عند والده المحترم بقرأة القرآن الكريم ، وأتم مرحلة الابتدائية عنده ــ ثم التحق الجامعة السعدية رايدر حبيب غنج في عام ١٣٧٤هـ ، وحصل على شهادة المتوسطة والثانوية فيها تحت

اشراف خاله العالم الشهير والمحدث الكبير نقيب أهل الحق الشيخ مخلص الرحمن بن الشيخ أسد الله رحمه الله .

وفي السنة ١٣٧٩هـ التحق بازهر البنغال الجامعة الإسلامية الأهلية معين الإسلام هاتهزاري شيتاغونج ، وتعلم شتى العلوم والفنون من النقلية والعقلية ، ثم مرحلة تكميل الحديث والتفسير بها في عام ١٣٨٥هـ ، وكانت علوم الحديث النبوي وعلوم التفاسير عند سعادته أرغب العلوم وأشوقها ، فبذل الجهود المرموقة للتمهر في هذه الفنون ، وقد أعانه الله تعال على ذلك وبارك في سعيه المشكور وبالاضافة إلى ذلك ، قد سعد باشراف الاساتذة المهرة الحذقة ، وقد نال بشفقة هذه الاساتذة الفضلاء وعنايتهم التامة بحسن أخلاقه وجمال سلوكه المحمودة ، وهذه العناية والشفقة الحنونة قادته إلى المستقبل الموفق المنير .

وكان المؤلف الموصوف من بداية تعلمه ذكياً جداً و فطنافهما ، ولذا كانت الاساتذة مقتنعة بغزارة علمه وتمعنه في فهم دقائق الغوامض ، ففكروا بأن يجعلوه في خدمة علوم الحديث النبوي الشريف ، لما رأوا فيه ما رأوا من غزارة العلوم والمعارف ومزايا التمهرة فيها ، وكان من مشاهير أساتذته رئيس الفقهاء وزبدة الاصفياء المفتي الأعظم العلامة

فيض الله قدس سره ، والمحدث الكبير بحر العلوم الشيخ عبد القيوم قدس سره ، والمحدث الكبير الشيخ عبد العزيز والأستاذ العلامة أبو الحسن رحمهم الله تعلاى وغيرهم من الاساتذة المحدثين .

فقد ترعرع وتربى على أيدي هؤلاء الافاضل النبلاء ، وتاثر بفيوضهم وأحرز من خزائن علومهم وتحقيقات معارفهم ، وليس هذا فحسب بل الموصوف تميز بحصول الاجازة على رواية الحديث النبوي الشريف ، من كبار المحدثين والمشايخ في هذا العصر ، مثل العلامة القاري محمد طيب رحمه الله تعالى رئيس دار العلوم ديوبند في الهند ، المحدث الكبير العلامة يوسف بالنوري رحمه الله الباكستان ، والمحدث المفتي الأعظم محمد شفيع رحمه الله الباكستان ، وغيرهم عند تشريفهم في بعض الاوقات إلى بنغلاديش ، وأحياناً حصل الشهادة والاجازة في رحلاته العلمية من المؤسسات العلمية .

أما الخدمات التدريسية فهكذا : شاور الاساتذة الكرام في رمضان ١٣٨٥هـ في أمر استاذي الشيخ المولف ، واتفقوا على خدمة أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى الصحيح البخاري ، في جامعة إسلامية من نواحي مؤمن شاهي ، ومن هنا بدأت المرحلة التدريسية له ، فنعمت البداية ، مأاسعد هذه الفرصة وما أغلى هذا التشريف ، أن يتفق جميع

الاساتذة على تعيينه شيخ الحديث في مركز علمي بعد تخرجه منـــها مباشرة ، فبالأمس القريب كان طالباً ممتازاً اليوم أصبـــح مســتحق منصب شيخ الحديث باتفاق جميع الأساتذة فلله الحمد . ولا شــك في ان منج تدريسه لصحيح البخاري كان ممتازاً جداً من حيــث تقــديم التحقيقات الانيقة والحكم الرائعة والبحوث العلمية وخاصة توضيـــح المعاني واللطائف ، وتبين الحقائق والمغارف كان من سمة تدريســـه ، فكأنه ينشر الدرر والجواهير بين الطلاب ببهجة الوجه وروحة القلــب ، فاشتهر صيته في اسرع وقت ممكن فيما بين أهل العلـــم والطلبــة الاذكياء .

فجاء الطلب من الجامعة الحسينية داكــا دكـــهن ســلهت ، لتشريفه اليها لافتتاح مرحلة الحديث الشريف خاصة لتدريس الصحيح للبخاري ، فلبى هذه الدعوة وذهب في ١٣٨٦هـــ بعد رمضان المبارك ، وانهمك في خدمة الصحيح للبخاري الشريف ، وأقام هناك حــوالي عشر سنوات ولله الحمد ، وقد استفاض كثير من العلمـــاء والطلبــة بفيوض علومه وبخزائن معارفه ، وأغلبهم في الايام الراهنة ، يدرســون العلوم النبوية في شتى الجامعات والمعاهد العلمية ، وانا العبــد الراقــم اغتنمت هذه السنوات أثمن اللحظات في حياتي ، واستفدت من علومه

ومعارفه حسب طاقتي ، وحصلت الشهادة العالية على تكميل الحديث الشريف عن الشيخ مباشرة ، وسعدت لشفقته وعنايته الخاصة حتى ان وفقني الله تعالى بالالتحاق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحصلت على الشهادة الرسمية فيها . وكانت تلك الأيام أنارت لي طريقي للمستقبل المنير .

ثم انتقل الشيخ إلى الجامعة السعدية برايدر حبيب غنج سنة ١٣٩٦هـ وافتتح مرحلة تكميل الحديث النبوي الشريف فيها .

وحقاً ما يقال : أن المشتغلين في خدمة الحديث النبويّ الشريف يشتاقون دائماً إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فوفقه الله تعالى بها في عام ١٣٩٩هـ ، وأدى مناسك الحج أول مرة بفضل الله تعالى وفي خلال هذا السفر المبارك وفقه الله تعالى لتدريس الحديث بالاذن الحكومي في الحرم المكي الشريف ، وفي المدرسة الصولتية بمكة المكرمة ، وذلك يعتبر قبول جهوده الجبارة في خدمة علم النبوة .

ثم على مشاورة كبار المشايخ والعلماء ، القادمين بموسم الحج ، رجع من السعودية بعد اداء مناسك الحج مرة ثانية إلى وطنه بنغلاديش ١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١م . واشتغل في خدمة الحديث بالجامعة قاسم العلوم شاه جلال بسلهت إلى عام ١٩٨٧م وتولى شيخ الحديث

ونائب الرئيس لتلك الجامعة ، ثم تشرف بخدمة الحديث شتى الجامعات والمدارس ، في عاصمة بنغلاديش داكا وغيرها .

واشتغل بالخدمة العلمية في المؤسسة الإسلامية ببنغلادش بجوار بيـــت المكرم داكا ، من حيث الركن الخاص للجنـــة تصحيـــح ومراجعـــة التصانيف والتراجم ، لكتب التفسير والحديث والفقه الإسلامي مـــن سنة ١٩٩٣م ،

ومع هذه المشاغل والهجوم ما ترك تدريس الحديث الشريف النبـوي ، الآن هو يدرس الصحيح البخاري في جامعتنا الحسينية داكا دكـــهن سلهت .

اما الخدمات الأخرى : بان الشيخ الموصوف حفظه الله كان من فروغ تعلمه ذا فطرة البقة عزيزة وقد شغفه حب المطالعة وشـــوق التفكـــر والامعان في فهم المعاني والغوامض .

فهذا الكتاب الذي بين ايدي اخواننا القارئين هو ثمرة جـــهوده المستمرة ، ونتيجة تحقيقاته العلمية التي اكتسبها بمواصلة الليالي بالنهار. وبدأ في تأليف هذا الكتاب عند قيامه في داكا دكهن سلهت في النوبـة الأولى ، وبعد جمع المعلومات والمحتويات فيه ســـافر إلى دار العلـــوم ديوبند الهند ١٩٩٠م ليحظى من تبادل الآراء ، مع مشاهير العلمـــاء

والمشايخ في محتويات مولفه ، وليتبرك بمشاورتهم فيه وتقريظاتهم لـــه ، فضلاً على التصاديق والتقاريظ الحاصلة ، من أساتذة هاتهزاري عليــه ، وقد فاز بما أراد بمن الله وكرمه من التصاديق عليه ، من المفتي الأعظــم في الهند الشيخ محمود الكنكوهي رحمه الله ، والمحدث الكبير العلامـــة عبد الحق الأعظم كري ، والمحدث الكبيرا المفتي سعيد أحمد البالنبوري ، أمير الهند المجاهد الأعظم السيد ِاسعد المدني ، حفظهم الله تعـــالى وغيرهم من علماء أهل السنة والجماعة ، وفرحوا كلهم بما رأوا فيـــه من المعلومات والمعارف والتحقيقات ، فلله الحمد والمنة ، وللشـــيخ تاليفات أخرى ، فمنها ما طبعت ، ومنها ما نتظرهـــا ، فالمطبوعـة "طريق السلوك " وحقيقة بايبيل والنصرانية " باللغة البنغالية.

ولأستاذنا خدمات عظيمة في اصـــلاح النفـــوس والمجتمـــع ، بالمواعظ والنصائح ، الارشادات في مختلف المجالس والمؤتمـــرات ، في أكناف البلاد وأطرافها وكذا في مدن بريطانيا أيضا ، اضافة على ذلك بعد الشيخ حفظه الله من مشاهير السالكين طريق الهداية ، وفرســـان ميدان تربية النفوس والتزكية على ضوء القرآن والسنة ، وكان الشـيخ تربي أولا بيد الشيخ المفتي الأعظم العلام الشيخ فيــض الله رحمــه الله تعال ، وبعد وفاته لازم المرشد الكبير مولانا الشـــيخ عبـــد المتـــين

الصودري الفولباري رحمه الله تعالى ، وتشـــرف بالاجـــازة منـــه في ١٩٧٦م ، وتاب على يديه خلق كثير من العلماء والعوام ، حصلـــوا منه التربية واصلاح النفوس ، واستفاضوا منه وتخلقوا بـــاخلاق الله ، وفاز جماعة بنعمة قربه الخاصة ، وكان الشيخ كذلك مـــن مصـــاقع الخطباء والوعاظ ، وعنده صلاحية محسودة لعرض الموضوع بمنـــهج يقتنع الجماهير عند سماعهم إليه .

ولديه المهارة التامة في تنظيم الهيئات واللجـــان والجمعيـــات ، فقـــد تعددت الهيئات والجمعيات بتأسيسها على يديه الفعالة ، فلا يـترك أي مجال لخدمة

الإسلام الا ويشترك فيه ، حتى في البرامج السياسية النافعة ، ولكـــن كثرة الاشتغال بخدمة العلوم النبوية ما وهبت له الفرصـــة للمواظبـــة عليها.

ان من سعادة الشيخ بان امه المحترمة بقيت في حياتها ، وتظـــل علـــى رأسه بالحنان والشفقة والدعاء له ورزقه الله تعالى بابنين وثلاث بنـــات ، وابنه الكبير عالم وحافظ للقرآن ، والصغير كذلك حافظ وهو الآن متدرس ، يجعلهما الله تعالى من قرى أعين الوالدين .

فأسأل الله تعالى أن ينفعنا وجميع المسلمين بعلومه ويجعل حياته حياة مثالية لنا ولمن بعدنا ، ويطول حياته ويبقى علينا ظله النافع إلى ما يشاء الله ، ويحشرنا مع عباده المخلصين ، الذين انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وصلى الله على نبينا سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آلــــه وأصحابه أجمعين ، آمين يا رب العالمين .

أحد تلاميذ المؤلف

عبد الفتاح غفر له

رئيس الجامعة الحسينية داكا دكهن سلهت

(أستاذ الحديث بالجامعة قاسم العلوم شاه جلال سلهت ،

ومبعوث المملكة العربية السعودية في بنغلاديش)

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من شرح صدورنا للهداية والإيمان، وفتح قلوبنا لفهم معاني السنة والقرآن ونصلي ونسلم على من بعثه الله تعالى إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، وجعله أسوة لمن جاء بعده وأرسله رحمة للعالمين وسراجا منيرا، وعلى آله وأصحابه الذين هم هداة الدين المبين، الذين بذلوا جهدهم وأنفسهم في سبيل الله المتين، وعلى تابعيهم وأتباعهم الذي اتبعواهم بالاحسان رضي الله عنهم وأجزاهم عنا وعن سائر أهل الإيمان، أما بعد !

فيقول العبد المجروح بسهام البعد والهجران، الغريق في بحار العجروالعصيان، العليل بالمهلكات من الأدواء الباطلة، والسقيم بالموبقات من الأخلاق الرذيلة الفاضحة، الفقير الحقير الأحيق، الأحوح إلى المولى الحق، المدعو بمحمد إمداد الحق ، بن مولانا الحاج عبد النور، قدس سره العزيز الغفور، الحبيب غنجي الجلال آبادي .

أنه طالما الح على بعض الأحبة وزبدة الخلان، أن أجمع الأمور والفوائد التي كنت القيها أمام الطلبة الأخوان، الذين هم طلبة الحديث

الشريف خاصة صحيح البخاري ، في تقدمة ضرورية التي تشفي العليل

وتهدي الساري ، فإنه مع كثرة مزاولته في الأقطار، وشيوع مدارسته في القرى والأمصار، شديد الاعتناء من المحدثين، والعكوف عليه من الباحثين، شديد الافتقار إلى علوم غزيزة، وكثير الاحتياج إلى فنون كثيرة،

ولكن دراسات اليوم الحاضر تخلو عن كثيرها، ويعجز الطلبة عن درك كثير من حقائقها، ولا شك أنها لازمة لمن أراد الحذاقة في علوم الكتاب والسنة، أو تمنى شرح الصدور في فهم القرآن والاحتجاج بالسنة، وحيث أني لم أكن من فرسان هذا الميدان، ولا من سباق الغايات في مجاري التحرير والبيان، مع إني قصير الباع في اللغة العربية، قليل العلوم والمعارف الحديثة، صرت أدافعه بعسى ولعل أنا، الليل وأطراف النهار، وطويت الكشح عن الحوض في البحر الزخار فلما رأيت أني لم أجد بدا من أسعاف ماموهم والمرام، وكرهت أن أعتزل من خدمة كلام سيد الانام، استخرت الله سبحانه الملك العلام ، رأيت أنه هو المرضى من جليل القدر والشأن، وكانت تلك بغيتي من قديم الزمان، ولما كنت حضرت الحرمين الشريفين، عام تسع

وتسعين بعد الألف وثلثمائة من هجرة أكمل ولد عدنان، دعوت الله سبحانه الملك المنان، في المواضع والمقامات التي تستجاب فيها دعا أهل العصيان، خاصة في البقعة المباركة

التي هى رياض الجنة الآن، أن يوفقني الله تعالى بخدمة شرح الصحيح للبخاري، الذي يكون فيما بين الطلبة والعلماء كالفيض الجاري، فاضمرت في قلبي ذلك المراد والمأمول، وأرجو عناية الباري فيما هو المسؤول، فشمرت عن ساعد الجد وشرعت متوكلاً على القدير المتعال، في تقدمة شرح البخاري المسمى بالفيض الساري، ولما حضرت أزهر الهند الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند الهندية، في عام تسع بعد الألف وأربعة مائة من الهجرة النبوية، عرضت تلك الوريقات المسودات على محقق العصر الجاري، علامة الزمان المفتي محمد سعيد البالنبوري، فسماها بهداية الساري إلى دراسة البخاري ، وعرضت ما أردت من الشرح على المحدث بالحق ، العلامة الشيخ مولانا عبد الحق الأعظم كري، فسماه بالفيض الساري في شرح البخاري، فلله الحمد والمنة- وحصلت --- تقريظات العلماء الأعلام، الذين ارتحل بعضهم بعد إلى الملك العلام، أعلى الله درجاهم في أعلى عليين ، ويحشرنا معهم في زمرة الصالحين ، آمين.

ولما رجعت من تلك الرحلة ، وأردت الشروع في أمر الطباعة ، وقعت في عبأ شديد لأني لم أستطيع من نفسي ، جمع الصرفات للطبع كما يقضي، فطويت هذا وأتفكر فيه من جديد، فلم يسعغني أحدما طلبته ولم يتيسر لي ما أردته، فمر على هذا برهة من الزمان ، حتى كدت أنسى الكتاب من أوان، وفي العام الماضي عدة من الأصدقاء في بريطانيا الحوا على بطبع هذا الكتاب، وأمروني أن أفتح المقفل بعد ما كان مغلق الباب ، فهم نصروا وحثوا غيرهم على طبع هذا الكتاب ، فأنا أتذكرهم بحسن الذكرى وأحسن الدعاء ، يعطيهم الله تعالى أجزل الثواب والجزاء.

وجزأت هذه التقدمة بجزئين لطيفين ، وهما فيما بين الطلبة والعلماء كالبحرين الجارين ، وقد ذكرت في الجزء الأول ما لا بد منه للعالم الباحث من الفوائد، من متعلقات مبادئ الإسلام وأصوله خاصة لفن الحديث ما يحتاج وما يفيد، وفي الجزء الثاني ما يتصل بأحوال الكتاب وصاحبه ، وما يتعلق في هذا العصر من مباحثه، وترجمت كل بحث بالفائدة ، كالفواكه على المائدة ، كي يتخير كل باحث ما يريد، ويقتني ما يشهاه وما يفيد، فالمرجو من أصحاب العلم والفضل، أن ينظروا إلى هذا بالعفو والعدل، فما يكون الغلط والخطأ في البحوث

أو العربية، فكل هذه من المؤلف قليل العلم وقاصر العربية، وهو معترف لها من غير شك وريبة فتسامحونه بالعفو والإحسان، والله ولي النعمة والغفران، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا بفضله وكرمه، ويوفقني على العمل بمرضياته ، والاحتراز و التجنب عن منهايته، ويجعله يوم القيامة وسيلة لنجاتي، وبركة في حياتي وبعد مماتي، فإنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير، أسألك العصمة والسداد ، وأعوذ بك من الزيغ والإلحاد ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم أغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأساتذتنا ولمن له حق علينا ، ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، إنك سميع قريب مجيب الدعوات . يا أرحم الراحمين، آمين يا رب العالمين .

العبد الفقير

إمداد الحق غفرله

المحتويات في الجزء الأول لهداية الساري إلى دراسة البخاري

المحتويات في الجزء الأول لهداية الساري إلى دراسة البخاري

المحتويات في الجزء الأول لهداية الساري إلى دراسة البخاري

المحتويات في الجزء الأول لهداية الساري إلى دراسة البخاري

الفائدة الأولى: وجود الصانع الباري تعالى

أعلم أن الفلاسفة ثلاثة أصناف، صنف متبعون للإسلام ، وصنف متبعون لدين و مذهب سوى الإسلام، لكن يسلمون وجود الصانع للعالم ، وصنف ثالث دهريون، ينكرون وجود الصانع للعالم ، وهم قسمان، قسم يقولون أن العالم قديم لا فناء له، وهو موجود من أزل، كما هو رأى قدماء الفلاسفة ، وكارسطو وغيره ، وقسم يسلمون حدوث العالم، ولكن يقولون أن العالم حدث دفعة، وهم متأخرون من الفلاسفة، وكل منهما يقولون : أن العالم ليس له صانع مختار، بل موجود بنفسه، وكذلك يقولون والوحى والإلهام ليس بشيء، إذ لا علم سوى إدراكات الحواس والعقل، وما هو غير مدرك بالحواس والعقل تنكر وجوده، وكذلك يزعمون : أن الحشر والبعث غير ممكن، ولا عالم سوى هذا العالم، وكل هؤلاء الفلاسفة الدهريون ينكرون وجود الصانع.

وههنا أذكر نبذة من الكلام على إثبات وجود الصانع ، فأقول : ان الله تعالى ذكر في القرآن ست مائة وخمسين أية لمعرفة ذاته تعالى، وأمر الناس بالنظر و التفكر في الآئة ونعمائه ، وأثار قدرته ولمعاتحكمته

، وفي ذلك عبرة وآية لا ولي ألباب، ومن لم يعرف ذاته وقدرته وصفاته، فهو ليس من العقلاء و إنما هو من الجهلاء والحمقاء .

فيقال بأنه يستدل على وجود الصانع بوجوه ، الأول : دليل الصنعة : إن العقلاء كافة متفقون، بأن المصنوع يدل على صانعه ، لو رأى أحد عمارة أو ساعة أو أريكة، يقول من غير فكر وتدبر: بأن له صانعاً صنعه ، لا يتصور بأنه تكون من غير فاعل مختار ، بل يعد هذا محالاً، وكذلك كمال المصنوع وحسنه يدل على كمال صانعه وقدرته، وهذا أمر مشاهد يتفق عليه العاقل والجاهل ، فحينئذ يقال بأن هذا العالم من سمائه وأرضه ، وأشجاره وأوراقه، وحيواناته ونباتاته، وجماداته وزراعاته ، وغير ذلك كل هذه يدل على صانعه وموجده، وكذا يدل على كمال قدرته وعلمه ، وجود العالم بدون الصانع محال لا محالة .

الثاني دليل الوجود بعد العدم : إن العقلاء يعلمون بأن الذي وجد بعد زمان عدمه ، والعدم سابق عليه والوجود بعده ، فلوجوده لا بد من موجد أوجده، وأظهره من كتمان عدمه . فأنت مثلاً : وجدت في زمان ، وكنت قبل ذلك معدوما فمن هو الذي أوجدك، لا تكون أنت أوجدت نفسك، هذا هو محال عند العقلاء سائرهم،

لأن الشيء لايكون موجودا لنفسه، وكذا لا يكون أبواك وموجدين ، لأن الموجد يكون له أختيار في إيجاده، ولا اختيار للأبوين في إيجاد الأبن، وإلا لما يتولد الولد على خلاف ما يرغبان ويشتهيان .

وفي الحقيقة لا قدرة لهما في حيواته ولا في موته، ولا في صحته ولا في مرضه، ولا في أعضائه ولا في اعضابه ولا في اشعاره ولا في اظفاره، ولما لم يكن للأبوين قدرة على شيء من الولد، فكيف يكون الأبوان موجدين له مع أنهما بأنفسهما أيضاً محتاجان في وجودهما إلى الغير، وكذلك لا يمكن شيء آخر غيرهما الذي ليس له وجود بنفسه موجدا لذلك الولد، بل هو أيضاً في وجوده محتاج إلى غيره فحينئذ يحتاج أن يقال بأن الموجد هذا الذي له وجوده بذاته وبنفسه، غير محتاج في وجوده إلى غيره، وقادر مطلق على ذلك، وهو الصانع البارى تعالى .

الثالث : دليل تغيرات العالم : إنك إذا نظرت إلى موجودات العالم من صغيرها إلى كبيرها، من مفرداتها إلى مركباتها، كل منها في تغير وتبدل، في كون وفساد، في حياة وموت، كل حين وآن له انقلاب عظيم، وهذه التغيرات تنادي بصوت أعلى، بأن لها مغيرا قادرا مطلقاً، تقع هذه التغيرات بقدرته، وهو الصانع الباري تعالى،

والمنكرون يقولون: بأن هذه التغيرات والتبدلات وقعت بالقوانين الطبعية ، ونحن نقول : بأن القوانين الطبعية في الحقيقة هي ألات وقوانين من الصانع الموجد، وتجري هذه الفطرة تحت إرادة قدرته ، ولا توجد الأشياء بالآلات فقط من غير موجد وصانع، فالصانع للالته تعالى والقانون الطبعي هو الصانع الباري تعالى.

الرابع : دليل إمكان الأشياء : إنك ترى الأشياء كلها من العالم ممكنا وجوده وعدمه سواء، ليس وجوده ضرورياً ولا عدمه ضرورياً ، فالشيء الذي في ذاته ممكن، وجوده وعدمه سواء فلترجيح جانب وجوده على عدمه، لا بد له من مرجح والا يلزم الترجيح بلا مرجح ، وهو باطل اتفاقاً ، فالمرجح لا يكون نفس ذلك الشيء، هذا محال ، ولا يكون غيره من الممكنات، ولأن ذلك أيضاً محتاج في وجوده إلى غيره فيتسلسل أو يدور ، وكلاهما باطل ، فيقال بأن مرجحه هو الموجد الذي وجوده بذاته ، لا يحتاج في وجوده إلى غيره، وهذا هو الصانع الباري تعالى .

الخامس : دليل الفناء والزوال : بأن كل شيء من العالم إذا رأيته ، رأيته يفني ويزول أنا فأنا، حتى يمحو من صفحة الوجود، وهذا يصوت بصوت رفيع بأن وجوده مستعار وحاصل من غيره ، إذ لو

كان وجوده بنفسه فلا يفني حيناً ، مثلاً ضوء الشمس تقع على الأرض ، يجيئ ويذهب، والأرض تكون مستنيرة، وهذا يدل على أن ضوء الأرض ليس بذاتها بل مستعار من الشمس كذلك يقال بأن وجود أشياء العالم ليس لها وجود بذاتها وبنفسها، بل من غيرها الذي وجوده بنفسه وبذاته، ولا يكون مستعارا من غيره، وهو الصانع الباري تعالى .

السادس : دليل اختلاف الصفات والكيفيات : بأن موجودات العالم من أرضه إلى سمائه، كلها سواء في الجسمية، وهي تشترك في جميعها على السواء، والاختلاف إنما هو بحسب الصفات والمقدار، والصورة والتأثير، والألوان وغير ذلك فلو تنظر إلى الحقائق والماهيات ترى ما يجوز لأحدها يجوز لغيرها، فما كان في علو يجوز أن يكون في سفل، وما كان في سفل يجوز أن يكون في علو ، كل شيء في العالم يصلح للأضداد ، هكذا، فيقال من هو الذي قدر الأشياء بمقاديرها وصورها وأشكالها وكذلك الصفات التي خصها بها من خصها لها ولم يختص بغيرها في الحقيقة أن لهذه التخصصات قادر مطلق موثر مدبر، الذي يفعل كيف أراد ويرجح لكل شيء ما ناسبه، وهو الصانع الباري تعالى .

السابع : دليل الحركة : قال العلامة أحمد بن مسكويه في الفوز الأصغر: بأن كل شيء من العالم لا يخلو عن حركة، و الحركة ستة أقسام الأول حركة كون ، إذا تحرك من عدمه إلى وجوده، والثاني حركة فساد إذا تنزل إلى فساد، والثالث حركة نمو إذا ينمو ويزداد، والرابع حركة ذبول إذا تنزل إلى ضعف وقلة ، والخامس حركة أستحالة إذا تحرك من حالة إلى حالة وتبدلت ، والسادس حركة نقل إذا انتقل من مكان إلى مكان، والعقلاء متفقون: بأن حركة المتحرك لا تكون بنفسه ، بل لا بد له من محرك ، الذي يقدر على هذه التحولات والتحركات. فجميع الحركات يتحرك تحت قدرة المحرك، وهو الصانع الباري تعالى .

والثامن دليل حسن الوضع و الترتيب : قال الإمام الرازي: إن السماوات والأرض والنباتات والجمادات والحيوانات و غير ذلك، كلها وضعت بأحسن ترتيب و أجود نظام، إذا أمعنت الجبال وتفكرت تظهر لك الحكمة والمصالح، كما يقول الفلاسفة في شرح الكواكب، و ترتيب الجبال والبحار في الأرض كلما يزداد فكراً يزداد حكمة ومصلحة ولو قيل إن هذه التكيفات والترتيبات تحت نظام قانون الطبيعة، أو وجدت دفعة بالبحث والإتفاق، كل هذه مردودة

ببداهة العقل ، بل تجد كل ذلك تحت قدره كاملة ووضعت بعلم محيط، وهي قدرة الصانع الباري تعالى .

والتاسع دليل الذلة والعجز: بأن كل ذي عقل وبصيرة يعلم بداهة، إذا وقع الإنسان في البلايا والمصائب، وانقطعت الأسباب الظاهرة والوسائل ، يلتجئي قلبه إلي ذي قدرة وغلبة، ويعلم أن له ناصرا غوثا حافظا دافعا للبليات، وهو الصانع الباري تعالى .

العاشر . دليل الانقياد والتخضع : بأن كل شيء في العالم تلوح عليه أثار الذل والعجز، يخضع وينقاد إلى قدرة باهرة، بحيث لا يعصي ما أمر به، ولا يخالف في حركته وفعله، مثلاً إن الشمس والقمر والكواكب، لهن طلوع وغروب، و نور وظلمة، بدر ومحاق ، خسوف وكسوف، وكذلك الهواء ينتشر شمالاً و جنوباً، شرقا و غرباً، وكذلك الأرض خضعت للناس، يحرث فيها ويمشي، يحفر فيها ويبنى عليها، و يتغوط ويبول عليها، كل أشياء العالم مصروف في عمله وفعله، كأنه مقهور تحت قدرة القدير المتعالى، وكذلك الحيوانات والنباتات، يذبح ويقطع، يحرث ويحرق، وكذلك الإنسان اجوح الموجودات، فإنه يجوع ويعطش، ويبول ويتغوط، ويمرض ويصح، يأكل و يشرب، ينكح ويتولد، وغير ذلك، لكل هذه يحتاج

إلى الغير، ويعلم من حاله إنه لا يستطيع أن يخالف حقيقته وماهيته وصفاته، فيقال بأن موجودات العالم، تحت قدرة قاهرة، وحكمة باهرة كل شيء مقهور ومجبور، بيد الصانع المختار، كيف اراد يفعل، وما شاء أراد ليس عليه قدرة، وهو على شيء قدير وهو الصانع الباري تعالى وتقدس .

والحادي عشر دليل تسليم الدعوى حسب اراء أكثر العقلاء وجمهورها : بأنك ترى من قديم الزمان إلى متأخره ، الذين يسلمون وجود الصانع ويعتقدونه، أكثر من الذين ينكرونه، والعقلاء أيضاً كثيرون كذلك، والشرذمة القليلة بل بالنسبة إلى هؤلاء وهم كالعدم، ينكرون وجود الصانع، والأدلة غير صحيحة أو ضعيفة جداً، فلا يقال بأن عقول العقلاء جميعاً أو أكثر هم فاسد أو مريض أو لم يفهموا حقيقة الشيء، والشرذمة القليلة فهموا ووصلوا إلى ذروة التحقيق، والحال أن هذا من ناحية الفكريات، فجمهور العقلاء ذهبوا وتيقنوا بوجود الصانع، بدلائل قوية ظاهرة، فلا وجه لأنكارها، فعلى هذا الأصل يعني تسليم الدعوي حسب أراء الجمهور، يثيقن بوجود الباري تعالى .

الثاني عشر دليل بداهة العقل : من حيث أن العقل إذا خلى ونفسه، يعترف بوجود الصانع، ولذا ترى الصبيان والمرضى أيضاً يعترفون هذا، ما لم يعرض له آفة في أم الدماغ أو لم يصب في عقله، وسائر الناس في العالم يقرون ذلك، من غير دليل وبرهان، لأن البديهي لاتقام عليه الحجة، ولا يحتاج إليه النظر والفكر المنطقي، ولذا من ينكر وجوده يحتاج إلى الاستدلال على دعواه الباطل، والحال أنه نفى وأنكار، و الأصل أن الدليل والبرهان يقام على إثبات شيء، لا على العدم والنفي، والمنكرون يظطرون على خلاف أصولهم، إلى إقامة الحجة وفي الحقيقة هذه حجة تامة على وجود الصانع إذا لو لم يثبت لما ينفي وينكر مع ذلك الدليل على بداهة وجوده ظاهر حتى إذا طولب من المنكرين الدلائل استحمقوا، و كلما أصروا على ذلك نكبوا على وجوههم، إذا لا مخالفة للبداهة .

الثالث عشر دليل الحزم والتيقظ : بأن العقل إذا ظهر له خلاف في شيء فحينئذ ينظر في عواقبه، إذا يفهم أنه لا يضر في عاقبته يقبله، وإلا يفر ولا يقبل، ولا تشتهي النفس، ولا يقتضي العقل أن يقع في بلاء وعناء فيما بعد، بل يطلب ما هو أنفع وأفيد، أقل أن يكون غير مضر، فعلى هذا يقال، لا يعترف المنكرون وجود الصانع الباري

تعالى، والمعترفون يقولون أن للعالم صانعاً موجداً قادراً، ويعتقده سميعاً بصيراً حياً أزلياً أبدياً، وكذلك يعتقد الحشر والبعث والجنة والنار وغير ذلك .

فنقول : أن المنكرين والمعترفين كلهم يموتون ، لا أنكار عليه فلو صدق ما قال المعترفون فكيف يكون حال المنكرين ، المعترفون يكونون في سلامة ويرون ما اعتقدوا حقاً فينجون من مشكلات الآخرة، بخلاف المنكرين لا يكون لهم أمن ولا سلامة، فالحزم والتيقظ بأن يسلم وجود الصانع والآخرة كما يعتقد المسلمون فيه أمن وسلامة، وحزم واحتياط، مثلاً يقول شخص لآخر : لا تمش من هذا الطريق ، فإذا فيه حيوانا موذياً، وقال الآخر لا أرى شيئاً ولا دليل عليه، فلا نسلم قوله فحينئذ ما هو الأنسب والأصلح وما هو الأنفع في العواقب فيقال سلم قول الأول وهو الحزم والاحتياط، وإلا يمكن أن تملك وتتحسر في المآل، فكذلك الأنسب والحزم أن يسلم وجود الصانع وجميع أوامره حتى ينجو في الآخرة، ويسلم عن عواقب السوء.

والرابع عشر دليل صدق الدعوى بحسن أثاره : بأن العقل يفصل بين الصادق والكاذب بصحة أثاره و فساده، فإذا ظهر من الشيء حسن الآثار والنتائج يعتقد به و يقر صداقته وفساده ، وإذا

يرى قبح عواقبه وشر نتائجه، يفر منه وينكره ولا يقربه، فكذا لو يقال بأن الإنسان ليس له خالق وصانع، وكذالك العالم كله ليس له صانع، فحينئذ يظهر الفساد والفتنة، كلهم يزعم بأنه مختار ليس فوقه من يقدر عليه .فالحيواة الإنسانية تنتشر وتتشتت، ولا يكون لها نظم ونسق، فحينئذ لا يكون هناك فرق بين الإنسان والحيوان، فأين العقل وادراكه، وأين الفهم وأفادته وهذا أمر شاهد في المنكرين كذلك فلذا يقال متى لم يربط الإنسان في عقله وقلبه، بربط الإيقان بوجود الصانع القادر المختار، ومتى لم يعتقد، ولم يعترف بأن قدرته فوق قدرة الإنسان وأن بطشه شديد، فلا يمكن حسن النظام في العالم، ولا يكون الإنسان إنساناً حقيقة فحسن الأخلاق ينشأ من الباطن، والأمن والطمانينة يقوم من قانون القلب، القانون الظاهري نظام السياسية، ولكن حسن نظم العالم وأمنه لا يكون الا بربط القلب بالإيمان والإيقان، والعقل يقتضيه ذلك. ولذا يقال إن الإنسان مجبول على الفطرة و الدين فلا يمكن له ذلك إلا إذا اعتقد بوجود الصانع .

الخامس عشر : دليل الاستدلال باقوى الأدلة وأحسنها : بأن العقل دائماً يرجح الذي له دلائل قوية أو أدلة كثيرة، وإنك إذا رأيت أو ترى دلائل المنكرين لا تتم بل لا تقوم بها حجة، فالعقل السليم لا

يعتمد عليه قطعاً، ولا يسكن الخاطر عليه، وعلى خلافه دلائل وجود الصانع، فإنها كثيرة قوية يطمئن القلب منها، فلذا يسلم وجود الصانع الباري تعالى وتقدس، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان اللهم آمين .

الفائدة الثانية : مصادر الإسلام و وعد الله تعالى بحفظه

أعلم أن الإسلام خاتم الأديان والملل، ليس بعده دين ولا ملة، وهو جامع للملل السابقة أصولها وعقائدها، ولا اختلاف بين الأديان السماوية في أصولها، والفرق بينها في الفروع بحسب أحوال الناس والزمان، والإسلام كامل من جميع النواحي والجهات، فلا حاجة إلى دين وملة سوى الإسلام إلى يوم القيامة ، وإن هذا ناسخ لكل دين سابق . فلا يتدين بمنسوخ الأحكام والمسائل، وكل ما يحتاج إليه من الإيمانيات والعقائد، وللأعمال والفروع، يحتوي عليها الإسلام أصولا وكلياً. ولهذه النقطة الإسلام جامع كامل خاتم الأديان إلى يوم القيامة.

فهذا الإسلام يبني على أساس المصدرين بالإصالة، كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه الف ألف صلوات وتسليم. فأصل الأصول هو القرآن الكريم، والشارح المبين له شرحاً وتشريحا حسب العلم والعمل، هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما ثبت منه وهو الحديث وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبالحقيقة على أساس هذين المصدرين يبني الإسلام والدين، وهو محفوظ من جميع النواحي بفضل الله تعالى، لأن الله تعالى تكفل بنفسه تفضلاً وتكرماً لحفاظ الدين والقرآن الكريم، حيث قال تعالى :

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ١٥/٩ . فالمراد بالذكر هو القرآن الكريم أو الرسول صلى الله عليه وسلكم، فسبحانه وتعالى تكفل بالحفاظ، فحفاظة القرآن أن يحفظه من التحريف والتغيير والتبديل، لفظا وحرفاً وإعراباً بحسب جميع الجهات، فكل هذه محفوظة بفضل الله تعالى، وحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعصمه من الناس ظاهراً ومعنوياً، كما قال الله تعالى : والله يعصمك من الناس " ٥/٢٧.

ويقول العبد الضعيف :/ إن الذكر هو القرآن الكريم وهو عبارة عن الشريعة والدين، ولما كان القرآن اسم لجميع اللفظ والمعنى ، فلا بد أن يحفظ القرآن حسب كلا الوجهين . والقرآن فيه تبيان لكل شيء، فتوضيح المشكلات ، وبيان المحملات ، وتشريح المغلقات . وتفصيل المبهمات من مشكواة النبوة كل هذه معاني القرآن الكريم فلو لم تحفظ هذه الأمور لم يحفظ القرآن لفظاً ومعناً، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً و تقريراً كله شرح القرآن، فكأن الله سبحانه وتعالى وعد حفظ القرآن والحديث جميعاً.

ولهذه النقطة أنشأ الله تعالى في هذه الأمة طبقات عديدة، من الحفاظ والقراء والمحدثين والمفسرين والفقهاء والمجتهدين وأهل السير

والمؤرخين وغيرهم، وإلى هذه أشار الإمام حسن البصري رح يقول : أما حفظه فبا بقاء شريعته إلى يوم القيامة (روح المعني) وكذلك قال الله تعالى : ورفعنا لك ذكرك ٤/٩٤ ، قال مجاهد رح معناه حيث ما ذكرت ذكرت وقيل معناه رفع الذكر هو الأذان والصلاة وغير ذلك وقيل : لما أخذ الله تعالى الميثاق من النبيين وأممهم بأنهم إذا وجدوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصره هذا هو رفع الذكر.

والذي يرى العبد : إن رفع الذكر هو بقاء الشريعة والدين إلى يوم القيامة ، فعلى كل قرن وزمان إذا صار الناس متبعين لدين النبي صلى الله عليه وسلم فذلك هو رفع الذكر للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي الأصل : إبقاء أثار المرء في حياته وبعد وفاته هو رفع الذكر ففي تلك الآية أيضاً إشارة إلى حفظ القرآن والحديث، وقد تشعبت في الدين علوم كثيرة، بعضها بلا واسطة وبعضها بالواسطة، والعلماء دونوا في كل فن من كتب ورسائل، ولم يبق شيء من علوم الدين إلا وقد دونت وجمعت، سواء كان من العقائد والأعمال أو العبادات والمعاملات أو المعاشرات والمعاشيات أو السياسيات والحقائق وغيرها كل هذه لحفظ الدين، ولهذه الجهة أنشئت العلوم الدينية من التفسير

والحديث والفقه وغيرها، لحفاظ الدين فقط، وقد صدق اللهُ تعالى ومن أصدق من الله قيلاً . لله الحمد والمنة

الفائدة الثالثة : وجود الوحي والإلهام مما يقتضيه العقل

إعلم أن الفرقة الدهرية ينكرون الوحي والإلهام ، ويقولون : لا سبيل لنا إلى إدراك الأشياء إلا بالحواس الخمسة الظاهرة ، والذي لا يدرك عقولنا ، لا تعلم وجوده، وعلى هذا ينكرون النبوة والرسالة ، وقالوا : إن الرسالة والنبوة كسبية لا وهبية ، العياذ بالله، ونفصل الكلام فيه من بعد إن شاء الله، والآن نذكر سفاهتهم في انكار الوحي والالهام .

نذكر أولاً مقدمة مختصرة ثم نأتي في مرادنا ، إن الله تعالى انعم على الإنسان بنعمة الحواس المدركة، وأكمل تلك النعمة بالعقل وبه يمتاز الإنسان من غيره ، إدراك الحواس للأشياء لا يتم إلا بمعونة العقل، ثم ادراك الحواس محصور ومحدود بجوانب وشرائط فلا تدرك إحداها ما تدرك الأخرى، فمثلاً لا تدرك حاسة البصر كلاما كما لا تدرك حاسة السمع صورة، لا يدرك كل حاسة إلا ما هو مخصوص لها ، ومع ذلك ادراك الحواس محدود في المحسوسات، أما ما هو غائب عن الحواس لا يدرك بالحواس، فادراك الحواس محدود في دائرة المحسوسات

، والعقل له قوة في ادراك المعقولات ، وله مرتبة زائدة على الحواس ، فالعقل حاكم على الحواس ، والحواس للعقل طرائق وآلات كثيرا ما يقع الخطاء في الحواس، والعقل هو الذي يقوم بالتصحيح

إذا علمت هذا فنقول أولا: أن الحواس الظاهرة للإنسان عموماً تكون خمساً ، ولكن قد تكون لبعضهم اربعاً، مثلاً الأصم خلقة أو الاعمي خلقة، ليس للأصم ادراك المسموعات، وكذا ليس للأعمي ادراك المبصرات، فلو يقال للأعمى : هذا أحمر ، هذا ابيض ، يقول الأعمى: ما الأحمر وما الأبيض؟ لا ادركها فلا نسلم ، فيقال في جوابه، أن فيك مرضاً خلقياً ، هو فقدان القوة الباصرة و كذا الأصم يرى الإنسان الصحيح يحرك الشفتين واللسان حين يتكلم، فيقول الأصم ماذا تفعلون ؟ تحركون الألسنة والشفاة حين تجتمعون؟ فيقال في جوابه نحن نتكلم وأنت لا تسمع ، وإن فيك مرضا، وهو فقدان حاسة السمع .

كذلك نقول : ان الإدراك بالحواس لا يرتقي فوق المشاهدات، بل هو محدود في إحاطة المشاهدات ، فالمسموعات و المبصرات المشمومات المحسوسات والمذوقات كلها من هذا العالم المشاهد، والذي وراء لا تبلغه الحواس، فلادراكه لا بد من سبيل وهو الوحي

والالهام ، والأنبياء عليهم السلام يدركون بالوحى والإلهـــام مـــا لا يدرك بعقولنا وحواسنا ، فيسمعون ما لا نسمع ، ويبصـــرون مـــا لا تبصر وهذا أمر معقول .

ثانياً : أن العلم كثيرا ما يحصل باخبار ثقة ةعدل ، كما يحصل بالحواس ، وهذا أمر متفق بين العقلاء ، وإذا سمعت قولاً من المخـــبر الصادق ، أنه شاهد كذا و كذا و أخبر بحاله ، فحينئذ أنـــت تتيقـــن بخبره وان لم تره وتشاهده ، فكذلك نصدق قول الأنبياء والصـــادقين ، بانزال الوحى عليهم ، و ان لم نره ونشاهده، وهذا أمـــر معقـــول لا ينكر .

ثالثاً : أن التصديق بنزول الوحي معقول، وما قالـــه بعـــض المنكرين : من أنهم لا يدركونه بعقولهم وبحواسهم، فإنه سفاهة وحماقة ، كثيرا ما لم يدركوا أشياء، بل لا يتصورونه زمانا طويلاً، ثم جـــاء بعدهم قوم أوجدوه وتصوروا ما لم يتصوروه قبل فهل يقول : علمهم غاية العلم ، وليس وراءه علم ؟ بل لا يعتمد على علوم العقلاء فقط ، كما أن القدماء من الفلاسفة ، ما تصوروا إمكان إبلاغ الصـــوت في وقت واحد إلى سائر العالم، أو السير في ساعات قليلة إلى كل العـــالم،

فلو يقال لهم هل يمكن ذلك لقالوا : كيف يمكن ؟ ما ندرك ولا نتصور فلا نعترف به .

ولما ثبت وأمكن الآن، فلو كانوا أحياء ليعترفون بطلان ما قالوا ولا يصدقون بأن علمهم ليس غاية العلم وراءهم علم أيضا، فكذا نقول: أن الانكار بترول الوحي والإلهام، بدليل عدم ادراكهم لا يصح، والذي حققوه لم يكن غاية التحقيقات، فما قالوا : إنهم لا يدركون الوحي والإلهام بعقولهم وبحواسهم فلذا ينكرون : هذه سفسطة وجهالة.

رابعاً : إن ادراكات الحيوانات ومشاعرهم مختلفة ، بأن الحيوانات سوى الإنسان لها حواس مدركة كما للإنسان ، ولكن بينها وبين الإنسان فرق بين، لأن إدراكها وشعورها ضعيف بالنسبة إلى الإنسان ، إذ الإنسان يدرك المعقولات أيضاً ولا يدركها الحيوانات، ومن ناحية أخرى إدراك الحيوانات أقوى من إدراك الإنسان ، لأن الإنسان محتاج إلى التعليم والتعلم، والحيوان ليس كذلك، بل يدركون من غير تعليم وتعلم حسب الفطرة، كما أن النمل يعرف الريحانة التي يأخذ منها عصارتها ليكون عسلاً، وكذا البقر يعرف النبات المضر له من النافع.

وكذلك النمل يتخذ كناسة بفنون الصناعات ما تعجز عنه عقول الفلاسفة، كيف هذه الإدراكات ؟ يقال كلها من الهام الله تعالى، وكذا الهد هد الذي كان لسليمان عليه السلام كالمهندس، يعلم مبلغ الماء من قعر الأرض من نقرة من غير ألة وسبب، وهذا أيضا من الهام الله تعالى ليس من ادراكات الحواس فقط فكذا نقول أن الأنبياء والرسل يدركون الأشياء من عالم الغيب من غير واسطة الحواس بنزول الوحي والهام هذا أمر ممكن ومما يقتضيه العقل، فقولهم ما لم ندركه ننكر لا يصح .

خامساً : أن ادراكات الحواس محصورة محدودة في دائرة العالم الظاهر، وكثيراً ما يثبت الغلط في درك الحواس فيسدده العقل، وهو حاكم عليها، كما أنا نشاهد الظل ساكنا بالحاسة الباصرة، والعقل يحكم بغلطه، لانا نرى ظله زاد أو انتقص، فلو كان ساكنا مستقرا فكيف يزداد أو ينقص ؟ فأصلح العقل هذا وسدده، بأن الظل غير ساكن، بل يجري بالبطوء الخفيف لا يدركه الحواس، فلما ثبت بأن ادراكات الحواس قد تكون غلطاً فالعقل يحكم عليه ويسدده، فلو كان إدراك العقل أيضا غلط كذلك ، فما الذي يغلطه أو يسدده ؟

فلا بد من ضرورة الوحي والالهام ، الذي يصدق أو يكـــذب ادراكات العقل، وأما التغاليط في ادراكات العقل فهذا أمر بين، كمـــا أن الفلاسفة اختلفوا فيما بينهم كثيراً، والحق مع أحدهم والآخر علـى باطل، فما هو حق وصواب ؟ وما هو باطل وغلط؟ ليس السبيل إليه ، فأنزل الله تعالى الوحي والالهام، فصدق الأشياء، وكـــذب الأشـــياء ونظيره في هذا العالم الرويا في المنام، كثيراً ما يرى النائم رؤيا أنه يسير بالطيارة ويصدق عقله ويثيقن كذلك، فلما أنتبه فإذا يكذب عقله مـــا كان رأى في منامه .

فلما كان الادراك في حالتين مختلفا، فكيف يمكن أن نتصـــور بأن ما ندرك في هذا بحواسنا وعقولنا فهو حق وصواب، وما لم ندرك فهو غلط وباطل يمكن أن ترد علينا حالة أخرى نشاهد وقتئذ تغاليطنا، وهى حالة بعد الموت، ولكن الله تعالى أنزل الوحي والالهـــام علـــى الأنبياء في هذا العالم بإحقاق حق وإبطال باطل، فإنهم يـــرون أشـــياء يقظة وهى غائب عن حواسنا، ويقولون بأن الحق هذا وهذا ، فكـــان الناس جميعا نوام والأنبياء الكرام يقظان، فالأنبياء يسددون ويصلحـون ما رأوا بالوحي والالهام وهذا يقتضيه العقل .

الفائدة الرابعة : صفات النبوة وخصائصها

قال الشيخ الأكبر : لا ينبغي أن يتكلم في مقام الرسول إلا رسول، ولا في مقام الأنبياء إلا نبي، ولا ذوق لنا في مقام الأنبياء حتى نتكلم عليه . اليواقيت : صـ٤٨ ج٢ .

اعلم أن حقيقة النبوة والرسالة، وكذا حقيقة الوحي في ادراكها مشاكل، بل لا يمكن لنا أن ندركها، لأن صاحب الوحي يعلم حقيقة الوحي، وكذا صاحب النبوة يدرك حقيقة النبوة فلذا لا ندير الكلام على حقائقها، بل نذكر صفاتها وخصائصها وأثارها، فلنذكر أو لا ما قال العقلاء في بيان حقائقها، وقد صنفت فيها كتب ورسائل، مثلاً "شرح العقيدة الأصفهانية" والجواب الصحيح، بين فيهما الحافظ ابن تيمية بحثاً طويلاً، وكتاب النبوات " كتاب خاص جيد في هذا الموضوع .

وإن أرسطو ومن اتبعوه من العقلاء المتقدمين لم يعرفوا الأنبياء والرسل ، فلا يذكرون النبوة و الرسالة في كتبهم ورسائلهم، ثم الفارابي قد كلم شيئاً فيها وذكر شيئاً قليلا ، وابن سينا شرح وفصل كلامه ، ولكن لم يدرك حقيقتها فتخبط فيها خبط عشواء ، ابن سينا يقول ان للنبي ثلاث خواص.

الأول أن النبي له قوة عقلية كاملة ، لا يأخذ العلم من غيره، بل يحصل من القوة القدسية .

والثاني : أنه يرى صورا نورانية، ويسمع أصواتاً مختلفة، ولا وجود له في الخارج حقيقة، ونظيره الرؤيا، كما أن الرأى يرى صوراً مختلفة وأصواتاً مختلفة في المنام، ولكن لا وجود لها في الخارج، كذلك النبي يظن أنه يشاهد حساً في الخارج، و لكن ليس الأمر كذلك .

والثالث: أن للنبي قوة فطرية تصرف في المادة، وتصدر منه الأفعال العجيبة والحركات الغريبة، وهو المعجزة، والفلاسفة ينكرون وجود الملائكة والشياطين، وفي ظنهم أن التصرفات المادية ، التي تقع في هذا العالم ، إنما هى بقوة النفس الإنسانية أو القوة الطبيعة أو من العقل الفعال، والهنود ينسبون كل التصرفات إلى الجنات والشياطين .

هذا ما ترى قول ابن سينا ليس عنده للنبوة والوحي والمعجزة حقيقة خارجية، بل تلك أمور كسبية تتحصل للإنسان برياضة وكسب ، كالأمور الأخرى الكسبية، ولذا ترى السهر وردي المقتول وابن سبعين قد صرفا العمر كله بأن يحصل له مقام النبوة، العياذ بالله ، وأما الفلاسفة في زمان الإسلام يطلقون اصطلاحات يؤولونها

بتأويلات ركيكة، ويحرفونها بمعان بعيدة، كي تبقى بين القدماء وهؤلاء مناسبة .

وقال حجة الإسلام الشاه ولى الله في قرة العينين ما حاصله أن النبي تجمع صفات بطريق الاكمل التي لا بد منها للنظم والنسق في الحياة الإنسانية، من العلوم والكمالات والفكريات ، والتجريبيات والمشاهدات .

والنبي في قومه كالملك للرعايا يعجز عنده الأديب وأمير الجنود وماهر السياسية والتاجر والزراع وغير ذلك بالجملة أنه يربي الناس كلهم، في كل شعبة من الحياة الإنسانية، في النظم والنسق والتعليم والتربية .

وكذلك أنه كالحكيم الذي يكون حاذقاً في علم الأخلاق وتدبير المترل والسياسة المدنية، ولا يكون فيه ألفاظ تلك الأشياء، بل تكون تلك الأمور كالطبيعة الثانية، بحيث تظهر تلك في حركاته وسكناته دائماً متر شحا، وأيضاً يكون كالمرشد الكامل، الذي هو مركز ومصدر الكرامات والخوارق، تتصف بصفات الأولياء والأصفياء، وعالم لوجوه تهذيب النفس من الطاعات والعبادات، وماهر في العلوم الحقة التي تظهر على الناس بها أسرار عالم الملك

والملكوت، وكذلك يعلم خواص أعمال الجوارح والأذكار اللسانية، كما أن جبرائيل عليه السلام واسطة لأخذ العلوم الإلهية والتدبير الإلهي.

كذلك النبي يكون في الإنسان مالكا للصفات الجبرائيلية، حتى يكون شأنه شأن الملائكة، لا يعصون الله فيما أمرهم، وفطرته تكون مربوطة بالعالم العلوي، حتى تسيل منه العلوم الإلهية، وتلك الكمالات تكون فطرية له غير حاصلة من أستاذ ومعلم، ولا من مكتب ومدرسة، وإلى هذه الصفات أشار قوله تعالى: هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

فعلى ضوء هذه الآية، إذا لاحظت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ،رأيت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث في زمان كان دين أهل العرب شركا في العبادات، وينكرون القيامة وقد مسخوا الملة الحنيفية فمحى الرسول صلى الله عليه وسلم رسوم الشرك وأثبت وجود القيامة وطهر الملة الحنيفية من التحريفات، فكأنه أسس الدين على أركانه، ولما قام الناس على خلافه، وقابلوه بالأنكار حتى بالآلات والأسباب، وقاتلوا معه قتالاً، ظهر معه التأئيد الرباني، فغلب عليهم .

وأظهر فيهم علوم القرآن، علم الإيمان والمعاد، وأحوال البرزخ، والجنة والنار، وعلم الإحسان الذي يقال علم المعرفة، و علم الشرائع و علم تدبير المترل، والسياسة المدنية، والمعاشرات، والمعاشيات، و علم الأخلاق والآداب، وعلم الفتن والحوادث المستقبلة وعلم الفضائل والأعمال وعلم المناقب وغير ذلك من العلوم والحكم من الله تعالى، ثم بين تلك العلوم مشرحاً، حتى صارت لهم في قليل الزمان كالمذاق الطبعي ، لا يبقى صغير و لا كبير ولا ذكى ولا غي إلا وقد تنقش الدين في قلوبهم كالنقش في الحجر فمن كان قبل البعثة بدويا متخفياً ، الآن صار حاكماً للدنيا، ومقربا إلى حضرة الصمدية فعليك أن تتفكر في حقيقة النبوة وبركاته والله أعلم .

ههنا شبهة ومغالطة ان الشرذمة القليلة من الأغبياء يزعمون، بأن علوم النبوة متعلقة بالأخروية التي تكون بعد الموت، ولا تعلق لها بالنظام الدنيوي، وعقول الماديين عاجزة من درك علوم النبوة الغيبية، ولذا لم يعطوا لها درجة رفيعة ، ولكن لا ينكرون أيضاً لتعلقهم بالدين، وهذه مغالطة منهم، لأن العقلاء من قديم الزمان سلموا منقبة علوم النبوة، كذلك العلماء الدينيون، وفي الحقيقة أن العلوم النبوية لها تعلق شديد بنظام العالم والحياة الإنسانية الدنيوية .

بالجملة أن حجة الإسلام الإمام ولى الله بين للنبوة ثلاث صفات وأركان، الأول السياسة والملوكية، والثاني: العلم والحكمة والثالث: الرشد والهداية، وكلها يوجد في النبوة بطريق الأكمل.

وههنا مقدمة: وهى إن لكل شيء صورة وحقيقة، مثلاً الإنسان له صورة خاصة متمايزة عن صور الحيوانات وغيرها، وكذلك له صفات مخصوصة للإنسانية التي هى حقيقتة فلو كان إنسان صورته صورة إنسان، ولكن ليست فيه حقيقة الإنسانية، فتقول إنه حمار إذا كان أحمق وذئب إذا كان خصوماً والأصل حقيقته.

فكذلك للملوكية صورة وحقيقة، مثلاً صورتما بأن يكون لها شأن وشوكة، ودولة و خزانة، وفوج و عسكر، ومحل وحصن، والإسراف في الأنعام، والظلم في الانتقام. وحقيقتها حسن نظام المعاش، وحسن المعاشرة، والأمن عن الأعداء الخارجية والداخلية، وحسن التعليم والتربية للرعايا، وحسن الصلاحية للنظم والنسق، وجرأة و سخاوة، وعدل وأنصاف، ومواساة ورحمة، وحسن الأخلاق، ومع تلك الأوصاف يكون الكبر الطبعي، والتعيش والتنعم، وغير ذلك.

فلو كان أحد ملكاً لمملكة ، ومالكاً لسرير الحكومة ظاهرا، ولكن ليست في حكومته حفاظة للرعايا من القذاق والقطاع واللصوص، وليس لهم نظام حسن الأخلاق والتعليم وغير ذلك، فحينئذ لا تنفع حكومته بل هي كالعدم ، وإذا كانت لها حقيقة الملوكية، فحينئذ يحكم الملك على الرعايا، في أنفسهم وأموالهم ، حتى على قلوبهم ، وهم يحبونه ويسلمونه بالنشاط والرضاء.

و إذا علمت هذا فانظر إلى صفات ملوكية النبوة، لأن النبوة تظهر حين تكون الدنيا نازلة كل نزول ، وإذا جاءت صارت الدنيا أحسن نظاماً، وتملأ عدلاً ورحمة، وعلماً وحكمة و غير ذلك وللملوكية النبوية صورتها وحقيقتها بأن تكون لها أفواج وعساكر ، وتحفظات من الأعداء الداخلية والخارجية وغير ذلك، وهذا أمر بين خاصة من سيرة الرسول .

وفي الحقيقة أن ملوكية النبوة لها تعلق بعالم الغيب، ما من أمر من أمور الملوكية الأولها ظهور من الغيب ، ليس مجال للنبي أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، كما قال الله تعالى : قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ١٥/١٠ ولا يكون ذلك في الاعتقاد فقط، بل كثيراً ما يظهر ذلك حقيقة كما في واقعة بدر الكبرى واحد ، بأن الرسول

صلى الله عليه وسلم قد تأيد بالملائكة المسومين، حتى قال : وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

وللنبي في قتاله وجهاده، أصول وضوابط من عالم الغيب، ليس فيه القتل والإغارة ، والاقتدار والحكومة فقط، بل قتاله لإعلاء كلمة الله ولارشاد الناس والهداية ، ولذا ترى في الملوكية الدنيوية الملك والملكية، والقانون والخزانة والقوة والاقتدار، كلها للملك وفي ملوكية النبوة الحكومة والاقتدار والخزانة والدولة كلها لله تعالى وليست للنبي.

وفي الحقيقة ملوكية النبوة خلافة ونيابة عن الله تعالى ، والنبي خليفته تعالى في الأرض ينفذ أحكامه، ويجرى قوانينه ، ويحكم بحكمه ، كما قال الله تعالى : أنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين النلس بما أراك الله . ٤/١٠٥

وأيضاً قال : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ٣٨/٢٦

ولذا ترى أن النبوة والرسالة فيض من فيوض الله تعالى، وهو يصطفى حسب علمه الغيبي، كما قال تعالى : والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس - ٢٢/٧٥ وفي آية أخرى الله اعلم حيث يجعل رسالته ٥/٦٧، فالرسول والنبي لا يكون من كسب واختيار، بل

كله من فضل الله العظيم ، ولا يظن بذلك أن الأنبياء لا حاجة لهم من أسباب ظاهرة ، بل معناه أنه لا يقتصر نظرهم على الأسباب و العلل، بل يكون نظرهم إلى قدرة الله تعالى دائما مع استعمال الأسباب والآلات ويتوكل على الله في كل أمر ، بخلاف ملوكية الماديين إذ عندهم النظر كله على الأسباب الظاهرة، وليس كذلك في ملوكية النبوة ولذا ترى النبي قد تصاف للقتال ومع ذلك يدعو إلى الله تعالى .

الركن الثاني للنبوة العلم والحكمة ، وله ثلث خصوصيات، الأولى تحفظ حقوق الإنسانية ومصالح العالم، مثلاً البيع والشراء، والنكاح والطلاق، وغير ذلك، استرط فيه التراضي من العاقدين، مع ذلك قد حدحدودا أخرى، لأن لا يكون فيه ظلم على أحد، فلذا حرم الربوا والرشوة، إذ فيه ظلم على أحدهما، وكذا أن لا يكون فيه فسلد نظام المصالح ، فلذا حرم الزناء والمتعة وان تراضي الفاعلان ، إذ به يفسد حسن المعاشرة ونظام المصالح، وكذلك بجمع الأموال ولكن اشترط شروطاً بحيث لا يكون عن حرام أو ظلم، والماديون لا يشترطون شيئاً من ذلك والمال يكون ظلماً وفساداً كما هو مشاهد اليوم في العالم .

والثانية إنما تتكفل ببيان الحقيقة ليس فيها كذب و لأخداع ، وكذا ليس فيها تجوز ولا تعدي، فيها بيان نفس الأمر والواقع، فكما أن الحقائق لا تتبدل بل تكون على حالة واحدة، كذلك علوم النبوة وأحكامها لا تتبدل، بل تدوم على حالة واحدة، وهذا كله في الأصول والكليات، ولكن الفروع لأحوال الإنسان قد تتبدل وتتغير، بتغير حالات الإنسان والزمان، ما من علم من علوم الدنيا إلا فيه مجال الكلام للناس، لا يكون الدعوى منهم أن تحقيقاتهم قد بلغت غايتها، بخلاف علوم النبوة ليس فيها أن يتكلم أحد ولو بحرف بل كلها على الحقيقة .

الثالثة إنما تكون على الجزم المقطعية ، لا يكون فيه شك ولا ريب، ولذا قال تعالى: لا ريب فيه، وعقول الماديين يبعد عندها عالم الغيب، فلا جزم ولا يقين فيها، وهذا عند علوم النبوة باعث لزيادة اليقين والجزم، مثلاً عقيدة القيامة لم تفهمها عقول الماديين أصلا، ولكن تعلن علوم النبوة بالقيامة بأشد جزم ويقين، قال الله تعالى - قل بلى وربي لتأتينكم ٣٤/٣ ، علوم النبوة لا تحصل للإنسان عامة، بل هى من علم الله تعالى يعطيه من يشاء، كما قال الله تعالى ،إني أعلم

من الله ما لا تعلمون . فالأصل أن علوم النبوة نوع آخر سوى علوم الإنسان، ولذا كثيراً ما لا تطابق علوم النبوة عقول الماديين .

والركن الثالث للنبوة الرشد والهداية : لا تتأدى ذلك بالألفاظ حقيقة، من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولو لحظة، فهو يكون أعلى من جنيد والشبلي، في الحقيقة كمالات الأنبياء سواء كانت من القوة العلمية او القوة العملية تنفرد وتتميز عن كمالات بني نوع الإنسان، إذ ينبع صفاتها من كمالات الباري تعالى بلا واسطة .

وتكون كمالات الأنبياء مظاهر لأسمائه الحسنى، وملوكيتهم لا تكون كملوكية قيصر وكسرى، بل تكون ظلاً للحاكم المطلق، وهم لو كانوا لا يدعون الحكومة ظاهراً، ولكن تجري حكومتهم على القوى السماوية والأرضية، حتى البحر ينفلق لمرور عساكرهم ، والملائكة يفتخرون بشركتهم مع الأنبياء في الصلوات والجهاد ويجري حكمهم على كل الخلق، وقد ظهرت آثاره، كما رجعت الشمس بعد غروبها ، وانشق القمر بالإشارة وغير ذلك، وكل ذلك تدل على كمالات الأنبياء، حتى تظهر من متبعيهم أيضاً ، من الخوارق والكرامات .

فكما أن النبوة والرسالة أعلى وأرفع من الكسب، كذلك كمالاتهم وصفاتهم أعلى من الكسب، حتى جميع الصفات لهم حقائقها متمائزة عن حقائق صفات المخلوقات ، وترى العقلاء ينشرون عن الأنبياء تلك الصفات ، كما جاء في هرقل: سواله أبا سفيان عن حلل النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أظهر معجزات لا تحصى لصداقة النبي صلى الله عليه وسلم، وأعلاها القرآن الذي يبقى إلى يوم القيامة.

وههنا شبهة : إن النبوة والمعجزة والحى من ضروريات الدين ومباديه ، فلا بد أن يكون كلها مدركا بالعقل حتى يعرفها ، متى لم يعرفها ارسطو وفارابي وابن سينا فكيف يعرف عقلاء زماننا، فكيف يكون الوحي والمعجزة والنبوة من مبادئ الدين وواجباته، الجواب : بأن كثيراً من الأشياء نعرفه بداهة ، ولكن لا نعرف حقيقته، كالماء والملح يعرفه كل واحد، حتى الصبيان والمجانين، ولكن لا يعرف كثير من العقلاء أيضاً حقيقتها.

فلذا نقول أن معرفة النبي بديهي بآثاره وخواصه وصفاته وإن كانت معرفة حقيقة النبوة والوحي مشكلة ، وإن الله تعالى يكلف بشيء الذي يكون سهلاً ، والشيطان يوسوس الناس في غير ما أراده.

ولذا إذا جاء النبي في العالم فقد جاء بالتعارف الكامل ، لا يأتي مفاجأة، وما جاء نبي إلا وقد أخبر من قبله بمجيئه كما يعلم من التوراة والإنجيل .

وعلماء النصارى واليهود يعلمون خواص نبي آخر الزمان ، ومشركوا العرب إنما أنكروا النبي، إما لأنهم لا يعلمون خواص النبي ، فينكرون لجهالتهم أو لقصور فهمهم، فيقولون أنه مجنون، أو لأنهم لما رأو لعلومهم تأثيرا شديداً يقولون أنه ساحر ، أو لأنه لما سمعوا النبي يقول على خلاف ظنونهم، ما يظنونه نافعاً يقول النبي أنه مضر، وما يقولون أنه مضر يقول النبي أنه نافع، فلذا يقولون أنه مجنون ، فأعلن القرآن أنه ليس بساحر ولا مجنون، يقول الله تعالى : هل أنبئكم على ما تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم ٢٢٢ / ٢٦ فرد الكهانة، وقال أيضاً وما علمناه الشعر وما ينبغي له ٢٣/٦٩، وكذا قال : والشعراء يتبعهم الغاؤن ٢٦/٢٢٤ فرد الشاعرية، حتى قال الله تعالى : إنه لقول رسول كريم وما هو بقول كاهن قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين ٢٩/٤٣.

وما قاله المشركون من أنه ساحر أو كاهن أو مجنـــون ، فـــلا حاجة إلى أبطاله ، لأنه بديهي البطلان ، ومع ذلك رد القرآن عليـهم، لأنهم أول المخاطبين ، ولا بد من رفع شبههم، وإلا يقولون جهلا، ما أجيب عن شبهاتهم ، فيسع لمن يأتي بعدهم ، أن يقولوا مثل ما قالوا ، فأجاب الله تعالى ورد بأحسن رد، بحيث لم تبق شبهة في صدق النـــبي ولو إلى يوم القيامة، وبين الصفات المتمايزة للنبي بياناً واضحـــاً مـــن أخلاقه وهديه ورشده وأعماله.

وبهذا البيان الواضح ظهر بطلان ما قال الفارابي وابن سينا، من أن الوحي والنبوة و المعجزة ليست لها حقيقة، بل كالرؤيا، فهل يمكـن من الذي حاله كحال النائم أن ينشئ في العا لم انقلاباً عظيماً، في كـــل شعبة من الحياة الإنسانية، لا يتصور ذلك قطعاً، بل أمكن منه هــــذا الانقلاب ، لأنه مؤيد من الله تعالى، والعلوم والهداية كلـــها مـــن الله تعالى، وان النبي صلى الله عليه وسلم جامع للأخلاق الحسنة ، وكـــل هذه حقيقة لا شك فيها ، والله أعلم .

الفائدة الخامسة : ضرورة النبوة والرسالة

قال الإمام الرازي في التفسير الكبير : ما حاصله أن الملوك والسلاطين كما يبعثون إلى الرعايا، قوانينهم بواسطة قاصديهم ورسلهم، ولا يأتيهم الملوك بأنفسهم، كذلك يبعث الله تعالى أنبياء، ورسله إلى الناس ، كي يهديهم ويعرفهم قوانين معرفة الله تعالى، فينعم على من اتبع الهدى، وينتقم ممن عصاه .

والحكمة في ذلك أن لا يعتذر أحد بعدم علمه، كما قال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير و نذير. - ١٩/ ٥ وكذا قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ١٥/١٧ .

فقال الإمام الرازي أن معرفة الحق تعالى واجب عقلاً على جميع الخلائق / ومعرفة الله تعالى لا تكون من غير الأنبياء، فانكار النبوة والرسالة انكار ذات الله تعالى حقيقة قال تعالى وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ٩١/٦ فمن أنكر النبوة والرسالة فهو في الحقيقة ما عرف الله تعالى .

وقال الحافظ ابن القيم : إن افعال الأنبياء وأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم ميزان صحيح، فمن صح على ذلك الميزان فهو كامل صحيح، ومن انتقص في الميزان فهو ناقص في كل أمر، والإنسان يحتاج إلى النبوة والرسالة اشد ، كما أن الجسم يحتاج إلى الروح والبصر إلى النور، أن هذه الأشياء تحتاج إليها للحياة الدنياوية، والحاجة إلى الأنبياء للحياة لا بدية الدائمة .

فالإنسان أكثر حاجة إلى النبوة من جميع حاجاتها إلى الضرورة الدنياوية، ومن جهة أخرى فإن الله تعالى بعث رسولا اقتضاء بصفة الملوكية، وأظهر على يد الرسول معجزات باقتضاء قدرة الله تعالى، حتى يعرف الناس صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان أفعال النبي والرسول في الحقيقة أفعال الله تعالى، ولكن الفرق بأن أفعال الله تعالى وآثار قدرته ظاهرة في العالم من غير واسطة وهذه المعجزات آثار قدرة الله ظهرت من يد النبي والرسول لصدقة، فمن أنكر المعجزات فكأنه أنكر قدرة الله تعالى .

وقال الحافظ ابن تيمية : إن الله تعالى أنعم على الناس إنعاماً عاماً ، حسب الضرورة والحاجة، فما هو أشد حاجة إليه أنعم الله تعالى عليه عاماً، مثلاً أن التنفس للإنسان ضروري في كل آن لحياته، فأنعم الله

تعالى عليه الهواء عاما لطيفاً سارياً شاملاً في كل زمـــان ومكـــان، ثم الحاجة إلى الماء، فأنعم الماء عليه ثلاثة أرباع الدنيا عاما، ثم الحاجـة إلى الأرض فأنعم عليه كذلك .

هكذا حاجة الإنسان للحياة الدينية أشد إلى معرفة الربوبية فلذا أظهر الله تعالى دلائله وآثاره في كل شيء وذرة، يقول الشاعر: ففـــي كل شيء له آية ، تدل على أنه واحد ، حتى يعرفه تعالى كل إنســان بأسهل ، ثم الحاجة إلى النبوة والرسالة أشد، إن الإنســـان لا يعــرف مرضيات الآخر ومبغوضاته الابيانه وإظهاره، كذلـــك لا يمكـــن أن يعرف الناس مرضيات الله تعالى ومسخوطاته بعقلوهم .

فمن الله تعالى عليهم، بأن يبعث رسولاً ليبين للناس مرضياتـــه ومسخوطاته، وأقام الحجج والدلائل على صدقه، بحيث يعرفه كــــل الناس سواء كان عالياً أو خاصاً، ولا تشق معرفته حتى أن كان إنكـار نبوة النبي عجباً، و لذا سحرة فرعون لما رأوا معجزة النبي بأبصارهم ، اعترفوا بنبوته و رسالته ولو توعدهم فرعون بعذاب شـــديد، وقـــالوا فأقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحيواة الدنيا أنا أمنا بربنا .

وقال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني رحـــ في مكتوباته : مـا حاصله أن نعم الله تعالى أعم وأشمل للناس، وأعلى النعم بأن أخرج لـه

بينه وبين الله تعالى سبيل المكالمة بالوحي بواسطة النبي ، قال الله تعالى : وإن من أمة إلا خلافيها نذير ، ٢٤/٣٥ فمن الآته تعالى وجود أنفسهم والشمس والقمر والماء والمطر والهواء والأرض كل ذلك ولو كان أعم للناس، ولكن أعلى النعم عليه هو النبوة والرسالة .

ولو لم تكن هذه لتعطلت النعم كلها ، وبهذه النعمة أنعم الله تعالى للناس علم الحشر والجنة والنار ومرضياته وسواخطه، وإن الأنبياء والرسل يأخذون العلوم والمعارف من الله تعالى، ويبينون للناس، والناس ولو كانوا أعقل و أبصر ولكن لم يبلغوا مدراج الأنبياء لأن ذلك محدود في دائرة الأمكان لا يترقي ولا يصعد من هذه، ولذا ترى العقلاء إذا أرادوا معرفة الله تعالى بعقولهم يختلف أقوالهم، فقال بعضهم : إنه علة تامة بالإيجاب كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذباً، وظنوا أن العالم قديم والخرق والألتيام محال ، وبعضهم أنكر الحشر والبعث، وبعضهم أنكر صفات الله تعالى ، وغير ذلك من التفوهات الباطلة ، ان هم إلا يخرصون .

ويح للعقلاء، ما فهموا بأن ذرائع العلم وأسبابه مختلفاً، و العلم كما يحصل بالحواس كذلك يحصل بالوحي، وبالحقيقة كثيراً ما يقع الغلط في ادراك الحواس فيحكم عليه العقل بالصحة، و أدراك الحواس

محدود وادراك العقل أوسع منه، وتارة يقصر العقل من دركها ويغلط، فأنعم الله تعالى لدرك العلم ذريعة أخرى وهو الوحي، ولا مجال فيه للعقل والحواس .

فكما أن الحواس عاجزة في ادراكات العقل فكذلك العقل عاجز عن ادراكات الوحي وهو ما وراء العقل وعلى الوحي الوثوق والاعتماد أشد من الحواس والعقل، إذا عارض العقل بالحواس يرجح العقل ويسلم وإذا عارض العقل بالوحي فحينئذ يصدق الوحي ويعتمد عليه، العقل عاجز بين يدي الوحي، لأن علوم الأنبياء بالأمور الغيبية فوق عقولنا، وهم يشاهدون الغيب بالوحي، فإنكار النبوة والرسالة والوحي لعدم ادراك العقل سفاهة ، قتل الإنسان ما أكفره .

ويقال أيضا : إن الإنسان مجموع الجسد والروح، كما أن للجسد اسبابا للصحة والمرض، ولذلك أطباء يعلمون أسبابها، فكذلك للروح أمراضا وأطباء ، يعلمون أسباب الصحة والمرض للروح ، وهم الأنبياء والرسل، لا بد للمريض أن يسلم نصائح الطبيب ولو لم يعقله ويفقهه، كذلك لا بد للناس أن يسلم النبوة وعلومها ولو لم يعرفها بعقلوهم الطبيب الحاذق يدعي حذاقة طبابته ويدعو الناس إليه، فالمريض إذا يسلم قول الطبيب ويعمل على نصائحه وتوجيهاته يصح

ويعتقد حذاقة الطبيب، فكذلك الأنبياء والرسل إذا بعثوا إلى النـــاس يدعون النبوة وأظهروا المعجزة، فمن أمن به وعمل بما أمر به يصـــح فيعتقدون صدق النبي حينئذ.

ويقال أيضا : بأن العالم وجميع ما فيه كله خلق للناس ينتفـــع بالأشياء حسب ما أمر، و الموجد المهندس يعلم جميع جهات المصنوع، وهو يعلم بأي وجه يستعمل وينتفع به حتى لو خولف ما قـــرر مـــن الأصول والفروع لم ينتفع به، بل يهلك هو بنفسه فكذلـــك خـــلاق العالم يعلم بأي وجه يستعمل أشياء العالم وكيف يعامل مع سائر الخلق حتى ينتفع به، فبعث الله الرسل والأنبياء ليبينوا مصالح العالم وأسـباب المنافع وذرائع الأمن والسكون حتى إذا خولفوا يظهر الفساد في العـــالم فيهلك ، هذا أمر معقول .

الفائدة السادسة : في خصائص الإسلام ومحاسنه

(١) الدين الذي أنزله الله تعالى على رسله وأنبياءه دين واحـــد ، لم يتزل سواه ولا يقبل الله من أحد دينا غيره وهو الإســلام ---- قال تعالى :

" إن الدين عند الله الإسلام" ـــ (ال عمران ١٩) .

" ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " (آل عمران ٨٥) .

والإسلام معناه : الاستسلام والخضوع والطاعة لله بفعل ما يأمر الله به وترك ما ينهى الله عنه . وذلك في الحياة كلها . فردية ، أو اجتماعية ، لأن الله تعالى أكمل هذا الدين الحنيف وأتمه على العباد وألزمه عليـــهم فقال :

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيـــت لكم الإسلام ديناً " (المائدة ٣) .

" يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتــــم مسلمون " ـــ أل عمران ١٠٢ .

فالإسلام دين الله الذي أتقن كل شئ وقدر والفرق بينه وبين الأديان الأخرى كالفرق بين صنع الله وصنع البشر .

فالدين المترل من الله تعالى إنما هو روح ونور وحياة ــ فقال تعالى : " وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ــ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي من نشاء من عبادنا " (الشورى٥٢) .

وما يصنعه البشر من الأديان والشرائع انما هو نصوص جلمدة لا روح فيها تلفها ظلمات بعضها فوق بعض .

فالإسلام دين الهي سماوي كامل وجامع ورابط ــ فله المزايا والخصائص لا توجد في غيره من الأديان .

ومن هذه الخصائص بعضها :

(١) **دين إلهي رباني** :- ان هذه الخصوصية التي يمتاز بها الدين الحنيف لا توجد في أديان آخر ــ لأن الإسلام أنزل إلينا من خالقنا ومعبودنا سبحانه وتعالى .

" هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " فحق السيادة والحكم للإسلام لأنه

من صلب السلطان الذي له حق التشريع ، ويجب على العباد الطاعة له والخضوع .

(٢) **دين معصوم ومحفوظ** : - ان هذا الدين المبارك معصوم كما ان أصحابه عليهم الصلواة والسلام معصومة - وكيف لا يكون كذلك وهي من عند الله الذي لا يضل ولا يشقى ، والله تكفل بحفظه إلى يوم القيامة . فقال : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "

وهذه العصمة تستمر إلى يوم تقوم الأشهاد . ولا زال يبقى كما أنزل مترها عن الباطل محفوظاً عن الغلط والتحريف والدخيل فارقاً بين الحق والباطل .

(٣) **الإسلام دين مستقل** :- لا علاقة له بالأديان الأخرى الموضوعة . لأن الإسلام له منهجه الذاتي وأسسه الأصلية ووسائله المتميزة ، فلا يوكل تفسيره وتشريحه إلى الأديان الأخرى ولا الإضافة إليه فهو منهج متكامل ووحدة متجانسة - فلا يعتز الإسلام بان يكون بينه وبين هذه الديانات مشابهة أو ملاطفة أو مماثلة .

بل الإسلام في منهجه مستقل يقدم للبشرية نموذجاً من النظام المتكامل لا يوجد في أي دين معروف على ساحة الأرض .

والإسلام لا يحاول ولم يحاول أن يقلد نظاماً من النظم أو يقصد بينه وبينها صلة أو مشابهة ، بل اختار طريقة منفردة فذة وقدم للإنسانية علاجاً كاملاً لمشكلاتها جميعاً .

(٤) **الإسلام دين عالمي** : - البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأزمتهم وأمكنتهم يعودون إلى أصل واحد .

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء "

فالجماعة الإنسانية فوق ظهر كرة لأرض وحده واحدة والتقسيم إلى القبائل والشعوب للتعارف فقط فقال تعالى: " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم (الحجرات١٢).

فالخصائص واحدة مع اختلاف الألوان والأشكال والأجناس وهذه الوحدة تتحقق بالعبادة فقط .

والعبادة تكون باتباع الدين الذي أنزله الله تعالى ـــ وبالتحاكم إلى الشريعة التي أرادها الله أن تكون قانوناً عالياً للناس كلهم

فقال تعالى : " تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (٢الفرقان) .

قل يا أيها الناس اني رسول الله إليكم جميعاً (الأعراف ٥٨) .

والقانون العالمي الوحيد الذي يصلح لحكم الحياة الإنسانية و إصلاحها وليسع الناس على اختلاف الزمان والمكان هو الدين الحنيف الإسلام .

فقد أراد الله تعالى : ان يكون الدين الإسلامي ديناً لجميع البشر ، والشريعة الإسلامية شريعة للناس كافة . والقرآن مترل للعالمين و محمد صلى الله عليه وسلم رسول الناس كلهم .

(٥) **الإسلام دين واسع كامل** : - لقد جاء الإسلام من عند الله ليسع حياة الإنسان من كل أطرافها وحياة المجتمع الانساني بكل أبعادها فلا يضيق الإنسان بالحياة ولا تضيق الحياة به وحسبنا أن الله الذي شرعه أراد ذلك فقال : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " (المائدة ٢٣) .

وإذا كان الإسلام ديناً كاملاً امتن الله بانزاله على عباده ورضيه لهم وعده نعمته الكبرى ونسبه إلى نفسه ـ فلا بد أن

تكون واسعة وافية بمصالح العباد وهو مع وسعتها لا تتناقض أحكامه .

كما قال تعالى : " الحمد لله الذي نزل على عبده الكتلب و لم يجعل له عوجاً" (كهف ١).

فالإسلام توافق بين الوجهين : الروحية والمادية في الحياة الإنسانية . وعني عناية تامة بإصلاح روح العبد وعقله وفكره وقوله وعمله .

وعني كذلك بالفرد والأسرة والمجتمع . وقد وضع نظاماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ـــ وقرع قيام الدولة وحدد معالمها . ورسم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها في حالتي السلم والحرب .

وكذلك الإسلام مرتبط بالعقيدة والعمل ـــ فهو عقيدة وشريعة دين ودولة .

فعقيدة المسلم تحكم باطنه وشريعة الإسلام تحكم ظاهره ومجتمعه وتترابط العقيدة والشريعة لتؤلف منهجاً متكاملاً يهيمن على الحياة كلها .

(٦) الإسلام دين ثابت ومستمر ومستقر مع المرونة :-

الإسلام الذي ختم الله به الشرايع والرسالات السماوية أودع الله فيه عنصر الثبات والاستمرار والخلود والاستقرار مع المرونة . وهذا من روائع الاعجاز في هذا الدين وأية من آيات صلاحيته لكل زمان ولكل مكان .

والمراد بالثبات الاستقرار على الأهداف والغايات والأصول والكليلت والقيم الدينية والأخلاقية .

والمرونة تكون في الوسائل والأساليب والفروع والشئون الدينية والعلمية .

فالثبات يكون المجتمع المسلم محفوظاً عن عوامل الانهيار والغناء والذوبان في المجتمعات الأخرى ـ ويستقر التشريع وتبنى المعاملات والعلاقات على دعائم مكينة وأسس راسخة لا تعصف بها الأهواء والتقلبات السياسية والاجتماعية يوماً فيوماً .

وأما المرونة فيستطيع بها لمجتمع المسلم تكييف نفسه وعلاقاته حسب تغير الزمان والمكان وأوضاع الحياة في الإنسان . وعلى هذا أعلن القرآن الكريم :

" إنما كان قول المومنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا (النور ٥١)

" ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم (الأحزاب ٣٦)

(٧) الإسلام دين الإنسانية من حيث تحفظ حقوق الإنسان :

إن الإنسان في منظور الإسلام هو المخلوق الذي كرمه الله تعالى بجنسه واختاره لعمارة هذا الكون وفق شرعه وشريعته " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر "(الإسراء ٧٠) .

فحقوق الإنسان في الإسلام مرتبطة بواجبات ، والتزاماته الدينية والاجتماعية والأسرية والتنظيمية ، وتترتب له كما تترتب عليه الحقوق وفقاً لذلك .

وحقوق الإنسان في الإسلام تبدأ بحماية حقوقه حتى قبل خلقه حيث اختيار الزوجة الصالحة والرضا بالزوج الصالح ، والتغذية على الكسب الحلال وعدم الاجهاد لحاملته ، واختيار اسم الصالح له والعناية برعايته وتربيته فضلاً عن حقوقه بعد وفاته .

ومن هنا فالمنظور الإسلامي لحقوق الإنسان منظور واسع يمتد مع الإنسان من قبل خلقه والى ما بعد وفاته .

وليس من الحكمة ان تكون الحقوق الإنسانية مقصورة على فترة عمره وفي قضايا خاصة من جوانب حياته ـ كما في نظريات أخرى سوى الإسلام .

فالإسلام يهدف إلى حقوق العدل والإنصاف والسلام بين بني البشر ، ونشر الصحة في البيئة والإنسان والابتعاد عن الظلم والفقر واستبعاد الإنسان لأخيه الإنسان .

فالفئات التي تقود الحملات على بعض الدول باسم حقوق الإنسان انما هي ظلم وبغاوة على حقوق الإنسان فضلاً على ذلك أن نظرياتهم قاصرة خاطئة ضيقة في حقوق الإنسان طالما الإسلام يحفظ هذه الحقوق والواجبات بين الفرد ونفسه كما في الحديث (ان لبدنك عليك حقاً) .

وبين الفرد و أسرته (الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وبين الفرد ومجتمعه (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات ١٢

وبينه وبين ربه ونبيه والبنية التنظيمية العلمية والسياسية الـــتي
تحكمه (يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي
الأمر منكم (النساء٥٩).
ومن هنا تبين المنظور الإسلامي لحقوق الإنسان عن غيره . بأنه
منظور متميز عن الطروحات الوضعية .
لأن دين الإسلام يشتمل على نظام شامل لحياة الإنسان تتجلى
فيه الحقوق مفصلة وواضحة . وان حقوق الإنسان في الإسلام
هبة من الله تعالى .
ففي الإسلام المساواة بين الناس وتحرير الإنسان من العبوديـــة لأخيـــه
الإنسان و حصر العبودية لله رب العالمين وحـــــده كمـــا ان
الإسلام ضمن حماية دمه وما له وعرضه وكفل معاشه وحـــرم
ظلمه وضمن كامل حقوقه .
وذلك ابتداء من الإعلان النبوي الذي أعلنه نبي الإسلام محمـد
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : (أن دمائكم وأموالكم
و إعراضكم حرام عليكم) مما يؤكد أن الحقوق الإنسانية وان
العدالة قيم إسلامية متصلة بتاريخ عريـــق. فحيـــاة الإنســـان

وحرمة ماله واعراضه وكرامته وكرامة جواره واقربائه من حماية الشجر والزروع والمنتأت المدنية وغيرها من الأمور الحيوية والاجتماعية فلكلها في الإسلام قيمة عالية ومرتبة رفيعة . والحديث الذي روي من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الجوار وكرامة الشيوخ واجلال العلماء حتى الترحم على الصغار يدل دلالة واضحة على تحفظ الحقوق الإنسانية من جميع الجهاد ولا سيما حديث (الدين النصيحة ــ قيل لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم).

قد جمع جمعاً وافياً لجميع الجهات لحقوق الإنسان . ومن هنا تميز التشريع الإسلامي عن سائر القوانين والنظم الوضعية . والدعوات الواهبة المهملة .

(٨) **الإسلام دين الحرية لاسيما حرية النساء وتقييمهن :-**

إن الحرية تعتبر من حقوق الإنسان اما حرية الفكر والرأي أو حرية العمل والعيش.

نعم هذه الحرية للإنسان أمر عظيم لا بد لكل من يريد الإنسانية أن يلتزمها وان الإسلام جاء لتحقيق الحرية العادلة في ما بين الناس .

لأن الإسلام دين الله الخالد في العالم . وحقوق الإنسان في الإسلام دائمة تعاقب الليل والنهار ، راسخة رسوخ مفاهيم القرآن في أذهان من الإنسان ، جلية لجلاء الصبح في الأخلاق.

لأن الحرية معناها ضد العبودية ـــ والإسلام قد جاء ليحرر العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . ولينتظم الجميع في نسق العبودية لله وحده . فالعبودية في الإسلام لا تكون الا الله وكل سعى إلى التحرر من العبودية لغير الله فهو من جنس الجهاد في سبيل الله . وتنجلي هذه الحقيقة بأن القرآن قال (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .

فإذا الإسلام تثبت الحرية الحقيقة ، هناك لكل من لا إنسان أن يظهر رأيه و فكره ولا يضطهد أحد أحداً ..

فتاريخ الإسلام وعمل الصحابة تدل دلالة واضحة على ذلك فحرية الرأي والفكر لا تترك على رسلها بل هناك انضباط من معطي الحرية وهو الله تبارك وتعالى .

ولتثبيت الحرية شرع الله تعالى الشورى فيما بينهم في الأمـــور المهمة : وهذه الشورى أمر عالمي تاريخي لتحقيق الحرية ومـيزة من مميزات الإسلام فلا توجد في التطربات الأخرى هذا النظام وخاصة أمر المرأة في الإسلام في دائر الحرية أمر محمود ومثالي : فلا ترى أي معوقة في اظهار الرأي في الأمور اللازمة من ذكـر أو أنثى .

فسيد المرسلين محمد عليه السلام تجادله مرأة ن أمر يخص بهـــا ورسول الله يسمع الشكوى منها وتترل الآيـــة مـــن الله رب العالمين : " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشـــتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ..

وسيدنا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يتكلم في صداق المـرأة ويشدد عليه وهناك المرأة تقوم وتردد على الفارق رضـــي الله عنه بآية القرآن وعمر سكت يقنع وما تكلم على ذلك بهذه .

فهذه نبذة من الأمثلة التي دارت بين النساء في إظهار الرأي بلا خوف ولا إرهاب. فاين دعوى أعداء الله بان الإسلام يضطهد المرأة ويخنق حلقهن ولا يعطي الحقوق لهن ويظلم عليهن .

والحقيقة التي لا تقبل الجدل والمنطق الذي لا يرقى إليه الشك ، أن واقع الإسلام هو غير ذلك البتة ، إذ أن دين العدل والمساواة ، دين احترام المرأة الذي حرص على تربيتها . ويسر لها معيشتها وضمن لها مقومات حياتها اهتم بشؤونها وحفظ مكانتها في المجتمع فجعلها أما رؤوما واختا حنونا وزوجا ودوداً وابنة بارة .

وحماها من المكايد والدسائس والتأمر على سلوكياتها وكفل لها حياة كريمة ما لم تكفله لها غيره من قوانين أحكام ضاغها بشر . يقول الله تعالى : " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم (الحجرات ١٢) .

فهذه الآية تبين بكل وضوح مكانة المرأة في الإسلام . تؤكد ذلك آية القرآن الأخرى . " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً " .

ثم ساوى الإسلام بينها في المسؤولية والشاهد على هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم

ومسؤول عن رعيته . فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها) .

بل يضاف إلى ما هو أبعد من ذلك وهو أن الإسلام أعطى المرأة ثلاثة حقوق في البر مقابل حق واحد للأب ، جاء ذلك ، في حديث المصطفى عليه الصلوات والتسليم عند ما سأله أحد من الصحابة رضي الله عنهم قائلاً من أحق الناس بصحبتي يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أباك) كل ذلك إدراكاً لدورها وتقديراً لرسالتها ووفاء لصبرها واحتراماً لجهودها وإبرازا لمكانتها "ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين.

بل ان الإسلام قدر تقديراً للمرأة فوق ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الجنة تحت أقدام أمهاتكم) فلا يوجد لمثل هذا التقدير والمكانة مثيل في تاريخ أي قوم أو نظرية نعم ومن الجدير بالذكر ان التزام المرأة في الملبس وفي عدم الاختلاط بين الرجال والنساء في ميدان العمل وعدم التبرج

تبرج الجاهلية وغيرها من الأمور اللازمة في الإسلام فإنه تكريم للمرأة ومحافظة عليها من إبداء زينتها للرجال الغرباء وحفظ لطهارتها وصون لعفتها وحماية لسلوكياتها من الانحراف ، لأن المرأة إذا فسدت في أي مجتمع فسد ذلك المجتمع بضياع انسابه وانعدام أخلاقه .

فهذا هو الحرية في الإسلام حرية عادلة مقيدة قيد الإنصاف والقسط . فكم من بيوت دمرت بدعوى حرية المرأة المزعومة والمغلوطة في ان واحد ، أنهم يريدون تحريرها من العفة والطهارة والإخلاص ، ويسوقونها إلى التبرج والسفور والى اوحال الرذيلة والفساد .

وهذا لا يعقل حرية الحقيقة بل هذا إلقاءهن في قعر الهلاك والفساد .

(٩) الإسلام دين العلم والمعرفة :-

الدين والعلم في نظر الإسلام شيئان متلازمان لا ينفصلان ولا يتعارضان ، فكل واحد يكمل الآخر . فالدين يدعو إلى طلب العلم والمعرفة والبحث والاجتهاد الفكري والعلم يوصل إلى حقيقة الدين والحق والرشاد .

ان الإسلام دين الله المترل من العزيز العليم . ورسول الله محمد المبعوث إلى كافة الناس إنما هو معلم ومتم لمكارم الأخلاق ومن هنا غـــرزت الأهمية للعلم في هذا الدين فضلاً على ذلك بدأت النبوة والرسالة مـــن الله تعالى بقوله اقرأ ..

فالدين الذي أول لفظ فيه اقرأ دين العلم والمعرفة تماما ولا شك فيـــه . فالقرآن والسنة النبوية يدعوان دائماً إلى طلب العلم والمعرفة والتفكـــر والتأمل والاجتهاد ، حتى علمنا ربنا المستعان الدعاء لزيادة العلـــم ((رب زدني علماً)) طه ١١٤ آية .

يقول الله تعالى : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمـــون " (الزمر ٩) . " إنما يخشى الله من عباده العلماء " (الفاطر ٢٨) .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : طلب العلم فريضة على كـــل مسلم ومسلمة . وهكذا أذن الدين الإسلام الحنيف يدعو إلى التعلـــم وطلب العلم والمعرفة النفقه في الديـــن وخاصـــة العلـــوم الشـــرعية الإسلامية.

كما أن الدين الإسلامي يحث على النهل من جميع العلـــوم الكونيـــة اللغوية والفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، حـــتى العلم قسم إلى قسمين : علم الأديان وعلم الأبدان.

فأصحاب العلم والعقول هم الذين يصلون إلى معرفة الرب وعبادته وخشيته وطاعته واستعمار الأرض بالخير والبر والتقوى والعدالة فيقول الرسول عليه السلام : تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربه لأنه معالم الحلال والحرام ومنا ر سبل أهل الجنة .

ان العلم يجمع بين الروح والمادة . فلا يوجد الصراع بين الدين والعلم بل هناك تكامل وانسجام . فالعلم يخدم العقيدة الإيمان ويوصل إلى الرشاد واليقين . وكذلك العلم يودي إلى اكتشاف قوانين الله في الكون وتسخيرها لمصلحة الإنسان . والقرآن الكريم حافل بالآيات العلمية التي تدل على وجود الله ووحدانيته وكذلك آيات الكون والخلق . فقال تعالى : " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق (فصلت٥٣) .

ان الإسلام يدعو إلى الاستمرارية في طلب العلم والمداومة على ذلك كذلك يدعو إلى الانفتاح على كال الثقافات والعلوم الإنسانية من أجل الاستفادة من إيجابياتها ـــ لأن الحكمة ضالة المؤمن التقطها حيث وجدها وكذلك العلم يقوم على التجديد والتطوير.

فاذن تتجلى العلاقة القائمة بين الدين والعلم في الإسلام .
واما الدين المحرف يد إلى نبذ العلم ويعتبر طلب العلم خطيئة ومعصية ومن هنا تبررت حدة الصراع بين الدين المحرف والعلم . ولهذا ظهرت ما يعرف بقضية العلمانية التي تدعو إلى فصل الدين عن جميع كون الحياة . ومعنى العلمانية حسب ما يعبرونه العلمية والعرفانية . ويريدون بذلك العلم والمعرفة بدون الدين . أي الفصل بين الدين والعلم ومعناه اللادينية .

وحركة العلمانية وحيها أعداء الإسلام من حيث الصلاح ليطفئوا نور الله بأفواههم . ولكن الإسلام دين العلم والمعرفة بل الإسلام يريد من الناس تعلم العلم وتعليمه ولو كان هذا العلم في بلاد بعيدة . ولذا قد صيت القول المشهور في الإسلام أن اطلبوا العلم ولو كان في الصين .

والشاهد على ذلك تاريخ الإسلام وممارسة العلم في عهد الإسلام أكثر ما كان قبله .
بل العالم شاهد الظلم والاضطهاد على الذين أرادوا التعلم والتعليم ومحو الأمية من المجتمع من أسلاف هؤلاء الذين يدعون الآن رياسة

العلم وقيادته . فكم من رجال الغرب والعلماء قد قتلوا وحرقوا بذنب طلب العلم من بلاد الإسلام .
فالإسلام دين العلم والمعرفة والتفكر والاجتهاد يريد محو الجهل من المجتمع وذلك فضل الله على الناس .

(١٠) في الإسلام نظام اقتصادي مثالي معتدل :
ان المال مادة من المواد اللازمة في حيوة الإنسان وكلا تتصور الحياة بدون المال ولا تستمر بغيره . فلا يحتاج إليه من في السموات العلى ولا من يسكن في القبر وتحت الثرى — وتعتبر ضرورة المال في حياة الإنسان وسيلة ونعمة من الله تعالى لا مقصداً أصلياً ، والوسيلة من حيث الوسيلة أمر ثاني وتلقائي لا تعد غاية ولا يبني عليها الحياة ولا الحياة تدور معها . . .
ولكسب المال وصرفه وبزله واستعماله اسم خاص في الاصطلاح وهو نظام الاقتصاد . .
والإسلام من حيث الدين الاكمل عرض لأهل الدنيا نظاماً كاملاً مثالياً معتدلاً للاقتصاد . وهو أول عرض تام في تاريخ الإنسان ولا شك فيه وما اكتفى الإسلام لوضع النظام والنظرية فقط بل هناك

تطبيقات فائزة في الواقع الاجتماعي على يد رسول الإسلام وأصحابه وتابعيه وتبع تابعيه حتى يوم يقوم الإشهاد .

ولا يبقى لأحد أن ينكر هذه الحقيقة بأن نظام الاموال قبل الإسلام ما كان منظماً ومسطوراً ، بل كان هناك بعض العرف والعادات والرواج في معاملة الناس فيحابيهم

ففي هذا المجال حق الادلة والفضيلة للاسلام من حيث الدين وهدى الله لكافة الناس.

نعم هناك بعض النظريات راجت في العالم بعد الإسلام ولكن هذه النظامات الاقتصادية كانت قاصرة وخاطئة مع أنها كانت ظالمة على جنس الإنسان عامة وغنيمة لبعض الأشخاص والطبقات .

فنظام الاقتصاد في الرأسمالية والشيوعية قد توافق غافلا عن خالقه وربه ويزعم ان الدنيا وما عليها تراث له ويترعرع في طمع التملك على كل شئ .

ومن هنا تنشأ الاستبدادية والديكتاتورية التي ظلمت على الدنيا طوال السنوات .

فالإسلام غير هذه الفكرية المركزية و اعلن في هذه النقطة أصولين عظيمين مثاليين :

(أولاً) : الملكية المطلقة لله رب العالمين الذي خلق السموات والأرض وما فيهما.

—ولله ما في السموات والأرض وهو على كل شئ قدير .

—ولله ميراث السموات والارض .

—تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير .

(ثانياً) : الدنيا وما فيها مخلوق خلق الله تعالى والإنسان لا يملك شيئاً من خلق الله . الا اذن الاستعمال من حيث الامانة — وهذا حق اعطاه الله تعالى للإنسان بمنه وكرمه .

ويتبع الإنسان شريعة الله في استعمال هذه الملكية المفيدة المعطاة من الله تعالى . فلا يخرج عن حدود الله ولولي أمر بسيط . ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فكسب الاموال وصرفه وجميع افعال يودؤها الإنسان من حيث ان خليقة الله في الأرض .

فهذان الاصولان من الأمور الاساسية في الإسلام . ومن هنا تبين واتضح أمران آخران مهمان وهما :

(١) ان الاستفادة والتمتع من متاع الدنيا حق موهوب من الله لكل من يسكن في هذه لكرة المعهورة ، فلا يتملك ويستبد على ذلك أشخاص معين ولا طبقة مخصوصة .

(٢) وكذلك كسب المال والزوة ليس مقصودا أصلياً للإنسان بل كسب المال كوسيلة وذريعة العيش في هذه الحياة الدنيا .

ان اصلاح هذه الفكرة الخاطئة يجعل الإنسان دائماً متوجـــهاً إلى الله وخاضعاً له ومتبعا لشريعة الله في كل شئ وميزلا أمواله وترونه فيمـــا ينفع لنفسه للناس اجمعين.

فهذه النقطة الواحدة جعلت نظرية الاقتصاد في الإسلام ونظامه نظامـاً عدلاً ملائماً لجنس البشرية ورحمة لها . وتشعبت من هــــذه الفكـــرة الشامخة المعتدلة خصوصياًت أخرى لنظام الاقتصاد الإسلامي .

نعم ما حدد الاسلام ربقة الكسب ونهاية مبلغه ولكن جعلـــه تحـــت قانون الشريعة ابتعاداً عن مواقع الغش والغين والضرر والارتكاز لــــذا منع الإسلام الاسراف والتبذير والرشوة والربوا والغش وجميع الأمـــور الضارة لنمو الإنسانية ، وعين الحقوق والتبرعات ومصارفها .

فالزكاة والعشر والخمس والصدقات والتبرعات من سبيل هذه الحقوق والبر والتعاون ، وكذلك صرف الاموال يكون حســـب قـــانون الله تعالى. فقال تعالى إن الذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونهـــا في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم .

وقال تعالى : ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام .

وقال تعالى : كلوا واشربوا ولا تسرفوا .

وقال تعالى : ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين .

فهذا الكسب والعمل الاقتصادي والمعاملات التجارية أمر مرغـوب في الإسلام . وفريضة من فرائض الإسلام . حتى سمى الله تعـــالى هـــذا الكسب على النهج الصحيح فضل الله ورحمته .

فقال تعالى : فإذا قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (الجمعة)
وطلب فضل الله حينما يكون حسب قانون الله وشريعته يكون ذلك رحمة لكافة الناس وراحة لهم .
والا ذاك الوبال على الإنسانية و إلقائها في قعر الظلام والدمار . كما شاهد العالم ويشاهد تلك الخرافة . والفوضى الناشئة من نظام الشيوعية والرأسمالية وغيرها وتعبت الدنيا بمتاعب ومظالم هذه الأنظمة.
فهذا التعب والظلم والفوضى والتخلف الخلقي والاقتصادي والاجتماعي إنما حلها في الإسلام ونظام الإسلام .
فالإسلام دين الفطرة والإنسانية وهدى من الله رب العالمين فيه العدل والإنصاف في جميع الشؤون الدنيوية والدينية فلا يحرم أحد من حقه ولا يظلم أحد فيه بل القرآن أعلن :
إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها .
فلا يمكن الاستبداد ولا الاكتناز ولا الاحتكار في اتباع نظام الإسلام (لكي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) فأين الانظمة الأخرى المخترعة من أفكار البشر في اقامة العدل والإنصاف فلا مثيل ولا كفو لنظام الاقتصاد الإسلامي في إقامة الإنصاف والعدل أحد في العالم .

(١١) الاسلام دين المحبة والمودة لا الحقد والحسد : –

الإنسان حيوان اجتماعي كما هو المشهور ومعنى الاجتماع الترابط والمواصلة فيما بين الأفراد.

وتكوين المجتمع لا يمكن الا بالترابط والتقارب فيما بين أفراده من حيث الإنسان وحقوقه ثبات الترابط والمواصلة والتقارب يتقوى بالمحبة والمودة الحنان وحينما ينشأ الحقد والحسد فيما بينهم تضعف المرابطة وقوة تمسك الاجتماعي .

فالمحبة والمودة لازمة لاستمرار قوة الربط فيما بين أفراد البشر وبقاء جنس في هذه المعمرة والإسلام جاء من الله من حيث الدين القويم الذي يريد الخير في كل مراحل الحياة الإنسان آجلاً وعاجلاً . ويجعل جنس البشر كأعضاء جسد واحد أنصاراً وأخدانا . ويبقى هذا الشأن عندما تناصل المحبة والمودة في القلوب راسخة .

فالإسلام دين الله الوحيد يعلن هذه المحبة والمودة الإنسانية على أكمل صورة وعنوان . بقول الله تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم (حجرات) .

فالذين آمنوا بالله ورسوله واخلصوا دينهم أكثر الناس محبة ومودة لأخيه المؤمن وغيره من البشر فقلما يظهر الجور والظلم والتحقير والحسد من المسلمين لأخيه الجار مسلماً كان أو غير مسلم .

لأن الإسلام فرض حسن المعاشرة والرعاية لجاره ولو كان غير مسلم .

فجاء اعلان الإسلام : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وكذلك صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن إلى من أساء إليك .

وقول معروف وأمر مهم في الإسلام في مجال الدعوة حتى أمر دعاة الإسلام ان يدعوا الناس برفق وحنان لا بشدة وخناق . هناك أمر الله تعالى لموسى وهارون حينما ذهبا الى فرعون ليدعوه إلى الله (أن تقولا له قولاً ليناً) .

بل نزلت الآية من الله إلى رسول الإسلام ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم .

وهذا يشير إلى أمر مهم ، بأن المحبة والرفق والحنان يجعل الإنسان العدو ولياً خالصاً ...

فكم من أعداء الله وجدوا نور الإيمان واليقين . ودخلوا في الإسلام بسبب المحبة والمودة من رسول الإسلام .

وكم من اعداء الإسلام الأشداء اعتنقوا الإسلام بالهمان أفواجا ، بسبب العفو وحسن المدارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة الكريمة وهم ظلموا واضطهدوا الرسول اياماً وسنوات .

ولكن رسول الله تقدموا إليهم بالمحبة والحنان العفو والكرم . فتأثروا به ووجدوا الراحة والسكن الدائمة في تعالم الإسلام .

فالمسلمون يسكنون مع غير المسلمين في ربعة واحدة بالمحبة والحنان ولا يوجد أثر حتى يتبين ذلك المسير من المسلمين بل ترى المسلمين أكثر حب لجارهم . ليكونوا مساهمين في بناء المجتمع الرفيع وذلك ثمرة تعالم

الفائدة السابعة :

في فضائل العلم الشرعي وخاصة علم الحديث الشريف

اعلم أن هذا الموضوع وسيع، الآيات والأحاديث والآثار فيه كثيرة، وألف كثير من العلماء في هذا الباب كتباً على حدة وهنا نذكر نبذة منها .

أما الآيات : فمنها أن أول ما نزل الله تعالى من آيات القرآن، العلم بالله الخالق والإنسان المخلوق، قال سبحانه : إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الذي أكرم، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم، (الآيات: ١-٥من سورة العلق)

ومنها امتن الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالتعليم فقال سبحانه : وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً (الآية : ١١٣ من سورة النساء). ومنها أمتن الله تعالى على المؤمنين بالرسول الخاتم ، وتعليمه وتزكيته اياهم، فقال : لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (الآية -١٩٤ من سورة آل عمران) .

ومنها مكانة العلم وشرافته ، طلب الله تعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أن يسألوه سبحانه زيادة العلم، فقال : وقل رب زدني علماً . (الآية : ١١٤ من سورة طه)

ومنها ميز الله تعالى العالمين على من سواهم ورد تساويهم فقال سبحانه: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ (الآية -٩ من سورة الزمر)

ومنها رفع سبحانه وتعالى ، درجات المؤمنين والعلماء على غيرهم، فقال سبحانه: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (الآية -١١ من سورة المجادلة)

أما من الأحاديث والآثار أيضاً كثيرة : فمنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكان منها طائفة طيبة، قبلت الماء، فأنبتت الكلاء والعشب الكثير، وكان منها أجادب فامسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم وعمل، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به (متفق عليه) .

ومنها عن معاوية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، (متفق عليه)

ومنها عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا، وان العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحبتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، (رواه أبو داؤد والترمذي وغيرهما)

ومنها عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له . (رواه مسلم)

ومنها عن أبن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد (رواه الترمذي)

- ومنها عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا في المسجد مجلسان : مجلس

يتفقهون ، ومجلس يدعون الله ويسألونه فقال : كلا المجلسين إلى الخير، أما هؤلاء فيدعون الله تعالى، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل ، هؤلاء أفضل ، والتعليم أرسلت ثم قعد معهم ، (رواه ابن ماجه)

ومنها عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا ، يا رسول الله وما رياض الجنة قال : حلق الذكر ، فإن لله سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوابهم (رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه)

ومنها عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرأ سمع مقالتي ، فحفظها ووعاها واداها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه (رواه الترمذي)

ومنها عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم خلفائي قلنا : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يرؤون أحاديثي ويعلموها الناس . (رواه الترمذي)

ومنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أولى النلس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة . (رواه الترمذي)

ومنها قال النبي صلى الله عليه وسلم : آلا أخبركم عن الأجود؟ الأجود الله وأنا اجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه . (رواه الترمذي)

ومنها قال معاذ رضى الله عنه : تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة. (مقدمة المجموع)

ومنها قال على رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفي بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه. (مقدمة المجموع)

ومنها قال الإمام الشافعي رحمه الله : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وقال أيضاً ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم . (مقدمة المجموع)

ومنها قال أسحاق بن عبد الله بن أبي قروة رحمه الله : أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد فالعلماء دلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأهل الجهاد جاهدوا على ما جاءت به الرسل . (مقدمة المجموع)

ومنها قال أبو مسلم الخولاني رحمه الله : مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا، (هذه كلها في مقدمة المجموع للنووي) .

الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا تحقرن أحداً ولا تحقرن طاعة ولا تحقرن معصية .

فالتحقير والتخذيل لأحد لا ينبغي للإنسان الاجتماعي . لأنه يثير الحقد والحسد ..

والإسلام أعلن ان الحسد يحرق الحسنات كما تحرق النار الحطب .

فالحقيقة الواقعية تشهد على مسامحة المسلمين جيلاً بعد جيل لأعدائه . وعفوهم لهم فضلاً على ذلك احسان إليهم والتعاون لهم بواسع الصدر ايفاء لحقوق الإنسان .

مثل أخلاق المسلمين في المحبة والحنان في التاريخ من غيرهم فلا يوجد.

الفائدة الثامنة :

في بيان أن الرسول كيف شانه في نظر الإسلام

اعلم أن شان الرسول متمايز عن شان الباري تعالى امتيازاً بيناً، كما أن الله تعالى متره عن الحلول والاتحاد والولادة والجسمانية والمادة ، كذلك الرسول كيف ما شانه ولو بلغ إلى ذروة الكمال الإنسلني لم يبلغ إلى أدنى درجة الألوهية ، فإن الألوهية والرسالة صفتان متمايزتان أشد الامتياز ، فلذا لا يكون الرسول متناسخا للإله بأن يحل فيه ولا يكون هو إلها بنفسه بأنه برز في صورة الإنسان .

فالنصارى يقولون بألوهية عيسى عليه السلام ، والبراهمة يقولون بأن الإله برز في صورة الرسول ، والإسلام يقول قولاً على حدة ، بأن الرسول إنسان مرسل ، ليس بإله ، فالذي قال النصارى والبراهمة فهو غير ممكن في ذات الرسول ، لأن الممكنات أنواع مختلفة ، لا يتجاوز كل نوع من حده الفاصل ، ولا يبلغ أي نوع ولو بلغ إلى أوج الكمال إلى درجة نوع آخر ، وهذا محدود من القدرة الإلهية، فكيف يتصور من الرسول أن يكون إنسانا ثم يتجاوز من الإنسانية بسبب كمالاته إلى الألوهية ، هذا محال وغير معقول .

وأيضاً كما أن أفراد النوع الواحد تختلف مرتبة ودرجة ولا يستوون ، ومع ذلك لا يتجاوز أي فرد عن نوعيته ولا تتبدل حقيقته ، فكذا لا تتغير حقيقة الإنسانية للنبي أيضاً ، بل كون الرسول إنسانا ثم تحمله الصفات الكمالية بحيث صار أعلى الناس شأناً وأرفعهم قدراً دليل الكمالية لأن الرسول يبعث لإصلاح الناس وإرشادهم إلى الهداية ، فلا بد له أن ترد عليه جميع الحالات والتطورات التي تطرأ على الإنسان ، فمن لم يطرأ عليه غم ولا نوم ولا جوع ولاعطس ولاطرب ولا شهوة وغير ذلك من الأحوال الإنسانية فكيف يصلحهم ويرشدهم ، وكيف يكون، أسوة جامعة .

ولذا ذكر الله تعالى كونه إنساناً على طور الامتنان كما قال تعالى : " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم " ٣/١٦٤ ، وكذلك في دعوة إبراهيم عليه السلام بأنه عندما دعا الله تعالى لكي يبعث رسولاً من ذرية إسماعيل دعا أن يكون إنساناً كما قال " ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم" ٣/١٢٩ وكذلك قال الله تعالى لبني آدم من بدء الأمر أن يكون الرسول من الإنسان كما قال تعالى: " يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم

آياتي" ٧/٣٥ ، وأيضاً صرح تعالى : " إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض" ٣/٣٣ .

فعلم من ذلك أن سلسلة النبوة التي بدأت من آدم عليه السلام وانتهت إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كل نبي من هذه السلسلة كان إنساناً حتى عيسى عليه السلام حيث قال صراحة ذرية بعضها من بعض " ولا يكون متجاوزاً عن الإنسانية قطعاً ،

وليس لمعرفة مقام الرسول لفظ جامع وأسهل من لفظ رسول ، كما أن الله تعالى ذكره في معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال "محمد رسول الله والذين معه" ٤٨/٢٩ ، وقال تعالى "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" ٣/١٤٤ ، والحال أن رسولنا سيد الأنبياء والمرسلين، والحكمة فيه أن لفظ الرسول متداول معروف عند الناس في كل زمان ، كل الناس يعلم صفاته اللازمة والممكنة والمستحيلة ، ويعرف كيف احترامه وتعظيمه ، وما جاء رسول في الدنيا إلا وقد عرف نفسه بأنه رسول من الله فللإيمان جانبان ، التوحيد لله في جانب ومحبة الرسول في جانب ، والرسول واسطة بين المؤمن وبين الله تعالى ، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله كما قال تعالى " من يطع الرسول فقد أطاع الله " ٤/٨٠

فعلم مما ذكر أن الرسول ليس اله ولا متناسخا من الله ولا هو بروز من الله ، بل هو إنسان بعثه الله تعالى رسولاً ، وان لفظ "رسول" كاف لمعرفته بل هو جامع لحقائقه ،

ثم اعلم أن ههنا لفظين آخرين يتقارب من معنى الرسول ولكن بينهما فرق بين وبون بعيد أحدهما لفظ ، الوكيل الذي يتكفل أمر الغير ، والوكيل يكون مختاراً من الموكل في حق الدفع والجواب ، يفعل ما يشاء ويقول ما يريد مستقلاً بنفسه ، بخلاف الرسول فإنه يكون أميناً من الله تعالى ، ليس له اختيار مطلق العنان ، مثلاً لو وكل الملك أحدا وكيلاً فيجوز له أن يفعل ما يناسب ملكه ولو لم يقل له الملك ، حتى يكون الوكيل مختاراً في نست القوانين ونسخها ، بخلاف الرسول فإنه لا يجب عليه شئ من ذلك سوى الإبلاغ والتبليغ .

فكذلك ههنا بأن الوكيل هو الله تعالى ولا يكون الرسول وكيلاً قط الوكيل أمر عظيم تكفل الله تعالى بنفسه فقال تعالى " الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل" ٣٩/٦٢ ، وقال تعالى "وكفى بالله وكيلا" ٤/٨١ ، وقال تعالى " لا تتخذوا من دوني وكيلا" ١٧/٢ والرسول ينكر إطلاق هذا اللفظ عليه كما في قوله تعالى قل

لست عليكم بوكيل" ٦/٦٦ وقوله تعالى " وما أنا عليكم وبوكيل" ١٠/١٠٨ وغير ذلك من الآيات .

فعلم من ذلك أن فريضة الرسول أن يبلغ إلى الناس ما أرسل به ولا اختيار له أن يفعل شيئاً من نفسه أو يبدل شيئاً ، وكذلك لا يهدي من يشاء ، ولا يضل من يريد ، بل الكيل على كل ذلك هو الله تعالى ، وكما أن الملك في الدنيا لا يكلم مع كل الناس بالمشافهة بل بالواسطة فكذلك ما كلم الله تعالى بالناس مشافهة بل اصطفى من الناس رسلاً يكلم معهم ، وهم يبلغون كلامه إلى الناس ، كما قال تعالى " ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب" ٤٢/٥١ وقال تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء " فهذه صورة مكالمة الرسول مع الله تعالى بالوحي ومن وراء حجاب ،

و ههنا لفظ ثالث هو المصلح (ريفارمر) ، والرسول كما لا يكون وكيلاً ومختاراً كذلك لا يكون مصلحاً فقط ، لأن المصلح في العرف الجديد فيما بين العقلاء يكون متعلماً من الناس ، والرسول لا يكون كذلك ، بل هو بأخذ العلم من الله تعالى ، وكذلك الرسول يكون في عصمة الله تعالى لا يحتمل الغلط والبطلان بخلاف المصلح

فإنه يحتمله وكذلك الرسول له زمانان زمان قبل البعثة وزمان بعدها، وبينهما فرق بين ، كأن الرسول يكون انسانين ، فهذا النبي موسى عليه السلام قد خرج من وطنه خوفا من فرعون ، فإذا بعث رسولا جاءه يدعو إلى الله تعالى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء معتزلا عن الناس ، فلما بعث رسولا خرج الى الناس يدعوهم في كل مكان في عزلة وفي مجامع وفي أسواق وفي مواسم الحج وغير ذلك .

فيتبين من ذلك أن النبي قبل البعثة مثل العامي ليس عليه فريضة ،وإذا بعث عادت إليه أمور كثيرة ،ولا يتشابه بين الزمانين لأن الرسول لا يكون رسولا لأجل كسبه وخبرته ولا بتسليم قومه له أنه رسول ، بل القدرة الإلهية والعلم الغيبي هو الذي ينتخبه ذلك ، كما أن كل سفير للحكومة ينتخبه الملك ويكون قابلا واهلا للسفارة وواقفا بأسرار الحكومة وأهدافها ، وليس يكون كل قابل وصالح سفيرا ، فكذلك القدرة الإلهية إذا انتخبت إنسانا للرسالة فهو يكون معصوما من الكفر والشرك والمعصية قبل البعثة وبعدها وإلا لم يكن أسوة للناس .

ولو كانت الرسالة والنبوة مكتسبة فيبعث كل من يتعبد كثيرا رسولا في زمان كان الناس يتعبد كثيرا ، والحال أنه إذا كان الناس جاهلا عن الدين والشرع وجاهلا عن معرفة الله والآخرة بعث إليهم رسولا ليصلحهم ويرشدهم إلى الحق والهداية ، فعلم أن الرسالة والنبوة ليست من ثمرة الكسب ونتيجته ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " لو كان بعدي نبي لكان عمر " معناه أن في عمر صلاحية للنبوة ولكن لم يبق للنبوة منصب بعدي فلذا لم يختر نبيا .

وكذا قال عليه السلام " لو عاش إبراهيم لكان صديقا نبيا " يعني كان فيه صلاح وجوهر للنبوة والصديقية ولكن وجد ههنا مانع آخر وهو عدم الحياة ، لأن في عالم التقدير والغيب أمر ثابت مقدر بأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا يكون بعده نبي ، فلو عاش لكان نبيا كما هو معلوم من سلسلة أولاد الأنبياء خاصة من إبراهيم عليه السلام فأماته الله تعالى صغيرا لئلا يخالف معنى ختم النبوة ومعنى صلاحية النبوة في أولاد الأنبياء عليه السلام .

وأما الوجه في عمر فإنه ولو أدرك بلوغا ، ولكن ليس فيه معنى سلسة النبوة التي في أولاد النبي ، ولكن فيه معنى صلاحية النبوة ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم بأن النبوة والرسالة لا تكون لمجرد الصلاحية

فقط ، ولا ناتجا من كسب أحد بنفسه بل من اصطفاء الله تعالى بقدرته الحكيمة فقال عليه السلام " لو كان بعدي نبي لكان عمر " يعني لم يبق للنبوة منصب بعد فلم يبعث ،

وكذلك لما بعث موسى عليه السلام تفكر في نفسه بأن فرعون أشد عناداً وكبراً وفي لسانه عقدة ، فلو كان أخوه هارون نبياً لكان أحسن ، لأنه افصح منه لساناً فدعا الله تعالى وقال " واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري" ٢٠/٢٩ ، وقال تعالى " وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون" ٢٨/٣٤ ، فلو كانت النبوة من اختيار العبد وكسبه فما معنى الدعاء والشفاعة إلى الله وبيان أوصافه للشفاعة ، فأجابه تعالى فجعل هارون عليه السلام نبياً ، وكما ذهب موسى عليه السلام إلى الطور فاستخلف هارون من نفسه باختياره ولم يسأل من الله تعالى أن يجعله خليفة .

فعلم أن الخلافة غير الرسالة والنبوة ، كما أن الرسول لا يكون رسولاً من قبل نفسه كذلك لا يجعل آخر رسولاً من عند نفسه بل الرسول يكون من الله تعالى ، فإطاعته وتسليم قضاءه فرض للأمة بخلاف المصلح للقوم فإن لكل واحد من الناس حق للمنازعة معه ولا

يكون حكمه ديناً ومذهباً بخلاف النبي ، وكذلك ليس على المصلح أن يكون من أهل لسان قومه بخلاف الرسول فإنه يكون من أهل لسان قومه .

ولما لم تكن بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) درجة النبوة والرسالة فأبقى الله تعالى الخلافة والإمارة بعده ، ويكون كلها تحت الشريعة . كما روي عن أبي هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو إسرائيل شوسم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي سيكون خلفاء فيكثرون ؛ متفق عليه .

خلاصة الكلام بأن الرسول لا يتصور فيه التناسخ والبروز والنبوة والألوهية ولا يكون أيضا كالمصلح للقوم، فالنصارى أرادوا الرسالة بعنوان الابنية فغلطوا ، والبراهمة جعلوا الإله حالاً وبروزاً في الرسول فأخطئوا ، وكذا النصارى جعلوا الرسول جزء الاله فضلوا والعقلاء العصريون لا يعرفون شان الرسول فجعلوه كالمصلح وكل ذلك إفراط وتفريط ، والرسول عندنا بين وبين فهو رسول وبشر ، ليس لمعرفته لفظ جامع وأسهل من لفظ الرسول ، والله أعلم .

الفائدة التاسعة :

في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة السلام

العصمة من لوازم النبوة وخصائصها ، وقد أنكرها اليهود ، وهم يظنون الأنبياء مثل عوام الناس ، غير معصومين عن الخطايا والذنوب ، بل يرتكبون ما يرتكب آحاد الناس ، ولذا نرى في التوراة أنهم اثبتوا لهم أشياء تقشعر منها الجلود ، أثبتوا لهم الشرك ، والزنا ، وقتل النفس بغير حق ، والخداع ، وشرب الخمر ، والمصارعة مع الرب ، وغير ذلك من الأباطيل ، والأكاذيب ، التي لا يتصور منهم صدورها (والعياذ بالله) وهو يخالفه لمكانتهم .

فلذا أثبت القرآن العظيم عصمتهم بالآيات ، والدلائل العقلية تدل عليها كذلك ، فالأنبياء ولو كانوا بشراً فنهم معصومون ، وهذا هو دليل النبوة أيضاً ، فالعصمة ثابتة بالقرآن ، والحديث ، والاجماع ، والعقل ، وهذه صفة خاصة لهم مسلمة بين أهل السنة والجماعة ، فأذكر ههنا تلك الأدلة اختصاراً أما من الآيات :

١- قال تعالى : " الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس " الحج آية رقم: ٢٢/٧٥ ، يعلم منها أن الله تعالى ينتخب رسلاً من الملائكة والناس و قال تعالى: في حق الملائكة " لا

يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " (التحـــريم آيـــة رقم:٦/٦٦) ، فكذلك يكون الرسول انتخبـــا مـــن النـــاس ومعصوماً ، وأيضاً لو سلم عدم العصمة في حق الأنبياء يلـــزم أن لا يصح اصطفاء الله تعالى إياهم ـــ وهذا ممنوع (لا يمكن).

وأيضا قال تعالى: في حق عدة من الأنبياء " إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (آل عمـــران ٣/٣٣) ، وفي حق إبراهيم عليه السلام " ولقد اصطفيناه في الدنيا " (بقرة آيـــة رقم: ٢/١٣٠) ، وفي حق موسى عليه السلام " إني اصطفيتك علـــى الناس برسالتي وبكلامي " (أعراف : آية رقم:٧/١٤٤) وأيضاً قـــال تعالى: " واذكر عبادنا إبراهيم وإســـحاق ويعقـــوب أولى الأيـــدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وأهم عندنا لمن المصطفين الأخيار" (٣٨/٤٧) ذكر الله تعالى في هذه الآية الخير مع الاصطفـــاء أيضاً .

وقال العلامة السيد/ الألوسي تحت هذه الآية : وجه الاصطفاء في جميع الرسل أنه سبحانه خصهم بالنفوس المقدسة ، وما يليق بها من الملكات الروحانية ، والكمالات الجسمانية ، حتى أهم امتازوا كمـــا قيل على سائر الخلق خلقاً وخلقا ، وجعلوا خزائن أسرار الله تعـــالى

ومظهر أسمائه وصفاته ومحل تجليه الخاص من عباده ومهبط وحيه ومبلغ أمره ونهيه وهذا ظاهر في المصطفين المذكورين في الآية من الرسل . (روح المعاني ج/٣) فاصطفاء الله تعالى يقتضي العصمة في حقهم وهو ظاهر .

٢- قال تعالى: " الله أعلم حيث يجعل رسالته " (الانعام ٦/٤٨) .
يعلم منها بأن الله تعالى يعلم أين يضع النبوة ومن هو صالح لها ، ومن المستعبد على الله تعالى وضع النبوة في غير موضعه ومحله وهو علام الغيوب ، وعلى كل شئ قدير ، وهو بكل شئ عليم ، فهذا ينادي بصوت أعلى بأن الذي يكون نبياً فهو معصوم يقيناً .

٣- قال تعالى: " وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين" (الانبياء ٢١/٧٢)
ذكر فيها بأن الأنبياء هم صالحون وأئمة وعابدون .
فكل هذه تدل على العصمة ، وأيضاً قال في سورة الأنعام بعد ذكر كثير من الأنبياء مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداؤد وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل ويسع ويونس ولوط عليهم السلام " كل من الصالحين" (الانعام ٨٥/٦) .

ثم قال : " كلاً فضلنا على العالمين" ٨٦/٦ وأيضاً قال : " واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم" ٨٧/٦ فكل هذه تنادي بالعصمة صراحة .

٤- قال تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " (الاحزاب ٢١/٣٣) . وقال تعالى: " وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله " (الانساء٦٤/٤) ، وقال : " إن تطيعوه تهتدوا " (الانور٥٤/٢٤) .

وقال تعالى: " ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً " (الاحزاب ٧١/٣٣) .

وغير ذلك من الآيات التي أمر فيها الإطاعة للنبي ، وبين أن ذلك علامة الإيمان والهداية والفوز العظيم والرحمة وغير ذلك .

فهذه الآيات تدل على عصمة النبي وإلا كيف يكون أسوة للإيمان والهداية وهذا أمر ظاهر لا يخفى على أحد .

٥- قال تعالى: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" (النجم ٤/٥٣) .

يعلم منها أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم عن الهوى لا ينطق عنه قطعاً .

٦- قال تعالى:" لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً (بني إسرائيل٧٤/١٧) .

وأيضاً قال: " ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ وأنزل الله عليكم الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً (النساء ١١٣/٤) .

وأيضاً قال: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فيسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم (الحج ٥٢/٢٢).

يعلم من هذه الآيات بأن الله تعالى جعل الأنبياء معصومين عن الميل إلى الظلم وكيد الشيطان وضلالته وإضلال الناس وامنية الشيطان وغير ذلك ؛ فهذه تنادي صراحة بالعصمة .

٧- قال تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم" (القلم) . والخلق العظيم تجمع جميع الصفات الحميدة ، والحسنات السعيدة ، وتخالف

السيئات والمعصيات ، فيكون الرسول صلى الله عليه وسلم معصوماً قطعاً .

٨- قال تعالى: " إنك لعلى هدىً مستقيم (الحج ٢٢/٦٧) .
وأيضاً قال تعالى: إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم" (يس/ ١) .
وأيضاً قال: "وهديناهم إلى صراط مستقيم" (الانعام ٦/٨٧).
وأيضاً قال: في حق إبراهيم عليه السلام " ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين" (الانبياء ٢١/٥١)
وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الأنبياء عليهم السلام يكونون على الهدى ، والصراط المستقيم . فلو لم يكونوا معصومين فكيف يكونوا على الهداية والصراط المستقيم ؛ فالعصمة لازمة لذواهم .

٩- قال تعالى: " سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله" (الأعلى/) .
يعلم منها أن الرسول عليه الصلاة والسلام معصوم عن النسيان إلا ما شاء الله فيكون فيه حكمة ومصلحة كما في المنسوخ للتلاوة ومواضع السهو في الصلاة ففيه فائدة عظيمة للأمة كما لا تخفى .

١٠- قال تعالى: " إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " (النساء/١٠٥/٤) .

يعلم منه أن جميع القضايا للنبي صلى الله عليه وسلم إنما ذلـك من إيحاء الله ولو كان غير متلو .

فيكون معصوماً قطعاً ، ولذا ترى كيف اجبر المؤمنين علـى تسليم قضاياه ، كما قال تعالى: " وما كان لمؤمن ولا مؤمنـة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة مـن أمرهـم (الاحزاب ٣٣/٣٦) .

وأيضاً قال: " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمونك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ؛ (النساء ٤/٦٥) .

١١- قال تعالى: "اتبع ما أوحي إليك من ربك " (الانعام ٦/١٠٦).

وأيضاً قال تعالى: "واتبع ما يوحى إليك " (يونـس١٠٩/١٠)

وأيضاً قال تعالى: "ان اتبع إلا ما يوحى إلىّ " أنعام ٥٠/٦) .

وأيضاً قال تعالى: " قل إنما اتبع ما يوحى إليّ من ربي" (أعراف ٢٠٣/٧) . وغير ذلك من الآيات التي ذكر فيها بـأن النـبي

صلى الله عليه وسلم إنما يتبع الوحي من الله فيكون معصوماً وإلا يلزم أن يشتبه في الوحي وهو ممنوع قطعاً .

١٢- قال تعالى: " ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً (أحزاب ٣٣/٣٦) .

وأيضاً قال تعالى: " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " (النور ٢٤/٦٣) .

قال تعالى: " ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب " (الانفال ٨/١٣) .

وأيضاً قال تعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولي ونصله جهنم وساءت مصيراً " (النساء ٤/١١٥) .

وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن مخالفة الله تعالى وكذا مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لشدة العقاب والعذاب وإصابة الفتنة وسبب لدخول النار؛ فهذا يدل على أنه معصوم مطاع ومتبع في جميع أمره ولا يحتمل العصيان وإلا كيف تكون مخالفته سببا لتلك النتائج .

٥

١٣- قال تعالى: " والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى " (النجم ١/٥٣) .

يعلم منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعدل عن الحق ولا يعتقد باطلاً قطعاً فيكون معصوماً .

هكذا قال السيد الألوسي رحمه الله تعالى تحته ، أي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة وهو استعارة و تمثيل لكونه على الصواب في أقواله　　وأفعاله وما غوى أي ما اعتقد باطلاً قط لأن الغي الجهل مع اعتقاد فاسد وهو خلاف الرشد (روح المعاني صـ) .

حاصلة كما أن النجم والكوكب يجري طلوعاً وغروباً على طريقه ومداره لا ينحرف يميناً ولا شمالاً كذلك شمس النبوة لا يعدل عن مداره أي عن طريق الحق قطعاً ؛ فهذه الآية صريحة بالعصمة .

١٤- قال تعالى: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم " (آل عمران ٣/٣١) .

يعلم منه بأن الله تعالى جعل اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم معياراً للمحبة ، فمن أراد أن يحب الله تعالى يلزم عليه أن يتبع

رسوله ، فيلزم أن يكون الرسول معصوماً وإلا كيف يكون اتباعه دليلاً للمحبة فهذه الآية تدل على العصمة صراحة

١٥- قال تعالى: "يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون" (الاعراف ٧/٦١) .

وأيضاً قال تعالى: " يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين (الأعراف٦٧/٧) .

أيضاً قال تعالى: " يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين (الاعراف٧٩/٧).

يعلم من هذه الآيات بأن الأنبياء عليهم السلام معصومون ، وليس بهم ضلالة ، ولا سفاهة ، ولكنهم رسل يبلغون رسالات ربهم ، فمن يكون رسولاً لا يكون ضالاً ولاسفيهاً ، فيكون معصوماً قطعاً .

١٦- قال تعالى: في قصة يوسف عليه السلام " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا المخلصين " (يوسف٢٤/١٢).

يعني إراءة البرهان والثبات على الحق إنما كان ذلك لأنه كان

من العباد المخلصين ، ولذلك صرف عنه السوء والفحشاء بحيث لم يمسه شيء منه ، فظهرت من ذلك العصمة صراحة.

١٧- وقال تعالى: " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا (إسرائيل ٤٢/١٥) . يظهر منه بأن من العباد بعضهم الذين ليس عليهم سلطان للشيطان ، ومن أول مصاديقهم الأنبياء ، فلم يكن للشيطان سلطان عليهم فيكونون معصومين قطعاً.

١٨- قال تعالى : " الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون " (النور٣٣/٣٣) .

مدح الله تعالى في هذه الآية الأزواج المطهرات بأنهن طيبات انتخبهن الله تعالى للطيب الطاهر أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى في حقهن ــ بقوله ــ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ــ يظهر منه لما طهر الله تعالى أهل البيت للنبي صلى الله عليه وسلم فالنبي صلى الله عليه وسلم كيف لا يكون مطهراً وهذه هي العصمة له صراحة .

١٩- قال الله تعالى جواباً للمخالفين الذين يخالفوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إنه مجنون أو كاهن أو شاعر بقوله تعالى " ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم (جاثية ٨/٤٥) . يظهر منه على الضد بأن النبي صلى الله عليه وسلم غير أفاك أثيم .
فظهر منه العصمة وإلا يكون أثيماً ــ نعوذ بالله ــ .

أما من حيث الإجماع :

١) فقال القاضي عياض " وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصداً أو بغير قصد ، واستحالة ذلك عليه شرعاً و إجماعاً ونظراً وبرهاناً، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً (شفاء ج/٢ صــ ٣٥٤) .

٢) وقال الإمام الرازي " فقد اجتمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ وإلا لارتفع الوثوق بالأداء ، واتفقوا على أن ذلك كما لا يجوز وقوعه منهم عمدا لا يجوز أيضاً سهواً .

٣) وقال في النبراس " واختار القاضي عياض المالكي ، العصمة عن الكذب مطلقاً في التبليغ وغيره سهواً وعمداً وادعى إجماع السلف عليه .

أما من حيث العقل فنقول بالاختصار :

الأول :أن الرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا مرسلين ، اصطفاهم الله تعالى لرسالاته ولكلامه ، وجعلهم قادة ، أئمة الهدى للناس ، فهم كالسفراء من الحكومة ، كما أن السفير يكون بحيث أن الملك يعتمد عليه ويصدقه وانه يعلمه قوانين الحكومة ولا يخاف عليه البغاوة والعصيان ، فلو اشتبه على الملك أمر السفير فلن يجعله سفيراً . فكذلك الرسل سفراء إلى الناس ، فهم معتمدون عند الله وإلا لم يجعلهم كذلك فيكونون معصومين قطعاً . ولما انتخب الله تعالى الرسول رسولا فلا تردد في اصطفائه إذ هو علام الغيوب .

الثاني : جعل الله تعالى الأنبياء ميزاناً صحيحاً للهداية والنجاة ،ومعياراً للإيمان والمحبة ، فلو كانوا غير معصومين كيف يمكن أن يحصل ذلك المقصود ، فالعصمة لازمة لهم .

الثالث : جعل الله تعالى رؤيا الأنبياء وحيا بحيث يعصمهم الله

في منامه أيضاً كما في يقظته ، لا دخل للشيطان قطعاً فهم معصومون يقيناً .

الرابع : قال عليّ القاري في شرح الفقه الأكبر " قال القونوي واختلف الناس في كيفية العصمة ، فقال بعضهم هي محض فضل الله تعالى بحيث لا اختيار للعبد فيه ، وذلك إما يخلقهم على طبع يخالف غيرهم بحيث لا يميلون إلى المعصية ، ولا ينفرون عن الطاعة كطبع الملائكة وأما يصرف همتهم عن السيئات وجذبهم إلى الطاعات جبراً من الله تعالى ، بعد أن أودع في طبائعهم ما في طبائع البشر ، وقال بعضهم العصمة فضل من الله ولطف منه ، ولكن على وجه يبقى اختيارهم بعد العصمة في الإقدام على الطاعة والإمتناع عن المعصية ، إليه مال أبو منصور الشيخ الماتريدي حيث قال العصمة لا تزيل المحنة أي الابتلاء والاختيار .

خلاصته لما خلق الله تعالى الأنبياء على طبع كطبع الملائكة فهم يكونون معصومين كالملائكة.

الخامس : قال صاحب النبراس : أن البرية مأمورة باتباعهم وإيثار حبهم على حب الأباء والبنين ، وخضع الرقاب لهم

والكف عن ذمهم وإهانتهم ، والتخلق بأخلاقهم الظاهرة والباطنة ، فهذا الكل يقتضي أن يكون غايته ما يمكن في البشر من المحامد والمكارم والعفة والنزاهة حتى لا يستنكف أحد من التذلل لهم ولئلا يجد المتمرد والمتعصب سبيلا إلى الطعن فيهم .

أما من حيث أقوال العلماء الكبار المحققين فنذكره مختصراً :

فالعصمة عن الشرك والكفر :

١) قال في شرح العقائد للنسفي " أنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده .

٢) وفي شرح المواقف للسيد السند " أما الكفر فاجتمعت الأمة على عصمتهم عنه قبل النبوة وبعدها ، ولا خلاف لأحد منهم في ذلك .

٣) وفي شرح الفقه الأكبر لملا على القاري " أنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع .

٤) وفي المسامرة " قال قاسم بن قطلوبغا " اتفق جمهور المسلمين على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده .

والعصمة عن الكذب :

١) قال في شرح العقائد للنسفي " في هذا إشارة إلى أن الأنبياء معصومون عن الكذب خصوصاً فيما يتعلق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمة ، أما عمداً فبالإجماع ، وأما سهواً فعند الأكثرين .

٢) وقال في النبراس " ذهب الجمهور إلى عصمتهم عن الكذب في التبليغ سهواً ، ومنهم الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني ، وينسب الخلاف إلى القاضي الباقلاني إلى أن قال واختار القاضي عياض المالكي العصمة عن الكذب مطلقاً في التبليغ وغيره سهواً وعمداً وادعى إجماع السلف عليه.

٣) قال القاضي عياض في الشفاء " وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصداً أو بغير قصد واستحالة ذلك عليه شرعاً و إجماعاً ونظراً وبرهاناً وتتريهه عنه قبل النبوة قطعاً وتتريهه عن الكبائر إجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً .

٤) قال الإمام الرازي " فقد اجتمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ وإلا لارتفع الوثوق

بالأداء واتفقوا على أن ذلك كما لا يجوز وقوعه منهم عمداً لا يجوز أيضاً سهواً .

والعصمة عن التقصير في تبليغ الرسالة :

١- قال في شرح العقائد " كلهم كانوا مخبرين ومبلغين عن الله تعالى لأن هذا معنى النبوة والرسالة ، صادقين ناصحين للخلق لئلا تبطل فائدة البعثة والرسالة .

٢- وفي المسامرة " وأما فيما طريقه الإبلاغ أي إبلاغ الشرع وتقريره من الأقوال وما يجري مجراها من الأفعال لتعليم الأمة بالفعل فهم معصومون فيه من السهو والنسيان .

٣- قال الإمام الغزالي " لكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به ، والزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة .

٤- قال الشيخ محي الدين العربي في الفتوحات " ويشترط في حق الرسول العصمة في جميع ما يبلغه عن الله عز وجل .

٥- قال البخاري : قال الزهري " من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة ،

أداء الأمانة واستصدقهم في أعظم المحافل في خطبة يوم حجة الوداع " .

٦- قال الألوسي تحت قوله " إما ينسينك الشيطان" ومنعت ذلك طائفة من العلماء في الأفعال البلاغية والعبادات ، كما أجمعوا على منعه واستحالته عليه في الأقوال البلاغية .

٧- قال القرطبي " ومنعت طائفة من العلماء السهو عليه في الأفعال البلاغية والعبادات الشرعية كما منعوه اتفاقاً في الأقوال البلاغية واعتذروا عن الظواهر الواردة في ذلك .

٨- قال في الخازن " تحت قوله إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الأخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً .

والعصمة عن اتباع الهوى:

١) قال السيد الألوسي تحت قوله تعالى " وما ينطق عن الهوى " المتبادر من الخطاب أن جميع ما ينطق به عليه الصلاة والسلام من ذلك ليس عن إلقاء الشيطان كما أنه ليس من هوى .

٢) قال الحافظ ابن كثير أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض أي إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان.

٣) قال القاضي ثناء الله الفاني فتي " يعني لم يتقول القرآن من تلقاء نفسه كما يتفول الشعراء ، وكذا كل ما يتكلم ليس منشأه الهوى النفسانية بل مستند إلى الوحي جلي أو خفي وان كان باجتهاد مأمور من الله تعالى مقرر من الله عليه فهو ليس عن هوى البتة .

٤) قال الشعراني " فان قلت فما الفرق بين العصمة والحفظ فالجواب الفرق بينهما أن الأنبياء معصومون من المباح لهوى أنفسهم بخلاف الأولياء ، فإذا فعل الأنبياء المباح لا يفعلونه لهوى نفوسهم كغيرهم ، وإنما يفعلونه على جهة التشريع أنه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعني فعل المباح إذا التبليغ واجب عليهم .

العصمة من الكبائر والصغائر مطلقاً :

١- قال الإمام القرطبي " وقال جمهور الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي أنهم معصومون من الصغائر كلها

كعصمتهم من الكبائر أجمعها، لأنا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة ، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن لنا إقتداءهم ، إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة أو الحظر أو المعصية ، ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين ، قال الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني : واختلفوا في الصغائر ، والذي عليه الأكثرون أن ذلك غير جائز عليهم ؛ وصار بعضهم إلى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة .

٢- قال الإمام الرازي : والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة ، أن الرسول أفضل من الملك ، فوجب أن لا يصدره الذنب من الرسول .

٣- وفي النبراس قال الإمام الماتريدي " الأنبياء أحق بالعصمة من الملائكة ، أن الحق سبحانه وتعالى سمى ترك الأفضل منهم معصية لعلو شأنهم .

٤- وفيه أيضا: جمع من العلماء ذهبوا إلى العصمة عن الصغائر والكبائر قبل الوحي وبعده .

٥- قال علي القاري : في شرح الفقه الأكبر " الأنبياء كلهم معصومون عن الصغائر والكبائر أي من جميع المعاصي إلى أن قال ـ ثم هذه العصمة ثابتة للأنبياء قبل النبوة وبعدها على الأصح .

٦- وأيضاً قال في المرقاة : إذ الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها عن كبائر الذنوب وصغائرها ولو سهواً على ما هو الحق عند المحققين ، وإن كان الأكثرون على خلافه .

٧- قال العلامة بحر العلوم في شرح مسلم الثبوت: ومنعه أي صدور الصغائر الغير الحسيسة ، الحنفية رضوان الله عليهم وهو الحق ، فإن صغيرهم كبيرهم في حقهم وإن كانت صغيرة في حقنا ، ألا ترى مباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين .

٨- قال صاحب النبراس " للمتكلمين فيها كلمات غير مرضية ، والمختار عندي أنهم معصومون عن وساوس الشيطان ، وعن الكذب ، والكبائر ـ والصغائر عمداً وسهواً قبل البعثة وبعدها .

٩- قال الإمام الشعراني : قال أئمة الأصول الأنبياء عليهم السلام كلهم معصومون ، لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة سهواً كما لا يجوز عليهم الخطاء في دين الله قطعاً ــ وفاقاً للأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني وأبي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض والشيخ تقي الدين السبكي وغيرهم (اليواقيت والجواهر).

١٠- وأيضاً قال فيه: قال الشيخ أبو طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين من كتاب سراح العقول : يجب تتريه الأنبياء عليهم السلام عن كل ما يتبادر إلى أفهامنا من ذكر خطاياهم ، فان خطاياهم لا ذوق لنا فيها، وان الله تعالى اصطفى للأنبياء في سابق علمه للنبوة وأداء الرسالة ، ورتبهم ذلك في مبادئ أمورهم ، وحماهم من مكائد الشيطان ، وصفى سرائرهم عن الكدورات ، وشرح صدورهم بنوره ، وزينه بالأخلاق الجميلة ، وطهرهم عن الرجس والرذائل.

وغير ذلك من أقوال العلماء الربانيين في عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً ، فليس لأحد أن يقول فيه شيئاً بعد ما تبين له الهدى على خلاف جمهرة العلماء.

أما دفع الشبه والإيرادات التي ترد على العصمة من الألفاظ الواقعة في آيات القرآن كما في قوله تعالى " وعصى آدم ربه فغوى" وقوله تعالى: " ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " وقوله تعالى: " لآ اله إلآ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " وقوله تعالى: " ووجدك ضالاً فهدى " وقوله تعالى: " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " وقوله تعالى: " يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وغير ذلك من الآيات التي تشير إلى خلاف العصمة .

ففي هذه الآيات ألفاظ تحتاج إلى التشريح والتبيين أعني لفظ العصيان والظلم والضلالة والذنب ، فأقول مختصراً :

١) قد علم من ما سبق من محكمات الآيات بأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من المعصيات والشبهات لا يصدر منهم شئ منها وهم في حفاظة الله تعالى ، فيجب أن يوجه جميع تلك الآيات التي ترد على العصمة بما لا يضاد الآيات المحكمات وبما لا يخالف عصمتهم .

٢) لم يذكر القرآن لفظ العصيان في حق نبي من الأنبياء عليهم السلام إلا في حق سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام ، فيقال في توجيهه أن المراد بالمعصية الزلة وهي غير العصيان كما قلل في

لسان العرب وأقرب الموارد وغيرهما ـــ بأن المعصية مصدر وقد تطلق على الزلة مجازاً وهذا معفو في حق غير الأنبياء لا يؤاخذون بها ، وأما الأنبياء عليهم السلام فيؤاخذون لجلالة شأنهم . كما قال الإمام الرازي في التفسير الكبير : فهو أن العتاب إنما حصل على ترك التحفظ من أسباب النسيان وهذا الضرب من السهو موضوع من المسلمين ، وقد كان يجوز أن يؤاخذوا به وليس بموضوع من الأنبياء لعظم خطرهم .

وقال في اليواقيت والجواهر : فسمى الله تعالى وقوعهم في خلاف الأولى معصية وخطيئة

وقال القاضي ثناء الله الفاني فتي : وترك الأولى يعد ذنباً بالنسبة إلى الأنبياء لعظمة شأنهم وإن لم يكن ذنباً (المظهري)

وقال ملا علي القاري في شرح فقه الأكبر : فعوتبوا بأن الحق سبحانه وتعالى سمى ترك الأفضل منهم كترك الواجب من الغير .

وقال في النبراس شرح شرح العقائد : أجيب بأن الحق سبحانه وتعالى سمى ترك الأفضل لهم معصية لعلو شأنهم ، وعظم رتبهم ، فحينئذ يؤول الآية بأن سيدنا آدم عليه السلام فعل ما فعل أعني أكل من تلك الشجرة الممنوعة ناسياً كما قال تعالى " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل

فنسي و لم نجد له عزما " . قال الإمام الرازي: وهو أنه فعل ناسياً فهو قول طائفة من المتكلمين احتجوا عليه بقوله تعالى " فنسي آدم و لم نجد له عزما " ومثلوه بالصائم فيشغل بأمر يستغرقه ويغلب له فيصير ساهياً عن الصوم ويأكل في أثناء ذلك السهو عن قصد، وقال القاضي عياض معنى لم نجد له عزما أي عزم المخالفة لأمر الله ؛ فهذا النسيان ليس بعصيان .

٣) الظلم والضلالة والذنب ألفاظ تجئ بمعان مختلفة ، قال الإمام الراغب: الظلم وضع الشيء في غير محله ، وأيضاَ يجئ بمعنى النقص كما في قوله تعالى " كلتا الجنتين آتت أكلها و لم تظلم منه شيئاً " أي لم تنقص ، وأيضاً يجئ بمعنى الشرك ، فيؤول في قول آدم عليه السلام : ربنا ظلمنا ، وفي قول يونس عليه السلام إني كنت من الظالمين بالزلة التي هي غير معصية . وهذا المعنى يوافق شأنهما ،

وكذلك الضلالة تجئ بمعان أيضاً تارة بمعنى الغفلة عن الشريعة ، وتلوة بمعنى الشرك والكفر ، كما في غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وتارة بمعنى النسيان ، كما في قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين ، وفي لسان العرب ضل الماء في اللبن أي غاب وخفي ، وفي مجمع البحار

الضلال الضياع ، فمعنى قوله تعالى ووجدك ضالاً فهدى : قال العلامة الألوسي: ووجدك غافلاً عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى : " ما كنت تدري ما الكتاب " وقوله تعالى: " إن كنت من قبله لمن الغافلين " وقد نفى الله تعالى عن نبيه الضلالة والغواية صراحة كما في قوله تعالى " ما ضل صاحبكم وما غوى " .

وكذلك لفظ الذنب تستعمل في معان وفي الأصل وهو غير المعصية . قال حافظ العصر الكشميري : هنا مراتب بعضها فوق بعض وضع لكل لفظ ، فالمعصية عدول عن الحكم وانحراف عن الطاعة ومخالفة الأمر ـــ فهذا أشدها ثم الخطأ وهو ضد الصواب ثم الذنب وهو أخفها ومعناها العيب ـــ تقسيم الصغائر والكبائر يجري في المعصية دون الذنب بالمعنى اللغوي ، ويطلق على المعصيات والسيئات أيضاً مجازاً توسيعا ، فإطلاق الذنب على الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقتضي العصيان بل هو من قبيل الزلة والسهو ، قال في تفسير الخازن : المراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع من هذا القبيل (من السهو والغفلة والتاول) وغيره فهو مغفور له .

وقال الإمام الرازي تحت قوله تعالى واستغفر لذنبك ، وثالثها وجه حسن مستنبط وهو أن المراد توفيق العمل الحسن واجتناب العمل

السيئ ، وجهه أن الاستغفار طلب الغفران والغفران هو الستر على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه قبائح ، ومعنى طلب الغفران أن لا تفضحنا ، وذلك قد يكون بالعصمة منه فلا يقع فيه كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو في المؤمنين والمؤمنات ، وفي هذه الآية لطيفة : وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم له أحوال ثلاثة: حال مع الله تعالى ، وحال مع نفسه ، وحال مع غيره ، فأما مع الله فوحده . وأما مع نفسك فاستغفر لذنبك ، واطلب العصمة من الله . وأما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله .

وقال الإمام الراغب في مفردات القرآن في تحقيق الذنب : ويستعمل في كل فعل يستوخم عقباه ، وفي فرايد اللغة في الفروق وبين الإثم والذنب فرق من حيث أن الذنب مطلق الحرام عمداً كان أو سهواً بخلاف الإثم فإنه ما يستحق فاعله العقاب ويختص بما يكون عمداً.

٤) ويقال في دفع الشبه إجمالاً قال الأستاذ الشيخ عبد الرحمن محلاوي في تسهيل الوصول إلى علم الأصول: ـــ والتحقيق أن الأنبياء عليهم السلام معصومون لا يصدر عنهم ذنب لا كبيرة

ولا صغيرة لا عمداً ولا سهواً قبل النبوة ولا بعدها ، وما ورد من ذلك يحمل على أنهم فعلوه بتأويل أو على ترك الأولى، والشارع أطلق اسم المعصية على الزلة مجازاً في قوله تعالى:" وعصى آدم ربه ، وليس المعنى أنهم زلوا عن الحق بل زلوا عن الأفضل إلى الفاضل ، ويعاقبون به لجلالة قدرهم ، وتقترن الزلة بالتنبيه على أنها زلة .

قال الإمام الماتريدي : الأنبياء أحق بالعصمة من الملائكة ، أن الحق سبحانه وتعالى سمى ترك الأفضل منهم معصية لعلو شأنهم (نبراس) .

قال ملا علي القاري : قال أبو المنتهى: لأن الزلة قد تكون بالخطأ وقد تكون بالنسيان وقد تكون بترك الأولى والأفضل (شرح الفقه الأكبر)

.

وأيضاً قال: والحاصل أن أحداً من أهل السنة لم يجوز ارتكاب المنهي عنه عن قصد ولكن بطريق السهو والنسيان ويسمى زلة .

قال العلامة التفتازاني : قال شمس الأئمة السرخسي :- أما الزلة فلا يوجد فيها القصد إلى عينها ولكن يوجد القصد إلى أصل الفعل ، لأنها أخذت من قولهم "زل الرجل في الطين" إذا لم يوجد القصد إلى الوقوع ولا إلى الثبات بعد الوقوع ، ولكن وجد القصد إلى المشي في

الطريق ، وإنما يؤاخذ عليها لأنها لا تخلو عن نوع تقصير يمكن للمكلف الاحتراز عنه عند التثبت ، وأما المعصية فهو فعل حرام يقصد إلى نفسه مع العلم بحرمة (تلويح) .

وأيضاً قال: وذكر بعض العلماء من أن زلة الأنبياء هي زلل من الأفضل إلى الفاضل ، ومن الأصوب إلى الصواب ، لا عن الحق إلى الباطل ، وعن الطاعة إلى المعصية ، و إنما يعاقبون لجلالة قدرهم ، ولأن ترك الأفضل عنهم بمترلة ترك الواجب عن الغير (تلويح) .

وقال الشعراني قال الشيخ العارف بالله الجامع بين الطريقين سيدي عبد العزيز الدرمين رضي الله عنه : لا يجوز قطعاً نسبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الذنوب على حد ما نتعقله نحن وإنما سماها الله في حقهم معصية ، خطيئة ، وذلك لأن مقامهم لأرفع ، لاذوق لولي فيه ولو ارتفعت درجته فضلاً ، عن غيره من أمثالنا (اليواقيت والجواهر) .

وقال السيد عبد العزيز الدباغ في الأبريز ــ فإن المنع من المعصية ذاتي في الأنبياء وعرضي في الأولياء ، ولا يمكن زواله في الأنبياء .

فظهر من جميع ما سبق من كلام المشايخ الكبار والعلماء المحققين بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن المعاصي والذنوب ، وما يطلق عليه اسم المعصية والذنب والضلالة والظلم فكل ذلك مصروف

عن ظاهرها ، وإنما المراد منها الزلة وغير ذلك التي ليست بمعصية ، ومع ذلك أطلق عليهم ذلك لعلو شأنهم وجلالة قدرهم ، فبعد هذا التحقيق من يقول بعدم عصمة الأنبياء عليهم السلام فإنه زنديق باطناً ، يريد أن ينشئ في قلوب المؤمنين اليهودية الملعونة ، حفظنا الله تعالى عن هذه العقيدة الباطلة التي هي خلاف عقيدة جمهور أهل السنة والجماعة .

الفائدة العاشرة : في تحقيق جامعية القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله هداية للناس وإصلاحا للعالم ، وهو جامع وشامل لجميع شئون الإنسان ، من الشخصية والشعبية والدولية ، وهو ينظم أحوال العالم، ويرشد الناس إلى التقوى والصلاح ، ويهديهم إلى العبادة وفكر الآخرة ، فهو كامل مكمل حيث قال تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " .

والقرآن هو أصل الدين والشريعة ، وهو جامع لأحكام الدين ، واتفق عليه جميع الأمة الإسلامية ، ولكن ليس معناه بأنه لا يحتاج إلى البيان والتفصيل ، والشرح والتوضيح ، ويبين فيه جميع الجزئيات والحوادث النازلة ، بل معناه أنه جامع للأصول والكليات ، التي تشمل جميع الفروع والجزئيات ، كما قال الإمام الشاطبي في الموافقات ج/٣ ص/٣٦٧ القرآن على اختصاره جامع ولا يكون جامعاً الا والمجموع فيه أمور كليات ، وقال الإمام البخاري صـ : قال محمد وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد أو الأمرين أو نحو ذلك "

وقال الحافظ ابن القيم في إعلام الموقعين صـ٢٢٦ ، وجوامع الكلم هي الألفاظ الكلية العامة المناولة لأفرادها ، فإذا انضاف ذلك إلى بيانه الذي هو أعلى رتب البيان ، لم يعدل عن الكلمة الجامعة التي في غاية البيان ، لما دلت عليه إلى لفظ أطول منها واقل بيانا ، مع أن الكلمة الجامعة تزيل الوهم ترفع الشك وتبين المراد ، وكذا قال في موضع آخر منه صـ٢٨٩ (الكلمة الجامعة) وهي قاعدة عامة وقضية كلية تجمع أنواعاً وأفراداً وتدل دلالتين دلالة طرد ودلالة عكس ، فظهر من هذه الكلمات :

(١) الكلمة الجامعة تجمع الأمور والكليات وتشمل على جميع الأفراد والأنواع بحيث لو فصلت لا تخرج عنها .

(٢) لا تضيق دائرة الكلام بحيث يوهم خلاف المراد ، بل مع كونها مختصرة جامعة تزيل الوهم والشك في المراد .

(٣) الكلمة الجامعة مع كونها مجملة مهمة تبين المراد وتوضحه ، بحيث لا يبقى فيه إبهام وشبهة ، فهذه الصفات الثلاثة والأوصاف الثلاث توجد في القرآن الكريم على وجه الكمال ، فعلم بأن القرآن جامع ،

ويحتاج لدرك جامعيته إلى البيان والتفصيل ، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى لتعليم الكتاب والحكمة ، كما قال تعالى: " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة" بين الله تعالى في هذه الآية ثلاثة مقاصد للبعثة :

(١) التلاوة (٢) والتعليم (٣) والتزكية ، وخاطب الله تعالى بهذه الآية أهل العرب الذين يعرفون اللغة العربية ، وأنزل القرآن عربياً أيضاً ، ومع ذلك بعث فيهم رسولاً عربياً ليتلوا عليهم الكتاب ويعلمهم ويزكيهم ، يعلم منه بأن علم اللغة لا يكفي فقط لفهم معاني القرآن وكشف حقائقه ، بل يحتاج الى بيان الرسول وتعليمه ، كما يحتاج في أداء الألفاظ في التلاوة إلى بيان الرسول وتلاوته صلى الله عليه وسلم ، فكذلك يحتاج لفهم معانيه إلى تعليم الرسول وتبيينه ، وهذا أمر ظاهر لا يخفى على أحد .

فكما أن أهل اللغة الأردية كثيراً ما لا يفهمون كلام الشاعر اقبال والشاعر غالب .

وكذا أهل اللغة البنغالي لا يعرفون كثيراً ما كلام الشاعر نظر الإسلام وغلام مصطفى ، مع أن كل الشعراء يتكلمون بلغة قومهم ، لأن المتكلم إذا تكلم كلاماً بليغاً وجامعاً تكون فيه رموز وإشارات ، ويخفي فيه كنايات واستعارات ، ويكون فيه إجمال وإبهام يحتاج إلى بيان المتكلم نفسه ، حتى في بعض الأحيان يفسر الناس على خلاف مراد المتكلم ، وعلى هذا لو أنزل الله تعالى القرآن ولم يبين الرسول صلى الله عليه وسلم مراده ، لا يمكن للناس أن يدرك كلامه تعالى ولا يفهم معاني القرآن ، فإذاً يكون نزول القرآن عبثاً ، فلذا ذكر الله تعالى امتنانه على الناس " إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ٣/١٤٦ .

فهنا نذكر نبذة من الأمثلة ، بأن معرفة العربية لا تكفي لفهم القرآن ، بل يحتاج إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم :

١) عن عبد الله بن مسعود رض لما نزلت " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم الأنعام ٨٢ " قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أينا لم يظلم فأنزل الله تعالى "إن الشرك لظلم عظيم" ١٣/١٣ بخاري ١/ص ١٠ .

٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم " من حوسب عذب قالت عائشة فقلت : أو ليس يقول الله عز وجل " فسوف يحاسب حساباً يسيراً " قالت فقال: إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك . بخاري ١ / ص ٢١ .

٣) عن عدي بن حاتم قال لما نزلت " حتى يبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود" ٢/١٨٧ عهدت إلى عقال أسود والى عقال أبيض ، فجعلناهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر في الليل ، فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار، بخاري١/ص٢٥٧.

فهذه ثلاثة أمثلة ذكرتها كي يعلم ، كيف نشأت شبهات في فهم الصحابة ودفع عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ببيانه ، والآن أذكر أمثلة كيف تطرأ المشكلة للصحابة في فهم بعض تفصيلات القرآن .

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا يا

رسول الله ! قال: فـــإنكم ترونـــه كذلـــك ـــ بخـــاري ٢ صــ١١٠٦ .

٢) عن مسروق قال: تلت عائشة هذه الآية " يوم تبـــدل الأرض غير الأرض " قالت يا رسول الله فأين يكون الناس ؟ قال على الصراط ترمذي٢ ص/١٤٠.

٣) عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رســـول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ! كيـــف يـــأتيك الوحي ؟ الخ بخاري١ ص/٢ .

وأذكر ثلاثة أمثلة كيف سأل الصحابة رض عن فروع المسائل:

١- عن ميمونة رض أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن فـــأرة سقطت في سمن ، فقال خذوها وما حولها فاطرحوه ـــ بخاري ١ ص/٣٧ .

٢- وروي عن أم سلمة رض أنها قالت يا رسول الله ! إني امـــرأة أشد ضفر رأسي أفأنقضه لغسل الجنابة ؟ قال: لا إنما يكفيـــك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضي علـــــى ســـائر جسدك الماء فتطهرين ـــ ترمذي١ ص/١٦ .

فعلم من تلك الأمثلة بأن العربية غير كافية لفهم معاني القرآن، وأن الصحابة مع ما كانوا من أهل العربية كثيرا ما يحتاجون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في فهم الدين، ويسألون أمورا لا يفهموها ، فلذا قلنا إن القرآن مع كونه جامعا يحتاج إلى المعلم الذي يعلم معانيه ويوضح جامعيته ، وهو جامع على نظر الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا كما روي البخاري ١/ ص٣٧٦ قال (رجل) إن ابني كان عسيفا على هذا ، فزنى بامرأته ، وإني أخبرت أن على ابني الرجم ، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبروني إنما على ابني مائة جلدة وتغريب عام وان علي امرأة هذا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله والوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ، قال فغدا عليها واعترفت ، أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمها .

انظر إلى هذه الواقعة كيف قال الرسول صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، فلما قضى والحال أن الرجم والتغريب ليسا بمذكورين في القرآن ، يفهم منه أن قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم داخل تحت أصول الحدود في القرآن .

وكذا هو جامع على نظر الصحابة ، كما روي البخاري ج/٢ ص/٨٧٩ عن علقمة قال: لعن عبد الله الواشمات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله فقالت أم يعقوب ما هذا ؟ قال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي كتاب الله قالت والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته ، قال والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ٥٩/٧.

وكذا هو جامع على نظر الأئمة المجتهدين والمحدثين ، أما ترى كيف وضع الإمام البخاري كتبه وأبوابه على ألفاظ القرآن ، ثم يخرج تحته الأحاديث شرحا له ، وتارة يذكر في أول الكتاب آية من القرآن ويثبت به عنوان الكتاب ، ثم يذكر أبوابا مختلفة تحته ، كأنه يشير إلى

أن جميع الأبواب داخل تحت ذاك الكتاب ، وهذا يوضح جامعية القرآن .

كما قال الحافظ بن حزم : كل أبواب الفقه ليس منها باب الا وله اصل في القرآن نعلمه والحمد لله ، (الموافقات ج٣ ص٣٧١) وقال الإمام الشاطبي: تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلي لا جزئي وحيث جاء جزئياً فأخذه على الكلية (الموافقات ج٣ ص٣٦٦) .

وأيضاً قال : القران فيه بيان كل شئ فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة ولا يعوزه منها شئ (الموافقات٣ص٣٦٩)

وأيضاً قال : " ليس في السنة شئ الا وأصله في القرآن " فظهر من هذه النقول أن القرآن جامع لأحكام الإسلام كلياً ، حتى أن فيه إشارة لسائر العلوم العقلية والجديدة أيضاً ، كما قيل:

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال

والله أعلم .

الفائدة الحادية عشر :

في بيان جامعية أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم

لما بعث الله عز و جل رسولاً ليعلم الكتاب والحكمة فيكون أسوته أسوة كاملة جامعة ، لأنها في الحقيقة شرح القرآن ، فأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وحركاته كلها أسوة للأمة ، فما من شئ من أحوال الإنسان في حياة الفرد والمجتمع والسياسة والدولة والعبادة ، إلا له أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فالصحابة يتأسون في جميع حالاته أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهنا أذكر أمثلة كما في البخاري ج١ص٢٢٢ عن نافع أن ابن عمر رض أراد الحج عام نزل الحجاج بابن الزبير فقيل له: أن الناس كائن بينهم قتال وأنا نخاف أن يصدوك فقال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، إذن اصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكما روى البخاري ج١ص٢٣٢ عن عمرو بن دينار قال: سألنا ابن عمر عن رجل طاف بالبيت في عمرة و لم يطف بين الصفا والمروة أيأتي امرأته فقال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعاً و صلى خلف المقام ركعتين وطاف بين الصفا والمروة سبعاً ،

وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، وقال الله تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " (سورة أحزاب ٢١/٣٣) .

وأيضاً روى عن عائشة رضي الله عنها قالت كان خلقه القرآن .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم (بخاري٢ ص ١٠٨٠) .

الفائدة الثانية عشر : في بيان ربط السنة بالكتاب

اعلم أن القرآن هو الأصل الأول للتشريع الإسلامى، والحديث هو الأصل الثاني ، ويعبر عن الأول بالكتاب والثاني بالسنة ، وانزل الله تعالى هذا الشرع المتين بالكتاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا يكون للناس حجة في فهم الكتاب وأخذ التأسي ، فقد قال الله تعالى في بيان فريضة الرسول صلى الله عليه وسلم : " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آيته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة" ١٦٤آل عمران . وأيضاً قال تعالى : " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" آل عمران ٦٤

وأيضاً قال : ثم إن علينا بيانه " وغير ذلك من الآيات التي يعلم منها ، بأن الله تعالى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ليبين للناس معاني القران ومراد الله تعالى ويعلمهم ويزكيهم. فوظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم تلاوة الكتاب وتزكية النفوس وتعليم الكتاب والحكمة. وليس معنى التعليم أن يكرر الألفاظ ويعاد مرة بعد مرة ، بل فيه دخل للمعلم ، فهو يوضح المبهم ويبين المجمل ، ويشرح المشكل ، ويفصل

المختصر ، ويكشف الخبايا، ويظهر النكات ، وغير ذلك الذي يحتاج في التعليم و إلا لا يفيد هذا .

وهاهو وعد الله تعالى ان علينا بيانه وقال تعالى أيضاً : وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" فظهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشرح القرآن ويفسره حسب ما يوحى إليه ولو كان غير متلو ، فالقرآن كما أنه وحي من الله تعلى كذلك بيان الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً وحي من الله تعالى والفرق بينهما بأن القرآن كلام الله تعالى بعينه مخصوص بهذا النظم ويتضمن فيه معناه والحديث هو مراد الله تعالى غير مخصوص بالألفاظ بل معناه وحي من الله تعالى فكما أن الشرح وجيزاً كان أو بسيطاً يكون داخلا في ضمن المتن لا يخرج عنه ، فكذا جميع بيان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل تحت القرآن .

روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن كتاب الله أبهم هذا و أن السنة تفسر ذلك (جامع بيان العلم٢ ص١٩٢) .

وقال رجل عند مطرف بن شخير : لا تبين لنا سوى القرآن فقال " والله ما نريد بالقرآن بدلاً ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن (الموافقات ج٤ ص٢٦) .

معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعلم بمعاني القرآن ، فنحن نحتاج إلى بيانه قطعاً ، بل لا نفهم الكتاب أصلاً بدون السنة والحديث ، كيف نعرف كيفية الصلاة والزكاة والحج وسائر العبادات، وكيف نعلم الإيمان والاعتقادات . وكيف نطمئن بأمور المعاش والدولة ، وغير ذلك من الفاظ القرآن بدون أسوة الرسول وبيانه . ولذا قال الإمام الأوزاعي : الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب (جامع بيان العلم ج٢ ص١٩) .

وقال أبو عمر وابن عبد البر في بيان مراد الإمام الأوزاعي : يريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه ، وقال حسان بن عطية : كان الوحي يترل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبرائيل بالسنة التي تفسر ذلك ، وقال الإمام الشاطبي : لأن الكتاب يكون محتملاً لأمرين فأكثر ، فتأتي السنة يتعين أحدهما فيرجع إلى السنة ويترك مقتضى الكتاب ، ثم قال فمعنى كون السنة قاضية على الكتاب لا أنها مبينة له فلا يوقف على إجماله واحتماله وقد بينت المقصود منه " أنها مقدمة عليه " (الموافقات ج٤ ص١٠) .

مثاله إن القران بين قطع اليد للسارق ، ولكن ما بين في كم تقطع ، والى أين تقطع من اليد ، ومتى توجد السرقة ، فبقي فيه إجمال وإبهام ، فبينت السنة جميع نواحي ذلك ، حتى أمكن للناس إقامة الحد. كما تظهر من الأحاديث ، ولذا قال الإمام الشاطبي : "فكان السنة بمترلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب " (الموافقات ٤ ص١٠) .

روي عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله كما في الميزان " لولا السنة ما فهم أحد منا القرآن " ، وعن الإمام الشافعي رحمه الله " جميع ما تقوله الأئمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن" ، وسئل أحمد بن حنبل عن الحديث الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب فقال ما أجسر على هذا ، ولكني أقول أن السنة تفسر الكتاب (الموافقات) .

فعلم من هذه النقول والنقاط أن السنة له مكانة عظمية في فهم الكتاب ، لو لم يبعث الله تعالى رسولاً و لم يأت الرسول بالسنة ، لا يمكن لآحاد الناس فهم معاني القرآن وأحكامه ودرك مراد الله تعالى ، فظهر أن لهذه صلة وطيدة بالقرآن ، وربط شديد بالكتاب فههنا نذكر أمثلة لهذا المضمون والمسألة .

أما حل مشكلات القرآن في الأحاديث فمثاله قد مر من قبل وأذكر مثالاً آخر :

قال الله تعالى: " والذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" ٩/٣٤ . فحزن الأصحاب وهم ولو كانوا غرباء فقراء ، ولكن بعضهم كان غنياً ، فبعد أن أدى الزكاة يبقى مال كثير ، فتردد هل هذا أيضاً يوجب العذاب ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أدى الزكاة فليس يكتر" ، وأيضاً قال: أن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم" ، فزال التردد واطمأنت قلوبهم ، كما روي البخاري١ صـ١٨٨ عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال أعرابي:

أخبرني عن قول الله : "والذين يكترون الذهب والفضة" قال ابن عمر: من كترها فلم يود زكاتها فويل له ، إنما كان هذا قبل أن تترل الزكاة ، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال، فلو لم توجد هذه الأحاديث كيف يفهم مراد القرآن ؟

أما تفسير القرآن بالأحاديث فأمثلته كثيرة منها (١) قال الله تعالى : " وعلى الثلاثة الذين خلفوا" ٩/١١٨

ففي هذه الآية من هم الثلاثة ؟ وما معنى التخلف ؟ والى أي قصة أشيرت ؟ فلتفسير هذه الأمور لابد أن يرجع إلى الأحاديث ، ففي هذه الاية إشارة إلى قصة تبوك ، والثلاثة الذين تخلفوا عن الغزوة هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية .

فروى البخاري ج٢ص٦٣٦ ، قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله "وعلى الثلاثة الذين خلفوا" ، وليس للذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو ، وانما هو تخليفه ايانا وارجاءه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه ، فلو لم ينظر أحد إلى هذه الواقعة وبيان الصحابة كيف يفهم تفسير هذه الآية ؟

(٢) قال الله تعالى: "فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم" ٥٩البقرة .

وفي آية أخرى "وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم" ٢/٥٨ فبدل الظالمون هذا القول وقالوا بدله غيره ، ولكن ما الذي قالوه بدل الذي قيل لهم ، لم يوجد في القران بيانه ، ففسره النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في البخاري ٢ص٦٤٣ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال: قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب ساجداً وقولوا حطة ، فدخلوا يزحفون على استاههم فبدلوا وقالوا حبة في شعرة ، فلو لم يفسر النبي صلى الله عليه وسلم هذا التفسير فلا سبيل لنا إلى فهمه .

(٣) قوله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً ٢/١٤٣ ، ففي هذه الآية لم يبين كيف الشهادة ومتى تقع ؟

ففسرها النبي صلى الله عليه وسلم كما في البخاري ٢ صـ ٦٤٥ عن أبي سعيد الخدري رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدعى نوح يوم القيامة ، فيقول لبيك و سعديك يا رب ، فيقول هل بلغت ؟ فيقول نعم ! فيقال لأمته هل بلغكم ؟ فيقولون: ما أتانا من نذير ، فيقول: من يشهد لك ، فيقول: محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ، فذلك قوله جل ذكره وكذلك جعلناكم أمة وسطاً الخ ، فلو لم يفسرها النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم معناها أحد .

أما بيان مجملات القران فهو ظاهر ، لأن القرآن ذكر الصلوات والصوم والزكاة والحج وغير ذلك من أحكام العبادات والمعاملات ولكن فيها تفاصيل قطعاً ، فالسنة تفسر ذلك . مثاله : قال الله تعالى:

" أقيموا الصلاة " ، ففيه أمر للصلاة فقط ، ولكن ليس فيه كيف افتتاح الصلاة وكيف رفع اليدين والى أين ترفع والى أي جهة تستقبل الأصابع و ترسل اليدين أو تضع واحدة على الآخر وغير ذلك من الكيفيات التي لم تبين في القرآن ، وكذلك قال تعالى "وآتوا الزكاة" وليس في القرآن تفصيل الأنصبة وفي أي مال تجب وبأي شرط تجب وغير ذلك من التفصيلات ، وقس على هذا جميع العبادات والمعاملات التي بينها القرآن مجملة غير مفصلة ، فلو لم تفسر السنة تلك المجملات لم يمكن لأي شخص كان ان يعمل بها ويفهم معانيها ، فبالحقيقة أن السنة شرح القرآن قطعاً كما قال الإمام الشاطبي أن السنة بمترلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب .

الفائدة الثالثة عشرة :

في بيان صفات الرسول صلى الله عليه وسلم على ضوء القرآن.

(١) الرسول لا يكون رسولاً من كسب نفسه ولا من مشورة قومه ولا من الدعوى من سلطته ، بل يكون من اصطفاء الله تعالى وانتخابه ، وليس فيه دخل للناس مثل الرزق ، كما أن الرزق مقسوم بقسمته تعالى ، كذلك الرسالة والنبوة في قدرته تعالى ، كما قال تعالى: "أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم" ٤٣/٣٢. والى هذه النقطة أشار قوله تعالى " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس" ٢٢/٧٥ .

(٢) ولما كان الرسول من اصطفائه تعالى فالله تعالى يعلم بأوصاف الرسول وصفاته التي لا بد منها في الرسول وإليه اشار قوله تعالى " الله أعلم حيث يجعل رسالته " ٦/٢٤ .

(٣) وإذا كان الاصطفاء من قدرته تعالى فنظام التعليم للرسول أيضاً يكون بقدرته الخاصة ، لا يتعلم من الناس واليه أشار قوله تعالى" اقرأ باسم ربك الذي خلق " ٩٦/١٠.

(٤) فقراءة الرسول من الله تعالى "لا ينسى إلا بمشيئته كما قال تعالى سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله " ٨٧/٦ .

(٥) ثم فهم معاني القرآن وبيانه على الله تعالى فهو يتكفل به كما قال تعالى " ثم إن علينا بيانه " .

(٦) فكما أن الله تعالى تكفل بتعليم الرسول كذلك تكفل بتربية الأخلاق للرسول أيضاً ، كما قال تعالى : " ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا" ٣١/١٨. وقوله تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه" ١٨/٢٨ وقوله تعالى: "واخفض جناحك للمؤمنين" ١٥/٨٨.

وقوله تعالى : " ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا " ١٥/٨٨.

وقوله تعالى: " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط" ١٧/٩. وغير ذلك من الآيات التي أشار فيها إلى تربية أخلاق

الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أعلن الله تعالى بقوله " إنك لعلى خلق عظيم "

(٧) كما أن الله تعالى يراعي تعليم الرسول وتربيته كذلك يراعي جسمه أيضاً فيعصمه كما قال الله تعالى " والله يعصمك من الناس" ٥/٦٧ .

فعلم بهذه الآية أن الرسول صار معصوماً من القتل والشهادة بأيدي الكفار .

(٨) إن الله تعالى يراعي عواطف قلب الرسول و ميلانه . كما قال تعالى: " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً " ١٧/٧٤. وتثبت منها عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٩) ولهذه العصمة ولأن يطمئن الناس على الرسول ، أعلن الله تعالى بعدم اتهام الكذب من الرسول كما قال تعالى "ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا عنه الوتين" ٦٩/٣٣ .

(١٠) ولهذه الرعاية الربانية والتعليم الرباني والعصمة يكون الرسول معصوماً عن الهوى والطغيان ، فما ينطق عن هوى قط واليه

أشار قوله تعالى " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" ٥٣/٤ .

(١١) ولهذه النقطة : فالذي يقضي الرسول في معاملات الناس ، فهو يكون من إراءة الله تعالى بالحق لا باتباع الهوى كما قال تعالى : " إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " (نساء) ١٠٥/٤ .

(١٢) فلما ثبت من ما ذكرنا أن الرسول معصوم من الهوى والغي ، ويحكم بإراءة الله تعالى ويقضي ، والتعليم والتربية كله بقدرته تعالى ، فيلزم أن يكون الرسول أسوة لجميع الناس ونموذجاً للهداية ، واليه أشار قوله تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " (أحزاب) ٣٣/٢١ .

(١٣) لما بعث الله الرسول لإرشاد الناس وهدايتهم ، وهو أسوة لهم ، جعل في قلبه محبة الناس والأمة ، وهم يحبونه حتى يكون أقرب من أنفسهم ، واليه أشار قوله تعالى : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم " وقوله تعالى " لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا " (الكهف) ١٨/٦.

وقوله تعالى " لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين" (شعراء) ٢٦/٣. وقوله تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم" (توبة) ٩/١٢٨.

(١٤) فيجب على الأمة احترام الرسول حتى تكون أزواجه مثل أمهاتهم كما قال تعالى: "وأزواجه أمهاتهم" ٣٣/٦.

(١٥) لا يجوز لأحد أن يتقدم بالكلام بين يدي الرسول كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله " (حجرات) ٤٩/١ .

(١٦) ولا يجوز رفع الصوت والجهر بالقول بين يديه مخافة حبط الأعمال كما قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون " (حجرات) ٤٩/٢ .

(١٧) ولا يجوز الدعاء والنداء للرسول كآحاد من الناس كما قال تعالى : " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً " (نور) ٢٤/٦٣.

(١٨) فالنداء من وراء الحجرات ليس من أمر العقل بل هو سخافة فلا يجوز هذا ، كما قال تعالى: "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (حجرات) .

(١٩) البيعة على يد الرسول هي البيعة من الله تعالى كما قال تعالى : " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم" (الفتح) ٤٨/١٠ .

(٢٠) إطاعة الرسول إطاعة الله تعالى كما قال تعالى : "من يطع الرسول فقد أطاع الله" ٤/٨٠ .

(٢١) وعدم إطاعة الرسول وعدم امتثال أمره هو بالحقيقة الحرب من الله ورسوله ، كما قال تعالى: "فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله " ٢/٢٧٩.

(٢٢) ولا خيار لأحد أن يرد قضاء الرسول ويقول فيه شيئا كما قال تعالى : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم (أحزاب) ٣٣/٣٦.

(٢٣) بل التسليم والقبول لحكم الرسول وقضائه فرض للأمة كما قال تعالى: " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر

بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما" (نساء) ٤/٦٥ .

(٢٤) لا يصح دعوى المحبة لله إلا باتباع الرسول ، فاتباعه ميزان المحبة لله كما قال تعالى : " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني" (آل عمران) .

(٢٥) جعل الله تعالى إطاعة الرسول علامة الإيمان كما قال تعالى : " أطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين " .

(٢٦) وكذا جعله علامة الهداية كما قال تعالى : " إن تطيعوه تهتدوا " (نور) ٢٤/٥٤ .

(٢٧) وكذا جعله علامة الفوز العظيم كما قال تعالى : " ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً " ٣٣/٧١ .

(٢٨) وكذا جعله سنداً لدخول الجنة كما قال تعالى : " من يطع الله ورسوله يدخله جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها " (نساء) ٤/١٣ .

(٢٩) وكذا جعله سبباً للرحمة كما قال: " وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون" (آل عمران) ٣/١٣٢ .

(٣٠) وجعل مخالفة أمر الرسول وعصيانه سبباً للفتنة والعذاب الأليم كما قال تعالى: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (النور) ٢٤/٦٣ .

(٣١) وكذا جعله سبباً للضلال كما قال تعالى: " ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً " ٣٣/٣٦.

(٣٢) وكذا جعله علامة النفاق كما قال تعالى وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً " (نساء) ٤/٦١ .

(٣٣) وكذا جعله سبباً لدخول جهنم كما قال تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولي ونصله جهنم وساءت مصيراً " (نساء) ٤/١١٥ .

(٣٤) الرسول لا يكون تابعاً لمجلس المشاورة بخلاف الناس كما قال تعالى فإذا عزمت فتوكل على الله والامام البخاري ترجم على هذه باباً مستقلاً يقول : باب قول الله وأمرهم شورى بينهم و شاورهم في الأمر وان الإشارة قبل العزم والتبيين لقوله "فإذا عزمت فتوكل على الله " فإذا عزم الرسول لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله .

(٣٥) وإذا وقع التنازع بين أولي الأمر من الأمراء والحكام أو من العلماء والمجتهدين فيجب حينئذ الرجوع إلى الله والرسول وهذا هو الفيصل كما قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً (نساء) ٤/٥٩ .

(٣٦) الغرض من بعثة الرسول إطاعة الناس إياه كما قال تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله " (نساء) ٤/٦٤ .

(٣٧) كما أن إطاعة الله مأمور مستقلاً كذلك إطاعة الرسول أيضاً مأمور من الله تعالى مستقلاً كما قال تعالى " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، هذا يشير بأن أحكام الشرع كما تثبت بالقرآن كذلك تثبت بأمر الرسول أيضاً .

(٣٨) إن الرسول يأمر أمته باتباعه كما يأمر باتباع الله تعالى ، كما قال الله " فاتقوا الله وأطيعوني"(شعراء) ٢٦/١٠٨. "واتقوه و أطيعون" ٧١/٣. وغير ذلك .

(٣٩) إن الله تعالى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ، حيث لا يحتاج إلى نبي آخر في أي وقت وفي أي مكان كما

قال تعالى : " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ٧/١٥٨" وقال تعالى : " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون" ٣٤/٢٨ .

(٤٠) فهو خاتم النبيين بحيث لا يجئ بعده نبي ولا رسول ، ولا جرم أن ختم النبوة صفة لازمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن ينكر ختم النبوة فهو خارج عن دائرة الإسلام كما قال تعالى : ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ٣٣/٤٠ .

(٤١) وبعثه تعالى شاهداً ومبشراً نذيراً وداعياً وسراجاً ومنيراً ورحمة للعالمين . كما قال تعالى : "يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً " ٣٣/٤٥ .

وغير ذلك من الآيات التي تبين شان الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته وهذه تدل صراحة على أن إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته واجب الإتباع ولها حيثية التشريع — وأن الحديث حجة شرعية تثبت منه الأحكام الشرعية مثل القرآن .

(٤٢) قال الله تعالى : وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة (نساء) ٤/١١٣. وقال تعالى : واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة (بقرة) ٢/٢٣١ . وغير ذلك من الآيات التي ذكر فيها لفظ حكمة ــ وهي ثمانية عشر آيات ــ يظهر من هذه الآيات أن الله تعالى أنزل مع القرآن شيئاً آخر الذي هو الحكمة ، فما معنى الحكمة ؟ ففيه أقوال ذكرها أهل اللغة والتفسير . فقال ابن دريد ــ فكل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك من قبيح فهي حكمة (جمهرة اللغة ج٢ ص١٨٦) .

وقال في لسان العرب " والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ــ (١٥/٣٠) .

وقال الراغب : في مفردات القرآن ــ الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل (ص١٢٦) .

وقال ابن حبان الأندلوسي في التفسير بحر المحيط قال مالك وأبو رزين : الحكمة الفقه في الدين والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى .

وقال مجاهد : الحكمة فهم القرآن .

وقال مقاتل : وهو العلم والعمل به .

وقال أبو جعفر: كل صواب من القول ورث فعلا صحيحا فهو حكمة . وقال الطبراني : في تفسيره قال مالك : الحكمة المعرفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له ، وفال ابن زيد الحكمة الدين الذي لا يعرفونه إلا به صلى الله عليه وسلم يعلمهم إياها . قال والحكمة العقل في الدين ، قال والحكمة شئ يجعله الله في القلب ينور له به ، وعن قتادة والحكمة أي السنة تم قال الطبري .

والصواب من القول عندنا في الحكمة أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم .وقال الإمام الشافعي في الرسالة ص٢٤ وسمعت من أرضي من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا قال فيه ص٢٨ وسنته الحكمة التي القى في روعه عن الله عز وجل .

فهذه الأقوال ترجع إلى السنة بالحقيقة وتلك الألفاظ اختلفت في التعبير والمعنى واحد . فعلم أن الله تعالى أنزل السنة كما أنزل القرآن ولو كان بينهما فرق بحسب النزول ـ فيجب اتباع حكمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي أخباره وأحاديثه وهي حجة شرعية للأحكام .

لفائدة الرابعة عشرة : في فضائل الصحابة وعدالتهم

اختلف العلماءفي تعريف الصحابي ، قال البخاري: من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، وقال أحمد بن حنبل رح : كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه . وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه (الكفاية) .

وقال ابن حزم : أما الصحابة فهو كل من جالس النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة ، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها ، أو شاهد منه عليه السلام أمرا يعيه ، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك، ولا مثل من نفاه عليه السلام باستحقاقه كحديث المخنث ومن جرى مجراه ، فمن كان كمن وصفنا أولا فهو صاحب (الإحكام في أصول الأحكام ص٨٦٦) .

وقال ابن الصلاح : وبلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال : أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثا أو كلمة ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، وغير ذلك من أقوال العلماء ، وأولاها بالقبول ما قال ابن حجر العسقلاني في شرح النخبة والإصابة . فقد قال: واصح ما وقفت عليه

من ذلك أن الصاحبي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام ، فيدخل فيمن لقي من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه دون من لم يره كالعارض ، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو اسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى ولو تخللت ردة في الأصح ، والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة ، ومن خالف هذه العقيدة فهو من المعتزلة أو الروافض والشيعة .

العدل لغة هو الذي لا يميل به الهوى فيجوز في الحكم ، والعدل من الناس لمرضى قوله وحكمه ، ورجل عدل رضي ومقنع في الشهادة (لسان العرب) .

وفي هذا المعنى نفسه استعملت كلمة العدل في كتاب الله قال تعالى : " واشهدوا ذوي عدل منكم" ٢/٦٥. قال الطبراني في تفسيره وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما.

وقال تعالى : "ممن ترضون من الشهداء" ٢/٢٨٢. وفسره الطبراني يعني من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم .

والعدالة في اصطلاح المحدثين : أن يكون الراوي مسلماً بالغاً سليماً من أسباب الفسق وخوارم المرؤة (تدريب الراوي ١٩٧) .

وسئل ابن المبارك عن العدل فقال من كان فيه خمس خصال يشهد الجماعة ولا يشرب هذا الشراب ولا تكون في دينه خربة ولا يكذب ولا يكون في عقله شئ (الكفاية ص ١٣٦) .

وقال الشيخ العلامة العثماني في مقدمة فتح الملهم شرح المسلم ، وقد فسر العدالة بأنها ملكة تمنع عن اقتراف الكبائر والإصرار على الصغائر ، وقال بعضهم هي ملكة تمنع عن اقتراف الكبائر وعن فعل صغيرة تشعر بالخسة كسرقة باقة بقل ، وقال بعضهم من كان الأغلب من أمره الطاعة والمروة قبلت شهادته وروايته ومن كان الأغلب من أمره المعصية وخلاف المروة ردت شهادته وروايته .

قال الغزالي في المستصفى : العدالة في الرواية والشهادة عبارة عن استقامة السيرة في الدين ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس ، تحمل على ملازمة التقوى والمروة جميعاً، حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه فلا ثقة بقول من لا يخاف تعالى خوفاً وازعاً عن الكذب ، ثم لا خلاف في أنه لا تشترط العصمة من جميع المعاصي ، ولا يكفي أيضاً اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرويه كسرقة بصلة وتطنيف في حبة قصداً ، وبالجملة كل ما يدل على ركاكة دينه إلى حد يجترئ على الكذب للأغراض الدنيوية ، كيف وقد شرط في

العدالة التوقى عن بعض المباحات القادحة في المروة نحو الأكل في الطريق والبول في الشارع وصحبة الارذال والإفراط في المزاح .
وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : إذا كان الأغلب الطاعة فهو المعدل وإذا كان الأغلب المعصية فهو المجرح (الرسالة ص٤٩٣ والكفاية ص١٣٨) .

فجميع الأوصاف والصفات التي لا بد منها للعدالة موجود في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه أتم وبدرجة أكمل ، فقد كانوا عدولاً مرضين عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين ، ومظاهر لكمالات الرسول عليه السلام ومصاديق آيات الإيمان والهداية والتقوى على الأولية ، وبينات صادقات على رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم اول المخاطبين و المؤمنين ، قد حملوا العلم والدين والهداية عن الرسول صلى الله عليه وسلم . فيجب أن يكونوا عدولاً .
فهنا نذكر الأدلة على عدالتهم من كتاب الله تعالى :
(١) قال تعالى : " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود " (فتح ٣٩) . أشير فيها إلى أمور منها أنه تعالى ذكر الصحابة أدلة على صدق رسوله

ومعرفته ، ومنها أنهم مظاهر للرسول صلى الله عليه وسلم حيث ذكر والذين معه فهذه المعية صفة ثمينة تشير إلى سراية كمالات الرسول عليه السلام إليهم .

ومنها أنهم كامل الإيمان أشداء على الأعداء والرحماء بين المؤمنين ، ففي جميع المشاجرات والاختلافات فيما بينهم لا يكون هذا من عداوة أو حسد أو بغض .

منها أنهم عاملين دائماً ليسوا كالمنافقين ، ومنها أنهم يبتغون رضوان الله تعالى في جميع حالاتهم وأفعالهم ، بحيث لا يكون مطمح نظرهم الا الله ، لا الدنيا والمال ، وأيضاً لا يكون عن الحسد والعداوة فهذه الأمور تنادي بصوت أعلى بأن الأصحاب عدول مرضيون عند الله .

(٢) والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه و أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم (التوبة ١٠٠) .

ففي هذه الآية جعل الله تعالى رضوانه لجميع المهاجرين والأنصار ، الذين من السابقين الأولين من المؤمنين ، ولجميع من

اتبعوهم بالإحسان إلى يوم القيامة من المتأخرين ، فالصحابة كلهم مرضيون عند الله وعدول .

(٣) للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرن الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف الرحيم .(الحشر ٨-٩-١٠) .

ففي هذه الآيات قسم الله تعالى أمة حبيبه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أصناف ، صنف المهاجرون الذين هاجروا ابتغاء رضوان الله تعالى ونصروا الله ورسوله ، فوصف الله لهم بأنهم هم الصادقون ـ وصنف الأنصار الذين جعلوا الدار والإيمان مبوأ ومبينا يحيطهم بجوانب بين بأنهم يحبون المهاجرين ويؤثرونهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وينصرون الله ورسوله ، وليس بهم شح الأنفس فيبذلون الأنفس والأموال في سبيل الله ، فأولئك هم المفلحون ، وصنف المؤمنون الذين

ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولكنهم صالحين وفي قلوبهم محبة للأولين ويستغفرون لهم ويدعون لأنفسهم بأن لا يجعل الله في قلوبهم غلا وبغضاً وعداوة لهم يبين بأن ربك عليهم رؤوف رحيم فيكونوا من الذين نالت الرافة والرحمة من ربهم بمحبتهم لإخوانهم من المهاجرين و الأنصار ــ أنظر كيف مدح الله تعالى المهاجرين والأنصار من الصحابة جعلهم صادقين مفلحين وجعل حبهم دليلاً الرافة والرحمة من ربهم فكيف لا يكون الصحابة عدولاً مرضيين عند الله تعالى .

(٤) لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً (الفتح ١٨) .

أعلن الله تعالى في هذه الآية رضوانه لاصحاب بيعة الرضوان ويقول أنه يعلم ما في قلوبهم وهم مؤمنون فبهذه الشهادة تثبت عدالتهم صراحة .

(٥) لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم (التوبة ١١٧) .

هذه الآية في غزوة تبوك في سنة ثمان من الهجرة وكان عدد الصحابة في هذه كثيراً كما قال كعب بن مالك : لا يجمعهم كتاب

حافظ يريد الديوان فما رجل يريد أن يتغيب الا ظن أن سيخفي لـه (البخاري) .

وفي كتب السير كان عدد الصحابة ثلاثون ألفا أو أربعون ألفاً. ففي هذه الآية مدح الله تعالى جميع الصحابة ونالت لهم الرأفة والرحمة فهذه شهادة بينة لعدالتهم كما لا يخفى.

(٦) فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا و أن تولوا فإنما هم في شقاق (البقرة ١٧٣) .

ففي هذه الآية جعل الله تعالى إيمان الصحابة ميزان للهداية فان لم يؤمن أحد مثل إيمان الصحابة فلن يقبل إيمانه بل هو في ضلال فثبتت منها العدالة صراحة .

(٧) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً (النساء ١١٥) .

يقول الله تعالى بأنه من يتبع غير سبيل المؤمنين اعني سبيل الصحابة فهو من أهل الضلال والغواية ويصلى جهنم ويفعل هذا من يخالف الرسول ويشاققه فقط فهذا يدل على أن الصحابة عدول وميزان للهداية حقاً .

(٨) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (البقرة ١٣).يقول الله

تعالى في حق المنافقين إذا قيل لهم آمنوا مثل إيمان الناس أي الصحابة أنكروا ذلك يطهر منه أن إيمان الصحابة ميزان صحيح للهداية والحق والإنكار منه نفاق فتثبت عدالة الصحابة قطعاً .

(٩) لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنة (الحديد١٠) .

يعلم منه بأن الصحابة الذين أنفقوا قبل فتح مكة وقاتلوا فهم أعظم درجة من الذين أنفقوا بعد وقاتلوا ومع ذلك يقول الله تعالى في حق كلهم وكلا وعد الله الحسنى ــ والحسنى هي الجنة باتفاق المفسرين فالصحابة كلهم من أهل الجنة وهم مرضيون عند الله تعالى فبهذه الشهادة القرآنية ظهرت عدالتهم بلا ريب .

(١٠) لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين (آل عمران ١٦٤) ففي هذه الآية الكريمة وفي أمثالها بين الله عزوجل فرائض الرسالة والنبوة بأن النبي صلى الله عليه وسلم يتلو على المؤمنين آياته تعالى كما أمر الله بتلاوته ولذا ترى سائر المؤمنين في العالم يتلون على نهج واحد لا على اللغة العادية فهذا يدل

بان الرسول صلى الله عليه وسلم علم التلاوة بالصحة والصحابة رضوان الله تعالى أخذوها حقاً كما أمروا وعلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم والى الآن بقيت التلاوة بتوسط علم التجويد والقراءة

فكما أن الصحابة في علم التجويد والقراءة ميزان صحيح فكذلك هم موازين للتزكية وتعليم الكتاب والحكمة ـ لأن التزكية والتعليم أيضاً من فرائض الرسالة وقد أدى الرسول صلى الله عليه وسلم فرائضه حق الأداء . فيلزم أن يتزكى الصحابة بتزكية الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً والا يلزم على الرسول صلى الله عليه وسلم النقص في آداء الفريضة فعلى ضوء هذه الآية تثبت تزكية الصحابة صراحة وبهذه تثبت العدالة قطعاً .

(١١) "وكلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس" ١٤٣/٢ ، ففي هذه الآية الكريمة خطاب للصحابة أولاً ولسائر المسلمين تبعاً ـ ويقول الله تعالى بأن الصحابة أمة وسط والوسط هو الذي يكون بين الإفراط والتفريط ويكون متوسطاً معتدلاً . وهذه صفة العدالة وأيضا قال أنهم شهداء والشهادة دليل العدالة فتثبت من هذه الآية عدالة الصحابة قطعاً .

(١٢) " كنتم خير أمة أخرجت للناس " ١١٠/٣ ،

لقب الله تعالى هذه الأمة بخير أمة وأول المخاطبين منهم هـــم الصحابة فيكونون خير أمة ولا تثبت هذه الا بعد تسليم عدالتهم .

(١٣) ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكـــره إليكم الكفر والفسوق والعصيان (حجرات ٧) خاطب الله تعالى فيها إلى الصحابة فلما حبب الله إليهم الإيمان وينه في قلوبهم وكره إليـــهم الكفر والفسوق والعصيان فيكونوا عدولاً قطعاً وهذه آيـــة تنـــادي بصوت أعلى بعدالتهم .

(١٤) أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى (الحجرات ٣) .

أشار الله تعالى إلى الصحابة بأنه تعالى امتحنهم للتقوى وهذه شـــهادة لهم على تقواهم فتثبت عدالتهم يقيناً لأن التقوى هو أصلها .

(١٥) والزمهم كلمة التقوى (الفتح ٢٦) لما الزم الله تعـــالى للصحابة التقوى فيكونوا عدولاً قطعاً إذ ملازمة التقوى وهي معـــنى العدالة .

(١٦) الذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بـــأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أولئك هم الفائزون (البراءة ٢٠)

ذكر الله تعالى في هذه الآية بأن المؤمنين والمـــهاجرين والمجـــاهدين في سبيل الله لهم اعظم درجة وهم الفائزون عند الله ،

فهي تشير إلى عدالتهم والا كيف يكونوا فائزين .

(١٧) لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرة وأولئك هم المفلحون (براءة ٨٨) وفي هذه الآية ذكرهم الله تعالى بأنهم هم المفلحون ، وذكر الله الفلاح للرسول وللصحابة معاً ، فتثبت العدالة والا يلزم أن ينكر عدالة الرسول أيضا .

(١٨) ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (أنبياء) قال ابن حزم هذه الآية نزلت في شان الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين وهم مبعدون عن النار وكتب لهم الحسنى في علم الله السابق فلما ذكر فيها ان الصحابة مبعدون عن النار فلزمت عدالتهم والا لم يكونوا مبعدين .

(١٩) يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، (أنفال ٦٤) يعلم من هذه الآية بأن الله تعالى يكفي للنبي ولمن يتبعه من المؤمنين للهداية والنجاة فلا يضلون قطعاً ، وهذه إشارة إلى معنى العدالة وأول المصاديق هم الصحابة ، فيكونون عدولاً .

(٢٠) "اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم "

ذكر في هذه الآية بان الصراط المستقيم هو صراط المنعمين الذين هم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وذكر مع النبيين ثلاثة أصناف من الأمة والصحابة هم أول مصاديقها فصراطهم هو الصراط المستقيم وقد أمر الله باتباع هذا الصراط فلو لم يكن الصحابة عدولا فكيف يكون طريقهم وصراطهم صراطاً مستقيماً .

اما من الأحاديث فهي كثيرة لأن الأحاديث في مناقب الصحابة جماعة أو واحدا فواحداً كلها يدل على فضائلهم وشرفهم عند الله ورسوله وهو يدل على عدالتهم فأذكر ههنا نبذة منها :

(١) عن أبي سعيد الخدري رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم انفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصفه ترمذي ٢٢٦/٢ بخاري ٥١٨/١ .

(٢) عن عبد الله بن مغفل رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن أذاهم فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله ومن أذى الله يوشك أن يأخذه (ترمذي ٢٢٦/٢) .

(٣) عن بريدة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد من أصحابي يموت بارض الله بعث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة (ترمذي ٢/٢٢٧) .

(٤) عن ابن عمر رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم (ترمذي ٢/٢٢٧) .

(٥) عن عبد الله بن مسعود رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم (ترمذي ٢/٢٢٦ بخاري ١/٥١٥) .

(٦) عن جابر بن عبد الله رض يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني (ترمذي ٢/٢٢٦) .

(٧) عن أنس بن مالك رض قال قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انا نسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . فضائل الصحابة لإمام أحمد ١/٥٣.

(٨) عن عطاء بن أبي رباح مرسلاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظني في أصحابي كنت له يوم القيامة حافظاً من سب أصحابي فعليه لعنة الله . (فضائل الصحابة ١/٥٤) .

(٩) عن ابن عمر رض يقول لا تسبوا أصحاب محمد لمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره (فضائل الصحابة ١/٥٧) وفي رواية خير من عبادة أحدكم أربعين سنة (١٢/٦١) .

(١٠) عن أبي موسى رض قال قال النجوم آمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعد ، وانا امنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى اصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي اتى أمتي ما يوعدون ـــ (مسلم ٢/٣٠٨) .

(١١) عن الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي في الناس كمثل الملح في الطعام وفي رواية قال الحسن وهل يطيب الطعام الا بالملح (فضائل الصحابة ١/٥٨).

(١٢) عن ابن عباس رض قال لا تسبوا أصحاب محمد فان الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم انهم سيقتلون (٥٩/فضائل الصحابة) .

(١٣) عن ميمون بن مهران قال ثلاث ارفضوهن سب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والنظر في النجوم والنظر في القدر (فضائل الصحابة ١/٦٠)

(١٤) عن ابن مسعود رض قال من كان مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة ابرها قلوباً وأعمقها علماً واقلها تكلفاً اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فالهم كانوا على الهدى المستقيم رواه رزين .

(١٥) عن ابن عباس رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مهما أو تيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية فان لم يكن سنة مني ماضية فما قال أصحابي ان أصحابي بمترلة النجوم في السماء فأيها أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة (مقدمة إصابة والكفاية) .

(١٦) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي فأوحى الله إلى يا محمد أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أضوأ من بعض فمن أخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى .(مقدمة إصابة)

(١٧) وحديث الإمام الشافعي بسنده إلى أنس بن مالك رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اختارني واختار أصحابي فجعلهم أصهاري وجعلهم أنصاري وأنه سيجئ في آخر الزمان قوم ينتقصونهم الا فلا تناكحوهم الا فلا تنكحوا إليهم الا فلا تصلوا معهم الا فلا تصلوا عليهم حلت اللعنة . (مقدمة إصابة) .

(١٨) قال الإمام أبو زرعة إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق — لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق وانما ادى الينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله وانما يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة (الكفاية للخطيب البغدادي) .

(١٩) عن عويم بن ساعدة مرفوعاً ان الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي فيهم وزراء وأنصاراً واصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً (أخرجه الطبراني والحاكم كذا في المرقاة ١١/٢٧٤) .

قال الإمام النووي : اعلم ان سب الصحابة حرام من أكبر الفواحش ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ، وقال بعض المالكية بقتل وقال القاضي عياض سب أحدهم من الكبائر .

وفي المرقاة وأصحابه كلهم عدول مطلقاً بظواهر الكتاب والسنة واجماع من يعتد به وأيضاً قال وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء والصحابة الأخيار والحروب التي جرت بينهم كانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم متاولون في حروبها ولم يخرج أحد منهم من العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل كما اختلف المجتهدون بعدهم في مسائل ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم ــ مرقاة ١١/٣٧٣ .

قال ابن عابدين في رسائله ١/٣٥٢ ان افضل الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين نصروه وبذلوا مهجهم في مرضاته

وليس من مؤمن ولا مؤمنة الا ولهم في عنقه أعظم منة فيجب علينا تعظيمهم واحترامهم ويحرم سبهم والطعن فيهم ونسكت عما جرى بينهم من الحروب فانه كان عن اجتهاد هذا كله مذهب أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة وهم الصحابة و التابعون و المجتهدون ومن خرج عن هذا الطريق فهو ضال أو مبتدع أو كافر .

وقال الخطيب والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما في نص القرآن وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له إلى أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأقوال وقتل الأبلء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لتراهتهم وانهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجتنبون من بعدهم أبد الآبدين (الكفاية ص ٤٩) .

وقال الحافظ ابن كثير الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة وقول المعتزلة الصحابة عدول الا من قاتل علياً قول باطل مرذول ومردود (الباعث اكثيث) .

الفائدة الخامسة عشرة :

في تحقيق المعجزات والآيات البينات :

لما كان محمد صلي الله عليه وسلم بعث رسولا إلي جميع الثقلين ، جنهم وانسهم عربهم وعجمهم ، وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، كان من نعمة الله علي عباده ومن تمام حجته علي خلقه أن تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق الذين بعثه إليهم .

ومن عادة الله تعالي كلما يبعث نبيا أو رسولا يعطي معه آيات بينات التي تدل علي صدق نبوته ورسالته ، فالآيات والبراهين الدالة علي نبوة محمد صلي الله عليه وسلم كثيرة متنوعة ، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء عليهم السلام ، ويسميها من الناس معجزات ، وتسمي أيضاً دلائل النبوة وأعلام النبوة .

ولكن إذا سميت تلك بآيات الأنبياء كانت أدل علي المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات ، موجودا في الكتاب ، وإنما فيه لفظ الآية والبينات والبرهان كما قال تعالي في قصة موسى عليه السلام : فذانك برهانان من ربك ٢٨/٣٢ ، أي

عصا وليد ، وقال تعالي في حق محمد صلي الله عليه وسلم: يا أيـــها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا" ٤/١٧٤.
وأما لفظ الآيات فكثيرة في القران كقوله تعالي: ولقد أتينـــا
موسى تسع آيات تينات ١٧/١٠١. وقوله تعالي: هذه ناقة الله لكـــم
آية ٧/٧٣ ، قوله تعالي: ما تأتيهم من أية من الآيات ربهم إلا كـــانوا
عنها معرضين ٦/٤ ، وغير ذلك من آيات التي ذكر فيـــها لفـــظ
البرهان والبينة و الآية ، وكلها تدل علي صداقة النبوة والرسالة ،
وهذه الألفاظ أدل علي المقصود من لفظ المعجزات ، لأن لفظ
المعجزة يدل علي أنه أعجز غيره ، كما قال تعالي وما هم بمعجزيـــن
٢٩/٥ ، وقال تعالي وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في الســـماء
٢٩/٢ ، وهذا اللفظ لا يدل علي كون ذلك أية ودليلا .
ولهذا كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزا إلا ما كـــان
للأنبياء فقط ، وما كان من الأولياء أن ثبت لهم خرق عادة سماهـــ
كرامة ، والسلف كالإمام أحمد وغيره كانوا يسمون هذا معجـــزة
ويقولون لخوارق الأولياء أيضاً أنها معجزات ، لأنه لم يكن في اللفـــظ
ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك ، بخلاف ما كان أية وبرهانـــا
علي نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه .

وبالجملة لفظ المعجزة ضيق النطاق لأنه يطلق في عامـــ النظر بأنه أمر خارق للعادة يأتي به النبي المرسل من عند الله تعـالى ويتحدى به الناس أن يأتوا بمثله فيعجز ون عن ذلك ، فيكون هـذ دليلا علي أنه مرسل من عند الله حقا ، وليس هذا بدعوى كاذبة من عند نفسه .

فههنا من أهم المباحث بيان حقيقة المعجزات، لأن فيها خـرق العادة ونظام الفطرة وفي هذا الأمر اختلاف بين الحكماء والفلاسـفة وبين الإسلاميين ، ففرقة من الحكماء والفلاسفة ينكرون خرق العـادة ، لأنهم يقولون بأن نظام العالم مشدود بسلسلة العلل والأسباب مـن حيث الفطرة ، ولا يمكن هنا خلافه ، ولا يجوز نسخ نظام الفطـرة ، ولا يمكن أن يقع فيها تغير وتبديل .

ويقول الحكماء الإسلاميون مثل الفارابي وابن سـينا وابـن مسكوية وغيرهم بأنه لا يصدر أي شئ من الأشياء في العالم إلا بعلـة عادية أو بسبب طبعي ، ولا تتبدل وتتغير في سلسلة العلل والأسباب ، وأن المعجزات التي تكون خرق العادة ظاهراً إنما تكون هـي بنظـام طبعي وبسلسلة العلل والأسباب ، ولكن لا نعلم عللها و أسـبابها إلى الان .

ويقول المعتزلة بانا نعترف ان في العالم سلسلة العلل و الأسباب موجودة ولكن لا نسلم بأنه لا يمكن خرقها ، بل يمكن أن يخرق هذا النظام المشاهد بعلة أخرى خفية التي لا نعلمها .

ويقول الاشاعرة بانا لا نقر هذا النظام الفطري مؤثراً بالذات بل كل شئ يصدر ويظهر في العالم انما هو بخلق الله تعالى وإيجاده ، وهذه العقيدة يسخر بها الفلاسفة والحكماء العقليون ، وينكرون الخوارق والمعجزات ، لعدم إمكان الخرق عندهم ، لكن الحكماء الإسلاميين يقولون بأن خرق العادة ممكن بأسباب ، ويستدلون بوجوه :

الأول : التأثيرات الفلكية: أن الحكماء اتفقوا بان التأثيرات في تغيرات العالم إنما هي من تأثير حركات الأفلاك ودورانهم ، ولا نعلم حدها وغايتها ، فيمكن أن يقع الخرق في نظام العالم من تلك التأثيرات .

والثاني : العلة الخفية: ان جميع الحوادث والتغيرات انما تقع بسبب طبعي وعلة طبعية ، ولا يجب علينا أن نعلم جميعها و لا تحليلها ففي العالم ألوف من التغيرات لا نعلم أسرارها وحقائقها ولا أسبابها ، فيمكن أن يكون الخرق في نظام العالم بتلك الأسباب الخفية .

الثالث : القوة الكمالية: أن الإنسان خلق مختلف الطبائع فمنه
بليد وفطين جبان وشجاع ضعيف وقوي ، وهكذا في جميع الكمالات
الإنسانية ، فلا يبعدان تكون قوي بعض الخلق كاملة قويـــة توثـــر
نظام الخلق ، فتتصرف تصرفات غريبة ، بحيث تكون هي خرق العاد
في نظر عامة الناس .

الرابع : القوة النفسية: أن كل إنسان يحرك حركـــــة بـــإراد
النفس لها ، فكان قوة النفس تتسلط على سائر أعضاء الإنسان ، فـــا
غرو بأن تكون القوي النفسانية لبعض الإنسان أقوى ، حتى تتصـرف
في الأشياء ، وتخرق العادة العامة .

الخامس : التأثيرات النفسانية: انا نشاهد دائما بأن التأثـــيرات
النفسانية تؤثر في بدن الإنسان والجسم المادي ، مثلا رأى شيئاً مـــهيب
بالليل وخاف منه خوفاً شديداً فتأثر في البدن حـــتى صـــار محمومـ
ومغشياً عليه ، فلا يبعد أن تكون لبعض الإنسان نفوس قد سيئة تؤثـــ
به على الأجسام المادية وتقع فيها التغيرات العجيبة ، وهذا كما يقـــال
اليوم التنويم المقناطسي أي هفتانزم أو مسمر يزم ، فالمعتزلة و الأشاعر
كلهم يعترفون خرق العادة ، ولكن يختلفون بحسب النظرية بأن المعتزل

قائلون بتأثير الأشياء بالعلة والسبب ، والأشاعرة لا يقولون به بل كل هذه بخلق الله تعالى فصارت عادة كذلك .

وفي هذا كلام جيد لعلامة العصر الشاه أنور الكشميري يقول: هل في الأشياء خواص مؤثرة أم لا ففيه مذاهب :

الأول : مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري : وهو أنه لا علاقة بين الأشياء وآثارها إلا بجري العادة الإلهية بخلق بعضها عقيب بعض ، كالإحراق عقيب مماسة النار ، فلا دخل للنار حقيقة في الإحراق ، فله أن يخلق الإحراق من غير نار وأن يخلق ناراً من غير أن تحرق .

والثاني : مذهب المعتزلة: وهو القول بالتوليد بأن خلق الأشياء وفيها خواص مؤثرة تتولد هذه من تلك الأشياء وجوباً من غير أن هناك دخل لقدرة الله في تأثيرها .

والثالث : مذهب الحكماء والفلاسفة : وهو القول بالإعداد بأن صدور الآثار من القابل باتمام الاستعداد من المبدأ الفياض ، فإذا تم الاستعداد حصل عقيب ذلك الاثار وجوباً عقلياً لا يمكن أن تتخلف عنه .

والرابع : مذهب أبي المنصور الماتريدي واتباعه: وهو القول بخلق التأثير في الأشياء بأن في الأشياء خواص مؤثرة مستندة إلى قدرة

الله تعالى وخلقه إياها ، ومع هذا يقدر أن يجردها عنها متى شاء ، وهذا المذهب هو الذي تخضع لها العقول السليمة وعليها تضافرت الأدلة السمعية، قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام أحيي الموتى بإذن الله ٣/٤٩ ، فنسب الأحياء إلى نفسه وعقبه بقوله "بإذن الله" إشارة إلى عدم استقلال قدرته في الخلق والاحياء ، ويمكن أن يأول قول الأشعرية بأن ذلك في عالم التقدير فوق عالم التكوين ، اقول بهذ التأويل صار قول الماتريدية و الأشعرية متحدة قولاً واحداً ، ويقال هو قول الاشاعرة كما بينا فيما سبق وظهر من التحقيق الأنيق بأن خرق العادة عند الأشاعرة ممكن بتًّا ومستند إلى قدرة الله تعالى وخلقه لا يمكن إنكاره .

فمن أنكر المعجزة من الحكماء الماديين انما انكرها لأنهم ينكرون وجود الصانع القادر المختار ، ولا يقولون إلا بسلسلة العلل والأسباب والخواص الطبعية والفطرية ، وأما حكماء الإسلام ولو أنهم يقرون المعجزة لكنهم تقلدوا في هذا أرسطو ، ولذا خبطوا خبط عشواء وتحيروا ، واختلفوا في الكلام .

وفي الحقيقة إن العلم بالعلل والأسباب والخواص والتأثرات . انما تثبت للإنسان بعد التجربة مرة بعد مرة ، وهذا لا يورث العلم

القطعي اليقيني ، بل يمكن أن تتخلف عن ذلك عقلاً ، فلا وجه لانكار المعجزات عقلاً ، ولكن نستبعد ذلك لعدم التجربة والمشاهدة كذلك ، ثم العلم بالتجربة يثبت بالشهادة والرواية والتاريخ ، فكثيراً ما نعتقد أمورا بالتاريخ والرواية وما جربنا مرة واحدة، فكذلك المعجزات تثبت بالتاريخ والروايات الثابتة ، فلا وجه لانكار وقوع المعجزات على هذا الأصل .

ثم المعجزات دليل النبوة أم لا ففيه ايضاً اختلاف : فالمعتزلة يقولون بالنفي ، قال ابن رشد في كشف الأدلة: بأن المعجزة ليست دليل النبوة لأن المناسبة بين الدعوى والدليل لازمة ولا مناسبة بينهما ، والأشاعرة يقولون أنها دليل النبوة ، ويجيبون عما قال المعتزلة ، بأن النبوة جامعة لكمال العلمي والعملي ، وبالمعجزة يظهر هذا الكمال .

ثم من أي قسم الأدلة ففيه كلام قال ابن رشد في كشف الأدلة: أن المعجزة دليل من قسم الخطابيات ، معناه أن المعجزة لا تدل بالذات على النبوة ولكن إذا رأى احد تصرفات النبي في الكائنات ، يعتقد كماليته ويصدق دعواه ، وهذا يكفي في الخطابيات ، وقال البعض: أنها دليل من قسم الجدليات التي تستدل على الخصم بالمسلمات ، ولما ثبت بالتواريخ بأن ما جاء نبي ولا رسول إلا وقد

جاء بالخوارق والمعجزات ، فمن يدعي النبوة والرسالة يطالب منه تلك المعجزات ، فلما رأى احد معجزاته يتيقن بنبوته ورسالته ، فهذا دليل جدلي .

والمعتزلة ينكرون كونها دليلاً للنبوة ، وفي الأصل لا خلاف بينهم ، لأن الأشاعرة لا يقولون بالدليل المنطقي حتى يقال بعدم المناسبة بين الدليل والدعوي ، بل يقولون انها دليل دلالة عادية كما قال قي شرح المواقف ، وهذه الدلالة ليست دلالة عقلية محضة كدلالة الفعل على وجود الفاعل ، ودلالة اتقانه على كون الفاعل عالماً بما صدر عنه ، فإن الأدلة العقلية ترتبط نفسها بمدلولاتها ، ولا يجوز تقديرها بأنها غير دالة عليها .

وليست المعجزة كذلك بل هي دلالة عادية ، كما أشار اليه بقوله وهي عندنا أي الأشاعرة أجرى الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه أي عقيب ظهور المعجزات ، وفي شرح العقائد النسفية : وعند ظهور المعجزة يحصل الجزم بصدقه بطريق جري العادة ، بأن الله تعالى يخلق العلم بالصدق عقيب ظهور المعجزة ، وإن كان عدم خلق العلم ممكناً في نفسه ، فعلم أن الجزم واليقين يحصل بعد ظهور المعجزات من النبي صلى الله عليه وسلم عادة .

لأن طرق تحصيل الجزم واليقين مختلفة :

(١) منها ما يحصل من البراهين المنطقية .

(٢) ومنها ما يحصل بالمسلمات .

(٣) ومنها ما يحصل بالخطابيات .

(٤) ومنها ما يحصل بالدلالة العادية .

(٥) ومنها ما يحصل بالرواية المعتبرة .

(٦) ومنها ما يحصل بصفة في نفس الرأي والمشاهد ، فمن هذه الطرق يمكن تحصيل الجزم واليقين .

وفي المعجزات عند ظهورها يحصل اليقين بطرق أربعة أخيرة ، لمن كان له قلب أو نظرة سليمة وقد يقرر في هذه المسألة ، بأن في العالم نظامان : نظام الفطرة ونظام القدرة ، فالعلل والأسباب التي نشاهدها وجربناها مرة بعد مرة سميناها نظام الفطرة بحيث لا تتبدل ولا تتغير بل تدوم على نهج واحد ونمط واحد ، وفوق ذلك نظام القدرة الذي من الله تعالى يجري على كل خلق على طور نظام الفطرة ، وتارة توثر على خلاف الفطرة تحت القدرة بنفسها .

فالخوارق والمعجزات كلها تحت نظام القدرة الإلهية ولا يمكن انكار هذا ، وأما الحكماء الماديون فانهم لما ينكرون الصانع القدير

المختار ، ينكرون نظام القدرة ، ولذا ينكرون الخوارق ، وأما الإسلاميون فلا يرون البعد فيه فافترقوا فعندهم لا يمكن التبديل وعند الإسلاميين يمكن فكلهم قالوا على أصولهم .

ويقول العبد الضعيف في تقرير هذا: بأن المعجزات أيضاً تحت عادة الله الخاصة ونظام العالم تحت العادة العامة ، فكون المعجزات خوارق بمعنى أنها خوارق للعادة العامة ، ولكنها جارية تحت العادة الخاصة ، لأن من عادة الله تعالى أنه إذا بعث نبياً ورسولاً يظهر على يده أموراً تحت قدرته تعالى بحيث يعلم الناس بأن النبي صادق في دعواه ، وهو نبي من الله تعالى ، ولذا أظهر الله على يديه ما يعجز الناس ظاهراً ، وهذا أيضا من العادة الإلهية ولكنها خاصة بالأنبياء والرسل ، فلذا يقال ان الخوارق في الحقيقة ليس بخوارق للعادة الخاصة ، بل هي مطابقة جارية لها وأما هي خوارق فهي للعادة العامة .

وقد يقال بان الخوارق هي آيات النبوة ، وأن الفطرة هي آيات الألوهية ، وفي الحقيقة أن آيات النبوة هي آيات الألوهية أيضا ، والفرق بينهما بأن آيات الألوهية تظهر في العالم بدون توسط النبي والرسول ، بل على قدرة الله تعالى بنفسها ، وأن آيات النبوة تظهر بتوسط النبي والرسول ، ولذا لا دخل للنبي والرسول في ظهور

الخوارق ، بل كلها تحت قدرة الله تعالى كما قال تعالى : "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " ٨/١٧ وقال:" قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم " ٢١/٦٩ وقال تعالى : وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني" ٥/١١٠ وغيرها من الآيات التي تدل على أن آيات النبوة ليست مستقلة ، بل هي صورة أخرى لظهور آيات الألوهية ، فإنكار المعجزات هي إنكار قدرة الله تعالى .

قال الإمام القرطبي قي مقدمة تفسيره في بيان شرائط المعجزات يقول :

الشرط الأول : أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه .

والثاني : هو أن تخرق العادة فمن قال آيتي مجيء الليل بعد النهار ، وإن كان لا يقدر عليه إلا الله تعالى لكنها ليست خارقة .

والثالث : أن يستشهد بها مدعى الرسالة على الله عز وجل . فيقول أيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتاً أو يحرك الأرض عند قولي لها تزلزلي .

الرابع : هو أن تقع على دعوى التحدي بها المستشهد بكونها معجزة له فلو نطقت الدابة كذب انه فليس بنبي .

الخامس : أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة .

وقال حكيم الأمة الشيخ اشرف علي التهانوي في البوادر والنوادر ج٢ ص٣٨٣ المعجزة هي التي لا دخل في صدورها لأسباب طبعية جلية كانت أو خفية ، ولا لقوة صاحب المعجزات ، ولا لقوة خارجية ، وهي تقع بمشية الله تعالى فقط بلا واسطة اسباب عادية ، كما يصدر الصادر الأول من غير واسطة عند الفلاسفة ، ثم لا يمكن تحليل أسباب الطبعيات للمعجزات لأنه إذا تكشف وتحلل أسبابها الخفية في زمان آخر يلزم منه تكذيب النبوة ، فإذن لا يحصل اليقين لنبوة الأنبياء وهذا كما ترى .

ولهذا ما اظهر أحد من أهل زمانه شبهات ببيان اسباب المعجزات الخفية ، ولا قاوم أحد صاحب المعجزات بإظهار مثلها ، ولو كانت قوة النبي سبباً للمعجزة إذن لا يخاف موسى عليه السلام عن معجزته ، ولا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على طلب المعجزات من الكفار فان استطعت ان تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ، وعلى احتمال استناد الأسباب الخفية لا يكون فرق بين المعجزات وبين العجائب الطبعية ، وما قيل أن أخلاق النبي وكمالاته مع المعجزات دليل للنبوة فح إمكان الغلط في معرفة جهة تلك الأخلاق يكون اكثر من معرفة حقيقة المعجزة " ،

يظهر من هذا الكلام أن المعجزة لا تكون إضافية بل تكـــون دائماً ، فما قال بعضهم بأن أخلاق الرسول وكمالاته معجزة حقيقــة وأن المعجزات الحسية معجزة سطحية ليس بصواب ، إذ معرفة معجزة الأخلاق والكمالات نظرية لا يعرفها كل أحد

ويقول حجة الإسلام مولانا قاسم النانوتوي في كتابه "حجــة الإسلام" بأن المعجزة من ثمرات النبوة ، و ليست من مدارها تعطـــي للنبي بعد اعطاء النبوة ، بالجملة أن المعجزة أمر ممكن عقلاً وقعت على يد النبي ، فلا يمكن إنكاره وإلى ههنا بينا بعض الأمر علـــى أصــول الحكمة القديمة .

وأما في العصر الراهن فتحيرت الفلسفة الجديدة أيضاً ، فإمكان المعجزات ووقوعها وجزمها ودوامها فأمر مبحوث عنه أن الفلســـفي هيوم فإنه كتب كتاباً " الفهم الانساني " وحرر تحت باب المعجــزات أوراقًا أنكر فيها امكانها ووقوعها ، ويقول أن المعجزة اســـم لخـــرق قوانين الفطرة ، ولما كانت هذه القوانين مستحكمة ومجربة . فـللمعجزة مردودة من نفسها ، لأن التجربة أثبتت قوانين الفطرة بحيث لا يمكـــن خلافها، فخرقها مردود ومحال بأنفسها .

حاصله : ان الفلسفي هيوم استحال التغير والتبدل لقوانين الفطرة ، ونظام العالم كله مشدود بحبل الفطرة ، ولا يمكن انتقاضه ولكن الأستاذ "هكسلي" الذي هو فلسفي وحكيم ومعترف للفلسفي هيوم ، يقول أن في كلام هيوم تناقضاً، والذي قال في تعريف المعجز يعني خرق قوانين الفطرة فهو غلط ، لأن حقيقة المعجزة استعجاب الوقائع أشد الإستعجاب لا خرق قوانين الفطرة ، إذ قوانين الفطرة تثبت بالتجربة ، والإنسان لا يحيط جميع حالات الكائنات وخواصها .

فلو كان علم الإنسان محيطاً لسائر حالات الفطرة لجازان يقول بأن خرق قوانين الفطرة محال وغير ممكن ، ولكن ليس كذلك ، بل الفلسفة الجديدة أوجدت أشياء وأموراً في الطبعيات التي تثبت خرق قوانين الفطرة ، كما يقول الأستاذ " مادرن بليف " والأستاذ "برنغتن" وهم ينكرون وجوب قوانين الفطرة ، بل يقولون أنها قوانين العادة معناه أنها كانت العادة ، كذلك ولكن يمكن خلافها ، فهم يعترفون وقوع المعجزات وإمكانها .

وهكذا في علم النفسيات أيضاً ، كما في هفنا تزم يعني التنويم المقناطسي قد أثبت الأستاذ " وليم جيمس " محقق النفسيات واقعات عجيبة ، يقول : أن عامل التنويم يؤثر في معموله حين يعمل ، ويتيقن

بذلك المعمول أيضاً ، حتى يقع شئ بأمر العامل ما لا يمكن في العادة العامة ، وتارة يؤثر في المعمول بحيث يرى الكرسي أسداً والمكناسة امرأة حسنة ، وغير ذلك من الخوارق والعجائب .

ويقول الدكتور " البرت مول " والفلسفي " البرمين " بأن توجيه حقيقة المعجزات يسهل فهمها من توجيه التنويم ، فإن هذا يقارب الفهم ، والاستاذ " جيمس " جمع من نوع هذا التنويم والخوارق دفتراً عظيماً من واقعات الأنبياء والأولياء والخواص والعوام ، وأثبت من هذه كلها وقوع المستبعدات ظاهراً ، فلما تثبت الخوارق مع غاية الاستبعاد بالشهادات الخارجية ، فلا مانع عن حصول اليقين بعد ذلك عادة .

ولذا نقول أن اليقين بعد ظهور الخوارق يحصل قطعاً لمن رآه أو علمه ، وفي هذا كلام طويل ودقيق فمن شاء التفصيل فليراجع إلى المطولات .

وأما الآيات والدلائل لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكثيرة متنوعة فمن يخصص ينوع واحد فقد غلط ، بل هي أنواع كثيرة ، فقال الحافظ ابن تيمية في الجواب الصحيح الآيات نوعان : منها ما مضى وصار معلوماً بالخبر كمعجزات موسى عليه السلام .

ومنها : ما هو باق إلى اليوم كالقرآن الذي هو من اعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكالعلم والإيمان فإنه من اعلام نبوته ، وكشريعته التي أتى بها ، فإنها أيضاً من إعلام نبوته وكالآيات يظهرها الله تعالى وقتاً بعد وقت من كرامات الصالحين ووقوع ما أخبر بوقوعه وغير ذلك ، بالجملة قسم الأيات بنوعين ، الآيات الماضية والآيات الباقية .

وقال مولانا السيد سليمان الندوى في سيرة النبي ص١٣١ ج٣ الآيات والدلائل قسمان ، قسم ظاهري ومادي ، وقسم باطني وروحاني فالآيات المادية هي التي يسمونها معجزات ، عموما سطحية ، والآيات الباطنية والروحانية التي هي صفات النبي من صدقه وعصمه اوتعليمه وإرشاده وغير ذلك هي في الحقيقة دليل النبوة ، فهي أحق أن تسمى معجزات حقيقة .

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخ البداية والنهاية : أن المعجزات قسمان حسية ومعنوية والمعنوية ليست هي معجزات حقيقة ، فقط بل حسية أيضا ، وهذه في غاية الأهمية ، ولذا ذكر الحافظ ابن كثير كلاماً طويلا في بيانها ، وتري في القران أيضا بأنها ذكرت

لمعجزات الحسية مع بيان كل نبي ، فقول القائل بان المعجزة الحسية هي سطية ليس بسديد .

وقال حجة الإسلام مولانا قاسم النانوتوي : المعجزات قسمان علمية ، وعملية ، فالعلوم والكمالات النبوية هي معجزات علميه وأما الخوارق الظاهرة التي صدرت من يد النبي صلي الله عليه وسلم فهي معجزات عملية ، أقول كل هذه التقسيمات متقارب المعني والألفاظ مختلفة كما هو الظاهر عند الناظر الغاير .

وأما المعجزات من جهة خرق العادة أقسام :

منها الواقعة نفسها خارقة العادة ، مثل كون العصاحية وانشقاق القمر وأحياء الموتى وغيرها ، منها الواقعة ولو لم تكن نفسها خارقة ولكن صدورها في وقت خاص يكون خارقا ، مثل الطوفان والزلزلة والريح الحمراء وغيرها ، ومنها لم تكن نفس الواقعة خارقة و لم تكن صدورها خارقا بل تكون خارقة بحسب طور ظهورها ، مثلا نزول المطر ببركة دعاء النبي وشفاء الأمراض ودفع المصائب وغيرها ببركة دعاء النبي صلي الله عقيه والسلام ومنها لم تكن الواقعة خارقة ولا كيفية صدورها ، بل كونها معلومات قبل وقتها للنبي صلي الله عليه والسلام خارقا مثلا الاخبار بالمستقبل وغيره .

ففي كل هذه الأقسام تصدر المعجزات بإرادة الله ومشيته تعالي فقط لا بالعلل والأسباب ، لأن فيها جهة خاصة للخرق ، التي ليست بالعلل والأسباب ، وكذلك المعجزات بحسب النتائج والإفادات للكفار قسمان أية الهداية وآية الهلاك ، فالكفار اراهم الله تعالي أية الهدى ودعاهم إلي الإسلام والهداية فالذين فيهم صلاح يقبلون دعوة الإسلام والهداية والذين ليس لهم صلاح لا يقبلون الهداية فيترل عليهم آيات العذاب والهلاك ، فأراهم أية الهداية من الأنواع شي في زمان إقامته عليه السلام بمكة قبل الهجرة ، ولكنه أذوه والمؤمنين كثيرا ، ثم أمر الله تعالى بالهجرة فهاجر مع الصحابة ، فترلت عليهم أيات الهلاك فتواترت ومن ذلك غزوة بدر وغيرها .

وأما المعجزات من حيث إفادها وتأثيرها للمؤمنين فهي أيضا قسمان ، علمية التي تفيد العلم واليقين فقط كالعصا ، ويعبر عنها بالآية والحجة والبرهان ، وعملية التي تفيد الناس ظاهرا مع إفادة اليقين ، وتسمي بالنصر والتائيد الإلهي ، ففي قسم الأول يحتاج إلي طلبها ، وليس كذلك في الثاني .

بالجملة حياة النبي صلي الله عليه وسلم مجموعة معجزات وآيات بينات ، فإحصاء معجزاتها وأياتها لا يقدر عليه أحد ، ولكن بعض

علماء عددها من بعض نواحيها ، قال البيهقي معجزات النبي صلي الله عليه وسلم تبلغ إلي ألف وقال النووي تزيد علي ألف ومأتين ، وقال البيهقي تبلغ إلي ثلاثة ألاف هكذا ذكره في فتح الباري ، وذكر الحافظ السيوطي في خصائص الكبرى نحوا من ألف معجزات ، حتى القران الكريم الذي عدده الناس معجزة واحدة ، ولكن عد فيه معجزات كثيرة .

قال الحافظ ابن تيميه: إن الآيات المستفادة بالقران الكريم قد تجرد لها طوائف من المسلمين ، ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط في غير هذا المواضع ، حتى بينوا أن ما في القران من الآيات يزيد علي عشرة آلاف من الآيات ، وأيضا قال أيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم وقبل مولده وبعد مماته ، لا تختص بحياته فضلاً عن أن تختص بحال دعوى نبوتة أو حال التحدي كما ظنه بعض أهل الكلام وأيضا قال : ومحمد النبي صلي الله عليه وسلم جعلت له الآيات البينات قبل مبعثه أو حين مبعثه وفي حياته وبعد موته إلي يوم القيامة ، فآياته صلي الله عليه وسلم قد استوعبت جميع الآيات الفعلية والخبرية ولا تحد ولا تحصى فهاهنا نذكر نبذة منها: منها القران الكريم وهو كلام الله تعالي وفيه الدعوة

والحجة فله اختصاص علي غيره ، كما في ما ثبت عنه في الصحيح أنه قال : ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن علي مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا إلي يوم القيامة .

وقد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم علماً متواتراً ، أنه الذي اتى بهذا القرآن وتواترت بذلك الأخبار اعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم ، وهو القرآن تحدي بنفسه بالمعارضة ، كما قال فليأتوا بحديث مثل إن كانوا صلدقين ، ثم تحداهم بعشر سور مثله كما قال تعالى " قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، ثم تحداهم بسورة واحدة ، كما قال تعالى " قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين

فتحدى بهذه الآيات أن يأتوا بمثل القرآن ثم بعشر سور ثم بسورة واحدة ، وهذا التحدي كان بمكة ، ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة بقوله تعالى " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين " ، وهذا التحدي قد عم جميع الخلق معجزاً لهم قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا

كلهم لا يأتون بمثله ، وقد سمعه كل من سمع من القرآن وعرفه الخاص والعام ، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ولا أتوا بسورة مثله ومن حين بعث والى اليوم .

وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال هذا الدعوى ، مجتهدين بكل طريق ممكن ، ومعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها ، بل يقولون أنه مجنون ، وتارة يقولون إنه ساحر ، وتارة يقولون إنه كاهن ، وتارة يقولون إنه شاعر ، وكل هذه الأقاويل افتراء عليه ، وهذا القدر يوجب علما بينا لكل أحد عن جميع أهل الأرض أنه يعجز عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة أو بغير حيلة ، وهذا ابلغ من الآيات التي يكرر جنسها كاحياء الموتى ، فان هذا لم يأت بنظيره .

وكون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط ، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة أخباره بالغيب فقط ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ والنظم ، ومن جهة البلاغة والفصاحة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى

واسمائه وصفاته وملائكته ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل ، ومن جهة ما أخبر بها عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والاقيسة العقلية ، التي هي الأمثال المضروبة وغير ذلك .

وتفصيله أن نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليبه الكلام المعروفة ، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب فانه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الرسائل ولا الخطابة ونظمه ليس من كلام الناس عربهم وعجمهم ، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق وبسط هذا وتفصيله طويل يعرفه من له نظر وتدبر ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر نبي ولا غير نبي وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وآدم وغير ذلك .

ونفس ما أمر به القرآن من الدين والشرائع كذلك ، ونفس ما أخبر به من الأمثال وبينة من الدلائل هو أيضاً كذلك ، ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية والخلقية والسياسية وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء

تفاوتاً عظيماً ، ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه وبين سائر الفاظ العرب ونظمهم .

فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الاتيان بمثله .

واعلم في هذا المقام نقطة بأن كل نبي يأتي بمعجزة من جنس ما اشتهر به قومه ليكون التحري في الصميم ويكون تأثيرها اسمى في نفوس من تترل عليهم فقد كان المصريون بارعين في السحر وكانت كهنة المعابد الفرعونية متخصصين فيه يستخدمونه ليبهروا به أعين الناس ، ومن ثم يستعبدوهم للفرعون للآلهة المزعومة التي يقوم أولئك الكهنة أو السحرة .

ولذلك أرسل الله تعالى موسى عليه السلام بمعجزة من جنس ما اشتهر به اولئك السحرة يبطل سحرهم ، و يتبدي الفرق بين صنع الناس وصنع الله تعالى ، كما ذكر في سورة الأعراف آيات كثيرة في هذا الموضوع ، ولقد كان السحرة أدرى الناس بحقيقة السحر وحدوده ، ولذلك صاروا أول من تبين لهم الحقيقة ، وأن موسى ما

يصنعه فهو ليس بسحر، إنما هو شئ فوق طاقة البشر ، فلذلك خروا ساجدين اعترافاً بالآية التي تثبت أن موسى رسول من عند الله تعالى .

وكذلك أرسل عيسى عليه السلام في قوم برعوا في الطب ، وكانوا يأتون فيه بما يبهر عين الناس فناسب ان تكون المعجزة التي يرسل بها عيسى عليه السلام خارقة في نفس الميدان الذي برع فيه هؤلاء ليتبينوا هم أولاً ، ويتبين الناس من وراءهم ، أن المعجزة شئ آخر غير ما يصنعون هم ، فلا بد أن يكون آتياً من مصدر غير بشري أي من عند الله ، فكان من معجزاته معهم إبراء الأكمه والأبرص بغير دواء ولا علاج ، وهو أمر يخالف صنع البشر ، ثم زاد على ذلك في نفس الاتجاه معجزة إحياء الموتى ، فهم قد يعالجون المرضى بأي وسيلة فيتحقق الشفاء على أيديهم ، أما إحياء الموتى فلا يقدر عليه إلا الله ، أو إنسان مرسل من عند الله بالمعجزة .

ولقد أرسل الله تعالى الرسول المعظم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب ، وهم أهل فصاحة وبيان ، يتباهون بفصاحتهم بها على الأمم ، حتى يسمون غيرهم عجما ، أي ان لسانهم غير مبين ، فهم أشبه بالعجماوات التي لا تنطق ، ولذلك ناسب أن تكون معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم معجزة بيانية من نوع ما برعوا فيه ،

ولكن على مستوى يدركون هم أنفسهم وهم أهل الصنعة ، أنها فوق مستوى البشر ، ويقرون بأنها لا بد أن تكون من عند الله .

ثم كانت معجزات الرسل كلهم من قبل معجزات حسية وكونية ، متعلقة بالسنن الجارية في الكون وتخرقها ، فمعجزة نوح عليه السلام طوفان مدمر يغرق المكذبين ، وينجو منه المؤمنون ، ومعجزة هود عليه السلام ريح صرصر عاتية تهلك المكذبين ، وينجو منها المؤمنون ، ومعجزة صالح عليه السلام الناقة المرسلة آية لهم ، فلما عقر قومه الناقة جاءتهم زلزلة عظيمة قتلتهم في ديارهم ونجا هو ومن معه من المؤمنين ومعجزة لوط عليه السلام نار نزلت من السماء فأهلكت القوم الفاسقين ، ونجا منها لوط والذين معه ، وكذلك معجزات موسى وعيسى عليهما السلام التي اشرنا غليها انفاً أشياء خارقة للسنن الكونية .

وأما معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم فهي معجزة عقلية معنوية جامعة ، وليست معجزة حسية وكونية فقط ، كالإسراء والمعراج وانشقاق القمر وغيرها لكن المعجزة الكبرى التي وقع بها التحدي ، والتي بقيت على الزمن وخوطبت به البشرية كلها هي

القرآن الكريم ، ولذا اختص القرآن بالحفظ وعـــدم التحريـــف دون الكتب السابقة كلها .

ومنها : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من آياته أي أخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته كل ذلك من آياته ، وكذا أمته ودينهم وكرامات صالح أمته من آياته وذلك يظهر عن تدبر سيرته من حين ولد إلى ان بعث ومنه إلى ان مات وتدبر نسبه وبلده واصله وفضله ، فانه كان من أشرف الأرض نسباً من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله ذريته النبوة والكتاب .

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ولم يزل معروفاً بـــالصدق والـــبر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذمـوم مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن كفر به أو آمـــن به بعد النبوة ولا يعرف له شئ يعاب لا في أقواله ولا في أفعالـه ولا في أخلاقه ولا جرت عليه كذبه قط ولا ظلم ولا فاحشة وكان خلقـــــه وصورته من أكمل الصورة وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالـــــة علـــى إكماله وكان من قوم أميين ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ولا جـــالس أهلها إلى أن أكمل الله له أربعين سنة فأتى بأمر وهو أعجب الأمـــور وأعظمها وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبرنا بأمر لم

يكن في بلده وقومه من يعرف مثله ، ولم يعرف قبله ولا بعده ولا في مصر من الأمصار ولا في عصر من الإعصار ولا من ظهر كظهوره ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ولا من دعا إلى شريعته أكمل من شريعته ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره .

وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ويخبرهم بما يحرم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئا بعد شئ حتى أكمل الله دينه الذي بعث به وجاءت شريعته اكمل شريعة وجمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخير عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه وأخبر بأشياء طيب في هذا الكتب .

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر فضلها ورجحانها وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع .

وكذا أمته أكمل الأمم في كل قضية ، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم وأن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم طهر أنهم أدين من غيرهم وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكارة في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهاداً

وأشجع قلوباً فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخذوه عن نبيهم ومعلوم ان كل كمال في الفرع المتعلم فهو من الأصل المعلم وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علماً وديناً وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقاً في قوله انى رسول الله إليكم جميعاً ولم يكن كاذباً مفترياً .

ومنها : ومن آياته اخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة التي لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله فضلاً عن غير النبيين ففي القرآن من اخباره عن الغيوب كثيرة كما قال تعالى : الم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين " ٣٠/١-٤ وكان كما أخبر .

وقال تعالى

لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله " ١٧/٨٨ وكان كما أخبر وقال تعالى خطاباً لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ٢/٩٤. فكان كما أخبر ما تمنى اليهود الموت أبداً وقال تعالى تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب ١١١/١ . فكان كما أخبر مات ابو لهب كافراً .

ابو لهب كافراً . وهكذا آيات كثيرة في القرآن وكذلك في الأحاديث مما أخبر بوقوعه فكان كما أخبر فكثير لا يسعها المقام فليراجع إليها.

ومنها : آياته صلى الله عليه وسلم المعلقة بالقدرة والفعل والتاثير أنواع كما في العالم العلوي من انشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب ومعراجه إلى السماء فقد ذكر الله تعالى انشقاق القمر وبين ان الله تعالى فعله واخبر به لحكمتين عظيمتين احداهما كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية فاراهم انشقاق القمر والثانية أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات .

وكذلك ليلة المعراج إلى فوق السماوات وهذا مما تواترت به الأحاديث وأخبر به القرآن اخبر بسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وبيت المقدس وفي موضع آخر بصعوده إلى السماوات وفي واقعة المعراج كثير من الآيات والمعجزات كما هي مذكورة في الأحاديث الصحاح والحسان وغيرها مفصلة وكل ذلك من آيات النبوة .

ومنها: الآيات في الجو، كاستسقائه صلى الله عليه وسلم واستصحائه وطاعة السحاب في حصوله وذهابه بدعائه ونزول المطر بدعائه كما هي مذكورة في الأحاديث .

ومنها : آياته من البركة فوق العادة في الماء والطعام والثمار وفيها أيضاً كثير من الوقائع مذكورة في الأحاديث .

ومنها : آياته من تأثيره في الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له كما روي اثبت أحد فإن عليك نبي وصديق وشهيدان وأيضاً قال إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث أني لأعرفه الآن وهكذا كثيرة في الأحاديث .

ومنها : تأييد الله له بملائكته كما في بدر واحد .

ومنها : كفاية الله أعداءه وعصمته له من الناس .

ومنها آيات في اجابة دعوته فمنها ما تكون اجابته معتادة كالأغنياء والعافية ومنها ما يكون المدعوبه من خوارق العادات كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة واطعام النخل مرتين في العلم الواحد ورد بصر الذي عمي ونحو ذلك ومعلوم أن من عوده الله إجابة دعائه لا يكون إلا من صلاحه ودينه ومن ادعى النبوة لا يكون إلا من أبر الناس إن كان صادقاً أو من أفجرهم إن كان كاذباً و إذا عوده الله

إجابة دعائه لم يكن إلا براً و إذا لم يكن مع دعوى النبوة إلا براً تعين أن يكون نبياً صادقاً فهذا يمتنع أن يتعمد النبي الكذب ومن نوع هذه الآية وقائع كثيرة مذكورة في الأحاديث .

ومنها : آياته التي تتعلق بالأخبار عن اشراط الساعة خاصة بظهور الإمام المهدي ونزول سيدنا عيسى عليه السلام وخروج الدجال الأكبر كما وردت تلك الأخبار عي الأحاديث .

ومنها : آياته التي تتعلق بالمغيبات في الآخرة بالأخبار عن الجنة والنار والحشر والنشر والحساب والميزان وغيرها .

ومنها آياته التي تتعلق قبل مولده وحين مولده وبعده وقبل بعثه من الواقعات والعجائب التي هي مذكورة في كتب السير والأحاديث.

قال الشيخ ولي الله في حجة الله البالغة : ذكره إبراهيم عليه السلام في دعائه وبشر بفخامة أمره وبشر به موسى وعيسى عليهما السلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم ورأت أمه كان نوراً خرج منها فأضاء الأرض فعبرت بوجود ولد مبارك يظهر دينه شرقاً وغرباً وهتفت الجن وأخبرت الكهان والمنجمون بوجوده وعلو أمره ودلت الواقعات الجوية كانكسار شرفات كسرى على شرفه وأحاطت به دلائل النبوة كما أخبر هرقل قيصر الروم ورأو آثار البركة عند مولده

وارضاعه . وظهرت الملائكة فشقت عن قلبه فملأته إيماناً وحكمةً و لم يكن الشق عن القلب أهلاكاً وقد بقي منه اثر المخيط ولما خرج به أبو طالب إلى الشام فرآه الراهب شهد بنبوته لآيات رآها فيه ولما شب ظهرت مناسبة الملائكة بالهتف به والتمثل له ، وغير ذلك من أمور كثيرة التي تعد معجزات وآيات للنبوة .

وأما طرق معرفة الآيات بحيث تفيد العلم فكثيرة :

فمنها : ما هو في القرآن فهو يفيد العلم بنص القاطع .

ومنها : ما هو ثابت بالتواتر العام بحيث يعلم العامة والخاصة كنبع الماء من أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع ونحو ذلك فإن كلاً من ذلك تواترت به الأخبار واستفاضت ونقلته الأمة جيلاً بعد جيل وخلفاً من سلف فما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها ينقلها اكثر ممن ينقل كثيراً من القرآن وذلك ان آيات الرسول كان كثيراً منها يكون بمشهد عظيم من الخلق فيشاهدون تلك الآيات .

كما شاهد أهل الحديبية وهم ألف وخمس مائة نبع الماء بين أصابعه وظهور الماء الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها وكما شاهد أهل خيبر وهم ألف وخمس مائة الطعام الذي كان كربضة الشاة فأشبع

الجيش كلهم وكما شاهد الجيش العظيم وهم نحو ثلاثين ألفاً في تبوك العين لما كانت قليلة الماء فكثر ماءها وهكذا في كثير من الآيات التي شاهدوها جم غفير من الصحابة وتواترت بينهم واتفقت نقلتها فالآيات التي كان حالها هكذا فهي تفيد العلم قطعاً .

ومنها: ما هو ثابت بالتواتر الخاص بحيث أنها متواترة عند أهل العلم بالسير وأخبار الناس والتواريخ وظهور هذه الأيات التي هي دلائل النبوة وأعلامها مشهورة بين الأمة عامتها وخاصتها فهي أحق أن تسمي متواترة من هذه الجهة ونقلة هذه الأيات خاصة أهل العلم وكتب الحديث والتفسير والمغازي والسير أي المعتبرات التي توجد فيها هذه الأخبار صح نقلا باتفاق أهل العلم والعقل .

فأهل العلم بحديث النبي صلي الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وسيرته وأسباب نزول القران وغير ذلك لهم بهذا من العلم وعندهم به من اليقين مالا يوجد عند غيرهم كما أن الأطباء عندهم من كلام بقراط وجالينوس ومحمد ابن زكريا وأمثالهم ما يقطعون به وغير هم لا يعلمون ذلك وكما أن أهل الهيئة عندهم من كلام بطليموس وثابت ابن قرة وغيرهم ما يعلمونه وغيرهم لا يعلمون ذلك وأهل العلم بالنحو يعلمون حال سيبويه والأخفش والمبرد والزجاج والفراء

والكسائي ما لا يعلمه غير هم وكذلك القراء يعلمون من قــراءة أبي عمرو وابن كثير وحمزة والكسائ وابن عامر مالا يعلمه غيرهم فــإذا كان أحاد أهل العلم من أهل الطب والهيئة والنحو والقــراء ة يعلــم الخاصة بأمورهم مالا يعلمه عيرهم ويقطعون بذلك فكيف بمن هو عند أتباعه أعلي قدرا من كل عالم وارفع مترلة من كل ملك حــتى قــد ضنفوا الكتب الكثيرة في هذه الأخبار وذكرا فيها أحوال نقلتها فذلك يفيد العلم عندهم يقينا .

ومنها ما هو ثابت بالتواتر المعنوي وهذا مما اتفق علي معرفته عامــة طوائف فأن الناس قد يسمون أخبارا متفرقــة بحكايــات يشــترك مجموعها في أمر واحد كما سمعوا أخبارا متفرقة تتضمن شجاعة عــترة وخالد ابن الوليد وأمثالهما وتتضمن سخاء حاتم ومعن بــن زائــدة وأمثالهما وتتضمن شعر امرؤ القيس والنابغة ولبيد وأمثــالهم وهكــذا فيحصل بمجموع الأخبار علم ضرري بان الشخص موصوف بذلــك النعت وإن كان كلهم من أخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم وان كان كل من الحكايات ليست منقولة بالتواتر هكذا كثير من الآيات الــتي كانت تجرى علي يدي النبي صلي الله عليه وســلم مــن الخــوارق والعجائب مالا تعرف عن أحد من الناس ولو كانت كلها وحدهــا

أخبار حاد ولكن يحصل بمجموعها العلم الضروري بأنها ثابتة من النبي صلي الله عليه وسلم .

ومنها ما هو ثابت بتواتر الاستفاضة وهكذا مما تكون بمحضر من الخلق الكثيرة كتكثير الطعام يوم الخندق ونبع الماء من بين أصابعه يوم الحديبية وتكثيرا الماء والطعام يوم الخيبر وغيرها وكان بعض من حضر هذه المشاهد ينقل هذه الأيات قدام أخرين فيذهب أولئك فيخبرون بها ويصدق بعضهم بعضا ويحكي هذا مثل ما يحكي هذا واتفقوا علي الإقرار علي ذلك من غير إنكار حد منهم علم قطعا أن القوم كانوا متفقين علي نقل هذا كما متفقون علي نقل هذا القران والشريعة المتواتر فهذا أيضا يفيد العلم اليقيني .

ومنها ما ثبت بالأخبار والاحاد رواه العدد واليسير ولم يشتهر اشتهار التواتر والاستفاضة ولكن إذا يسبر علي ميزان الصحة والضعف علي طور أصول الجرح والتعديل وأصول دراية الحديث يعلم منه ما هو صحيح وما هو ضعيف وما هو موضوع وأكاذيب وقد صنفت كتب كثيرة في ذكر الأيات والمعجزات مثل كتاب دلائل النبوة للفقيه الحافظ أبي بكر البيهقي وقبله دلائل النبوة لأبي نعيم الاصبهاني وقبله دلائل النبوة لأبي السيخ الاصبهاني ولأبي القاسم

الطبري وقبلهما دلائل النبوة لأبي زرعة الرازى ولأبي بكر عبد الله ابن أبي الدنيا ولأبي إسحاق الحربي و لأبي جعفر الفريابي وما صنفه الشيخ ابن الجوزي المسمى بالوفا في فضائل المصطفي والحافظ أبو عبد الله المقدسي في دلائل النبوة وهؤلاء وعيرهم من المتأخرين أيضا ما يذكرون بالأسانيد المعروفة والطرق المتعددة ومنهم من يميز بين الصحيح و الضعيف والموضوع والأكاذيب وأما الأحاديث الضعاف فهي مقبولة في بيان المعجزات وفضائل الأعمال عند علماء المحققين والموضوعات والأكاذيب فكلها مردودة .

قال الملا علي القاري : قال السيوطي وأطبق علماء الحديث علي أنه لا يحل رواية الموضوع في أي معني كان إلا مقرونا ببيان وضعه بخلاف الضعيف فإنه يجوز روايته في غير الأحكام والعقائد قلل وممن جزم بذلك النووى وابن جماعة والطيبي والبيهقي والعراقي ،

وقال عمرو ابن الصلاح يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في أسانيد وروايته ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة ، من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوي صفات الله وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما كالمواعظ والقصص

وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب وسائر مالا تعلق له بالأحكام والعقائد

وقال الحافظ ابن كثير وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وسيماء والصدق وإن كان في رجاله من هو متكلم فيه بالجملة أن الأيات والدلائل علي نبوة محمد صلي الله عليه وسلم قد استوعبت جميع أنواع الأيات الفعلية والخبرية والكونية الحسية العلمية المعنوية ، في الجو والكواكب والأرض والسماء وفي الحيوانات والجمادات والأشجار والنباتات والموتي والأحياء في الأخبار عن الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل وقبل مولده وقبل بعثه وبعد بعثه وفي حياته وبعد مماته وتعرف كل ذلك بالتواترات والأخبار الآحاد بحيث من كان عنده عقل سليم وهو خال عن العناد والأعراض لا مجال له أن ينكر صدق النبوة وجزمها وهو يعلم أنه صادق في دعوى النبوة بجريان عادة الله تعالي .

.أما الفرق بين المعجزات وسائر الخوارق

الفرق بين المعجزة وما سوى ذلك من الكرامات والسحر والمعونة والإرهاص والإهانة حسب ما يلي ، قال في شرح المقاصد : السحر أمر خارق للعادة في نفس شريرة خبيثة بمباشرة

أعمال مخصوصة يري فيها التعلم والتلمذ وبهذين الاعتبارين تفارق المعجزة والكرامة وبأنه لا يكون بحسب اقتراح المعترضين وبأنه يختص بالأزمنة والأمكنة والشرائط وبأنه يتصدى لمعارضته ويبذل الجهد في الإتيان بمثله وبأنه صاحبه ربما يتعلق بالفسق ويتصف بالرجس في الظاهر والباطن و الخذي في الدنيا والآخرة إلي غير ذلك من وجوه مفارقة .

وقال في الفتاوى الحديثية : وأما الفرق بين الكرامة والسحر فهو أن الخارق الغير المقترن بتحدي النبوة ان ظهر علي يد صالح وهو القائم بحقوق الله تعالي وحقوق خلقه فهو الكرامة أو علي يد من ليس كذلك فهو السحر والاستدراج قال إمام الحرمين وليس ذلك مقتضى العقل ولكنه متلقي من إجماع العلماء وتمييز الصالح المذكور من غيره بين لإخفاء فيه إذ ليست السيماء كالسيماء ولا الاداب كالآداب وغير الصالح لو لبس ما عسى أن يلبس لا بد أن يرشح من نتن فعله أو قوله ما يميزه عن الصالح ومن ثمة ناظر صوفي برهميا وللبرهمية قوة تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضات فطار البرهمي في الجو فارتفعت إليه نعل وتضرب رأسه وتصفعه حتى وقع على الأرض منكسا على رأسه بين يدي الشيخ والناس ينظرون .

وفي " الزواجر عن اقتران الكبائر" ثم السحر على أقسام :
القسم الأول : سحر عبدة الكواكب وهم ثلاث فرق الأولى الذين يزعمون أن الأفلاك والكواكب واجبة الوجود لذواتما وانها غنية عن موجد ومدبر وهي المدبرة لعالم الكون والفساد وهم الصابئية الدهرية .

والثانية : القائلون بهيئة الأفلاك زاعمون أنها هي المؤثرة للحوادث باستدارتها وتحركها فعبدوها وعظموها واتخذوا لكل واحد منها هيكلاً مخصوصاً وصنماً معيناً واشتغلوا بخدمتها وهذا دين عبدة الأصنام والأوثان .

والثالثة : أثبتوا لهذه النجوم والأفلاك فاعلاً مختاراً أوجدها بعد العلوم إلا أنه تعالى أعطاها قوة غالية نافدة في هذا العالم وفوض تدبيره إليها .

القسم الثاني : سحر أصحاب أهل الأوهام والنفوس القوية أي الذين يزعمون أن الأنبياء تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير إلى حيث يقدر على الإيجاد والإعدام والإحياء والأمانة البينة والشكل .
الثالث : الاستعانة بالأرواح الأرضية أي المسمى بالعزائم وتسخير الجن .

الرابع : التخيلات والأخذ بالعيون .

الخامس : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآيات على النصب الهندسية مثل صورة فرس في يدبوق إذا مضت ساعة من النهار صوت البوق دون أن يمسه أحد .

السادس : والاستعانة بخواص الأدوية المبادة والمزيلة للعقل ونحوها .

السابع : تعليق القلب وهو ان يدعى إنسان انه يعرف الاسم الأعظم وأن الجن تطبعه ويتقادون له فإذا كان السامع ضعيف العقل قليل التميز اعتقد أنه حق تعلق فلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والخوف فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل ما يشاء وانكر المعتزلة الأنواع الثلاثة الأول قيل لعلهم كفروا من قال بها وبوجودها وأما أهل السنة فجوزوا الكل وقدرة الساحر على ان يطير في الهواء وأن يقلب الإنسان حماراً والحمار إنساناً وغير ذلك من أنواع الشعوبذة .

بالجملة كل من المعجزة والكرامة والسحر أمور خارقة للعادة وانما الفرق بينها من حيث النسبة إلى من ظهرت على يديه فان ظهر ذلك الخارق ممن هو افضل الناس نشأ وشرفاً وخلقاً وخلقاً وصدقاً

وأدباً وأمانة وزهادة واشفاقاً ورفقاً وبعد عن الدناءة والكذب والتمويه وكان له أصحاب في غاية العلم والديانة كان ذلك الخارق معجزة مصدقة لدعواه وان ظهر على يدي متبع لنبي مقتف لهداية مواظب على الطاعات معرض عن المخالفات يدعوا إلى تصحيح العقائد والى إقامة الشريعة والأذكار والعبادات كان ذلك الخارق كرامة له أكرمه الله تعالى بها لا بقراءة رقى ولا بتدخين وان ظهر على يدي ذي نفس شريرة خبيثة كان سحراً وهذا فرق باعتبار الظاهر وثم فرق باعتبار الباطن ونفس الأمر وهو أن السحر كالسيما والهيميا يكون بخواص أرضية أو سماوية وكالظلمات يكون بنقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعمهم وكالعزائم والاستخدامات يكون بتلاوة أسماء خاصة تعظمها ملوك الجن مع تبخيرات وهيئات معلومات غالبها مكفرة .

وكل ذلك أسباب مادية جرت ع

مسبباتها عليها لكنها خفية لم تظهر إلا لقليل من الناس فهي في الحقيقة ليس فيها شئ خارق للعادة إلا من حيث الظاهر أما في نفس الأمر فلا لارتباطها بأسبابها الخفية كالحشائش التي يعمل منها النفط التي تخرق الحصون وكالدهن الذي من ادهن به لم يقطع فيه حديد ولا يؤثر فيه

وكالدهن الذي من ادهن به لم يقطع فيه حديد ولا يؤثر فيه النار ونحو ذلك بخلاف المعجزة والكرامة فإنه ليس في الحشائش و الادهان وغيرها ما يقدر فيه الإنسان على قطع المسافة البعيدة في زمن يسير أو على المشي على وجه الماء أو على إحياء الموتى.وفلق البحر ونحو ذلك مما هو معجزة أو كرامة تظهر بمجرد خلق الله تعالى بلا استعمال أسباب معدة لذلك .

وقال المحقق التفتازاني في شرح المقاصد الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وكرامته ظهور أمر خارق للعادة من قبله غير مقرون بدعوى النبوة وبهذا يمتاز عن المعجزة وبمقارنة الاعتقاد والعمل الصالح والتزام متابعة النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستدراج وعن مؤكدات تكذيب الكذابين .

كما روي ان مسيلمة الكذاب دعا لا عور أن تصير عينه العوراء صحيحة فصارت عينه الصحيحة عوراء وبصق في بئر لتزداد حلاوة مائها فصار ملحاً أجاجاً ومسح على رأس يتيم فصار أقرع

وهذا يسمى إهانة كما امتازت بكونها على يد ولي عما يسمى معونة وهي الخوارق الظاهرة على أيدي عوام المسلمين تخليصاً لهم من المحن والمكارة .

وبهذا ظهر أن الخوارق أربعة : معجزة وكرامة وإهانة ومعونة وزاد بعض المتأخرين والإرهاص أي التأسيس وهو ما يكون قبل دعوة النبوة كتسليم الحجر و إظلال الغمام قبل البعثة على النبي صلى الله عليه وسلم والاستدراج وهو ما يظهر على يد ظاهر الفسق وهي طبق دعواه بلا سبب كما وقع لفرعون السحر والشعبذة وهو ما يكون كأكل الحيات وهي تلدغه ولا يتأثر لها .

ويقول المحققون أن كل خارق ظهر على يد أحد من العارفين فهو ذو جهتين جهة كرامة من حيث ظهوره على ذلك العارف ، وجهة معجزة للرسول من حيث أن الذي ظهرت هذه الكرامة على يد واحد من أمته ، لأنه لا يظهره بتلك الكرامة الآتي بها ولي ألا هو محق في ديانته وهي التصديق والإقرار برسالة ذلك الرسول مع الإطاعة

لأوامره و نواهيه ، حتى لو ادعى هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن ولياً و لم يظهر ذلك على يده .

فالخارق بالنسبة إلى النبي لا يكون إلا معجزة ، سواء ظهر من قبله فقط أو من قبل آحاد أمته ، وبالنسبة إلى الولي لا يكون إلا كرامة لخلوه عن دعوى النبوة والله أعلم .

إليك هذا الكلام الموجز في تحقيق المعجزات والآيات البينات وفيه بسط وتفصيل لا يسعه المقام ، ومن شاء فليراجع إلى المطولات خاصة إلى الجواب الصحيح للحافظ ابن تيمية والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير والشفاء للقاضي عياض وغيرها .

الفائدة السادسة عشر :
في تحقيق حديث افتراق الأمة سندا ومتناً

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تفرقت اليهود على احدى وسبعين أو ثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، رواه الترمذي ج٢ ص ٨٩ .

وقال الإمام الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وكذا اخرجه عن عبد الله بن عمرو رض ، وقال هذا غريب اسناداً ، وقال أيضا : وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص وعوف بن مالك ، وكذا صحح رواية أبي هريرة السخاوي في المقاصد الحسنة والشاطبي في الاعتصام،

وقال ، الذهبي أنه على شرط مسلم ، وزاد شارح سفر السعادة على هؤلاء الأربعة أحد عشر صحابياً آخرين وهم أنس وجابر وأبو امامة وابن مسعود وعلي وعمرو بن عوف وعويمر وأبو الدرداء وأبو معاوية وابن عمر وواثلة رضي الله عنهم ، فبلغ جميع الرواة من الصحابة خمسة عشر نفراً ، وقد علمت ان رواية أبي هريرة

صححها الترمذي والسخاوي والشاطبي والذهبي، وكذا صححها حاكم وكذا رواية أبي معاوية أو معاوية ، والاغلب أن يكون معاوية صححها حاكم ، وقال هذه اسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث ، والذهبي أيضا سلم ، هذا .

وكذلك رواية عوف بن مالك في المستدرك للحاكم ، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وسكت الذهبي على تصحيح الحاكم ، ولم يتكلم فيه بشئ فكأنه سلم قول الحاكم ، وكذلك رواية أبي أمامة رواه ابن ماجة والترمذي باختصار ، ورواه الطبراني ورجاله ثقات ، فتلك الروايات الأربعة اعني رواية أبي هريرة ومعاوية وعوف بن مالك وأبى أمامة قد وجد التصحيح والتوثيق من أئمة الحديث مصرحا ، وأما رواية أنس وعبد الله بن عمرو وعمرو بن عوف وابن عمر لا تخلو عن الحسن أيضا .

واما رواية ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وأبى الدرداء وواثلة وعلي رضي الله عنهم قد رويت بأسانيد ضعاف وأما رواية جابر وعويمر رضي الله عنهم فلم يتكلم فيهما أحد من الأئمة ، فعلى هذا التفصيل يصح لنا أن نقول : بأن حديث افتراق الأمة ثابت قطعاً ، لأن بعض الروايات صححه كثير من الأئمة ، وبعضها ولو كان

ضعيفاً لكنه بتعدد الطرق وتعاضد الروايات الأخر يكون قوياً بل يرتقي إلى درجة الحسن ، فالحديث ثابت لا يمكن إنكاره على قواعد أصول الحديث .

فما قال العلامة مجد الدين الفيروزآبادي في خاتمة سفر السعادة : لم يثبت فيه شئ وأيضاً ما قال ابن حزم تحت بيان الكلام فيمن يكفر ومن لا يكفر هذان حديثان لا يصحان أصلا من طريق الإسناد ليس بصواب بل لا يعتبر قولهما أصلا على جنب هؤلاء الأئمة الكبار كما مر سابقاً والله اعلم .

الفائدة السابعة عشر :
في تشريح لفظ الاختلاف والتفرق والافتراق

اعلم ان هذه الألفاظ الثلاثة متقاربة المعنى ، لأن كل شيء او حال إذا وجد له ما يخالفه ويقابله يقال بينهما اختلاف وتفرق فعلى هذا يقال بان العالم مركز الاختلاف من العرش الى الثري يوجد فيه مثلاً اختلاف الليل والنهار والشهور والسيئين والفصول والمواسم وكذا اختلاف الألوان و الأشكال و الأجناس والصفات واللغات والألسنة واليه أشار قوله تعالى " و اختلاف الليل والنهار ٥/٤٥ ، واختلاف ألسنكم و الوانكم " ٣٠/٢٢

وكذلك يوجد فيه اختلاف الحق والباطل واختلاف الهداية والضلالة من سالف الزمان واليه أشار قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم (هود ١١٨/١١) قال عطاء وجماعة من المفسرين : المراد بالاختلاف في هذه الآية هو اليهودية والنصرانية والمجوسية والحنيفية ، والمراد بالمرحوم هو الأمة المحمدية وهم الأمة المرحومة، والأمم السابقة هم

المختلفون ، ولا يطلق الاختلاف على من رحمه الرب تعالى ، وكذا حال الاختلاف بين أهل الحق والباطل ، فان أهل الحق داخل تحت قوله الا من رحم ربك ، فظهر انه من كان من أهل الاختلاف لا يكون داخلاً تحت الرحمة ، بل هو منحرف عن سبيل الحق ، واليه أشار قوله تعالى: وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (الأنعام ٦/١٥٣) ،

وكذلك وضح بان سبيل النجاة واحد ، وللضلالة سبل متفرقة فثبت من آية سورة الهود والأنعام أربعة أمور، أحدها ان الصراط المستقيم واحد ، وثانيها: والسبل المتفرقة كثيرة ، وثالثها: ان النجلة للجماعة المرحومة فقط .

ورابعها: ان لا نجاة لاهل الاختلاف ، وحديث الافتراق ورد على هذه الأمور الأربعة ، واعلم ان الله تعالى يبعث الرسول لمحق الاختلاف والتفرق ، لأن يجمع الناس على دين واحد وشريعة واحدة ، كما قال الله تعالى: ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ (الأنعام ٦/١٥٩) .

فمن فرق في الأمة فهو مختلف ومفترق لا تعلق له بالشريعة ، وان الاختلاف له أنواع ، قد يكون بحسب الدين معناه : ان جماعة

من الناس تتبع الدين السماوي والاخرى تنكره ، فهذا هو اختلاف الملة والدين .

وقد يكون الاختلاف بين متبعي دين واحد ، بعد ان تكون الأصول والكليات متحدة ، ويكون الاختلاف في الجزئيات فقط ، ولا يكون ذلك سبباً للمنافرة ، وهذا النوع من الاختلاف ليس من ذلك الاختلاف المذموم،

وهنا نوع آخر بأن يكون الاختلاف في الأصول والكليات ، ولكن كلهم تحت ملة واحدة ، كاختلاف المعتزلة والمرجئة والجهمية والقدرية ، وهذا النوع من الاختلاف صار سبباً للبغض والعداوة والتفاخر والمنافرة ، فهو داخل في الاختلاف المذموم أيضا ، بالجملة ان كان الاتفاق في الأصول والكليات المقررة من الشرع، والاختلاف في الجزئيات والفروع فقط فلا يقال ذلك اختلاف الذي ذمه القرآن ، كما قال تعالى: وشرع لكم من الدين ما وصى به ونوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (شورى ٤٢/١٣) .

فظهر ان الشرائع السماوية فيما بينها ولو كان فرق ظاهر مع
نه ما سمى القرآن ذلك اختلافاً لأن أصول كلها متحدة متفقة ، ثم
ال ولا تتفرقوا فيه فيعلم من ذلك ان التفرقة تكون في الكليات
والأصول دون الجزئيات والفروع ، فحينئذ يقال بأن الاجتهاد
والاستنباط في النوازل المسكوت عنها ، الذي له أصل ثابت من
لشرع لا يعد اختلافاً ، لأنه لم يكن في الأصول والكليات ، بل اجلز
ذلك الشارع بأن يجتهد في تخريج الأحكام الجزئية،وكذا حال
لاختلاف بين الصحابة ، فانه لم يكن بينهم في الأصول والكليات وفي
لمسائل الدقيقة ، بل لم يكن لهم سوال من الفروع والمسائل الجزئيات
، ولذا قد ترى بعض الصحابة يرفع اليدين ويجهر البسلمة والتأمين ،
وبعضهم ليس كذلك ومع ذلك يصلون في مسجد واحد ، ويقتدي
عض خلف بعض ، وليس بينهم تباغض وتحاسد ، ولا بينهم جدال
وخصومة ، بل كلهم يعمل بالاجتهاد بما رأى النبي صلى الله عليه
وسلم أنه يفعل كذلك ، فلذا اختلاف الصحابة فيما بينهم ليس من
لاختلاف الذي ذمة القرآن ، وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى "الا من

رحم ربك " فان أهل الحق ليس فيهم اختلاف ، فمجاهد كانه قال ليس هو من الاختلاف ، وقال الحسن البصري فان أهل رحمة الله لا يختلفون اختلافاً يضرهم ، فهذا كأنه عده اختلافاً، ولكن ليس هو من الاختلاف المضر الذي ذمه القرآن ، وإذا وجد نحو هذا الاختلاف فالقرآن قد أقام أصلاً لدفع هذا فقال: فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله ورسوله " فيعلم من هذا ان بعد الاختلاف أيضا يبقى سبيل الاتحاد والاتفاق ، فالمجتهدون كلهم متفقون في الرد لا اختلاف في ذلك ، انما كان ذلك في الفهم والاجتهاد ، وقد أجاز ذلك الشارع فكيف بعد ذلك اختلافاً . والله اعلم

الفائدة الثامنة عشر :

في بيان تعيين الفرق الباطلة ومعرفة علاماتها

قد علمت مما سبق من رواية الترمذي عن أبي هريرة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تفرقت اليهود على احدى وسبعين او اثنين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة الخ .

بان الحديث صحيح ، وقد صححه الترمذي والسخاوي والشاطبي ، وعلمت بأن الفرق ثلاث وسبعون فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة . فالمراد بالأمة في الحديث أمة الاجابة دون الدعوة ، لأن هذا مشابه بافتراق اليهود والنصارى ، كما أنهم افترقوا مع كونهم يهودياً ونصرانياً،

كذلك أمة الإجابة تفترق بتلك الفرق كلها مع الادعاء بأنهم مسلمين ، فتفرقهم على ثلاث وسبعين فرقة ، وان كانت تبعده العقول وتتحير فيه ، خاصة من هو مؤرخ فقط ، فلوعد جميع الاختلافات فرقة مستقلة فإذا تكون الفرق أكثر من ذلك العدد بكثير وان عد ما يورث الكفر فقط فرقة ، فيكون اقل من العدد المذكور في الحديث ، لهذا قال بعض الناس الحديث ليس بثابت بل موضوع حاشا

لله ، ولكن المحدث والفقيه الذي هو عالم بتعبيرات كـــلام النبـــوة ، وعارف برموز اشارات الشارع ، لا يتعجب منه بل يؤمن به ويطمئن عليه ، لأنه من كلام صاحب النبوة خاصة اذا كان متعلقاً بالمستقبل ، ومن سلسلة الفتن ، وأمثال هذه الأخبار تكـــون مجملـــة أغلبـــها ، والمقصود منها التنبيه والحذر،

ولذا ترى كثيراً من الصحابة لا يتصدون بتفصيل هذه الاخبلو وجزئياها ، ههنا ايضا لم يوجد في الاحاديث بيان تلك الفرق مفصــلا ، فصار تعيين الفرق مشكلا وصعبا ، لكن العلماء الراسخين عينـــوا تلك الفرق الباطلة على ضوء تلك الأثار والعلامات التي بينها الرسـول صلى الله عليه وسلم دليلاً على البطلان والضلالة ، ونبه الامة منـــــها وحذرها عليها .

فالآن نذكر نبذة من تلك العلامات التي تدل علـــى الفــرق الباطلة حتى يسهل تعيينها ، أحدها البغض والنفاق ، بأن أهل الحق مع ما بينهم من الاختلاف في الجزئيات والفروعات ليس فيهم اختـــلاف حقيقة ، ولا يورث ذلك بغضاً ونفاقاً فيما بينهم ، ولذا تـــرى أهـــم يكونوا غير متعصبين ، ولكن أهل الباطل الذين يختلفون مع أهل الحــق ، يكونوا متعصبين ومتعاندين ، وفيهم يسرى البغض والنفـــاق اشـــد

سراية ، ولذا قال مجاهد : أهل الحق ليس فيهم اختلاف واليه أشار قوله تعالى : ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ،

وقال عكرمة : المختلفون هم أهل الأهواء ومصداق الا من رحم ربك هم أهل السنة والجماعة ، وكذا قال عمر بن عبد العزيز ومالك : بأن أهل الرحمة لا يختلفون (الاعتصام) ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ،

وكذلك إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة في أمر مختلفون يسخط ، وترى كثيراً من الصحابة يمنعون الناس من الاختلاف وينهونهم عنه ، كما قال عمر رض يوماً للصحابة ان اختلفتم فمن بعدكم يختلفون كثيراً ، وكتب علي رض إلى القضاة : اقضوا كما كنتم تقضون قبل فاني لا احب الاختلاف .

وقال عليه الصلاة والسلام : ان الأمم من كانت قبلكم قد هلكوا باختلافهم على الأنبياء ، بالجملة أهل الحق لا يختلفون بمعنى أنهم لا تباغض بينهم ولا تشاجر كما يكون ذلك في أهل الأهواء .

وثانيها: اتباع المتشابهات ، قال الله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات — وفي اللغة يقال : الام هو الأصل الذي يرجع إليه جوانبه واطرافه ، ولذا

يقال أم القرى مكة وأم القرآن الفاتحة بمعنى ان معاني القرآن ترجع إلى معاني الفاتحة ، فكذلك الآيات المحكمات هن أم الكتاب، بمعنى أن المتشابهات تحوم حول المحكمات وترجع اليهن ،

فيقول الله تعالى : والراسخون في العلم يقولون آمنا بالله والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ٣/٧ ، علم منه بأن أهل الزيغ والطغيان يبحثون في المتشابهات كما يبحثون في المحكمات ، والحال أن الآيات المتشابهات غير واضحة المراد والمعنى ، ولم يأمر الله تعالى بها فلا وجه للبحث في تلك الآيات ، فمن يكون في قلبه زيغ فهو يتبع لها ،

والأصل أن المحكم له معنيان خاص وعام ، فالمعنى الخاص هو مقابل المنسوخ ، فالذي ليس بمنسوخ هو محكم، والمنسوخ هو المتشابه ، والمعنى العام هو الذي يضح معناه، فالمتشابه الذي لا يضح معناه سواء يعلم معناه من البحث والتحقيق أو لم يعلم ، فعلى هذا يكون المتشابه قسمين حقيقي واضافي ، فالحقيقي هو الذي لا سبيل لنا إلى حله ولم يبين الشارع بنفسه هذا القسم نادر في القرآن .

وأمر علينا ان نؤمن به فقط وهو المراد في الآية ، والاضافي هو الذي بينه القرآن بنفسه في مقام آخر، مثل تخصيص العام أو تقييد

المطلق ، ولكن أهل الزيغ والهوى لا ينظرون إلى سياق الآية وسياقها ، فيختلفون في معناها ،

مثلاً سأل رجل عن جابر الجعفي معنى الآية فلن ابوح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ١٢/٨٠ ، فقال جابر الجعفي : لم يظهر مصداق الآية إلى اليوم، فقال سفيان كذب ، فقال الحميدي ما قال جابر ومراده فقال سفيان انه كان يرى الرفض وان علياً في السماء مخفي ، فاذا يقرب آن الظهور يظهر مع أولاده في السماء ، فالروافض يطبقون الآية على رأيهم معاذ الله ، والحال ان الآية من سياقها وسباقها تدل على أنها نزلت في واقعة يوسف عليه السلام مع اخوته ،

وكذلك الخوارج يقولون : أن الحكم الا لله ، فتحكم علي رض رجلاً من الصحابة خروج عن معنى الآية ، والحال ان الله تعالى أجاز تحكيم الإنسان في القرآن أيضاً ، كما في آية التحكيم بين الزوجين ، وكذلك الجبرية لما رأوا الاية والله خلقكم وما تعملون ، يقولون ان العباد مجبورون في افعالهم ، ليس لهم كسب واختيار، ولكنهم لم يروا الى قوله تعالى: جزاء بما كانوا يكسبون، وغيرها من الآيات ، ـ باجملة كانت عادات أهل الأهواء بأن يتعينون معاني من

رأيهم أولا ، ثم يتفتشون مخارجها من القرآن ، فيطبقـون مـا أرادوه على ما في القرآن ، هذا اسلوب باطل يقيناً والحق في هذا الموضـوع بأن المتشابه الحقيقي لا سبيل إلى حله وكشفه ، ويجب على النـاس أن يؤمن به، ولا يعلم تأويله الا الله .

وفي المتشابه الاضافي يشتبه معناه بنقص العلم وقلة الفهم، فإذا يراه أهل العلم الكثير، وينظر إلى سياقه وسباقه ، والى مواضع القـرآن الأخر، يفهم المراد صحيحاً، فاتباع المتشابه الحقيقي علامـة الزيـغ والضلال مطلقاً ، واتباع المتشابه الاضافي علامة الزيغ والهوى لأهـل قليل الفهم والعلم الناقص .

وثالثها : اتباع الهوى وقد مر البحث عنه سابقاً ، وأما الفـرق بين هذه العلامات الثلاثة بأن الاولى يعرفها كل ناس ، والثانية يعرفـها العلماء الراسخون في العلم فقط، فاهم واقفون على الفرق بين المحكـم والمتشابه، والثالثة انما يقضيه كل انسان بنفسه ، لأن الفرق بين الـذي في قلبه اتباع الحق ، وبين الذي في قلبه اتباع الهوى، يعلم ظـاهراً ، وعلى ضوء هذه العلامات الثلاث تعرف الفرق الباطلة ، ومع ذلك لا ينسد البحث ولا ينقطع الكلام في هذا المجال ، والسبيل الا قوم الـذي ذهب اليه جميع الصحابة ، بأهم لم يتصدوا بتعيين الفرق الباطلة ، بـل

تصدوا بتحقيق الفرقة الحقة الناجية ، حيث سألوا : وما هي يا رسول الله ، فانهم يعلمون ان إدراك الصراط المستقيم لا يمكن الا من صاحب الوحي ، ولم يترك الله تعالى لتحقيق ذلك الى عقول النـــاس ، والا لا ضرورة إلى النبي والرسول ، فكان الأنسب أن يعين صاحب الرســالة ما هو سبيل الحق والصراط المستقيم من لسانه ، واما تعيـــين الســـبل المنحرفة ففوضه إلى الأمة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " ما أنــا عليه وأصحابي ، " هو سبيل الحق والصراط المستقيم .

ثم في قوله عليه السلام : كلهم في النار الا ملة واحدة ، يقــال لما كان أكثرهم في النار فكيف تكون هذه الأمة مرحومة، أجيـــب أولاً بأن هذا غلط حسب القاعدة، لأن الرحمة تكون بحسب الحـــق وفضل الله تعالى، لا بحسب العدد ، وثانياً لما تدخل هـــذه الأمـــة في الجنة فح ترى أنه أكثر بحسب الأمم الآخرين فيها .

وقال بعض العلماء ان قوله عليه الســـلام كلـــهم في النـــار، محمول على مقتضى المحاورة والاصطلاح ، يعني ليس المراد أنهـــم في النار حقيقة ، بل المراد أنهم على الغلط غير مقبولين عند الله ، كمـــا يقال تشديداً القوه في التنور وهذا ما قال البعض ليس بصحيح ، لأنـــه جاء صراحة في رواية أخرى ، وواحدة في الجنة ، فلا مساغ لهذا المعنى

، والراجح ما قال الإمام الغزالي والشاه عبد العزيز رحمه الله : بأن فرقة تدخل الجنة بدون عذاب، وهم الذين ليس في عقائدهم وأعمالهم البدع والرسوم ، وما صدر منها شيئ بحسب الطبيعة البشرية، فبفضل الله تعالى وكرمه يعفو ويغفر، وهم ينجون عن شدائد القبر والمحشر ، ويدخلون الجنة من أول الأمر، وعلى خلافهم الفرق الباطلة ، فهم بسبب الافتراق والتشتت معذبون في النار ثم يدخلون الجنة ، ويمكن ان يكون هذا هو المراد من حديث ابن عمر رض ما من أمة الا وبعضها في النار وبعضها في الجنة الا أمتي فإنها كلها في الجنة رواه الطبراني في المعجم الأوسط والصغير،

وقال صاحب جمع الفوائد إسناده ضعيف ومعناه صحيح ، ولا يلزم ان يكون مدار النجاة التوحيد فقط ، والعصيان غير موجب للعذاب كما هو عند المرجية وهذا مخالف لأهل السنة والجماعة بالجملة ان المراد بهذه الفرقة الناجية هي التي تعمل بالسنن حرفاً حرفاً وتحترز عن البدعات كلها اعتقادية كانت او عملية وهذه الفرقة تدخل الجنة من غير عذاب، وهذا هو المعنى بقوله "ما أنا عليه وأصحابي" فلا اشكال .

وأما قوله عليه السلام "اختلاف امتي رحمة " فقال صاحب مقاصد الحسنة رواه البيهقي في ضمن حديث طويل مرفوعا ، وروى الطبراني والديلمي والضحاك منقطعاً،

وقال العراقي حديث ضعيف مرسل ، وكذا يعلم من كلام الخطابي بأن له أصلا ، وقال العلي القاري في تذكرة الموضوعات : زعم كثير من الائمة انه لا اصل له لكن ذكره القرطبي في غريب الحديث مستطرداً وأظن بأن له أصلاً عنده ،

وقال الزركشي أخرجه نصر المقدس في كتاب الحجة مرفوعاً ، والبيهقي في المدخل عن القاسم بن محمد قوله ، وفي حاشية البيضاوي رواه السبكي وغيره ، ولكن ما كان عند المحدثين مشهوراً ، وعن عمر بن عبد العزيز قال ما يسرني لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ، قال السيوطي ، وهذا يدل على أن المراد اختلافهم في الاحكام ، وفي مسند الفردوس من طريق جويبر عن الصحابة عن ابن عباس مرفوعاً "اختلاف أصحابي رحمة"

بالجملة هذا حديث ليس هو موضوع اصلاً بل له اصل ، ولكن سنده ضعيف ، في شرح معناه أقوال ذكرها العلماء ، كما في الاعتصام والموافقات .

والخلاصة بان الصحابة قد فهموا الدين والشريعة من صاحب الرسالة اصالة ، وكانوا وافقين باسرار الشريعة وأغراضها فيما لم ينص ، فكثرت صور الاعمال واشكالها، فوقع المساغ واتسع للأمة ، وان لم يختلفوا يخشى ان ينحصر العمل في صورة واحدة، فحينئذ يكون الضيق على الامة ، فلما اختلفوا وقع سهل للعمل ، بأن يختار أحد بأي أقوال وجدت فيهتدي ، وليس المراد ان يختار كل واحد بما تقتضيه النفس وتشتهيه ، بل المراد اذا كان الاختلاف في غير المنصوص يختار قول واحد بحسب اجتهاده ، فبذلك ثبت الاجتهاد لمن بعدهم وصار ذلك أسوة للمجتهدين وحجة لهم ، وبهذا التوجيه ظهر معنى كون اختلاف الصحابة رحمة للامة والله أعلم .

الفائدة التاسعة عشر :

في بيان أسباب الاختلاف والتفرق بين أهل الحق والفرق الباطلة

قد ذكرنا فيما قبل ان المراد من الاختلاف والتفرق هو الذي يكون في الأصول والكليات ففي الإسلام قد نشأت الفرق الضالة الباطلة وبالاستقراء التام والامعان الغائر وجدنا لذلك أسبابا ثلاثة :
أحدها : العلم الناقص والسطحي ، وثانيها: اتباع الهوى والنفس ، وثالثها: اتباع الرسوم والعادات .

فأما السبب الأول فلان القوم العربي الذين لقبهم الله تعالى بالأميين لما بعث فيهم رسولاً منهم تعلموا العلم منه ولكن ليس طريقه كما في زماننا بحيث يتعلم أحد عند معلم ملقب بألقاب عديدة وعنده كتب مطبوعة فيقرأ عنده بل كان طريق تحصيل علومهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث يحفظون ما يسمعون من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعملون ما يعلمون لا يشكون فيه ولا يتفكرون

فينظرون إلى حركاته وسكناته ونطقه وضحكه وقيامه وقعوده وطعامه وشرابه ولباسه ومشيه ويقظه ونومه فيتبعون ما ينظرون ويقتدون ما يبصرون ويجهدون في الاعمال مبلغ جهودهم ويتبعون مرضاة الله غاية بغيتهم فتأثرت صحبته في قلوبهم تأثيراً بليغاً وأحسوا

في بواطنهم نورا ورسوخا عظيما حتى صار واميزانا للأعمال لمن بعدهم ومعيارا للحق وأسوة لمن خلفهم وأيضا لما نزل القرآن بين أيديهم وهم يعلمون التفسير الصحيح من رسولهم فتجمع عنده علوم كثيرة من غير كلفة وتحوي حقائق غزيرة من غير مشقة فلا بتصور فيهم نقص العلم وقلة الفهم .

ولكن لما فقدوا النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي هو أسوة وقرآن عمليا أعني توفي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت جماعة الصحابة عكوس ومظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم في العلم والعمل فوصل العلم الخالص الصحيح منهم إلى من بعدهم من التابعين وحينئذ انتشر الإسلام في انحاء البلاد وخرج من العرب إلى العجم فتبدل طريق التعليم والتعلم وتغير نهج الافهام والتفهيم واختلطت العلوم الرسمية بالعلوم العملية فانتشرت اذهان الناس وافكارهم وتشتتت أحوال الجمع وشئونهم فالذي وصل منهم إلى من بعدهم فهو الفاظ العلوم وسطحها وتعبيرات المعاني وجهها وفتحت ابواب العقل والنظر فقال ناس ما شاؤوا بالعقل والفكر وعلى حنب هذا فتش أهل الحق علوم الصحابة وعلوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ان جاء زمان الخلافة الرابعة فخرجت فرقة كان في أيديهم قرآن وفي جبهاهم آثار السجود

وقد بعث على علي رض وكانت تقول ان علياً قد كفر لأن الحكم لا يكون الا لله وان علياً قد رضي بحكم الإنسان وخالف القرآن فصار كافرا العياذ بالله .

وفي الأصل ليس لهم درك في المقاصد وفهم المعاني في القرآن وما كانت لهم قوة الاستنباط وصلاحية الاجتهاد لهم عقول ظاهرة وعلوم سطحية فما فهموا معاني القرآن ومقاصده إليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فانهم كانوا يقرؤون القرآن ولا يفهمون ولذا لما ذهب ابن عباس رض إليهم ليناظر معهم فقال : إني جئتكم من هؤلاء الذين انزل القرآن بين أيديهم وهم قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم ما رأيتم النبي ولا نزول القرآن " وكان غرضه من هذا انكم تقرؤون القرآن ولكن لا تفهمون معانيه ولا تبلغون إلى حقيقة العلم فلا يجوز لكم الاختلاف مع علي رضي الله عنه .

وكذلك قال ابن عباس لما سأله عمر رض كيف يكون الاختلاف في الأمة والحال ان النبي واحد والقبلة واحدة والكتاب واحد ، فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين قد أنزل القرآن بين ايدينا فعلمنا موارد النزول واضحاً ولكن سيجئ أقوام يقرؤون القرآن لا

يعلمون موارد النزول صحيحاً فيقولون برايهم وظنهم فلذا اختلفوا حتى تقاتلوا فلم يتفق عمر بقوله ثم اتفق بما قال ابن عباس (الاعتصام ص١٥٧) .

فعند ابن عباس سبب الاختلاف قلة الفهم ونقص العلم الحقيقي وأنت قد رأيت ما ذا فعل الخوارج ؟ قد خرجوا على علي رض بقصور علمهم وقلة فهمهم ولذا قال الاوزاعي لتلميذه بقية: يا بقية العلم ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يجئ عنهم فليس بعلم (جامع بيان العلم ج٢) .

وقال الشعبي : ما حدثوك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ به وما قالوا فيه برايهم قيل عليه (جامع بيان العلم) .
وقال ابن مسعود رض : لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أكابرهم فإذا اتاهم من قبل اصاغوهم هلكوا . وقال ابن المبارك : المراد بالاصاغر الذي يقولون برايهم وقال أبو عبيدة المراد الذين جاءوا بعد الصحابة ويرجح علومهم على علوم الصحابة (جامع بيان العلم)
فقد علمت مما ذكرنا كيف كانت علوم الصحابة وان لم يكن في علومهم طول وعرض قدر ما يعلمه المتأخرون ولكن في علومهم عمق

ورسوخ بحيث ليس عندهم شك وريب فيما علموا من صاحب النبوة ألف ألف صلاة وتحية .

قال ابن مسعود من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا في آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم .

وكتب صاحب الموافقات في ديباجة كتابه ثلاث عشرة مقدمات وقال في الثانية عشر ما هو أهم من الكل وحاصله قال ينبغي ان يتعلم العلم من الراسخين ويحصل الفهم من المحققين لأن صحبتهم مؤثرة تاثيراً عظيماً في الفهم والرسوخ ولذا ترى الصحابي الذي قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم سورة الإخلاص مرة فانه قد فهم التوحيد والرسالة بأحسن وجه ما لم يفهمه أحد يحفظ القرآن جميعاً وما ذلك الا بأنه كان تعلم عند النبي صلى الله عليه وسلم واختار الصحبة ولا يكفي للعلم النظر في الألفاظ فقط فان فيها اشتراكاً وترادفاً وحقيقة ومجازاً وعموماً وخصوصاً والمعلم يبين .

خلاصة الكلام بحسب التحقيق بحيث ينشأ منه في المتعلم قـوة وملكة يدرك بها الحقائق قبل تفصيلها وشرحها كما في وقعـة عمـر رض وافقني ربي في ثلاث وكما في واقعة صلح الحديبية حين أنكـره عمر رض ولما قرا النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحاً مبينـاً الخ .سكن قلبه واطمأن جاشه .

وكذا في الواقعة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اضطربت القلوب وتحيرت الخواطر حتى قام عمر رض بالسيف وقـال من يقول ان محمدا قد مات اقتله فلما قرأ أبو بكر رض وما محمـد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الخ . سكن عمر واطمأن والاصـل ان العلم إذا صار ملكة راسخة في القلب فهو ليس من علم لفظي بل هـو حكمة وعلم حقيقة واليه أشار قوله تعالى يعلمهم الكتاب والحكمة ــ ففي تفسير الحكمة ولو قال بعض المفسرين أنها سنة ولكن فيها أقـوال أخر ومنها هذا أيضا يعني الذي ينشأ في القلب بعد صحبة المعلم مـن الفهم والفراسة والملكة .

ولذا قال الإمام مالك رح : الحكمة والعلم نور يهدي بـه الله من يشاء وأيضا كان يقول لتلاميذه لا تكتبوا ما أقول لكم في المسـائل بالاجتهاد يمكن ان يتبدل رأيي بل تحفظون وتفهمون حـتى تستنير

قلوبكم ثم لا تحتاجون إلى الكتابة وأيضا قال ليس العلم بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله الله في القلوب ولكن عليه علامة ظاهرة وهو التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود وذلك لا يحصل الا بحسن العقيدة والاتباع .

وإذا حصل الرسوخ في العلم ويتضح نوره في القلب فيحث صاحبه إلى العمل لأن العلم الصحيح لا يبقى الا من العمل والعلم يجبر صاحبه على ذلك قال صاحب الموافقات في كتابه : قال الحسن البصري العالم هو الذي يعمل بعلمه والذي يخالف عمله من علمه فهو ليس بعالم وقال سفيان الثوري العلماء هم الذين إذا تعلموا العلم يعملون انهمكوا فيه وإذا انهمكوا فيه فلا يرون في العوام وإذا لا يرونه في العوام يطلبون وإذا يطلبون يفرون من الخلق .

وقال الحسن البصري تعلمنا العلم للدنيا فصيرنا للآخرة ، وقال معمر إن الذين يتعلم للدنيا فعلمه يجذبه إلى ربه تعالى . وقال حبيب بن أبي ثابت انا تعلمنا العلم على غير حسن النية وإذا جاء العلم فإذا حسنت النية بالجملة ان العلم نور من الله تعالى يلقى في قلوب العلماء وهو يحصل بثلاثة أمور الصحبة عند العلماء الراسخين وبحسن العقيدة لهم وباتباع العمل وهذه الامور الثلاث كلها توجد بطريق الاكمل في

علوم الصحابة رضي الله عنهم ولذا ترى علومهم ليست سطحية بل على الحقيقة وكانت نوراً كاملاً فلهذا لا افتراق بينهم واما الذين بعدهم فهم ليسوا كذلك فلذا اختلفوا افترقوا وسببه كان هذا العلم الناقص والسطحي .

أما السبب الثاني : يعني اتباع الهوى والنفس فلأن الإنسان ابتلي باحد السبيلين سبيل الهدى وسبيل الهوى فسبيل الهدى هو الدين الالهي الذي فيه الحكم والفصل لله الواحد القهار والإنسان يكون فيه محكوماً لله تعالى ويتبع فيما أمربه وثمرته الجنة وسبيل الهوى هي جزبات النفس ومقتضياها والنفس تكون فيها حاكمة ويتبع الإنسان حسب ما اقتضته النفس وثمرته النار .

فهما متضادان في نظر القرآن فمن اتبع الهوى فهو ليس بمتبع الهدى والذي يتبع الهوى فهو ليس بمتبع الهدى

كما قال الله تعالى: " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون " ٤٥/١٨ ، ولما كان سبب الهوى هو نفس الإنسان ومقتضياته سارية في سائر الجسم فإذا ينظر الهوى في صورة الهدى فلا يتوب عنه بل لا تسهل له التوبة واليه أشار قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه

وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ٤٥/٢٣ ، " .

وكذا قال تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم " ٤٧/١٦ ، وكذا قال عليه الصلاة والسلام وانه سيخرج في أمتي اقوام تتجارئ بهم تلك الأهواء كما يتجارئ الكلب لصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله فمتبع الهوى لا يجد لذة الا في اتباع الهوى كما لا يجد متبع الهدى لذة الا في العبادة لأنه جعل هواه الهه ورأى الهوى هداه فيضله عن سبيل الله كما قال الله تعالى " يا داؤد انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ٣٨/٢٦ .

ويعلم من هذه الآية ان الخلافة تنافي اتباع الهوى فالخليفة لو يتبع الهوى يكون ضالاً فكيف يهدى الناس وأيضا اتباع الهوى تضر في الشريعة والسياسة كما قال تعالى : ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض " ٢٣/٧١ .

وذم اتباع الهوى ثابت بالقرآن والحديث وأقوال السلف كما روى سفيان الثوري قال رجل لابن عباس انا على هواك فقال : الهوى كله ضلالة والقرآن متى يذكر الهوى يذكر في سلسلة المذمة فلنظر إلى

هذه الآيات التالية يقول الله تعالى : " ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس " ٥٣/٢٣ ، جعل فيه التخمين والهوى من نوع واحد وكذا قال الله تعالى : أمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم (محمد ٤٧/١٤) .

وقال أيضا " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ٧٩/٤١ ، يظهر منها ان الاحتراز عن الهوى موجب للخوف والخشية بخلاف الهوى وكذا قال تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى " ٥٣/٤ ، الظاهر منها التقابل بين الهوى والوحي وليس فيه نوع ثالث وقد نفي الله تعالى نطق الهوى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فتحقق الوحي بالجملة ان نتائج اتباع الهوى أمور:-

الأول : يلزم له الضلال . الثاني يظهر منه الفساد في الدين ونظام المعيشة والسياسة والثالث لا تتيسر له التوبة ولذا قال ابن مسعود رض من احب ان يكرم دينه فليعتزل مخالطة الشيطان ومجالسة أصحاب الأهواء فان مجالستهم الصق من الحرب " وكذا يروى في بعض الطرق لحديث افتراق الأمة الذين يقيسون الأمور برايهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال " قال ابن معين ان هذه الزيادة لا اصل لها

ولكن قال بعض المحدثين انها رويت من الثقة والاسناد صحيح فهو ثابت تقبل الحاصل ان الافتراق والاختلاف في الأمة قد تكون باتباع الهوى .

وأما السبب الثالث : الذي هو اتباع الرسوم والعادات فان الفطرة الانسانية تميل بطبعها إلى العادات القومية والملوكية والى الرسومات الحسبية والنسبية وكثيرا ما يقبل الإنسان قوانين وضوابط بحسب العادات القومية والنسبية فلذا ترى الشريعة أيضا تلحظ العادات القومية في بعض الاحيان .

وهذا اصل عظيم للقانون الالهي ولكن قد يكون في القوم من هو فاسد الخيال ظالم يتعدى في الأمور يفعل افعالاً شنيعة بجهله وقوته والذين لا قوة لهم فهم يصبرون مظلومين مقهورين لا يستطيعون المنع فيغضون ويسكتون ويمر على ذلك طول الدهر و لم توجد قوة سماوية أو ارضية للاصلاح والتغيير فيكون ذلك عادة عامة حتى يعد تارة جزءاً من الدين والمذهب .

كشرب البينح عند المزارات والقبور والعزلة والرهبانية وغيرها وكذلك بعض الرسوم والعادات يعد من المذهبيات و الدينيات مثلاً يقاد السرج ليلة البراءة والعرس وغير ذلك من الرسومات السيئة حتى

رسخت في قلوب الجهلاء بحيث لو منعوا عن ذلك يكون بينهم جدال وقتال وهذا القسم من اتباع الرسوم والعادات على خلاف الحق تقليد أعمى الذي هو من العادات الجاهلية وقد ذمها القرآن شديداً كما قال الله تعالى : وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة و أنا على آثارهم مقتدون " ليس معناه أن تقليد الآباء والأجداد غلط مطلقاً بل إذا كان على خلاف الحق والهدى كما قال تعالى : قل ولو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون " وكذا قال : قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه أباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون (زخرف) .

فظهر أن اتباع الآباء والأجداد من غير بينة من الحق ومن غير ثبوت من الشرع مذموم وهو تقليد أعمى والعجب من هؤلاء الحمقاء السفهاء الذين يقولون أن تقليد القرآن تقليد أعمى وأن تقليد الفلاسفة الاربيين تقليد الحق وحرية الخيال .

وفي الأصل أن تحقيقاقم غير كافية وأكثرها غير حق بل فيها فحش وبذاء وضرر للمعاش والمعاد وسبب لفساد نظام العالم والسياسة بخلاف علوم الأنبياء والقرآن قال الله تعالى : فمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم " أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه " أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى "

فظهر من هذه الآيات أن الأنبياء عليهم السلام يدعون الناس ال سبيل الحق المبرهن بالبنية ومن خالفهم ليس لهم دليل ولا بينة وأن الأنبياء على نور وضياء ومن خالفهم فهم على ظلمة وحجاب وكذلك هم على بصيرة واصابة الرأي ومن خالفهم فهم على العميلن والضلالة وعلى ابصارهم غشاوة فعلى ضوء القرآن تقليد الفلاسفة الاروبيين هو تقليد أعمى وفي الحقيقة أنهم لخبث بواطنهم وفساد قلوبهم يظنون الضلال رشدا والنور ظلمة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ففذلكة الكلام أنه أسباب الافتراق والاختلاف ثلاثة وقد يوجد كلها في مقام واحد وتارة أحد دون الآخر كيف ما كان أن الأمة تفترق على فرق كثيرة ولكن الدعوى ان علوم تلك الفرقة ناقصة أوانهم متبعو الهوى أو متبعوا الرسوم ليس بسهل لأن كل واحد من الفرق الباطلة يدعون بأنهم على علم صحيح ومتبعو الهدى ومتبعو الإسلام فلذا يحكم به العقل الصحيح والقلب السليم على ضوء القرآن والحديث وعلى ميزان عقائد الصحابة وجمهور التابعين والأسلاف الصالحين ليعلم أن في بقاء الاختلاف سر عظيم لبقاء الدنيا كما قال تعالى : ولذلك خلقهم والله أعلم.

الفائدة العشرون :

في أسباب الاختلاف بين الصحابة والتابعين في الفروع

اعلم أن هذا الموضوع من أهم الموضوعات والكلام عليه ليس بوسعنا ولا ينبغي له إلا لمن كان نظره في الحدبث وأحوال الصحابة وسيعاً وعلمه بعلوم الصحابة والتابعين محيطاً ، وهذا ليس في قدرتنا وطاقتنا ، فلذا أذكر في هنا من كلام البارعين في هذا الميدان ونبين مختصراً حسب ما فهمنا من كلامهم .

قال الشيخ الإمام الحافظ الحجة الشاه ولى الله الدهلوي في الأنصاف: أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن الفقه في زمانه الشريف مدونا ولم يكن البحث في الأحكام يومئذ مثل هؤلاء الفقهاء حيث يبينون بأقصى جهدهم الأركان والشروط والآداب كل شيء ممتازاً عن الآخر بدليله ويفرضون الصور من صنائعهم ويتكلمون على تلك الصور الفروضة ويحدون ما يقبل الحد ويحصرون ما يقبل الحصر إلى غير ذلك .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتوضأ فيرى أصحابه وضوءه فيأخذون به من غير أن يبين أن هذه ركن وذلك أدب ..

وكان يصلي فيرون صلواته فيصلون كما رأوه يصلي ، وحج فرمق الناس حجه ففعلوا كما فعل وهذا كان غالب حاله صلى الله عليه وسلم ولم يبين أن فروض الوضوء ستة أو أربعة و لم يفرض أنه يحتمل أن يتوضأ إنسان بغير موالاة حتى يحكم عليه بالصحة أو الفساد إلا ما شاء الله .

وقلما كانوا يسألونه عن هذه الأشياء عن أبن عباس رضى الله عنه قال ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة حتى قبض كلهن في القرآن منهن يسألونك عن الشهر الحرام تتال فيه ويسألونك عن المحيض قال ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم .

وكان يستفيه الناس في الوقائع فيفنيهم وترفع إليه القضايا فيقضي فيها ويرى الناس يفعلون معروفاً فيمدحه أو منكراً فينكر عليه وما كل ما أفتي به مستفتيا عنه أو قضي به في قضيه أو أنكر وعلى فاعله كان في الاجتماعات ولذلك كان الشيخان أبو بكر وعمر إذا لم يكن لهما علم في المسألة يسألان الناس عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو بكر رضى الله عليه وسلم ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيها شيئاً يعني الجدة وسأل الناس فلما صلى الظهر قال أيكم يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجدة شيئاً فقال المغيرة بن شعبة انا قال ما ذا ؟ قال اعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم سدساً قال ايعلم ذلك أحد غيرك فقال محمد بن مسلمة صدق فأعطاها أبو بكر السدس (رواه الترمذي و أبو داود) .

وقصة سؤال عمر الناس في الغرة ثم رجوعه إلى خبر المغيرة (رواه البخاري والمسلم) وسؤاله أياهم في الوباء ثم رجوعه إلى خبر عبد الرحمن بن عوف (رواه البخاري) وكذا رجوعه في قصة المجوس إلى خبره (رواه البخاري) وسرور عبد الله بن مسعود بخبر معقل بن يسار لما وافق رايه (رواه البخاري) وقصة رجوع أبي موسى عن باب عمر وسواله عن الحديث وشهادة أبي سعيد له (رواه البخاري) ، وأمثال ذلك كثيرة مروية في الصحيحين والسنن .

بالجملة فهذه كانت عادته الكريمة فرأى كل صحابي ما يسره الله له من عباداته وفتواه واقضيته فحفظها وفعلها وعرف لكل شئ وجها من قبل حقوق القرائن به فحمل بعضها على الاباحة وبعضها على الاستحباب وبعضها على النسخ لامارات وقرائن كانت كافية

عنده و لم يكن العمدة عندهم الا وجدان الاطمينان والثلج من غير التفات إلى طرق الاستدلال ، كما ترى الأعراب يفهمون مقصود الكلام فيما بينهم وتثلج صدورهم بالتصريح والتلويح الايماء من حيث لا يشعرون فانقضى عصره الكريم وهم على ذلك .

ثم انهم تفرقوا في البلاد وصار كل واحد معتدي ناحية من النواحي فكثرت الوقائع ودارت المسائل فاستفتوا فيها فاجاب كل واحد حسب ما حفظه أو استنبطه وان لم يجد فيها حفظه أو استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برايه وعرف العلة التي ادار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الحكم في منصوصاته فطرد الحكم حيثما وجدها لا يألوا جهداً في موافقة غرضه عليه الصلوات والسلام فعند ذلك وقع الاختلاف بينهم على ضروب منها ان صحابياً سمع حكماً في قضية أو فتوى و لم يسمعه الآخر فاجتهد برأيه في ذلك وهذا على وجوه :-

أحدها : أن يقع اجتهاده موافق الحديث مثاله ما رواه النسائي وغيره ان ابن مسعود رض سئل عن امرأة مات عنها زوجها و لم يفرض لها فقال لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي في ذلك فاختلفوا عليه شهراً و الحوا فاجتهد برأيه وقضى بان لها مهر نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث ، فقام معقل بن يسار

فشهد بأنه صلى الله عليه وسلم قضى بمثل ذلك في امرأة منهم ففـــرح بذلك ابن مسعود فرحة لم يفرح مثلها قط بعد الإسلام .

ثانيها : أن يقع بينهما المناظرة ويظهر الحديث بالوجه الـــذي يقع به غالب الظن فيرجع عن اجتهاده إلى المسموع ، مثاله مـــا رواه الأئمة ان أبا هريرة رض كان من مذهبه أنه من اصبح جنبا فلا صـــوم له حتى أخبرته بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف مذهبـــه فرجع .

وثالثها : أن يبلغه الحديث ولكن لا على الوجه الذي غـــالب الظن فلم يترك اجتهاده بل طعن في الحديث ، مثاله ما رواه أصحـــاب الأصول من ان فاطمة بنت قيس شهدت عند عمر بن الخطاب بأنهـــا كانت مطلقة الثلاث فلم يجعل لها رسول الله نفقة ولا سكنى فرد عمر شهادتها وقال لا نترك كتاب الله الا تتقي الله يعنى في قولها لا نفقة ولا سكنى .

ورابعها : ان لا يصل الحديث أصلا مثاله ما أخرج مســـلم أن ابن عمر كان يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقض رؤوسهن فســـمعت عائشة رض بذلك فقالت يا عجباً لابن عمر هذا يـــأمر النســـاء ان

ينقضن رؤوسهن من إناء واحد وما أزيد على ان افرغ على رأسي ثلاث افراغات .

(١) ومن تلك الضوب أن يرو رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل فعلاً فحمله بعضهم على القربة وبعضهم على الإباحة مثاله ما رواه أصحاب الأصول في قصة التحصيب أي الترول بالابطح عند النفر من عرفات نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به فذهب أبو هريرة وابن عمر إلى أنه على وجه القربة فجعلوه من سنن الحج وذهبت عائشة وابن عباس إلى أنه كان على وجه الاتفاق وليس من السنن .

(٢) ومنها اختلاف الوهم : مثاله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج فرآه الناس فذهب بعضهم إلى انه كان متمتعاً وبعضهم إلى انه كان قارناً وبعضهم إلى أنه كان مفرداً .

(٣) ومنها اختلاف السهو النسيان: مثاله ما روي ان ابن عمر كان يقول اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة في رجب فسمعت بذلك عائشة فقضت عليه بالسهو .

(٤) ومنها اختلاف الضبط : مثاله ما روى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم من ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه فقضت عائشة

عليه بأنه وهم بأخذ الحديث على هذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها أهلها فقال أنهم يبكون عليها وانها تعذب في قبرها فظن أن العذاب معلول للبكاء وظن ان الحكم عاماً على كل بيت.

(٥) ومنها اختلافهم في علة الحكم : مثاله القيام للجنازة فقال قائل لتعظيم الملائكة فيعم المؤمن والكافر وقال قائل لهول الميت فيعمها وقال قائل مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة يهودي فقام لها كراهة ان تعلو فوق رأسه فيخص الكافر .

(٦) ومنها اختلافهم في الجمع بين المختلفين : مثاله رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة عام خيبر ثم نهى عنها ثم رخص فيها عام أوطاس ثم نهى عنها فقال ابن عباس كانت الرخصة للضرورة والنهي لانقضاء الضرورة والحكم باق على ذلك وقال الجمهور كانت الرخصة إباحة والنهي نسخاً لها .

بالجملة فاختلفت مذاهب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم التابعون كل واحد ما تيسر له فحفظ ما سمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب الصحابة وعقلها وجمع المختلف

على ما تيسر له ورجح بعض الأقوال على بعض واضمحل في نظرهم بعض الأقوال وان كان مأثورا عن كبار الصحابة كالمذهب المأثور عن عمر وابن مسعود في تيمم الجنب اضمحل عندهم لما استفاض من الأحاديث عن عمار وعمران بن حصين وغيرهما.

فعند ذلك صار لكل عالم من علماء التابعين مذهب على حياله وانتصب في كل بلد إمام مثل سعيد بن المسيب وسالم بن عبد الله بن عمر في المدينة وبعدهما الزهري والقاضي يحيى بن سعيد ربيعة بن عبد الرحمن فيها وعطاء بن أبي رباح بمكة إبراهيم النخعي والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة وطارس بن كيسان باليمن ومكحول بالشام ، فاظمأ الله اكباداً إلى علومهم فرغبوا فيها وأخذوا عنهم الحديث وفتاوى الصحابة واقاويلهم ومذاهب هؤلاء العلماء وتحقيقاتهم من عند أنفسهم استفتى منهم المستفتون ودارث المسائل بينهم وفعت إليهم الاقضية.

وكان سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وأمثالهما جمعوا ابواب الفقه اجمعها وكان لهم في كل باب أصول تلقوها من السلف ، وكان سعيد وأصحابه يذهبون إلى ان أهل الحرمين اثبت الناس في الفقه واصل مذهبهم فتاوى عمر وعثمان وقضاياهما وفتاوى عبد الله

بن عمر وعائشة وابن عباس وقضايا قضاة المدينة فجمعوا من ذلك ما يسره الله لهم ثم نظروا فيها نظر اعتبار وتفتيش فما كان منها مجمعاً عليه بين علماء المدينة فاهم يأخذون عليه بنوا جذهم وما كان فيه اختلاف عندهم فاهم يأخذون بأقواها وأرجحها اما لكثرة من ذهب اليه منهم أو لموافقته لقياس قوي أو تخريج صريح من الكتاب والسنة أو نحو ذلك وإذا لم يجدوا فيها حفظوا منهم جواب المسألة خرجوا من كلامهم وتتبعوا الايماء والاقتضاء فحصل لهم مسائل مثيرة في كل باب باب .وكان إبراهيم وأصحابه يرون ان عبد الله بن مسعود وأصحابه اثبت الناس في الفقه كما قال علقمة لمسروق هل أحد منهم أثبت من عبد الله وقول أبي حنيفة رض للأوزاعي إبراهيم أفقه من سالم ولولا فضل الصحبة لقلت ان علقمة أفقه من عبد الله بن عمر وعبد الله هو عبد الله وأصل مذهبه فتاوى عبد الله بن مسعود وقضايا على رضي الله عنه وفتاواه وقضايا شريح وغيره من قضاة الكوفة فجمع من ذلك ما يسره الله ثم صنع في آثارهم كما صنع أهل المدينة في آثار أهل المدينة وخرج كما خرجوا فتلخص له مسائل الفقه في كل باب باب.

وكان سعيد بن المسيب لسان فقهاء المدينة وكان أحفظهم لقضايا عمرو ولحديث أبي هريرة وإبراهيم لسان فقهاء الكوفة فإذا تكلما بشئ ولم ينسباه إلى احد فانه في الأكثر منسوب إلى أحد من السلف صريحاً أو ايماء ونحو ذلك فاجتمع عليهما فقها بلدهما وأخذوا عنهما وعقوله وخرجوا عليه .. والله اعلم .

الفائدة الحادية والعشرون :
في بيان أسباب الاختلاف بين الفقهاء والمجتهدين .

اعلم ان هذا الموضوع من أهم الموضوعات في الحياة العلمية والعملية لكل مسلم لأنه يوقف المسلم على براعة أئمة الدين في طرق استنباطهم من كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ويورث سكنية وطمانينة في اتباع الأئمة المجتهدين الذين اسلمهم زمام أمره في العبادات والمعادلات والأخلاق والسلوك وجعلهم واسطة بينه وبين ربه تعالى في فهم دينه المبين وامتثال أمره الشريف وهذا السكينة إنما تحصل له بعد بعد الاطلاع على اسباب اختلافهم بقدر ما تيسر له وانهم اختلفوا لا بتغائهم الحق والحقيقة بعد أصول اصلوها وقواعد قعدوها .

ولا ضيرعليهم في ذلك لأنهم طلاب الحق ورواد الدليل لا يخالف غيره عصبية أو تكابراً إنما دعاهم إليه الدخيل الذي بين يدي كل منهم . فكلهم يريدون اتباع الحق والصراط المستقيم لا الزيغ والضلال وكلهم مجتهدون وفقهم الله تعالى للاستنباط والاجتهاد لابقاء الشريعة الغراء يسيرا من الله تعالى على الأمة المرحومة فهذا الاختلاف

ليس من الاختلاف المذموم الذي ذمه الله تعالى في القرآن الكريم بـــل هو من الرحمة والوسعة التي ترحمها على الأمة لذلك هذا الموضـــوع في غاية الأهمية في الدين . وهاهنا أذكر نبذة منه نموذجاً لفهم الموضوع ، ولا أقدر التفصيل في هذا المختصر من شاء فليطالع المطولات .

ولا شك ان الأئمة في نفوسهم مترلة عظيمة للحديث والســنة والرغبة الاكيدة على العمل بها كما قال الإمام أبو حنيفة لم تزل الناس في صلاح مادام فيهم من يطلب الحديث فإذا طلبوا العلم بلا حديـــث فسدوا الميزان الكبرى ج١ ص ٥١ .

وأيضاً قال إياكم والقول في دين الله تعالى بالرواي وعليكـــم باتباع السنة فمن خرج عنها ضل الميزان ج١ ص٥٠ .

وقال الإمام الشافعي أي سماء تظلني واي ارض تقلني إذا رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً وقلت بغيره (رواه التقي السبكي) وقال مالك رحمه الله السنن سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق (قاله السيوطي في مفتاح الجنة) .

وقال احمد رح من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم فهو على شفا هلاكة قاله ابن الجوزي.

بالجملة ان الأئمة الكرام يعتنون بالسنة اشد اعتناء لا يصرفون إلى الرأي والقياس مهما يبذلون جهودهم في الاستنباط من السنة المشرفة مع ذلك انهم يختلفون فيما بينهم في استنباط المسائل وأسباب الاختلاف فيما فحصنا عنها أربعة :

الأول : الاختلاف في صلاحية الحديث للعمل .

والثاني : الاختلاف في فهم الحديث الشريف .

والثالث : الاختلاف أمام المتعارض من السنة .

والرابع : الاختلاف في سعة الاطلاع على السنة ففي هذا المقام الحض الكلام على كل سبب.

الكلام على السبب الأول أي متى يصلح الحديث للعمل :

وهو يتناول أربع نقاط : ثنتان منها يتعلق بالسند وثنتان بالمتن وهي :

(١) الاختلاف في بعض شروط صحة الحديث .

(٢) هل تشترط صحة الحديث ليعمل به .

(٣) اثبات لفظ الحديث

(٤) اثبات ضبط اللفظ من حيث العربية .

ففي الأول اتفق العلماء على ان شروط الحديث الصحيح خمسة اتصل السند وثبوت عدالة الراوي وثبوت ضبطه وسلامة السند والمتن من الشذوذ ومن العلة القادحة وفي تفصيل هذه الشروط اختلاف بين العلماء كما في ثبوت الاتصال عند المعاصرة وقبول المرسل لاحتجاج وثبوت عدالة الراوي عند قوم دون قوم ووقت دون وقت وثبوت ضبط الراوي استمرارا من التحمل إلى الاداء أو وقت الاداء فقط وغير ذلك .

فللاختلاف في هذه الأمور يكون الحديث صحيحاً متصلا عند قوم وضعيفاً عند قوم مثلاً الحديث المرسل ضعيف غير حجة عند جماهير المحدثين وحجة يعمل به عند جمهور الفقهاء مثل أبي حنيفة ومالك وأحمد في إحدى الروايتين عنه .

وفي النقطة الثانية اتفق العلماء على ان الحديث إذا بلغ رتبة الصحة أو الحسن كان صالحاً للعمل والاحتجاج واما الحديث الضعيف تذهب الجمهور إلى العمل به في الفضائل ولكن ذهب البعض إلى العمل في الأحكام الشريعة أيضا حتى انهم قدموه على القياس كما هو مذهب الأئمة الثلاثة من أبي حنيفة ومالك أحمد وهو مذهب

جماعة من المحدثين أيضا كأبي داود والنسائي وابن أبي حاكم لكن بشرط ان لا يشتد ضعفه وان لا يوجد في المسألة غيره .

قال الإمام احمد يسأل صاحب حديث ولا يسأل صاحب رأي ضعيف الحديث أقوى من الرأي وهكذا قال الإمام الأعظم أبو حنيفة في مسائل .

وفي النقطة الثالثة أي في ثبوت لفظ الحديث إذا ورد بلفظين يترتب على أحدهما حكم غير الآخر وهذا لأن رواية الحديث بالمعنى جائزة عند جماهير المحدثين بشرائط .

مثاله : روي عن أبي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على جنازة في المسجد فلا شيئ عليه وفي بعض الروايات فلا شئ له فمن أخذ بالرواية الاولى اجاز الصلاة في المسجد من غير كراهة وهو مذهب الشافعي ومن أخذ بالرواية الثانية كره الصلاة في المسجد وهو مذهب أبي حنيفة .

وكما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية ما فاتكم فاقضوا فعلى اختلاف اللفظين اختلف الحكم فعلى الأول الركعة التي ادركها مع

الإمام فهي اول ركعة للمسبوق وعلى الثاني ليست من أول الركعة وتختلف كيفية أداء صلاة المسبوق كما في الفقه .

وأما النقطة الرابعة . أي اثبات ضبطه من حيث العربية معناه كيف نطق النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة أو نحو ذلك ، فلاختلاف هذه اختلفت الأحكام .

مثاله : ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال زكاة الجنين زكاة أمه قال ابن الأثير في النهاية ج٢ ص١٦٤ يروى هذا الحديث بالرفع والنصب ، فمن رفعه جعله خبر المبتدأ الذي هو زكاة الجنين فتكون زكاة الام هي زكاة الجنين فلا يحتاج إلى ذبح مستأنف ومن نصب كان التقدير زكاة الجنين كزكاة أمه فلما حذف الجار نصب المجرور أو على تقدير يزكي تزكية مثل زكاة أمه فلما حذف المصدر وصفته وأقام المضاف إليه مقامه فلا بد عنده من ذبح الجنين إذا خرج حياً . انتهى وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة .

فعند الاختلاف في هذه النقاط الاربع يظهر الاختلاف بين المجتهدين من حيث الاستدلال والاستنباط .

أما الكلام على السبب الثاني : أي الاختلاف في فهم الحديث .

اعلم ان اختلاف الأئمة في فهم الحديث ينشأ من أمرين :

(١) اختلافهم في مداركهم ومواهبهم العقلية .

(٢) كون اللفظ يحتمل أكثر من معنى واحد فالأمر الأول : لا بشك فيه عاقل لأن الناس متفاوتون في مواهبهم العقلية وسعة مداركهم وقوة ملاحظتهم ، وهذا التفاوت قد يكون خلقة وفطرة وقد يكون كسبا واستفادة نتيجة الرحلات العلمية أو مجالسة العلماء أو التجارب وممارسة الناس أو تعاطي بعض الأمور الدنياوية كالتجارة مثلاً .

وقد يهيئ الله تعالى بفضله لبعض الناس أسباب ذلك كله فيجعلهم في فطرتهم [illegible] يهيئ لهم الأسباب الكسبية لذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تعالى ذلك لأن [illegible] الإسلام قاطبة درجة استثناء ولكن لا يلزم من ذلك أن يكونوا كلهم سواء وسلك [illegible] عن تفاوتهم في هذا الجانب بعض الاختلاف

كما أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله كان عند الأعمش [illegible] التابعي الشهير إذ سئل الإمام عن مسألة فقال الإمام أقول كذا وكذا فقال الأعمش [illegible] هذا فقال الإمام أنت حدثتنا عن أبي صالح عن أبي هريرة وعن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود وعن أبي اياس

عن أبي مسعود الأنصاري وكذا وكذا حدث روايات عنه فقال الاعمش حسبك ما حدثتك في مائة يوم حدثتني في ساعة ما علمت انك تعمل بهذه الأحاديث يا معشر الفقهاء انتم الاطباء ونحن الصيادلة وأنت أيها الرجل أخذت بكلا الطرفين مختصراً الجواهر المطيئة ج١ ص٤٨٤.

وكذا قال الإمام احمد للشافعي ما تقول في مسألة كذا وكذا فأجابه فيها فقال أحمد من أين قلت هل فيه حديث أو كتاب قال أحمد فترع الشافعي في ذلك حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث نص رواة السبكي في كتابه معنى قول الإمام المطلبي ص٩٩ .

وكما روي الخطيب في تاريخ بغداد ١١/١٥٨ ، في ترجمة عيسى بن ابان أحد رجال الحديث والفقه الحنفي عن محمد بن سماعة أنه قال قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني يوماً يا بني ما الذي رأيتنا نخالفه من الحديث لا تشهد علينا حتى تسمع منا .

فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين باباً من الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبره بما فيها من المنسوخ ويأتي بالشواهد والدلائل فالتفت عيسى بن ابان اليّ بعد ما خرجنا فقال كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني ما ظننت ان في ملك الله مثل هذا الرجل يظهره

للناس ولزم محمد بن الحسن لزوماً شديداً حتى تفقه به وغير ذلك من الاخبار التي تدل على قوة مداركهم .

وأما الأمر الثاني الذي ينشأ عنه احتلاف الأئمة بسبب الفهم فهو كون الحديث تحتمل الفاظه أكثر من معنى واحد وهذا أمر واقع مشهود أيضا ، ويشترط لصحة هذه المفاهيم المختلفة .

(١) أن تكون مقبولة سائغة من حيث العربية ولا تنافي معها أولا يكون فيها تعسف وتكلف.

(٢) وان لا تتنافي مع أحكام أخرى ثابتة في نصوص أخرى فح يرجح الأئمة أحد المعاني المختلفة بالقرائن والشواهد مثاله ما قد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم المتبائعان بالخيار ما لم يتفرق فاختلف العلماء في معنى التفرق هل هو بالابدان أو بالأقوال والى الأول ذهب الإمام الشافعي وغيره واحتجوا على صحة قولهم بالأثر والعقل والى الناني ذهب الإمام أبو حنيفة وغيره وهم أيضا احتجوا بالآثار والنظر وكل هذه موجودة في كتب شروح الحديث وهذا المثال كما يصلح مثالاً للثاني يصلح مثالاً للأول أيضا .

وليتنبه ان هذه الأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة هي من الدين منسوبة إلى الكتاب والسنة وليست أجنبية عنهما وكما أن الكتاب والسنة هم مصدران الأساسيان للإسلام ففقههما المستنبط منهما تابع لهما في المكانة لا يجوز فصله عنهما الا ما يدخل تحت قول الإمام الاوزاعي من أخذ بنوادر العلماء خرج عن الإسلام كما في تذكرة الحفاظ صـ١٨٠ .

ومثله قول سليمان التميمي في التذكرة صـ١٥١ لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله . وقد نبه إلى هذا المعنى الإمام عبد الله بن المبارك بقوله لا تقولوا رأي أبي حنيفة ولكن قولوا أنه تفسير الحديث كما في الجواهر المضيئة ج٤ ص٤٦٠ . وكذا روي عن الإمام الشافعي جميع ما تفوله الأئمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن كذا في الموافقات .

وقال الحافظ أنور الكشميري في الفيض ج١ ص ٣٦٩ ، الفقه لا يتم بدون الحديث لأن المرأ إذا مر بالحديث وجل نظره فيه وفهم مداركه ومعانيه استقر على الفقه وسكن قلبه حيث لم يجده رايا محضاً غير مستند إلى دليل سماوي وكذلك الحديث لا يستقر مراده ولا

ينقطع بحملاته بدون المراجعة إلى أقوال الفقهاء ومذاهب الأئمة فإذا ادرأها وامعن النظر فيها تبين له الوجوه ولم يبق له فيما سواها مساغ.

فالفقه محتاج إلى الحديث في نفسه والحديث محتاج إليه للعمل ، ففقه الفقهاء أبي حنيفة وغيره من أئمة الإسلام في عشرات آلاف المسائل الفقهيه إنما هو تفسير لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وليس هو بدخيل على الإسلام ولا برأي لهم تابع من مخترعات عقولهم غير معتمد على مصدر تشريعي أصيل

أما الكلام على السبب الثالث أي اختلاف مسالكهم امام المتعارض من السنة لا يخفى على المبتدي بالعلم الشريف انه كثيراما ترد في المسألة الواحدة احاديث مختلفة في مدلولها على الحكم وقد يكون اختلافها على اكثر من معنيين فكيف الحل لهذا الأمر المشكل فيستفاد لهذا من علمين عظيمين علم الحديث وعلم أصول الفقه لأن الاطلاع على أحاديث المسألة وما فيها من أثار التي تتعلق بها بصلة قريبة أو بعيدة وكذا الاستفادة من قواعده وأحكامه المقررة على ضوء نصوص أخرى من الكتاب والسنة لازم للباحث الفقيه وإلا لم يمكن التكلم في هذا الموضوع .

فللعلماء في هذا مسالك : (١) الجمع بين المتعارضين وتاويلهما والتوفيق بين معاهما (٢) فان لم يمكن الجمع سلكو مسلك دعوي النسخ أي نسخ أحدهما للآخر (٣) فان لم يمكن ذلك و لم تساعد القرائن عليه سلكو مسلك الترجيح فيرجحوا أحدهما على الآخر وبعضهم قدم الثالث على الثاني جمع فترجيح فنسخ وبعضهم قدم الترجيح على الجمع لأن النفس تميل إلى ما هو راجح وعند الشيخ الحافظ الكشميري النسخ ثم الترجيح ثم الجمع ثم التوقف وعند العبد الضعيف هذا هو الراجح وأما دعوي النسخ فلا بدله من قرائن وتسمى معرفات النسخ وهي أربعة :

١- أولها ما يعرف بصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم كحديث مسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها .

٢- ما يعرف بقول الصحابي كحديث النسائي عن جابر بن عبد الله كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار .

٣- ما يعرف نسخه بالتاريخ كحديث شداد بن اوس افطر الحاجم والمحجوم وفي بعض رواية ان ذلك كان سنة ثمان من الهجرة نسخة حديث ابن عباس احتجم النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم

صائم وفي بعض رواية ان ذلك في حجة الوجاع ستة عشر . وقد يعرف النسخ من القرآن المشيرة إليه كان يكون صحابي هذا الحديث متأخر الإسلام وصرح بسماعه للحديث فيكون ناسخاً لحديث رواه آخر متقدم الإسلام وقد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم حين إسلامه وغير ذلك من القرائن .

٤- ما يعرف نسخه بانعقاد الإجماع على خلافه فإن لم يمكن دعوى النسخ ينتقل الناظر إلى الترجيح بين الحديثين فانه متى يعلم نسخه لا يعمل به ومتى يعلم أحدهما راجحاً فلا يترل إلى غير الراجح بل يعمل بالراجح وموضوع الترجيح بين الحديثين أمر صعب وشاق لأنه يتطلب دراية ورواية فالدراية تحتاج إلى فهم المعنى ونظر ثاقب والرواية تحتاج إلى اطلاع على كل كلية وجزئية تتصل بأحاديث المسألة الواحدة بأسانيدها تاريخهم وأوصافهم وألفاظها ومتونها ومشاكلها .

وقد تعب علماء الأصول في تحقيق وجوه الترجيح بين المتعارضين وقد تعرض الحازمي لهذا في كتابه الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الاثار فذكر خمسين وجها من وجوه الترجيح وجاء الحافظ العراقي فزاد على تلك الخمسين التي عدها الحازمي وسرد

وجوه الترجيحات مائة وجه وعشرة وجوه وقال في آخر كلامه وثم وجوه آخر للترجيح في بعضا نظر (حاشية على ابن الصلاح ص ٢٥٠) .

ومن هنا ندرك جهل بعض من قال حديث الصحيحين راجح على غيرهما دون أي وجه من هذه الوجوه الكثيرة لأن الحافظ العراقي لما ذكر هذه الوجوه مرتبة متتالية ذكر هذا الوجه أي ان الوجه الثاني بعد المائة كون الحديث المروي في الصحيحين راجحاً على حديث آخر غير مروي فيهما .

بالجملة يرجح أحد المتعارضين بأصول الترجيحات ، وأما ان لم يمكن الترجيح فيجمع بين المتعارضين وفي هذا المقام للفهم حظ اوفر فلو يدعي بعض العلماء تعذر الجمع فيفتح الله تعالى لبعض آخر وجهاً للجمع ولذلك اكد العلماء ضرورة التثبت والثاني في دعوى تعذر الجمع وإذا تعذر الجمع وتعذر حل التعارض من أي سبيل فيتوقف على الحديثين ولا يحكم بهما شيئاً وهذا نادر جداً عن أئمة المجتهدين .

ولأئمة السابقين عناية كبرى بجمع الأحاديث المختلفة ظاهراً على صعيد واحد ثم النظر فيها فالف الإمام الشافعي كتاب اختلاف الحديث ولابن قتيبة تأويل مختلف الحديث ولابن جرير الطبري تهذيب

الآثار ولامام الطحاوي كتابان عظيمان في هذا الصدد : أحدهما شرح معاني الآثار ، وثانيهما شرح مشكل الآثار وغير ذلك من مولفات خاصة وأبحاث وأقوال متفرقة في الكتب .

أما الكلام في السبب الرابع أي الاختلاف في سعة الاطلاع على السنة قال الإمام الشافعي في الرسالة صـ٤٢ لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيئ فلا يمكن لاحد ان يدعي لنفسه أو ان يدعي له غيره جمع السنة كاملة فيه وليس معنى التفاوت في حفظ السنة والاطلاع عليها ان يكون الاكثر اطلاعا هو المقدم على الجميع في حقية تقليده مثلاً فقد يكون لذا من الترجيح على غيره كثرة اطلاعه ولكن يكون لغيره من الترجيح عليه علو كعبه في الفقاهة والاستنباط .

والشرط في الأصل سعة اطلاعه على السنة ، ان الحديث الشريف تحمل وسماع من جهة ورواية وأداء من جهة أخرى فالمحدث يتلقى الحديث من شيوخه أولا وهذا يسمونه بالتحمل ثم يرويه على الناس وهذا يمونه بالأداء فإذا توفر على الرواية ظهرت للناس مرويات له تكون عنواناً على كثرة تحمله أو قلة تحمله وإذا شغل بغير الرواية لم يكن ما يرويه دليلاً على نسبة تحمله قليلاً أو كثيراً .

فأبو بكر الصديق أول الرجال اسلاماً وألزمهم للنبي صلى الله عليه وسلم صحبة واعلم الصحابة كما شهدوا له بذلك مع ذلك لم ينقل الينا من مروياته الا القليل جداً وكذا حال عمر بن الخطاب وعلي وعثمان رضوان الله عنهم أجمعين وكذا وكذا عدد وفير من التابعين واتباعهم وكذا حال الإمام مالك كما عبر عنه الإمام الشافعي إذا جاء الأمر فمالك النجم وهو الذي قال كتبت بيدي مائة ألف حديث كما في ترتيب المدارك ج١ /١٢١ .

وكذا حال الإمام الشافعي أيضا فليس في كتبهما من وفرة الحديث وعذرهما في ذلك أنهما تفرغاً الفقه والتفقيه والاجتهاد والاستنباط وتأصيل أصول الفقه أكثر مما تفرغوا للرواية لا انهما قليل المعرفة والاطلاع على الحديث بل انهما كثير التحمل قليل الاداء وهكذا حال امامنا الأعظم أبي حنيفة كان كثير التحمل وقليل الاداء يدل على ذلك لصراحة عدة أخبار.

ومنها قال الزبيدي في عقود الجواهر المنيفة صـ٣٢ روي يحيى بن نصر قال دخلت على أبي حنيفة في بيت مملوء كتباً فقلت ما هذه قال هذه أحديث كلها وما حدثت به الا اليسير الذي ينتفع به وتقل علي القاري عن محمد بن سماعة ان اباحنيفة ذكر في تصانيفه نيفاً

وسبعين ألف حديث وانتخب الآثار من أربعين ألف حديث ، وروي عن الإمام احمد رحمه الله ان من حفظ اربع مائة ألف حديث قد يصلح للاجتهاد والفتوى .

وقد اعترف الأئمة المعاصرون ومن بعدهم لأبي حنيفة بالفقه والاجتهاد بل ان الناس كلهم عيال في الفقه على مائدته ، وفي الخيرات الحسان صـ ٢٣ ، عن الرز نجري قال أمر الإمام أبو حفص الكبير بعد مشايخ الإمام أبي حنيفة فبلغوا أربعة آلاف من التابعين وهذا عدد كبير لا يكاد يذكر لغيره من الأئمة المتفرعين للحديث وكذا في الخيرات الحسان صـ ٢٥ .

قال أبو يوسف ما رايت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة وكان أبصر بالحديث الصحيح مني ، والإمام أبو يوسف هو الذي قال في حقه يحيى بن معين : ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث ولا احفظ ولا اصح رواية من أبي يوسف كما حكاه الذهبي في مناقبه صـ ٤٠ وفيه أيضاً صـ ٦١ عن أبي يوسف قوله كان أبو حنيفة إذا صمم على قول درت على مشايخ الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثاً أو اثراً فربما وجدت الحديثين والثلاثة فاتيته بها فمنها ما يقول

فيه هذا غير صحيح أو غير معروف فأقول له وما علمك بذلك مع أنه يوافق قولك فيقول انا عالم بعلم أهل الكوفة .

والكوفة نزل فيها من الصحابة ألف وخمس مائة صحابي فملؤها علماً بل ملأها ابن مسعود وحده علماً بشهادة على رضي الله عنه بذلك ، والى جنب هذا ضم ما قال الحاكم في كتابه معرفة علوم الحديث ص ٢٤٠ ، نوعاً خاصاً هو النوع التاسع والأربعون قال في أوله هذا النوع من العلوم معرفة الأئمة الثقات المشهورين من التابعين وأتباعهم ممن يجمع حديثهم للحفظ والمذاكرة والتبرك بهم وبذكرهم من الشرق والغرب .

فذكر من أهل المدينة ٤٠ راوياً ومن أهل مكة المكرمة ٢١ راوياً وذكر من أهل كوفة ٢٠١ راوياً وعد من بينهم الإمام أبا حنيفة ولم يقتصر علمه على حديث بلده بل له اطلاع قام على حديث الحجاز بين أيضا وذلك في أيام مقامه بمكة المكرمة حين غادر الكوفة إلى مكة نتيجة الحاح يزيد بن عمر بن هبيرة عليه ان يلي القضاء وهو يأبى وكان سنة ثلاثين ومائة ولم يرجع إلى الكوفة حتى تولى السلطة

أبو جعفر المنصور سنة ست وثلاثين ومائة كما في عقود الجمان صـ ٣١٢ .

وهذه فترة في حياة الإمام ليست بقصيرة أقام فيها بمكة المكرمة موئل العالم الإسلامي ، فلذا تجد في مشايخهم كثيرة من المكيين والمدنيين وبلاد أخرى كثيرة ، بالجملة مع ذلك فكلنا يقر بأن أبا حنيفة بانفراده لم يجمع السنة كلها وان الشافعي بانفراده لم يجمع السنة كلها وهكذا القول في مالك وأحمد والثوري والليث بن سعد والأوزاعي وفيه دلائل وشواهد لا يسعها هذا المختصر ولا بأس أن اذكر أمثلة على فوت بعض لسير من السنة لبعض الأئمة :

(١) قال عيسى بن ابان لما قدم أبو يوسف بغداد كان على قول أبي حنيفة في جواز بيع الاوقاف حتى حدثه إسماعيل بن علية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر في صدقة عمر لسهامه من خيبر فقال أبو يوسف هذا ما لا يسع خلافه ولو تناهي هذا إلى أبي حنيفة لقال به ولما خالفه .

(٢) في تقدمة الجرح والتكميل لابن أبي حاتم صـ ٣١ روي بسنده قال ابن وهب سمعت مالكاً سئل عن تخليل اصابع الرجلين في الوضوء فقال ليس ذلك على الناس قال ابن وهب فتركته حتى

خف الناس فقلت له عندنا في ذلك سنة فقال ما هي قلت حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يد لك بخصره ما بين أسابع رجليه قال مالك ان هذا الحديث حسن وما سمعت به قط الا الساعة ثم سمعته بعد ذلك يسأل فيامر بتخليل الاصابع .

(٣) روى البيهقي في مناقب الشافعي ج١ صـ٥٢٨ ، عن الإمام احمد بن حنبل قال قال لنا الشافعي انتم اعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث الصحيح فاعلموني ان شاء يكون كوفياً أو بصرياً أو شامياً حتى اذهب إليه إذا كان صحيحاً .

(٤) وفي كتاب الروح لابن القيم ص١٣ ان احمد بن حنبل يقول ان القراءة عند القبر بدعة ولما اخبره محمد بن قدامة عن مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد فارجع وقل الرجل يقرأ وغير ذلك من الاخبار التي تدل على فوات حديث لإمام من الأئمة و استدركها عليهم بعض اصحابهم في حال حياتهم أو بعد مماتهم ولا غضاضة عليهم

في ذلك مع ملاحظة ندرتها فلا يحيط بالسنة النبوية أحد والكمال لله ولهذا السبب اختلف الأئمة في استنباط المسائل ـ فبعضهم اطلع على حديث و لم يطلع به غيره فاختلفوا . فههنا شبهة قوية يقول قائل إذا كنت أقمت الدليل على ان الأئمة قد فاتهم بعض الشئ يمكن أن يفوتهم غيره في المسائل الأخر أيضا فكيف الطمانينة في مذهبه ؟

فالجواب بأنه إذا فات الإمام منهم بعض الحديث اليسير فقد اشتركه أصحابه واستقر مذهبه على التمام من قبل مجموعة كبيرة من أصحابه كأبي يوسف ومحمد من أصحاب أبي حنيفة والمزني والبويطي من أصحاب الشافعي واشهب وابن القاسم من أصحاب مالك وحوهم من أصحاب أحمد .

وإذا كان قد فاته هذا الشئ الذي لا يذكر وهو الإمام المجتهد في العصر الذهبي للإسلام فلأن يفوت المقتدي المتأخر في آخر الصفوف أشياء و أشياء من الامهات من باب أولى والذي فات الإمام جزء يسير تتعذر الأمثلة عليه لندرته فليس من منطق العقل والعلم ان نسحب حكم النادر على الكل بل المنطق يقضي بسحب الكل على النادر أي لا نقول لم يطالع الإمام على هذا حديث فحكم بكذا في

مسألة كذا فمن المحتمل أنه لم يطالع على هذا الحديث أيضا لذلك حكم بهذا الحكم في مسألة كذا وهكذا ينسحب هذا الاحتمال في أحكام الإمام كلها .

بل نقول لقد اطلع الإمام على دليل مسألة كذا فحكم بمقتضاه واطلع على دليل المسألة الثانية فقال به وهكذا آلاف من المسائل اما هذه المسألة بعينها وهي مسألة واحدة من آلاف المسائل فلم يطلع على دليلها فيقف حكمنا عندها ولا يتجاوزها لجزمنا باطلاعه على أدلة غيرها وهو كثير جداً لا يحصى .

يقال ان اقل ما قيل في عدد المسائل التقديرية في فقه الإمام أبي حنيفة ثلاث وثمانون ألف مسألة فما نسبة المسائل التي خفي دليلها على الإمام وقول بعض الناس ان كتب السنة اليوم كثيرة وتوافرها للباحثين ميسور اكثر من توافرها للسابقين فمن السهل ان يعتمد عليها ويوخذ بالثابت منها ويترك غيره ويسهل تثبت الأحكام الفقهية التي دل الدليل عليها وتنقيح الفقه مما لا دليل عليه فالجواب من ذلك بوجوه :

(١) ان اوسع كتب السنة اليوم هو كنز العمال للمتقي الهندي وفيه اكثر من ستة وأربعين ألف حديث لا ان الاستفادة منه على النحو

الذي أراد القائل غيرتيسرة إذ ان كثراً من مصادره غير متيسر للرجوع إليه وتحقيق أسانيده وحينئذ يبقى الأمر معلق على البت في اسانيده .

(٣) ان عدد احاديث كتر العمال يقل كثراً عما ينقل عن الأئمة المجتهدين من الأحاديث التي تحملوها وسمعوها وقد تقدم ان عدد الأحاديث التي ذكرها الإمام أبو حنيفة في تصانيفه نيف وسبعون ألف حديث فضلاً عما لم يذكره وانه انتخب الآثار فقط من أربعين ألف حديث وروى عن ابن الهياب ان مالكاً روى مائة ألف حديث فضلاً عما تحمله ولم يروه ومشهور ان الإمام احمد انتقى مسنده من نحو خمسين الفاً وسبعمائة ألف حديث .

(٤) ولو فرضنا أيضا ان الأحاديث الموجودة كافية للاجتهاد فان توافر الأحاديث وحدها غير كاف للاجتهاد فأين الشروط الأخرى للاجتهاد من كونه اماماً في كافة علوم الإسلام اماماً في أصول الدين والتفسير والفقه وأصوله واما ما في العربية بمختلف فنونها نحوها وصرفها ولغتها واستقاقها وعلوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع مع تحليه بالعمل الصالح والعبادة والتقوى والورع والزهد وتهذيب النفس واتصافه بكمالات الإسلام فيكون اماماً في

هذا الجانب فاتضح من ذه بأن لا مجال الانكار عن تسليم مذهب إمام من الأئمة المتبوعة .

وقال الشيخ ولي الله رحمه الله في الإنصاف كلاماً جملا وغامضاً حاصله ان الله تعالى أنشا قوما مجتهدين بعد عصر التابعين كان صنيعهم في اخذ الدين من ثلاثة وجوه :

(١) ان يتمسك بالمسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرسل ويستدل باقوال الصحابة والتابعين علما منهم انها اما احاديث منقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم اختصروها فجعلوها موقوفة أو يكون استنباطا منهم من النصوص أو اجتهادا منهم باراءهم وهم احسن صنيعاً في كل ذلك ممن يجيي بعدهم واكثر اصابة واقدم زماناً واوعى علماً فتعين العمل بها الا إذا اختلفوا وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولهم مخالفة ظاهرة .

(٢) انه إذا اختلفت احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة رجعوا إلى أقوال الصحابة فان قالوا بنسخ بعضها أو بصرفه عن ظاهره أو لم يصرحا بذلك ولكن اتفقوا على تركه وعدم

القول بموجبه فانه كابداء علة فيه أو الحكم بنسخه أو تاويله اتبعوهم في كل ذلك .

(٣) وانه إذا اختلفت مذاهب الصاحبة والتابعين في مسالة فالمختار عند كل عالم مذهب أهل بلده وشيوخه لأنه اعرف بصحيح اقاويلهم من السقيم واوعى للأصول المناسبة لها وقلبه أميل الى فضلهم وتعهجرهم فان اتفق أهل البلد على شئ أخذوا عليه بالنواجذ وان اختلفوا أخذوا بأقواها وارجحها أما كثرة القائلين به أو لموافقته فقياس قوي أو تخريج من الكتاب والسنة فان لم يجدوا فيما حفظوا منهم جواب المسألة خرجوا من كلامهم وتتبعوا الايماء والاقتضاء .

وقال الشيخ في صـ ٥٠ كان عندهم انه إذا في المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول منه إلى غيره وإذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية عليه فإذا لم يجدوا في كتاب الله أخذوا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان مستفيضاً دائراً بين الفقهاء أو يكون مختصا بأهل بلد أو أهل بيت أو بطرق خاصة وسواء عمل به الصحابة والفقهاء أو لم يعملوا به .

ومتى كان في المسألة حديث فلا يتبع فيها خلافه اثراً من الآثار ولا اجتهاد أحد من المجتهدين وإذا افرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث ولم يجدوا في المسألة حديثاً أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم ولا بلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم.

فان اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شئ فهو المتبع وان اختلفوا اخذوا بحديث أعلمهم علماً أو اورعهم ورعاً أو أكثرهم ضبطاً أو ما اشتهر عنهم فان وجدوا شيئاً يستوي فيه قولان فهي مسألة ذات قولين فان عجزوا عن ذلك تاملوا في عمومات الكتاب والسنة وايماءانتها واقتضاءاتها وحملوا نظير المسألة عليها في الجواب إذا كانتا متقاربين بادي الرأي لا يعتمدون في ذلك على قواعد من الأصول ولكن على ما يخلص إلى الفهم ويثلج به الصدر كما انه ليس ميزان التواتر عدد الرواة ولا حلهم ولكن اليقين الذي يعقبه في قلوب الناس انتهى.

إنما ذكرنا في هذا الموضوع هذه الكلمات نموذجاً لفهم الموضوع والله اعلم .

الفائدة الثانية والعشرون :

في بيان فتنة إنكار الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم

اعلم أن هذه الفتنة فتنة عظيمة تتزلزل منها أصول الدين جملة ويسرى أثرها في جميع أبوابه والحق أنها استيصال للدين بتة وكانت الأحاديث الصحاح من عهد نزول الوحي إلى اختتام المائة الأولى مقبولة ومحتجة عند جماهير الأمة من غير شك وشبهة سواء كانت في العقائد أو الأعمال أو الأخلاق والمعاملات أو غيرها إلى أن الفرقة المعتزلة التي رأسها واصل بن عطاء المتوفى سنة ٨٠ أحدثوا فتنة حديثة في الإسلام وقالوا أن ميزان قبول الأحاديث ومعيار صحتها العقل فما يبعده العقل لا يصح بل يترك و إنما قالوا هذا بسبب تغلب الفلسفة على عقولهم ولذاك أنكروا عذاب القبر والحشر بالأجساد ورؤية الباري والصراط والميزان ووجود الجنة والنار حالاً وغير ذلك من الحقائق الثابتة والأمور الحقة التي يقصر العقل عن إدراكها ظاهراً لكن تثبت بنصوص القرآن والحديث قطعاً ثم اتسعت تلك الفتنة حتى أنكر بعضهم حجية الحديث مطلقاً وبعضهم اعترفوا التواتر حجة ولكن أنكروا العزيز والغريب يعني أخبار الآحاد وقالوا أنها ليست حجة مطلقاً .

ونشأت فرق كثيرة في ذلك إلى عهدنا هذا وأول من نبه على ذلك وتصدي برده هو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في الجزء السابع من كتابه " الأم" ثم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى صنف رسالة مستقلة على وجوب إطاعة الرسول ورد على من أنكره رداً بليغاً وقد نقل حصة منها الحافظ ابن القيم في إعلام الموقعين ، ثم استأصل ذاك وفصل حق التفصيل الحافظ أبو عمرو بن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم والعلماء" .

وكذلك بين ذلك الإمام الحاكم في كتابه " الأحكام " ثم الإمام الغزالي في كتابه " المستصفي" ثم الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير اليملي في " الروض الباسم " وكذلك ذكره الحافظ السيوطي في كتابه مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة " حتى إلى عهدنا قد صنفت رسائل كثيرة على رد تلك الفتنة واستحسنا أن نذكر أقوال جماعة من هؤلاء المنكرين مع الرد عليهم الذين نشئوا في شبه قارة الهند فمنهم عبد الله الجكر الوى المؤسس لفرقة أهل القرآن يقول أقوالاً خبيثة في شأن الأحاديث أذكر نبذة منها:

(١) يقول في ترجمة القرآن بآيات القرآن صـ٩٧ تحت قوله تعالى وما كان للمشركين الخ أن تقديم أقوال الأنبياء والمرسلين و

أفعالهم في جنب كتاب الله يعني تقديم الأحاديث قولية كانت أو فعلية أو تقريرية في جنب كتاب الله مرض قديم والذين قابلوا الرسول عليه السلام وخاطبهم الرسول فهم كانوا أهل حديث قطعاً ويقيناً .

- : المناقشة : -

كيف قال هذا القول ؟ لأنه يظهر منه أن الذين خالفوا الرسول وقابلوه من الكفار والمشركين مثل أبي جهل وأبي لهب وعتبة وشيبة وأمية بن خلف ووليد بن المغيرة وغيرهم أنهم كانوا أهل حديث وحفاظاً لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

فهل يقال بأن أهل الحديث الذين احتجوا باحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هم كفار ومشركون مثل هؤلاء الكفار نعوذ بالله.

(٢) وكذا يقول في ترجمة القرآن صـ٩٨ـ المراد بالإشراك لكتاب الله أنه كما يعتمد على أحكام القرآن كذلك يعتمد في دين الإسلام لكتاب آخر أو يقول شخص آخر أو فعله سواء كانت تلك الأقوال والأفعال للأنبياء أو الرسل فكما أن الشرك موجب للعذاب فكذلك حسب الآيات من قوله تعالى " ان الحكم الا الله وقوله تعالى : الا له الحكم وقوله : ولا يشرك في

حكمه أحداً ، إن الشرك في الحكم أعني تسليم أحكام غير الله
في المسائل الدينية مبطل الأعمال وموجب العذاب الدائمي
والأسف بأن أكثر الناس مبتلون في ذلك الشرك بالحكم .

الرد والمناقشة :

كيف قال هذا الجاهل بأن حكم النبي شرك والله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء عليهم السلام ليحكموا بين الناس بما أراهم الله يقول الله تعالى " يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ٣٧/٢٦ وقال تعالى : إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله . وقال الله تعالى " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول " ٢٤/٤٥ ، وقال تعالى " من يطع الرسول فقد أطاع الله " ٤/٨٠ ، وقال تعالى " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " ٥٣/٤ ، وغيرها من الآيات التي تدل على أن أحكام الرسول في المسائل الدينية ليست من الشرك في الحكم كما هو الظاهر .

(٣) وكذا يقول في ترجمة القرآن صـ٤٢ لم يثبت في أي موضع أنه نزل على الرسول مع القرآن شئ آخر فلو حكم أحد في مسألة من دين الإسلام بشئ آخر سوى القرآن فهو حسب الآيات من قوله تعالى : " من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الكافرون"٥/٤٤ ، وفي آية أخرى "هم الفاسـقون" ٥/٤٧ ، وفي آية أخرى " هم الظالمون " ٥/٤٥ كافر ، فاسق ، ظالم .

الرد والمناقشة : -

هذا الذي قاله الجاهل لا يعلم حقيقة الشئ لأن الله تعالى يقول : وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وقال قتادة الحكمة أي السنة وقال الإمام الشافعي في كتاب الرسالة : وسمعت من أرضى من أهل العلـم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله صلة الله عليه وسلم وقال تعالى : وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" ٥٣/٤ ، الوحـي هـو الحديث الذي نزل على الرسول صلى لله عليه وسلم وحياً خفياً ومـا يقضي الرسول ويحكمه فهو في الحقيقة حكم الله تعالى وقضاءه كمـا قال تعالى : إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله والذي أراه الله تعالى للرسول من الحكم فهو الحديث الموحي اليه بـل الله تعالى قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينـهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ٤/٦٥. فظـهر من هذه الآية الكريمة ان الذي لا يرضى بقضاء الرسول وحكمـه ولا يسلمه فهو ليس بمؤمن .

هكذا تفوه عبد الله الجكرالوي كثيرا من التفوهات في أمـــور الدين وكل ذلك من نتيجة فكر إنكار حجية الحديث أعاذنا الله .

ومنهم الحافظ أسلم الجيراجبوري أستاذ غلام أحمـــد فرويـــز وكان أبوه مولانا سلامة الله البهوفالي منكر للتقليد الشخصي ومـــن نتيجته صار ابنه أسلم منكرا لحجية الحديث فتفوه بتفوهات باطلة :

(١) يقول أسلم في كتابه " مقام حديـــث " (ص١٦٩ ج١) ليس إيماننا على الحديث وما أمرنا على الإيمان به وليس إيماننا علـــى راوي الحديث وما أمرنا بالإيمان به وليس إيماننا على رجـــال الســـند للحديث . وما أمرنا بالإيمان به فما أعجب أن نسلم لهذه الأمور الـــتي هي غير يقينية وغير إيمانية مثل القرآن حجة .

-: الرد والمناقشة : -

كيف قال أنه لم يؤمر بالإيمان على الحديث لأنه حكم الرسول صلى الله عليه وسلم وقضاءه قولا أو فعلا أو تقريرا وقـــد قـــال الله سبحانه وتعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تســـليما (نســـاء ٤/٦٥) .

فلو لم يكن قضاء الرسول وحكمه حجة ملزمة لم يقـــل الله تعـــالى
يحكموك في مكان يحكموا القرآن و لم يقل قضيت في محل قضى القرآن
وأشار بأنه هو الإيمان المأموربه فما قال الأسلم فهو ليس بسديد .

(٢) وكذا قال في مقام حديث ص١٥٧ ج١ وهو يفسر قوله تعالى
" ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علـــم
لقمان ٣١/٦) .

يقول : الذي يشتري الاشتغال بالحديث ليضل الناس عن ســـبيل الله
بغير علم فهو مراد الله تعالى من هذه الآية .

الرد والمناقشة : –

كيف قال ؟ هذا تحريف في معنى القرآن ، لأنه قد فسر لهـــو
الحديث بالغناء عبد الله بن مسعود وابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد
بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شـــعيب والحســـن البصـــري
وغيرهم وهذا القائل لا يعلم أنه كان أبوه سلامة الله أهل حديث فعلي
قوله كان أبوه ضالا عن الهداية فيا للعجب .

(٣) وكذا قال في مقام حديث ج١ صـــ١٥٥ أينما أمر في
القران بإطاعة الله ورسوله فمراده إطاعة إمام وقته أعني مركـــز الملـــة
حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودا في الأمة فاطاعتـــه

كانت إطاعة الله وبعده إطاعة خلفاءه الأحيـــاء تكـــون إطاعـــة الله ورسوله والإطاعة في اللغة العربية امتثال الحي وليست إطاعة الرســـول بأن نمتثل بعده كل شئ ينسب إليه باسمه بعده .

الرد والمناقشة :

هذا الذي قاله فهو أولاً : تحريف في معاني القرآن لان تفســـير الآية أطيعوا الله أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم بأن المـــراد منـــها إطاعة مركز الملة ما فسرها المفسرون فهو تفسير بالرأي.

وثانياً : لوكان المراد مركز الملة وامام الوقت فما ذا المعنى بقوله بعده و أولي الأمر منكم .

وثالثاً : يلزم له أن يفسر الآية بالقرآن وليس هذا المعنى ثابت بآيـــات القرآن فهذا قول على خلاف أصوله .

ورابعاً : أن الخلافة كانت متحدة في اوائل الوقت وفي آخرها تفرقـــت وانقسمت فلم تكن مركز الملة واحدة و لم يلتزموا بإطاعة مركز الملـــة وجم غفير من الصحابة كانوا موجودين فهل يقال أنهم كانوا منحرفين عن إطاعة الرسول وصار كافرين ومرتدين ؟ والعياذ بالله

خامساً : لو كانت إطاعة الرسول مختصة بحياة الرسول فقـــط فبعد وفاته تنعدم الإطاعة إلى يوم القيامة فكيف تكون رسالة الرســول باقية دائمة حتى تثبت ختمها فلم تثبت خاتمية الرسول العياذ بالله ــ

وسادساً : الإطاعة لغة الامتثال مطلقاً سواء كان لحي أو لميت كما في موطأ مالك صـــ ١٦٥ قصة الامرأة المخزومة قيل لها أن الذي نهـــاك (أي عمر) قد مات فاخرجي فقالت ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً وغير ذلك من المناقشات والردود عليه فما قال أسلم كله باطل .

ومنهم : علام أحمد برويز هذا تلمذ على اسلم الجيراجبوري . وادعــى باقاويل باطلة يقول :

(١) في شأن الأحاديث في الجريدة طلوع الإسلام ٢٩ اكتوبــر ١٩٤٩م كتب الأحاديث التي عندنا موجودة لا يقال بـــأن حديثــاً واحداً منها أنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه ، بل كله من الرواية بالمعنى وكذا قال في مقـــام حديـــث ج١ صـــــ٥١ كتـــب الأحاديث التي بأيدينا فألفاظها لم تكن من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم . هذه كلها من الروايات بالمعنى .

الرد والمناقشة : الذي قاله غلام أحمد فهو سفسطة وقول باطل .

أولاً : انظر إلى أحوال الصحابة والتابعين والحفاظ المحدثين كيف احتاطوا في رواية الحديث وتيقظوا في حفظ الألفاظ وما فيه شك يقولون بالشك ، فادعاه بأنه لم يكن حديث واحد من لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم فهو باطل قطعاً .

وثانياً : لو كان بعض الأحاديث بالرواية بالمعنى فهو أقل قليل نبه عليه المحدثون أيضاً ببحث وتحقيق فعلى هذا أيضاً الادعاء بأن كلها رواية بالمعنى باطل .

وثالثاً : اختلف العلماء في قبول الرواية بالمعنى والحق أنها جائزة بشرائط وكلها معلومة عند جماعة الصحابة ثم في حفاظ التابعين ومن هم بعد فالأحاديث التي صرح الحفاظ المحدثون بأنها من ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم فيعتمد عليها باليقين وإلا لم يثبت الدين والعياذ بالله .

(٢) وكذا يقول أن الأمور الظنية لا تصلح ان تكون أساسا للدين القطعي يقول في طلوع إسلام أكتوبر سـ١٩٤٩م صـ٣٤ "لما لم تكن الأحاديث يقينية بل هي ظنية فلذا لا تكون دينا وحيثيتها حيثية التاريخ والتاريخ لا يكون أعلى من التنقيد" وكذا قال في حديث صـ٣٧ الدين ينبغي أن يكون يقيناً والظني لا يكون ديناً . وأيضاً قال

فيه صـ٣٩ الدين هو الذي يكون يقيناً ولا يكون ظنياً وقياسياً "
وأيضاً قال فيه صـ٥٦ تفكر كيف ابطل القرآن سائر الكتب
السماوية التي قبله لكونها ظنية وقياسية وجعلها بحيث لا يعتمد عليها
وغير ذلك من التفوهات والأقاويل الباطلة .

الرد والمناقشة :-

قال ما قال فهو خداع وسفطة بأن القرآن الكريم منع عن
اتباع الظن كما في قوله تعالى وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا
يغني من الحق شيئاً ١٠/٣٦ ، وفي قوله تعالى " ان تتبعون إلا الظن
وان أنتم إلا تخرصون " ٦/١٤٨ وفي قوله تعالى ان يتبعون إلا الظن
وإن هم إلا يخرصون ٦/١١٦ ، وجعل الأحاديث باسرها ظنية فعلى
ضوء القرآن يمنع أتباع الأحاديث والعياذ بالله هذا في الأصل خداع
لان الظن تستعمل في معان ثلاثة :

(١) الحرض والتخمين من غير دليل وبرهان .

(٢) غالب الظن الذي يثبت بالقرائن والشواهد .

(٣) العلم النظري والاستدلالي الذي يحصل بالبراهين والدلائل
وعلى هذا المعنى الثالث قوله تعالى يظنون أنهم ملقوا ربهم وأنهم إليه

راجعون ٤٦/٣. وقوله تعالى قال الذين يظنون أنهم ملقوا الله " ٢٤٩/٢. وقوله تعالى " إني ظننت أني ملاق حسابية ٦٩/٢٠.

فالقرآن يمنع اتباع الظن . بالمعنى الأول والأحاديث ليست ظنية بهذا المعنى بل أنها ظنية بالمعنى الثاني أو بالمعنى الثالث في بعض المواضع قال الحافظ ابن حجر وقد يقع فيها أي في أخبار الآحاد المنقسمة إلى مشهور وعزيز وغريب ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار . فالأحاديث التي تفيد العلم اليقيني والاستدلالي فهي واجبة الأتباع ظاهراً .

وأما الأحاديث التي تفيد غلبة الظن فجعلتها الشريعة منزلة اليقين وواجب الاتباع كما في شهادة ثقة عدول مع كونها ظنية تعتمد عليها في الحكم والقضاء فعلى هذه النقطة الأحاديث ظنية واجب الاتباع أيضا وليس لأحد ان يعيش في الحياة الدنيوية إلا ان يمشي على هذا الأصل كما هو مشاهد في الأفعال والأعمال الإنسانية فقول القائل بأن الأحاديث ظنية فلا تعتبر غير سديد بل هو من تفوهات الملحدين الذين أرادوا هدم الإسلام والدين أعاذنا الله سبحانه منه وهدانا إلى سبيل الحق واليقين .

الفائدة الثالثة والعشرون

في حجية الحديث ومكانة السنة على ضوء القران

اعلم أن السنة اصل ثان للتشريع الإسلامي فكما أن القران له حيثية تشريعية فكذلك للسنة أيضا حيثية تشريعية في الإحلال والتحريم إذ السنة ليست بخارجة عن القران بل هي شارحة ومبينة لمعانيه فكما أن الأحكام تثبت بالقران فكذلك تثبت بالسنة أيضاً وهذه العقيدة ثابتة من عهد الصحابة إلى يومنا باتفاق من يعتد به من الأمة لا ينكرها إلا المكابر والمعاند .

فالذي يقول بان السنة ليست لها حيثية تشريعية بل لها حيثية تاريخية للرسول صلى الله عليه وسلم فهو جاهل سفيه من سفهاء الأمة بل من الاعداء للسنة والعياذ بالله .

وهذا ثابت من القرآن والحديث وأقوال الصحابة فنذكر هذه المسئلة في ثلاث فوائد مستقلة علاحدة ونعنون هذا بعنوان حجية الحديث وهو المراد من تشريع السنة فنذكر أولاً حجية الحديث على ضوء القرآن ونبين صفات الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم كئ تظهر حجية الحديث بداهة .

يستدل على ذلك من وجوه وأنواع .

منها : أن الله تعالى كما أنزل كلامه المترل بواسطة الملك وبارساله كذلك يوحي إلى الرسول وحياً بدون ارسال الرسول ويخبر أخبارا وأحكاما وهذا هو الوحي الحديثي كما قال الله عز وجل :

(١) ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ٤٢/٥١ ، ففي هذا الآية ذكر الوحي على مقابلة أو يرسل رسولاً فيكون هو الوحي الحديثي .

(٢) " ما جعلنا القبلة التي كنت عليها " ١٤٣/البقرة ، يعلم من هذه الآية بأن استقبال البيت المقدس كان من أمر الله ولكنه غير مذكور في القران فيكون ثابتاً بالوحي الحديثي قطعاً .

(٣) " علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ١٨٧/البقرة ، ففي هذه الآية بين الله تعالى بأن الجماع في ليالي رمضان كان محرماً ولو جامع أحد فيها تكون خيانة فرخص الله فيها ولكن هذه الحرمة غير مذكورة في القران فلا جرم ان يكون ثبوهّا من الوحي الحديثي .

(٤) إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير (التحريم ٣) ففي هذه الآية ذكر الله تعالى

صراحة بأن العليم الخبير نبأ الرسول بالخبر وليس في القرآن بيانه فيكون ذلك من الوحي الحديثي قطعاً .

(٥) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (الأنفال ٩) ذكر الله تعالى في هذه الآية إجابة الدعاء وإمداد بألف من الملائكة ولكن ليس في القران ذكر هذا فيكون هذا من الوحي الحديثي .

(٦) ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله (الحشر ٥) ذكر الله تعالى في هذه الآية بان ما فعل الرسول والمؤمنون في واقعة بني النضير بأنهم قطعوا الأشجار فإنما كان ذلك باذن الله . ولكن ليس في القرآن ذكر الأمر بالقطع فيكون الأمر بالوحي الحديثي يقيناً .

(٧) إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم (الأنفال ٧) ذكر الله تعالى في هذه الآية وعد إحدى الطائفتين ولكن ليس لهذا الوعد ذكر في القرآن فيكون من الوحي الحديثي يقيناً .

(٨) فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً (الأحزاب ٣٧)

ذكر الله في هذه الآية بأن نكاح زينب بنت جحش بعد ما طلقها زيد بن حارثة كان من أمر الله تعالى ولكن ليس في القران ذكر الأمر بالنكاح كذلك فلا جرم أن يكون هذا من الوحي الحديثي.

(٩) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً (الفتح ٢٧) .

يعلم من هذه الآية بان الله تعالى أوحى في المنام وأرى رؤيا بان الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليدخلن المسجد الحرام آمنين ويحلقون ويقصرون وهذا يكون بالمصالحة وهو فتح قريب وغير ذلك وكل هذا ليس بمذكور في القران بل بالرؤيا والوحي المنامي الحديثي وعمل بمقتضاه الرسول والمؤمنون.

(١٠) قال الله تعالى فأوحى إلى عبده ما اوحى (النجم ١٠) في هذه الآية إشارة صريحة إلى أن الله تعالى أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم سوى القرآن الذي لا يعلمه أحد إلا هو فثبت أن بعض الوحي قد يكون غير القرآن أيضاً .

(١١) ولتكبروا الله على ما هداكم (البقرة ١٨٥) . لم يبين الله تعالى في آية من القرآن أن ذلك نعم بينه النبي صلى الله عليه وسلم

فعلم أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ان يكبر كذا وكيت هذا يشير إلى الوحي الحديثي يقيناً .

(١٢) لتحكم بين الناس بما أراك الله " ٤/١٠٥ ، في هذه أيضا إشارة إلى الوحي الحديثي .

بالجملة قد وضح مما ذكرنا من الآيات بأن الله تعالى كثيرا ينزل على الرسول وحياً غير القران يأمر به ويخبر من أشياء والرسول يعمل بمقتضاه فهذا يدل صراحة بان الحديث الذي يكون ثابتاً بالوحي الخفي هو حجة شرعية .

ومنها أن الله تعالى ذكر فرائض الرسالة من تلاوة آيات الكتاب وتزكية نفوس المؤمنين وتعليمهم الكتاب والحكمة واوجب على الناس اتباع الرسول وليس معنى التعليم إعادة الألفاظ فقط بل يعلم الكتاب بالفاظه حيث يفسر معاني القرآن سواء كانت في العبادات والمعاملات والحدود أو غير ذلك من الأمور الشرعية والدينية فلو لم يكن حديثه وبيانه حجة شرعية لتعطلت الرسالة ولغت فرائضه ومناصبه و لهذه النقطة بين الله تعالى في آيات كثيرة فرائض الرسالة ومناصبه كما قال تعالى :

١- كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة . (بقرة ١٠١) .

٢- لقد من اللع على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، (أل عمران ١٦٤).

٣- هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم أياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ـ (الجمعة ٢) .

٤- ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ـ (بقرة ١٢٩).

بين الله تعالى في هذه الآيات أربعة فرائض للرسول :

(١) يتلو عليهم آيات الكتاب معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الناس تلاوة القرآن من حيث أداء الحروف والتجويد والترتيل ويجب على الناس اتباعه . لا يجوز لأحد ان يخالف قواعد التلاوة الثابتة من الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذه النقطة أوجد القراء المجتهدون فن القراءة والتجويد وكل هذه مستندة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا أيضاَ إشارة إلى حجية الحديث .

(٢) "ويزكيهم " معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يزكي الناس من جميع أثام الشرك والكفر والمعصيات والصفات الرذيلة للنفوس بحيث يصقل قلب المؤمن ويحلو باطنه وتحصل درجات القرب من الله فلو لم يتبع أحد للرسول صلى الله عليه وسلم في تزكية نفسه و إصلاح باطنه إلى امتثال ما أمره والاجتناب عما نهاه ، يكون مستغرقاً في بحار الكدورات والشهوات النفسانية ، فلذا يجب على المؤمنين اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأوجد الأصفياء فن التصوف والروحانية وبين فيه أصول التزكية و الإصلاح وطرائق العمل ووجوهه موافقا لتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا أيضاً إشارة إلى حجية الحديث .

(٣) "يعلمهم الكتاب" معناه أن القرآن جامع محتاج إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم فيبين مجملاته ويفسر معانيه ويشرح مبهماته ويزيل شبهاته وغير ذلك بحيث لا يبقى في فهم معانيه شك وتردد للأمة ولهذه النقطة أوجد العلماء الراسخون فنوناً وعلوماً من علم الحديث والتفسير والفقه والكلام واصولها لو لم

ينظر احد إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليمه لم يفهم معاني القران وأحكامه ومراده . فلذا يجب على النلس في فهم الدين والشريعة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يثبت حجية الحديث قطعاً وانظر لتفصيل ذلك ما بينا في موضوع جامعية القرآن وربط السنة بالقرآن .

(٤) يعلمهم الحكمة معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعلم الكتاب كذلك يعلم الحكمة قال الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة صـ٢٤ وسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قال قتادة الحكمة أي السنة وأيضاً قال الشافعي وسنته الحكمة التي القى في روعه عن الله عز وجل . الرسالة صـ٢٨ . وفي تفسير الحكمة أقوال أخر للعلماء الكبار وكل هذه ترجع إلى معني الفهم في الدين الذي يظهر من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم .

فيعلم من هذا ان الحديث هي الحكمة وهو الدين والفقه ولذا ذكر الله تعالى أنه أنزل الحكمة مع القرآن كما قال الله تعالى :

١- واذ أخذ الله ميثاق النبيين ما آتيتكم من كتاب وحكمة (أل عمران) .

٢- وأنزل الله عليك من الكتاب والحكمة (نساء١١٣) .

٣- واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة (بقرة ٢٣١) .

٤-أذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة(الأحزاب ٣٤) ، فهذه الحكمة تعبير واحد للسنة وللسنة تعبير آخر أيضاً الذي ذكره القرآن وهو النور وكذا الميزان وهو أيضاً مترل من الله تعلى مع الكتاب كما قال تعالى :

(١) الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان (الشورى ١٧) .

(٢) لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط (الحديد ٢٥) .

(٣) فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا (التغابن ٨/٦٤) .

(٤) فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (الاعراف ١٥٧) .

(٥) قد جاءكم من الله نور وكتاب منبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ٥/١٥ ، ففي هذه الايات بين الله تعالى

بأنه أنزل مع الكتاب شيئاً اخر الذي هو نور وميزان وما ذلك إلا هو المراد بالسنة التي هو وحي خفي من الله تعالى فكمـا أن الكتاب حجة شرعية كذلك السنة والحديث أيضـاً حجـة شرعية .

ومنها أن الله تعالى أمر الناس بإطاعة الرسول كما أمر بإطاعته تعالى والاطاعة توجب الحجية وايجاب العمل لأن المطيع يتبـع أقوال المطاع وافعاله وسيرته فاطاعة الله هو إطاعـة القـرآن وطاعة الرسول هو إطاعة الحديث وما معنى هذا إلا هو حجـة كما قال تعالى .

١-قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فـإن الله لا يحـب الكـافرين (ال عمران ٣٢)

٢-أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (المائدة ٩٢) .

٣- يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولـوا عنـه وأنتـم تسمعون (الأنفال ٢٠) .

٤- ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هـم الفـائزون (النور ٥٢) .

٥- ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً (الأحزاب ٧١)

٦- يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله أطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم (محمد ٣٣) .

٧-ان تطيعوه تهتدوا (النور) .

٨-أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (آل عمران ١٣٢) .

٩- يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا (نساء ٥٩) .

١٠- وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله (نساء ٦٤) .

١١- ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (نساء ١٣) وغير ذلك من الآيات التي أمر الله فيها بإطاعة الرسول وهي علامة الإيمان والهداية ودليل الفوز والفلاح ، وخلافها علامة الكفر والنفاق ودليل الضلالة والخسران . فكل هذه يشير إلى حجية الحديث.

ومنها٤ : أن الأنبياء والرسل عليهم السلام كلهم يتبعون ما يوحى إليهم كما قال الله تعالى :

١) إن اتبع الا ما يوحى إلي . (الأنعام يونس ١٥) .

٢) واتبع ما يوحى إليك (يونس ١٠٩) .

٣) واتبع ما يوحى إليك من ربك (الأحزاب ٢) .

٤) ان اتبع إلا ما يوحى اليّ (الأنعام ٥٠) .

٥) انما اتبع ما يوحى إلىّ من ربي (الأعراف ٢٠٣) .

٦) ان اتبع إلا ما يوحى اليّ (الأحقاف ٩) .

٧) ما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى (نجم ٤) . وغير ذلك من الآيات التي تشير بان الأنبياء والرسول عليهم السلام كانوا يدعون الناس إلى الله تعالى بما يوحى إليهم ولا يهوى انفسهم وليس للهداية سبيل سوى اتباعهم وهم يتبعون الوحي لذا كلهم يدعون الناس إلى اتباعهم كما قال تعالى :

١. قاله سيذنا نوح عليه السلام فاتقوا الله أطيعون (الشعراء ١٠٨)

.

٢. فاتقوا الله واطيعون (الشعراء١١٠) . قال هود عليه السلام.

٣. فاتقوا الله واطيعون (الشعراء ١٢٦) . قاله صالح عليه السلام

٤. فاتقوا الله واطيعون (الشعراء ١٣١) . قاله لوط عليه السلام

٥. فاتقوا الله واطيعون (الشعراء ١٤٤) . قاله شعيب عليه السلام

٦. فاتقوا الله و أطيعون (آل عمران ٥٠) . قاله عيسى عليه السلام

٧. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . آل عمران . قاله محمد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٨. ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله (نساء ٦٤) .

٩. من يطع الرسول فقد أطاع الله (نساء ٨٠) .

فعلم من هذه الآيات بان الله تعالى أوجب على الناس اتباع الأنبياء وهو إطاعتهم وكلهم يتبعون ما يوحى إليهم فثبت ان الأحاديث كلها من الوحي من الله تعالى فكما أن الوحي القران حجة ملزمة فكذلك الوحي الحديثي حجة ملزمة .

ومنها : ان الله تعالى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم قاضياً وحاكماً بين الناس ولا خيار لأحد من الناس ان يرد قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم وما يقضى الرسول فهو حديث وهو حجة موجبة كما قال تعالى :

١) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من انفسهم (الأحزاب٣٦) .

٢) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً (النساء ٦٥).

٣) انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله (النساء ١٠٥) .

٤) وقل امنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم (الشورى ٤٢/١٥) .

٥) انما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا (النور ٢٤/٥١) . وغير ذلك من الآيات التي بين فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم يعضي ويحكم في الخصومات فكما أن للخصوم يجب عليهم أن يتبعوا القضاة وقضاء القاضي حجة ملزمة عقلاً فكذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث أنه قاض وحاكم بين الناس في جميع المعاملات الدينية والدنيوية حجة ملزمة يجب اتباعه على سائر الناس وفي كتب الحديث توجد أمثال كثيرة لقضاء الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنها : ان الله تعالى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم شارحاً للقران ومبيناً له كما قال تعالى :

١. و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس إليهم (النحل ٤٤) .

٢. ثم ان علينا بيانه (القيامة ١٩) . وغير ذلك من الآيات التي تشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يبين الكتاب ويشرحه فلو لم يكن بيان الرسول وشرحه حجة موجبة للعمل فما الفائدة في بعثة الرسول وما الفائدة في تبيينه وتشريحه فيصير كل ذلك لغواً وهذا لا يجوز فيقال ان بيان الرسول صلى الله عليه وسلم وشرحه كل ذلك حجة كما ثبت تواتراً تفصل العبارات والمعاملات والحدود والقضايا.

ومنها : أن الله تعالى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة ونموذجاً للناس بحيث يجب على الناس اتباعه كما قال تعالى :

١) ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر (الأحزاب ٢١) .

٢) ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ٥٩/٧.

٣) قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (آل عمران ٣/٣١).

وغير ذلك من الآيات تشير إلى ان الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة يقتدي بها ، ولا نجاة على خلاف أسوته والظاهر ان اتباع الأسوة واجب لمن أراد ان يتبعه و إلا تتعطل بعثة الأسوة وتلغو

فائدة الإرسال وهذا لا يجوز ، فتكون أسوة الرسول حجة موجبة ملزمة وهو المراد بحجية الحديث .

ومنها : ان الله تعالى منع مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم اشد المنع وأوعد على هذا وعيداً شديداً كما قال تعالى .

١- فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم (النور ٢٤/٦٣) .

٢- ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً (النساء ١١٥).

٣- و إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً (النساء ٦١) .

٤- ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً (الأحزاب ٣٦) .

وغير ذلك من الآيات تشير إلى ان مخالفة الرسول حرام وانها توجب العذاب والفتنة وانها علامة النفاق والضلالة فيكون اتباعه و إطاعته واجباً قطعاً ولو لم يكن هذا الاتباع واجباً فكيف تكون مخالفته عصياناً وضلالة وسبباً للعذاب والفتنة فكل هذه تثبت حجية الحديث .

ومنها : ان الله تعالى ذكر الرسول صلى لله عليه وسلم شـارعاً بحيث يحل أشياء ويحرم أشياء وهذا يشير إلى أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله اعني حديثه حجة ملزمة حتى في الحلة والحرمة كما قال تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (الأعراف ١٥٧) . وترى في كثير من الأحاديث أنه عليه السلام احل أشياء وحرم أشياء .

ومنها : ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى إلى الناس ليهديهم إلى صراط مستقيم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وليس معناه أنه يذكر القرآن فقط و لا يبين من عند نفسه شيئاً بل معناه أنه يأمرهم وينهاهم ما أراه الله تعالى من الحكمة وليس ذلك إلا من إيماء الله تعالى وحياً خفياً وهو حجة واجبة و إلا يلغو أمره نهيه صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (الأعراف ١٥٧.

الفائدة الرابعة والعشرون

في حجية الحديث على ضوء أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (متفق عليه) هذا الحديث يدل على وجوب المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمحبة تقتضي الاتباع والإطاعة . قال الشاعر :

تعصي الرسول وانت تظهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

(٢) عن أبي امامة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع أيها الناس انه لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتكم فاعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم واطيعوا ولاة أموركم تدخلوا جنة ربكم (مسند احمد) .

(٣) عن أبي هريرة رض قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة إلا من ابى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى .

(٤) عن أنس رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش أحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة (ترمذي ج١ ص٩٢) .

(٥) عن عبد الله بن عمر رض قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به (شرح السنة).

(٦) عن العرباض بن سارية رض عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ (أبو داؤد) (ترمذي ج٢ ص٩٢) .

(٧) عن أبي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله اجر مائة شهيد (بيهقي) .

(٨) عن أبي رافع رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه (أبو داؤد وترمذي ج٢ ص٩١) .

(٩) عن المقدام بن معديكرب رض قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا اني أوتيت القران ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من الحلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه و إنما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله ألا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا يأكل ذي نلب من السباع (أبو داؤد وابن ماجة) .

(١٠) عن العرباض بن سارية رض قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ايحب أحدكم متكئاً على أريكته يظن ان الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن إلا واني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عنه اشياء أنها لمثل القرآن أو أكثر (أبو داؤد) .

(١١) وفي حجة الوداع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله .

(١٢) قال عليه السلام من أحيى سنة من سنتي قد أميتت بعدي فان له من الأجر مثل أجور من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً (ترمذي وابن ماجة) .

الفائدة الخامسة والعشرون

في بيان حجية الحديث ومكانة السنة في نظر الصحابة

إذا لاحظت كتب الحديث و أمعنت في أحوال الصحابة تجد ان حجية الحديث كانت فطرة للصحابة حتى صارت بديهية فيما بينهم و كتب الحديث شحونة منها .

أما ترى ان أول الاختلاف الذي وقع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهو كان في تدفين الرسول صلى الله عليه وسلم فلما بين أبو بكر الصديق رضي الله عنه حديثاً الذي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه (كما في الترمذي) فدفن في بيته صلى الله عليه وسلم بإجماع الصحابة فهذا دليل واضح على أنهم كانوا يفهمون جهة التشريعية للسنة وههنا اذكر عدة من الأمثلة كيف كانت مكانة السنة فيما بين الصحابة أنفسهم .

١) عن سعيد بن المسيب رض قال قال عمر : الدية على العاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً فاخبره الضحاك بن سفيان الكلابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه ان ورث امرأة

اشيم الضبابي من دية زوجها هذا حديث حسن صحيح الترمذي ص ٣٢ .

٢) عن قبيصة بن زويب قال جاءت الجدة أم الام أو أم الأب الى أبي بكر رضي الله عنه فقالت ان ابن ابني أو ابن ابنتي مات وقد اخبرت ان لي في الكتاب حقاً فقال أبو بكر ما جد لك في الكتاب من حق وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لك بشيئ وسأسأل الناس فسأل الناس فشهد المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس قال ومن سمع ذلك معك قال محمد بن مسلمة قال فأعطاها السدس . الترمذي ج١ ص٣١.

٣) روي الترمذي ج١ ص ١٤٤ في قصة أن فريعة بنت مالك بن سنان وقد قتل زوجها وأرادت أن ترجع إلى أهلها وتعتد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا فلما كان عثمان أرسل اليّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به .

٤) روي البخاري ج١ ص٢١٢ عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعلياً وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما فلما

راى على أهل بهما لبيك بعمرة وحجة قال ما كنت لادع سنة النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد .

٥) روى البخاري ج١ ص٨٦ عن عبد الله بن الحارث قال خطبنا ابن عباس في يوم رزغ فلما بلغ المؤذن حي على الصلاة فأمره أن ينادي الصلاة في الرحال فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقال فعل هذا من هو خير مني وانها عزمة وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي بينت فيها صراحة بأن الصحابة رضي الله عنهم ، يأخذون بها إذا وجدوها ولا يلتفون إلى غيرها ويعملون عليها ويقضون بها .

فهذه تصريح بأن السنة لها مكانة عظيمة في التشريع الإسلامي ولها جهة تشريعية وهي حجة شرعية تثبت بها الأحكام الدينية الشرعية من غير ريب وقد فهمها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كذلك .

الفائدة السادسة والعشرون
في حجية أخبار الآحاد

الحديث قسمان متواتر وغير متواتر اما المتواتر فهو حجة قطعية ثابت بالاجماع لا مشاحة فيه واما غير المتواتر فيقال انه خبر واحد وهو يشمل جميع اقسام الحديث من المشهور والعزيز والغريب وغير ذلك . فأخبار الآحاد أيضا حجة شرعية تثبت منها الأحكام الشرعية فحجيتها ثابتة بالقرآن والحديث والعقل أيضاً لا يمكن إنكاره .

فاما ثبوته من طريق آيات القرآن كما تلي : -

١) قال تعالى : يا أيها الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (الحجرات ٦) يعلم منه ان جاءكم ثقة عدل بخبر فاقبلوا وهو يشير إلى الحجية .

٢) قال تعالى : فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (التوبة ١٢٢) الطائفة يطلق على الجماعة وعلى واحد فعلى مقتضى الآية إذا تفقه في الدين يبين قومه إذا رجع إليهم وينذرهم فهذا أيضاً يصرح إلى ان خبر الواحد حجة .

٣) وقال تعالى : وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها (القصص ٢٠) ففيه ان موسى عليه السلام عمل بخبر واحد وخرج من المدينة فهذا أيضاً يشير إلى ان إخبار الآحاد معتبرة تفيد العمل .

٤) قال تعالى : ناقلاً عن قول ابنة شعيب عليه السلام حيث قال تعالى : ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا (القصص ٢٥) فعمل موسى عليه السلام بقول امرأة وأجاب قولها وحضر إلى شعبب عليه السلام فعلم أن قول واحد ثقة معتبر يفيد العلم .

٥) قال تعالى : واشهدوا ذوا عدل منكم (الطلاق ٢) . بين القران بان شهادة رجلين عدلين تثبت الحكم سواء كان في المعاملات المالية أو الحدود سوى الزنا فتقطع يد السارق ويقتص من القاتل ويحد شارب الخمر ويثبت دعوى الأموال وغير ذلك فظهر بأن خبر العدلين يفيد الحكم .

٦) وقال تعالى : وقال الذي امن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (المؤمن ٣٨) .

فيه أن رجلا من ال فرعون كان يكتم إيمانه إذا دعا إلى اتباعه يقول انه يهديهم سبيل الهداية والرشاد فلو لم يكن خبر الواحد حجة كيف كانت دعوته هداية ولم تكن انكارهم سبباً للعذاب .

٧) وقال تعالى : وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين (يس ٢٠) . ففيه ان لم يكن قوله حجة على قومه لما استحق قومه العذاب لانكارهم لما قال .

٨) وقال تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما (حجرات ٩) . أمرالله تعالى بالاصلاح بين الناس و أوجب اتباع المصلح فثبتت حجية أخبار الآحاد لان المصلح قد يكون واحداً وقد يكون اثنين وما فوقهما وكل هذه أخبار الآحاد

٩) وقال تعالى : فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (قصص٢٥) . لما اخبر موسى عليه السلام من حال فرعون عند شعيب عليه السلام صدق شعيب قوله ثم قلل لا تخف وقد نجوت من الظالمين وبهذا اطمأن قلب موسى عليه السلام وكل هذا خبر واحد وعملوا به فثبت منه حجية خبر الواحد .

١٠) ان الله عز وجل بعث أنبياء ورسلاً وكلهم يدعو الناس إلى دين الله تعالى ويلزم عليهم اتباعه وهذا في الحقيقة كلام الواحد وهو حجة على الناس .

أما ثبوته من طريق الأحاديث :-

١) عن البراء رض أنه صلى صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كماهم قبل البيت . (البخاري ج١ ص١١) .

٢) عن أبي هريرة رض أن ابا بكر الصديق بعثه في الحجة التي أمره النبي صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان . (البخاري ج٢ ص٦٢٦ـــ ج١ ص٥٣) .

٣) عن ابن عباس رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن انك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فاذا جئتهم فادعهم إلى ان يشهدوا ان لا اله إلا الله وان محمد رسول الله " فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض

عليكم خمس صلوات في كل يوم وليلة . الحديث . (البخاري ج٢ ص٦٢٦)

٤) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يبعث أصحابه للتعليم والدعوة ولتبليغ الاحكام فكل هذه أخبار الآحاد وهي حجة فلو لم يكن حجة فيكون بعثهم عبثاً .

٥) ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الأمراء على الناس كما امر على مكة عتاب بن اسيد وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي وعلى عمان عمرو بن العاص وعلى نجران سفيان بن حرب وعلى صنعاء وسائر بلاد اليمن بأذان وغيره وعلى وادى القرى عمرو بن سعيد بن العاص وعلى تيماء يزيد بن أبي سفيان وعلى اليمامة ثمامة بن آثار رضي الله عنهم . فلو لم تكن إخبار الآحاد حجة فكيف بعث الأمراء فثبت أن أقوالهم وقضاياهم حجة على الناس .

٦) وان الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل رسلاً إلى الملوك والسلاطين كما أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المتوقس صاحب الاسكندرية وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الفاني ودحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم وسليط بن عمرو العامري إلى

هوذة بن على ملك اليمامة وعمرو بن أمية العمري إلى النجاشي ملك الحبشة وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى فرويز بن هرمز ،

والعلاء بن الحضرمي إلى منذر بن ساوى ملك البحرين والحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى وجرير بن عبد الله البجلى إلى ذي الكلاع ، وعمرو بن العاص إلى ملك عمان جعفر و عبد الله السائب بن العوام إلى فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملاً لقيصر على فلسطين والمهاجر بن أبي أمية إلى الحارث وفروخ ونعيم بني عبد كلال من حمير ملك اليمن وغيرهم رسلاً إلى الأمراء والملوك واعطاهم خطوطا ومكاتيب ودعاهم إلى الإسلام فكل هذه تثبت ان اخبارهم حجة ملزمة .

أما ثبوته من طيق العقل واجماع الناس : -

١. أخبار الآحاد حجة في جميع المعاملات الدنيوية عند ذوي العقول لا مشاحة فيه ولا يمكن للناس سواء هذا لأنهم يعيشون الحياة معتمدين على الأخبار الآحاد وغالب الظنون لا على التواتر اليقيني فكذلك الأحكام الشرعية تثبت بالأخبار بحسب شرائط اعتباره .

٢. لو لم يكن خبر الواحد حجة موجباً للعمل لاختل نظام العالم ويتشتت جمعه لأن الإنسان مدني الطبع يفتقر في جميع حالاته وشئونه إلى الآخر لإظهار غرضه وحاجته ولا سبيل إليه إلا بطريق الخبر والحكاية فكان حياة الإنسان تتوقف على الخبر والحكاية فلو لم يكن ذلك حجة موجبه لبطل نظام العالم واختل فهذا يثبت حجية خبر الواحد بطريق العقل بداهة .

الفائدة السابعة والعشرون

في تحفظ الحديث في عهد الصحابة والتابعين

إذا أمعنت النظر في عهد النبوة ترى أربعة طرائق و أسباب اختارهن الصحابة لحفظ الأحاديث.

١) تعليم الأحاديث وحفظها .

٢) جمعها وكتابتها .

٣) تعليمها وبيانها .

٤) والعمل عليها وتمسك بها وقد أمر الله تعالى في القران لمذاكرة الأحاديث وتعليمها قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به (البقرة ١٣١) . والحكمة هو السنة كما مر عن الإمام الشافعي رح وعن قتادة رح وأيضا قال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة (أحزاب ٣٤) . وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على حفظ السنة وتعليمها فقال :

١. نصر الله عبداً سمع مقالتي وحفظها ووعاها واداها كما سمعها (أبوداؤد وترمذي) .

٢. وليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى ان يبلغ من هو اوعى له منه (البخاري ج١ ص ١٦) .

٣. ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم (البخاريج١ ص١٩) .

٤. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن (مسلم) .

٥. احفظوه واخبروه من وراءكم (بخاري ج١ ص١٩) . وغير ذلك من الأحاديث التي امر فيها تعلم الحديث والنقطة الثانية ان العرب كانوا مطبوعين على الحفظ يحفظون الايام والحوادث بصدوهم حتى انساب الابل والخيل وليس لهم افكار شتى سوى انشاد الشعر والتفاخر به وكان هذا من أهم مشاغلهم و أسباب الكتابة ايضاً ما كانت سهلة عليهم فيعتمدون على الحفظ قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٣٩ مذهب العرب أنهم مطبوعون على الحفظ مخصوصون بذلك يقول الشاعر العربي :

ليس بعلم ما حوى القمطرا * ما العلم إلا ما حوى الصدرا

النقطة الثالثة : ان فرط المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم يرغبهم ويحثهم على حفظ سنته وسيرته صلى الله عليه وسلم لأن المحب لا ينسى شيئاً من المحبوب فكذا حال الصحابة رضوان الله عليهم

كما قال عروة بن مسعود الثقفي قبل أن يسلم زمان صلح الحديبية أي قوم والله لقد وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله مارأيت ملكاً قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمداً والله أنه مايتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون إليه النظر تعظيماً له (البخاريج١ص٣٧٩) .

هكذا ترى في جميع الصحابة فرط المحبة وشدة العقيدة للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذه النقاط الثلاثة ترى الصحابة تعلموا السنة وحفظوها وتذاكروها فيما بينهم:

١) كما أن اصحاب الصفة كانوا التزموا النبي صلى الله عليه وسلم بشبع بطونهم فكانوا حاضرين دائماً بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يحفظون ما لا يحفظ غيرهم .

٢) بعضهم يتعلم العلم بالتناوب كما قال عمر رضي الله عنه كنت انا وجاري من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل

يوماً وانزل يوماً فاذا نزلته جئته بخبر ذاك اليوم من الوحي وغيره واذا نزل فعل مثل ذلك (البخاري١ ص١٩) .

٣) وكما روى عن أنس كنا قعوداً مع النبي صلى الله عليه وسلم فعسى أن يكون قال ستين رجلاً فيحدثنا الحديث ثم يدخل لحاجته فنراجعه بيننا هذا ثم هذا فنقوم كانما زرع في قلوبنا (مجمع الزوائد ج١ ص١٦١) .

٤) و عن معاوية رض كنا نقعد بعد الفرائض في المسجد ونتذاكر الحديث (المستدرك ج١ ص٩٧) .

٥) عن عبد الله بن عباس كنا نحفظ الحديث (مسلم ج١ص١٠) .

٦) رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس رض في حديث واحد (البخاري ج١ص١٧) . وغير ذلك من الأحاديث والروايات التي تشير أن الصحابة تعلموا العلم وحفظوه من النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة أيضاً يرغبون تلاميذهم لحفظ الأحاديث بالأهمية كما روي .

١. عن ابن عباس رض قال تذاكروا الحديث لا ينفلت منكم (الدارمي ص٧٨) .

٢. وايضاً قال ردوا الحديث واستذكروه فانه ان لم تذكروه ذهب (المستدرك ج١ ص٩٤) .

٣. عن أبي سعيد الخدري رض قال تذاكروا الحديث (الدارمي ص٧٧ المستدرك ج١ ص٩٤) .

٤. وايضاً عنه أنه يمنع عن كتابة الحديث ويقول احفظوا الحديث كما كنا نحفظ (الدارمي ص٦٦) .

٥. وقال علي تذاكروا الحديث فانكم ان لا تفعلوا يندرس (المستدرك ج١ ص٩٥) .

٦. قال ابن مسعود تذاكروا الحديث فان ذكر الحديث حياته (المستدرك ج١ ص٩٥) .

٧. أيضا قال علي رض تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس (الدارمي ص٧٩ كنز ج١ ص٢٤٢) .

٨. وايضاً قال علي تزاوروا واكثروا ذكر الحديث فانكم ان لم تفعلوا يندرس الحديث (الدارمي ص١٥٠) ,

٩. ايضا عن ابن عباس قال إذا سمعتم منا حديثاً فتذاكروه بينكم (الدارمي ص١٤٩) .

١٠. وايضاً يقول تذاكروا الحديث لا ينفلت منكم فانه ليس مثل القران مجموع محفوظ وانكم ان لم تذاكروا هذا الحديث ينفلت منكم ولا يقولن أحدكم حدثت أمس فلا احدث اليوم بل حدث امس ولتحدث اليوم ولتحدث غداً (الدارمي ص١٤٧) . فكل هذه تدل على حرض الصحابة في حفظ الحديث وتعليمه وكذلك بعض الصحابة جمع الأحاديث في صحيفة وكتبوها عنده وفي هذه المسألة كلام طويل سابينها بعد إن شاء الله وبعد ذلك كله ان الصحابة كانوا متبعين لسنة رسول الله عليه السلام أشد الاتباع ويعملون على احاديثه في جميع نواحي حياتهم فبهذه الطرائق الأربعة كانت السنة والاحاديث محفوظة في عهد الصحابة وهم علموها للتابعين فصاروا علماء متقنين .

الفائدة الثامنة والعشرون

في كتابة الحديث في عهد الصحابة والتابعين

قال السيوطي رحمه الله تعالى : اختلف السلف من الصحابة والتابعين في كتابة الحديث ، فكرهها طائفة منهم ابن عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وآخرون ،

و أباحها طائفة وفعلوها منهم عمر وعلي وابنه الحسن وابن عمرو وأنس وجابر وابن عمر رضي الله عنهم ، والحسن وعطاء وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وحكاه القاضي عياض عن اكثر الصحابة والتابعين ، قال أبو المليح يعيبون علينا ان نكتب العلم ،

وقد قال الله عز وجل : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ، قال البيهقي في المسألة : مذهب ثالث وهو الكتابة والمحو بعد الحفظ، ثم اجمعوا على كتابتها .

قال العسقلاني رحمه الله في الفتح ج١ ص٢١٤ ، السلف اختلفوا في ذلك عملاً وتركاً وان كان الأمر استقر ، والاجماع انعقد على جواز

كتابة العلم بل على استحبابه ، بل لا يبعد وجوبه على من خشي بالنسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم.

استدل من ذهب إلى الكراهة الأول ما روي عن إلى سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج (مسلم ج١ ص٤١٤).

والثاني : ما روي عن عروة بن الزبير ان عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن ، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليها أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: اني كنت أردت أن أكتب السنن ، واني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، واني والله لا لبس كتاب الله بشئ ابداص . (تدريب الراوي ص ١٥١) .

الثالث : ما روى عن أبي سعيد رض أيضا قال : أستاذنا النبي صلى الله عليه وسلم وسلك في الكتابة فلم يأذن لنا (ترمذي ج٢ ص٩١) .

وروي ان زيد بن ثابت دخل على معاوية فسأله عن حديث فأمر انساناً يكتبه، فقال زيد أن رسول الله صلى اله عليه وسلم أمرنا من حيث فمحاه (ترمذي ص ١٥٨) .

والاستدلال على جواز كتابة العلم بوجوه :

منها : ما في القرآن الحكيم : (١) ذلك الكتاب لا ريب فيـــه ، (٢) والطور مكتاب مسطور ، (٣) علمها عند ربي في كتـــاب ، (٤) ن والقلم وما يسطرون ، (٥) ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيـــد ، (٦) قالت يا أيها الملأ اني القي الي كتاب كريم ، وانه من ســليمان ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، الا تعلوا على واتوني مسلمين ، ـــ نمـل ، (٧) قال الذي عنده علم من الكتاب ، (٨) تلك آيـــات القـــرآن وكتاب مبين ، ـــ نمل ، (٩) ولها كتاب معلوم ، ـــ حجر (١٠) اتـل ما أوحي إليك من كتاب ، (١١) اذهب بكتابي هذا فالقه إليـــهم ، (١٢) وكتبناله في الالواح من كل شئ ، وغير ذلك من الآيات الـــتي فيها ذكر الكتاب ، فكل هذه يشير إلى ان الكتابة أمر جائز خاصـــة حين كان لا بد منها فهو أمر مستحسن قطعاً .

ومنها : ما في الأحاديث وفيها أنواع ، فمنها ما كتب النبي صلـى الله عليه وسلم لغيره من المشركين واليهود والنصارى :

(١) ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكتب كتابـــاً يشتمل على اثنين وخمسين دفعات بين المسلمين وبين أهل يـــثرب وأوله هكذا : " هذا كتاب من محمد النبي رسول الله صلـــى الله عليه وسلم والمؤمنين والمسلمين بين قريش وأهل يثرب ومن تبعـهم

فلحق بهم " (كتاب الاموال ص١٦٥ وسيرة ابن هشام ج٣ ص١٤٧) .

(٢) وما كتب في صلح الحديبية " هذا ما صالح عليه محمد بين عبد الله وسهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين " (سيرة ابن هشام ج٣ ص٣٣٩ وبخاري ١/٣٧٩) .

(٣) وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران وقال فيه " هذا ما كتب محمد النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله لأهل نجران " (كتاب الاموال ص١٨٨) . هكذا جميع كتبه التي كتبها لغيره من بني ثقيف وبني غطفان وبني فزارة وأهل هجر وآيلة وغيرهم يدل على جواز الكتابة .

ومنها : ما كتب للمسلمين مثلاً :

(١) عن حذيفة رضي الله عنه قال قال الني صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبنا له الفا وخمس مائة رجل (بخاري١/٤٣٠) .

(٢) ولما بعث عبد الله بن جحش في رجب مقفله من بدر الاولى ، بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتاباً ، وأمره ان لا

ينظره فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، (سيرة ابن هشام ٢٥٢/٢) .

(٣) قال بلال بن الحارث المزني : اقطع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معادن القبلية اعطى وثبقة هكذا " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث المزني أعطاه معادن القبلية ، (كتاب الأموال ص٢٧٣) .

(٤) وكذا اعطي النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ثعلبة الخشني قطعة من الأرض ، وكتب له أبي بن كعب وثبقة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ذلك يدل على كتابة العلم .

ومنها : ما كتب النبي صلى الله عليه وسلم خطوطه إلى الملوك والسلاطين والأمراء ، مثلاً : ما كتب إلى هرقل وكسرى والمقوقس وغيرهم من المكاتيب والخطوط ، فكل هذه تدل على كتابة العلم كما مر سابقاً .

منها : ما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عماله في الأحكام الحكومية والمسائل الشرعية مثلاً :

(١) ما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره ، (جامع بيان العلم ص٣٦) .

(٢) ما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة فلم يخرجه إلى عماله حتى قبض فقرن بسيفه فعمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض ، (أبو داؤد ١/١٥٦) .

(٣) وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً واعطى لأمير الجيش عبد الله بن جحش وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه (سيرة ابن هشام ٢/٢٥٣) .

منها : ما كتب النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المسائل إلى آحاد الناس مثلاً :

(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن : أن لا يمس القرآن الا طاهر ولا طلاق قبل إملاك ولا عتاق قبل أن يبتاع ، (الدارمي ص٢٩٣) .

(٢) قال جعفر بن علي : وجد في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة مكتوب فيها "ملعون من أضل أعمى من سبيل" (جامع بيان العلم ص٣٦) .

(٣) عن الضحاك بن سفيان الكلابي ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه : ان ورث امراة أشيم الضبابي من دية زوجها (الترمذي ٢/٣٣و أبو داؤد ٢/٥٠) .

(٤) خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة خطبة فقال : اكتب لي يا رسول الله ! فقال : أكتبوا لأبي فلان (أبي شاه من اليمن)(البخاري ٢/٢٢) .

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال: إيتوني بكتاب أكتب لكم الخ وغير ذلك ، بالجملة ان الخطوط والمكاتيب والأوامر والمسائل التي كتبت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بأمره الشريف كثيرة جداً ، جمع كل هذا الأمور الدكتور حميد الله في كتابه "الوثائق السياسية" وبلغ عدده إلى إحدى واربعين ومائة ، وكل هذه داخلة تحت حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وتثبت به كتابة العلم يقيناً ، وأما كتابة العلم ثابتة من الصحابة بعدد كثير نذكر ههنا نبذة منها :

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول : ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا أكتب (البخاري١/٢٢).

(٢) وعنه يقول : ما كان أحد اعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب بيده ويعي بقلبه وكنت أعي ولا أكتب ، استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب عنه فأذن له (رواه أحمد فتح الباري ١/٢١٨) .

(٣) عن عبد الله بن عمرو يقول: كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش ، وقالوا أتكتب كل شئ سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضاء ؟ فامسكت عن الكتاب فذكرت تلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق ، (الدارمي ١/١٢٧، وفتح الباري ١/٢١٨، وأبوداؤد ٢/١٥٨) .

(٤) وأيضاً قال : ما يرغبني في الحياة الا الصادقة و الوهظ ، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(الدارمي ١/١٢٧) .

(٥) عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي هل عندكم كتاب ؟ قال : لا الا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة ، (بخاري ١/٢١) .

(٦) وأيضا عن علي رضي الله عنه قال : ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ لم يعلم به الناس كافة الا ما في قراب سيفي هذا ، وأخرج صحيفة مكتوبة فيها : لعن الله من ذبح لغير الله ، (فتح ١/٢١٥) .

(٧) قال معن : اخرج اليّ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كتاباً وحلف أنه خط أبيه بيده ، (مختصر جامع بيان العلم ص٣٧) .

(٨) عن سعيد بن هلال قال : كنا إذا أكثرنا على أنس بن مالك رضي الله فأخرج الينا صحيفة عنده فقال : هذه سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم وعرضتها عليه ، (المستدرك) .

(٩) عن رافع بن خديج قال: قلت يا رسول الله انا نسمع منك اشياء أفنكتبها ؟ قال أكتبوا ذلك ولا حرج ! (مقدمة الأوجز ص٩ ، مجمع الزوائد ص١٥١) .

(١٠) وأسند الاسلمي عن علي مرفوعاً : إذا كتبتم الحديث فاكتبوه بسنده ، (مقدمة الأوجز ص٩) .

(١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمع عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيعجبه ولا يحفظه ، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اني لأسمع منك الحديث فيعجبني ولا احفظه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك وأومأ بيده إلى الخط . (الترمذي ٩١/٢) .

(١٢) عن ابن أبي مليكة قال : كتب إليّ ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين على المدعى عليه ، (أبو داؤد ١٤٥/٢) .

(١٣) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه انه كتب إلى أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقضي الحاكم بين الاثنين وهو غضبان ن (أبو دؤد ٩١/٢) .

(١٤) عن الحسن بن عمر والضمري قال: تحدثت عند أبي هريرة رضي الله عنه بحديث فأنكره فقلت : اني سمعته منك فقال : ان كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي ، (جامع بيان العلم) .

(١٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال كان عند رسـول الله صلى الله علهي وسلم ناس من أصحابه وانا معهم وأنا أصغر القوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمداً فليتبـوأ مقعده من النار، فلما خرج القوم قلت : كيف تحدثـون عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقد سمعته ما قال تنـهمكون في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحكوا وقالوا يـا ابن أخينا ان كل ما سمعنا منه عندنا في كتاب ، (طبراني) .

(١٦) عن بشير بن نهيك قال كنت أكتب ما أسمع مـن أبي هريـرة رضي الله فما أردت أن افارقه آتيته بكتابه فقرأته عليه وقلت لـه : هذا ما سمعت منك ؟ قال نعام (دارمي ١/١٢٧).

(١٧) أن صحيفة همام بن منبه التي جمعها همام لأحاديث أبي هريـرة رضي الله عنه أدرجها الإمام احمد في مسنده ، وفيها مائة وثمانيـة وثلاثون حديثاً ، فجميع أحاديثه كتبها همام في تلك الصحيفة .

(١٨) عن سعيد بن جبير قال : كنت اسمع من ابن عمرو ابن عبـاس الحديث بالليل فاكتبه يواسطة الرحل (الدارمي ١/١٢٧) .

(١٩) ان أنساً كان يقول لبينه : يا بني قيدوا هذا العلـم (الدارمـي ١/١٢٦) .

(٢٠) عن أبي البختري سمعت حديثاً من رجل (ملك بن أوس الحدثان) فاعجبني فقلت : أكتبه لي فاتى به مكتوباً مذبراً (متقناً) أبو داؤد ٢/٥٩) .

(٢١) أن عمر بن عبد العزيز كتب : أن من سال عن مواضع الفئ فهو ما حكم فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
فرآه المؤمنون عدلاً موافقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، أبو داؤد ٢/٥٥) .

(٢٢) قال عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما احرز الولد والوالد فهو لعصبته من كان ، قال : فكتب له كتابٌ فيه شهادة عبد الرحمن بن عوف وزيد بن ثابت ورجل آخر الخ (أبو داؤد ٢/٤٨) .

(٢٣) قال ابن وهب أخبرني الليث عن يحيى بن سعيد عن صدقة عمر بن الخطاب قال : نسخها لي عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب عبد الله بن عمرو في ثمغ فقص من خبره (أبوداؤد ٢/٤٢) .

(٢٤) وفيه كتب معيقيب وشهد عبد الله بن الأرقم : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصى به عبد الله عمر امير المؤمنين الخ (أبو داؤد ٢/٤٢) .

(٢٥) عن انس بن مالك قال : حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك قال : قدمت المدينة فلقيت عتبان لقلت : حديث بلغني عنك فبين الحديث إلى آخره وفيه قال أنس : فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني : اكتبه فكتبه ، (مسلم ١/١٠) .

(٢٦) عن طاؤس قال : اتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على فمحاه ، الاقدر واشاره سفيان بن عيينة بذراعيه (مقدمة مسلم ص١٠) .

(٢٧) عن سالم عن أبي النضران عبد الله بن أبي أوفى كتب فقرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا لقيتموهم فاصبروا (البخاري ١/٣٩٧) .

(٢٨) عن عبيد الله بن عبد الله قال : كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير يسأله ، أي شئ قرأ رسول الله يوم الجمعة سوى سورة الجمعة ؟ فقال : كان يقرأ هل اتاك حديث الغاشية ، (مسلم ١/٢٨٨).

(٢٩) وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، (البخاري ١/٢٠) .

(٣٠) عن أبي امامة بن سهل بن حنيف قال : كتب معي عمر بن الخطاب إلى عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الله ورسوله مولى من لا مولى له ، والخال وارث من لا وارث له (ترمذي ٢/٣١).

(٣١) ان عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشاروا عليها أن يكتبها الخ كما في تدريب الراوي .

(٣٢) عن أنس بن مالك قال : كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً و أراد أن يكتب ، فقيل له أنهم لا يقرؤون كتاباً الا مختوماً الخ وغير ذلك ، بالجملة إذا امعنت النظر إلى الصحابة والتابعين ترى أنهم يحدثون ويكتبون الأحاديث بانفسهم حتى كانت عند بعضهم صحيفة ، ويجد ذكر تلك الصحائف في كتب أسماء الرجال كما في تذكرة الحفاظ للذهبي وغيره ، فعلى ضوء تلك الادلة المذكورة والإشارات السابقة ، نجزم جواز كتابة العلم بل

استحسانها ، ولذلك يقال : ان الأحاديث كانت محفوظة في عهد الصحابة والتابعين بالحفظ والكتابة على كلا النحويين ، فلا مجال لإنكار جواز الكتابة . فأما الجواب عن الذي استدل به على كراهة الكتابة فقال العسقلاني في فتح الباري ٢١٨/١ :

(١) أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره والاذن في غير ذلك ،

(٢) أو أن النهي خاص لكتابة غير القرآن مع القرآن في تفريقها ،

(٣) أو أن النهي مقدم والاذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس ، وهو اقر بها مع أنه لا ينافيها ،

(٤) قيل النهي خاص بمن خشي الاتكال على الكتابة دون الحفظ والإذن لمن أمن منه ،

(٥) ومنهم من أعل حديث أبي سعيد وقال : الصواب وقفه على أبي سعيد قاله البخاري وغيره ، وقال عز الدين ابن السلام : لعله صلى الله عليه وسلم اذن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النسيان ، ونهى عن الكتابة عمن وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب ، أو نهى عن كتابة ذلك عنه حين خاف عليهم اختلاط ذلك بمصحف القرآن العظيم (مقدمة الفتح) .

والجواب عن الثاني بان عمر رضي الله عنه تــــرك جمــع الأحــاديث وكتابتها خوفاً من الالتباس بالقرآن ، لا من حيث أنه ما فهم جوازهـا ، والا كيف أشاروا أن يكتبها وهو أراد أيضا أن يكتب فهذا يـــدل على استحسان الكتابة عنده أيضاً ، وأما عن الثالث قوله و لم يأذن لنـا أي في بدأ الأمر ، وكذلك الجواب عن الرابع أيضاً ، واستدلوا أيضــا مما روي عن عائشة أنها قالت : جمع أبي عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم وكانت خمس مائة حديث ، فبات ليلة يتقلب كثـــيراً فقلـــت أتتقلب لشكوى أو لشئ بلغك ؟ فلما أصبح قال : أي بنيـــة هلمـــي الأحاديث التي عندك ؟ فجئته بها فدعا بنار فأحرقها فقلت لما احرقتـها ؟ قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجـــل ائتمنته ووثقته به ، ولم يكن كما حدثني ، فاكون قد نقلت ذلـــك ، (كتر العمال ص٢٣٧) .

فجوابه قال في تذكرة الحفاظ هذا لا يصح ١/٥ ، وقال ابن كثير فيــه على بن صالح مجهول .

والله أعلم

الفائدة التاسعة والعشرون

في تدوين الحديث

قال الحافظ العسقلاني في أول مقدمة فتح الباري : أعلم ان آثار النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين :

أحدهما : الهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .

وثانيهما : لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة .

وذكر الشيخ زكريا الكاندهلوي أمراً ثالثاً وهو أنهم لكثرة أشغالهم من نشر الإسلام والتبليغ والتعليم والجهاد وغير ذلك مع قلة أفرادهم ، فان الإسلام كان ضعيفاً وأهله قليلون ، فكان أحدهم يشغله جهاده وتبليغه الإسلام عن النظر في معشية والفراغ للتأليف وغيره ، فان التأليف يقتضي الفراغ التام .

ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار. فما انتشر الإسلام واتسعت الأمصار ، وتفرقت الصحابة في لأقطار ، وكثر الفتوحات ومات معظم الصحابة ، وتفرق أصحاهم

وأتباعهم ، وقل الضبط وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الاقدار واتسع الفرق وكاد الباطل أن يلتبس بالحق ، احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة.

خلاصة الكلام : ان كتابة الحديث مع اختلاف السلف في جوازه بدئت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم شاعت في عصر التابعين ، وبدء تدوينه في صور الكتب والرسائل في أواخر عصرهم .

التنبيه : - قال الشيخ زكريا الكاندهلوي : ليس غرض الحافظ أن كتابة الحديث لم تبدأ الا في أواخر عصر التابعين ، بل غرضه أن الكتابة بصورة الكتب والرسائل لم تشرع إلى ذلك الوقت ، والا فمجرد الكتابة كان من زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد بوب البخاري في صحيحه كتابة العلم .

واختلفوا في أول من دون الحديث قال الحافظ في مقدمة الفتح فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح وسعيد بن عروبة وغيرهما ، فكانوا يصنعون كل باب على حدة إلى ان قام كبار أهل الطبقة الثالثة في منتصف القرن الثاني ، فدونوا الأحكام فصنف الإمام مالك الموطأ وتوخي فيه القوي من حديث أهل الحجاز ، ومزجه بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وصنف ابن جرج بمكة ، والأوزاعي بالشام ،

والثوري بالكوفة ، وحماد بن سلمة بالبصرة ، وهشيم بواسط ، ومعمر باليمن ، وابن المبارك بخراسان ، وجرير بن عبد الحميد بالري ، وكان هؤلاء في عصر واحد ، فلا يدري أيهم سبق ،

ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم إلى أن رأي بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك على رأس المأتين ، أي إلى منتصف القرن الثالث ، فصنف عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي مسنداً ، وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسنداً ، وصنف أسد بن موسى الأموي مسنداً ، وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسنداً ، ثم اقتفي الأئمة اثرهم في ذلك ،

فقال إمام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام احمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ، وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء ومنهم من صنف على الابواب وعلى المسانيد معاً كأبي بكر بن أبي شيبة الخ .

قال القسطلاني منهم من رتب على المسانيد كالامام احمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، واحمد بن منيع وهكذا ذكر أسماء آخو ومنهم من رتب على العلل ، بأن يجمع في كل

متن طرقه ، واختلاف الرواة فيه ، بحيث يتضح إرسال ما يكون متصلاً ، أو وقف ما يكون مرفوعاً أو غير ذلك ، ومنهم من رتب على أبواب الفقه وغيرها ونوعه أنواعاً ، وجمع ما ورد في كل نوع وفي كل حكم اثباتاً ونفياً في باب فباب بحيث يتميز ما يدخل في الصوم مثلاً عما يتعلق بالصلاة ، وأهل هذه الطريقة منهم من تقيد بالصحيح كالشيخين وغيرهما منهم من لم يتقيد بذلك كباقي الكتب السنة .

فجعل الحافظ أول المدونين ثلاثة أنواع ، مدوني الابواب والأحكام ، ومدوني المسانيد ، والمقتصر على الصحيح فقط ، ولم يتعرض في كلامه هذا إلى أول الجامع مطلقاً ، وهو الزهري على ما هو المشهور على الألسن ، وأبوبكر بن محمد بن عمرو بن حزم كما يؤدي إليه النظر الدقيق ،

ومال إليه الحافظ في الفتح في شرح قول البخاري : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، قال الحافظ هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري نسب لجد أبيه ، ويستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي

، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ فلما خاف عمر بن عبد العزيز وكان على رأس المائة الاولى ذهاب العلم بموت العلماء ، رأى أن في تدوينه ضبطا له وابقاء ،

وكذا قال العيني في شرحه وعلم من ذلك أن اطلاق أئمة الحديث على جماعة من المحدثين أنهم أول من صنف أما باعتبار نوع خاص من أنواع التأليف أو باعتبار بلده ، وعلم أيضاً أن أول هذه الطبقات هي طبقات أول المدونين مطلقاً الزهري على رأي السيوطي ، واختار هذا القول جماعة من المحققين ، وبه جزم الحافظ في الفتح في كتابة العلم فقال: وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز ، ثم كثر التدوين ثم التصنيف وحصل بذلك خير كثير فلله الحمد الخ ،

وفي نيل الاماني لعل ابن شهاب أول من جمع على الاطلاق وتبعه هؤلاء فهؤلاء المشايخ كلهم مالوا أن أول المدونين مطلقاً الزهري ، وتقدم عن البخاري تعليقاً الاشارة إلى أن أولهم أبو بكر بن حزم وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم المتوفى ١٢٠ واختار هذا القول العلامة القسطلاني في شرح البخراي ، واختاره الهروي وغيره ،

وبالجملة أن الجمهور اختلفوا في واضع الحديث وأول مدونه على القولين وعصرهما واحد فالترجيح بينهما عسير .

يقول العبد الضعيف وينبغي للمصنف أن يلفت النظر إلى عصر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه هذا لأنه شرع في تدوين الفقه بعد المائة الاولى ، وهو عص الزهري وابن حزم أيضاً وتدوين الفقه بدون الأحاديث لا يمكن ، فالامام الأعظم جمع الأحاديث ورتب الأبوب ودون الشريعة فله مزية خاصة لتدوين الحديث والفقه فلله الحمد .

وأما الطبقة الثانية وهم جماعة في العصر ذو اقتراب ، وهم ربيع بن صبيح وسعيد بن عروبة ، وقيل بعدها ، إمام مالك بن أنس ، وابن جريح وغيرهما ، فهولاء كلهم أطلق عليهم اسم أول المدونين وعصرهم كما رأيت بعد مائة وخمسين إلى المائتين ، وكان عصر الزهري وأبي بكر بن حزم مقدماً عليهم ، فاطلاق ابتداء التدوين على هؤلاء النفر تجوز باعتبار البلدان أو الابواب وغير ذلك .

الفائدة : - ذكر محمد بن جعفر الكتاني : وقال في تبييض الصحيفة قال بعض من جمع مسند أبي حنيفة ، من مناقب أبي حنيفة التي انفرد بها : انه أول من دون علم الشريعة ورتبه أبواباً ، ثم تابعه مالك بن أنس في ترتيب الموطأ ولم يسبق أبا حنيفة أحد الخ .

قال الشيخ زكريا الكاندهلوي : ثم حدث بعد ذلك التـــأليف على الكتب والأبواب بتجريد الصحاح والحسان ، و أولهـــم الإمـــام البخاري محمد بن إسماعيل المتوفى ٢٥٦هـــــ ألـــف صحيحـــه ،

ثم اقتفى الأئمة المشهورون آثاره ، وأول من صنف في الســـنن على ما قاله الخطابي : هو الإمام المحدثين سليمان بن الأشعث أبو داؤد السجستاني المتوفى ٢٧٥هـــ ،

فهذا ترتيب تدوين كتب الحديث الخ ، وأيضاً قال القســطلاني : أول من صنف في الصحيح محمد بن إسماعيل ، ومنهم المقتصر علـــى الأحاديث المتضمنة للترغيب والترهيب ، ومنهم من حذف الإســـناد واقتصر على المتن فقط كالبغوي في مصابيحه واللؤلؤ في مشكاته ،

وبالجملة فقد كثرت في هذا الشأن التصانيف ، وانتشـــرت في أنواعه وفنونه التأليفات و اتسعت دائرة الرواية في المشارق والمغارب ، واستنارت مناهج السنة لكل طالب .

وقال محمد بن جعفر الكتاني أول من صنف في الصحيح المجـرد على ما قاله غير واحد الإمام أبو عبد الله البخاري ، وكانت الكتـــب قبله ممزوجاً فيها الصحيح وغيره ، ولا يرد على هذا بموطأ مـــالك ، فإنها قبل البخاري وهي مخصوصة بالصحيح أيضاً لأن مالكـــاً فيـــها

أدخل المرسل والمنقطع والبلاغات ، وليست من الصحيح على رأي جماعة خصوصاً المتأخرين ، ولكن قال الحافظ الفرق بين بلاغات الموطأ ومعلقات البخاري نظر ، فلو امعن النظر في الموطأ كما أمعن النظر في البخاري لعلم أنه لا فرق بينهما ، ثم قال صح أن مالكاً أول من صنف في الصحيح كما ذكره ابن العربي وغيره فافهم الخ .

قال الشيخ الشاه الانور الكشميري : ثم بعد متصف القرن الثالث يظهر رجال في الأمة في مصر والشام والاندلس وخراسان من حفاظ الحديث في الاشتهار إلى أوائل القرن التاسع للهجرة ما تورث العجب كثرتهم .

فمن الحنفية كالحافظ أبي بشير الدولابي والحافظ أبي جعفر الطحاوي والحافظ ابن أبي العوام السعدي والحافظ أبي محمد الحارثي صاحب مسند أبي حنيفة رحمه الله والحافظ عبد الباقي والحافظ أبي بكر الرازي الجصاص والحافظ أبي نصر القلاباذي والحافظ أبي محمد السمرقندي والحافظ شمس الدين السروجي والحافظ قطب الدين الحلبي والحافظ علاء الدين المارديني والحافظ جمال الدين الزيلعي والحافظ علاء الدين المغلطائي والحافظ بدر الدين العيني والحافظ قاسم بن قطلوبغا وغيرهم من الحفاظ الحنفية الخ .

ومن الشافعية كالحافظ الدار قطني والحافظ البيهقي والحافظ الخطابي والحافظ عز الدين بن عبد السلام والحافظ ابن دقيق العيد والحافظ العراقي والذهبي والمزي وابن الأثير الجزري والتقي السبكي والهيثمي وابن حجر ومن عداهم من الحفاظ الشافعية .

ومن المالكية كالحافظ حسين بن إسماعيل القاضي والحافظ الأصيلي والحافظ ابن عبد البر الأندلسي والحافظ أبو الوليد الباجي والحافظ القاضي أبي بكر العربي والحافظ عبد الحق صاحب المقدمات والحافظ أبو القاسم السهيلي وغيرهم .

ومن الحنابلة كالحافظ عبد الغني المقدسي صاحب الكمال والحافظ أبي الفرج بن الجوزي والحافظ موفق الدين ابن قدامة والحافظ أبي البركات ابن تيمية صاحب المنتقي والحافظ ابن رجب وغيرهم من قبلهم ومن بعدهم خلائق لا يحصون عدداً نبعت في هذه القرون الزدهرة والقوم كلهم اليوم عيال على مأدبة هؤلاء الأعلام وامائل الأعيان .

وبلاد الهند في هذه الاعصار دخلها رجال من المحدثين ، وخرج منها رجال في طلب الحديث، فتضلعوا غير أنهم لم يرجع كثير منهم فلم تنتفع بهم بلادهم ، وتجد في رواة الحديث عدة من رجال

الهند ولا سيما السند ، ومع هذا الحق يقال أن بلاد الهند حظها ضئيل جداً من علوم الحديث في تلك العصور الحافلة بالمحدثين في بلاد العراق وخراسان وغيرها ،

ثم كيف شاع علم الحديث في الهند والبنغال من تلك العصور الماضية إلى يومنا هذا . فقد ذكرته في الجزء الثاني لكتابي هذا ، فعليكم بالبسط والتفصيل . والله أعلم .

الفائدة الثلاثون : في تحقيق الاجتهاد والتقليد

قال الشيخ ولي الله الدهلوي رح في كتابه : " عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد" حقيقة الاجتهاد على ما يفهم من كلام العلماء استفرغ الجهد في إدراك الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية الراجعة كلياتها إلى أربعة أقسام الكتاب والسنة والإجماع والقياس ـــ وأيضا ، قال: وشرطه انه لا بد له ان يعرف من الكتاب والسنة ما يتعلق بالأحكام ومواقع الإجماع وشرائط القياس وكيفية النظر وعلم العربية والناسخ والمنسوخ وحال الرواة ولا حاجة إلى الكلام والفقه ، ـ وأيضا قال: قال البغوي ، والمجتهد من جمع خمسة أنواع من العلم :

علم كتاب الله عز وجل .

وعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلم أقاويل علماء السلف من اجماعهم واختلافهم .

وعلم اللغة .

وعلم القياس ، وهو طريق استنباط الحكم عن الكتاب والسنة اذا لم يجده صريحاً في نص كتاب أو سنة او إجماع ، فيجب ان يعلم من علم الكتاب الناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والخاص والعام

والمحكم والمتشابه والكراهة والتحريم والاباحة والندب والوجوب، ويعرف من السنة هذه الاشياء ويعرف منها الصحيح والضعيف والمسند والمرسل ، ويعرف ترتيب السنة على الكتاب وترتيب الكتاب على السنة حتى لو وجد حديثاً لا يوافق ظاهره الكتاب يهتدي إلى وجه محملة ، فان السنة بيان الكتاب ولا تخالفه ، وانما يجب معرفة ما ورد منها في أحكام الشرع دون ما عداها من القصص والاخبار والمواعظ، .

وكذلك يجب أن يعرف من علم الفقه ما اتى في كتاب أو سنة في أمور الكلام دون الإحاطة بجميع لغات العرب وينبغي أن يتخرج فيها بحيث يقف على مرام كلام العرب فيما يدل على المراد من اختلاف المحال والأحوال لأن الخطاب ورد بلسان العرب، فمن لم يعرف لا يقف على مراد الشارع ،

ويعرف اقاويل الصحابة والتابعين في الأحكام ومعظم فتاوى فقهاء الأمة حتى لا يقع حكمه مخالفاً لأقوالهم، فيكون فيه خرق الاجتماع، وإذا عرف من كل هذه الأنواع معظمه، فهو حينئذ مجتهد، ولا يشترط معرفة جميعها بحيث لا يشذ عنه شئ منها، واذا لم يعرف نوعاً من هذه الأنواع فسبيله التقليد ، وان كان في مذهب

واحد من احاد ائمة السلف، فلا يجوز له تقلد القضاء ولا الترصد للفتيا ، واذا جمع هذه العلوم وكان مجانب للأهواء والبدع متدرعاً بالورع محترزاً عن الكبائر غير مصر على الصغائر، جاز له ان يتقلد القضاء ويتصرف في الشرع بالاجتهاد والفتوى ، ويجب على من لم يجمع هذه الشرائط تقليده فيما يعن له من الحوادث (انتهى كلام البغوي) .

وروى الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه عن الإمام الشافعي رح أنه قال : لا يحل لأحد أن يفتي (أي يجتهد) في دين الله الا رجلاً عارفاً بكتاب الله بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابه وتاويله وتنزيله ومكيه ومدنيه وما اريد به ، ويكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناسخ والمنسوخ ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن ، ويكون بصيراً باللغة بصيراً بالشعر، وما يحتاج اليه للسنة القران ، ويستعمل هذا مع الانصاف ، .

ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف الامصار والقران ، وتكون له فريحة بعد هذا ، فاذا كان هذا فله ان يتكلم ويفتي في الحلال والحرام ، واذا لم يكن هكذا فليس له ان يفتي ، وقال ابن القيم في اعلام الموقفين ج١ ص١٦ قال على بن شقيق : قيل لابن المبارك

متى يفتي الرجل ؟ قال : إذا كان عارفاً بالأثر وبصيراً بالرأي ، وقيل يحيى بن اكثم متى يجب للرجل ان يفتي ؟

فقال إذا كان بصيراً بالرأي بصيراً بالأثر، ثم قال ابن القيم يريد ان بالرأي القياس الصحيح والمعاني والعلل الصحيحة التي علق الشارع بها الأحكام وجعلها مؤثرة طرداً وعكساً ، وأخرج أبو نعيم عن أبي مصعب قال سمعت مالكاً يقول : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون شيخا إني أهل لذاك ، وأيضا قال الإمام مالك : لا ينبغي لرجل ان يرى نفسه اهلاً لشئ حتى يسأل من هو اعلم منه، فثبت من نصوص هؤلاء العلماء الأئمة: ان الاجتهاد لا يجوز لغير أهله واهله هو الذي يكون جامعاً لشرائطه التي وقعت الاشارة عليها من كلام الشافعي واحمد ومالك وغيرهم ، .

واما غير أهل الاجتهاد فليس له الا تقليد أهل العلم ، وان الاجتهاد والتقليد امر متوارث من خير القرون ، وليس بمحدث في القرن الرابع كما يزعم بعض السفهاء .

وقال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في الإنصاف ص ٧٩ : واعلم ان المجتهد المطلق من جمع خمسة من العلوم ، قال النووي في المنهاج وشرط القاضي مسلم مكلف حر عدل سميع بصير ناطق كاف

مجتهد وهو ان يعرف من القران والسنة ما يتعلق بالأحكام وخاصه وعامه ومجمله ومبينه وناسخه ومنسوخه ومتواتر السنة وغيره والمتصل والمرسل وحال الرواة قوة وضعفاء لسان العرب لغة ونحوا وأقوال العلماء من الصحابة فمن بعدهم اجتماعاً واختلافاً والقياس بأنواعه ، وأيضا قال الشيخ الدهلوي في عقد الجيد : وقد صرح الرافعي والنووي وغيرهما ممن لا يحصى كثيرة أن المجتهد المطلق الذي تفسيره على قسمين مستقل ومنتسب ، ويظهر من كلامهم ان المستقل يمتاز عن غيره بثلاث خصال :

أحدها: التصرف في الأصول التي عليها بناء مجتهداته .

وثانيها : تتبع الآيات والأحاديث والآثار لمعرفة الأحكام التي سبق بالجواب فيها واختيار بعض الأدلة المتعارضة على بعض ، وبيان الراجح من محتملاته ، والتنبيه لمأخذ الأحكام من تلك الأدلة والذي نرى والله أعلم أن ذلك ثلثا علم الشافعي رحمة الله عليه .

وثالثها : الكلام في المسائل التي لم يسبق بالجواب فيها أخذا من تلك الأدلة، والمنتسب من سلم أصول شيخه واستعان بكلام كثير في تتبع الأدلة والتنبيه للمأخذ ، وهو مع ذلك مستيقن بالأحكام من قبل أدلتها قادر على استنباط المسائل منها قل ذلك منه او كثر ، وانما

يشترط الامورا لمذكورة في المجتهد المطلق ، واما الذي هـو دونـه في المرتبة فهو مجتهد في المذهب، وهو مقلد لامامه فيما ظهر فيه نصه لكنه يعرف قواعد امامه وما بنى عليه مذهبه ، فاذا وقعت حادثة و لم يعرف لامامه فيها نصاً اجتهد فيها على مذهبه ، وخرجها من أقواله وعلـى منواله ودونه في المرتبة مجتهد الفتيا وهو المتبحـر في مذهـب امامـه المتمكن من ترجيح قول على اخر ووجهه من وجوه الاصحاب علـى آخر . والله أعلم ،

وذكر المحقق ابن العابدين في شرح عقود رسـم المفـتي : ان الفقهاء على سبع طبقات ، وجعل فيها ثلاث طبقـات للمجتـهدين والبواقي للمقلدين حيث قال :

الأولى : طبقة المجتهدين في الشرع كالأئمة الاربعة ومن سلك مسلكهم في تأسيس قواعد الاصول واستنباط احكام الفـروع عـن الادلة الاربعة غير تقليد لأحد لا في الفروع ولا في الاصول .

الثانية : طبقة المجتهدين في المذهب كابي يوسف ومحمد وسائر أصحاب ابي حنيفة ، القادرين على استخراج الأحكام عـن الادلـة المذكورة على حسب القواعد التي قررها استاذهم ، فانهم وان خالفوه في بعض احكام الفروع لكنهم يقلدونه في قواعد الأصول ، .

الثالثة :

طبقة المجتهدين في المسائل، التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب ، كالخصاف وابي جعفر الطحاوي وابي الحسن الكرخي وشمس الأئمة الحلواني وشمس الأئمة السرخسي وفخر الإسلام البزدوي وفخرا لدين قاضي خان وغيرهم فانهم لا يقدرون على مخالفة الإمام لا في الاصول ولا في الفروع ، لكنهم يستنبطون الاحكام من المسائل التي لا نص فيها عنه على حسب اصول قررها ومقتضى قواعد بسطها.

الرابع : طبقة أصحاب التخريج من المقلدين ، كالرازي واضرابه الخ أقول ان الإمام الشاه ولي الله الدهلوي قسم المجتهد المطلق إلى قسمين مستقل ومنتسب ، والذي دونهما فهو المجتهد في المذهب ، والذي دونه فهو المجتهد في المسائل أو مجتهد الفتيا، وهكذا فسره الإمام في الإنصاف ص٨٢ تفصيلا مع ضرب المثال ، .

واما الذي قاله المحقق ابن عابدين فيعلم منه : ان المجتهد المطلق قسم واحد والثاني هو المجتهد في المذهب ، وعد من الثاني الإمام ابا يوسف والامام محمداً وزفر وغيرهم من اصحاب الإمام الاعظم رضي الله عنه ،

وعند العبد الضعيف هذا كلام فيه نظر، لأن أصحاب الإمام الاعظم كانوا مستقلين في تفكرهم الفقهي كل الاستقلال، وما كانوا مقلدين لشيخهم بأي نحو من نواحي التقليد ، وكونهم درسوا آراءه أو تلقوها عليه او تثقفوا في دراساتهم عليه لا يمنع استقلال تفكيرهم وحرية اجتهادهم، والا كان من يتلقى على شخص لا بد ان يكون مقلداً له ، ابتدا دراساته بتلقي فقه ابراهيم النخعي على شيخه حماد بن سليمان وكان كثير التخريج عليه ، ولكن أبا حنيفة فقيه مستقل وافقه أحيانا وخالفه أحيانا ، وما وافقه انما وافقه على بينة واستدلال ، لا على مجر التقليد والاتباع ،

كذلك أصحاب أبي حنيفة مثل ابي يوسف ومحمد وزفر وغيرهم ، درسوا فقهه وتلقوا عليه طريق اجتهاده فوافقوه في بعضها وخالفوه في غيرها، وما كانت الموافقة عن تقليد فقط ، بل عن اقتناع استدلال وتصديق للدلائل، وما ذلك شان المقلدين ، وإذا كانت الأصول التي بني عليها الاستنباط عند هؤلاء التلاميذ وشيخهم متحدة في أكثرها ، فليست متحدة في كلها ، وحسبهم تلك المخالفة للاستقلال ، وانهم ان اتحد وافي طريقة الاستنباط فليس ذلك عن تقليد فقط ومن يدرس حياة أولئك الأئمة يبعد عنهم صفة التقليد ابعادا تاما

، فهم لم يكتفوا بما درسوا علي شيخهم ، بل درسوا من بعده آخـــر فأبو يوسف درس بعده ولزم أصحاب الحديث ، واخذ منهم أحـاديث كثيرة بعد أبي حنيفة ثم هو قد اختبر للقضاء وعرف أحـــوال النـــاس فصدق ما وافق فيه شيخه بقصد القضاء وخالف فيه في بعض الأمـــور بما هداه الله أليه للحكم والقضاء بين الناس،

وكذا محمد لم يلازم أبا حنيفة الامدة قليلة في العلمية ثم اتصـل بمالك وروي عنه الموطا وروايته اصح الروايات إسنادا ، فلـــو كـــان مقلدا فلا يتلقى الإمامين لأبى حنيفة أو مالك أما معا ، فالا نصاف آن نقول آن الإمام أبا حنيفة كان إماما مجتهدا مستقلا مطلقا ،

وكذلك الإمام أبو يوسف ومحمد وزفر كـــانوا مجتـــهدين مطلقين ولكنهم وافقوه بأكثر مما خالفوا، وما خالفوه فانما خـــالفوه بالدلائل، ومع ذلك اتحدوا في اكثر الأصول مـــع شـــيخهم الإمـــام الأعظم ، فاحق ان يكونوا منتسين للإمام الأعظم ، فالذي قاله الإمـــام ولي الله الدهلوي فهو صواب وحق فأصحاب الإمام الأعظم مـــن أبي يوسف ومحمد وزفر رح وغيرهم الذين عدهم ابن عابدين من طبقـــة المجتهدين في المذهب ليسوا كذلك ، بل هم من المجتهدين المنتســـبين في درجة المجتهدين المطلقين، قال الشـــيخ الدهلـــوي في الإنصـــاف

وانقرض المجتهد المطلق المنتسب في مذهب الإمام أبي حنيفة بعد المائة الثالثة .

وانما كان فيه المجتهدون في المذهب ، إلى ان قال : ومترلة مذهب احمد من مذهب الشافعي رح مترلة مذهب أبي يوسف ومحمد من مذهب أبي حنيفة، آلا آن مذهبه لم يجمع في التدوين مع مذهب الشافعي ، كما دون مذهبهما مع مذهب أبي حنيفة ، فلذلك لم يعدا مذهبا واحداً فيما نرى والله اعلم ، .

واما التقليد فقال في كشاف اصطلاحا ت الفنون : التقليد اتباع الإنسان عيره فيما يقول آو يفعل معتقدا للحقيه من غير نظرا لي الدليل ، كان هذا المتبع جعل قول الغير او فعله قلادة في عنقه من غير مطالبة دليل ، وفي النامي شرح الحسامي : التقليد اتباع الغير علي ظن انه محق بلا نظر في الدليل ،

قال الإمام ولي الله الدهلوي في عقد الجيد أن الأمة اجتمعت علي ان يعتمد واعلي السلف في معرفة الشريعة فالتابعون اعتمدا في ذلك على الصحابة ، وتبع التابعين اعتمدوا على التابعين ، وهكذا في كل طبقة اعتمد العلماء علي من قبلهم والعقل يدل علي حسن ذلك لان الشريعة لا يعرف إلا بالنقل والاستنباط والنقل لا يستقيم إلا بان

، فهم لم يكتفوا بما درسوا علي شيخهم ، بل درسوا من بعده آخر فأبو يوسف درس بعده ولزم أصحاب الحديث ، واخذ منهم أحاديث كثيرة بعد أبي حنيفة ثم هو قد اختبر للقضاء وعرف أحوال الناس فصدق ما وافق فيه شيخه بقصد القضاء وخالف فيه في بعض الأمور بما هداه الله أليه للحكم والقضاء بين الناس،

وكذا محمد لم يلازم أبا حنيفة الامدة قليلة في العلمية ثم اتصل بمالك وروي عنه الموطا وروايته اصح الروايات إسنادا ، فلو كان مقلدا فلا يتلقى الإمامين لأبي حنيفة أو مالك أما معا ، فالا نصاف آن نقول آن الإمام أبا حنيفة كان إماما مجتهدا مستقلا مطلقا ،

وكذلك الإمام أبو يوسف ومحمد وزفر كانوا مجتهدين مطلقين ولكنهم وافقوه بأكثر مما خالفوا، وما خالفوه فانما خالفوه بالدلائل، ومع ذلك اتحدوا في اكثر الأصول مع شيخهم الإمام الأعظم ، فاحق ان يكونوا منتسين للإمام الأعظم ، فالذي قاله الإمام ولي الله الدهلوي فهو صواب وحق فأصحاب الإمام الأعظم من أبي يوسف ومحمد وزفر رح وغيرهم الذين عدهم ابن عابدين من طبقة المجتهدين في المذهب ليسوا كذلك ، بل هم من المجتهدين المنتسبين في درجة المجتهدين المطلقين، قال الشيخ الدهلوي في الإنصاف

وانقرض المجتهد المطلق المنتسب في مذهب الإمام أبي حنيفة بعد المائة الثالثة .

وانما كان فيه المجتهدون في المذهب ، إلى ان قال : ومترلة مذهب احمد من مذهب الشافعي رح مترلة مذهب أبي يوسف ومحمد من مذهب أبي حنيفة، آلا آن مذهبه لم يجمع في التدوين مع مذهب الشافعي ، كما دون مذهبهما مع مذهب أبي حنيفة ، فلذلك لم يعدا مذهبا واحداً فيما نرى والله اعلم ، .

واما التقليد فقال في كشاف اصطلاحا ت الفنون : التقليد اتباع الإنسان عيره فيما يقول آو يفعل معتقدا للحقيه من غير نظرا لي الدليل ، كان هذا المتبع جعل قول الغير او فعله قلادة في عنقه من غير مطالبة دليل ، وفي النامي شرح الحسامي : التقليد اتباع الغير علي ظن انه محق بلا نظر في الدليل ،

قال الإمام ولي الله الدهلوي في عقد الجيد أن الأمة اجتمعت علي ان يعتمد واعلي السلف في معرفة الشريعة فالتابعون اعتمدا في ذلك على الصحابة ، وتبع التابعين اعتمدوا على التابعين ، وهكذا في كل طبقة اعتمد العلماء علي من قبلهم والعقل يدل علي حسن ذلك لان الشريعة لا يعرف إلا بالنقل والاستنباط والنقل لا يستقيم إلا بان

يأخذ كل طبقة عمن قبلها بالاتصال وأيضا قال الإمام الدهلوي في الإنصاف :

اعلم أن الناس كانوا في المائة الأولى والثانية غير مجمعين على التقليد لمذهب واحد بعينه ، قال أبو طالب المكي في قوت القلوب : أن الكتب والمجموعات محدثته، والقول بمقالات الناس ، والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له في كل شئ والتفقه على مذهبه ، لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرنين الأول والثاني ، انتهى أقول وبعد القرنين حدث فيهم شئ من التخريج غير ان أهل المائة الرابعة لم يكونوا مجمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله ،

كما يظهر من التتبع بل كان الناس على درجتين ، العلماء والعامة ، وكان من خبر العامة انهم كانوا في المسائل الاجماعية التي لا اختلاف فيها بين المسلمين او بين جمهور المجتهدين لا يقلدون صاحب الشرع ، وكانوا يتعلمون صفة الوضوء والغسل واحكام الصلاة والزكاة ونحو ذلك من ابائهم او علماء بلدانهم، فيمشون على ذلك واذا وقعت لهم واقعة نادرة استفتوا فيها أي مفت وجدوا من غير تعيين مذهب، ـــ

قال ابن الهمام في آخر التحرير ، كانوا يستفتون مرة واحداً ومرة غيره غير ملتزمين مفتياً واحداً ، .

وأيضا قال فيه : وبعد المائتين ظهر فيهم التمذهب للمجتهدين باعيانهم ، وقل من كان لا يعتمد على مذهب مجتهد بعينه ، وكان هذا هو الواجب في ذلك الزمان ، ـــ

وأيضا قال في عقد الجيد : ولما اندرست المذاهب الحقة الا هذه الأربعة ، كان اتباعها اتباعاً للسواد الأعظم، والخروج عنها خروجاً عن السواد الأعظم ـــ وأيضا قال فيه: لأن الناس لم يزالوا من زمن الصحابة إلى ان ظهرت المذاهب الأربعة ، يقلدون من اتفق من العلماء من غير نكير من أحد يعتبر إنكاره ، ولو كان ذلك باطلاً لا نكروه ـــ

وأيضا قال فيه : اعلم ان في الأخذ بهذه المذاهب الأربعة مصلحة عظيمة ، وفي الإعراض عنها كلها مفسدة كبيرة ، ـــ وقال الشيخ ابن الهمام في فتح القدير : انعقد الإجماع على عدم العمل بالمذاهب المخالفة للائمة الأربعة ، وقال ابن حجر المكي في فتح المبين ، اما في زماننا فقال أئمتنا لا يجوز تقليد غير الأئمة الأربعة الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل ، وقال الطحاوي : من كان

خارجاً عن هذه الأربعة فهو من أهل البدعة والنار، وقال الشيخ الدهلوي في الإنصاف :

فإذا كان إنسان جاهل في بلاد الهند وما وراء النهر وليس هناك عالم شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا كتاب من كتب هذه المذاهب ، وجب عليه ان يقلد لمذهب أبي حنيفة ويحرم عليه ان يخرج من مذهبه لأنه حنيئذ يخلع من عنقه ربقة الشريعة ويبقى سدي مهملاً ، بخلاف ما إذا كان في الحرمين، وأيضا قال في حجة الله البالغة : ان هذه المذاهب الأربعة المعروفة المحررة ،

قد اجتمعت الأمة أو من يعتد به منها ، على جواز تقليدها إلى يومنا هذا وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى، لاسيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهمم ، واشربت النفوس هوى واعجب كل ذي رأي برأئه"،

وقال الشيخ النووي رح في المجموع : ووجهه انه لو جاز اتباع أي مذهب شاء لافضى إلى ان يلتقط رخص المذاهب متبعاً هواه، ويتخير بين التحليل والتحريم والوجوب والجواز، وذلك يؤدي إلى انحلال ربقة التكليف ، بخلاف العصر الأول فانه لم تكن المذاهب الوافية بأحكام الحوادث مهذبة معروفة ، فعلى هذا يلزمه ان يجتهد في

اختيار مذهب يقلده على التعين ، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير: قال معمر لو أن رجلاً اخذ يقول أهل المدينة في استماع الغناء واتيان النساء في أدبارهن وبقول أهل مكة في المتعة والصرف وبقول أهل الكوفة في المسكر كان شر عباد الله ،

وقال العلامة ابن خلدون في مقدمته : ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة ، ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقه ، ولما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ، ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد ، ولما خشي من اسناد ذلك إلى غير أهله، ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه، فصرحوا بالعجز والاعواز ،

ورد ا الناس إلى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلدين، وخطروا ان يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب " وقال العلامة عبد الرؤوف المناوي في الفيض القدير عن الذهبي ، ويجب علينا ان نعتقد أن الأئمة الأربعة والسفيانين والاوزاعي وداؤد الظاهري وإسحاق بن راهوية وسائر الأئمة على هدي ......

وعلى غير المجتهد ان يقلد مذهباً معيناً ...... لكن لا يجوز تقليد الصحابة وكذا التابعين ، كما قاله إمام الحرمين : كل من لم يدون مذهبه فيمتنع تقليد غير الأربعة في القضاء والإفتاء لأن المذاهب الأربعة

انتشرت وتحررت، حتى ظهر تقييد مطلقها وتخصيص عامها بخلاف غيرهم لانقراض اتباعهم ، وقد نقل الإمام الرازي إجماع المحققين على منع العوام من تقليد أعيان الصحابة وأكابرهم " وقال النووي في المجموع : وليس له التمذهب بمذهب أحد من أئمة الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من الاولين ، وان كانوا اعلم واعلى درجة ممن بعدهم ، لأنهم لم يتفرغوا لتدوين العلم وضبط أصوله وفروعه ، فليس لأحد منهم مذهب مهذب محرر مقرر، وانما قام بذلك من جاء بعدهم من الأئمة الناحلين لمذهب الصحابة والتابعين القائمين بتمهيد أحكام الوقائع قبل وقوعها الناهضين بإيضاح أصولها وفروعها كمالك رح وأبي حنيفة رح، فظهرت من نصوص هؤلاء الجهابذة الكرام أمور :

التقليد جائز ليس هو بشرك وكفر، بل هو امر متوارث من خير القرون وليس هو بمحدث ، .

والتقليد المطلق كان في عهد الصحابة والتابعين شائعاً من غير تعين شخص ،

والتقليد الشخصي أي التقليد لإمام معين صار واجباً بعد المائتين وجوباً لغيره،

وان فيه مصلحة عظيمة ودونه فساد كبير، ومن يمعن النظر في تلك النصوص يعلم ما ذكرنا يقيناً، وفي كل هذه الامور بسط وتفصيل لا يسعه المقام ، ولكن الموضوع جواز التقليد ، كان من اعظم المعارك بيننا وبين منكري التقليد حتى رأينا الحافظ ابن القيم وابن حزم وغرهما كانوا يردون على أهل التقليد أشد الرد، ويسيئون الأقوال في شان أئمة المجتهدين ومقلديهم، فوجب علينا ان نثبت جواز التقليد بالادلة والبراهين، وندفع التلبيسات والشكوك التي اورد علينا ، وهذا الموضوع أيضاً وسيع نذكرهها مجملاً مختصراً ،

فأما الدلائل والشواهد من الايات فكثيرة، فمنها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر (النساء٥٩) .

ففي تفسير أولي الأمر قال البعض ، المراد منه الحكام المسمون ، وقال بعضهم الفقهاء ، وهذا مروي عن جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وعطاء بن أبي رباح وعطاء بن السائب والحسن البصري وأبي العالية وغيرهم ، لأن الأمن والخوف حاصل في كل ما يتعلق بباب التكليف ، فثبت انه ليس في الآية ما يوجب تخصيصها بأمر

الحروب" وهكذا قال نواب صديق حسن خان ان في الآية إشارة إلى جواز القياس ، وان من العلم ما يدرك بالاستنباط ،

ومنها : قوله تعالى : "فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون " (التوبة ١٢٣) .

يثبت من هذه الآية ان تنشأ جماعة الذين يتفقهون في الدين ويحذرون قومهم الذين لا يعلمون ، فعلى القوم يجب الاتباع والعمل بأمرهم وهذا هو التقليد، قال الإمام الجصاص : فأوجب الحذر بإنذارهم والزم المنذرين قبول قولهم .

ومنها : قوله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون(النحل ٤٢) . قال العلامة الألوسي في روح المعاني : واستدل بها ايضا على وجوب المراجعة للعلماء فيما لا يعلم وفي الاكليل للسيوطي : انه استدل بها على جواز تقليد العامي في الفروع ،

وهذه الآية وان كانت نزلت في امر خاص ولكن العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص المورد ولا يضرنا ما قيل في المراد بآهل الذكر من الاختلاف اذ قيل المراد به أهل الكتاب وقيل هم الذين اسلموا من أهل الكتاب وقيل المسلمون لأن التقليد يثبت منها بدلالة النص لأنه أمر

فيها إلى المراجعة من أهل الذكر عند عدم العلم ، وهذا هو التقليد قال الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ، اما من يسوغ له التقليد فهو العامي الذي لا يعرف طرق الأحكام الشرعية ، فيجوز له ان يقلد عالماً، ويعمل بقوله قال الله تعالى : " فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ،

وأما ثبوت التقليد من الأحاديث فكثيرة اذكر نبذة منها :

منها: عن حذيفة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذي من بعدي أبي بكر وعمر (رواه الترمذي وابن ماجة) والاقتداء يكون في الأمور الدينية ، كما في فقه اللغة القدوة القدوة ما تسننت به ، وكذا استعمل هذا في القرآن والحديث ، وهذا هو التقليد ،

ومنها: عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (رواه البخاري ومسلم) يفهم منه إذا لم يبق عالم الذي إذا سئل منه اجاب بالهدي ، بل يبق جاهل إذا سئل فافتي بغير علم فضل واضل، وهذه علامة القيامة ،

فيجب ان ينشأ عالم ويعمل الناس بأمره ، وما هذا الا وهو التقليد ، وفي هذا الزمان قد بقي من الأئمة المجتهدين أقوالهم ومسائلهم محررة ومهذبة فمن كتبهم يمكن تقليدهم ،

ومنها: عن أبي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افتى بغير علم كان اثمه على من افتاه (رواه ابو داود) هذا الحديث صريح على جواز التقليد والا فلا معنى لكون الإثم على المفتي

ومنها: عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين (رواه البيهقي في المدخل) فيه مذمة الجاهلين في تأويلاتهم ، و والترديد فريضة العلماء العدول ، فعلم انه من ليس له قوة الفهم في الدين لا يجوز له ان يتكلم في الشريعة بل عليه ان يراجع العلماء ويعمل بأقوالهم وهذا هو التقليد،

ومنها: عن أبي سعيد الخدري رض في حديث طويل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ايتموا بي وليأتم بكم من بعدكم (رواه البخاري) معناه أن الصف الأول في الصلاة يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم والصفوف المتأخرة يقتدون بالصف الأول ، وفيه معنى آخر

ذكره الحافظ العسقلاني في فتح الباري ، قيل معناه تعلموا مني أحكام الشريفة ، وليتعلم منكم التابعون بعدكم وكذلك اتباعهم إلى انقواض الدنيا، وهذا صريح في معنى التقليد ،

ومنها: عن سهل بن معاذ عن ابيه ان امرأة اتته فقالت : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق زوجي غازياً وكنت اقتدي بصلاته إذا صلى وبفعله كله ، فاخبرني بعمل يبلغني عمله حتى يرجع (مسند أحمد) اخبرت المرأة انها تقتدي زوجها في كل فعله، ما انكرها النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا تقرير النبي صلى الله عليه وسلم على جواز التقليد ،

ومنها: عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت فيه خصلتان كتبه الله شاكراً وصابراً، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدي به ، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله (رواه الترمذي) فيه جواز التقليد لمن هو فوقه صراحة .

و اما أمثلة التقليد في عهد الصحابة وعملهم فكثيرة، فمنها عن ابن عباس رض قال: خطب عمر بن الخطاب الناس بالجابية ، وقال : يا أيها الناس من اراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ونن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن

أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فان الله جعلني له والياً وقاسماً (رواه الطبراني في الأوسط) فيه بيان للمراجعة إلى العلماء في الأمور الدينية صراحة وهو التقليد ،

ومنها : عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر انه سئل عن الرجل يكون له الدين على الرجل إلى اجل، فيضع عنه صاحب الحق ويعجله الاخر ، فكره ذلك عبد الله بن عمر ونهى عنه، (رواه في المؤطا مالك) فيه السوال عن الصحابي وجوابه باجتهاده من غير بيان حديث مرفوع ، وتسليم السائل فتواه من غير دليل عليه فكل هذه تقليد ،

ومنها: عن عبد الرحمن قال سألت محمد بن سيرين عن دخول الحمام فقال : كان عمر بن الخطاب يكرهه ، (اخرجه مسدد) فيه لما سئل ابن سيرين فاجاب بكراهة عمر رض فقط ، ولم يذكر سوى ذلك دليلا من حديث مرفوع ، فيفهم منه ان التقليد جائز وكان متوارثا في عهد الصحابة والتابعين ،

ومنها: عن سليمان بن يسار ان أبا أيوب الأنصاري خرج حاجاً حتى إذا كان بالنازية من طريق مكة اضل رواحله ، وانه قدم على عمر بن الخطاب يوم النحر، فذكر ذلك له ، فقال عمر بن

الخطاب اصنع ما يصنع المعتمر ثم قد حللت ، فإذا ادركك الحج قـابلا فاحجج واهد ما استيسر من الهدى، (رواه المؤطأ مالك) فيه سأل أبو أيوب الأنصاري في المسألة النازلة، أجابه عمر رض بفهمه واجتهاده ، ولم يسأله أبو أيوب عن دليله بل سلمه وعمل بما قاله، فهذا هو التقليد ،

ومنها : عن مصعب بن سعد قال كان أبي إذا صلى في المسجد تجوز واتم الركوع والسجود والصلاة ، وإذا صلى في البيت اطال الركوع والسجود والصلاة، قلت يا ابتاه إذا صليت في المسجد جوزت فإذا صليت في البيت اطلت ، قال يا بني ! انا أئمة يقتدي بنا. (رواه الطبراني في الكبير ورجاله صحيح) فيه ظاهر ان الصحابة عموماً يقتدون أكابرهم في أعمالهم من ان يسألوهم عن الدلائل ، فهذا إملوة التقليد فيهم ،

ومنها: ان عمر بن الخطاب رض رأى على طلحة بن عبيد الله ثوباً مصبوغاً وهو محرم ، فقال عمر رض: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة ؟ فقال طلحة بن عبيد الله ، يا أمير المؤمنين إنما هو مدر، فقال عمر رض أنكم أيها الرهط أئمة يقتدى بكم الناس ، فلو ان رجلا جاهلاً رأى هذا الثوب لقال : ان طلحة بن عبيد الله قد كان يلبس

الثياب المصبغة في الإحرام، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة (رواه في مسند أحمد) هذا صريح في التقليد .

ومنها : رأى عمر رض عبد الرحمن بن عوف : انه لبس خفا فقال عزمت عليك ان لا نزعتهما ، فاني أخاف ان ينظر الناس اليك فيقتدون بك (فكره في الاستيعاب) هذا واضح في التقليد .

ومنها : لما بعث عمر عبد الله بن مسعود رض إلى الكوفة ، فكتب إلى أهلها : اني قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر اميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بدر، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما ،

ومنها : ما قال ابن مسعود في أصول القضاء ، يقول : فمن عرض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله ، فان جاءه أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم ، فان جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ، فان جاءه أمر ليس في كتاب الله وقضى به النبي صلى الله عليه وسلم ولا قضى به الصالحون فليجتهد برأيه (رواه النسائي) يظهر منه ان الكتاب حجة أولاً ثم السنة على مطابقة القرآن حجة ثم ما قضى به الصالحون على موافقة الكتاب

والسنة حجة ثم الاجتهاد والقياس حجة إذا لم يخالف القرآن والسنة والاجماع ، ويجب العمل بمقتضاه وهذا هو التقليد ،

ومنها : عن سالم بن عبد الله قال: كان ابن عمر لا يقرأ خلف الإمام قال: فسألت القاسم بن محمد عن ذلك ، فقال : ان تركت فقد تركه ناس يقتدي بهم وان قرأت فقد قرأه ناس يقتدي بهم ، وكان القاسم ممن لا يقرأ (رواه موطا محمد) يظهر منه ان فيما فيه اختلاف الأئمة والدلائل متعارضة فالتقليد بأي قول فيه بحسن النية جائز وثابت

ومنها : عن الحسن انه سأله رجل اتشرب من ماء وهذه السقاية التي في المسجد فانها صدقة ، قال الحسن قد شرب أبو بكر وعمر رض من سقاية أم سعد فمه (رواه في كتر العسال) .

يتبين منه ان الحسن عمل بما عمل فيه الشيخان، وما هذا الا هو التقليد ، وهاهنا ذكرت أمثلة عابدة في مسأالة التقليد، والا فكتب الآثار مشحونة على نحو هذه ، قال الحافظ ابن القيم : والذين حفظت عنهم الفتاوى من أصحاب رسول الله صلى الله مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكثير منها مذكورة في الموطا مالك وكتاب الآثار للإمام أبي حنيفة ومصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة وشرح معاني الاثار للإمام الطحاوي وغيرها ،

ولو شئت ان ترى النظائر للتقليد الشخصي فتجد كثيراً من الوقائع ايضاً في ذلك كما :

(١) في البخاري عن عكرمة قال ان أهل المدينة سألوا ابن عباس رضي الله عنهما عن امرأة طافت ثم حاضت، قال لهم تنفر ، قالوا لا نأخذ بقولك وندع قول زيد (رواه في معجم الإسماعيلي بطريق عبد الوهاب الثقفي وفيه يقول أهل المدينة " لا نبالي افتيتنا او لم تفتنا، زيد بن ثابت يقول لا تنفر " يعلم منه ان أهل المدينة يقلدون زيد بن ثابت خاصة ، ولا يعملون على خلافه، حتى روى ان ابن عباس استدل على قوله برواية أم سليم ومع ذلك لم يعملوا بقول ابن عباس ، ثم لما تفحص أهل المدينة ووجد الرواية موافقة لقول ابن عباس رض راجع إلى زيد بن ثابت فرجع عن قوله السابق ،

كما في مسلم والنسائي والبيهقي وغيرهما ، وبعلم من هذا ان طلب الدليل للمقلد ليس بحرام كما فهمه بعض السفهاء من غير المقلدين ، وللتفصيل انظر في عمدة القاري ،

(٢) روى في البخاري تحت كتاب الفرائض قال أبو موسى الأشعري: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم يعني عبد الله مسعود، قال هذا في الكوفة وكان ابن مسعود اعلم أهل الكوفة ، فاشار أبو

موسى الاشعري إلى تقليد عبد الله ابن مسعود خاصة دون نفسه وهذا هو التقليد الشخصي ،

(٣) روى في الترمذي وأبي داؤد وغيره: عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال : كيف تقصى إذا عرض لك قضاء قال: اقضي بكتاب الله قال: فان لم تجد في كتاب الله قال ، فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال. فان لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله ، قال : اجتهد راي ولا آلو ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ،

فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله، هذا نص ظاهر في التقليد والاجتهاد ، لأن معاذا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أميرا معلماً ومفتيا ، حيث رجع اليه الناس في القضاء والفتيا ، وافتى هناك في كثير من المسائل ،

وهكذا افتى في غير اليمن ايضاً ، كما روى عن أبي مسلم الخولاني قال : اتيت مسحد أهل دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية كثير بن هشام فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا شاب فيهم اكحل العينين براق الثنايا كلما اختلفوا في شيئ ردوه إلى

الفتى فتى شاب قال قلت لجليس لي من هذا ؟ قال: قال هذا معاذ بن جبل رض (رواه مسند احمد)، يظهر منه ان معاذا يفتي بين يدي كثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: أعلمهم بالحلال والحرام فلما بعثه إلى اليمن فهو يقضى ويفتي ، فعلى أهل اليمن أوجبهم ان يقلدوه ويتبعوه و يراجعوه في أمور دنياهم ودينهم وهل هذا الا التقليد الشخصي .

روى في سنن أبي داؤد عن عمرو بن ميمون الاودى قال : قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا، فسمعت تكبيره مع الفجر رجل أجش الصوت، قال ألقيت محبتي عليه فما فارقته حتى دفنته بالشام ميتاً ، ثم نظرت إلى افقه النلس بعده فأتيت ابن مسعود فلزمته حتى مات ، " يعلم منه ان عمرو بن ميمون الاودي يقلد معاذ اثم ابن مسعود وهذا هو التقليد الشخصي"

وهكذا يوجد في كثير من التابعين انهم يقلدون بعض الصحابة خاصة أو يأمر بعضهم بعضا ان يقلد كذلك ، كما قال الشعبي من سره ان يأخذا بالوثيقة في القضاء فليأخذ بقول عمرو، قال مجاهد إذا اختلف الناس في شيئ فانظروا ما صنع عمر رض فخذوا به ، وقال اعمش في إبراهيم النخعي انه كان لا يعدل بقول عمر وعبد الله إذا

اجتمعا ، فان اختلفا كان قول عبد الله اعجب اليه ، وقال أبو تميمة قدمنا الشام فإذا الناس مجتمعون يطيقون برجل قال قلت من هذا قالوا هذا أفقه من بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا عمرو البكالي رض.

وقد اخرج كل هذه في اعلام الموقعين، وقال محمد بن جرير الطبري لم يكن أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه، وهذا مذاهبه في الفقه غير ابن مسعود وكان يترك مذهبه وقوله لقول عمر رض ، وكان لا يكاد يخالفه في شيئ من مذاهبه ويرجع من قوله إلى قوله ، وقال الشعبي : كان عبد الله لا يقنت، وقال : ولو قنت عمر رض لقنت عبد الله ، وقال طاؤس : أدركت سعبين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تدارؤا في شيئ انتهوا إلى قول ابن عباس وكل هذه النصوص تدل على التقليد الشخصي .

بالجملة قد ظهر مما سبق ان التقليد بكلا القسمين كان في عهد الصحابة والتابعين ، ولا فرق ان يقلد معيناً أو يستفتي حيناً هذا و حينا هذا بعدان يعقد واجواز التقليد، ثم اجمع الخلف على التقليد لشخص معين من الأئمة المجتهدين المشهورين كما بينا فيما سبق ، فمن قال ان

التقليد الشخصى أو التقليد مطلقاً شرك أو حرام أو بدكمنتالبيعة فهو جاهل أو سفيه لا يعبأ به والله اعلم وعلمه أتم .

ثم قسم الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في عقد الجيد: التقليد إلى أربعة منازل ، فقال : اعلم ان الناس في الاخذ بهذه المذاهب على أربعة منازل، ولكل قوم حد لا يجوز ان يتعدوه، أحدها مرتبة المجتهد المطلق المنتسب إلى صاحب مذهب من تلك المذاهب،

و ثانيها مرتبة المخرج وهو المجتهد في المذهب ، وثالثها مرتبة المتبحر في المذهب الذي حفظ المذهب واتقنه ، وهو يفتي بما اتقن وحفظ من مذهب أصحابه ورابعها المقلد الصرف الذي يستفتي علماء المذاهب ويعمل على فتواهم ، وكتب القوم مشحونة بشروط كل مترل واحكامه ، الا ان من الناس من لايميز بين المنازل فيتخبط في تلك الأحكام ويظنها متناقضة ، أردنا ان نجعل لكل مترل فصلا ، ونشير إلى احكام كل مترل على حدة " وفصل الإمام الدهلوي تفصيلا بين الأحكام والشروط لكل قسم لا نذكره هاهنا اختصاراً من شاء فليراجع إليه .

والان نذكر دفع بعض الشبهات والاعتراضات التي أوردها غير المقلدين علينا أهل التقليد :

الشبهة الأولى قال تعالى: وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قـالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أو لو كان آباءهم لا يعلمـون شـيئاً ولا يهتدون (٢١/٣١) وأيضا قال : وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على أمة وانا على آثـارهم مقتدون قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم ٤٣/٢٣

وقوله تعالى : إذا قيل لهم تعالوا إلى ما انزل الله والى الرسـول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا " ٥/١٠٤ ، فعلم من هذه الآيـات ذم من اعرض عن ما انزل الله وقنع بتقليد الاباء ، فدفعها أولا ان الله تعالى ذم التقليد لمخالفة الحق ولم يذمه لاتباع الحق بل أوجبه حيـث أوجب اتباع الرسل وأولى الأمر منهم ، وأولوا الأمر شامل للأمـراء والعلماء كما هو مسلم عنده ، هل هو الا تقليد لهم ،

فلما كان التقليد نوعين تقليد لمخالفة الحق ، وتقليد لاتبـاع الحق، والأول حرام ، والثاني واجب ، فالاحتجاج بالآيات الدالة على حرمة النوع الأول من التقليد على حرمة النوع الثاني منه لا شك انـه من تلبيس الحق بالباطل أعاذنا الله من سوء الفهم وفتنة الجهل ، وثانيـا أن المشركين تقلدوا آباءهم في العقائد والأصول الدينية ، ولا يجـوز التقليد عندنا أيضا في العقائد والضروريات الدينية ، كما في شـرح

تحرير الأصول فما يحل الاستفتاء فيه فهو الأحكام الظنية لا العقلية المتعلقة بالاعتقاد ، فان المطلوب فيها العلم على المذهب الصحيح فلا يجوز التقليد فيها ، بل يجب تحصيلها بالنظر الصحيح ، كوجوده تعالى " فيقال ان القران ذم التقليد في العقائد ومنعه المجتهدون ايضاً فلا شبهة.

والشبهة الثانية واحتج بعضهم على بطلان التقليد بقوله تعالى : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله " ٩/٣١ ، ذم القرآن تقليد الأحبار والرهبان: وهكذا يكون تقليد الأئمة .

دفعها ان هذه حجة باطلة أما أولا فلأن التقليد الذي نحن فيه ليس من تقليدهم الأحبار والرهبان : لأنهم كانوا يجعلونهم مستبدين بالتحليل والتحريم ، بخلاف المقلدين فانهم لا يجعلون أئمتهم كذلك، بل يقبلون قولهم من حيث انهم يكشفون عن قول الله والرسول .

واما ثانيا فان تقليد الأئمة ليس هو طاعة غير الله ورسوله ، وليس هو استقلالاً بل هو تبع لطاعة الله ورسوله ، قال الشيخ ابن تيمية في فتاوية انما يجب على الناس طاعة الله ورسوله وهؤلاء أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم انما تجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله لا استقلالاً" وأيضا قال: فطاعة الله ورسوله وتحليل ما احله الله

ورسوله وتحريم ما حرمه الله ورسوله و إيجاب ما أوجبه الله ورسوله، واجب على جميع الثقلين الإنس والجن، واجب على كل أحد في كل حال سراً وعلانية : لكن لما كان من الأحكام ما لا يعرفه كثير من الناس ، رجع الناس في ذلك إلى من يعلهم ذلك، لأنه اعلم بما قال الرسول :

واعلم بمراده قائمة المسلمين الذين اتبعوهم وسائل وطرق وأدلة بين الناس وبين الرسول، يبلغوهم ما قاله ويفهموهم مراده بحسب اجتهادهم واستطاعتهم ، وقد يخص الله هذا العالم من العلم والفهم ما ليس عند الآخر " فالأئمة المجتهدون ليسوا أربابا للمقلدين العياذ بالله ، لأن المقلد يقلدوهم بالواسطة لا بالذات والاستقلال والممنوع هو الثاني دوني الأول .

والشبهة الثالثة واحتج أيضا بقوله تعالى : " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء "٧/١٣ ، فامر باتباع المترل خاصة، والمقلد ليس له علم ان هذا هو المترل ، فالتقليد اتباع لغير المترل . دفعها بأن هذا باطل لأن اتباع ما انزل الله له طريقان أحدهما النظر والاستدلال والثاني التقليد ، والأول وظيفة العالم والثاني وظيفة

الجاهل حسب قوله تعال : فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمـــون " فهو داخل في قوله : انبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، فلا شبهة .

والرابعة واحتج أيضا بقوله تعالى " ان تنازعتم في شيء فـــردوه إلى الله والرسول " ٤/٥٩ فان الله تعالى منعنا من الرد إلى غيره وهـــذا ينافي التقليد . دفعها هذا باطل أيضا لأن الرد إلى العالم بأحكـــام الله ورسوله رد إلى الله ورسوله فلا يكون منافياً للتقليد .

والخامسة احتج أيضا بقوله تعالى : " يوم تقلب وجوهـــهم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انـــا أطعنـــا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا ٣٣/٦٦. فان هذا نص في ذم التقليـــد وبطلانه . دفعها هذا باطل، لأن معنى قوله ان سادتنا وكبرائنا كـــانوا ضالين غير مهتدين فدعوا إيانا إلى طريقهم الضالة فأجبناهم فضللنـــا، فليس هو مما نحن فيه لأن سادتنا وكبراءنا ليسوا على الضلالة بل هـــم على الهدى فالحجة باطلة .

والسادسة احتج بقوله تعالى " ما هذه التماثيل ، التي انتم لهـــا عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين " ٢١/٥٢ ، أنهم تقلدوا آباءهم في عبادة التماثيل والمقلدون كذلك العياذ بالله . دفعها أن هذا بـــاطل لأنهم اتبعوا آباءهم الضالين المضلين وجعلوه ذريعة لرد الحق الثـــابت ،

وهذا لا يوجد تقليد المقلدين لأئمتهم الهداة ، فان المقلدين يقلدونهم لأجل اتباع الحق فقياس أحدهما على الآخر قياس الضد على الضد ، والعجب من هؤلاء الغير المقلدين، انهم يذمون القياس والرأي ويقيسون هم أنفسهم مثل هذه القياسات البديهة البطلان، ويذمون التقليد ويقلدون العلماء الذين يقيسون مثل هذه القياسات .

السابعة قال النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا زلة العالم، وقوله عليه السلام : ان اشد ما اتخوف على امتي ثلاث زلة العالم (الحديث)، ومن المعلوم ان المخوف في زلة العالم تقليده فيها ، اذ لو لا التقليد لم يخف من زلة العالم ، دفعها هذا باطل أما أولاً فان هذا خطاب لمن يعرف الزلة ، لأن الاتقاء بدون المعرفة غير ممكن، فلا يكون خطايا للمقلدين الذين لا يعرفون الزلة من الصواب ،

وإذا كان منشاء الزلة الاجتهاد وكان منشاءها هوى النفس فهي كما هي ممنوعة وأما ثانياً فانه ليس فيه نهي عن التقليد بل تنبيه للعلماء على أن يحتاطوا في الإفتاء وفيه تقرير للتقليد لأنه لو كان التقليد حراماً لم يكن للخوف من زلة العالم معنى فهو حجة لنا لا له .

الثامنة احتج بما روي عن عدي بن حاتم قال آتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك

هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، قال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا احلوا لهم شيئاً اسحلوا وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه (رواه الترمذي) .

دفعها لا تعلق لهذا بالتقليد ، لأن أهل الكتاب جعلوا أحبلوهم ورهبانهم مستبدين بالحلال والحرام ، وأنهم معصومون عن الخطاء ، وليس كذلك الأئمة المجتهدون فانهم ليسوا مستبدين بالحلال والحرام ، بل هم متبعون بما في كتاب الله وسنة رسوله حسب ما فهموا واجتهدوا، والمقلدون لا يجعلون أئمتهم مثل الأحبار والرهبان.

التاسعة واحتج أيضا بما روي عن عبد الله بن مسعود يقول لا يقلدن رجل رجلاً دينه ان آمن آمن وان كفر كفر ، الدفع بأنه نهى التقليد في الإيمانيات والعقائد ،

ونحن نقول بذلك أيضا بأن لا يجوز التقليد فيها ، ولكن في الأحكام الشرعية فيجوز التقليد فيها عنده أيضا ، كما روي عنه يقول من كان مستنا فليستن لمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا افضل هذه الأمة فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من خلاقهم وسيرهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم .

العاشرة قال بعضهم قد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم وذموا من اخذ أقوالهم بغير حجة ، قال الإمام الشافعي رح مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهو لا يدري (ذكره البيهقي)

دفعها اما أولاً فانه لا حجة له فيه لأن ما رواه عن الشافعي فليس فيه نهى عن التقليد اولو قلنا أن فيه ترغيباً إلى التقليد لكان أولى ، لأن الحجة للمجتهد الأدلة الشرعية مثل الكتاب والسنة والإجماع والقياس ،

ولغير المجتهد قول المجتهد العارف البصير، هذا لو اجتهد وقصد اتباع الحجة فلا يؤمن عليه أن يزعم غير الحجة حجة كحاطب ليل، فمثل المجتهد الخريت الماهر يسلك الطريق ببصيرة نفسه ، ومثل المقلد كمثل الغير العارف بالطريق يسلك خلف الخريت الماهر ، ومثل الغير المجتهد المقلد لنفسه كمثل حاطب ليل ، فهو حجة لنا لا له ،

و اما ثانياً فقال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في حجة الله البالغة انما يتم فيمن له ضرب من الاجتهاد ولو في مسألة واحدة ، وفيمن ظهر عليه ظهوراً بيناً أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكذا

ونهى عن كذا وأنه ليس بمنسوخ ، أما بان يتبتع الأحاديث وأقوال المخالف والموافق في المسألة ، أو بان يراى جما غفيرا من المتيحرين في العلم يذهبون إليه ،

ويرى المخالف له لا يحتج الا بقياس أو باستنباط أو نحو ذلك ، فحينئذ لا سبب لمخالفة حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا نفاق خفي أو حمق جلي .

وأما ثالثاً فلو كان معناه أنه لا يجوز لأحد أن يقلد الإمام، فكيف يسأل المسائل الإمام وهو يجيب عن نفسه ويفتي من غير ذكر الدليل ، فلو لم يكن التقليد جائزاً عنده ، فكيف أقام نفسه في هذا المقام ، ومع ذلك توجد النصوص على لزومه لغير المجتهد، ففي الكفاية شرح الهداية : وإذا كان المفتي على هذه الصفة فعلى العامي تقليده وان كان المفتي أخطأ في ذلك ، ولا معتبر بغيره هكذا روى الحسن عن أبي حنيفة رح وابن رستم عن محمد رح وبشير بن الوليد عن أبي يوسف رح،

وقال ابن تيمية في شان الإمام أحمد رح ، ويأمر العامي بان يستفتي إسحاق وأبا عبيد وأبا ثور وأبا مصعب وينهى العلماء من أصحابه كابي داؤد وعثمان بن وسلم سعيد وإبراهيم الحربي وأبي بكر

الاثرم وأبي ذرعة وأبي حاتم السجستاني ، وغير هؤلاء ان يقلد واحداً من العلماء ويقول علكم بالأصل بالكتاب والسنة ، وقال العلامة سيف الدين الآمدي: والعامي ومن ليس له أهلية الاجتهاد وان كان محصلا لبعض العلوم المعتبرة في الاجتهاد يلزمه اتباع قول المجتهدين الأخذ بفتواه عند المحققين من الأصوليين ، ومنع من ذلك بعض المعتزلة البغداديين " إحكام الأحكام للآمدي " وقال الخطيب في الفقيه والمتفقة :

وحكى عن بعض المعتزلة أنه قال لا يجوز للعامي العمل بقول العالم حتى يعرف علة الحكم، وهذا غلط لأنه لا سبيل للعامي إلى الوقوف على ذلك الا بعد أن يتفقه سنين كثيرة، ويخالط الفقهاء المدة الطويلة، ويتحقق طرق القياس ويعلم ما يصححه ويفسده ، وما يجب تقديمه على غيره من الأدلة وفي تكليف العامة بذلك تكليف ما لا يطيقونه ولا سبيل لهم إليه " فظهر من هذه النصوص الأئمة المجتهدين أوجبوا التقليد العامي

فكيف يتصور منهم نهى التقليد وعدم جوازه ، ولا تغفل عما قال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في حجة الله البالغة ان هذه المذاهب

الأربعة المدونة المحررة قد اجمعت الأمة أو من يعتد به منها على جواز تقليدها إلى يومنا هذا ،

وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى لا سيما في هذه الايام التي قصرت منها الهمم واشربت النفوس هوى ، وأيضا قال في " عقد الجيد" ولما اندرست المذاهب الحقة الا هذه الأربعة كان اتباعها اتباعاً للسواد الأعظم ، والخروج عنها خروجاً عن السواد الأعظم ، وأيضا قال فيه " اعلم أن في الأخذ بهذه المذاهب الأربعة مصلحة عظيمة وفي الإعراض عنها كلها مفسدة كبيرة ، واليك هذا الكلام المجمل في هذا الموضوع وعليك بالمطولات ، والله اعلم

الفائدة الحادية والثلاثون

البرهان في تذكرة النعمان الإمام الأعظم

أبي حنيفة رضي الله عنه واسمه ونسبه

هو النعمان بن ثابت بن نعمان ابن المرزبان من ابناء فارس الاحرار ينسب إلى اسرة شريفة في قومه اصله من كابل اسلم حده ايام عمر رض وتحول إلى الكوفة واتخذها ساكناً وروى الخطيب بسنده إلى اسمعيل بن حماد ابن أبي حنيفة انه قال والله ما وقع علينا رق قط ولد جدي سنة ثمانين وذهب ثابت إلى على ابن أبي طالب وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو من الله تعالى أن يكون قد استجاب ذلك لعلي بن أبي طالب (تاريخ بغداد ١٣/ص٣٢٦) .

وقال أبو عبد الله بن احمد بن كدام : وقد استجاب الله دعائه حيث جعل خلفاء الأرض وملوك الآفاق وأكثر أهل الإسلام تبعاً له في الدين وعالة عليه في الفقه أقول تسمية جد أبي حنيفة بالنعمان في رواية والمرزبان في رواية ثانية وزوطي ابن ماه في رواية ثالثة فقال المحدث الفقيه مسعود بن شيبة السندي جمعاً بين هذه الروايات ان معنى المرزبان الرئيس فيحتمل أن يكون النعمان وماه اسمان له أو أحدهما اسماً والآخر لقباً ويكون معنى زوطي بالعربية النعمان ومعنى ماه

المرزبان والله أعلم ــ أو يقال بان زوطي اسم جاهلي ونعمان اســم إسلامي وكذا بين ماه ومرزبان بأن معنى كليهما الرئيس ولد الإمــام بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة على رواية الأكثرين في خلافة عبد الملك بن مروان وعلى رواية أنه ولد سنة إحدى وستين ورجحــه الحــافظ السمعاني وابن حبان وأبو القاسم السمعاني ويقول الحافظ محمد بــن إبراهيم الوزير هو الصحيح وأنه من المعمرين جاوز السبعين في العمــر كما في الروض الباسم ج١ ص١٩٣ وفي رواية انه ولد في سبعين

ورجحه محقق العصر في ديار مصر العلامة زاهــد الكوثــري بالقرائن والدلائل ولكن أكثر المؤرخين ذهبوا إلى انه ولــد في ثمــانين ومن هذه السنة بينوا كل سنين لحياته ولذا عدوا كل واقعة وقعــت في حياة الإمام حسب تلك الروايات المشهورة ولو عد مولده من سـبعين لزاد عشر سنوات في عدد كل واقعة فحينئذ يمكن ان يعد صحيحاً مــا كان لايعد صحيحاً من قلة العمر والله اعلم بحقيقة الحال ،

مع كل ذلك ولد الإمام في الأسرة الإسلامية في إحدى مــدن العراق العظيمة مركز العلوم الدينية والثقافة الإسلامية أي الكوفة الــتي وردت عليها جماعة من الصحابة بعدد ألف وخمس مائة و ولوف مــن التابعين والفقهاء فنشأ الإمام فيها متعلماً تم متكلماً ومحدثاً وفقيهاً حتى

صار جامعاً لمكارم الأخلاق والفضائل والكمالات العلمية والعملية
وكان رحمه الله اسمر اللون مع ميل إلى بياضه ربعة من الناس إلى الطول
أقرب جميل الصورة مهيب الطلعة طويل اللحية وقوراً يتأنق في ثوبه
وعمامته ونعليه النطق حلوا النغمة فصيحاً كثير التطيب يعرف به إذا
ذهب واذا جاء نحيفاً يبقى عليه دائماً خوفة من الله تعالى وطول مراقبته
وكثرة عبادته ،

قال الإمام أبو يوسف كان أبو حنيفة ربعة من الرجال ليس
بالقصير ولا بالطويل وكان أحسن الناس منطقاً واحلاهم نغمة وابينهم
مما يريد ــ وقال أبو نعيم شيخ البخاري كان أبو حنيفة جميلاً حسن
الوجه حسن اللحية حسن الثوب والنعل والبر والمواسات لكل أحد
اطاف به وعن بي المطيع قال رأيت على أبي حنيفة يوم الجمعة برداً
وقميصاً قومتهما بأربعمائة درهم وكان يلبس الصوف أحيانا كما

قال أبو الهند الوراق رأيت ابا حنيفة وعليه ثياب من صوف
وقال بكير بن معروف ما رأيت رجلاً أحسن سيرة في أمة محمد صلى
الله عليه وسلم من أبي حنيفة رح ذكر الذهبي بسنده إلى مجاهد قال
كنت عند هارون الرشيد إذ دخل عليه أبو يوسف رح فقال له هارون
صف لي أخلاق أبي حنيفة رح قال كان والله شديد الذب عن

حرمات الله مجانباً لأهل الدنيا طويل الصمت دائم الفكـــر لم يكـــن مهذاراً ولا شرثاراً ان سئل عن مسألة كان عنده بها علم أجاب فيـــها وما علمته يا أمير المؤمنين إلا صائناً لنفسه ودينه لا يذكر أحداً إلا بخير فقال الرشيد هذه أخلاق الصالحين وحكى الموفق عن النضر بن محمـــد ما رأيت أشد ورعاً منه ما كان يحسن الهزل ولا يتكلم به ولا رأيتـــه مستجمعاً ضحكاً ولكنه كان يتبسم وحكى السيوطي عن جعفر بـــن الربيع قال اقمت عنده خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه فإذ سئل عن الفقه نفح وسال كالوادي وسمعت له دوياً وجهارة بـــالكلام وأراد التجرد والانقطاع عن الناس فمنع عن ذلك في المنام مـــن حضـــرت الرسالة وأمر بتبليغ الشرائع .

الفائدة الثانية والثلاثون

في نشأته العلمية وتقلبه في العلوم

كان أبو حنيفة وحيد ابويه وكان ابوه بزازاً يبيع الأثــواب في دكان له بالكوفة ولقد خلف أبوحنيفة اباه بعد ذلك فيه وحفظ القران الكريم على قراءة عاصم الكوفي رح حين كان عمره ثماني ســـنين ثم تعلم النحو والأدب العربي والبلاغة في سنتين ثم تعلم علــم الكــلام والعقائد في خمس سنين ثم كان يناظر الفرق الباطلة ويكلم فيه اربــع سنين ثم تعلم علم الحديث خمس سنين ،

ثم تعلم علم الفقه وعلم الشرائع في ثماني عشرة ســنة إلى أن تم عمره اربعين سنة روى عن أبي يوسف انه سئل كيف وفقت إلى الفقه فقال أخبرك اما التوفيق فكان من الله تعالى وله الحمد كما هو أهلــه ومستحقه اني لما اردت تعلم العلم (أي الفقه) جعلــت العلــوم أي العلوم العصرية من النحو والصرف والأدب والكلام) كلها نصــب عيني فقرأت فناً فناً منها وتفكرت عاقبته وموضع نفعه فقلت آخــذ في الكلام ثم نظرت فاذا عاقبته سوء ونفعه قليل ،

واذا كمل الانسان فيه لايستطيع ان يتكلم جهاراً ورمى بكــل سوء ويقال صاحب هوى

ثم تتبعت أمر الأدب والنحو فاذا عاقبة أمره اجلس مع صبي أعلمه النحو والأدب ثم تتبعت أمر الشعر فوجدت عاقبة أمره المدح والهجاء وقولي الكذب وتمزيق الدين ،

ثم تفكرت في أمر القرآت فقلت إذا بلغت الغاية منه اجتمع إلى أحداث يقرؤون على والكلام في القرآن ومعانيه صعب فقلت اطلب الحديث فقلت إذا جمعت منه الكثير احتاج إلى عمر طويل حتى يحتاج الناس الي واذا احتاج إلى لا يحتاج إلا الأحداث ولعلهم يرمونني بالكذب وسوء الحفظ فيلزمني ذلك إلى يوم الدين ،

ثم قبلت الفقه فكلما قلبته ادرته لم يزدد الاجلالة و لم اجد فيه عيباً ورأيت الجلوس مع العلماء والفقهاء والمشايخ والبصراء والتخلق باخلاقهم ورأيت انه لا يستقيم اداء الفرائض واقامة الدين والتعبد إلا بمعرفته وطلب الدنيا والأخرة إلا به وبهذا يتبين أنه أراد العلوم التي كانت شائعة في عصره وتثقف بكل العلوم وتخصص فيها وروى عن يحيى بن شيبان ان ابا حنيفة رح قال كنت رجلاً اعطيت جدلاً في الكلام فمضى دهر اتردد فيه وبه أخاصم وعنه اناضل وكان أصحاب الخصومات والجدل أكثرهم بالبصرة فدخلت البصرة نيفا وعشرين مرة منها أقيم سنة واقل وأكثر وكنت نازعت طبقات الخوارج من

الاباضية والصفرية غيرهم وكنت اعد الكلام أفضل العلوم وكنت أقول هذا الكلام في أصل الدين فراجعت نفسي بعد ما مضى لي فيه عمر وتدبرت فقلت أن المتقدمين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يكن يفوتهم شئ مما ندركه نحن وكانوا عليه أقدر واعرف وأعلم بحقائق الأمور ،

ثم لم ينتصبوا فيه منازعين ولا مجالين و لم يخضوا فيه بل أمسكوا عن ذلك ونهوا عنه اشد النهي ورأيت خوضهم في الشرائع وأبواب الفقه وكلامهم فيه عليه تجالسوا واليه حضروا كانو يعلمون الناس ويدعوهم إلى التعلم ويرغبوهم فيه ويفتون ويستفتون

وعلى ذلك مضى الصدر الأول من السابقين وتبعهم التابعون عليه فلما ظهر لنا من أمورهم هذا الذي وصفنا تركنا المنازعة والمجادلة والخوض في الكلام واكفينا بمعرفته ورجعنا إلى ما كان عليه السلف وأخذنا فيما كانوا عليه وشرعنا فيما شرعوا وجالسنا اهل المعرفة بذلك واني رأيت أن من ينتحل الكلام ويجادل فيه قوم ليس سيماهم سيما المتقدمين ولا منهاجهم منهاج الصالحين ورأيتهم قاسية قلوبهم غليظة افئدتهم لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة والسلف الصالح و لم

يكن له ورع ولا تقي فعلمت أن لو كان في ذلك خير لتعاطاه السلف الصالح و لم ينعاطه الانزال فهجرته ولله الحمد .

وبهذه الرواية تظهر أنه تفنن في علم الكلام اولاً ثم عدل عنه إلى الفقه وكذا روي عن زفر بن الهزيل يقول سمعت ابا حنيفة يقول كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغاً يشار إلى فيه بالأصابع

وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن سليمان فجاءتني امرأة يوماً فقالت رجل له امرأة امة أراد ان يطلقها للسنة كم يطلقها فامرتها أن تسأل حماداً ثم ترجع فتخبرني فسألت حماداً فقال يطلقها وهي طاهرة من الحيض والجماع تطليقة ثم يتركها حتى تحيض حيضتين فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج فرجعت فقلت لا حاجة في الكلام واخذت نعلى فجلست إلى حماد فكنت اسمع مسائلة فاحفظ قوله ثم يعيدها من الغد فاحفظ ويخطئ أصحابه فقال لا يجلس صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة رح ،

هذه الروايات الثلاث ذكرت في تاريخ بغداد بطرق مختلفة وفي المناقب للموفق المكي ولابن البزازي وفي الخيرات الحسان وغيرها وتبين من هذه الروايات أنه تثقف بكل الثقافة الاسلامية التي كانت في عصره وقد عرف قدراً من الحديث وقدراً من النحو والأدب والشعر

وجادل الفرق الباطلة في مسائل العقائد وما يتصل به وكان برخل لهذه المناقشة إلى البصرة وكان يمكث بها احيانا سنة لذلك الجدل ثم مال إلى الفقه فاستغرق مجهوده الفكري ،

وروي عن أبي حنيفة أنه قال مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني فقال لي إلى من تختلف ؟ فقلت : اختلف إلى السوق فقال لم أعن الاختلاف إلى السوق عنيت الاختلاف إلى العلماء فقلت انا قليل الاختلاف إليهم فقال لا تفعل وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فاني ارى فيك يقظة وحركة قال فوقع في قلبي من قوله فتركت الاختلاف إلى السوق واخذت في العلم فنفعني الله بقوله كما في مناقب إلى حنيفة للمكي .

وذكر الإمام الكردري في المناقب بسنده عن أبي يوسف رح قال سمعت اباحنيفة يقول حججت مع أبي سنة ست وتسعين ولي ست عشر سنة فاذا بشيخ قد اجتمع عليه الناس فقلت لابي من هذا الشيخ قال هذا رجل قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدي فقلت لابي أي شئ عنده قال أحاديث سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم قلت قدمني إليه فتقدم بين يدي فجعل يفرج عني الناس حتى دنوت منه فسمعت منه قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله كفاه همه ورزقه من حيث لا يحتسب . قال الحافظ الجعابي ومات عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي سنة سبع وتسعين ولكن قال بعض المحققين أن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه كان في مصر وتوفي ٨٥ هـ أو في سنة ٨٧هـ ،

فكيف يمكن اللقاء معه سنة ٩٧ فلا غرو ان يكون غيره لأن الحافظ ابن حجر ذكر ثماني عشر أو تسع عشر أشخاصًا باسم عبد الله بن الحارث من الصحابة وأيضاً ذكر في جامع بيان العلم أنه قال حججت مع أبي سنة ثلاث وتسعين ولي ست عشر سنة فيقال ان هذا غلط وعلى هذا جرى النقل لعل أصل العبارة حججت مع أبي سنة ست وثمانين ولي ست سنين يؤيده ما قال بعده قدمني إليه حتى تقدم بين يدي فجعل يفرج عني الناس حتى دنوت منه فسمعته يقول لأن من كان عمره ست عشر سنة لا يحتاج إلى غيره بل يباشر بنفسه وكانت عادة المحدثين انهم يحملون أولادهم على كواهلهم إلى المحدثين ليسمعوا أحاديثهم ويشتركون في دعواتهم ،

فلذا يمكن أن تكون هذه الواقعة أيضاً في الصغر حين كان عمره ست سنين وهذا كما أن المشهور المتداول أن فاتح السند هي

محمد بن قاسم حين خرج على أهل السند كان عمره سبعة عشر سنة والحال أن هذا غلط لأن هذا العمر كان له حين كان والياً على فارس سنة ٨٣ واذا كان والياً لسند فحينئذ كان عمره ٢٦/٢٧ عاماً لأن بعد عشر سنوات من ذلك خرج على أهل اسند سنة ٩٢ هـ ولكن توارد النقل بان محمد بن قاسم حين خرج على السند كان عمره ١٧ سنة وهذا غلط فكذلك توارد النقل بالغلط لعل الصواب بأنه كان عمر أبي حنيفة حين حج مع أبيه والتقى مع عبد الله بن الحارث ست سنين وهذا ليس ببعيد والله أعلم .

وعاش الإمام في الكوفة وهي مولده إحدى مدن العراق العظيمة بل ثاني مصرية العظيمين في ذلك الوقت وفي العراق الملل والنحل والاهواء وقد كان وطناً لمدينات قديمة وانشأت لهم فيه مدارس قبل الإسلام وكانوا يدرسون فيها فلسفة اليوناني وحكمة الفرس وكان في العراق قبل الإسلام مذاهب نصرانية تتجاول في العقائد وبعد الإسلام كان مزيجاً من اجناس مختلفة وكان فيه اضطراب وفتن وفيه أراء تتضارب في السياسية وأصول العقائد وفيه الشيعية وفي باديته الخوارج وفيه المعتزلة وفيه تابعون مجتهدون حملوا علوم من لقوا من الصحابة جماعة

كثيرة فكان فيه علم الدين سائغاً وموروداً وفيه النحل المتنازعة والآراء المتضاربة ،

فنشأ الإمام في ذلك العصر فرأى هذه الأجناس وانكشف لـــه الآراء وكانت تبدو عليه مخايل الذكاء وقوة الفكر إلى درجة وجهت إليـــه أنظار من كان يراه فقضى أول حياته في علم الكلام وتخصـــص فيـــه وجادل الفرق المختلفة في مسائل الاعتقاد والجدل في أصول العقـــائد كان قد استهواه في صدر حياته حتى بلغ فيه شاءوا عظيماً ،

وصارت له طريقة في فهم أصول الدين يروي أنه جادل نحـــو اثنين وعشرين من الفرق الباطلة من الشيعة التي هـــي أقـــدم الفـــرق الإسلامية قد ظهرت تلك في آخر عصر عثمان رض ومن السبائية التي نشأت من عبد الله بن سبا وكان يهودياً من أهل الحيرة أظهر الإســـلام وأمه امة سوداء فلذا يقال له ابن السوداء ،

وقد كان من أشد الدعاة ضد عثمان ومن الكيسانية التي هـــم اتباع المختار بن عبيد الثقفي كان خارجياً ثم صار شـــيعياً والزيديـــة وهذه الفرقة أقرب فرق الشيعية إلى الإسلام وامامها زيد بن علي بـــن الحسين رض ومن الامامية والاثناعشرية والإسماعيلية ومن الخـــوارج

والازارقة التي هي اتباع نافع بن الارزق والنجدات وهم أتباع نجدة بن عويمر ، والصفرية هم اتباع زياد بن الأصفر ،

والعجاردة هم أصحاب عبد الكريم بن عجرد ،

والاباضية هم عبد الله بن أباض ،

واليزيدية هم أتباع يزيد بن أبي أنيسة ،

والميمونية هم اتباع ميمون العجردي ، ومن المرجية والجبرية ومن المعتزلة التي نشأت في العصر الاموي ومن الزنادقة والدهرية والقدرية والنصارى وغيرها قال أبو عبد الله الصيمري كان الإمام أول متكلم في هذه الأمة في زمانه وفقيهم في الحلال والحرام ،

وقال في التبصرة البغدادية ان أول متكلمي أهل السنة من الفقهاء أبو حنيفة الف فيه الفقه الاكبر والرسالة في نصرة أهل السنة وقد ناظر فرق الخوارج والشيعة والقدرية والدهرية وكان دعاتهم بالبصرة فسافر إليها نيفاً وعشرين مرة وقصمهم بالأدلة الباهرة وبلغ في الكلام إلى ان كان المشار إليه بين الأنام واقتضى به تلامذته الإعلام ، وأيضاً صنف الفقه الابسط ,كتاب العالم والمتعلم

وكتاب الرد على القدرية ، والرسالة إلى عثمان في الارجاء ، والرسالة إلى مقاتل بن سليمان وغير ذلك وكل ذلك كان من طريق

الاملاء . قال العلامة البياضي في اشارات المرام املاها على اصحابه من الفقه الأكبر والرسالة والفقه الأبسط وكتاب العالم والمتعلم والوصية .

بالجملة أن الإمام أبو حنيفة اشتغل زماناً بالكلام وهذا في صدر من حياته ولعله كان عمره حينئذ اربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة على القول أنه ولد ثمانين لأن الإمام الشعبي اشار إلى اختلاف الفقهاء ومجالسة العلماء سنة ٩٤ هـ حيث قال لا تفعل وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فاني ارى فيك يقظة وحركة قال فوقع في قلبي من قوله فتركت الاختلاف إلى السوق واخذت في العلم فنفعني الله بقوله . ولا تنس من أن الإمام الشعبي أشار إلى طلب الحديث لا إلى الفقه لأنه كان محدثاً كبيراً في الكوفة قال الزهري العلماء أربعة :

(١) سعيد بن المسيب في المدينة (٢) والشعبي في الكوفة (٣) والحسن البصري في البصرة (٤) والمكحول في الشام . وقال عبد الرحمن بن المهدي الذي يقال في حقه ما كان في العراق اعلم بالسنة منه إذا وقعت الفتوى انقبض الشعبي وقال الإمام الشعبي بنفسه انا لسنا بالفقهاء ولكنا سمعنا الحديث فروينا للفقهاء وقال عبد الله بن المبارك ما

رأيت أحداً اعلم بحديث الكوفة والبصرة والحجاز من الشعبي ذكر الذهبي هذه الأقوال في تذكرة الحفاظ فعلم منه أن الشعبي اشار الإمام إلى طلب الحديث فوقع في قلبه أن يطلب الحديث ،

ولكن كان يشتغل بالمناظرة والجدال حتى حج مع أبيه وسمع حديثاً في الحرم المكي الشريف من الصحابي الجليل من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب فلما بلغ عمره إلى عشرين سنة اشتغل بطلب الحديث قال الخطيب البغدادي في الكفاية أن أهل الكوفة لم يكن واحد يسمع الحديث إلا بعد استكماله عشرين سنة

قال السمعاني اشتغل بطلب العلم وبالغ فيه حتى حصل له ما لم يحصل لغيره وكان توجه إلى طلب الحديث من سنة ٠٩٦ هـ وانتهك في طلبه من تسعة وتسعين إلى اثنين ومائة سنة ١٠٢ ثم توجه إلى الفقه وجلس في مجلس الإمام حماد وأخذ الفقه عنه ثماني عشرة سنة حتى توفى الإمام حماد سنة ١٢٠ ثم جلس بمجلسه للتدريس ودون الفقه ورتبه أبوابا في ثلاثين عاماً حتى توفى سنة ١٥٠ رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

الفائدة الثالثة والثلاثون
في فضله وثناء الناس عليه

اعلم أن فضائل الأئمة اكثر من ان يحصيها الدفاتر ، فضلاً عن هذه الأوراق ، سيما الإمام الأعظم ، فقد الف المشايخ في جميع نواحي حياته أبواباً طويلة واجزاء مستقلة ، عقد الفقيه المحدث محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي الشافعي تلميذ السيوطي في كتابه عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان فضلا خاصاً يذكر فيه فضل الله العظيم على الإمام الأعظم أبي حنيفة انقله مختصراً ، قال : في الفصل التاسع في بعض خصائصه التي اختص بها عن غيره من الأئمة وهي أحد عشر نوعاً ،.

الأول : انه ولد في زمن جماعة من الصحابة لا خلاف في ذلك ، فهو في أهل القرن الذي شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية ووصفهم بالعدالة ، روى الشيخان والترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود رض ، ومسلم عن أبي هريرة ، والشيخان وأبو داؤد والترمذي والنسائي عن عمران بن حصين ، والطبراني وغيره عن أبي برزة وغيرهم :"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خير القرون قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم ،

والثاني : انه رأى بعض الصحابة وسمع منهم ، روى الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل في سباعيته عن انس، والخطيب عن علي ، وعبد بن حميد وابن أبي في السنة بسند صحيح عن أبي سعيد، وابو يعلى وابن عاصم والطبراني والضياء في صحيحه عن عبد الله بن بسر وغيرهم ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني .

الثالث : انه اجتهد في زمن التابعين ، قال الإمام أبو محمد الحارثي بسنده عن يحي بن معين قال سمعت ابن معمر يقول وخرج الأعمش إلى الحج فشيعه أهل الكوفة فلما أتى القادسية رأوه مغموماً فسألوه عن ذلك ، فقال لي ارجع إلى الكوفة واسئل أبا حنيفة رح أن يكتب لي المناسك ، فرجعت فسألته فاملى عليّ ثم أتيت بها الاعمش ،

وروى أيضا ان الأعمش قال أن أبا حنيفة لحسن المعرفة بمواقع الفقه الدقيقة وغوامض العلم الخفية .

الرابع :رواية الأئمة الكبار عنه ، قال أبو محمد الحارثي : يستدل على فضل الإمام أبي حنيفة برواية الكبار عنه ، كعمرو بن دينار وجماعة ذكرهم في الباب الخامس .

الخامس : انه اخذ عن أربعة آلاف من التابعين وغيرهم ، روى الخطيب بسنده قال دخل أبو حنيفة على أبي جعفر المنصور عنده عيسى بن موسى، فقال يا أمير المؤمنين هذا علم أهل الدنيا اليوم ، فقال المنصور يا نعمان عمن أخذت العلم ؟ فقال عن أصحاب عمر رض عنه ، وعن أصحاب علي رض عنه ، وعن أصحاب عبد الله بن مسعود رض عنه، وعن عبد الله بن عباس رض عنه، وما في وقت عبد الله بن عباس على وجه الأرض اعلم منه فقال له المنصور بخ بخ لقد استوثقت لنفسك ما شئت ،.

السادس : انه اتفق له من الأصحاب ما لم يتفق لأحد غيره من الأئمة ، مثل الإمام أبي يوسف، والامام محمد بن الحسن، والحسن بن زياد ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الله بن المبارك ، وداؤد بن نصر الطائي، وحفص بن غياث ، ومحمد بن زكريا بن أبي زائدة ، وحماد بن أبي حنيفة ، وخالد بن السمتي ، وعافية بن زيد العوفى، والقاسم بن معن ، وعلي بن مسهر ، وغيرهم ، .

روى الخطيب عن أبن كرامة قال : كنت عند وكيع بن الجراح يوماً فقال رجل : اخطأ أبو حنيفة ، فقال وكيع: وكيف يقدر أن يخطئ ومعه مثل أبي يوسف وزفر ومحمد في قياسهم واجتهادهم ، ومثل

عيسى بن زكريا ابن أبي زائدة وحفص بن غياث وحبان ومندل ابنا علي في حفظهم الحديث ومعرفتهم ، ومثل القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود في معرفته باللغة العربية ، وداؤد بن نصر الطائي والفضيل بن عياض في زهدهما وورعهما ، فمن كان أصحابه هؤلاء وجلسائه لم يكن يخطئ، لأنه لو أخطأ ردوه إلى الحق، ثم قال وكيع : والذي يقول مثل هذا فهو كالأنعام بل أضل سبيلا ، .

السابع : انه أول من دون علم الفقه ورتبه أبوابا، ثم تابعه مالك بن أنس في ترتيب الموطأ لم يسبق أبا حنيفة أحد لأن الصحابة والتابعين إنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشراً خاف عليه، فجعله أبواباً مبوبة وكتباً مرتبة ، فبدأ بالطهارة ثم بالصلاة ثم بالصوم ثم ختم سائر العبادات ثم المعاملات ثم ختم بالمواريث لأنها آخر أحوال الناس ، و أول من وضع كتاب الفرائض وأول من وضع كتاب الشروط ،

روى القاضي أبو عبد الله الصيمري عن أبي سليمان الجوزجاني قال لى احمد بن عبد الله قاضي البصرة : نحن أبصر بالشروط من أهل الكوفة ، فقلت له : أن الإنصاف بالعلماء احسن، إنما وضع هذا أبو حنيفة وانتم زدتم ونقصتم وحسنتم الألفاظ ، ولكن هاتوا شروطكم

وشرط أهل الكوفة قبل أبي حنيفة فسكت ، ثم قال التسليم للحق اولى من المجادلة في الباطل،

الثامن : انتشار مذ ذهبه في أقاليم ليس فيها غيره ، كالهند والسند والروم وبلاد ما وراء النهر وغالب بلاد العجم وغير ذلك ،

التاسع : أنه كان يأكل وينفق على هذا العلم من كسبه ولم يقبل الجوائز ،

العاشر : انه مات مظلوماً ومحبوساً وساجداً .

الحادي عشر : ما اشتهر وتواتر من كثرة عبادته وزهده وكثرة حجه واعتماره .

روى الموفق المكي بسنده إلى حفص بن عبد الرحمن قال : كان أبو حنيفة رح يحفظ القرآن فيختمه في الشهر ثلاثين مرة ، وروى بسنده أيضا انه قال :

كنت شريك أبي حنيفة ثلاثين سنة، فكان يختم القرآن في ثلاثة ايام ولياليها ، وكان يتصدق كل يوم بصدقة ، قال محمد بن الحسن: صلى أبو حنيفة ثلاثين سنة صلاة الفجر بوضوء العتمة، وقال يحي بن آدم حج أبو حنيفة خمساً وخمسين حجة ، قال مسعر بن كدام ، رأيته يصلي الغداة ثم يجلس إلى العصر (هذا في أيام الشتاء) ثم إلى

قريب المغرب ثم إلى العشاء ثم ينام نومة خفية في أول الليل زمن الشتاء ثم يقوم إلى السحر ، وأما في الصيف ينام نومة قبل الظهر أو بعد الظهر قليلاً ،

وكان كثير الخوف شديد الورع ، يقوم الليل كله بكاءً ودعاءً ، لا يتوسد بفراشه أربعين سنة ، ويصوم ثلاثين سنة ، كما قال ذلك حسن بن عمارة ، وروى الموفق بسنده إليه انه قال : ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أكثر من اربعين سنة إلا أخرجتها ، وانما املكها بقول علي رض أربعة آلاف درهم وما دونها نفقة ، ولو لا اني اخاف ان التجي إلى هؤلاء ما تركت منها درهماً واحداً ،

وقال الشيخ منصور بن شيبة : انه رضي الله عنه مات ابوه ثابت وخلف له مائتي الف درهم ماعدا الاملاك ، فانفقها في طلب العلم وطلبته حتى صير قوته في الشهر درهمين ، قال سهل بن مزاحم : كنا ندخل على أبي حنيفة فلا نرى في بيته شيئاً إلا البوارى ،

قال يزيد بن هارون : كتبت عن الف شيخ حملت عنهم العلم ، فما رأيت والله اشد ورعاً من أبي حنيفة ولا احفظ لسانه ، وقال سفيان بن عينينة لم يكن في زمان أبي حنيفة افضل منه ولا أورع ولا أفقه منه ، وقال حفص بن عبد الرحمن : جالست أنواع الناس من

العلماء والفقهاء والزهاد والنساك وأهل الورع ، فلم ار احداً فيهم اجمع هذه الخصال من أبي حنيفة ،

وقال مسعر بن كدام : كان أبو حنيفة إذا اشترى لعياله شيئاً أو جاءت له الباكورة من الفواكه، اشترى لشيوخ المحدثين أجود مما لعياله ولنفسه ، وانفق عليهم أكثر مما انفق على عياله ، وكان يسامح في المبايعة والتجارة ،

وذكر الحافظ السلامي بسنده ، أن أبا حنيفة رح كان يبضع الامتعة ويجمع الارباح من سنته ، ويشترى بها حوائج المحدثين ، ثم يدفع باقي الدراهم إليهم وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : لما حزق أبي حماد قراءة الفاتحة ، اعطى أبو حنيفة المعلم خمس مائة درهم ، وكان يأمر حماداً أن يشتري له كل يوم بعشرة دراهم خبزاً ويتصدق على جيرانه الفقراء ، وكل من يختلف إلى الباب ،

وقال أبو يوسف ، ما رأيت أجود من أبي حنيفة : وكان يعولني وعيالي عشر سنين وكان أجرى على أصحابه وظيفة كل شهر ومع ذلك كان يواسيهم في عامة الأيام، وما قبل هدية من أمير قط، ولا اكل طعامه ولا اخذ من مال الدولة شيئاً ، وكان اعف الناس في تجاربه ، بل رفض الدنيا حين اقبلت عليه في صورة رياسة القضاء

والقرب من أمير المؤمنين ، وكان كثير البر بوالديه ويدعو لهما ويستغفر لهما مع شيخه حماد ، وكان يتصدق كل شهر بعشرين ديناراً عن والديه ، وقال الحسن سمعت الإمام يقول : ما من شئ اشد على من غم أمي حين ضربت، فقالت لي يا نعمان : ان علماء أوردك مثل هذا لحرى ان تفر منه ، فقلت قد تعلمت العلم لله لا للدنيا .

روى الموفق بسنده إلى عبد الله بن احمد بن حنبل ذكر أبو حنيفة عند احمد بن حنبل فقال: رحمه الله كان ورعاً ضرب على القضاء أحد وعشرون سوطاً . فأبى، ى قال الحافظ عبد العزيز بن أبي رواد : من أحب أبا حنيفة فهو سني ، ومن أبغضه فهو مبغوض، وفي رواية بيننا وبين الناس أبو حنيفة فمن احبه وتولاه علمنا انه من أهل السنة ، ومن ابغضه علمنا انه من أهل البدع .

وقال إبراهيم بن معاوية الضرير ، من تمام السنة حب أبي حنيفة ، وقال أبو القاسم القشيري في رسالته بسنده إلى السري السقطي: انه اخذ الطريقة من معروف الكرخي، وهو أخذها عن داود الطائي، وهو اخذ العلم والطريقة عن أبي حنيفة ،

وذكر الحافظ النجم الغيطي ان الإمام قال : رأيت رب العزة في المنام تسعاً وتسعين مرة فقلت في نفسي: ان رايته تمام المائة لمسئلته

بم ينجو الخلائق من عذابه يوم القيامة قال ، فرأيته سبحانه وتعالى فقلت : يا رب عز جارك وجل ثنائك وتقدست أسمائك ، بم ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك ؟

فقال سبحانه وتعالى :من قال بعد الغداة والعشي " سبحان الأبدي الأبد ، سبحان الواحد الأحد ، سبحان الفرد الصمد ، سبحان رفع السماء بغير عمد ، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد ، سبحان من خلق الخلق فأحضهم عدد ، سبحان الذي لم يلد و لم يولد ، و لم يكن له كفواً أحد ، نجا من عذابي " .

وروى انه صلى ركعتين في جوف الكعبة في حجته الأخيرة ، ركعة على رجله اليمنى وركعة على رجله اليسرى ، وختم القرآن ، فلما سلم بكى وناجى ربه وقال الهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ، لكن عرفك حق معرفتك ، فهب نقصان خدمته لكمال معرفته ، فهتف هاتف من جانب البيت ، يا أبا حنيفة قد عرفتنا حق المعرفة، وخدمتنا فاحسنت الخدمة، قد غفرنا لك ولمن تبعك ممن كان على مذهبك إلى يوم القيامة، وقد وردت أحاديث صحيحة تشير إلى بشارته ، منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة والطبراني عن ابن مسعود رض: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان الإيمان عند

الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس ، رواه أبو نعيم عـــن أبي هريـــرة والشيرازي والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة بلفظ: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال مـــن أبناء فارس، ولفظ الطبراني عن قيس لا تناوله العرب لنا له رجال مـن أبناء فارس ،

وفي رواية مسلم عن أبي هريرة رض لو كان الإيمان عند الثريـا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناوله، وفي رواية للشيخين عـــن أبي هريرة والذي نفسي بيده لوكان الدين معلقاً عند الثريـــا لتناولـــه رجل من فارس .

الفائدة الرابعة والثلاثون :

في تابعية الإمام رضي الله عنه

أشرنا فيما سبق أن الإمام رضي الله عنه ولد في ثمانين على قول الأكثرين ، وقال محقق العصر العلامة الزاهد الكوثري الراجح أنه ولد في سبعين ، وقال السمعاني وابن حبان وأبو القاسم السمناني والحافظ محمد بن إبراهيم الوزير الراجح أنه ولد في إحدى وستين سنة ، وعلى هذا الاختلاف اختلف العلماء في لقاء الإمام مع الصحابة رض ، حتى قال بعض المتأخرين لم يلق أبو حنيفة احداً من الصحابة غير أنه رأى أنساً ولكن ما سمع منه شيئاً وتبعه غيره ،

فيا للعجب كيف أنكروا هذا واجتروا عليه لأن المحقق عند المحدثين أن تحمل الحديث للصبي الذي يعقل صحيح ، لا يشترط له البلوغ لاتفاق الصحابة وغيرهم على قبول رواية ابن عباس وابن الزبير والنعمان بن بشير وأنس ومحمود بن الربيع وغيرهم ، ونقل ابن عبد البر الاتفاق عليه ، فما قال يحي بن معين أن أقل سن التحمل خمس عشرة سنة فليس بصحيح رده الجمهور،

وقال ابن حجر هذا هو المعتمد ، ولأن السلف كانت عادتهم أن يتحملوا الأحاديث في الصبا، ألا ترى ما قال الإمام البخاري

الهمت الحفظ الحديث وأنا في الكتاب ، وكان عمره إذ ذلك عشرة سنين أو أقل، وحفظ كتب ابن المبارك و وكيع حين كان عمره ست عشرة سنة ، ولان العادة جرت للسلف أنهم يتحملون أولادهم إلى المحدثين يتبركوا من دعواتهم وسماع حديثهم ، ألا ترى أن والد الإمام ذهب به أبوه إلى علي رض وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ، ولأن المعاصرة كافية لاتصال الرواية عند الإمام مسلم والجمهور،

وقال مسلم أن اشتراط اللقاء قول مخترع لم سبق قائله إليه ولو كان اشترط ذلك الإمام البخاري وغيره ،

ولكن الجمهور مع الإمام مسلم ، ولأن فضل القرن للصحبة والتابعية ليس لمن لقيهم فقط، بل الفضل ثابت لمن كان في عهدهم وقرنهم ، ولأن جمهور المحدثين ذهبوا إلى أن الرجل لمجرد اللقى والرؤية للصحابي يصير تابعياً ، ولا يشترط له السماع والصحبة ، كما قال الحافظ ابن حجر هذا هو المعتمد ،

كما أن شرف الصحابية ليس له شرط السماع والرواية، بل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه النبي صلى الله عليه وسلم على الأيمان ولو لحظة وهو صحابي بلا ريب ، ولأن الشرف والفضيلة قد ثبت بالأسانيد الضعاف والمنقطعات والمراسيل أيضاً ، نعم لابد

لاثبات حكم من الأحكام الشرعية من دليل صحيح وسند ثابت ، مع هذا أن الإمام أبو حنيفة رح كان يثبت تارة مسألة شرعية بـــالحديث الضعيف أيضاً إذا لم يجد قوياً أو صحيحاً فيه من غير أخذه بالقيــاس ، كما في نقض الوضوء بالقهقهة وفساد الصلاة بالضحك ،

ولأن الكوفة الذي عاش فيه الإمام أبو حنيفة هو أكبر مــــدن العراق ورئيس المراكز للعلوم الدينية والعصرية ، ولما فتح العــــراق في عهد خلافة عمر رض جعل مدينة مدائـــن دار الخلافـــة واســـتوخم الصحابة تلك المدينة، فشكوا إلى عمر رض منها ،

فأمر سعد بن أبي وقاص الليثي وسلمان الفارســـي وحذيفـــة اليمان رضي الله عنهم أجمعين ، وكان سعد أميرهم ان يؤسوا مدينــــة على شاطي نهر فرات ودجلة سنـــ١٧ هـــ ، فقدم من مدائن أربعون ألفا في هذه المدينة الجديدة التي سمت بالكوفة ، ثم أمر عمـــر بالبنـــاء فبنيت دار الخلافة في وسطه على الميمنة الشرقية قبائل اليمني ، وعلـــى الجانب المغربي القبائل الفزاري من الحجاز، وعلى جنب دار الامـــارة بني عمرو بن حريث رض مكاناً وسيعاً فيه كان دكـــان أبي حنيفـــة للتجارة ،

فبالجملة أن الصحابة الكثيرين نزلوا على الكوفة مع سعد بن وقاص رض من مدائن، قال الطبري في تاريخه أن العرب توجهوا إلى الكوفة ونزلوا فيه ، وقال أنس بن حجية عند عمر رض حين سأله عن أحوال الكوفة ، انثالت عليهم الدنيا فهم يسيلون الذهب والفضة ولكن كم جاء من الصحابة فلم يصرح جملة ، وقال ابن كثير أن الصحابة استوخموا المدائن ، " فهذا يشير إلى أن الجم الغفير من الصحابة الذين كانوا في المدائن نزلوا على الكوفة، وقال الحافظ أبو بشر الدولبي عن قتادة أن عددهم كانوا الفاً وخمسين ، وأن خمسون من الصحابة البدريين، وقال أبو الحسن أحمد بن عبد الله في تاريخ نزل الكوفة من الصحابة ألف وخمس مائة ، فصارت الكوفة مركز العلوم الصحابة ، وعليهم تخرج كبار التابعين، وفي عهدهم عاش الإمام أبو حنيفة تعلم العلوم ، .

فعلى ضوء هذه النقاط المذكورة كيف يمكن إنكار فضل الإمام وشرفه، وكيف ينكر تابعيته ، فالامام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه ولد في عهد جماعة من الصحابة رض لا خلاف فيه، فهو من أهل القرن الذي شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وأنه تابعي قطعاً رأى

جماعة من الصحابة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "طوبى لمن رأى من رآني ولمن رأى من رآني " وداخل تحت قوله تعالى " والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم رضوا عنه ، " فهو تابعي بلا ريب ، واختلف في روايته عن الصحابة ،

قال علي القاري والعتمد ثبوتها، وقد صرح بروايته لأنس رضي الله عنه وكونه تابعياً جمع عظيم منِ المحدثين ، قال ابن حجر المكي الشافعي أنه رأى أنس بن مالك رض وهو صغير وفي رواية رأيته مراراً وكان يخضب بالحمرة ، وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن حجر أنه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة فهو من طبقة التابعين ، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له، كالأوزاعي بالشام والحماد بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة والليث بن سعد بمصر ،

قال الحافظ ابن كثير توفي أنس بن مالك رض بالبصرة ٩٣هـ وهو المشهور وعليه الجمهور، وحينئذ كان عمر أبي حنيفة ثلاث عشر سنة ، وذكر السيوطي حديثاً بسنده عن أبي حنيفة عن أنس بن مالك رض سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " طلب العلم فريضة على كل مسلم ، قال السيوطي هذا حديث صحيح،

وروى بطرق كثيرة أن الإمام حج مع أبيه ، وسمع عبد الله بن الحارث بن جزء الصحابي حديثاً كما مر سابقاً ، .

وقال الخطيب سمع الإمام أبو حنيفة من أنس بن مالك وعبد الله بن الحارث وعبد الله بن أبي أوفى،

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ان عبد الله ابن أبي أوفى قدم الكوفة سنة٨٧ هـ وتوفي سـ٨٩ـنة هـ . كما قال البخاري ، وحينئذ كان عمر الإمام تسع سنين،

وقال الحافظ أبو معشر عبد الكريم في رسالة بسنده عن أبي حنيفة يقول: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة ، وأيضاً سمع الإمام من عائشة بنت عجرد رض ، ذكر يحيى بن معين في تاريخه بسنده ان أباحنيفة صاحب الرأي سمع عائشة بنت عجرد تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، " أكثر جند الله في الارض الجراد لا آكله ولا أحرمه روى عن جابر أيضا ،

قال الشيخ شرف الدين أبو القاسم اليمني في قلائد عقود العقيان بسنده عن أبي يوسف اخبرنا أبو حنيفة قال عن جابر قال:

جاء رجل من الانصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ؟ يا رسول الله ما رزقت ولداً قط ولا ولد لي قال فأين أنت من كثرة الاستغفار وكثرة الصدقة ترزق بها الولد ، فكان الرجل يكثر الصدقة ويكثر الاستغفار فولد له سبعة ذكور ، .

وسمع عن واثلة بن الاسقع الاشجعي المتوفى سنة ٨٥هـ أيضاً ، قال الشيخ أبو القاسم اليمني بسنده عن أبي حنيفة قال سمعت واثلة بن الأسقع الأشجعي رض يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك ،

وسمع عن عبد الله بن أنيس المتوفى أيضاً ، فانه قدم الكوفة سنة أربع وتسعين ، فقال الإمام رأيته وسمعت منه وأنا ابن أربع عشرة سنة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حبك الشي يعمى ويصم : ذكره اليمني بسنده عنه ،

وأيضا روى عنه انه سمع عن أبي الطفيل عامر بن واثلة المتوفى سنة ١٠٢هـ بمكة وقال الذهبي سنة ١١٠هـ، وقيل سنة١٢٧هـ ، ومن سهل بن سعد المتوفى سن ٨٧هـ وقيل بعده بالمدينة ، ومن السائب بن خلاد المتوفى سنة ٩١هـ ، ومن عبد الله بن بسرة المتوفي ٩٢هـ ومن محمود بن الربيع المتوفى سنة ٩٦هـ ومن معقل بن يسار

رض، وجمع الشيخ أبو بكر بن علي بن محمد الحداد العيـــني أسمـــاء الصحابة السبعة الذين روى عنهم الإمام في بيتين من الشعر :

ان الإمام اباحنيفة قد روى + عن سبعة من خير صحب محمد

أنس وواثلة ومعقل وجابر + وابنا أنيس وجزء وابنة عجرد

وعن عمرو بن حريث المتوفى سنة ٨٥ الذي كان في مكانـــه بالكوفة وكان أبو حنيفة أدرك بالسن نحوا من عشرين صحابياً كمـــا بسط في أوائل الضياء للمقدسي وزاد عليه جماعة من الصحابة في تنوير الصحيفة ،

وقد صرح بتابعية الإمام جمع عظيم من المحدثين منهم ابن سعد في الطبقات الذهبي في تكرة الحفظ والحافظ ابن حجر والحافظ العراقي والدار قطني والامام أبو معشر عبد الكريم المقري الشـــافعي وأثبـــت روايته عن الصحابة أيضاً والحافظ السيوطي ،

وأقر بصحة الرواية عن الصحابة والحافظ أبو الحجاج المـــزي والحافظ الخطيب البغدادي والحفظ ابن الجوزي والحافظ ابن عبـــد الله والحافظ السمعاني في الانساب والامام النووي والحافظ عبـــد الغـــني المقدس والامام الجوزي والامام التوريشي والامام اليافعي و ابن حجـــو المكي الشافعي والقسطلاني والحافظ بدر الدين العيني وغيرهم من كثير

العلماء المحققين فهو تابعي بلا ريب واثبت الحافظ العيني سماعه عن كثير من الصحابة ،

ورد عليه الحافظ قاسم بن قطلوبغا ولكن قاعدة المحدثين بان راوي الاتصال مقدم على راوي الارسال والانقطاع اذمعه زيادة علم توئد ما قال الحافظ العيني وقد ضح روايته عن الصحابة جمع من المحققين أيضا مثل السيوطي وابن حجر المكي وابن عبد البر ولاذهبي واليافعي وغيرهم فهو تابعي رؤية ورواية ،

فمن قال أنه تابعي رؤية دون رواية فهو أيضا ليس بصحيح ومن انكر تابعيته فإنما قاله من التبع القاصر أو التعب الفاتر لا يغفل عن لاختلاف في سن ولادته ٦١و٧١و ٨٠ والفضل يثبت بالقرن وكذا بالضعاف والعادة كما مر فله فضل على معاصريه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء الله ذو الفضل العظيم .

الفائدة الخامسة والثلاثون

في شيوخ الإمام من المحدثين والفقهاء وطبقاهم

ولد الإمام أبو حنيفة في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي ، و أدرك عهد العباسيين وعاش إلى سـ ١٥٠هـ ومر سابقاً انه تربي في الكوفة ، وحصل العلوم العصرية وعلم الكلام وقدراً من الحديث والتفسير ، حتى مر يوماً على الشعبي ونصحه إلى طلب الحديث فانصرف إلى الحديث ،

ولما حج مع أبيه سمع حديثاً من عبد الله بن الحارث بن جزء ، وأيضا سمع من جماعة من الصحابة ثم من التابعين واتباعهم ، فيلزم ان تكون شيوخ الإمام على طبقات ، فاعلاها طبقة الصحابة الذين روى الإمام عنهم بلا واسطة ، ويقال لها الوحدانيات ، قال السخاوي الثنائيات في الموطأ للإمام مالك ، والوحدانيات في حديث الإمام أبي حنيفة ، والإسناد العالي من أهم المقاصد في علم الحديث ، قال السيوطي : اجلها القريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث العدد باسناد صحيح نظيف ،

وقال الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير ، ربما اخرج مسلم الإسناد الضعيف واقتصر عليه لعلوه ، وترك الإسناد

الصحيح لنزوله ذكره في الروض الباسم ، فأعلى الأسانيد للإمام الواحدانيات ،

وقد صنف كثير من المتقدمين والمتأخرين في هذا الموضوع رسائل وأجزاء ، كالحافظ أبي حامد محمد بن هارون الحضرمي ، والحافظ أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري الشافعي ، والحافظ أبي بكر عبد الرحمن بن محمد السرخسي وغيرهم ، ثم طبقات التابعين واتباعهم ،

قال أصحاب المناقب : ان شيوخ الإمام بلغوا أربعة الاف منهم جماعة من الصحابة ، وثلاثة وتسعون من التابعين ، والبواقي من أتباعهم ، ولا غرابة في هذا ولا عجب ، فقد عاش الإمام سبعين أو ثمانين أو تسعين سنة ، وحج خمساً وخمسين مرة ، وموسم الحج مجمع علماء العالم الإسلامي خاصة في الحرمين الشريفين ، أقام بمكة حين ضربه ابن هبيرة على تولى القضاء بالكوفة سنة ١٣٠ ،

ثم هرب منه وأقام بالحرمين ست سنين فاخذ الحديث والفقه من شيوخ مكة والمدينة وغيرهما من القادمين ولذا ترى في شيوخه كوفيا وبصريا ومكيا ومدنيا وشاميا وغير ذلك وهذه الكوفة كانت مركز العلوم كما مر سابقاً حيث نزل أربعون ألفا من المدائن مع سعد

بن أبي وقاص ونزل فيها ألف وخمس مائة من الصحابة وقال الحاكم قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة الاف من الصحابي والصحابية وذكره في المدخل ،

وقال ابن القيم الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة ذكره في اعلام الموقعين وأما التابعون الذين اخذوا العلم من الصحابة فكثيرون قال ابن سعد في طبقاته أما التابعون ففي المدينة اربع وثملنون وأربع مائة وفي الكوفة ثلاثة عشر واربع مائة وفي مكة واحد وثلاثون ومائة وفي البصرة اربع وستون ومائة

وقال السيوطي في تدريب الرواي قال ابن سيرين قدمت الكوفة وبها أربعة الاف يطلبون الحديث وهذا ابن سيرين من كبار التابعين من معاصري الإمام أبي حنيفة ،

وهذا الإمام البخاري الذي أخرج الأحاديث الصحاح في جامعه فهو أخرج الأحاديث من تسعة وعشرين صحابياً من الكوفيين والرواة الكوفيون في البخاري ازيد من ثلاث مائة وكثير من الكوفيين رووا عنهم غير البخاري في كتبهم فعلى هذه الأمور قد ظهر كيف شاع علم الحديث في الكوفة في عهد التابعين . فهذا الإمام الشعبي

الذي قيل في حقه هو اكبر شيخ أبي حنيفة كما في تذكـــرة الحفـــاظ وأيضا قيل كان من ابرز الذين تخرجوا على الشعبي الإمام أبو حنيفـــة كما في تاريخ العرب ويقول أدركت خمس مائة من الصحابة

وقال الزهري في حقه العلماء أربعة سعيد بن المسيب في المدينـة والشعبي في الكوفة والحسن البصري في البصرة والمكحول في الشـــام وقال عبد الله بن داود سئلت الإمام أبا حنيفة ممن اخذت العلم فقـال عن قاسم بن محمد وطاؤس وعكرمة وعبد الله بن دينـــار والحســن البصري وعمرو بن دينار وأبي الزبير وعطاء بـــن أبي ربـــاح وقتـادة وابراهيم والشعبي والنافع وأمثالهم كما في شرح مسند الإمام

ولذا توجد روايات كثيرة عن الإمام برواية الشعبي في المســانيد للإمام الأعظم وقال الخطابي علوم الصحابة كلهم في ثلاثة عبد الله بـن مسعود وعبد الله ابن عباس وزيد بن ثابت ،

وانتشر علوم ابن مسعود في ستة علقمة وأسود وعبيدة والحارث ومسروق وعمر وجمع علوم هؤلاء في اثنين إبراهيم النخعي والشـــعبي وقال سفيان بن عيينة المحدث بعد الصحابة اثنان الشـــعبي وســـفيان الثوري ـــ بالجملة الوحدانيات ليس لاحد سوى الإمام أبي حنيفة مـــن المحدثين المعاصرين .

الطبقة الثانية طبقة التابعين الذين روى عنهم الإمام بواسطتين ويقال لها الثنائيات وهذا أعلى المسانيد لإمام مالك لأنه لم يلـــق أحـــدا مـــن الصحابة وهذه في حق الإمام أبي حنيفة في الطبقة الثانية وروى الإمـام محمد في كتاب الاثار ثنائيات الإمام عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وكذا عن نافع عن ابن عمر وعن عبد الله بن أبي حية عـــن أبي الدرداء وعن عبد الرحمن عن أبي سعيد وعن عطية عن أبي سعيد وعن شداد عن أبي سعيد وعن عطاء عن أبي سعيد وعن عاصم عن رجـــل من أصحابه وعن محمد بن عبد الرحمن عن أبي امامة وعـــن مسـلم الاعور عن أنس بن مالك وعن محمد بن قيس عن أبي عامر كلهم عـن رسول لله صلى الله عليه وسلم فهذه الثنائيات ذكرها الإمام محمـــد و سواها أيضا كثيرة .

الطبقة الثالثة من اتباع المتابعين الذي روي عنهم الإمام بثـلاث وسائط ويقال لها الثلاثيات وهذه أعلى الاسانيد للإمام البخاري ولمـا لم يلق الإمام الشافعي وأحمد أحدا من التابعين فثلاثياهم أعلى الطبقات لهم وهذه الثلاثيات للإمام وافره نحو عن بلال عن وهيب عن جـــابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا عن موسى بن أبي عائشـــة

عن عبد الله عن جابر وعن عبد الله بن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك .

الطبقة الرابعة وهي الطبقة النازلة وليست دونها طبقة للإمام وهي اعلى الطبقات للإمام مسلم والنسائي لأنهما لم يلقيا أحداً من اتباع التابعين مثلا ان الإمام مسلما أخرج الرباعيات بهذه الأسانيد عن سويد بن سعيد عن مروان الفزاري عن مالك عن سعد بن طارق عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أمثال ذلك .

وكذا النسائي أخرج عن حميد عن عبد الوارث عن شعيب عن أنس بن مالك ومثل ذلك ولكن مثل هذه الرباعيات تعد نازلة عند الإمام أبي حنيفة وقد ذكرها الإمام محمد في كتاب الآثار مثلاً عن حماد عن إبراهيم عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب وعن حماد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود و أمثال ذلك .

فجميع شيوخ الإمام تنقسم على هذه الطبقات وأخذ عنهم الفقه والحديث ولا تنزل عن اتباع التابعين قال علي القاري في شرح مسند الإمام يبلغ عدد شيوخ الإمام أبي حنيفة من الصحابة والتابعين واتباعهم أربعة آلاف وكذا ذكره أبو حفص الكبير وذكر أسماءهم الحافظ أبو بكر الجعابي في كتابه الانتصار تفصيلاً و أردنا ان نذكر

عدة من الشيوخ المشاهير بعد الصحابة اختصاراً فأما شيوخه من الكوفة :

(١) علامة التابعين عامر بن شراحيل الشعبي المتوفى سنة ١٠٤هـ وذكرنا نبذة من أحوله سابقاً .

(٢) الإمام حماد بن أبي سليمان المتوفى سنة١٢٠ يروى عن أنس وزيد بن ثابت وسعيد ابن المسيب وعكرمة وإبراهيم النخعي وغيرهم وهذا الذي صاحبه الإمام ثماني عشرة سنة واتفق أصحابه على ان يخلفه أبو حنيفة في الدرس فكان خير خلف لخير سلف قال الإمام حسن بن زيد يروي الإمام أبو حنيفة أربعة آلاف حديثاً ألفين من حماد و ألفين من باقي الشيوخ .

الإمام عبد الله أبو إسحاق السبيعي المتوفى سنة ١٢٧ أخذ العلم عن ثلاث مائة شيخ منهم ثمانية وثلاثون صحابيا قال الإمام أبو داود الطيالسي أخذنا العلم عن أربعة قتادة وأبي إسحاق والزهري و الأعمش وأبو إسحاق السبيعي أعلمهم بحديث على وابن مسعود كما في تذكرة الحفاظ وذكر الإمام أبو يوسف في كتاب الآثار والحافظ موسى بن زكريا في مسنده روايات الإمام عن السبيعي .

(٣) الحكم بن عتيبة المتوفى سنة ١١٥ قال الذهبي شيخ الكوفة وقال سفيان بن عيينة ليس أحد مثل الحكم وحماد وذكر رواية الإمام أبو يوسف في كتاب الآثار عن الحكم عن القاسم بن مخيمرة عن شريح عن عائشة رض وذكر الحافظ أبو محمد الحارثي في مسنده عن الحكم عن القاسم عن شريح عن علي رح .

(٤) إسماعيل بن خالد الكوفي المتوفى سنة ١٤٦ .

(٥) بيان بن بشر المتوفى سنة

(٦) جامع بن أبي راشد المتوفى سنة ١٤٨.

(٧) جامع بن شداد المحاربي المتوفى سنة ١١٨ .

(٨) الحسن بن سعد الكوفي المتوفى سنة

(٩) زيد بن أبي انيسة المتوفى سنة ١٢٥ .

(١٠) زياد بن علاقة المتوفى سنة ١٣٥ .

(١١) زياد بن حدير الاسدي المتوفى سنة

(١٢) أبو عبد الرحمن

(١٣) سعيد بن مسروق المتوفى سنة ١٢٨ .

(١٤) سلمة بن كهيل المتوفى ١٢١ .

(١٥) سليمان بن أبي سليمان المتوفى سنة ١٤١ .

(١٦) سماك بن حرب المتوفى سنة ١٢٣ .

(١٧) عبد الملك بن عمير المتوفى سنة ١٢٦ .

(١٨) علقمة بن مرثد سنة ١٣٠ .

(١٩) أبو ورق عطية بن الحارث سنة

(٢٠) عبد الرحمن بن عبد الله سنة ١٢٥ .

(٢١) منصور بن معتمر سنة ١٣٦ .

(٢٢) منصور بن دينار سنة

(٢٣) أبو عبد الله بن عبد لله سنة ١٢٠ .

(٢٤) عتبة بن عد الله

(٢٥) قاسم بن عبد الرحمن سنة

(٢٦) يزيد بن عبد الرحمن سنة

(٢٧) خالد بن علقمة سنة

(٢٨) زكريا بن أبي زائدة سنة

(٢٩) إبراهيم بن محمد المنتشر الكوفي سنة

(٣٠) إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي سنة

(٣١) إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان الكوفي .

(٣٢) الحارث بن عبد الرحمن الهمداني الكوفي سنة

(٣٣) عاصم بن كليب بن شهاب الكوفي سنة وغيرهم من مشايخ كوفة

واما من شيوخ مكة :

(٣٤) عطاء بن شهاب بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ قال الذهبي أكبر شيوخه عطاء بن أبي رباح وأيضا قال انه سمع الحديث من عطاء بمكة وحج سبعين ونودى في عهد الحكومة الأموية بانه لا يفتى الناس في الحج الا عطاء ،

قال القسطلاني كان من سادات التابعين علما وفقها يقول عطاء أدركت مائتي صحابي وذكر الإمام أبو يوسف رواياته في كتاب الآثار هذا السند عن أبي حنيفة عن عطاء عن ابن عمر وكذا ذكر الإمام موسى بن زكريا الحصكفي في مسنده والحافظ أبو محمد الحارثي في مسنده والامام محمد في مؤطئه وفي كتاب الآثار أحاديث .

(٣٥) الحافظ عمرو بن دينار المكي المتوفى سنة ١٣٦، ذكر الحافظ العسقلاني في التهذيب شيوخه من الصحابة ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبا هريرة وجابر بن عبد الله واباالطفيل والسائب بن يزيد رضي الله عنهم

وعد من تلامذته الإمام أبا حنيفة وشعبة وابن جريج وحماد بن زيد وغيرهم ولكن ذكر الحافظ السيوطي من الحافظ المزي ان عمرو بن دينار تلميذ للإمام أبي حنيفة في الحديث وكذا ذكره الذهبي والكردري وصدر الأئمة وفي الاصل ان عمرو بن دينار رجلان مكي وبصري فعمرو بن دينار المكي من شيوخ الإمام أبي حنيفة دون البصري وذكر رواياته الإمام أبو يوسف في كتاب الآثار عن أبي حنيفة عن عمرو بن دينار عن جابر عن زيد الخ .

(٣٦) الحافظ أبو الزبير محمد بن مسلم المتوفى سنة ١٢٨ يقول عطاء بن أبي رباح كنا نذهب إلى جابر فنسمع الأحاديث فمنا الا حفظ لأحاديثه أبو الزبير محمد بن مسلم . اخذ الحديث من عبادلة الأربعة وعائشة وجابر وأبي الطفيل رضي الله عنهم ومن تلامذته الإمام أبو حنيفة والزهري والاعمش ويحي بن سعيد الطان وغيرهم وذكر روايته الإمام أبو يوسف رح في كتاب الآثار عن أبي حنيفة عن أبي الزبير عن جابر رض .

(٣٧) عبد الله بن أبي زياد سنة

(٣٨) أبو الحصين المكي سنة ١٥٠ .

(٣٩) حميد بن قيس المكي سنة ١٣٠

(٤٠) أبو عثمان عبد الله بن عثمان سنة ١٢٤ .

(٤١) عبد الله بن عبد الرحمن

(٤٢) إبراهيم بن ميسرة الطائفي ١٣٢ .

(٤٣) إسماعيل بن امية ١٤٤ .

(٤٤) إسماعيل بن مسلم أبو إسحاق المكي

(٤٥) أبو عبد الله عبد العزيز بن رفيع الأسدي ١٣٠ — وغيرهم من مشايخ مكة وذكر تراجم هؤلاء ابن حبان في كتاب الثقات والعسقلاني في تهذيب التهذيب .

وأما من شيوخ المدينة :

(٤٦) الحافظ أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ قال الذهبي اعلم الحفاظ المدني وقال الحافظ ابن كثير أحد الاعلام من أئمة الإسلام تابعي جليل أخذ العلم عن جماعة من الصحابة وكبار التابعين امره عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث وكان عنده علم قاسم بن محمد وعمرة بنت عبد الرحمن وهما تلميذان خاصان لعائشة . ذكر روايته الإمام

أبو يوسف في كتاب الاثار عن أبي حنيفة رح عن الزهري عن انس .

(٤٧) أبو عبد الله محمد بن المنكدر ١٢٠ .

(٤٨) يحى بن سعيد الأنصاري ١٢٠ .

(٤٩) هشام بن عروة ١٤٦ .

(٥٠) واصل بن داؤد

(٥١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص

(٥٢) موسى بن طلحة بن عبد الله ١٠٤

(٥٣) أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس ١٠٧ .

(٥٤) عبد الله بن دينار ١٢٧ .

(٥٥) عطاء بن يسار ١١٣.

(٥٦) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ١١٧.

(٥٧) عطاء بن السائب ١٤٦ .

(٥٨) سليمان بن يسار المدني ١٠٧

(٥٩) عدي بن ثابت

(٦٠) عبد الله بن الحسين

(٦١) سالم بن عبد الله ١٠٦ .

(٦٢) أبو عبد الله نافع العدوى ١١٨ .
(٦٣) ربيعة بن عبد الرحمن المدني لمعروف بربيعة الرأي ١٣٧
وغيرهم من شيوخ المدينة .

أما الإمام مالك فهل هو من شيوخ الإمام أبي حنيفة أو من تلاميذه فقيه اختلاف ،

قال السيوطي أن أبا حنيفة أخذ حديثين عن مالك وكان يصر عليه واستدل عليه بما رواه الخطيب والدار قطني حديثين بذلك السند ولكن قال الحافظ العسقلاني في النكت على بن الصلاح لم يثبت رواية أبي حنيفة عن مالك وانما أوردهما الدار قطني ،

ثم الخطيب من روايتين في اسنادهما مقال قال الذهبي السند الذي رواه الدار قطني فيه عمران عبد الرحيم ضعيف وهو وضع الحديث من أبي حنيفة عن مالك ،

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن مخلد انما السند كان في الأصل عن بكار بن الحسن الاصفهاني قال ثنا حماد بن أبي حنيفة ثنا مالك بن أنس الخ وغلط فيه بعض الرواة وقال ثنا حماد عن أبي حنيفة ثنا مالك وأما الذي رواه الخطيب ففيه الراوي حجر بن الصلت ضعيف وغلط في بيان السند لأن الحديث رواه الإمام أبو يوسف

ومحمد في كتاب الآثار وانما هو عن أبي حنيفة عن عبد الملك بن عمير
١٣٦ فغلط فيه فقال عن أبي حنيفة عن مالك .

وقال الحافظ عبد القادر القرشي في الجواهر المضيئة والعلامة الخوارزمي في جامع المسانيد والحافظ ابن حجر العسقلاني ان مالكاً كان من تلامذة الامام أبي حنيفة رح حتى قال الإمام الشافعي : كان مالك ينظر في كتب أبي حنيفة وينتفع به وأيضاً لم يذكر الحافظ جمال الدين المزي في تهذيب الكمال والذهبي في تذكرته بأن أبا حنيفة من تلامذة مالك فظهر قول من قال بأن أبا حنيفة من تلامذة مالك لا يصح وبعد ذلك يمكن أن يحمل ان الحديثين الذين رواهما أو نسب أنهما روى عن مالك انما كانا بطريق المذاكرة لا بطريق الرواية ،

وهذا ليس بتلمذ ثم لو سلم هذا فيقال بأنه رواية الأقران عن الأقران وهذا ليس بقدح عند المحدثين بل ثبت عندهم رواية الأكابر عن الاصاغر أيضا كما روى الإمام البخاري روايتين عن الإمام الترمذي بالجملة لا يعد الإمام مالك في سلسلة شيوخ الإمام الأعظم أبي حنيفة رح ـــ والله أعلم .

وأما من شيوخ البصرة ، وهذه بلدة ثالثة من بلاد الإسلام في العلوم الدينية التي نزل فيها جماعة من الصحابة مثل الي موسى

الاشعري وعمران بن حصين وابن عباس وغيرهم وفيها نشأ الحسن البصري وابن سيرين وأبو العالية وقتادة وغيرهم من التابعين وسافر الإمام أبو حنيفة رح اليها أكثر من عشرين مرة واحياناً أقام فيها سنة أو أكثر فامكن له ان ياخذ العلم فيها من شيوخ كثيرة نذكر عدة منهم .

(٦٤) الإمام أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني ١٣١ ذكر الإمام أبو يوسف رواياته في كتاب الآثار عن أبي حنيفة عن أبي بكر أيوب البصري ان امرأة ثابت بن قيس بن شماس اتت النبي صلى الله عليه وسلم الخ .

(٦٥) بهز بن حكيم

(٦٦) بكر بن عبد الله المزني

(٦٧) عطاء بن عجلان

(٦٨) قتادة بن دعامة

(٦٩) مبارك بن فضالة ١٦٤ .

(٧٠) يزيد بن أبي يزيد

(٧١) محمد بن الزبير

(٧٢) شداد بن عبد الرحمن

(٧٣) أبو سفيان طريف بن سفيان

(٧٤) نصر بن سعد

(٧٥) يزيد بن أبي حبيب

(٧٦) طاؤس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليمني ١٠٦

(٧٧) شيبان بن عبد الرحن أبو معاوية ١٦٤ ، وغيرهم من شيوخها

ذكر الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ست وعشرين من الحفاظ شيوخ الإمام أبي حنيفة وقد ذكرنا أكثرهم في اثناء كلامنا .

بالجملة أن الإمام الأعظم أخذ العلم من مشاهير المحدثين والشيوخ وهذا يكفي لعلو شانه وجلالته وعلو كعبه في الحديث حتى عده الحافظ الذهبي في زمرة الحفاظ المحدثين وذكر ترجمته فيها . يقول الذهبي : لم أذكر ترجمة خارجة بن زيد لأنه قليل الحديث فلما كان هذا دابه ثم ذكر ترجمة الإمام أبي حنيفة مع ذكر شيوخه وتلامذته يعلم ظاهراً انه عند الذهبي من حفاظ الحديث وكثير الرواية للحديث . ذكرت الكلام موجزاً وعليك بالمطولات .

الفائدة السادسة والثلاثون
في تلامذة الإمام رحمه الله

قال ابن حجر المكي : قال بعض الأئمة : لم يظهر لأحد من أئمة الإسلام المشهورين مثل ما ظهر لأبي حنيفة من الأصحاب والتلاميذ ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وبأصحابه في تفسير الأحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضايا والأحكام ،

وأيضا قال : وتلمذ عليه كبار من المشايخ الأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين كالإمام الجليل المجمع على جلالته عبد الله بن المبارك والليث بن سعد والإمام مالك بن انس وناهيك بهؤلاء الأئمة ومسعر بن كدام ،

قال الإمام حافظ الدين محمد بن محمد شهاب المعروف بابن البزار الكردري عدد تلاميذه سبع مائة وثلاثون من المحدثين والفقهاء ثم ذكر تراجمهم بلدا بلدا من مكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة والرقة ونصيبين والدمشق والرملة ومصر واليمن واليمامة والبحرين وبغداد والاهواز والكرمان والاصفهان والحلوان والاستراباد والهمدان و نهاوند والري والدامغان وطبرستان والجرجان

والنسابور والسرخس والنساء والمرو والبخاري والسمرقند والكش والصغان والترمذ والبلخ والخوارزم وقال الحافظ عبد القادر القرشي روى عن أبي حنيفة نحو من أربعة آلاف نفر ولذا قال ابن حجر استيعابه متعذر لايمكن ضبطه ونذكر عدة منهم .

قال الإمام البخاري في التاريخ الكبير وروى عنه :

١) عباد بن العوام

٢) عبد الله بن المبارك

٣) مقسم

٤) وكيع

٥) مسلم بن خالد

٦) أبو معاوية

٧) والمقري ،

وزاد عليه ابن أبي حاتم الرازي

٨) عبد الرزاق بن هشام

٩) أبو نعيم ،

وزاد عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب

١٠) حماد بن أبي حنيفة

١١) إبراهيم ابن طهمان

١٢) حمزة بن حبيب الزيات

١٣) زفر بن الهذيل

١٤) أبو يوسف القاضي

١٥) أبو يحيى الحاني

١٦) عيسى بن يونس

١٧) يزيد بن ذريع

١٨) أسد بن عمرو البجلي

١٩) حكام بن يعلى الرازي

٢٠) خارجة بن مصعب

٢١) عبد المجيد بن أبي رماد

٢٢) علي بن مسهر

٢٣) محمد بن بشير العبدي

٢٤) مصعب بن المقدام

٢٥) يحيى بن يمان

٢٦) نوح بن أبي مريم

٢٧) أبو عاصم وقال في آخره وأخرون

وزاد الطيب البغدادي

٢٨) يزيد بن هارون

٢٩) علي بن عاصم

٣٠) يحيى بن نصر

٣١) عمرو بن محمد

٣٢) طلحة بن خليفة وقال الذهبي تفقة به جماعة من الكبار منهم زفر بن الهذيل وأبو يوسف وغيرها وروى عنه من المحدثين والفقهاء عدة لا يحصون ثم قال فمن اقرانه

٣٣) مغيرة بن مقسم

٣٤) زكريا بن أبي زائدة

٣٥) مسعر بن كدام

٣٦) سفيان الثوري

٣٧) مالك بن مغول

٣٨) يونس بن أبي اسحاق ومن بعدهم

٣٩) زائدة

٤٠) شريك

٤١) الحسن صالح

٤٢) أبو بكر بن عياش

٤٣) حفص بن غياث

٤٤) جرير بن عبد الحميد المحاربي

٤٥) أبو إسحاق الفزاري

٤٦) سعد بن الصلت

٤٧) إسحاق بن يوسف الارزق

٤٨) المعافي بن عمران

٤٩) زيد بن الحبان

٥٠) حفص بن عبد الرحمن

٥١) عبيد الله بن موسى العبسى

٥٢) محمد بن عبد الله الأنصاري

٥٣) أبو أسامة

٥٤) ابن نمير

٥٥) جعفر بن عون

٥٦) إسحاق بن سليمان الرازي

وزاد عليه الإمام الطحاوي

٥٧) داود الطائي

٥٨) أسد بن عمرو

٥٩) يوسف بن خالد

٦٠) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وكان لازم الإمام أبا حنيفة ثلاثين عاماً وكان كاتباً لتدوين الفقه أيضا

٦١) مكي بن إبراهيم

٦٢) فضيل بن عياض

٦٣) حسن بن زياد

٦٤) هشيم بن بشير

٦٥) الفضل بن دكين

٦٦) سفيان بن عيينة

٦٧) شعيب الدمشقي

٦٨) الإمام محمد بن الحسن الشيباني

٦٩) معمر

٧٠) حماد بن زيد

٧١) خلف ابن أيوب

٧٢) الليث بن سعد

٧٣) الإمام مالك

٧٤) أبو مطيع البلخي وغيرهم .

الفائدة السابعة والثلاثون
في علو كعبة في الحديث والشهادة عليه

لقد كان الإمام رحمه الله تعالى في عصر التابعين وتابعيهم بإحسان، ولقد كان العالم في تلك العصور هو العارف المتفقه في الكتاب والسنة وأقوال السلف كان الإمام مجتهداً إجماعا بل من أكابر المجتهدين ، لم ينكر أحد سلفاً ولا خلفاً ، والرجل لا يكون مجتهداً الا بعد ان يكون ماهراً بالكتاب والسنة والتفسير واللغة والقياس ،

كما صرح به أئمة الأصول قديماً وحديثاً فبعد ذلك انكار امامته في الحديث سفسطة قطعاً، مع هذا نذكر نبذة من تصريحات أهل هذا الفن، لتسكن قريحة المضطرب ويطمئن قلب المتشكك ، قال الإمام عبد الله بن المبارك كان والله شديد الأخذ العلم ذاباً عن المحارم متبعاً لأهل بلده لا يستحل أن يأخذ الا ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه ،

وكان يطلب احاديث الثقات والآخر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما أدرك عليه علماء أهل الكوفة في اتباع الحق اخذ به وجعله دينه، وقد شنع عليه قوم فسكتناعهم نستغفر الله منه ، وأيضا قال : دخلت الكوفة فسألت علماءها وقلت : من اعلم الناس

في بلادكم هذه ؟ فقالوا كلهم : الإمام أبو حنيفة رح، وعده الذهبي في حفاظ الحديث ، وذكر في تذكرته ترجمة محدودة للإمام رحمه الله ،

وقال في مقدمته " هذه تذكرة باسماء معدلي حملة العلم النبوي ومن يرجع إلى اجتهادهم في التوثيق والتصحيح والتزييف ، فهذه شهادة على أن الإمام كان حافظاً معدلاً حاملاً للعلم النبوي يرجع إلى اجتهاده في تصحيح الأحاديث وتضعيفها ، وتوثيق الرجال وتزييفها

قال علي بن المديني ، أبو حنيفة روى عنه الثوري وابن المبارك وحماد بن زيد وهشيم ووكيع بن الجراح وعباد بن العوام وجعفر بن عون ، وهو ثقة لا بأس به ، قال مكي بن إبراهيم كان أبو حنيفة اعلم زمانه ، روى الخطيب عن سفيان بن عيينة أنه قال: أول من اقعدني للحديث بالكوفة أبو حنيفة ، وفي رواية اول من صيرني محدثاً أبو حنيفة، قدمت الكوفة فقال أبو حنيفة وان هذا اعلم الناس بحديث عمرو بن دينار، فاجتمعوا عليّ فحدثتهم ،

قال محمد بن سماعة : ان الإمام ذكر في تصانيفه نيفا وسبعين ألف حديث، وانتخب الآثار من أربعين ألف حديث ، قال العلامة ظفر احمد التهانوي في قواعد علوم الحديث : ويدل على صحة هذا القول ما روى عنه أصحابه ، كمحمد بن الحسن في كتبه الستة

المعروفة بظاهر الرواية ، وغيرها المعروفة بالنوادر ، وكابي يوسف في اماليه وكتاب الخراج له ، وكعبد الله بن المبارك في كتبه ، ووكيع وغيرهم من أصحابه، مسائل كثيرة لا يحصى عددها ، ولا يستفصى أمدها فإذا لخصت منها ما يوافق الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة صراحة ودلالة ، سوى ما استنبطه باجتهاده لتجدنها نحو ذلك ان شاء الله . فهذه المسائل كلها أحاديث رواها الإمام بطريق الإفتاء دون التحديث ،

وقال العلامة طفر في انجاء الوطن : انما لم يقل فيها الإمام أبو حنيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لشدة تحريه وتوقيه وقال أيضا في القواعد: ومع ذلك فما يوجد من احاديث أبي حنيفة التي رواها بطريق الإسناد كثيرة أيضا ، منها ما قد جمعه الحفاظ في مسانيده،

ومنها ما ذكره أصحابه محمد بن الحسن في الآثار والموطا والحجج وغيرها من كتبه، وأبو يوسف وابن المبارك والحسن بن زياد وغيرهم في كتبهم ، ووكيع بن الجراح في مسنده، وابن أبي شيبة وعبد الرزاق في مصنفيهما، والحاكم في المستدرك وغيره، وابن حبان في صحيحه، وفي الثقات له وغيرهما ، والبيهقي في سننه وكتبه ،

والطبراني في معاجمه الثلاثة ، والدار قطني في كتبه ، وغيرهم في غيرها لو جمعنا تلك الأحاديث كلها في مجلد واحد لكان كتاباً ضخماً ، وقال يحيى بن آدم كان النعمان جمع حديث بلده كله فنظر إلى آخر ما قبض عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال أبو يوسف ما رأيت اعلم بتفسير الحديث منه وكان ابصر بالحديث الصحيح مني .

وروى الخطيب عن اسرائيل بن يونس انه قال : نعم الرجل النعمان ما كان احفظه لكل حديث فيه فقه واشده فحصا عنه واعلمه بما فيه من الفقه، " وعن محمد بن سلمة قال قال خلف بن أيوب صار العلم من الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ثم إلى أصحابه ثم إلى التابعين ثم صار إلى أبي حنيفة رح واصحابه " وقال يزيد بن هارون أدركت ألف رجل وكتبت عن أكثرهم ، ما رايت فيهم افقه ولا اورع ولا اعلم من خمسة اولهم أبو حنيفة ، ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم، وروى الخطيب عن محمد بن بشر قال كنت اختلف إلى أبي حنيفة والى سفيان الثوري، فاتي سفيان فيقول من اين جئت ؟

فاقول من عند أبي حنيفة فيقول : لقد جئت من عند افقه أهل الأرض ، " وقال أبو يوسف ما خالفت أبا حنيفة في شئ قط

فتدبرته الا رأيت مذهبه الذي ذهب إليه انجى في الآخرة ، وكنت ربما ملت إلى الحديث ،

وكان هو ابصر بالحديث الصحيح مني ، وقال: كان إذا صمم على قول ، درت على مشايخ الكوفة، هل أجد في تقوية قوله حديثاً أو اثراً ، فربما وجدت الحديثين والثلاثة ، فاتيته بها فمنها ما يقول فيه، هذا غير صحيح أو غير معروف فأقول له وما علمك بذلك مع انه يوافق قولك ؟ فيقول انا عالم بعلم آهل الكوفة .

روى انه كان عند الاعمش فسئل عن مسائل فقال لابي حنيفة ما تقول فيها؟ أجابه قال من اين لك هذا قال من أحاديثك التي رويتها عنك وسردله عدة أحاديث بطرقها، فقال له الاعمش: حسبت ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة ما علمت انك تعمل بهذه الاحاديث يا معشر الفقها أنتم الأطباء ونحن الصيادلة وأنت أخذت بكلا الطرفين .

قال محمد بن سعدان سمعت من حضر يزيد بن هارون وعنده يحي بن معين وعلي بن المديني واحمد بن جنبل وزهير بن حرب وجماعة، اذا جاءه مستفت فسأله عن مسألة فقال له يزيد: اذهب الى أهل العلم، فقال له ابن المديني أليس اهل العلم والحديث عندك ؟ قال

أهل العلم أصحاب أبي حنيفة وانتم صيادلة.، قال أبو يوسف روى الموفق بسنده إلى علي بن هاشم، قال كان أبو حنيفة كتر العلم ، ما كان يصعب من المسائل على أعلم الناس فهو كان سهلاً على أبي حنيفة .

قال زفر كان كبراء المحدثين مثل زكريا بن أبي زائدة وعبد الملك بن أبي سليمان والليث بن أبي سليم ومطرف بن طريف وحصين بن عبد الرحمن وغيرهم، يختلفون إلى أبي حنيفة يسألونهم ، عما ينوبهم من المسائل ويشتبه عليهم من الحديث، (مناقب الموفق ١/ص١٥٢) .

قال أبو داود صاحب السنن : ان أبا حنيفة كان اماما وان مالكا كان اماما وان الشافعي كان اماما ، قال ابن عبد البر سئل يحي بن معين وعبد الله بن احمد الدورقي ايسمع من أبي حنيفة ؟ فقال يحي بن معين: هو فقيه ما سمعت أحدا ضعفه، وهذا شعبة بن الحجاج يكتب إليه ان يحدث بامره، وشعبة لشعبة

وقيل ليحيى بن معين: يا أبا زكريا أبو حنيفة كان يصدق في الحديث ؟ فقال نعم صدوق وأيضا سئل يحيى بن معين هل حدث

شعبة عن أبي حنيفة قال نعم كان أبو حنيفة صدوقاً في الحديث والفقه مامونا على دين الله واثنى عليه (قلائد عقود العقيان ص٧١) .

وقال الامام أبو جعفر الطحاوي في معاني الاخيار من رجـــال الآثار أبو حنيفة الإمام الأعظم ثقة ثبت فقيه مشهور "

وحكي عن عبد الله بن المبارك يقول قصيدة في مدح الإمام رح عدة منها .

لقد زان البلاد ومن عليها + إمام المسلمين أبو حنيفة

بآثار فقه في حديث + كآثار الرموز على الصحيفة

فما في المشرقين له نظير + ولا بالمغربين ولا بكوفة

رأيت القامعين له سفاها + خلاف الحق مع حجج ضعيفة

ومن الذي يدلنا دلالة واضحة على اشتغاله لحديـــث الشـــريف رواية وكتابة ودراية ، تلك المسانيد الكثيرة التي تركها بعده ورواهـــا عنه أصحابه ، لقد جمع حديث الإمام في سبعة عشر مسندا ، جمـــع خمسة عشر منها الإمام أبو المؤيد الخوارزمي ص٦٦٥ .

وقال الشيخ محمود حسن خان الطونكي في معجم المصنفين فقد جمع حديث الإمام جم غفير من العلماء من طائفة المحدثين والحفاظ المتقنين منهم :

(١) الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن إبراهيم الاصفهاني ٣٨١ .
(٢) والحافظ الثقة الإمام أبو عبد الله محمد بن احمد البغدادي ٣٣١.
(٣) والحافظ صدر الدين موسى بن زكريا المصري المعروف بالحصكفي ٦٥٠ .
(٤) والحافظ نجم الدين الكبرى احمد بن عمر الزاهد المشهور ٦١٨.
(٥) والشيخ قاسم بن قطلوبغا المصري ٨٧٩ .
(٦) والحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد الحارثي المعروف بالاستاذ السبذموني ٣٤٠ .
(٧) والحافظ أبو القاسم طلحة بن محمد البغدادي ٣٨٠ .
(٨) والعالم الحافظ الحجة أبو الحسن محمد بن المظفر بن موسى البغدادي ٣٧٩ .
(٩) والحافظ الإمام المشهور أبو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني ٤٣٠
(١٠) والشيخ الحافظ محمد بن عبد الباقي الأنصاري ٥٣٦ .

(١١) والحافظ الإمام أبو احمد عبد الله الجرجاني المعروف بابن عدي ٣٦٥

(١٢) والحافظ الحسن بن زياد اللؤلوي ٢٤٠ .

(١٣) والحافظ عمر بن الحسن الاشناني ٣٤٩ .

(١٤) والحافظ أبو بكر احمد بن محمد بن خالد الكلاعي .

(١٥) والقاضي أبو يوسف الإمام يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ١٨٢.

(١٦) الإمام محمد بن الحسن الشيباني ١٨٧ .

(١٧) والشيخ حماد بن أبي حنيفة الإمام الأعظم رحمه الله .

(١٨) والحافظ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أبي بن العوام السعدي.

(١٩) والحافظ أبو عبد الله حسين بن محمد بن خسرو البلخي ٥٧٦.

وهذه المسانيد الخمسة عشر الاخيرة منها جمعها أبو مؤيد الخوارزمي ٦٦٥ وأما صاحب كشف الظنون فذكر مسند الماوردي أيضا .

وهذا ادل دليل لا دليل فوقه، على أن الإمام كان من حفاظ الحديث ومن المكثرين في روايته ، وذلك لأن المحدثين لم يعتنوا بجميع حديث أحد الا حديث من اكثر من السماع والرواية عن المحدثين الخ .

وقال الشيخ المحقق الفقيه أبو الوفاء الافغاني في مقدمة شرحه كتاب الآثار للإمام محمد رح، واول كتاب ألف في علم الحديث النبوي وآثاره وأخباره واقوال الصحابة واتباعهم ، وأحسنه ترتيباً وانتخاباً مرتباً على الابواب كتاب الآثار لإمام الأئمة الإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت التيمي الفارسي الكوفي ،

ثم نسج أئمة الامصار على منواله ، ابن جريج في مكة المكرمة ، ومالك بن أنس في المدينة المنورة، وسعيد بن أبي عروبة وعثمان البتي بالبصرة ، والاوزاعي بالشام ، وانتخب كتابه هذا من بين الوف الاخبار المرفوعة والموقوفة ، " وقال الموفق وذكر محمد بن شجاع في تصانيفه نيفاً وسبعين ألف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، مما فيها نظيرها من الصحابة، وانتخب أبو حنيفة رحمه الله الاثار من أربعين ألف حديث "

وقال الحافظ بدر الدين محمود العيني في تاريخه الكبير .

(٢٠) ان مسند أبي حنيفة لابن عقدة يحتوي وحده على ما يزيد على ألف حديث وهو غير تلك المسانيد .

(٢١) ومسند آخر للحافظ المفيد المكثر محدث العراق أبو حفص عمر بن احمد بن عثمان البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين ٣٨٥.

(٢٢) وكذا مسند آخر للحافظ أبي الحسن على بن عمر الدار قطني ٣٨٥ وذكر هذا المسانيد الثلاثة الشيخ المحقق الكوثري في التانيب ص١٠٦ .

(٢٣) وكذا جمع كتاباً في احاديث الإمام رحمه الله الحافظ الزاهد عبد الله بن محمد الأنصاري ٤٨١.

(٢٤) وكذا جمع كتاباً الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن على المقدسي المعروف بابن القيسراني ٥٠٧.

(٢٥) وكذا جمع الحافظ الكبير محدث الشام أبو القاسم بن علي بن الحسين بن هبة الله الشهير بابن عساكر ٥٧١ .

(٢٦) وكذا جمع شيخ الحرم المحدث عيسى الجعفري المغربي ١٠٨٠ . ذكره الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في كتابه " انسان العين في مشايخ الحرمين " قال صنف مسندا للإمام أبي حنيفة رحمه الله واتى فيه بعنعنة متصلة إلى العظام الخ، قال المحدث الفقيه محمد بن يوسف الصالحي : كان أبو حنيفة من كبار حفاظ الحديث واعيانهم ولو لا كثرة اعتاءه بالحديث ما تهيأ له استنباط مسائل الفقه.

الفائدة الثامنة والثلاثون

في بيان محن الإمام رحمه الله تعالى ووفاته

كان الإمام رحمه الله تعالى يقيس في زمان خير القرون ، وكان حكام المسلمين يحتكمون إلى الإسلام واحكامه، الا في مسائل يحرفون فيه تبعاً للأهواء والمطامع، وكانت الأمة الإسلامية لا تعرف سوى الإسلام و أحكامه غالباً، فلقد أصيبت الأئمة الأربعة بمحن كادت توجد في حياة غيرهم ممن بعده ، منهم الإمام الأعظم رض الله تعالى عنه، فقد امتحن بالأذى والضرب والحبس والتهديد بالقتل وصبر على ذلك كله واستقام على الحق حتى لقي الله تعالى .

المحنة الأولى : كان ذلك سنة ١٢٧ أيام الخليفة مروان بن محمد الأموي ، حين احتل الخوارج بالكوفة تحت قيادة الضحاك بن قيس الشيباني ، فقد دخل الضحاك ومعه جماعة على الإمام رحمه الله وطلب منه ان يتوب ، فقال له الإمام مم اتوب ؟ واعاد عليه الضحاك الأمر بالتوبة فقال له الإمام مم أتوب ؟ قال من رضاك بالتحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فقال له أترضى به أن يكون بيننا ؟ قال نعم ! فقال الإمام للضحاك : قد رضيت بالتحكيم فانقطع الضحاك .

قال المحدث الفقيه علي القاري : وهذا الذي نقل في بعض روايات الثلاث في الإمام، انه استتيب مرتين ، انما كان ذلك من الخوارج الذين كفروا علياً وكرام الصحابة رضوان الله عليهم وقاتلوهم .

ذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعطي الناس من غنائم حنين فقال قد رأيت ما صنعت هذا اليوم ، فقال الرجل فكيف رأيت ؟ قال لم أراك عدلت فيها ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكونوا ؟

فقال عمر بن الخطاب الا اقتله قال : دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، (السيرة لابن هشام ج٢ ص٤٩٦) .

المحنة الثانية : ودخل عليه وفد من الخوارج تلك الايام، وقد شهروا سيوفهم ، فقالوا له هاتان جنازتان بباب المسجد ، اما احداهما فجنازة رجل شرب الخمر حتى كظمته ، وخرج بها فمات، والأخرى امرأة زنت حتى إذا أيقنت الحبل قتلت نفسها، قال من أي الملل كانا

من اليهود ؟ قالوا لا ، قال فمنْ النصارى ؟ قالوا لا، قال فمن المجوس ؟ قالوا لا قال من أي كانوا ؟ قالوا من الملة التي تشهد أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله قال فاخبروني عن هذه الشهادة أهي من الإيمان ثلث أو ربع أو خمس ؟ قالوا ان الإيمان لا يكون ثلثاً ولا ربعاً ولا خمساً، قال فكم هي من الإيمان ؟ قالوا الإيمان كله ،

قال فما سوالكم اياي عن قوم قد زعمتم واقررتم انهما كانا مؤمنين ؟ قالوا دعنا عنك أمن أهل الجنة هما أم من أهل النار ؟ قال اما إذا ابيتم فاني اقول فيهما ما قال إبراهيم عليه السلام في قوم كانوا اعظم جرماً منهما " فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم " وأقول فيهما ما قال عيسى عليه السلام في قوم كانوا أعظم جرماً منهما " ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم "

وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح عليه السلام " اذ قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين " وأقول ما قال نوح عليه السلام " ولا اقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً أعلم بما في أنفسهم اني اذن لمن الظالمين " وعند ما سمع الخوارج هذا القوا

السلاح، ولو انه رحمه الله تعالى أجابهم أول الأمر بأنهما مؤمنان لقتلوه ، لأنهم يكفرون المؤمن بفعله الذنب ،

المحنة الثالثة : كان ذلك سنة مائة وثلاثين، وأمامنا رحمه الله في الخمسين من عمره، وقد استتم الأمر من جديد لبني أمية ، وأمير الكوفة يومئذ عمر بن هبيرة ، روى الموفق بسنده قال كان ابن هبيرة والياً على الكوفة في زمان بني أمية،

فظهرت الفتن في العراق ، فجمع فقهاء العراق ببابه، فيهم ابن أبي ليلى وابن شبرمة وداؤد بن أبي هند، فولى كل واحد مهم صوراً من عمله و أرسل إلى أبي حنيفة ولا يخرج من بيت المال شيئ الا من تحت يد أبي حنيفة ، فامتنع أبو حنيفة فأراد أن يجعل الخاتم في يده ولا ينقذ كتاب الا من تحت يد أبي حنيفة ، فحلف ابن هبيرة ان لم يقبل ان يضربه ، فقال له هؤلاء الفقهاء انا ننشدك الله ان تهلك نفسك فانا اخوانك وكلنا كاره لهذا الأمر ، فقال أبو حنيفة : لو ارادني أن اعدله ابواب مسجد واسط ، لم ادخل في ذلك ،

فكيف هو يريد مني بان يكتب دم رجل يضرب عنقه ، واختم انا على ذلك الكتاب ، فو الله لا أدخل في ذلك ابداً ، فقال ابن أبي ليلى : دعوا صاحبكم فهو المصيب وغيره المخطئ ، فحبسه صاحب

الشرطة وضربه اماماً متتالية، فجاء الضارب إلى ابن هبيرة قال له : ان الرجل ميت ، فقال ابن هبيرة قل تخرجنا من اعيننا فسأله فقال: لو سألوني ان اعدله ابواب المسجد ما فعلت،

ثم اجتمع الضارب ابن هبيرة فقال : الاناصح لهذا المحبوس ان يستأجلني فاوجله ، فاخبر أبو حنيفة بذلك فقال : دعوني استشير اخواني وانظر في ذلك ، فامر ابن هبيرة بتخلية سبيله ، فركب دابته وهرب إلى مكة،

وكان هذا سنة مائة وثلاثين ، وأقام بمكة حتى صارت الخلافة العباسية ، فقدم أبو حنيفة الكوفة في زمن أبي جعفر المنصور الخ ، " لقد ضرب رحمه الله في هذه المحنة مائة سوط على عشرة أيام، في كل يوم عشرة اسواط في راسه ووجهه وسائر جسمه ، وهو في كل ذلك صابر لا يشكو، حتى إذا بدت آثار الضرب على وجهه ، حزن لذلك حزناً شديداً خشية ان تراه أمه ، فتغتم لذلك ،

ولقد رأت أمه ذلك عافيه فعلاً فحزنت عليه وقالت له: أن علما أوردك مثل هذا الحري أن تتركه فقال لها لو اردت به الدنيا لوصلت اليها ولكن اردت أن يعلم الله اني صنت العلم و لم أعرض نفسي فيه للهلكة ، (مناقب الوفق ج٢ ص١٢) .

وروى الصيمري بسنده إلى يحيى بن اكثم بن داؤد قال : أراد ابن هبيرة انه يولي الإمام قضاء الكوفة فأبى: فحلف ابن هبيرة انه ان لم يقبل ليضربنه بالسياط على رأسه ويحبسه ، فحلف الإمام انه لا يلي منه، فقيل له أنه حلف على أن يضربك فقال ضربه لي في الدنيا اخف من معالجة مقامع الحديد في الآخرة، والله لا افعل وان قتلني ، (أبو حنيفة لأبي زهرة ص٣٣) .

المحنة الرابعة : كان الإمام رحمه الله تعالى لا يسكت عن قول الحق حيث يمكنه ذلك، في درس أو محضر جماعة فكان لا يعجبه ، مثلا ما فعله أبو جعفر المنصور مع محمد بن عبد الله النفس الزكية ، الذي خرج على أبي جعفر بالمدينة المنورة ، ومع أخيه إبراهيم الذي خرج عليه بالعراق سنة ١٤٥ ، فقضى على حركتهما بعنف وشدة ، روى الخطيب بسنده إلى زفر رح قال : كان أبو حنيفة يجهر بالكلام ايام إبراهيم جهاراً شديداً ، وكان رحمه الله تعالى ينتقد قضاء قضاة الكوفة إذا خالفت ، ويصرح بخطئها في اوقات صدورها ولمن قضى فيها وقضى لهم بها،

ولقد كان ذلك يثير حفيظة القاضي عليه ، ويجعله يسيئ الظن به ، وقد يدفعه ذلك إلى القول فيه عند الامراء ، بل يروي ان ابن أبي

ليلى قاضي الكوفة شكاه فعلا ، وجاء الأمير يمنعه من الفتوى حينـــا ، ثم ابيحت له الفتوى بعد الخطر، فكان الإمام رحمه الله تعالى محســـوداً يسيئ بعضهم الظن فيه جهلاً أو قصداً ، روى الخطيـــب في تاريخـــه بسنده : ان العباس الطوسي كان سيئ الرأي في أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك ، ودخل أبو حنيفة على أبي جعفر وكثير النـــاس، فقال الطوسي : اليوم اقتل أبا حنيفة فاقبل عليه، فقال يا أبا حنيفـــة ؟ ان أمير المؤمنين يأمر الرجل منا بضرب عنق الرجل لا يدري ما هـــو، ايسعه ان يضرب عنقه ؟ فقال : يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بـــالحق أم بالباطل؟ قال بالحق قال أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه ان هذا أراد ان يوثقني فربطته ، (تاريخ بغـــدا ١٣ ص٣٦٦) .

وروى ان أهل الموصل كانوا قد انتقضوا على المصور، وقد اشـــترط المنصور عليهم انهم إذا انتقضوا تحل دمائهم له ، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم أبو حنيفة ،

فقال: اليس صح أنه عليه السلام قال: المؤمنون عند شـــروطهم ، وأهل الموصل قد شرطوا الا يخرجوا علي عاملي ، وقد حلـــت لي دماءهم فقال رجل: يدك مبسوطة عليهم، وقولك مقبول فيهم ، فان

عفوت فأنت أهل العفو وان عاقبت فهم يستحقون فقال لابي حنيفة ما تقول انت يا شيخ السنا في خلافة نبوة وبيت امان قال انهم شرطوا لك ما لا يملكونه ، وشرطت عليهم ما ليس لك ، لأن دم المسلم لا يحل لأحد الا باحد معان ثلاثة ، فان اخذتهم آخذت بما لا يحل، وشرط الله احق ان توفي به ، فأمرهم المصور القيام فتفرقوا ثم دعاه ، وقال يا شيخ القول ما قلت ، انصرف إلى بلادك ولا تفت الناس بما هو شين على امامك فتبسط ايدي الخوارج، (مناقب لابن البزازي ص١٧ ج٢) .

وفي رواية لما سأل المنصور أبا حنيفة، اجابه الإمام أبو حنيفة يا أمير المؤمنين اباحوا ملا يملكون، ارايت لو أن امرأة اباحت فرجها بغير عقد نكاح وملك يمين، أكان يجوز أن تؤطأ ؟ قال لا وكف عن أهل الموصل ، (الكامل لابن الاثير ص٢١٧ ج٥) .

وجاء في المناقب للموفق المكي: انه ارسل إليه أبو جعفر بجائزة عشرة آلاف درهم وجارية ، وكان عبد الملك بن محمد وزير أبي جعفر فيه كرم وجيد الرأي، فقال لأبي حنيفة عند ما رفضها، انشدك الله أن أمير المؤمنين يطلب عليك علة ، فان لم تقبل صدق على نفسك ما ظن بك ، فابى عليه ، فقال اما المال فقد أثبتته في الجوائز ،

اما الجارية فاقبلها انت مني اوقل عذرك ، حتى اعــذرك عنــد أمــير المؤمنين ، فقال أبو حنيفه اني ضعفت عن النساء أي كــبرت فــلا استحل ان اقبل جارية لا اصل اليها ولا اجتري ان ابــيع جاريــة، خرجت من ملك امير المؤمنين "

روى الخطيب عن أبي يوسف انه قال: دعا المنصور أبا حنيفـة : فقال الربيع حاجب المنصور يا أمير المؤمنين ؟ هذا أبو حنيفة يخـــالف جدك ، كان عبد الله بن عباس يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك اليوم أو يومين جاز الاستثناء ،

وقال أبو حنيفة . لا يجوز الا متصلاً باليمين ، فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة

قال وكيف ، قال يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم، فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة فلما خرج قال الربيع أردت ان تشيط بدمي، قال لا ولكنك اردت أن تشيط بدمي، فخلصتك وخلصت نفســـك، (تــاريخ بغداد ٣٦٥/١٣) .

لعل تلك الأسباب وغيرها هي التي دفعت أبا جعفـــر المنصور ليعرض القضاء على الإمام رح ، فان قبل كان ذلك اعلانـــا للــولاء

للدولة والتقوية لشأنها وضمانا لطاعة جماعة كريمة من العلماء لسلطان الخلافة، وان رفض كان ذلك ذريعة إلى التخليص منه ، ولم يكن لأبي جعفر سوى هذا المسلك يسلكه ، لان الإمام ليس صاحب دنيا ووظيفة، وليس أحد يتهمه في دينه وورعه ، وكان الإمام اعقل من أن يخرج على الإمام ويعاديه ، وان كان لا يمنعه ذلك من ان يقول الحق في وجهه ، ولو انفرد في ذلك بقالة

قال الشيخ أبو زهرة: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة رح، ليتولى القضاء فطلب إليه ان يرجع إليه القضاء فيما يشكل البهم ليفتيهم فامتنع ، فنزل به العذاب الضرب والحبس أو اقسم وله ندة: على اختلاف الروايات هي لاسمة القصة، ونذكرها كما جاءت في كتب التاريخ والمناقب منقولة عن الرواة .

جاء في المناقب للموفق المكي: ان أبا حنيفة لما اشخص إلى بغداد خرج ... وقال أن هذا دعاني للقضاء ، فاعلمته اني لا اصلح . واني لاعلم البينة على المدعي واليمين على ... أنكر ولكنه لا يصلح للقضاء الا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك وعلى ولدك وعلى قوادك ، وليست تلك النفس لي ، انك لتدعوني فما نرجع

نفسي حتى افارقك ، قال : فلم لا تقبل صلتي ؟ فقلت : ما وصلني امير المؤمنين من بيت ماله بشئ فرددته ولو وصلني بذلك من ماله لقبلته ، إنما وصلني أمير المؤمنين من بيت مال المسلمين ولا حق لي في بيت مالهم ، اني لست ممن يقاتل من وزائهم فاخذ ما يأخذ المقاتل ولست من ولدانهم فاخذ ما يأخذ الولدان ، ولست فقرائهم فأخذ ما يأخذ الفقراء ، قال فاقم تأتك القضاة فيما يقضون لعلهم ان يحتاجوا اليك فيه (أبو حنيفة لأبي زهرة ٤٩) .

وجاء في المناقب لابن البزازي : ان ابا جعفر حبس أبا حنيفة على أن يتولى القضاء ويصيرقاضي القضاة فابى حتى ضرب مائة وعشرة اسواط ، وأخرج من السجن على أن يلزم الباب و طلب منه أن يفتي ، وكان يرجع إليه في المسائل وكان لا يفتي فأمر ان يعاد إلى السجن فأعيد وغلظ عليه وضيق تضيقاً شديداً ، (مناقب ابن البزازي ١٩/٢)

وجاء في تاريخ بغداد : اشخص أبو جعفر أبا حنيفة فاراده على أن يوليه القضاء فابى فحلف المنصور ليفعلن فحلف أبو حنيفة رح الا يفعل فقال الحاجب : الا ترى امير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة :

أمير المؤمنين على كفارة أيمانه اقدر مني ، وأبي أن يلي فـامر بـه إلى الحبس ، (تاريخ بغداد ٢٣٧/١٣).
وجاء فيه أيضا عن الربيع بن يونس : رايت امير المؤمنين ينـازل أبـا حنيفة رح في أمر القضاء وهو يقول اتق الله ولا ترع امانتك الا مـن يخاف الله والله ما أنا بمأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب ولـو اتجه الحكم عليك ثم هددتني ان تغرقـني في الفـرات أو أن الحكـم لأخترت ان أغرق لك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك فلا اصلح لذلك ،

فقال له : كذبت أنت تصلح فقال : قد حكمت على نفسك ، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمـانتك وهـو كـذاب (فيـه ٢٣٧/١٣) ذكرنا هذه الروايات لنضع بين يدي القاري ما تجري بـه الروايات المختلفة في المحنة التي أنزلها المنصور بابي حنيفة وان اختـلاف المجاوبات بين أبي حنيفة والمنصور باختلاف الروايات لا تـدل علـى تضار بها بل تدل على أن العرض قد اختلفـت مجالسـه وتعـددت وتباينت الأقوال فيه فهو مرة يعرض عليه القضاء ،

ثم الإفتاء ، ويناقشه الحساب في أمر رفض العلماء وفي مجلـس آخر يشدد عليه في عرض القضاء ، وأبو حنيفة يتشـدد في الرفـض

مختاراً أن يغرق في الفرات عن أن يلي القضاء لو خير بين الامرين ومرة ثالثة يحلف عليه المنصور ان يلي ، فيحلف أبو حنيفة رح الا يلي وتنتهي الإيمان بينهما إلى الحبس بعد أن يثير الربيع بن يونس الحاجب أبا جعفر المنصور بما يغمزه من قول ،

وقد ذكرنا ما كان بين أبي حنيفة وبينه من عداوة ، أو بالاحرى ما كان يكنه لأبي حنيفة رح من بغض واتفق الرواة على انه حبس وانه لم يحبس للافتاء والتدريس بعد ذلك وانه مات بعد هذه المحنة أو معها ،

ولكن اختلفت الرواية مات محبوسا بعد الضرب أم مات محبوساً بالسم أم اطلق من حبسه قبل موته ، فمات في مترله ومنع من التدريس والإفتاء والاتصال بالناس لقد ذكرت الروايات الثلاث في كتب المناقب وغيرها .

فروى أنه استمر بعد الضرب في الحبس حتى مات . وروى الموفق بسنده إلى داؤد بن راشد الواسطي أنه قال كنت شاهداً حين عذب الإمام ليلى القضاء كان يخرج كل يوم ، فيضرب عشرة أسواط حتى ضرب عشرة ومائة سوط كان يقال له : اقبل القضاء فيقول : لا اصلح ،

فلما تتابع عليه الضرب ، قال : خفيفاً اللهم ابعد عـــني شــرهم بقدرتك ، فلما ابى دسوا عليه بالسم فقتلوه .

وجاء في المناقب لابن البزازي : انه بعد أن حبس وضيق عليه مـــدة حكم المنصور بعض خواصه فاخرج من الســـجن ومنــع الفتــوى والحلوس للناس ، والخروج من المترل ، فكانت تلك حالته إلى أن توفي (٢/١٥) .

يقول الشيخ أبو زهرة "نحن نميل إلى هذه الروايـــة الأخــيرة لأسباب عديدة يعلل بها رأيه والرواة متفقون على أنه أوصى بأن يدفن في جانب من المقبرة لم يجر فيه غصب دون الجانب الآخر لأنه غصــب ، وروى الموفق أنه جاء في كتاب المتفجعين بالســـند إلى أبي حيــان الزيادي قال بلغني أن أبا حنيفة رحمه الله لما أحسن بـــالموت ســجد فخرجت نفسه وهو ساجد (٢ ص١٨٥) .

وروى أنه اوصى أن يدفن بارض الخيزران لأن ارض بغداد غصـــب يمكن أن يقال ان هذه الخيزران كانت في جانب المقيرة التي اوصـــى الإمام ان يدفن فيها وتوفي الإمام مثل وفات الصديقين والشـــهداء في النصف من شوال سنة ١٥٠هـــ وقيل سنة١٥٣هـــ والصحيح الأول

وغسل الحسن بن عمارة أبا حنيفة ، فلما فرغ من غسله مدح الإمام وذكر بعض خصاله وتكلم بكلمات ابكى الجميع يقول رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولا تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة ، وقد اتعبت من بعدك ، وفضحت القراء ، وحضر جنازته جمع غفير قدر خمسين ألف رجل ، وصلى عليه ست مرات آخرها صلاة ولده حماد ، ومكث الناس يصلون على قبره أكثر من عشرين يوماً ،

وجاء المنصور فصلى على قبره ولا ندري أكان ذلك إقرارا منه بعظمة العلم والدين وجلالة التقى أم لا رضاء العامة ولما بلغ المنصور ان الإمام أوصى بان يدفن في ارض طيبة لم يجر عليها غصب ، والا يدفن في أرض قد اتهم الامير بأنه غصبها ، قال : من يعذرني من أبي حنيفة حياً وميتاً . (المناقب للموفق ٢ ص ١٨٠) .

قد علمت مما سبق ان الإمام ولد في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي وعاش في ذلك العصر الأموي اثنين وخمسين سنة ، وهي السن التي تربي فيها ، وبلغ أشده ثم بلغ أوجه العلمي ، ونضجه الفكري الكامل ، وادرك عهد العباسيين ثمانية عشر سنة ، فهو قد أدرك دولتين من دول الإسلام أدرك الدولة الأموية في قوتها وعنفوانها ، ثم في

تحدرها ، وانهيارها ، وادرك الدولة العباسية وهي وعاية سرية تجوس خلال الديار الفارسية ، وهي حركة تغالب الأمرين وتنزع الملك من أيديهم ، وتفرضه على الناس سلطاناً ، تحسبه دينيا لأن خلفاءها من اقرب أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصولهم وكان في قلب الإمام ميل إلى العلويين حين خرجوا على الامويين ، وكان لا يرى لبني أمية حقاً على أية حال ، ولا سلطاناً من الشرع والدين ، ولكنه لا يحمل السيف ، ولا يثور

ويروي انه لما خرج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ ، قال أبو حنيفة ضاحي خروجه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدره ، أنه يرى الثورة على ملك الامويين امراً جائزاً شرعاً إذا كان من إمام عادل مثل الإمام زيد بن علي ، وأنه كان يود لو حمل السيف مع المجاهدين انتهت ثورة الإمام زيد بقتله سنة ١٢٢ ، ثم قام بعده ابنه يحيى في خراسان سنة ١٢٥ ، فقتل كما قتل ابوه ، فقام عبد الله بن يحيى : يطالب بحق آبائه ، فقتل شهيداً سنة ١٣٠ ،

فرأى الإمام بعينه هذه الحوادث الفاجعة ، والجراحات السارية ، والمظالم الواهية ، ولذا أنكر القضاء حين طلبه ابن هبيرة وآل الكوفة في زمن بني امية ، فظهرت الفتن في العراق حتى صارت خطراً

وجيوش العباسيين تساوروا الامويين وهرب الإمام إلى مكة واقام فيها ١٣٠ سنة إلى أن استقام الأمر للعباسيين واستقبل أبو حنيفة عهد العباسيين بارتياح كما تدل خطبته في حضرت أبي العباس وبيعته ولما بويع المنصور بالخلافة كان يدنيه ويعليه ويرفع قدره ويعطيه العطايا الجزيلة ولكنه كان يردها في رفق وبحيلة ثم لما اشتدت الخصومة بين أبناء على رض وبين العباسيين وكان ميل الإمام إلى علي وقتل المنصور محمداً النفس الزكية بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخاه وكان أبوهما ممن اتصل به أبو حنيفة اتصالاً علمياً حتى ذكر في شيوخه فانحرف عن العباسيين ولا يرى الولاء لهم صواباً وكان يظهر حقاً لا يخاف لومة لائم فانزل المنصور بالمحن ما أنزله و توفي الإمام رضي الله عنه على هذه الحقيقة كما رأيت مما سبق فابو حنيفة رح كان من أعظم أبطال الجهاد وكان جلداً قوياً لقيته الأذى من السفهاء ثم من الأمراء ثم من الخلفاء وما ضعفت نفسه وما وهنت وكذا حال أولياء الله تعالى الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكمات الله " والله يرفع درجاته في أعلى العليين آمين يا رب العالمين .

الفائدة التاسعة والثلاثون

في كشف الشبهات ودفع الايرادات

على سيدنا الإمام الأعظم رح

اعلم ان الإمام الأعظم أبا حنيفة رحمه الله تعالى من كبار الأئمة المشهود لهم بالعدالة والضبط فلا يضره قول القائلين فيه ولا تؤثر عليه شبهات المشتبهين لقد اجمع السلف من التابعين ومن بعدهم من أئمة الجرح والتعديل وأمراء المؤمنين في الحديث وكبار الناقدين على الثناء عليه في الفقه والزهد وخوف الله والصدق والحفظ والنصح لهذه الأمة

فقد أثنى عليه شيوخ البخاري وشيوخ شيوخه مثل على بن المديني ويحيى بن معين ويحيى بن سعيد القطان ومكي بن إبراهيم ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج والفضل بن دكين وسفيان الثوري ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وجعفر الصادق وعبد الله بن المبارك في خلق كثير لا يحصون ولا يحصر عددهم بسهولة ،

وقد روى الخطيب عن الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله انهما قال " ان لم تكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي " وعن ابن عباس رض قال من أذى فقيهاً فقد أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أذى الله "

وثبت في الصحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل قال من أذى لي ولياً فقد أذنته الحرب " وقال الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رح اعلم يا أخي ان لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك استار منتقصيهم معلومة وان من اطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب "

وكانت سنة السلف الصالح عدم التعرض للعلماء المشهود لهم بالخير والبر والتقوى بظنون و أوهام وجهالات فان لحوم العلماء مسمومة ويخشى على صاحبها كما قيل سوء خاتمة ولعمر الله أن الإمام أبا حنيفة رح من السلف الصالح من أولياء الله تعالى فلا وجه للتعرض والايراد عليه ومع ذلك أوردت عليه شبهات اريد عن كشف حقائقها ودفع شبهاتها لئلا يقع أحد في قعر الهلاك والخسران والله يرعينا ويحفظنا عن ذلك ويرزقنا حسن الظن بآهل العلم والتقوى في هذه الأمة وهو ولي التوفيق .

منها ما يقال ان الإمام رض قليل الرواية للحديث حتى قال العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه أن أبا حنيفة لا يصح عنده الا سبعة عشر حديثاً وأيضا لم يخرج له البخاري ومسلم وباقي الستة فهذا

يدل على عدم اعتبارهم له أو كونه ليس من علماء الحديث فكشفها قال ابن حجر المكي ان الإمام أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثمة ذكره الذهبي وغيره في طبقات الحفاظ من المحدثين وأخذ عنه أيضاً كثير حفاظ الحديث والفقهاء .

فكيف لا يكون من علماء الحديث قال الموفق انتخب الإمام رض الآثار من أربعين ألف حديث وروى عن يحيى بن نصر قال سمعت أبا حنيفة يقول عندي صناديق من الحديث ما أخرجت منها الا اليسير الذي ينتفع به وقال الحسن بن زياد كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث ألفين لحماد وألفين لسائر مشايخ" وغير ذلك من الأقوال قد بينا علو كعبه في الحديث في فائدة مستقلة وذكرنا هناك ما قال أئمة الحديث في حقه .

ولا تغفل عما قال المحدث الفقيه محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي أنه اول من دول علم الفقه ورتبه ابواباً و لم يسبق أبا حنيفة أحد ولاجل اشتغاله بهذا الأمر الجليل لم يظهر حديثه في الخارج و لم يجلس لرواية الحديث مثل ما ظهر عمن دونهما حتى صغار الصحابة وكذا مالك والشافعي لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمن تفرغ للرواية كأبي زرعة وابن معين لاشتغالهما بذلك والاستنباط والاجتهاد على كثرة

الروية بدون دراية فقه ليس فيه كبير مدح بل عقد له ابن عبد البر باباً في ذمه وقال ابن شبرمة أقل الرواية تفقه وقال الذهبي في رسالة "بيان زغل العلم " اما المحدثون فغالبهم لا يفهمون ولا همة لهم في معرفة الحديث ولا في التدوين به بل الصحيح والموضوع عندهم بنسبة وانما همتهم في السماع على جهلة الشيوخ وتكثير العدد من الاجزاء والرواية فاي شئ ينفع السماع على جهلة المشيخة قال الخطيب البغدادي في كتابه " الفقيه والمتفقة "

وأكثر كتبة الحديث في هذا الزمان بعيد عن حفظه خال عن معرفة فقه لا يعرفون بين معلل وصحيح ولا يميزون بين معدل من الرواة ومجروح ولا يسألون من لفظ أشكل عليهم رسمه ولا يبحثون عن معنى خفي عنهم علمه مع انهم قد اذهبوا في كتبه أعمارهم وبعدت في الرحلة لسماعه أسفارهم كل ذلك لقلة بصيرة أهل زماننا بما حمقوه (٢/٨١) .

ولهذا الوجه الخفي لم يلتفت الإمام إلى تكثير رواية الحديث بل بذل جهوده إلى فقه الحديث ومعانيه وأيضا قال الإمام رحمه الله لا ينبغي للرجل ان يحدث من الحديث الا بما حفظه يوم سمعه إلى يوم يحدث به فهو لا يرى الرواية الا لمن حفظه فاحتاط على رواية الحديث

كثيراً فالإمام أبو حنيفة شدد في شروط الرواية والتحمل ومن أجلها قلت روايته لا أنه ترك رواية الحديث متعمداً فحاشاه من ذلك ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه فيما بينهم والتعويل عليه ،

واما غيره من المحدثين وهم الجمهور فتوسعوا في الشروط فاكثر حديثهم وأيضا أن جماعة من المشايخ كانوا على الغاية القصوى من الاحتياط في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق المتعارف لخوف أن يكونوا فيه شئ من الوهم فيدخلوا في الوعيد القول على النبي صلى الله عليه وسلم بما لم يقله ولذا شدد عمر رض كثرة الرواية في عصره قال أبو هريرة لما ولي عمر قال اقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فيما يعمل

وقال إبراهيم ان عمر حبس ثلاثة ابن مسعود وابا الدرداء وابا مسعود الأنصاري فقال لقد أكثرتم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو سلمة قلت لأبي هريرة أكنت تحدث في زمان عمر رض هكذا فقال لو كنت أحدث في زمان عمر رض مثل ما أحدثكم لضربني " وخطب الصديق الأكبر رض فقال أنكم تحدثون أحاديث تختلفون فيه والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا " وأوصى عمر

رض قرظة بن كعب لما سيرهم إلى العراق بأن اقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقالت عائشة جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خمس مائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيراً قالت فغمني فقلت اتتقلب عن شكوى أو لشئ بلغك فلما اصبح قال أي بني هلمي أحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها فقلت حرقتها قال خشية أن أموت وهي عندي فيكون فيها عن رجل قد ائتمنته ووثقته لم يكن كما حدثني فاكون قد نقلت ذلك فهذا لا يصح " وانت خبير بأن رواة الصديق لم تكن الا صحابة فكيف بمن بعدهم ،

وحكى الذهبي عن أبي عمرو الشيباني قال كنت اجلس إلى ابن مسعود رض حولاً لا يقول قال رسول الله فإذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقله الرعدة فقال هكذا أو نحو ذا أو قريب من ذاك وغير ذلك من الآثار التي تدل على تورع الصحابة عن كثرة الرواية

وهكذا كان حال إبراهيم وعلقمة يبينون المسائل ولا يرفعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الاحتياط والتورع لم يكثر الرواية عن الإمام لا لعدم معرفته بالحديث كما تقوله الجهلة أو لأن

علماء الحديث قد خرجوا لمن يخشى فوات حديثة إذا تركوا روايته و لم يرووا او لم يكثروا عمن له تلامذة يروون حديثه ويتناقلونه ثم ان الإمام كان جل انصرافه لفهم الحديث ومعرفة دلالته ومعرفة ناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده وعامه وخاصه لا إلى رواية الحديث فقط .

قال المحقق الزاهد الكوثري ومما يلتفت إليه النظر ان الشيخين لم يخرجا شيئاً من حديث الإمام مع أنهما أدركا صفار أصحابه وأخذا عنهم و لم يخرجا أيضا من حديث الإمام الشافعي مع أنهما لقيا بعض أصحابه ولا أخرج البخاري من حديث أحمد الا حديثين أحدهما تعليقا والآخر بواسطة مع أنه أدركه ولازمه ولا أخرج مسلم في صحيحه عن البخاري شيئاً مع أنه لازمه ونسج على منواله ولا عن أحمد الا قدر ثلاثين حديثاً ولا أخرج أحمد في مسنده عن مالك عن نافع بطريق الشافعي وهو أصح الطريق أو من أصحها الا أربعة أحاديثاً

ولا أخرج أحمد في مسنده عن مالك عن نافع بطريق الشافعي وهو اصح الطريق أو من اصحها الا أربعة أحاديث وما رواه الشافعي بغير هذا الطريق لا يبلغ عشرين حديثاً مع أنه جالس الشافعي وسمع موطا مالك وعد من رواة القديم والظاهر من دينهم وأمانتهم ان ذلك من جهة أنهم كانوا يرون أحاديث هؤلاء في ما من من الضياع لكثرة

أصحابهم القائمين برواياتها شرقاً وغرباً وجل عناية أصحاب الدواوين بأناس من الرواة ربما كانت تضيع أحاديثهم لو لاعنايتهم بها لأنه لا يستغنى من بعدهم عن دواوينهم في أحاديث هؤلاء .

ومن ظن ان ذلك كان لتحاميهم عن أحاديثهم أو لبعض ما في كتب الجرح من الكلام في هؤلاء الأئمة كقول الثوري في أبي حنيفة وقول ابن معين في الشافعي وقول الكرابيسي في أحمد وقول الذهلي في البخاري ونحوها فقد حملهم شططاً وهذا البخاري لولا إبراهيم بن معقل النسفي وحماد بن شاكر الحنفيان لكاد ينفرد الفربري عنه في جميع الصحيح سماعاً كما كاد ان ينفرد إبراهيم بن محمد بن سفيان الحنفي عن مسلم سماعاً .

وما قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه من ان أبا حنيفة لم يصح عنده الا سبعة عشر حديثاً فهفوة مكشوفة لا يجوز لأحد أن تعتربها لأن رواياته على تشدده في الصحة لم تبلغ سبعة عشر حديثاً فحسب بل أحادثه في سبعة عشر سفراً يسمى كل منها بمسند أبي حنيفة التي خرجها جماعة من الحفاظ وأهل العلم بالحديث باسانيدهم إليه ما بين مقل ومكثر حسبما بلغهم من أحاديثه وقل ما يوجد بين تلك الأسفار سفراً أصغر من سنن الشافعي رواية الطحاوي ولا من مسند الشافعي

برواية أبي العباس الأصم الذين عليهما مدار احاديث الشافعي وقد خدم أهل العلم تلك المسانيد جمعاً وتلخيصاً وتخريجا وقراءة وسماعاً وروايةً وللحافظ محمد بن عابد السندي كتاب المواهب اللطيفة على مسند أبي حنيفة في اربع مجلدات أكثر فيه جداً من ذكر المتابعات والشواهد ورفع المرسل ووصل المنقطع وبيان مخرجي الأحاديث والكلام في مسائل الخلاف ومن ظن أن ثقاة الرواة هم رواة الستة فقط فقد ظن باطلا وقد جمع الحافظ قاسم بن قطلوبغا الثقاة من غير رجال الستة في مؤلف حافل يبلغ أربع مجلدات وهو ممن اقر له الحافظ ابن حجر وغيره بالحفظ والاتقان والله اعلم .

منها ٢ : ما قيل أن الإمام البخاري قال في تاريخه أبو حنيفة ضعيف تركوا حديثه وأيضاً قال هو مرجئ فكشفها بأن الإمام البخاري عالم محدث مجتهد فقيه له اراءات واجتهادات بثها في ابواب كتابه الصحيح وقد سبق ذكر ثناء بعض شيوخ البخاري الكبار لأبي حنيفة وهم معاصرون له مقاربون فكثير من الناس أفرطوا في ذم الإمام وتجاوزوا عن الحد في ذلك وشنعوا عليه وكثيراً من الأمور التي هو منها برئ وذلك لكثرة حساده في زمانه وبعده كما سترى وبلغ كثيرا من الناس الغلط من أحواله فكانوا معذورين في الطعن ولذا رجع عنه

من بلغ إليه الصحيح من حاله كما قال ابن عبد البر كان أبو حنيفة يحسد وينسب إليه ما ليس فيه ويختلق عليه ما لا يليق به "

وقال المحدث الفقيه تاج الدين السبكي ومما ينبغي ان يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح والمجروح في العقيدة فجرحه لذلك "

فعلى هذا يمكن لنا أن تقول بأن كلام البخاري في الإمام رحمه الله تعالى انما وقع بسبب الخلاف المذهبي وذلك لا يعد قدحاً ولا جل هذا لا يجعل الإمام موضع اتهام ومهما كان فقد تحامل البخاري رح على الإمام الأعظم وله اسباب كما تلي :

(١) لقد صحب البخاري رحمه الله تعالى بعض المتحاملين على الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى كالحميدي واسماعيل بن عرعرة وغيرهما وتاثر بأقوالهم فيه ودون في تاريخه ما سمعه من هؤلاء المجازفين وأيضا صحب نعيم بن حماد وهو بضع الحديث وحكايات مزورة في ثلب أبي حنيفة كلها كذب ولذا نحرف عن الإمام أبي حنيفة .

(٢) وكان البخاري رح يرى ان الإيمان يزيد وينقص مع العلم انه لم يصحح حديثاً في ذلك لأنه ليس فيه حديث صحيح وكان

الإمام رحمه الله تعالى يرى أن الإيمان عقيدة يمتلئ بها القلب فلا يتصور فيه زيادة لأنه لا زيادة فوق اليقين ولا نقصان لأنه إذا نقص فلا يبقى يقيناً وكان الإمام البخاري رح يقول انه لم يخرج في صحيحه لمن لا يقول بزيادة الإيمان ونقصه مع أنه كان يروي عن بعض غلاة الخوارج مثل عمر بن حطان الخارجي الذي أيد الظالم عبد الرحمن بن ملجم في قتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه معاذ الله يتقرب إلى الله بقتل علي وكذا روي البخاري عن واحد وثمانين راو من أهل الفرق المنحرفة ولكن اشترط البخاري على نفسه أن لا يخرج حديث من لا يقول بزيادة الإيمان ونقصه .

(٣) كان الإمام البخاري يرى ان الاعمال جزء الإيمان ويرى الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ان الإيمان عقد القلب على التصديق بالله تعالى والنطق بالشهادتين اما الاعمال فليست جزء من الإيمان .

(٤) كان الإمام البخاري يرى ان تارك العبادات يعذب بالنار في الآخرة ويرى الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ان من سلم له إلى الله ان شاء عذبه بها بعدله وان شاء عفا عنه فيها بفضله

كما قال تعالى " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مـــا دون ذلك لمن يشاء " ولذا يرى البخاري يقول في الإمام رحمه الله " رمي بالارجاء " فان كان قصد البخاري به الارجاء الذي هـو ارجاء أمر المؤمن إلى الله تعالى يقضى فيه بما يشـــاء فذلـــك صحيح لأنه عقيدة أهل السنة وان كان يقصد بـــه الارجـــاء الذي يعني به انه لا تضر معصية مع الإيمان بحال كما هـو رأي المرجية فهذا مردود على قائله ايا كان فان حياة الإمام رح من عبادته لله وخوفه منه وزهده وورعه وحرصه على مرضـــاة الله ورسائله المدونة فيها عقيدة الإمام من الفقه الأكـــبر والفقـــه الابسط تردد هذه الدعوة على الإمام رحمه الله تعالى وترفـــض قبولها .

قال المحقق الزاهد الكوثري كان في زمن أبي حنيفة وبعده أنـــاس صالحون يعتقدون ان الإيمان قول وعمل يزيـــد وينقـــص ويرمـــون بالارجاء من يرى الإيمان العقد والكلمة مع الحق الصراح بـــالنظر إلى حجج الشرع قال الله تعالى ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وقال النـــبي صلى الله عليه وسلم الإيمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبـــه.ورســـله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " أخرجه مسلم عن عمر بـــن

الخطاب وعليه جمهور أهل السنة (تانيب الخطيب ص٤٤) . قال الامدي أن المعتزلة كانوا في الصدر الأول يلقبون من خالفهم في القدر مرجية .

روي عن عثمان البتي انه كتب إلى الإمام رحمه الله تعالى وقال انتم مرجئة فأجابه بان المرجئة على ضربين مرجئة ملعونة وأنا منهم برئ ومرجئة مرحومة وأنا منهم وكتب فيه بأن الأنبياء كانوا كذلك الا ترى إلى قول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم .

وقال عبد الشكور السالمي في التمهيد ثم المرجئة على نوعين مرجئة مرحومة وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومرجئة ملعونة وهم الذين يقولون بأن المعصية لا تضر والعاصي لا يعاقب " قال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة مسعر بن كدام لا عبرة بقول السليماني كان من المرجئة مسعر وحماد بن أبي سليمان والنعمان وعمرو بن مرة وعبد العزيز بن أبي رواد وابو معاوية وعمر بن ذر وسرد جماعة قلت .

الذهبي : الارجاء مذهب لعدة من اجلاء العلماء ولا ينبغي التحامل على قائله وهذا الارجاء معناه تاخير أمر المؤمن المذنب إلى الله تعالى في

الآخرة ان شاء عذبه وان شاء غفر له فكلام البخاري في هذا انما هو من قبل المذهب الذي مال إليه ولا مجال للرد بمخالفة المذهب فلكل وجهة هو موليها وما قال البخاري تركوا حديثه يضاده ما قال بعده روى عنه عباد بن العوام وابن المبارك وهشيم ووكيع ومسلم بن خالد ومعاوية المقرئ ان رجلا روى عنه هؤلاء وأمثالهم لا يقال فيه تركوا حديثه ولا ينبغي ذلك كيف ؟

وقد روى عنه كثير من حفاظ الحديث فلاسباب ما بينا تحامل البخاري على الإمام أبي حنيفة رح .

(٣) منها ما قيل أن الخطيب البغدادي ذكر اقوال كثيرين الذين قدحوا في الإمام رحمه الله تعالى باسانيد إلى قائلها كشفها انظر تانيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الاكاذيب فترى تلك الاسانيد ظالمة كاذبة أو مخطئة أو جاهلة وحاسدة وحاشى ان يتكلم سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وأمثالهما من الشيوخ فضلا عن أبي يوسف ومحمد وأمثالهما من تلاميذ الإمام فيه رحمه الله تعالى فان لهم جميعاً اقوالاً معروفة محفوظة صحيحة النسبة إليهم في الثناء .

قال يوسف بن حسن بن احمد بن عبد الهادي الحنبلي في كتابه تنوير الصحيفة مناقب الإمام أبي حنيفة لا تغتر بكلام الخطيب فان

عنده العصبية الزائدة على جماعة من العلماء كابي حنيفة واحمد وبعض أصحابه وتحامل عليهم بكل وجه " وقال العلامة عبد الحي اللكهنوي في الرفع والتكميل إذا علم بالقرائن المقالية أو الحالية ان الجارح طعن على أحد بسبب تعصب منه عليه لا تقبل منه ذلك الجرح . وان علم انه ذو تعصب على جمع من الاكابر ارتفع الامان عن جرحه وعد من أصحاب القدح (ص٦٢) .

قال ابن حجر المكي في الخيرات الحسان اعلم انه لم يقصد بذلك الا جمع ما قيل في الرجل على عادة المؤرخين و لم يقصد بذلك انتقاصه ولا حط مرتبته بدليل انه قدم ذكر كلام المادحين واكثر منه ومن نقل مأثرة عقبه بذكر القادحين فيه ومما يدل على ذلك أيضا ان الاسانيد التي ذكرها للقدح لا يخلو غالبها من متكلم فيه أو مجهول لا يجوز اجماعاً ثم عرض المصنف بمثل ذلك فكيف بامام من أئمة المسلمين وبغرض صحة ما ذكر الخطيب من القدح لا يعتد به قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تعليقه على الرفع والتكميل ص ٢٧٥ ان الخطيب قد افصح عن طريقته في كتابه فقال " كلما ذكرت في التاريخ رجلاً اختلف فيه اقاويل الناس في الجرح والتعديل فالتعويل على ما أخرت منه وختمت به الترجمة فالاعتذار عنه بانه قدم كلام المادحين لا يتفق

مع تصريحه بما التزمه فح يكون قول ابن حجر توجيه القول بما لا يرضى به قائله .

(٤) **منها : ما قيل** ان بعض رجال الحديث تكلم في الإمام مثل النسائي والدار قطني والعقيلي وقولهم حجة كشفها ان الرعيل الأول من علماء الرجال والذين بدؤوا الكلام في جرح الرواة وتعديلهم عاصروا الإمام وانثوا عليه كعلي بن المديني ويحيى بن سعيد القطان ويحيى بن معين وشعبة بن الجراح وقالوا صدوق ثقة وكثير ممن تكلم في الرجال يحتاجون إلى من يوثقهم فكيف يقبل توثيقهم اوتضعيفهم لغيرهم ثم هناك التحامل على بعض العلماء للخلاف في المذهب والعصبية والرأي والجهل والحسد فحرى ان لا يقبل ثمة الجرح بحال.

وهناك تحامل لا يقبل من صاحبه لأن الشواهد تشهد على خلاف قوله لقد قال ابن معين في الشافعي ليس بثقة وقال مسلم في البخاري انه منتحل الحديث سيئ الرواية وقال بعضهم في البخاري تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أحل مسالة اللفظ وقال مالك في عبد الرحمن بن أبي ذئب وعبد الرحمن بن أبي ذئب في مالك وذكر العقيلي على بن المديني والبخاري وعبد الرزاق والبخاري وعبد الرزاق وعثمان بن أبي شيبة وإبراهيم بن سعيد وعفان بن مسلم الأنصاري وابان العطار وازهر

السمان وبهز بن اسد وثابت البناني وجرير بن عبد الحميد في الضعفاء .

قال الذهبي بعدان اورد الأسماء التي سردت لو تركت حديث علي بن المديني الخ لغلقنا الباب وانقطع الخطاب ولماتت الآثار واستولت الزنادقة ولخرج الدجالون امالك عقل يا عقيلي ؟ اندري فيمن تتكلم ؟ قال الشيخ عبد الحي اللكهنوي أن العلماء لم يقبلوا جرح هؤلاء العلماء الاجلاء خاصة مثل ابن المديني والبخاري ومالك وحملوا كلام بعضهم في بعض إلى معاصرة وجهالة وخلاف العقيدة والمذهب والحسد كما أن الإمام احمد يتكلم في الحارث المحاسبي ووجهه لأن الإمام يكره ان يتكلم في علم الكلام والحارث المحاسبي تكلم في شيء من مسائل الكلام قال أبو القاسم النصرابادي بلغني ان احمد بن حنبل هجره بهذا السبب .

وكذا تكلم الإمام احمد في الحسن بن علي الكرابيسي صاحب الإمام الشافعي لأنه كان يقول القرآن غير مخلوق ولفظى به مخلوق ولا يرى أحمد كذلك فقال فيه ما قال فلا يقبل كلام احمد فيهما لأن الخلاف خلاف رأي ،

وكذا تكلم عبد الرحمن بن أبي ذئب في الإمام مالك وقال يستتاب مالك فان تاب والاضرب عنقه لأنه قيل له ان مالكاً يقول ليس البيعان بالخيار يعني رد الحديث وتركه فقال فيه ما قال وفي الاصل البيعان بالخيار خبر آحاد قوبل بعمل أهل المدينة وعمل أهل المدينة مقدم عنده على خبر آحاد فلا يقبل هذا الجرح في مالك

وكذا لا يقبل ما قال الدار قطني في حق الإمام أبي حنيفة فانه اخرج حديث أبي حنيفة من كان له إمام فقرأة الإمام له قرأة في سننه ثم تعقبه بقوله هذا الحديث لم يسنده عن جابر بن عبد الله غير أبي حنيفة والحسن بن عمارة وهما ضعيفان وكيف يقبل هذا بعد ما قال ابن معين أبو حنيفة ثقة ما سمعت احداً ضعفه

وكذا لا يقبل ما ذكره البخاري في تاريخه قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا القزاري قال كنت عند سفيان فنعى النعمان فقال الحمد لله كان ينقص الإسلام عروة عروة ما ولد في الإسلام اشأم منه " معاذ الله كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً" .
حاشا لله ان يقول سفيان كذلك انما قال كذباً شيخه نعيم بن حماد فانه كان يضع الحديث في تقوية السنة وحكايات مزورة في ثلب أبي حنيفة كلها كذب كما في تهذيب التهذيب (١٠ ص٤٦٣) .

وقد علمت ثناء سفيان الثوري على الإمام وروايته عنه. فبعيد أن يقول هذا سفيان . فهذا حال الجارحين والطاعنين فكيف يقبل كلامهم ؟

(٥) منها ما قيل كيف لا يكون الإمام أبو حنيفة ضعيفاً وقد ذكر له ابن عدي ثلاث مائة حديث وقال أنها ضعيفة وكذا قال العقيلي بل عده الذهبي من الضعفاء في ميزان الاعتدال

كشفها :

(١) اما ابن عدي فيحتاج إلى من يعد له ويحسن القول فيه لأنه بعيد الفقه والنظر وطويل اللسان في الرجال قال الكوثري في فقه أهل العراق وحديثهم :" ومن معايب ابن عدي طعنه في الرجل بحديث مع ان افتاه الراوي عن الرجل دون الرجل نفسه و قد اقر بذلك الذهبي في مواضع من الميزان " ومن هذا القبيل كلامه في الإمام أبي حنيفة رح في مروياته البالغة عند ابن عدي ثلاث مائة حديث وانما تلك الأحاديث من رواية أبي جعفر النجيرمي وكل ما في تلك الأحاديث من المؤاخذات كلها بالنظر إلى هذا الراوي الذي هو من مشايخ ابن عدي وللذهبي استدراكات كثيرة على رجال ضعفهم في كامله ورد عليه

الذهبي وذكر كونهم ثقات قال الكوثري في تانيب الخطيب وكان ابن غدي على بعده عن الفقه والنظر والعلوم طيل اللسان في أبي حنيفة واصحابه ثم لما اتصل بابي جعفر الطحاوي واخذ عنه تحسنت حاله يسيراً حتى ألف مسنداً في احاديث أبي حنيفة رح .

(٢) اما العقيلي فقد علمت مما سبق فلا يعتمد على قوله .

(٣) وأما الذهبي فهو صاحب الاستقراء في الرجال فلم يذكر الإمام رحمه الله تعالى في الميزان في الضعفاء الذي هو ملخص الكامل لابن عدي مع استدراكات كثيرة عليه لقد قال الذهبي في مقدمة الميزان وكذا لا أذكر في كتابي من الأئمة المتبوعين في الفروع احداً لجلالتهم في الإسلام وعظمتهم في النفوس مثل أبي حنيفة والشافعي والبخاري وللميزان نسخ مختلفة وفي بعضها الحاقات وزيادات يقيناً وفي اصل النسخة الصحيحة ليست فيها ترجمة الإمام أبي حنيفة يقيناً انما هي دخلية على الكتاب بيد بعض الحالقين على الإمام أبي حنيفة وذلك جاءت في سطرين لا تليق بمقام الأعظم ويؤيده ما قال العراقي في شرح الفتية ان الذهبي ذكر في كتابه كل ما ذكر ابن عدي في

كامله وتبعه على ذلك الذهبي الا انه لم يذكر احداً من الصحابة والائمة المتبوعين ،

وكذا ما قال السخاوي ان الذهبي تبع ابن عدي في ايراد كل من تلكم فيه ولو كان ثقة لكنه التزم ان لا يذكر احداً من الصحابة ولا الأئمة المتبوعين" وكذا قال السيوطي في تدريب الراوي الا انه لم يذكر أحدا من الصحابة ولا الأئمة المتبوعين " فهذه العبارات من هؤلاء الثقات تنادي بأعلى النداء على أنه ليس في الميزان اثر لترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان فهي زيادات من بعض المعاندين في بعض النسخ فلا تعتبر قطعاً .

(٥) **منها ما يقال** ان الإمام أبا حنيفة كان يقول بالرأي بل هو إمام أهل الرأي وقد ورد في ذم الرأي نصوص كثيرة . كشفها تقدم عند ذكر أصول مذهب الإمام ان الأصل الرابع عنده القياس والاجتهاد والرأي ومن المقرر ان الأخذ بالقياس والرأي هو رأي الأئمة الأربعة والمذاهب المعتبرة ولقد تقدم ان الإمام رحمه الله لا يقول بالرأي الا إذا عدم النص في القضية ،

قال ابن القيم في اعلام الموّقعين : أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث عنده اولى من القياس

والرأي وعلى ذلك بني مذهبه كما تقدم جديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأي ومنع قطع السارق باقل من عشرة دراهم والحديث فيه ضعيف وجعل أكثر الحيض عشرة أيام والحديث فيه ضعيف وشرط في إقامة الجمعة المصر والحديث فيه كذلك فتقديم الحديث الضعيف وآثار الصحابة على القياس والرأي قوله وقول احمد بن حنبل (١ ص٧٧ مختصراً).

وذكر ابن حزم الظاهري جميع أصحاب أبي حنيفة مجمعون على ان مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من القياس والرأي

"وذكر الخطيب البغدادي في كتابه "الفقيه المتفقة " عن كبار الصحابة وكراههم الاجتهاد والرأي في المسائل التي نص فيها فنقل ذلك عن أبي بكر وعمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وذكر مسائلهم ثم ذكر بعض التابعين مثل ابراهيم النخعي وذكر مسائلهم فليس أبو حنيفة اول من قال بالرأي ولا آخر من قال ويقول به ، ليس مراده برأيه رداً لنصوص لكن اعتبارها وفهما والفهم عنها ولا يبلغه بعض الناس لفهمه القاصر .

قال ابن عبد البر والذين تكلموا فيه من أهل الحديث اكثر ما عابوا عليه الاغراق في الرأي والقياس " وقال ابن حجر في مقدمة الفتح ومن

تم لم يقبل جرح الجارحين في الإمام أبي حنيفة حيث جرحه بعضهم بكثرة القياس .

وقال أبو بكر الرازي في الفصول بعد ان سرد ما كان عليه فقهاء الصحابة والتابعين من القول بالرأي إلى ان نشأ قوم ذو جهل بالفقه وأصوله لا معرفة لهم بطريقة السلف ولا توقى للإقدام على الجهالة واتباع الأهواء البشعة التي خالفوا بها الصحابة ومن بعدهم من اختلافهم فكان أول من نفى القياس والاجتهاد في أحكام الحوادث إبراهيم النظام وطعن على الصحابة من أجل قولهم بالقياس ونسبهم إلى ما يليق بهم ثم تبعه نفر من المتكلمين البغداديين إلا انهم لم يطعنوا على السلف كطعنه ،

ثم تبعهم رجل داؤد بن علي رأس الظاهرية و لم يدر ما قال هؤلاء ولا ما قال هؤلاء أخذ طرفاً من كلام النظام وطرفاً من كلام المتكلمين ببغداد فاحتج به في نفي القياس والاجتهاد مع جهله بما تكلم الفريقان ويزعم أن العقل لا حفظ له في إدراك شئ من علوم الدين فأنزل نفسه منزلة البهيمة بل هو أضل منها (انتهى مختصراً) فظهر أن الفقه حيث كان يصحبه الرأي هم أصحاب الاجتهاد وهذا ليس بقدح فيهم يقيناً .

الفائدة الأربعون :

في تاريخ الفقه الحنفي وتدوينه

اعلم ان الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى ، قسم الفقه إلى قسمين الفقه الأكبر والفقه الاصطلاحي فعرف الأول : معرفة النفس ما لها وما عليها ، معناه معرفة الإيمان بالله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأوامره ونواهيه والإيمان بالملائكة وسائر أمور الغيب كالإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر وبقضاء الله وقدره تعالى .

والفقه الاصطلاحي هو الأحكام الشرعية العملية المأخوذة من أدلتها التفصيلية كالعبادات من الطهارة الصلاة والأحكام من الحدود والتعازير وموارد الدولة المالية ومصارفها كالزكاة والديات و الكفارات والمعاملات بين الناس كالمتبوع والوكالات والشركات والمضاربات وصلاة المسلمين بغيرهم كالدعوة إلى الإسلام والجهاد والغنائم والصلح والعهود وصلاة المسلمين بالأموات منهم كالجنازة والوصايا والمواريث .

ومن موضوعات الفقه الأكبر تبدو لنا شدة حاجة إليه لأن الإيمان بالله تعالى وبالملائكة والرسل والأنبياء والكتب المترلة واليوم الآخر وما فيه من الحساب وما بعده من الجنة والنار وقضاء الله تعالى

وقدره هو الأساس الأول وبدونه لا يصح الإيمان وعليه يبنى جميع العبادات وما لم تكن أساس فكيف يقوم بناء .

ومن موضوعات الفقه الاصطلاحي تبدو شدة حاجة الناس إليه فان الفقه هو الفهم عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في الحياة العملية عبادية كانت أو أسرية مالية كانت أو معاملات صلاة بين المسلمين أو بينهم أو بين غيرهم أو أحكاما على الأحياء والأموات ،

وكل ذلك لا بد منها للإنسان إذا أراد ان يتقرب إلى الله تعالى بدون ذلك لا يمكن حصوله قال عطاء رحمه الله في حلق الذكر أنها مجالس العلم التي يعلم فيها الحلال والحرام والبيع والشراء وقد كان من سيرة عمر انه إذا رأى رجلا في السوق يبيع ويشترى ولا يعرف أحكام البيوع دفعه إلى المسجد ليتفقه ومن لا يعرف الحلال والحرام فهو أجدر أن يقع في الحرام لجهله حدود ما بين الحلال والحرام فان أحكامها تؤخذ من الشرع لا من الهوى والعقل ومن لا يتفقه ولا يسأل عن دقائق الفقهية أهل العلم والفقه ربما يأكل الربا وهو لا يعلم ويأكل أموال الناس بالباطل وهو لا يعلم فيتردى في نار جهنم .

فظهرت من هذه شدة حاجة الناس إلى الفقه فلما علمت هذا فلتعلم ان هذا الفقه يقوم أصول متفق عليها بين الأئمة ،

وهناك أصول يختلف في الأخذ بها بين الأئمة فالأصول المتفق عليها هي القرآن الكريم والسنة والإجماع والقياس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجع الصحابة الكرام رضي الله عنهم في جميع ما يعرض لهم من القضايا عقدية كانت أو عملية يستوي في ذلك فقيهم وعاميتهم السابق في إسلامه والمتأخر فيه ومع أنه كان هناك عدد من فقهاء الصحابة يفتون في عهده صلى الله عليه وسلم في غيبته وحضوره الا انهم جميعاً يرجعون إليه بقضاياهم وفتاواهم ليستيقنوا حكم الله تعالى فيما قضوا و أفتوا .

وقد بين الإمام شمس الدين بن شلبي : عدد المفتين من الصحابة اثنى عشر صحابياً فقال في عددهم:

وفي زمن المختار أفتى بأمره + أبو بكر الفاروق عثمان حيدر
حذيفة عمار وزيد بن ثابت + معاذ أبو الدرداء هو عويمر
أبو موسى إلى أشعر أنتمي + وختم نظامي ابن عوف معطر

وزاد عليه الشيخ محمد بن الحسن الحجوي اثنين فقال :

ومن جملة المفتيين أيضا عبادة + كفاك ابن مسعود إمام منور

فكل هؤلاء السادات استنبطوا الأحكام من أصولها أفتــوا في العــهد النبوي وحفظت فتاواهم وهي منقولة في كتب الحديث والسير ،

قال الشيخ الحجوي : بل كل من ولي أمرا للنبي صلى الله عليــه وسلم بعيداً منه صار مفتياً مثل معاذ بن جبل والى اليمــن ومثــل أبي عبيدة بن الجراح الذي كان أمير سرية الخبط وأفتاهم بأكل الحــوت ومثل أبي سعيد الخدري الذي افتى لنفسه وأصحابه يأخذ الجعل علــى الرقية بالقرآن ،

ومثل أبي قتادة الذي اصطاد و هو حلال وافتى من كان محرمــاً بالآكل من صيده وينبغي أن يعد سعد بن معاذ الذي نفذ حكمه النـبي صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة وأمثاله ممن توفي في الحياة النبويــة ونقلت عنه بعض فتاوى صادرة في العهد النبوي كعثمان بن مظعــون وجعفر ابن أبي طالب "

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد زاد عدد المفتيين مــن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حتى بلغ مائة وعشرين صحابيــاً وصحابية على ما ذكره ابن حزم وكان باقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون إلى أولئك المفتيين المجتهدين فيما يترل بهم مــن

القضايا والنوازل وكان أولئك يفتون بما عندهم من آية أو حديث أو اجتهاد أو رأي ثم تفقه باولئك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم تابعون اجلاء مثل الفقهاء السبعة وهم :

(١) سعيد بن المسيب المخزومي القرشي المدني راس علماء التابعين وحامل رواية عمر بن الخطاب وعلمه ومذهبه اصل مذهب مالك كما روي عن علي وعثمان وسعد بن أبي وقاص وأبى هريرة و أزواجه رضوان الله عليهم كان يفتي والصحابة متوافرون توفى٩٨ سنة .

(٢) عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود حفيد عتبة بن مسعود أخ عبد الله الصحابي المشهور قال العجلى كان جامعاً للعلم توفى سنة ٩٨هـ .

(٣) عروة بن الزبير بن العوام الذي تفقه على خالته عائشة رض أم المؤمنين رضي الله عنها توفي سنة ٩٤هـ .

(٤) القاسم بن محمد بن أبي بكر الذي تفقه على عمته الصديقة المبرأة عائشة رضي الله عنها وقال فيه عمر بن عبد العزيز لو كان لي من الأمر شئ لاستخلفته توفى ١٠٦هـ

(٥) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال أبو الزناد أحد الفقهاء السبعة وقال ابن خراش هو أحد أئمة المسلمين توفي سنة ٩٤هـ .

(٦) سليمان بن يسار قال فيه الحسن بن محمد : هو عندنا أفهم من سعيد بن المسيب ولم يقل افقه ولا أعلم روى عن عباس وأبى هريرة توفي سنة ١٢٠هـ .

(٧) خارجة بن زيد أدرك زمان عثمان رضي الله عنه أخذ عن والده زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القرآن واعلم الناس بالفرائص توفي خارجة سنة ١٠٠هـ .

(٨) ومثل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أخذ عن أبيه عبد الله وغيره توفي سنة ١٠٦هـ .

(٩) وإبراهيم النخعي الكوفي كان يدخل مع خاله الأسود بن يزيد على عائشة رضي الله عنها توفي ٩٦ .

(١٠) وعكرمة المغربي البربري مولى ابن عباس اخذ العلم والتفسير خاصة عن ابين عباس رضي الله عنه قال له ابن عباس انطلق فافت الناس توفي سنة ١٠٥هـ .

(١١) وعطاء بن أبي رباح الجغدي اليماني اخذ عن ابن عباس وغيره وقال ابن عباس يا أهل مكة تجتمعون عليّ وفيكم عطاء توفي ١١٤هـ .

(١٢) والحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري مولى زيد بن ثابت رضي اللهِ عنه أدرك سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف وروى عن مائة وعشرين من الصحابة قال فيه ابن القيم : جمع بعض العلماء فتاواه في سبعة أسفار ضخمة وكانوا يرون ان ما ظهر عليه من غزارة العلم كان ببركة رضاعه من ثدي أم سلمة أم المؤمنين توفي سنة ١١٠هـ .

وعلى كثرة المفتيين من الصحابة كما ذكرنا قبل فقد اجتمع علم الصحابة رضوان الله عليهم في ستة منهم ثم انتهى إلى اثنين قال مسروق بن الاجدع التابعي الكبير رحمه الله : وجدت علم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ينتهي إلى ستة إلى علي وعبد الله بن مسعود وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي ثم وجدت علم هؤلاء الستة

ينتهي إلى علي وعبد الله بن مسعود رض وهذا عبد الله بن مسعود وهو سادس من اسلم فهو سدس المسلمين ضمه إليه النبي صلى الله عليه وسلم فكان يلبس النبي صلى الله عليه وسلم نعليه ويمشي معه وامامه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام وقال عليه السلام اذنك على أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادي يعين اسراري حتى أنهاك .

هاجر هجرتين وشاهد المشاهد كلها وقال النبي صلى الله عليه وسلم رضيت لا متى ما رضى لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد .

وقال فيه حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان عبد الله بن مسعود كان من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة وحلفت بالله ما اعلم أحدا أشبه دلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم من حين يخرج من بيته إلى ان يرجع من ابن مسعود وسئل عنه على رضي الله عنه فقال: " قد قرأ القرآن وعلم السنة وكفى بذلك .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الكوفة حين ارسله إليهم " اني قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم من أهل بدر فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي لقد انتقل رضي الله عنه اذن إلى الكوفة يعلم الناس ويفقههم في دين الله تعالى من سنة بناء عمر الكوفة عام سنة ١٧ من الهجرة كان وقد انتقل اليها ألف وخمس مائة صحابي منهم سبعون بدرياً إلى أواخر عهد عثمان رضي الله عنه حتى تفقه عليه وعلى أصحابه نحو أربعة آلاف رجل وكان معه هناك أمثال سعد بن أبي وقاص وحذيفة بن اليمان وعمار بن يسار وأبي موسى رضي الله عنهم بل أن علياً رضي الله عنه لما انتقل إلى الكوفة أيام خلافته سر من كثرة فقهائها (مقدمة نصب الراية للكوثري) .

(٧٨) لقد انتشر العلم والدين من أربعة أعلام من الصحابة أكثر من غيرهم ابن مسعود في أصحابه وهم أهل العراق وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر واصحابهما بالمدينة المنورة وابن عباس و أصحابه، وهم أهل مكة المكرمة ، ولقد تفقه بابن مسعود رضي الله عنه أربعة آلاف رجل ، ونذكر هاهنا بعض من اشتهر منهم .

(١) عبيدة بن قيس السلمان كان شريح إذا اشتبه عليه الأمر في قضية برسل إلى السلمان يستشيره ، كما في المحدث الفاصل

للرامهرمزي وشريح ذلك المعروف بكمال اليقظة في الفقه واحكام القضاء توفى سنة ٧٢ .

(٢) زر بن حبيش مخضرم كان يؤم الناس في التراويح وهو ابن مائة وعشرين سنة وهو راوية قراءة ابن مسعود رض ومنه اخذ عاصم وقد رواها ابو بكر بن غياش وفيها الفاتحة والمعوذتان توفي سنة ٨٢ .

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عرض القرآن على علي رضي الله عنه وهو عمدته في القراءة وقد فرع نفسه لتعليم القرآن لأهل الكوفة بمسجدها أربعين سنة كما خرجه أبو نعيم بسنده ومنه تلقى السبطان الشهيدان القراءة بأمر أبيهما وعاصم تلقى قراءة علي رض عنه وهي القراءة التي يرويها حفص عن عاصم وقراءة عاصم بالطريقتين في اقصى درجات التواتر في جميع الطبقات توفي سنة ٧٤هـ .

(٤) علقمة بن قيس النخعي قال فيه ابن مسعود رض : لا أعلم شيئاً الا وعلقمة يعلمه وفي المحدث الفاصل بسنده عن قابوس قال قلت لأبي كيف تأتي علقمة وتدع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال يا بني لأن أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم يستفتونه كان علقمة خال إمام أهل العراق بعد وهو إبراهيم بن يزيد النخعي توفي سنة ٦٢هـ .

(٥) شريح بن الحارث الكندي معمر مخضرم ولي قضاء الكوفة في عهد عمر واستمر على القضاء اثنين وستين سنة إلى أيام الحجاج حيث توفي ، قال له علي رض يوماً : قم يا شريح فأنت اقضي العرب توفي سنة ٨٠هـ .

قال ابن القيم في اعلام الموقعين ١/ص٢٠ ، قال ابن جرير : لم يكن (في الصحابة) أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه ومذاهبه في الفقه غير ابن مسعود ، وكان يترك مذهبه وقوله لقول عمر وكان لا يكاد يخالفه في شيئ من مذاهبه ويرجع من قوله " .

قال المحقق الكوثري بعد سرد هذه الأسماء واسماء آخرين ، واكثر هؤلاء لقوا عمر وعائشة أيضا واخذوا عنهما ، وهؤلاء كانوا يفتون بالكوفة بمحضر الصحابة وتلي هؤلاء طبقة لم يدركوا علياً رض ولا ابن مسعود ولكنهم تفقهوا على أصحابهما وجمعوا علم الأمصار إلى علومهم وأشهرهم إبراهيم بن يزيد النخعي الذي جمع شتات علوم هاتين الطبقتين بعد ان تفقه على علقمة قال أبو نعيم : أدرك إبراهيم أبا سعيد الخدري وعائشة ومن بعدهما من الصحابة رضي الله عنهم

وكان عامر بن شراحيل الشعبي الذي قال فيه ابن عمر لما رآه يحدث بالمغازي" لهو احفظ لها مني وان كنت شهدتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل إبراهيم النخعي على علماء الأمصار كلها حيث يقول عندنا توفي سنة ٩٥ دفنتم أفقه أهل الأرض فقال رجل ومن الحسن البصري قال افقه من الحسن ومن أهل البصرة ومن أهل الكوفة ومن أهل الشام واهل الحجاز كما أخرجه أبو نعيم بسنده إليه وأئمة الجرح والتعديل يعدون مراسيل النخعي صحاحاً بل يفضلون مراسيله على مسانيد نفسه كما نص على ذلك ابن عبد البر في التمهيد ،

وقال فيه الأعمش : ما عرضت على إبراهيم حديثاً الا وجدت عنده منه شيئاً وقال كان إبراهيم صرفي الحديث فكنت إذا سمعت الحديث من بعض أصحابنا عرضته عليه وقال إسماعيل بن أبي خالد : كان الشعبي وأبو الضحى وإبراهيم واصحابنا يجتمعون في المسجد فيذكرون الحديث فان جاءهم فتيا ليس عندهم منها شيئ رموا بابصارهم إلى النجعى .

قال الشعبي في إبراهيم انه نشأ في بيت افقه فاخذ فقههم (فان خاله علقمة والاسود بن يزيد أبي علقمة) ثم جالسنا فاخذ صفوة حديثنا إلى فقه أهل بيته فإذا نعيته اليوم انعى العلم ما خلف بعده مثله.

وقال الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه بسنده إلى الحسن بن عبد الله النخعي قال قلت لإبراهيم كل ما سمعتك تفتي به سمعته ؟ فقال لا قلت تفتي بما لم تسمع ؟ قال : سمعت الذي سمعت وجاءني ما لم اسمع فقسته بالذي سمعته " وقال ابن العماد في ترجمته : فقيه العراق بالاتفاق توفي سنة ٩٦ (شزرات الذهب ١ص١١) .

وقال الاعمش عن إبراهيم : انه كان لا يعدل بقول عمر وعبد الله بن مسعود إذا اجتمعا ، فإذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب إليه ، لأنه كان الطف ، وبمثل هذا الإمام الجليل تفقه حماد بن أبي سليمان الذي رشحه إبراهيم نفسه ، فقد سئل من نسأل بعدك فقال حماداً " (مقدمة نصب الراية للكوثري) .

هذا حماد بن مسلم أبي سليمان بن يزيد تفقه على إبراهيم النخعي ولازمه واستفاد منه فائدة عظيمة ، ولذا رشحه إبراهيم للفتيا بعده ، أخرج ابن حيان في طبقات محدثي اصبهان : انه وجه إبراهيم حماداً يوماً يشتري له لحماً بدرهم في زنبيل فلقيه ابوه راكباً دابة وبيد حماد زنبيل فرجره ورمى به من يده فلما مات إبراهيم جاء أصحاب الحديث الخراسنية يدفون على باب أبي سليمان مسلم بن يزيد فخروج إليهم في الليل بالشمع ، فقالوا لسنا نريدك نريد حماداً فدخل إليه فقال

: قم إلى هؤلاء فقد علمت ان الزنبيل ادى بك إلى هؤلاء ، كان رحمه الله تعالى عفيف النفس يحفظ وجهه ويبذل ماله .

لما قدم أبو الزناد الكوفة والياً على الصدقات كلم رجل حماد بن أبي سليمان أن يكلم أبا الزناد في رجل يستعين به في بعض أعماله فقال له حماد : كم يؤمل صاحبك من أبي الزناد ؟ قال : ألف درهم ، قال فقد أمرت لك بخمسة آلاف درهم ، ولا ابذل وجهي ، فقال له الرجل جزاك الله خيراً .

وكان جواداً كريماً يكافئ ويحسن قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيئ بلغني : انه كان راكباً فانقطع زره ، فمر على خياط فأراد أن يترل إليه ليسوي زره فقال : والله لا نزلت ، فقام الخياط إليه وسوى زره فادخل حماد يده في جيبه واخرج صرة فيه دنانير فناولها الخياط ثم اعتذر إليه من قلتها وحلف انه لا يملك غيرها ، (حيات الإمام أبي حنيفة للعفيفي ص ٢٧) .

ولي أمر التدريس حين طلب ذلك منه أصحابه بعد وفاة شيخهم إبراهيم ، وأخرج ابن عدي في الكامل بسنده إلى عبد الملك بن أياس الشيباني انه قال قلت لإبراهيم من نسأل بعدك قال حماداً .

وروى العقيلي بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن سليمان الاصبهاني قال لما مات إبراهيم اجتمع خمسة من أهل الكوفة فيهم عمرو بن قيس فجمعوا أربعين ألف درهم وجاءوا إلى الحكم بن عتبة فقالوا أنا قد جمعنا أربعين ألف درهم نأتيك بها وتكون رئيسنا فابى عليهم الحكم فاتوا حماد بن إلى سليمان فقال فأجابهم ، جاء في المغني حماد بن أبي سليمان هو أبو إسماعيل كوفي يعد تابعياً سمع انساً والنخعي ، وكان أعلمهم برأي النخعي ، روى عنه المنصور والحكم وشعبة والثوري مات سنة ١٢٠هـ ،

قال ابن معين : حماد ثقة وقال أبو حاتم صدوق وقال العجلي كوفي ثقة كان أفقه أصحاب ابراهم " وفي "الكاشف للذهبي" وكان ثقة اماماً مجتهداً كريماً جواداً واستشهد به البخاري تعليقاً في صحيحه فقال قال حماد عن إبراهيم ان كان عليهم ازار فسلم والا فلا تسلم ،

روى عنه الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله الفي حديث من أحاديث الأحكام واكثر من ثلث أحاديث الإمام في مسنده الذي جمعه الحصكفي هي رواية الإمام عنه عن إبراهيم بن أبي موسى الاشعري عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها ،

وعلى هذا الإمام العظيم تفقه امامنا الأعظم أبو حنيفة رح وافرد به ثمانية عشر عاماً بعد عن أخذ عن سبعة من الصحابة وثلاثة وتسعين من التابعين ، وكثير من أتباعهم حتى بلغوا أربعة آلاف رجل "روى العلامة أبو القاسم اليمني بسنده إلى مسعر بن كدام قال : من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله تعالى رجوت ان لا يخاف ، وري القاضي الصيمري باسناده قال قال لي المغيرة بن مغنم الضبي : جالس أبا حنفة فلو كان إبراهيم النخعي حياً كان محتاجاً إلى مجالسته اياه هو والله يحسن ان يتكلم في الحلال والحرام ،

"وأيضا روى الصيمري باسناده إلى حماد بن سلمة قال " كلن مفتي الكوفة والمنظور إليه بعد موت النخعي حماد بن أبي سليمان فكان الناس به اغنياء ، فلما مات احتاجوا إلى من يجلس لهم ، وخاف أصحابه ان يموت ذكره ويندرس علمه بموته وكان لحماد بن حسن المعرفة فاجمعوا عليه أصحاب أبيه أبو بكر النشلي وأبو بردة العبيسي ومحمد بن جابر الحنفي وغيرهم فاختلفوا إليه وكان الغالب عليه النحو والكلام العربي فلم يصبر لهم على القعود فاجتمع رايهم على أبي بكر التهسلي وسألوه فأبى وسالوا أبا بردة فأبى فقالوا لأبي حنيفة فقال لا أحب ان يموت العلم فساعدهم وجلس لهم فاختلفوا إليه ،

ثم اختلف بعدهم أبو يوسف وأسد بن عمرو والقاسم بن معن وزفر بن الهذيل والوليد ورجال من الكوفة وكان أبو حنيفة يفقههم في الدين وكان شديداً البر بهم والتعاهد وكان ابن أبي ليلى وابن شبرمة وشريك يخالطونه ويطلبون تشنيعه فلم يزل كذلك حتى استحكم امره واحتاج إليه الناس واجتمع إليه الأمراء وذكره الخلفاء ، وأخرج الخطيب في تاريخه بسنده قال دخل أبوحنيفة يوماً على المنصور وعنده عيسى بن موسى فقال للمنصور هذا عالم الدنيا اليوم فقال يا نعمان عمن أخذت العلم فقال عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب علي عن علي وعن أصحاب عبد الله بن مسعود عن عبد الله رضي الله عنهم وما كان في وقت عبد الله بن عباس على وجه الأرض اعلم منه قال المنصور قد استوثقت لنفسك (تاريخ بغداد ١٤/ص٣٣٦)

وابتكر الإمام رحمه الله تعالى نموذجا منهجياً في تقرير مسائل الاجتهاد واستنباط الأحكام وذلك عن طريق عرض المسألة على تلامذته العلماء في حلقة الدرس ليدلى كل بدلوه ويذكر ما يروى لرأيه من حجة ثم يعقب هو على آرائهم بما يدفعها بالنقل والعقل ويصوب صواب أهل الصواب ويسدده ويؤيده بما عنده من ادلة ولربما تقضت أيام حتى يتم تقرير تلك المسألة وانها لعمر الله دراسه منهجية حرة

شريفة يظهر فيه احترام الاراء ويشتغل فيها عقـــل الحـــاضرين مـــن التلامذة كما يظهر علو الإسناد وفضله فإذا تقررت مسالة من مســائل الفقه على تلك الطريقة كان العسير نقدها فضلاً عن نقضها وذكر أبو محمد الحارثي عن عن أبي سليمان الجوزجاني قال : كان أبو حنيفـــة سهل الله له هذا الشان يعني الفقه وبين له وكان يتكلم أصحابـــه في مسألة من المسائل ويكثر كلامهم وترتفع اصواقم ويأخذون في كـــل فن وأبو حنيفة ساكت فإذا اخذ أبو حنيفة في شرح ما هم فيه سـكتوا كان ليس أحد في المجلس وفيهم من أهل الفقه والمعرفة وكـــان أبـــو حنيفة يتكلم يوماً وهم سكوت فلما فرغ من كلامه قال واحد منـــهم سبحان الله من انصت الجميع قال سلميان كان أبو حنيفة عجباً مـــن العجب وانما رغب عن كلامه من لم يقو عليه (كتاب التعليم).

قال الموفق المكي وضع الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى مذهبـــه شورى بينهم و لم يستيد فيه بنفسه دوهم اجتهاداً منه في الدين ومبالغة في النصيحة لله ولرسوله والمؤمنين فكان يلقي مسألة مســـألة يقلبـــها ويسمع ما عندهم ويقول ما عنده ويناظرهم شهراً أو أكثر من ذلـــك حتى يستقر أحد الأقوال فيها ثم يثبتها القاضي أبو يوسف في الأصـــول حتى اثبت الأصول كلها وإذا اشكلت عليه مسألة قال لأصحابه مـــا

هذا الا لذنب احدثته وكان ستغفر وربما قام وصلى فتنكشف له المسألة ويقول رجوت أنه تيب علي فبلغ ذلك الفضيل بن عياض فبكى بكاء شديداً ثم قال ذلك لقلة ذنبه اما غيره فلا يتنبه لهذا (مناقب الموفق المكي ٢/ص ١٣٣) .

وأيضا فيه اخرج ابن أبي العوام بسنده إلى أبي يوسف قال كان أبو حنيفة إذا اوردت عليه المسألة قال ما عندكم فيها من الأثار فإذا روينا الأثار وذكرنا وذكر هو ما عنده نظر فان كانت الآثار في أحد القولين أكثر اخذ بالاكثر فإذا تقاربت وتكافأت نظر فاختار (٦/ص ١٣٤) .

وذكر الخطيب في تاريخه بسنده إلى أبي كرامة قال كنا عند وكيع بن الجراح فقال رجل اخطا أبو حنيفة فقال وكيع وكيف يقدر أبو حنيفة ان يخطئ ومعه مثل أبو يوسف ومحمد الحسن وزفر في قياسهم واجتهادهم ومثل يحي بن أبي زائدة وحفص بن غياث وحبلن وقندل ابني على في حفظهم للحديث ومعرفتهم ومثل القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود في معرفته بالنحو واللغة وداؤد الطائي والفضيل من عياض في زهدهما وورعهما عبد الله بن المبارك في معرفة التفسير والأحاديث والتواريخ فمن كان أصحابه وجلسائه هؤلاء كيف يخطي وهو بينهم وكل منهم يثنى عليه لأنه ان اخطأ ردوه

إلى الصواب . ثم قال فمن زعم ان الحق مع من خالف أبا حنيفة رحمه الله تعالى حيث وضع المذهب وحده أقول له ما الفرزدق لجرير.

أولئك أبائي فجئني بمثلهم + إذا جمعتنا يا جرير المجامع

(قلائد عقود العقيان ص ١٥)

وذكر الشيخ عبد القادر القرشي في كتابه الجواهر المضية في ترجمة يحيى بن زكريا بن أبي زايدة قال الطحاوي كتب ابن أبي ثور يحدثني عن سليمان بن عمران حدثني أسد بن الفرات قال كان أصحاب أبي حنيفة الذين دونوا الكتب أربعين رجلاً ،

وكان في العشرة المتقدمين أبو يوسف وزفر وداود الطائي و اسد بن عمرو ويوسف بن خالد السمتي ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة وكان هو الذي يكتبها لهم ثلاث سنين " وذكر الشيخ احمد المكي الخوارزمي ان الذين رووا عن الإمام من كبار العلماء سبعمائة وثلاثون رجلاً كلهم من مشايخ المسلمين رووا عنه وحدثوه عنه في الآفاق "

وقال الموفق المكي كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى تلامذة كثيرة منهم من كان يرحل إليه ويستمع امدا ثم يعود إلى بلده بعد ان يأخذ طريقة ومنهاجه ومنهم من لازمه وقد قال الإمام هؤلاء ستة

وثلاثون رجلا منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء وستة يصلحون للفتوى واثنان يعني أبا يوسف وزفر يصلحان لتأديب القضاة و أرباب الفتوى (المناقب للموفق المكي ٣/ ص١٣١) .

وأيضا روى الموفق بسنده إلى علي بن هاشم قال كان أبو حنيفة كنز العلم ما كان يصعب من المسائل على اعلم الناس فهو كان سهلاً على أبي حنيفة (١/ص ٢٨) .

وأيضا فيه قال زفر كان كبراء المحدثين مثل زكريا بن ابي زائدة وعبد الملك بن أبي سليمان والليث بن أبي سليم ومطرف بن طريف وحصين بن عبد الرحمن وغيرهم يختلفون إلى أبي حنيفة ويسألونه عما ينوبهم من المسائل ويشتبه عليهم من الحديث (١/ص١٥٢) .

وأيضا روى بسنده إلى محمد بن الحسن قال سمعت أبا يوسف يقول كنا نتكلم اباحنيفة في باب من ابواب العلم فإذا قال يقول واتفق عليه أصحابه أو قال اتفقنا عليه درت على مشايخ الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثاً أو أثراً فربما وجدت الحديثين أو الثلاثة فاتيه بها فمنها ما يقبله ومنها ما يرده فيقول هذا ليس بصحيح أو ليس بمعروف وهو

موافق ل فأقول وما علمك بهذا فيقول انا عالم بعلم أهل الكوفة (١٥٢/١) .

قال الفقيه المحدث محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي وأبو حنيفة اول من ألف في أصول الدين أصول الفقه والفرائض ودون الكتب ورتب قال الإمام الشافعي رحمه الله : ما رأيت أحدا افقه من أبي حنيفة ، قال ابن المبارك ليس أحد أحق ان يقتدي به من أبي حنيفة كان اماماً تقيا نقياً ورعاً عالماً فقيها به كشف العلم كشفا لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقي (مناقب البزازي ٩٠/١) .

ولم يعرف لأبي حنيفة كتاب في الفقه مرتباً أبوابه فقد كان المعروف أن تلاميذه يدونون أراءه ويقيدونها وكان بأملائه أحيانا وتأليف الكتاب لم يشفع ولم ينتشر الا بعد وفات أبي حنيفة أوفى أخر حياته وقد كان المجتهدون في عصر الصحابة يمتنعون عن ان يدونوا فتاويهم أو اجتهادهم بل امتنعوا عن تدوين السنة نفسها ،

ثم اضطر العلماء إلى تدوين السنة وتدوين الفقه والفتاوى فكلن فقهاء المدينة يجمعون فتاوى عبد الله بن عمر وعائشة وابن عباس ومن جاء بعدهم من التابعين في المدينة وينظرون فيها ويبنون عليها ،

وكان العراقيون يجمعون فتاوى عبد الله بن مسعود وقضايا على وفتاواه وقضايا شريح وغيره من قضاة الكوفة وقد رووا ان إبراهيم النخعي جمع الفتاوى والمبادي في مجموعة وان حماداً شيخ أبي حنيفة كانت له مجموعة ولكن لم تكن هذه المجموعات كتباً منشورة بل كانت اشبه بالمذاكرات الخاصة يرجع إليها المجتهد ولا يعينها كتاباً للناس وانما يكتبها خشية النسيان ثم صارت نواة التأليف و التدوين بعد ذلك فألف مالك موطأه ودون أبو يوسف كتاب الخرج وغيره من كتب الفقه العراقي ثم جاء محمد فأوفى على الغاية ودون الفقه العراقي كاملاً أو قريباً من الكمال ،

وجاء في المناقب للمكي مانصه " أبو حنيفة أول من دون علم هذه الشريعة لم يطبقه أحد من قبله لأن الصحابة والتابعين لم يضعوا في علم الشريعة ابواباً مبوبة ولا كتباً مرتبة وانما كانوا يعتمدون على قوى فهمهم وجعلوا قلوبهم صناديق علمهم ونشأ أبو حنيفة بعدهم فرأى العلم منتشراً فخاف عليه الخلف السوء ان يضيعوه فلذلك دونه أبو حنيفة فجعله ابواباً مبوبة وكتباً مرتبة (١٣١/٢) .

والظاهر من هذا القول انه يقصد بالتدوين ما كان يصنعه تلاميذه وكان ذلك بإرشاد منه رحمه الله تعالى كما علمت مما سبق

طريقه دراسة أبي حنيفة و أصحابه للمسائل بان مذهبه كان شورى بينهم مم يستبصر فيه بنفسه دوهم وإذا استقر أحد الأقوال يثبتها أبو يوسف في الأصول وبهذا النحو من التحرير دون مذهب أبي حنيفة و أصحابه وجاء أصحابه فنشروه كتباً مبوبة مرتبة منظمة .

وقال الشيخ الحجوي كان الفقه في الزمن النبوي هو التصريح بحكم ما وقع بالفعل اما من بعده من الصحابة وكبار التابعين وصغارهم فكانوا يبينون حكم ما نزل بالفعل في زمنهم ويحفظون أحكام ما كان نزل في الزمن قبلهم ، فدون الفقه وزادت فروعه نوعاً ، اما أبو حنيفة فهو الذي تجرد لفرض المسائل وتقدير وقوعها وفوض أحكامها اما بالقياس على ما وقع واما باندراجها في العموم فزاد الفقه نموا وعظمة (الفكر السامي ٢/١٧٠) .

ونحن نرى ان أبا حنيفة لم يحدث الفقه التقديري اعني الفتوى في مسائل لم تقع ويفرض وقوعها ولكنه نماه ووسعه وزاد فيه بما كثر من التفريع والقياس وهذا الفقه التقديري يوجد قبل أبي حنيفة أيضا ولو كان إبراهيم النخعي قلل تحاماه والفقه التقديري كان شائعاً في الكوفة في عهد حماد كثيراً فلا بد أن أبا حنيفة لم يحدثه ولكن قد وجده فنماه و زاد فيه واكثر من التفريع في المسائل .

فلا بد أن تكون قائمة على أصول وان تكون مؤسسة على قواعد الاستنباط و لم يسعفنا التاريخ ببيان هذه القواعد مفصلة بسند متصل إلى أبي حنيفة نفسه ولقد وجدنا في كتب المتأخرين أصولا مفصلة قرروا أنها أصول الاستنباط في المذهب الحنفي وذكروا الاختلافات بين أئمة ذلك المذهب في هذه الأصول كما قال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي "في الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف واعلم اني وجدت اكثر يزعمون ان بناء الاختلاف بين أبي حنيفة والشافعي على هذه الأصول المذكورة في كتاب البزدوي ونحوه وانما الحق ان اكثرها أصول مخرجة على قولهم " .

فالأصول التي يذكرها الحنفية على انها أصول المذهب الحنفي أو الاصول التي بنى عليها أئمة استنباطهم ليست من وضع أئمته بل هي من وضع العلماء في ذلك المذهب الذين جاءوا بعد عصر الأئمة وتلاميذهم الذين اتجهوا إلى استنباط القواعد التي يضبط بها استنباط فروع المذهب فهي جاءت متأخرة ومستندة لبعض الفقهاء كالبزدوي والكرخي وغيرهما فتكون الأصول قسمين :

قسم ينسبونه إلى الأئمة على انه القواعد التي لاحظوها عند الاستنباط وهذا يذكرون فيه الفروع الدالة على صحة القاعدة والقسم الثاني أراء الفقهاء المذهب الحنفي كرأي عيسى بن ابان في رواية الواحد الضابط غير الفقه إذا كانت مخالفة للقياس والكتاب أصول فخر الإسلام البزدوي أوفى الكتب في القسم الأول . وقد بيننا على ضوء هذا التحقيق أصول المذهب الحنفي وما صدره في مقام آخر فلتمعن النظر يفيدك ان شاء الله .

مهما يكن الأمر فانا سنأخذ فقه الإمام عن تلامذه و أصحابه وليس لنا طريق غير ذلك ولقد كان للإمام تلاميذ كثيرون :

منهم : من كان يرحل إليه ويستمع امداً ثم يعود إلى بلده بعد ان يأخذ طريقة ومنهاجه .

ومنهم : من لازمه وقد قال في أصحابه الذين لازموه اكثر من مرة هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً .

ومنهم :ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء وستة يصلحون للفتوى واثنان أبو يوسف وزفر يصلحان لتأديب القضاة وأرباب الفتوى (المناقب لابن البزازي ١/ص ١٢٥) .

ولذلك يختار بالبيان المؤجز بعض أصحابه الذين لهم تدوين سواء كانت طالت ملازمتهم أم لم تطل ما دام لهم أثر في نقل مذهبه إلى الاجيال اللاحقة . أولهم الإمام أبو يوسف رح وهو يعقوب ابن ابرايهم بن حبيب الأنصاري نسباً والكوفي منشأ وتعلماً ومقاماً فهو عربي ولد ١١٣ هـ وتوفي ١٨٢هـ ،

قال ابن جرير الطبري كان أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي فقيهاً عالماً حافظاً " ولقد ولى القضاء لثلاثة من الخلفاء للبمهدي ثم الهادي ثم الرشيد ويقول ابن عبد البر كان الرشيد يكرمه ويجله و كان عنده حظياً مكيناً (الانتفاء ص ١٧٢) .

وقد استفاد الفقه الحنفي من أبي يوسف فوائد جليلة أو ان اختياره للقضاء جعله يصقل المذهب صقلاً عملياً . وكان القاضي الأول للدولة فكان كل نفود له يشهد منه مذهبه نفوداً ولابي يوسف كتب كثيرة دون فيها آراءه وأراء شيخه وله من الكتب في الأصول والامالي ذكرها ابن نديم في الفهرست ٢٨٦ من كتاب الخراج وكتاب اختلاف الامصار وكتاب الآثار وغيرها .

وثانيهم محمد بن الحسن الشيباني يكني أبا عبد الله ولد سنة ١٣٢هـ وتوفي ١٨٩هـ

ولقد كانت سنة يوم مات أبو حنيفة نحو الثامنة عشرة فـــهو لم يتلق من أبي حنيفة امداً طويلاً ولكنه اتم دراسته لفقه العراق علـــى أبي يوسف ولقد أخذ عن الثوري والأوزاعي و رحل إلى مالك ،وتلقـــى عنه الحديث والرواية بعد أن تلقى عن العراقين فقه الـــراي والدرايـــة فتلقى فقه العراق كاملاً وفقه الحجاز فقه الشام أيضـــا وولي القضـــاء للرشيد وكان في محمد اتجاه إلى التدوين فهو الذي يعد بحق ناقل فقـــه العراقيين إلى الاختلاف وكانت له مكانة من كونه اماماً مجتهداً وكتب الإمام محمد تعد المرجع الأول لفقه أبي حنيفة سواء كان ذلك بروايـــة عن أبي يوسف أو ماكان دونه من فقه أهل العراق تلقـــاه عـــن أبي يوسف وغيره وليست كتب الإمام محمد كلها في درجة واحدة مـــن حيث الثقة بمابل قسمها العلماء إلى قسمين .

القسم الأول كتب ظاهر الرواية وهي المبســـوط والزيـــادات والجامع الصغير والسير الصغير والسير الكبير والجامع الكبير وتســـمى الأصول وسميت بظاهر الواية لأنها رويت عن محمد رواية الثقات فـهي ثابتة عنه اما متواترة أو مشهورة (رسالة رسم المفتي لابن عـــابدين ص ١٩).

القسم الثاني التي لم تبلغ في نسبتها إلى محمد مبلغ القسم الأول وهي الكيسانيات والهارونيات والجرجانيات والرقيات وزيادة الزيادات ويقال لها غير ظاهر الرواية ويقال النوادر أيضاً فالقسم الأول هو عمار النقل في الفقه الحنفي وحيث نص على المسالة فيها فهي المذهب ولذلك عني العلماء بها من القديم فشرحوها وخرجوا مسائلها واصلوا أصولها وفروعها فقام في أوائل المائة الرابعة أبو الفضل محمد بن محمد بن احمد المروزي المشهور بالحاكم الشهيد والف كتاباً سماه الكافي وجمع فيه كتب الإمام محمد وشرحها شمس الأئمة السرخسي في كتاب سماه المبسوط وقد استفاض في بيان أصول المسائل وأدلتها وأوجه القياس فيها وهو حجة في كل ما اشتمل عليه .

ثالثهم زفر بن الهذيل وهو اقدم صحبة لأبي حنيفة من صاحبيه أبي يوسف ومحمد فقد توفي من ثمان وخمسين ١٥٨من الهجرة و لم يؤثر عنه كتب و لم تعرف له رواية لمذهب شيخه لأنه توفي بعد وفات شيخه ثماني سنوات وبينما الصاحبان عاش كل منها بعده اكثر من ثلاثين عاماً فتوافر لهم زمن الكتابة ،

ومن فقهاء المذهب الحنفي الذين يعدون من رواة اراء أبي حنيفة الحسن بن زياد اللؤلوي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٤ ويقولون أنه تلميذ

لأبي حنيفة وكان من أصحابه وقد أخذ عنه محمد بن سماعة ومحمد بن شجاع الثلجي وعلى الرازي وعمربن مهير والد الخصاف ولقد اثنى على فقهه كثيرون .

قال يحيى بن آدم ما رأيت أفقه من الحسن بن زياد وقد تولي القضاء الكوفة سنة ١٩٤ ثم استعفى .

قال الطحاوي له من الكتب كتاب المجرد لأبي حنيفة روايته وكتاب أدب القاضي وغيرهما.

فهؤلاء من أصحاب أبي حنيفة تلقوا عنه الفقه وامتازوا برواية الفقه الحنفي وتدوينه حتى أوصلوا إلى الاختلاف ثم أصحاب أصحاب الإمام الذين تلقوا عنهم الفقه نحو عيسى بن آبان قد تلمذ على الإمام محمد وتفقه عليه وقد تولي قضاء البصرة وله من الكتب كتاب الحج وكتاب خبر الواحد وكتاب الجامع وغيرها توفي في ٢٢٠هـ .

ومنهم: محمد بن سماعة قد كان تلميذا للإمام محمد بن الحسن بن زياد وروى كتب النوادر عن أبي يوسف ومحمد وقد تولى القضاء للملمون سنة ١٩٢ وتوفي سنة ٢٣٣ وله من الكتب كتاب ادب القاضي وكتاب المحاضر والسجلات والنوادر .

ومنهم: هلال بن يحيى البصري تتلمذ على يوسف بن خالد السمتي وعلى أبي يوسف، وزفر رح توفي سنة ٢٤٥هـ .

ومنهم: أحمد بن عمير بن مهير الخصاف أخذ الفقه عن أبيه وكان فقيها عارفاً بمذهب أبي حنيفة رح قال شمس الأئمة الحلواني الخصاف رجل كبير في العلوم وهم ممن يصح الاقتداء به وله الأوقاف وأيضا له كتب كثيرة توفي سنة ٢٦١هـ .

ومنهم: أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي ابتداء حياته بتلقي الفقه الشافعي على خاله إسماعيل بن يحيى المزني ثم تحنف وتلقى فقه العراقيين عن أبي حازم عبد الحميد قاضي قضاة الشام وكان هذا تلميذ العيسى بن آبان وان الإمام الطحاوي جمع دراسة الفقه الشافعي والفقه العراقي وقد أعطاه حرية فقد اكثر من غيره وانمى أخيراً إلى الحنفية وكان يعد فقيهاً مجتهداً قال الإمام الدهلوي أن مختصر الطحاوي يدل على انه كان مجتهداً ولم يكن مقلداً للمذهب الحنفي تقليداً محضاً فانه اختار اشياء تخالف مذهب أبي حنيفة رح لما لاح له

من الادلة القويمة توفي سنة ٢٣١ وله كتب كثيرة مثل كتاب معـــاني الآثار مشكل الآثار شرح الجامع الصغير .

هذه الكتب هي التي كتبها أصحاب أبي حنيفة أو أصحـــابهم أو تلاميذهم بعدهم تعتبر ينابيع الفقه الحنفي وقد جاء بعدهم المتــأخرون من الفقهاء فشرحوها وفرعوها أفتوا على مقتضاها واستنبطوا الادلة ثم اختصروا تلك الكتب في متون مختصرة جامعة وشرح تلـــك المتـــون علماء بشروح مستفيضة أو غير مستفيضة وهكذا فالكتب التي رويـــت في الفقه الحنفي ليست في درجة واحدة من حيث قوة الرواية بـــل مراتب ثلاث .

أولاها : الأصول وتسمى ظاهر الرواية كما قلنا .

والثانية . النوادر وهي مروية عن أصحاب المذهب في غـير الكتـــب الستة المذكورة .

والثالثة : الفتاوى والواقعات وهي مسائل التي اســـتنبطها المجتـــهدون المتأخرون مثل أصحاب أبي يوسف ومحمد وأصحاب من بعدهم وهذه

مسائل الواقعات والفتاوى انزل مرتبة من الأصول والنوادر لأن الأصول أقوال أصحاب المذهب وهذه المسائل والفتاوى تخريجات على أقوالهم ، وقد يكون فيه مخالفة للمروي منهم ، وتقبل على أنها اجتهاد من أصحابها لا أنها أقوال الإمام أبي حنيفة وأصحابه فهي تؤخذ على انها آراءهم ومن مجموع هذه الأقسام الثلاثة يكون المذهب الحنفي واليك هذا الكلام الموجز وعليك بالمطولات . والله اعلم .

الفائدة الحادية والأربعون

في فقه الإمام وأصول مذهبه

اعلم ان الإسلام قرآن وسنة واتفاق أئمة المسلمين ومجتهديهم من الصحابة ومن بعدهم على حكم شرعي أو فهم وقياس اوتيه رجل عالم بالدين وبصير بأصوله ووسائله . قد كان الإمام أبو حنيفة رح حافظاً لكتاب الله تعالى كما كان حافظاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحافظاً لاقوال الصحابة وفتواهم وما اجتمعوا عليه وما اختلفوا فيه رزقهم الله تعالى شيوخاهم جبال العلم والفقه .

جاء في كتاب الانتقاء أن أبا حنيفة رضي الله عنه قال " آخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول الصحابة أخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم فإذا انتهى الأمر أو جاء إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم وعدد رجالاً فقوم اجتهدوا فاجتهد كما اجتهدوا ،

وجاء في المناقب للموفق المكي بسنده إلى سهل بن مزاحم قال " كلام أبي حنيفة اخذ يالثقة وفرار من القبح والنظر في معاملات

الناس وما استقاموا عليه وصلح عليه أمورهم بمضي الأمور على القياس فإذا قبح القياس امضاها على الاستحسان مادام يمضي له فإذا لم يمض له رجع إلى ما يتعامل المسلمون به وكان يوصل الحديث المعروف الذي قد اجمع عليه ثم يقيس عليه ما دام القياس سائغاً ثم يرجع إلى الاستحسان ايهما كان أوفق رجع إليه . قال سهل هذا علم أبي حنيفة رحمه الله تعالى علم العامة (ص٨٩).

وأيضا فيه بسنده إلى الحسن بن صالح قال " كان أبو حنيفة شديد الفحص عن الناسخ في الحديث والمنسوخ فيعمل بالحديث إذا ثبت عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وكان عارفاً بحديث أهل الكوفة وفقه أهل الكوفة شديد الاتباع لما كان عليه الناس ببلده " وقال كان يقول " أن لكتاب الله ناسخاً ومنسوخاً وأن للحديث ناسخاً ومنسوخاً " وكان حافظاً لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخير الذي قبض عليه مما وصل إلى بلده " (١ ص٩٠) .

ونقل ابن عبد البر بسنده إلى محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال العلم على أربعة أوجه ما كان في كتاب الله الناطق وما اشبهه وما كان في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثورة وما اشبهها وما كان فيما اجمع عليه الصحابة وما أشبهه وكذلك ما اختلفوا فيه لا

يخرج على جميعهم فان وقع الاختيار فيه على قول فهو علم نفيس عليه ما اشبهه وما استحسنه فقهاء المسلمين وما اشبهه وكان نظيراً لـه ولا يخرج العلم عن هذه الوجوه الأربعة (٢ ص ٣٦)

فهذه النقول تدل على مجموع المصادر الفقهية عند الإمام رحمه الله فهي القرآن العظيم والسنة الشريفة وما اجمع عليه الصحابة وما اختلفوا فيه لا يخرج عن أقوالهم والقياس والاستحسان والعرف أي اتباع ما عليه الناس ببلده وبقي بهم الفقهاء وأهل العلم .

واما شرحه فالقرآن العظيم هو كتاب الله تعالى المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم بواسطة ملك الوحي جبرئيل المنقول الينا نقلاً متواتراً والمجموع بين دفتي المصحف والذي اعجز البشر عن الاتيان باقصر سورة من مثله ولا يزال يعجزهم ولن يزال باذن الله تعالى .

فهذا القرآن عند الإمام رحمه الله هو المصدر الأول والاعلى في مسائل الفقه لأنه الكتاب القطعي الثبوت ولا يصل إلى رتبته في الثبوت الا الحديث المتواتر ولذلك لا يرى نسخ القرآن بخبر الاحاد من السنة وانما يعمل بهما ما أمكن والا ترك السنة الظنية للكتاب القطعي مثاله قال الله تعالى " فاقرؤوا ما تيسر من القرآن " وقال عليه السلام لا

صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " متفق عليه فيحكم بان اصل قـــراءة القرآن في الصلاة ركن وأما قراءة الفاتحة فهي واجبة وبذلـــك عمـــل بالقرآن والسنة جميعاً وبناءً على هذا الأصل عنده لا يجعل الطمانينـــة فرضاً في الركوع وغيره لأن الركوع فرض بنص الآية "اركعوا" وأمـــا الطمانينة فثابتة بخبر آحاد وهو حديث المسيئ صلواته فجعل الطمانينـة واجبة .

والمصدر الثاني هي السنة الشريفة وهي ما ثبت عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعـــل أو تقريـــر أو صفـــة خلقيـــة او خلقية .

و الإمام لا يجعل السنة كلها في رتبة واحدة بل يقدم مثله السنة القولية على الفعلية والسنة المتواتر على أخبار الآحاد عند التعارض وعـــدم امكان الجمع بينهما مثاله فقد ثبت بالتواتر أداءه صلى الله عليه وســـلم كل صلاة في وقتها الا صلاتي العصر والمغرب في عرفة ومزدلفة فجمع بين الظهر والعصر في عرفة وقت الظهر وجمع بين المغـــرب والعشـــاء بمزلفة في وقت العشاء فهو أمر متواتر .

وأيضاً ثبت جمعه صلى الله عليه وسلم بين بعض الصلـــوات في السفر وهو خبر آحاد فيرى الإمام رحمه الله ان الجمع في عرفة ومزدلفة

جمع حقيقي وكان من نسك الحج والجمع في السفر انما هـو جمـع صوري رخصة عند العذر عملا بالحديثين بل يترك العمل بخبر الآحـاد إذا خالف قاعدة شرعية مأخوذة من نص القرآن أو السنة كما تـرك العمل بحديث الخراج بالضمان " .

والمصدر الثالث الإجماع وهو ما اجمع عليه أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم وما اختلفوا فيه لا يخرج عن أقوالهم إلى أقوال غيرهم فان الصحابة هم أولئك الأخيار الذين صحبوه صلى الله عليـه وسلم وأخذوا العلم والفهم عنه ولقد أكرمهم الله تعالى برتبة لامتثـال بفقه وعبادة فهذا هو إجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين " فهذا مقدم أولاً ثم الإجماع الذي هو اتفاق الأئمة المجتهدين في عصر مـن العصور على حكم شرعي وهو إجماع الفقهاء في بلدة خاصة وكـل من هذا الإجماع حجة معمول به وتركه مشاقة الله ولرسوله وسـبيل المورخين كما قال تعالى " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبـين لـه الهدى ويتبع غير سبيل الموقين نوله ما تولى ونصله جـهنم وسـاءت مصيراً " .

وقال عليه السلام أن امتي لن تجمع على ضلالة فـإذا رأيتـم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم " رواه ابن ماجة وغيره وهو صحيح .

والمصدر الرابع القياس وهو الحاق فرع باصل فيه نص بحكم معين من الوجوب أو الحرمة لوجود علة الحكم في الفرع كما هي في الأصل ويسمى هذا اجتهاداً أيضا . ولقد علمنا رسول لله صلى الله عليه وسلم عن طريق المقايسة مثاله روى أنه قال لعمر حين سأله عن القبلة في حالة الصوم ورأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته اكان يضرك " هذا تعليم بالمقايسة فان بالقبلة يفتتح طريق اقتضاء الشهوة ولا يحصل بعينه اقتضاء الشهوة كما أن بادخال الماء في الفم يفتتح طريق الشرب ولا يحصل به الشرب " كما في أصول السرخسي ٢ ص ١٣٠ .

وأيضاً قال عليه السلام لمعاذ حين وجهه إلى اليمن قاضياً: بم تقضي ؟ قال : بكتاب الله قال : فان لم تجد في كتاب الله قال : بسنة رسول الله قال : فان لم تجد في سنة رسول الله قال : اجتهد برأئي قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لا يرضى به رسوله (رواه أبو داؤد وغيره) .

والامام رحمه الله يقدم السنة ولو كان حديثاً مرسلاً على القياس ولذا قال بنقض الوضوء من الدم السائل من البدن وبانتقاض وضوء المصلى وفساد صلواته إذا ضحك قهقهة في صلواته والحديثان مرسلان وأيضاً يقدم الحديث الضعيف على القياس روى الإمام الشعراني بسنده

إلى الإمام الأعظم رحمه الله تعالى انه قال كذب والله وافترى علينا من يقول : اننا تقدم القياس على النص وهل يحتاج بعد النص إلى قياس (الميزان١ ص ٥١) .

وقال أيضا : نحن لا نقيس الا عند الضرورة الشديدة وذلك اننا ننظم في دليل المسألة من الكتاب والسنة وأقضية الصحابة فان لم نجد دليلاً قسنا مسكوتاً على منطوق" (أصول السرخسي ٢ ص ١٤٩) .

وأيضا يروي أن أبا جعفر المنصور كتب إليه : بلغني انك تقدم القياس على الحديث فرد عليه أبو حنيفة برسالة جاء فيها " ليس الأمر كما بلغك يا أمير المؤمنين انما اعمل أولا بكتاب الله ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم باقضية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم باقضية بقية الصحابة ثم اقيس بعد ذلك إذا اختلفوا " (أصول السرخسي ٢ ص١٥٠).

وقد ذكر الإمام السرخسي المتوفى سنة ٤٩٠هـ أن شروط العمل بالقياس في مذهب الإمام رحمه الله عليه خمسة :

أحدها : أن لا يكون حكم الأصل مخصوصاً به بنص آخر

والثاني : أن لا يكون معدولاً به عن القياس .

الثالث : ان لا يكون التعليل للحكم الشرعي الثابت بالنص بعينه حتى يتعدى به إلى فرع هو نظيره ولا نص فيه .

الرابع : أن يبقى الحكم في المنصوص بعد التعليل على ما قبله .

والخامس : أن لا يكون التعليل متضمناً أبطال شئ من ألفاظ المنصوص (أصول السرخسي ٢ ص١٥٠) .

والمصدر الخامس : الاستحسان وهو لغة وجود الشئ حسناً وفي لسان الفقهاء نوعان :

(أ) العمل بالاجتهاد وغالب الرأي في تقدير ما جعله الشرع موكولاً إلى آرائنا مثاله قوله تعالى "متاعاً المعروف حقاً على المحسنين" أوجب المتعة بحسب اليسار والعسرة وشرط أن يكون بالمعروف فعرفنا أن المراد ما يعرف استحسانه بغالب الرأي.

(ب) والنوع الآخر هو الدليل الذي يكون معارضاً للقياس الظاهر الذي تسبق إليه الاوهام قبل امعان النامل فيه وبعد أمعان التامل في حكم الحادثة واشباهها من الأصول يظهر أن الذي عارضه فوقه في القوة فان العمل به هو الواجب فسموه بذلك استحساناً للتمييز بين هذا النوع من الدليل وبين الظاهر الذي تسبق إليه الاوهام (أصول السرخسي٢ ص ٢٠).

ضرب الإمام رحمه الله تعالى مثالاُ فقال إذا قال لامرأتـــه إذا حضـــت فأنت طالق فقالت قد حضت فكذبها الزوج فإنها لا تصدق في القيـاس باعتبار الظاهر وهو ان الحيض شرط للطلاق كدخولها الدار وكلامـها زيداً وفي الاستحسان تطلق لأن الحيض شئ في باطنها لا يقف عليــه غيرها . فلا بد من قبول قولها بمترلة المحبة والبغض . لقد بـــان اذن ان الاستحسان عند الإمام رحمه الله ليس اتباعـــاً للــهوى ولا حكـــم بالأغراض لكن ذلك اختيار أقوى الدليلين في حادثة معينـــة (أصـــول السرخسي٢ ص ٢٠٢) .

المصدر السادس : هو العرف والعادة وهو ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول والأصـــل في اعتبـــار العرف دليلاً شرعياً قول ابن مسعود ما رآه المسلمون حسناً فهو عنـــد الله حسن (رواه أحمد وغيره) وانما يكون العرف دليلاً لا دليل شرعي من كتاب وسنة واما إذا خالف العرف الكتاب والسنة كتعارف بعض التجار التعامل بالربا واختلاط النساء مع الاقارب غير المحـــارم فـــهو عرف مردود لأنه محاد للشرعية ومخالف لها ،

وقد ذكر الفقيه محمد أمين الشهير بابن عابدين الشامي طائفـــة من المسائل القائمة على العرف في رسالته العرف والتي تغير فيها الحكم

لاختلاف الازمان مما يدخل تحت قاعدة " لا ينكر اختلاف الأحكام باختلاف الازمان " أي اختلاف الأحكام القائمة على العرف اما الأحكام القائمة على النصوص فهي قضية على الأزمان والأمكنة .

لقد ورث أبو حنيفة رحمه الله علم عمر و علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم أخذه عنهم علومهم بواسطة شيوخه البالغين أربعة آلاف رجل وبواسطة فقهاء الكوفة خاصة وكان شيخه حماد الذي اختص به ثماني عشرة عاماً دون انقطاع يلازمه ليلاً ونهاراً

وكان رحمه الله أول من رتب مسائل الفقه ودونها في سجلات يقوم بذلك الإمام أبو يوسف في غالب الاحيان وغيره حيناً حتى بلغت مسائله المعروفة خمس مائة ألف مسألة ولقد انتشر هذا الاسلوب الفقه الجديد في ترتيبه وعرضه بين العامة والخاصة في الكوفة وسائر العراق وأخذ به كبار المحدثين وكبار الفقهاء ،

قال المحدث محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي " أبو حنيفة أول من ألف في أصول الدين و أصول الفقه والفرائض ودون الكتب ورتب الابواب " كان الإمام رحمه الله فقيهاً مجتهداً حافظاً لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة وأقوالهم وأقوال التابعين لهم بإحسان و لم يكن مجرد راوية للحديث ووعاء له

ولذا اصل قواعد خاصة و أصولا معينة وتبعه عليها كثيرون في قبول النصوص وترتيبها عند تعارضها وتقديم بعضها على بعض عند التعارض وغير ذلك مما كتب عنه بعد علماء أصول الفقه و لم يكن في ذلك مبتدعاً معاذ الله اذ هو من التابعين ولا صاحب هوى وغرض انما كان سنده أقوال الصحابة وفتاواهم وأقوال التابعين وفتاواهم أقوال أهل اللغة :

(١) هذا علي رض يقدم القياس على خبر الواحد في المسألة التالية سئل ابن مسعود عن امرأة مات زوجها و لم يفرض لها صداقاً فقال لم ار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي في ذلك فاختلفوا إليه شهراً وفكر فاجتهد برأيه وقضى بأ لها مهر نسائها لاوكس ولا شططاً وعليها العدة ولها الميراث فقدم معقل بن يسار فشهد بأنه صلى الله عليه وسلم قضى بمثل ذلك ففرح ابن مسعود فرحة لم يفرح كذلك قط ،

وكان علي رض يخالفه في الصداق ويقول لا صداق ولا نقبل قول اعرابي أشجع على كتاب الله قال تعالى " لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة " الآية . نزلت في الطلاق فقاس عليه الموت فقدم القياس على خبر الواحد (الفكر

السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للشيخ محمد بن الحسن الحجوي٢ ص٢ ٤) .

(٢) وهذا عمر بن الخطاب يرد حديثاً بظاهر آية لقد شهدت فاطمة بنت قيس عند عمر انها كانت مطلقة الثلاث فلم يجعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة ولا سكنى فرد عمر شهادتها وقال لا نترك كتاب الله وعني قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن لقول امرأة لا ندري أحفظت أم نسيت لها النفقة والسكنى (الفكر السامي ٢ ص٢ ٤) .

هكذا يفعل بعض فقهاء الصحابة في بعض الاحيان يرد اخبار الآحاد على ضوء نصوص القرآن أو على أصول ممهدة عنده التي فهمها من النصوص وهؤلاء أصحاب رسول الله يختلفون في التمسك بظواهر النصوص أو المعنى المقصود من التشريع الحكيم مثاله إذا هلكت هالكة عن زوج وابوين فقال ابن عباس للزوج نصف التركة وللام ثلثها وللاب ما بقي تمسكاً بظاهر قوله تعالى " فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث وقال زيد وبقية اعلام الصحابة لها ثلث ما بقي عن الزوج نظراً للمعنى لأنها هي والاب ذكر وأنثى ورثا بجهة

واحدة للذكر مثل حظ الانثيين كالاولاد (الفكر السامي ٢ ص١٣٦)

قال العلامة الزاهد الكوثري ومن ظن بابي حنيفة انه قليل الحديث أو كثير الأخذ بالاحاديث الضعيفة جهل ذلك كله وجهل شـــروط قبول الاخبار عند الأئمة ووزن علوم أئمة الاجتهاد بميزانـــه الخـــاص الذي ربما يكون مختل العيار وللامام أصول ناضجة في باب اســـتنباط الأحكام ربما يرميه بكل ما تقدم من جهل ذلك

(١) ومن تلك الأصول قبول المرسلات مـــن الثقـــات إذا لم يعارضها ما هو أقوى منها والاحتجاج بالمرسل كان ســـنة متوارثـــة جرت عليه الأمة في القرون الفاصلة حتى قال ابن جرير رد المرســـل مطلقاً بدعة حدث في رأس المائتين كما ذكره الباجي في أصوله وابـــن عبد البر في التمهيد وابن رجب في شرح علل الترمذي وغيرهم .

(٢) ومن أصول الإمام رحمه الله عرض اخبار الآحـــاد علـــى الأصول المجتمعة عنده بعد استقرائه مواد الشرع فإذا خـــالف خـــبر الآحاد تلك الأصول يأخذ بالاصل عملاً بأقوى الدليلين ويعد الخـــبر المخالف له شاذا ولذلك نماذج كثيرة في شرح معاني الآثار للطحـــاوي

وليس في ذلك مخالفة لخبر بدت علة فيه للمجتهد وصحة الخبر فـــرع خلوه من العلل القادحة عند المجتهد .

(٢) ومن أصوله أيضا عرض أخبار الآحاد على عمومات الكتـــاب وظواهره فان خالف عاماً أو ظاهراً في الكتاب أخذ بالكتـــاب وترك الخبر عملاً بأقوى الدليلين أيضا لأن الكتـــاب قطعـــي الثبوت وظواهره وعموماته قطعية الدلالة عنده لأدلة ناهضـــة مشروحة في مفصلات كتب الأصول كفصول أبي بكر الرازي وشامل الاتقاني ،

واما إذا لم يخالف خبراً عاماً أو ظاهراً في الكتاب بل كان بيانـــاً لمجمل فيه فيأخذ به حيث لا دلالة فيه بدون بيان ولا يدخل هـــذا في باب الزيادة على الكتاب بخبر الآحاد وأن توهم ذلك بعض من تعـــود التشغيب .

(٤) ومن اصوله أيضا في الاختلاف بخبر الآحاد ان لا يخالف الســـنة المشهورة سواء كانت سنة فعلية أو قولية عملاً باقوى الدليلين أيضا .

ومن أصوله أيضا في الأخذ بذلك ان لا يعارض خـــبراً مثلـــه وعنـــد التعارض يرجح أحد الخبرين على الآخر بوجوه ترجيح تختلف أنظـــار المجتهدين فيه كما بينت في موضع آخر.

(٥) ومن أصوله أيضا ان لا يعمل الراوي بخلاف خبره كحديث أبي هريرة في غسل الاناء من ولوغ الكلب سبعاً فانه مخالف لفتيا أبي هريرة فترك الإمام العمل به لتلك العلة .

(٦) ومن أصوله أيضا رد الزائد متناً كان أو سنداً إلى الناقص احتياطاً في دين الله كما ذكره ابن رجب .

(٧) ومن اصوله أيضا عدم الأخذ بخبر الآحاد فيما تعم به البلوى فلا يكون طريق ثبوت ذلك غير الشهرة والتواتر ويدخل في ذلك الحدود والكفارات التي تدرأ بالشبهة .

(٨) ومن أصوله أيضا ان لا يترك أحد المختلفين في الحكم من الصحابة الاحتجاج بالخبر الذي رواه احدهم .

(٩) ومن أصوله أيضا في خبر الآحاد ان لا يسبق طعن من السلف عليه.

(١٠) ومن أصوله الأخذ بأخف ما ورد في الحدود والعقوبات عند اختلاف الروايات .

(١١) ومن أصوله استمرار حفظ الراوي لمروية من أن التحمل إلى الاداء من غير تخلل النسيان .

(١٢) ومن أصوله عدم تعويل الراوي على خطة ما لم يذكر مروية .

ومن أصوله الأخذ بالاحوط عند اختف الروايات التي في الحدود التي تدرأ بالشبهات كأخذه برواية قطع السارق بما ثمنه عشرة دراهم دون رواية ربع دينار من حيث أنه ثلاثة دراهم فتكون رواية عشر دراهم أحوط وأجدر بالثقة حيث لم يعلم المتقدم من المتأخر حتى يحكم بالنسخ لأحدهما .

(١٣) ومن أصوله أيضا الأخذ بخبر تكون الآثار أكثر في جانبه .

(١٤) ومن أصوله عدم مخالفة الخبر للعمل المتوارث بين الصحابة والتابعين في أي بلد نزله هؤلاء دون اختصاص بمصر دون مصر كما أشار إلى ذلك الليث بن سعد فيما كتب إلى مالك وله أصول اخرى من أمثال ما سبق تحمد على الإعراض عن كثير من الروايات عملاً بالاقوى (تانيب الخطيب ١٥٣) .

وقال الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشافعي مؤلف السير الشامية كتابه عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان في الفصل الثالث منه ما نصه : قال ابن عبد البر في كتاب الكنى كان مذهب الإمام أبي

حنيفة في أخبار الآحاد أن لا يقبل منها ما خالف الأصول المجمع عليها فانكر عليه أصحاب الحديث وافرطوا ،

" وقال في الانتقاء كان يذهب أبو حنيفة إلى عرض اخبار الآحاد على ما اجتمع عليه من الأحاديث ومعاني القرآن فما شذ عن ذلك رده وسماه شاذاً وقال في كتاب العلم " ليس أحد من علماء الأمة يثبت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرده دون ادعاء نسخ ذلك باثر مثله أو باجماع أو بعمل متوارث يجب على اصله الانقياد إليه أو طعن في سنده ولو فعل ذلك أحد لسقطت عدالته فضلاً عن أن يتخذ إماما ولزمه اسم الفسق ولقد عافاهم الله تعالى من ذلك ، والله أعلم .

الفائدة الثانية والأربعون

في أسماء شركاء تدوين فقه الحنفي

الذين اشتركوا مع الإمام أبي حنيفة في تدوين الفقه وكانوا أصحابه وشركاءه فهم كثيرون ولكن اختص بهذا الأمر الجليل أربعون منهم فاستحسنا ان نذكر أسماء هؤلاء الأصحاب كي تشير كيف كان فقه الحنفية في بدء أمره وهم حسب ما يلي :

١) الإمام زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم المولود سنة ١١٠هـ والمتوفى سنة ١٥٨هـ .

٢) الإمام مالك بن مغول البجلى المتوفى سنة ١٥٩هـ اخرج عنه الشيخان .

٣) الإمام داؤد بن نصير الطائي الكوفي سنة ١٦٠هـ .

٤) الإمام مندل بن علي سنة ١٦٨ أخرج عنه أبو داؤد وابن ماجة

٥) الإمام نصر بن عبد الكريم سنة ١٦٩ .

٦) الإمام عمرو بن ميمون البلخي سنة ١٧١ أخر عنه الترمذي في جامعه .

٧) الإمام حبان بن علي سنة ١٧٢ اخ الإمام مندل بن علي اخرج عنه ابن ماجة .

٨) الإمام أبو عصمة نوح بن أبي مريم سنة ١٧٣ أخرج عنه ابن ماجة .

٩) الإمام زهير بن معاوية سنة ١٧٣ اخرج عنه أصحاب السنة .

١٠) الإمام قاسم بن معين سنة ١٧٥ أخرج عنه أصحاب السنن .

١١) الإمام حماد بن الإمام الأعظم ١٧٦ .

١٢) الإمام هياج بن بسطام سنة ١٧٧ .

١٣) الإمام شريك بن عبد الله الكوفي سنة ١٧٨ اخرج عنه مسلم وأبو داؤد والنسائي وابن ماجة .

١٤) الإمام عافية بن يزيد القاضي سنة ١٨٠ اخرج عنه النسائي .

١٥) الإمام عبد الله بن المبارك امير المؤمنين في الحديث ١٨١ أخر عنه أصحاب الستة .

١٦) الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الحافظ الحجة في الحديث سنة ١٨٣ .

١٧) الإمام أبو محمد نوح بن دراج النخعي الكوفي سنة ١٨٢أخرج عنه ابن ماجة .

١٨) الإمام هشيم بن بشير السلمي الواسطي سنة ١٨٣ .

١٩) الاما يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني الكوفي سنة ١٨٣ .

٢٠) الإمام فضيل بن عياض العالم الرباني سنة ١٨٧ أخرج عنه أصحاب الصحاح الستة .

٢١) الإمام اسد بن عمرو بن عامر البجلى الكوفي سنة ١٨٨ أخرج عنه ابن ماجة .

٢٢) الإمام محمد بن الحسن الشيباني المجتهد الجليل المولود سنة ١٣٢ والمتوفى سنة ١٨٩ هـ

٢٣) الإمام علي بن مسهر القريشي الكوفي ١٨٩أخرج عنه أصحاب الستة .

٢٤) الإمام يوسف بن خالد السمتي سنة ١٨٩ .

٢٥) عبد الله بن ادريس الكوفي سنة ١٩٢ من رواة الصحاح الستة .

٢٦) الإمام فضل بن موسى السيناني سنة ١٩٢ .

٢٧) الإمام على بين ظبيان سنة ١٩٢من رواة ابن ماجة .

٢٨) الإمام حفص بن غياث سنة ١٩٤ من رواة الصحاح الستة .

٢٩) الإمام وكيع بن الجراح سنة ١٩٧ من رواة الصحاح الستة .

٣٠) الإمام هشام بن يوسف سنة ١٩٧ من رواة البخاري والسنن الأربعة .

٣١) يحيى بن سعيد القطان البصري سنة ١٩٨ من رواة الصحاح الستة .

٣٢) الإمام شعيب بن إسحاق الدمشقي سنة ١٩٨ من رواة البخاري ومسلم وأبى داؤد والنسائي وابن ماجة.

٣٣) الإمام أبو عمرو حفص بن عبد الرحمن البلخي سنة ١٩٩ من رواة أبي داؤد والنسائي .

٣٤) الاما أبو المطيع حكم بن عبد الله بن سلمة سنة ١٩٩ .

٣٥) الإمام خالد بن سليمان البلخي سنة ١٩٩ .

٣٦) الإمام عبد الحميد بن عبد الرحمن الكوفي سنة ٢٠٢ من رواة الشيخين وأبى داؤد والترمذي وابن ماجة .

٣٧) الإمام حسن بن زياد اللؤلوي سنة ٢٠٤ .

٣٨) الإمام أبو عاصم النبيل ضحاك بن مخلد البصري سنة ٢١٢ . من رواة الصحاح الستة .

٣٩) الإمام مكي بن إبراهيم البلخي ٢١٥ من رواة البخاري .

٤٠) الإمام حماد بن دليل القاضي سنة من رواة أبي داؤد .

الفائدة الثالثة والأربعون
في انتشار المذهب الحنفي في العالم

كان الإمام رحمه الله تعالى مخلصاً لله تعالى في تبليغ الفقه والعلم إلى الناس في كل صفح ومكان وقد رأينا بارك الله تعال في عمره وعمله فقد قصده طلاب العلم والفقه من كل حدب وصوب فاعترفوا من علمه وملئوا كئوسهم من فقهه ثم عادوا إلى بلادهم يعلمون النلس ويفقههم ،

فنشأ المذهب الحنفي بالكوفة في حياته وتدارسه العلماء بعد وفات شيخه ببغداد ،ثم شاع من بعد ذلك وانتشر في أكثر البلاد الإسلامية في مصر والشام وبلاد الروم وسائر العراق وما وراء النهر والافغان والهند والصين واليابان وتركستان والمغرب والأندلس واروبا كلها من شمالها إلى جنوبها وهولندا ورومانيا وبلغاريا والنمسا وتركيا واليونان ويوغسلافيا والبانيا حتى بلغ عدد المسلمين الذي يتعبدون الله تعالى على مذهبه شطر المسلمين ،

وقد ابتدأ مذهب أبي حنيفة ينال المترلة الرسمية التي سمحت له بالانتشار والاتساع من وقت أن ولى الإمام أبو يوسف منصب القضاء للرشيد ثم صار له السلطان الأكبر على القضاء في كل نواحي الدولة

بعد سبعين ومائة اذ اصبح قاضي القضاة فلم يكن قاض الا بـامره أو من يشير إليه ويرتضيه ولا بولي الا أصحابه فانتشرت بهذا عند العامـة آراء فقهاء العراق في كل بقاع الإسلامية ما عدا الاندلس التي انتشـر بها المذهب المالكي ،

ولذلك قال ابن حزم مذهبان انتشر في بدء امرهما بالرياسـة والسلطان الحنفي بالشرق والمالكي بالأندلس فأصبح مذهب الخلافـة العباسية من أيام هارون الرشيد وكان مذهب آل الليث والسـلاجقة والدولة الغزنوية ثم الدولة العثمانية التي عاشت في قلب اروبا الكـافرة ست مائة سنة ترفع راية الإسلام في عزة ، حتى والحكومات المصريـة والسورية والاردنية والعراقية واللبنانية وغيرها في شئون الإفتـاء وفي المحاكم الشريعة ، وهي الجذوة التي ستشتغل وتتسع حتى تعم سـائر جهات الحكم والقضاء بإذن الله تعالى قال الشيخ عبد الوهاب الحـافظ رحمه الله ان الإفتاء استمر بالشام سبع مائة سنة للمذهب الحنفي ،

وقال الشيخ عبد الرشيد النعماني في تعليقه على التعليم " ولم تزل الخلفاء الراشدون المهديون من آل عباس بن عبد المطلب ذاهبـين هذا المذهب معتقدين لأصوله عاملين لفروعه ناصرين لأصحابه أولهـم المنصور والمهدي والرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل

والمعتقد والمقتدر والمطيع والقادر والقائم والمكتفي وكانوا جميعاً من المبرزين في علم الأصول والفروع من أهل النظر والفتيان على مذهب أبي حنيفة وكذلك سلاطين آل طاهر وآل ساسان وآل الليث وآل صفار وآل سبكتكين وآل سلجوق الذين كانوا ملوك الإسلام وسلاطين الأرض كانوا على مذهب أبي حنيفة منتمين إليه متعصبين له إلى يومنا هذا .

وقال العلامة ابن عابدين فالدولة العباسية وان كان مذهبهم مذهب جدهم فاكثر قضاتها ومشايخ اسلامها حنفية يظهر ذلك لمن تصفح كتب التواريخ وكانت مدة ملكهم خمس مائة سنة تقريباً ،

واما الملوك السلجوقيون وبعده الخوارزميون فكلهم حنفيون وقضاة ممالكها غالبها حنفية واما ملوك زماننا سلاطين آل عثمان فمن تاريخ تسع مائة إلى يومنا هذا لا يولون القضاء وسائر مناصبهم الأحنفية " وفي أفريقية أي طربلس وتولس والجزائر لم يكن مذهب أبي حنيفة في اول أمره غالباً أو شائعاً حتى تولي قضاءها أسد بن الفرات بن سنان فظهر ظهوراً كثيراً قال ابن فرخون ان المذهب الحنفي ظهر ظهوراً كثيراً بافريقية إلى سنة ٤٠٠ وانقطع بعدها ودخل منه شئ إلى ما وراءها من المغرب قديماً إلى الأندلس "

واما مصر فقد عرفت مذهب العراقي في عهد المهدي عندما تولى قضاءها إسماعيل بن اليسع الكوفي وكان المذهب الحنفي ممكن السلطان في مصر ما قوى سلطان العباسيين ولكن كان الشعب أكثرهم .

أما على مذهب الشافعي أو على مذهب مالك ولذلك كلن في مصر القاضي الحنفي قضاة من الشافعية والمالكية استمر الأمر كذلك إلى ان استولى الفاطميون على مصر فجعلوا مذهب الشيعة الاسماعيلية هو المذهب الرسمي ،

ولما قامت الدولة الايوبية اتجهت إلى اعادة نفوذ المذهب الشافعي والمذهب المالكي إلى ما كان من قبل فانشأوا المدارس لهذين المذهبين وذلك لأن صلاح الدين كان شافعياً والشعب كان للمذهب المالكي فيه سلطان ،

ولكن لما آل الأمر في الشام إلى نور الدين الشهيد وكان حنفياً نشر مذهبه بالشام ومن الشام قدم إلى مصر ولكنه في هذه المرة نزل في الشعب لا في الحكومة فقط كما قدم اولاً في عهد سلطان العباسيين ولما استولى العثمانيون على مصر كان القضاء كله على مذهبابي حنيفة

فرغب كثيرون من طلبة العلم في معرفته واستفاد منه ذلك نفوذاً كثيراً .

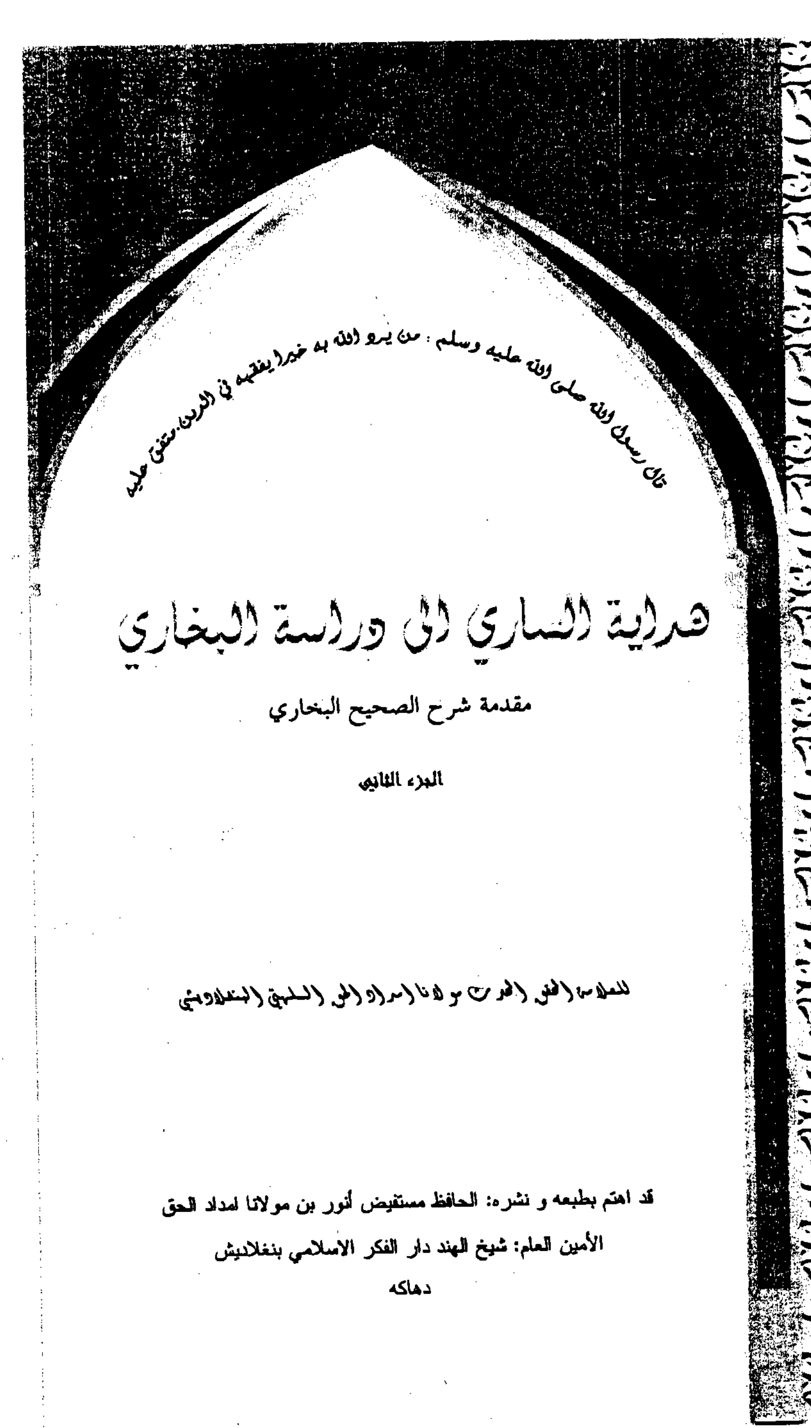
وأما الشام ففيها وما حولها فالمذهب الحنفي أمكن واما بلاد المشرق والعراق وما وراءه أي خراسان سجستان وما وراء النهر فكان اكثرهم حنفيين وكان المذهب الحنفي غالباً على أهل أرمينية وآذربيجان وتبريز وأهل الري والاهواز ثم كان في أول الأمر باقليم فارس كثير من الحنفية ثم غلب عليها المذهب الشيعي الاثناعشري.

وأما الهند ففيها المذهب الحنفي يكاد ينفرد بالسلطان والمذهب الذي يجاوره فيها الشافعي ولا يتجاوز عددهم مليوناً أو نحواً من هذا والباقون من الحنفية ومسلمو الصين ويتجاوز عددهم الاربعون مليوناً كذلك أكثرهم من الحنفية وهكذا ترى ذلك المذهب شرق وغرب كثر الآخذون به والسالكون لطريقه وهذا كله من بركة اخلاص الإمام أبي حنيفة وبركة علمه .

قال يحيى بن آدم كان كلام أبي حنيفة في الفقه لله ولو كان يسوبه شئ من الدنيا لم ينفذ إلى الافاق كل هذا النفاذ مع كثرة حساده و منتقصيه (رواه الموفق المكي) والله اعلم .

تمت





قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. متفق عليه

هداية الساري الى دراسة البخاري

مقدمة شرح الصحيح البخاري

الجزء الثاني

للعلامة الفقيه المحدث مولانا امداد الحق السلهتي البنغلاديشي

قد اهتم بطبعه و نشره: الحافظ مستفيض أنور بن مولانا امداد الحق

الأمين العام: شيخ الهند دار الفكر الاسلامي بنغلاديش

دهاكه

المحتويات في الجزء الثاني لهداية الساري الى دراسة البخاري

عدد	: المضامين	رقم الصفحة

المحتويات في الجزء الثاني لهداية الساري الى دراسة البخاري

عدد : المضامين رقم الصفحة

المحتويات في الجزء الثاني لهداية الساري الى دراسة البخاري

المحتويات في الجزء الثاني لهداية الساري الى دراسة البخاري

المحتويات في الجزء الثاني لهداية الساري الى دراسة البخاري

غدد	: المضامين	رقم الصفحة





الجزء الثاني :

الفائدة الأولى

في اسم الإمام البخاري وولادته

أما اسمه، فهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زبة، وهذه كلمة فارسية معناها الزراع وذكر العلامة تاج الدين السبكى في طبقاته الكبرى بعد برد زبة لفظ بذذبة أي بردزبة بن بذذبة، وكان بردزبة من مجوسيات الفرس على الديانة المجوسية، واسلم ابنه المغيرة على يد اليمان الجعفى والى بخاري، ولذا يقال للإمام البخاري الجعفى، فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من اسلم على يده شخص كان ولاءه له، وفيه روى عن تميم الداري انه قال: يا رسول الله! ما السنة في الرجل يسلم على يد الرجل من المسلمين؟ قال: هو أولى الناس بمحياه ومماته، (رواه ابوداؤد في كتاب الفرائض).

قال السمعانى: الجعفى بضم الجيم وسكون العين المهملة نسبة الى القبيلة وهى جعفى من سعدا العشيرة وهو من مذ حج، وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفدجعفة في الأيام التي توفى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ونسب إليها الجماعة.

أما ولده: إبراهيم بن المغيرة فقال الحافظ في مقدمة الفتح: لم اقف على ترجمته بشيء، وتبعه القسطلانى، وأما ولد إبراهيم

إسماعيل والد الإمام الهمام، فقال الحافظ في الفتح: انه يروى عن حماد بن زيد ومالك، وصحب ابن المبارك، وروى عنه عراقيون، وذكر الإمام البخاري في تاريخه الكبير أن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى أبا الحسن رأى حماد بن زيد صافح ابن المبارك بكلتي يديه وسمع مالكا، وذكره ابن حبان في الطبقة الرابعة من الثقات، وروى عنه احمد بن حفص ونصر بن الحسين وغيرهم وكان من الصالحين،

أما مولده، فاتفقوا على انه ولد بعد صلوة الجمعة لثلث عشر خلت من شوال سنه هـ ١٩٤ وانه توفى ليلة السبت عند صلوة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلوة الظهر سنه ٢٥٦ هـ وله اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما، ودفن بخرتنك قرية على فر سخين من سمر قند، ولم يعقب ولدا ذكرا. وبذلك جزم النووي والحافظ في مقدمة الفتح، وقال الحافظ ابن كثير: كان مولده ليلة الجمعة لثالث عشر من شوال وقال أبو يعلى الخليلى في كتاب إلا رشاد: لاثنتي عشرة ليلة من شوال، والحاصل انه قيل ولد ليلا، وقيل نهارا، ثم قيل كان لاثنتي عشرة، وقيل لثلث عشرة، ولكن الجمهور اجمعوا على انه ولد بعد صلوة الجمعة لثلث عشرة، فما يخالف ذلك من الأقوال فهو شاذ.

قال الحافظ: جمع البعض تاريخ ولادته ومدة حياته ووفاته في بيت، فقال: ميلاده صدق ومدة عمره : فيها حميد وانقضي في نور،

توفى والد الإمام إسماعيل والبخاري صغير، روى فنجار في تاريخ بخاري في شرح السنة في باب كرامات الأولياء، أن البخاري ذهبت عيناه في صغر فرأت والدته إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام، فقال لها: هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك، قال فاصبح وقد رد الله عليه بصره.

قال القسطلانى قال احمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم عند موته، فقال: لا اعلم في جميع مالي درهما من شبهة، فقال احمد، فتصاغرت الى نفسي عند ذلك، وقال الحافظ في المقدمة: فمات إسماعيل ومحمد صغير في حجرا مه، ثم حج مع أمه وأخيه احمد، وكان أسن منه، فأقام هو بمكة مجاورا يطلب العلم، ورجع أخوه احمد الى بخاري فمات. فما في الكرماني، حج به أبوه وهو أقام بمكة في طلب العلم، وكذا في تذكرة الحفاظ، حج مع أمه وأخته، فتحريف من الناسخ أو زلة قلم من المؤلف.

الفائدة الثانية

في طلبه للحديث ورحلاته العلمية

قال الفربرى سمعت محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول: سمعت البخاري يقول ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال عشر سنين أو اقل، ثم خرجت من الكتاب، فجعلت اختلف الى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت: أن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت: ارجع الى الأصل ان كان عندك، فدخل فنظر فيه ثم رجع، فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت هو الزبير هو ابن عدى عن إبراهيم، فاخذ القلم واصلح كتابه، وقال صدقت، فقال للبخاري إنسان: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة سنة، قال، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك و وكيع، وعرفت كلام هؤلاء يعنى أصحاب الرأي، قال: ثم خرجت مع أمي وأخي الى الحج. قال الحافظ: فكان أول رحلته على هذا سنة عشر ومائتين، ولورحل أول ما طلب لأدرك ما أدركته أقرانه من طبقة عالية، وقد أدرك عبد الرزاق، وأراد أن يرحل إليه، وكان يمكنه ذلك فقيل له انه مات، فتأخر عن التوجه الى اليمن، ثم تبين أن عبد الرزاق كان حيا، فصار يروى عنه بواسطة.

قال البخاري: فلما طعنت في ثماني عشرة، صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين، ثم صنفت تاريخ الكبير، إذ ذاك في المدينة المنورة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكنت اكتبه في الليالي المقمرة، وقال: قل اسم في التاريخ الاوله عندي قصة، إلا أني كرهت أن يطول الكتاب، قال سهل بن السري، قال البخاري: دخلت الى الشام ومصروا لجزيرة مرتين، والى البصرة أربع مرات، واقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين. وقال الحافظ ابن كثير: انه دخل بغداد ثمان مرات، وفى كل مرة يجتمع بالإمام احمد بن حنبل، فيحثه على الإقامة ببغداد، ويلومه على الإقامة بخرا سان.

وقال الذهبي في التذكرة: أول سماعه للحديث سنة خمس ومائتين، ورحل سنة عشر ومائتين بعد أن سمع مرويات بلده من سادة وقته محمد بن سلام البيكندى وغيره. قال الحافظ: وقال البخاري: أقمت بالمدينة بعدان حججت سنة حردا أي قصدا واكتب الحديث، وقال: أقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف واحج وارجع من مكة الى البصرة، قال وما تركت بالبصرة حديثا إلا كتبته.

قال القسطلانى: قيل انه كان يحفظ وهو صبى سبعين ألف حديث، وروى انه كان ينظرى الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه

من نظرة واحدة، وقال محمد بن أبي حاتم وراقه: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان البخاري يختلف معنا الى السماع وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له، فقال: قد أكثرتما على، فاعرضوا على ما كتبتما، فأخرجنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، وقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال: أترون أنى اختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا انه لا يتقدمه أحد، قالا: فكان أهل المعرفة يغدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم ممن يكتب عنه وكان شابا.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت سليمان بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث! قال: نعم واكثر ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا من عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم.

وقال ابن عدى بسنده عن البخاري، احفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح، وأخرجت هذا الكتاب يعنى الجامع الصحيح من نحو ست مائة ألف حديث، قال: دخلت بلخ فسألونى أن أملى عليهم لكل من كتب عنه، فأمليت ألف حديث عن ألف شيخ.

قال محمد بن أبي حاتم بسنده عن أبي الأزهر يقول: كان بسمر قند أربع مائة من يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، واحبوا مغالطة البخاري، فادخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد العراق في إسناد الشام، وإسناد الحرم في إسناد اليمن، فما استطاعوا مع ذلك أن يتعلقوا بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن.

وقال احمد بن عدى: سمعت عدة من المشايخ يحكون ان البخاري قدم بغداد، فاجتمع أصحاب الحديث وعمدوا الى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر، دفعوا الى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس امتحانا، فاجتمع الناس من الغرباء من أهل خرا سان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب آخر هم فقام، وسأله عن حديث من تلك العشرة، فقال: لا اعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا اعرفه، حتى فرغ العشرة، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون، الرجل فهم، ومن كان لا يدرى قضى عليه بالعجز، ثم انتدب الآخر، ففعل كفعل الأول والبخاري يقول: لا اعرفه، الى أن فرغ عشرة انفس وهو لا يزيد على لا اعرفه، فلما علم انهم فرغوا، التفت الى الأول، فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا وصوابه كذا، والثالث والرابع على

الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن الى إسناده، وكل إسناد الى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فاقر الناس له بالحفظ، أذعنوا له بالفصل.

قال الحافظ العسقلانى ههنا يخضع للبخاري، فما العجب من رده الخطاء الى الصواب، فانه كان حافظا، بل العجب من حفظه الخطاء على ترتيب ما القوه عليه من مرة واحدة. وقال يوسف بن موسى المروزى: كنت بجامع البصرة، فقدم البخاري وهو شاب، ليس في لحيته بياض، فطلبوا عنه مجلس الإملاء، فوعدهم الغد، فلما كان الغد، حضر المحدثون والحفاظ والفقهاء و النظار حتى اجتمع قريب من ألف نفس، فقال البخاري: يا أهل البصرة! فسأحدثكم أحاديث عن أهل بلدتكم تستفيدونها يعنى ليست عندكم، فتعجب الناس من قوله، فاخذ في الإملاء، فحدث أحاديث على هذا النسق، يقول في كل حديث، روى فلان هنا وليس عندكم كذا.

قال الحافظ احمد بن حمدون: رأيت البخاري في جنازة ومحمد بن يحيى الذهلى يسأله عن الأسماء والعلل والبخاري يمر فيه كالسهم، كأنه يقرأ قل هو الله أحد،

الفائدة الثالثة

في سيرته ومنا قبة

أما سيرته ومناقبه، قال الكرماني: كان البخاري في سعة من الدنيا، وقد ورث من أبيه مالا كثيرا وكان يتصدق به، وربما كان يأتي عليه نهار ولا يأكل فيه، و إنما يأكل أحيانا لوزتين أو ثلاثا و قال الحافظ: حكى وراقه انه ورث من أبيه مالا جليلا، وكان يعطيه مضاربة، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفا، فقيل له استعن بكتاب الوالي، فقال أن أخذت منهم كتابا طمعوا، ولن أبيع ديني بدنياي، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كله.

وحمل إليه بضاعة انقدها إليه أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فردهم وقال: أني نويت البارحة أن ادفعها الى الأولين، فدفعها اليهم وقال: إني لا احب أن انقض نيتي.

وقال وراقه سمعته يقول: خرجت الى آدم بن أبي اياس، فتأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول الحشيش، فلما كان في اليوم الثالث، أتاني رجل لا اعرفه، فأعطاني صرة فيها دنانير. وكان البخاري في مترله، فجاءته جارية و أرادت دخول المترل، فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها كيف تمشين؟ قالت: إذا لم يكن

طريق كيف أمشي؟ فبسط يديه وقال أذهبي فقد أعتقتك، قيل له يا أبا عبد الله أغضبتك، فقال: أرضيت نفسي بما فعلت.

وقال وراقه: كان يركب الى الرمي كثيرا، فما اعلم أني رأيته في طول ما صحبته اخطأ سهمه الهدف الامرتين، بل كان يصيب في كل ذلك ولا يسبق، قال: وركبنا يوما الى الرمي ونحن بفربر، فأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر فانشق الوتد، فلما رأى ذلك، نزل عن دابته فاخرج السهم من الوتد وترك الرمي، وقال: ارجعوا، فرجعنا فقال لي: يا أبا جعفر! ان لي إليك حاجة وهو يتنفس الصعداء، فقلت نعم، قال تذهب الى صاحب القنطرة، فتقول له أنا أخللنا بالوتد فتحب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي: ابلغ أبا عبد الله السلام وقل له، أنت في حل مما كان منك، فان جميع ملكي لك الفداء، أبلغته الرسالة فتهلل وجهه واظهر سرورا كثيرا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمس مائة حديث، وتصدق ثلاثمائة درهم. وقال وسمعته يقول: ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام، وكان يقول: انى لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

وقال وراقه، دعي محمد بن إسماعيل الى بستان، فلما صلى بهم الظهر قام يتطوع، فلما فرغ من صلواته رفع ذيل قميصه وقال

لبعض من معه انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟ فإذا زنبور قد لسعه ستة عشر او سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذالك جسده، فقال بعض القوم، كيف لم تخرج من الصلوة أول ما لسعك؟ قال كنت في سورة أحببت أن أتممها، كذا في القسطلانى وفى المقدمة لسعه الزنبور سبع عشر مرة بدون شك.

ومرض البخاري مرة، فعرضوا ماءه على الأطباء، فقالوا: أن هذا الماء يشبه ماء أساقفة النصارى، فاهم لا يأتدمون، فصدقهم البخاري وقال: لم آتدم منذ أربعين سنة. وكان يختم القران في كل ليلة ختما. و في كل نهار ختما، وفى سائر رمضان في صلوة التراويح ختما وقال وراقة، إذا كنت معه في سفر فيجمعنا بيت واحد، فكنت أراه يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة الى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيورى نارا بيده ويسرج، ويخرج أحاديث فيعلم عليها، ثم يضع رأسه فقلت له، انك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني، قال أنت شاب فلا احب أن انسد عليك نومك.

وقال الفربري: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي، أين تريد؟ فقلت، أريد محمد بن إسماعيل، فقال: أقراه منى السلام. قال الكرمانى: لما دفن فاح من قبره رائحة غالية أطيب من المسك، وظهرت الحفرة للناس، و لم يكن يقدر على حفظ القبر

بالحراس، فنصب على القبر خشب مشبكات، فكانوا يأخذونه ماحو اليه من التراب والحصيات، و دام ريح الطيب أياما كثيرة حتى تواتر عند جميع أهل تلك البلاد.

وقال عبد الواحد بن أدم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه فرد على السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ قال: انتظر محمد بن إسماعيل، قال: فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي صلى الله عليه وسلم. وقال القسطلانى: لما ظهرا مره بعد وفاته خرج بعض مخالفيه الى قبره واظهروا التوبة والندامة. وهذه نبذة من مناقبه وهى لا تحصى مذكورة في المطولات،

الفائدة الرابعة

في الابتلاء بالفتن وسببه

أما الابتلاء به، فقال الحاكم أبو عبد الله في تاريخه: قدم البخاري بنيسابور سنة خمسين ومائتين، فأقام بها مدة يحدث على الدوام. وقال بسنده الى محمد بن يحيى الذهلى يقول: اذهبوا الى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه، قال فذهب الناس إليه فاقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى فتكلم فيه بعد ذلك.

وقال مسلم بن حجاج: لما قدم البخاري نيسابور، ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلث. وقال محمد بن يحيى الذهلى في مجلسه، من أراد أن يستقبل البخاري غدا فليستقبله، فإني استقبله، فاستقبله الذهلى وعامة علماء نيسابور، فترل دار البخاريين، فقال الذهلى: لا تسألوه عن شيء من الكلام، فانه ان أجاب بخلاف ما نحن فيه وقع بيننا وبينه، وشمت بناكل ناصبي ورافضي ومرجئ بخرا سان، قال فازدحم الناس على البخاري، حتى امتلأت الدار والسطوح، فلما كان اليوم الثاني أو الثالث من يوم قدومه، قام إليه رجل، فسأله عن اللفظ بالقران، فقال: أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا، فوقع بين الناس اختلاف، فقال بعضهم، قال لفظي بالقران مخلوق،

وقال بعضهم، لم يقل، فوقع بينهم في ذلك اختلاف، حتى قال بعضهم الى بعض، قال أهل الدار فأخرجوهم.

يفهم من هذا بان الذهلى يعظم الإمام ويكرمه ويعتقده كذلك، ولا يريد التشنيع عليه، بل نهى القوم عن السوال عليه عن الكلام لخوف الاختلاف، مع انه سأل بعضهم عن اللفظ بالقران حتى وقع الاختلاف بينهم فاخرج أهل الدار. وفهم مما ذكر قبل، أن الإمام الذهلى هو قد تكلم في البخاري لوجه الخلل الذي وقع في مجلس الذهلى حتى حسد عليه. فبين الكلامين نوع من التحالف.

أقول: قال أبو احمد بن عدى ذكر لي جماعة من المشائخ، أن البخاري لما ورد نيسابور و اجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث، إن البخاري يقول لفظي بالقران مخلوق. وقال أبو حامدا لشرقى: سمعت محمد بن يحيى الذهلى يقول: القران كلام الله غير مخلوق، ومن زعم لفظي بالقران مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا الى البخاري فاتهموه، فانه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه. قال الحاكم، لما وقع بين البخاري وبين الذهلى في مسألة اللفظ، انقطع الناس عن البخاري إلا مسلم بن الحجاج واحمد بن سلمة. وروى الحاكم عن احمد بن سلمة النيسابورى يقول: دخلت على

البخاري فقلت له، يا أبا عبد الله، إن هذا رجل مقبول بخرا سان خصوصا في هذه المدينة وقد لج في هذا الأمر حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه فما ترى؟ قال فقبض على لحيته ثم قال: أفوض أمري الى الله- إن الله بصير بالعباد، اللهم انك تعلم إني لم أرد القيام بنيسابور أشرا ولا بطرا ولا طلبا لرياسة، و إنما ابت على نفسي الرجوع الى الوطن لغلبة المخالفين، وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما اتانى الله لا غير، ثم قال يا احمد انى خارج غدا لتخلصوا من حديثه لاجلى.

وقال الحاكم ايضا عن الحافظ ابى عبد الله الاخرم قال: لما قام مسلم بن الحجاج واحمد بن سلمة من مجلس الذهلى بسبب البخارى، قال الذهلى: يساكننى هذا الرجل فى البلد؟ فخشى البخارى وسافر. فجميع هذه المروبات تدل على ان الذهلى هوارا داخراج البخارى من البلد، فيقال ان الذهلى كان اولا يعتقده وبعد السوال عن الكلام اساء الظن به ووقع الاختلاف بينه وبين القوم ايضا، والله اعلم.

ههنا واقعة اخرى قال الحافظ: قال الحاكم بسنده الى ابى بكر بن عمرو يقول: سبب مفارقة البخارى البلد ان خالد بن احمد خليفة ابن طاهر سأله ان يحضر مترله فيقرأ التاريخ والجامع على اولاده، فامتنع من ذلك وقال: لايسعنى ان اخص بالسماع قوما

دون قوم آخرين، فاستعان خالد بحريث بن ابى الورقاء وغيره من اهل بخارى حتى تكلموا فى مذهبه فنفاه عن البلد. فقال: اللهم ارهم ما قصدونى به فى انفسهم واولادهم واهاليهم، قال فاما خالد فلم يأت عليه الا اقل من شهر حتى ورد امرالظاهرية بان ينادى عليه فنودى عليه وهو على اتان، ثم صار عاقبة امره الى الذل والحبس. واما حريث فانه ابتلى فى اهله فراى فيهما يجل على الوصف، واما فلان فانه ابتلى فى اولاده فاراه الله فيهم البلايا.

وقال النووى، روينا عن بكر بن منير قال، بعث اليه الامير خالد بن احمد الذهلى والى بخارى، ان احمل الى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لا سمع منك، فقال البخارى لرسوله: اني لا اذل العلم ولا احمله الى ابواب الناس، فان كان لك الى الشيئ منه حاجة فاحضرنى فى مسجدى اوفى دارى. وفى رواية عن عنير بن منير قال، وراسله ان يعقد مجلسا لاولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع منه، وقال: لا يسعنى ان اخص بالسماع قوما دون قوم، اقول لاتعارض بينهما، فان الظاهر ان الامير راسله اولا باول ولما امتنع عنه البخارى تنزل الامير ثانيا الى الثانى فامتنع البخارى عنه ايضا، وهكذا ذكره الشاه عبد العزيز فى بستان المحدثين.

وهنا واقعة ثالثة، وهى التى فى مسئلة خلق الايمان، قال صاحب الفصول العمادية، لما وقعت هذه المسئلة بفرغانة فاتى

بمحضر منها الى ائمة بخارى، فكتب الشيخ الامام ابو بكر بن حامد والشيخ الامام ابو حفص الزاهد والشيخ ابو بكر الاسماعيلى، ان الايمان غير مخلوق، ومن قال بخلقه فهو كافر، وقد خرج كثير من الناس ببخارى، منهم محمد بن اسماعيل صاحب الصحيح بسبب قولهم الايمان مخلوق، وكان البخارى اذذالك ابن ثلاث وعشرين.

وقال صاحب الجواهر المضيئة: ابو بكر بن حامد الامام الزاهد من اقران ابى حفص الكبير و ممن قام معه فى اخراج البخارى من بخارى، وقال ايضا ابو بكر بن اسمعيل المعروف بالاسماعيلى من اقران ابى حفص الكبير والقائم معه فى اخراج البخارى من يخارى الحزجة المشهورة، وهى ماروى الخطيب فى تاريخ بغداد، ذكرها بسنده الى البخارى يقول: كنت عند ابى حفص احمد اسمع كتاب الجامع- جامع سفيان فى كتاب والدى فمر ابو حفص على حرف ولم يكن عندى ماذكر فراجعته الى اخره القصه.

قال فهذه الامور كلها تدل على حسن عشيرة الامام ابى حفص الكبير مع تلميذه الامام البخارى، لكن التلميذ تأثر فى رحلته الى الحج من بعض شيوخه من اصحاب الظواهر المتعصبين على ابى حنيفة كالحميدى ونعيم بن حماد الخزاعى واسمعيل بن

عرعرة وغيرهم، فدون فى تواريخه وبعض مصنفاته ما سمع من هؤلاء المجازفين، فلما رجع الى بخارى من تلك الرحلة جعل يفتى، فنهاه ابو حفص شيخه، وقال لست باهل لذلك، لكن البخلوى لم ينته عن ذلك حتى افتى بحرمة الرضاع بلبن الشاة، فاجتمع عليه الناس واخرجوه من بخارى.

و هذه الخرجة هى المشهورة فى كتب القوم. وكذلك ذكرها صاحب الفوائد البهية فى ترجمة احمد بن حفص الكبير، ثم تعقب عليه وقال هى حكاية مشهورة فى كتب اصحابنا، ذكرها ايضا صاحب العناية وغيره من شراح الهداية، لكنى استبعد وقوعها بالنسبة الى جلالة قدر البخارى ودقة فهمه وسعة نظره وغور فكره مما لا يخفى على من انتفع بصحيحه، وعلى تقدير صحتها فالبشر يخطى، وكذا ذكرها القاضى حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى المالكى فى تاريخه المعروف بالخميس، واشار اليه العلامة ابن حجرالمكى الشافعى فى الخيرات الحسان، فمع حكايتها عن غير الخفية فاستبعادها ظاهر.

ويعلم من ذلك ان الوجوه المختلفة فى سبب الاخراج كانت فى الازمنة المختلفة، وهاتان الخرجتان وقعتا فى زمن الامام ابى حفص، وهو قد توفى ٢١٧هـ سنة وذكرالذهبى فى كتابه "سيراعلام النبلاء" قصة مسئلة اللفظ مفصلا، وفيها فكتب الذهلى

الى خالد امير بخارا والى شيوخه بامره، فهم خالد حتى اخرجه محمد بن احمد بن حفص الى بعض رباط بخارا. قال الذهبي. وكان محمد بن احمد رافق البخارى فى الطلب مدة، وكان ابوه من كبارتلامذة الامام محمد، وتوفى محمد هذا فى رمضان ٢٦٤هـ سنة.

ولكن فيه ترددلما ذكرالحافظ فى المقدمة، ان ابا حفص الصغير كان رفيقا للبخارى فى اسفاره حتى انهما كانا يتهادان احدهما الى الاخر، فمادام لا يتحقق للتغاضب بينهما سبب، لا اثق بتلك الحكاية، وفى بستان المحدثين ان الامام البخارى لما اخرج من بخارا وصل الى نيشابور، ولم يقدر على القيام فيها لسخط اميرها فخرج الى خرتنك، و المعروف فى الكتب انه لما اخرج من بخار اخرج الى خرتنك، والله اعلم.

الفائدة الخامسة

فى وفاة الامام

اما وفاته، فقال الكرمانى: دخل الامام البخارى بغداد مرات وانقادله اهلها بلامنا زعة ولهم منه حكاية مشهورة فى امتحانهم له بقلب الاسانيد والمتون فصحح كلها فى الساعة، وحين وقعت الفتنة واشتدت المحنة فى مسئلة خلق القران رجع من بغداد الى بخارا، فلقاه اهلها فى تجل عظيم ومقدم كريم وبقى مدة يحدثهم فى مسجده.

وقال القسطلانى لما رجع الامام الى بخارا، نصبت له القبات على فرسخ من البلد واستقبله عامة اهلها حتى لم يبق مذكور ونثر عليه الدراهم والدنانير، وبقى مدة يحدثهم، فارسل اليه امير البلد خالد بن احمد الذهلى نائب الخلافة العباسية، يسأله ان يأتيه بالصحيح، فذكر القصة الى ان قال فان كانت له حاجة الى شيئ منه فليحضر الى مسجدى، فان لم يعجبك هذا فانت سلطان فامنعنى من المجالس ليكون لى عذر عند الله يوم القيمة، انى لا اكتم العلم، فامره الامير بالخروج عن البلد، فدعا عليه، فذكر ما تقدم، وحبس الامير الى ان مات، ولم يبق احد ممن ساعده الا ابتلى ببلاء شديد.

ولما خرج البخارى من بخارا كتب اليه اهل سمر قند فسار اليهم، فلما كان بخرتنك و هو على فرسخين من سمر قند بلغه وقوع الفتنة بينهم بسببه، وكان له اقرباء بها، فنزل عندهم حتى ينجلى الامر، فاقام اياما فمرض حتى وجه اليه رسول اهل سمر قند يلتمسون خروجه اليهم، فاجاب وتهيئاللركوب ولبس حفيه وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة الى الدابة ليركبها قال ارسلونى فقد ضعفت فارسلوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى. فسال عرق كثير لا يوصف وماسكن منه العرق حتى ادرج فى اكفانه.

قال الكرمانى فاقام بها حتى ينجلى الامر فضجر ليلة ودعاو قد فرغ من صلوة الليل، اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضنى اليك، فمات فى ذلك الشهر. اما الذى نزل عليه البخارى من اقاربه ومات فى داره اسمه ابو منصور غالب بن جبرائيل الخرتنكى.

فان قلت كيف استجاز الدعاء بالموت وقد خرج هو فى صحيحه "لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به، قلت خصوابان المراد بالضر هوالد نيوى، واما اذا نزل به ضر دينى فانه يجوز تمنيه خوفا من تطرق الخلل فى الدين، كذا ذكره الكرمانى ان الامام توفى ليلة السبت عند صلوة العشاء ليلة عيد

الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلوة الظهر سنة ٢٥٦ وله اثنتان وستون سنة الاثلثة عشر يوما، ودفن بخرتنك رحمه الله تعالى رحمة واسعة ونفعنا بعلومه امين.

وما ذكره ابن يونس فى تاريخ الغرباء، من انه قدم مصروتوفى بها غلط والصواب ما ذكرناه كما فى ابن خلقان،

الفائدة السادسة

فى مشائخه وثناء العلماء عليه

قال العسقلانى: قال الذهبى وغيره وكان اول سماعه سنة خمس ومأتين ورحل سنة عشرومأتين بعد ان سمع الكثير ببلده من سادة وقته محمد بن سلام البيكندى وعبد الله محمد المسندى ومحمد بن عرعرة وهارون بن الاشعث وطائفة، وسمع ببلخ من مكى بن ابراهيم ويحيى بن بشر الزاهد وقتيبة وجماعة، وكان مكى احد من حدثه عن ثقات التابعين، وسمع بمرو عن على بن شقيق وعبد ان ومعاذ بن اسد وصدقة بن الفضل وجماعة، وسمع بنيسابور من يحيى بن يحيى وبشربن الحكم واسحاق وعدة، وبالرى من ابراهيم بن موسى الحافظ وغيره وببغداد من محمد بن عيسى الطباع وشريح بن النعمان وطائفة.

وقال: دخلت على معلى بن منصور ببغداد سنة عشر ومأتين،وسمع بالبصرة من ابى عاصم النبيل وبدل بن المحبر ومحمد بن عبد الله الانصارى وعبد الرحمن بن محمد بن حماد وعمر بن عاصم الكلابى، وبالكوفة من عبيد الله بن موسى وابى نعيم وطلق بن غنام والحسن ابن عطية، وهما اقدم شيوخه موتا، وخلاد بن يحيى وخالد بن مجلد وفروة بن ابى المعزاء

وقبيصة وطبقتم، وبمكة من ابى عبد الرحمن المقرى والحميدى واحمد بن محمد الازرقى وجماعة، وبالمدينة من عبد العزيز الاوليسى ومطرف بن عبد الله وابى ثابت محمد بن عبد الله و طائفة، وبواسط عمرو بن محمد بن عوف وغيره، وبمصرمن سعيد بن ابى مريم و عبد الله بن صالح الكاتب وسعيد بن تليد وعمرو بن الربيع بن طارق وطبقتهم، وبد مشق من ابى مسهر شيئا يسيرا، ومن ابى النصر الفراد يسى وجماعة، وبقيسارية من محمد بن يوسف الفريانى، وبعسقلان من آدم بن ابى اياس، وبحمص من ابى المغيرة وابى اليمان وعلى بن عياش واحمد بن خالد الوهبى ويحيى.

وعن محمد بن ابى حاتم عنه انه قال: كتبت عن الف وثمانين نفسا ليس فيهم الاصاحب حديث، وقال ايضا: لم اكتب الاعمن قال ان الايمان قول وعمل. قال الحافظ وينحصرون فى خمس طبقات الطبقة الاولى من حديثه عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الانصارى حدثه عن حميد، ومثل مكى بن ابراهيم حدثه عن يزيد بن ابى عبيد الله، ومثل ابى عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن ابى عبيد، ومثل عبيد الله بن موسى حدثه عن اسمعيل بن ابى خالد، ومثل نعيم حدثه عن الاعمش، ومثل خلاد ين يحيى حدثه عن عيسى بن

طهمان، ومثل على بن عياش وعاصم بن خالد حدثاه عن حريز بن عثمان، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين.

الطبقة الثانية من كان فى عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كادم بن ابى اياس وابى مسهر عبد الاعلى بن مسهر وسعيد بن ابى مريم وايوب بن سليمان بن بلال وامثالهم. والطبقة الثالثة هى الوسطى من مشائخه وهم من لم يلق التابعين، بل اخذ عن كبار تبع الاتباع، كسليمان بن حرب وقتيبة بن سعيد ونعيم بن حماد وعلى بن المدينى ويحيى بن معين واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابى بكر وعثمان بن ابى شيبة، امثال هئلاء، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم فى الاخذ عنهم. والطبقة الرابعة رفقاءء فى الطلب ومن سمع قبله قليلا كحمد بن يحيى الذهلى وابى حاتم الرازى ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة وعبد بن حميد واحمد بن النضر وجماعة من نظرائهم، وانما يخرج من هؤلاء ما فاته عن مشائخه او ما لم يجده عند غيرهم.

الطبقة الخامسة قوم فى عداد طلبته فى السن والاسناد سمع منهم للفائدة كعبد الله بن حماد الاملى وعبد الله بن ابى العاص الخوارزمى وحسين بن محمد القبانى وغيرهم، وقدروى

عنهم اشياء يسيرة، وعمل الامام البخارى ىى الرواية عنـــــهم بماروى عثمان بن ابى شيبة عن وكيع قال لا يكون الرجـــــل عالما حتى يحدث عمن هوفوقه وعمن هو مثله وعمن هودونــه، وعن البخارى انه قال لا يكون المحدث كاملا حـــتى يكتـــب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هودونــه.

الفائدة السابعة

فى اسم الكتاب وسبب تأليفه

قال النووى: اما اسمه فقد سماه مولفه ابو عبد الله البخارى رحمه الله ورضى عنه "الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه" وقال الحافظ ونقررانه التزم فيه الصحة وهو المستفاد من تسميته اياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه، ففى كليهما في التسمية نوع تغاير ولكن معناهما واحد.

اما سببه ففيه وجوه قال الحافظ فى المقدمة اعلم علمنى الله واياك، ان آثار النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن فى عصراصحابه وكبار تبعهم مدونة فى الجوامع لامر بن، احدهما انهم كانوا فى ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك، كما فى صحيح مسلم، خشية ان يختلط بعض ذلك بالقران العظيم، كما بسط الكلام على ذلك الحديث وعلى ما يخالفه فى الجزء الاول من هذا الكتاب.

وثانيهما لسعة حفظهم وسيلان اذهانهم، وقال شيخ الحديث العلامة زكريا رحمه الله، وثالثها لكثرة اشتغالهم من نشر الاسلام والتبليغ و التعليم والجهاد وغير ذلك مع قلة

افرادهم، فان الاسلام كان ضعيفا واهله قليلون، فكان احدهم يشغله جهاده و تبليغه الاسلام عن النظر فى معشيته والفــراغ للتاليف وغيره، فان التاليف يقتضى الفراغ التام.

واشار الحافظ الى الوجه الرابع فقال: ولان اكــثرهم كانوالايعرفون الكتابة، ثم حــدث فى اواخرعصــر التــابعين لاسيما بامرا مير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تدويــن الاثار وتبويب الاخبار، لما انتشر العلماء فى الامصارو كــثر الابتداع من الروافض والخوارج ومنكرى الاقدار، فاول مــن جمع ذلك الربيع وسعيد بن ابي عروبة وغيرهما، ويقول شــيخ الحديث العلامة زكريا: وسبقهما الزهرى وابو بكر بن محمــد بن عمرو بن حزم. قال الحافظ: وكانوا يصنفون كل بــاب على حدة الى ان قام كباراهل الطبقة الثالثة، فدونوا الاحكــام فصنف الامام مالك المؤطا، توخى فيه القوى من حديث اهــل الحجاز ومزجه باقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهــم، وصنف ابن جريج بمكة والاوزاعى بالشام والثورى بالكوفــة. وحماد بن سلمة بالبصرة، ثم يفرد حديث النبى صلى الله عليــه وسلم خاصة،وذلك على رأس المأتين، فصنف عبــد الله بــن موســى العبســى الكــوفى مســندا، وصنــف مســددبن مسرهدالبصرى مسندا، وصنف نعيم بن حماد الخزاعى المصرى

مسندا، ثم اقتفى الائمة بعد ذلك اثرهم، فقل امام من الحفاظ الاوصنف حديثه على المسانيد، كالامام احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعثمان بن ابى شيبة وغيرهم من النبلاء، ومنهم من صنف على الابواب وعلى المسانيد جميعا، كابى بكر بن ابى شيبة.

فلما رأى البخارى هذه التصانيف ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعه بين ما يدخل تحت الصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التصنيف فلا يقال لغته سمين فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذى لا يرتاب فيه امين-

اقول هذا وجه واحد لتصنيف الجامع، وجعله الحافظ اصلا واشارالى الوجه الثانى فقال: وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من استاذه امير المؤمنين فى الحديث والفقه اسحاق بن راهويه الحنظلى المعروف بابن راهويه،

قال البخارى: كنا عنداسحاق بن راهويه، فقال لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقع ذالك فى قلبى، فاخذت فى جمع الجامع الصحيح، اقول ويمكن ان يكون الامر على عكس ما قال الحافظ، لان الامام البخارى يقول بنفسه اصل السبب اى ماحثه شيخه

اسحاق بن راهويه وقوى عزمه، ذلك مارأى بنفسه مصنفات المشائخ، فهذا باعث من باطن قلبه وماقال شيخه باعث من ظاهره والله اعلم،

ثم اشار الحافظ الى الوجه الثالث، فقال وروينا بالاسناد الثالث عن البخارى يقول: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكانى واقف بين يديه وبيدى مروحة اذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لى انت تذب عنه الكذب، فهوالذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح، اقول هذه الرؤيا الصالحة من المبشرات، يمكن انه رأها بعد العزم تائيدا من الله تعالى. كئ يطمئن قلبه لهذا الامر، ويمكن انه رأها اولا ثم قال شيخه بذلك وحثه عليه ثم تفطن حاجة ذلك، لما رأى مصنفات المشائخ خالية عن تجريد الصحاح، فبالجملة ان مجموع هذه الامور الثلاث دخيلة فى هذا الامر الشاق وكل شئ مرهون بوقته. والله اعلم.

الفائدة الثامنة

فى فضل الكتاب والثناء عليه

اما فضله وثناء الناس عليه ومنا قبه هى اكثر مـــن ان تحصى، قال القسطلانى: فهو اصح الكتب المؤلفـــة فى هـــذا الشان، والمتلقى بالقبول من العلماء كل اوان، قد فاق امثاله فى جميع الفنون والاقسام، وخص بمزايا من بين دوائين الاســلام، شهد له بالبراعة والتقدم الصناديد العظام، والافاضل والكــوام، ففوائده اكثر من ان تحصى، واعز من ان تستقصى.

فروى بسنده عن ابى زيد المروزى يقول: كنت نائمــا بين الركن والمقام، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنــام، فقال لى: يا ابا زيد؟ الى متى تدرس كتاب الشافعى وما تدرس كنابى؟ فقلت يا رسول الله وما كتابك؟ قال: جامع محمد بــن اسمعيل البخارى. قال الفربرى قال البخارى: ما وضعـــت فى الصحيح حديث الا اغتسلت قبل ذلك وصليـــت ركعتــين، وارجوان يبارك الله فى هذه المصنفات، وايضا قـــال: جعلتـــه حجة فيما بينى وبين الله.

وما ادخلت فيه حديثا حتى استخرت الله و صليـــت ركعتين وتيقنت صحته قال ابو على الغسانى روى عنه انــــه قال: خرجت الصحيح من ست مأة الــف حديـــث، وروى

الاسماعيلى عنه قال: لم اخرج فى هذا الكتاب الاصحيحا ومـا تركت من الصحيح اكثر، قال الفربرى سمعت محمد بـن ابى حاتم البخارى الوراق يقول: رأيت محمد بن اسمعيل البخـارى فى المنام يمشى خلف النبى صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم يمشى، فكلما رفع النبى صلى الله عليه وسلم قدمـه وضع البخارى قدمه على ذلك الموضع.

قال ابو جعفر محمود بن عمرو العقيلى: لمـا الـف البخارى كتاب الصحيح عرضه على احمد بن حنبل ويحيى بـن معين وعلى بن المدينى وغيرهم، فاستحسنوه وشـهدوا لـه بالصحة الافى اربعة احاديث، قال العقيلى والقول فيها قـول البخارى وهى صحيحة، قال الحافظ فى المقدمة. قال البخارى: صنفت الجامع من ست مائة الف حديث فى ستة عشرة سـنة، وروى عنه انه قال: صنفت كتابى الجامع فى المسجد الحرام.

يقول الحافظ: قلت الجمع بين هذا وبين ماتقدم انـه كان يصنفه فى البلاد انه ابتدأ تصنيفـه وترتيبـه وابوابـه فى المسجد الحرام، ثم كان يخرج الاحاديث بعد ذلـك فى بلـده وغير ذلك، ويدل عليه قوله انه اقام فيه ستة عشرة سنة، فانـه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها، وقدروى ابن عدى عن جماعـة

من المشائخ، ان البخارى حول تراجم جامعه بين قبر النبى صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين.

قلت ولا ينافى هذا ايضا ما تقدم لانه يحمل على انه فى الاول كتبه فى المسودة وهنا حوله من المسودة الى المبيضة، وحكى العسقلانى قول الحافظ المذكور فى الجمع من انه ابتدأ تصنيفه وترتيب ابوابه فى المسجد الحرام، وقال شارح مقدمة العسقلانى عبد الهادى، يظهر لى عكس ذلك، وانه خرج الاحاديث اولا فى تلك المدة وجمعها فى مسود اتها ثم ترجم لها وبيضها فى المسجد الحرام وبين قبره ومنبر النبى صلى الله عليه وسلم.

وقال العلامة شيخ الحديث زكريا رحمه الله: والظاهر هو ما افاده الحافظ كما لا يخفى على من امعن النظر على التراجم فاهم صرحوا فى التراجم الخالية عن الحديث، ان البخارى اراد كتابة الحديث، ولم يتفق له لعوارض، او لم يجد على شرطه، فهذا كالنص على انه قدم التراجم وادخل فيها حيثما تيسر، و يؤيده ما افاده شيخ المشائخ مةلانا احمد على السهارنفورى فى مقدمة الصحيح.

روى عن عبد القدوس بن همام قال: سمعت عدة من المشائخ يقولون: حول البخارى تراجم جامعه بين قبرالنبى

صلى الله عليه وسلم ومنبره، وقال اخرون منهم ابوالفضل محمد بن طاهرالمقدسى، صنفه ببخارى وقيل بمكة وقيل بالبصرة وكل هذا صحيح، ومعناه انه كان يصنف فيه فى كل بلد من هذا البلدان، فانه بقى فى تصنيفه عشرة وكل هذا صحيح ومعناه انه كان يصنف فيه فى كل بلد من هذا البلدان فانه بقى فى تصنيفه عشرة.

و حكى الحاكم عن ابى عبد الله محمد بن على قال: سمعت البخارى يقول: اقمت بالبصرة خمس سنين مع كتبى اصنفه واحج فى كل سنة وارجع من مكة الى البصرة، وقال احمد بن ابى جعفر والى بخارى قال لى محمد بن اسمعيل يوما: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر، قال الذهبى فى تاريخ الاسلام: اما جامع البخارى الصحيح فاجل كتب الاسلام و افضلها بعد كتاب الله وهواعلى فى وقتنا هذا اسناد اللناس.

قال الشيخ ابو محمد عبد الله بن ابى حمزة: قال لى من لقيت من العارفين عمن لقيه من السادة المقرلهم بالفضل ان صحيح البخارى ما قرئ فى شدة الافرجت، ولاركب به فى مركب الانجت، قال وكان مجاب الدعوة وقد دعا لقاريه، و

قال الحافظ ابن كثير: كتاب البخارى الصحيح يستسقى بقرأته الغمام، واجمع على قبوله وصحة ما فيه اهل الأسلام.

وقال الشيخ عبد الحق الدهلوى فى اشعة اللمعات: قرأ كثير من المشائخ والعلماء والثقات صحيح البخارى، لحصول المرادات وكفاية المهمات، وقضاء الحاجات، ودفع البليات، وكشف الكربات، وصحة الامراض، وشفاء المرضى، عند المضائق والشدائد، فحصل مرادهم، وفازوبمقاصدهم، و وجدوه كالترياق مجربا. وقد بلغ هذا المعنى عند علماء الحديث رتبة الشهرة والاستفاضة، ونقل السيد جمال الدين المحدث عن استاذه السيد اصيل الدين انه قال: قرأت صحيح البخارى نحو عشرين ومائة مرة فى الوقائع والمهمات لنفسى وللناس الاخرين، فباى نية قرأته حصل المقصود وكفى المطلوب، وكذا ذكره فى البستان.

الفائدة التاسعة

فى زمان تأليف الكتاب

اما زمان تاليف الجامع فلم يصرح بذلك احد من القدماء، وذكر فيه كلاما علامة العصر شيخ الحديث مولانا زكريا، يقول فى مقدمة اللامع: لما صنف الامام صحيحه عرضه على على بن المديني واحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وتوفى احمد بن حنبل سنه ٢٤٢هـ و ابن معين سنه ٢٣٣هـ وابن المديني سنه ٢٣٤ هـ كما فى التقريب.

وعلى هذا فقد فرغ الامام من تاليفه قبل سنة ثلث و ثلثين بعد المائتين سوى ما الحقه فيه بعد، ويؤيد الالحاق اختلاف العدد فى روايات البخارى، ففى التدريب قال العراقى: اما رواية حماد بن شاكر فهى دون رواية الفربرى بمائتى حديث، ورواية ابراهيم بن معقل دونهما بثلث مائة. فعلم من ذلك انه الحق فى الصحيح مرة بعد اخرى، وان سلم فراغه عن تاليفه قبل ثلث وثلثين، وزمان تاليفه ست عشرة سنة، فاقصى ما يكون فيه بدأ تاليفه سنة سبع عشرة ومائتين، اذا كان عمره الشريف ثلثا وعشرين سنة، انتهى.

اقول قال الحافظ: وقال ابو الحسن الدارقطنى: لولا البخارى لما راح مسلم ولاجاء، وقال ايضا: اى شيئ صنع

مسلم، انما اخذ كتاب البخارى فعمل فيه مستخرجا وزاد فيه احاديث، وقال الحافظ فى موضع اخر: ولما وقع الاختلاف بين البخارى و الذهلى فى مسئلة اللفظ انقطع الناس عن البخارى الا مسلم بن الحجاج واحمد بن سلمة، قال الذهبى الامن قال باللفظ فلا يحل له ان يحضر مجلسنا، فاخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس، فبعث الى الذهلى جميع ماكان كتبه عنه على ظهر حمال، قلت (الحافظ) وقد انصف مسلم فلم يحدث فى كتابه عن هذا ولا عن هذا.

و يقول العبد ولكن البخارى اخرج عنه مبهما، تارة قال محمد وتارة محمد بن خالد منسوبا الى جده وتارة محمد بن عبد الله منسوبا الى ابى جده، انما يبهم كذلك كى لايعلم الناس انه محمد بن يحيى بن خالد بن عبد الله الذهلى الذى وقع بينه وبين الامام اختلاف وفتنة، واخرج عنه فى كتابه فى ثلاثين موضعا، كذا ذكره العلامة السخاوى.

فيعلم من هذا كله ان كلا من الصحيحين قد صنفا بعد ما وقعت الفتنة فى مسئلة اللفظ، وقد ثبت ان الامام البخارى قدم بنيسابور سنة خمسين ومأتين وحينئذ تلمذ مسلم عند البخارى، وايضا كان تاليف مسلم سنة خمسين ومأتين كما جزم به العراقى، حكاه السيوطى فى التدريب، وكان مدة

تاليفه خمس عشرة اوست عشرة سنة، وايضا ان البخارى الف جامعه فى ست عشرة سنة.

فبين هذا وبين ما تقدم من كلام الشيخ زكريا ظهر التعارض، اما اولا فانه لما توفى يحيى بن معين سنه ٢٣٣ هـ فكيف عرض الامام صحيحه عليه بعد ما صنف فى خمسين ومأتين، وثانيا لو سلم انه صنف كما ذكره الشيخ العلامة زكريا فكيف يصح بان الامام ترك رواية الذهلى مصرحا فى الجامع لحال ما وقعت الفتنة سنة خمسين ومأتين.

وثالثا ان الامام مسلما عاب الامام البخارى فى مقدمة مسلم بالشدة، فكيف يصح هذا، لانه صنف صحيح مسلم سنة خمس ومأتين كما ذكره العراقى وكيف يصح قول الحافظ: قد انصف مسلم، فلم يحدث فى كتابه عن هذا ولا عن هذا، ورابعا توفى الامام البخارى سنة ستة وخمسين بعد مأتين وانه صنف صحيحه فى ست عشرة سنة، فكيف يصح انه صنف بعد خمسين ومأتين.

فهذه امور متعارضة ترد عليه، فيقال فى حله اولا، قال الحافظ وقد انصف مسلم فلم يحدث فى كتابه عن هذا ولا عن هذا، فعلى هذا ان الامام مسلما صنف صحيحه بعد ما حدثت هذه الفتنة فلم يخرج عنه حديثا فى كتابه، ولكن لما

تلمذ على البخارى واستفاد منه عظمه فى قلبه ويعتقده، ومع ذلك عاب ماعاب مسلم فى مقدمة كتابه على البخارى، فانما هواظهارا للحق واتباعا له حسب مارأى دون التعنت والفساد، فحينئذ يصح ما قال الدارقطنى: ان مسلما اخذ كتابه عن كتاب البخارى.

وهذا الجواب يمكن ولكن فيه ايضا نوع تردد وشبهة، لان الامام مسلما توفى سنه ٢٦١ هـ و صنف كتابه فى خمسة عشرة سنة فلم يصح الحساب بعد خمسين ومأتين، الا ان يقال انه ابتدأ فى تصنيفه قبل خمسين، وفى أثناء تصنيفه وقعت هذه الفتنة، و بعدها لم يخرج عن الذهلى قصدا كما لم يخرج قبل هذه الفتنة من غير قصد.

الشبهة الثانية بأنها حكى العلامة السخاوى وابن دقيق العيد، ان الإمام البخاري اخرج عن الذهلى أحاديث و أبهم في اسمه و لم يصرح بلفظ محمد بن يحيى الذهلى، لأنه حدثت بينه وبين الذهلى فتنة، فلم يحرم الناس عن فيض علمه، ولذا عده بعض المحدثين من المدلسين، وحمل السخاوى ذلك على حسن نيته و لم يذم منه، فيعلم من هذا أن البخاري صنف أيضا كتابه بعدماحدثت هذه الفتنة، وقد توفى الإمام البخاري سنة ست

وخمسين، فكيف يصح الحساب والرد عليه من مسلم، وهذه شبهة قوية ترد على ما ذكرته سابقا.

والحل الثاني الذي ذكره العلامة الشيخ زكريا أعني إن الإمام البخاري صنف جامعه في مدة ست عشرة سنة ما بين سبعة عشر ومائتين الى قبيل ثلاث وثلثين ومائتين، على ضوء ما روى عنه انه لما صنف صحيحه عرضه على احمد بن حنبل وعلى بن المدينى ويحيى بن معين، وقد توفى ابن معين سنة ٢٣٣، ثم صنف الإمام مسلم كتابه في مدة خمس عشرة سنة من بعد ذلك الى خمسين ومائتين، وعاب في مقدمته على البخاري في اشتراط اللقاء في قبول الحديث المعنعن، وحينئذ يصح ما قال الدارقطنى اى شيء صنع مسلم، إنما اخذ كتاب البخاري وزاد فيه أحاديث، وكذا ذكره الحافظ في موضع آخر حيث قال: ومنهم مسلم الحجاج وكان يقاربه في العصر، فرام مرامه وكان يأخذ عنه أو عن كتبه، إلا انه لم يضائق نفسه مضايقة أبي عبد الله، ثم ذكر قول الدارقطنى وقال وبه جزم أبو العباس القرطبي في أول كتاب المفهم في شرح مسلم.

أقول كذا ذكره الشيخ العلامة شبيراحمدالعثمانى في مقدمة فضل الباري، ولكن في هذا التوجيه أيضا نوع شبه، لان الحافظ العسقلانى قال قد انصف مسلم فلم يحدث في

كتابه عن هذا ولا عن هذا، يفهم منه إن مسلما صنف كتابه الصحيح بعدما حدثت المخالفة بين الإمام البخاري والذهلى، وهذه الفتنة حدثت بعد خمسين ومائتين حين قدم الإمام البخاري بنيسابور، فكيف يصح هذا، وأيضا جزم الحافظ العراقي كما ذكره في التدريب: بان تأليف مسلم كان سنة خمسين ومائتين، وزمان تأليفه خمسة عشر سنة، وتوفى الإمام مسلم سنة ١٦٢ هـ فكيف يصح الحساب.

وأيضا لما اعتقد الإمام مسلم البخاري بعد ما تلمذ عليه فكيف رد عليه في مقدمته على البخاري، اللهم إلا إن يقال بان الحافظ العراقي بين آخر مدة التأليف الى خمسين ومائتين، فيصير ابتدائه من خمس وثلاثين بعد تأليف الصحيح البخاري، فيمكن الحساب والرد على البخاري، ولكن مع ذلك لا يصح ما قال الحافظ العسقلانى: قد انصف مسلم فلم يحدث في كتابه عن هذا ولا عن هذا، وأيضا لا يصح ما روى إن البخاري بسبب هذه الفتنة وجرح الذهلى عليه، لم يخرج منه في كتابه مصرحا، بل ابهم في الرواية عنه، فتارة يقول حدثنا محمد وتارة محمد بن خالد وتارة محمد بن عبد الله، ولأجله عده بعض المحدثين انه تدليس من البخاري، لأنه من

ذلك كله يعلم انه صنف كتابه بعد خمسين ومائتين، وهـــذا لا يصح قطعا.

فهذه شبهة قوية لم يبين حلها أحـــد مـــن الشـــراح المحدثين، فبعد التي و اللتي الراجح عند العبد الحقير الحل الثاني، وأما الجواب من الشبهات التي ترد على هذا الحل، بان الـــذي قال الحافظ العسقلانى: قد انصف مسلم فلم يحدث في كتابـــه عن هذا ولا عن هذا، وما قيل انه أبهم في اسم الذهلى واخرج عنه في كتابه مبهما بسبب هذه الفتنة فكله ليس بصحيح، بـــل هذه الأمور التي بينها الرجال إنما بينوها بحسب فهمهم وظنهم و لم يبينها الإمام البخاري بنفسه، فح لا أشـــكال والله اعلـــم بحقيقة الحال.

والذي قال الضعيف في هذا المقام، إنما قال بعد الإمعان والغور التام، والمرجو من المحدثين العلام أن ينبهوني بالأرقـــام على الغلط والخطاء في هذا الكلام، فان كان صوابا فهو مـــن الله وان كان خطأ فهو من عند نفسي، وما أبرئ نفســـي إن النفس لأمارة بالسوء، والله يعصمنا وإياكم عـــن الخطـــاء و الذلل، ويوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

الفائدة العاشرة

في اصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل

قال النووى في التقريب: أول مصنف في الصحيح المجرد صحيح البخاري ثم مسلم، وهما اصح الكتب بعد القرآن العزيز، والبخاري أصحهما وأكثرهما فوائد، وقيل مسلم والصواب الأول قال الحافظ: قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح في كتابه في علوم الحديث، فيما اخبرنا به أبو الحسن بن الجوزى عن محمد بن يوسف الشافعي عنه سماعا قال: أول من صنف في الصحيح أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى، ومسلم مع انه اخذ عن البخاري واستفاد منه فانه يشارك البخاري في كثير من شيوخه، وكتابا هما اصح الكتب بعد كتاب الله العزيز.

وأما ما رويناه عن الشافعي انه قال: ما اعلم في الأرض كتابا في العلم اكثر صوابا من كتاب مالك، قال و منهم من رواه بغير هذا اللفظ اصح من المؤطا، فإنما قال ذلك قبل وجود كتابي البخاري ومسلم، ثم إن كتاب البخاري اصح الكتابين صحيحا وأكثرهما فوائد، واما ما روينا عن أبي على الحافظ النيسابورى أستاذ الحاكم أبي عبد الله الحافظ من انه قال: ما تحت أديم السماء كتاب اصح من كتاب مسلم.

فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخاري، إن كان المراد به إن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح فانه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندها على الوصف والشروط في الصحيح، فهذا لا بأس به.

وليس يلزم منه إن كتاب مسلم ارجح فيما يرجع الى نفس الصحيح على كتاب البخاري، وان كان المراد به إن كتاب مسلم اصح صحيحا فهذا مردود على من يقوله، قال الحافظ وأما من حيث التفصيل فقد قررنا إن مدار الحديث الصحيح على الاتصال واتقان الرجال وعدم العلل، وعند التأمل يظهر إن كتاب البخاري اتقن رجالا واشد اتصالا وبيان ذلك من اوجه.

احدها إن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربع مائة وبضع وثلثون رجلا، المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلا، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ست مائة وعشرون رجلا، المتكلم فيه بالضعف منهم مائة وستون رجلا، ولا شك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلا أولى من التخريج عمن تكلم فيه وان لم يكن ذلك الكلام قادحًا،

ثانيها إن الذين انفر دبهم البخاري ممن تكلم فيه لم يكثر من تخريج أحاديثهم،

ثالثها إن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه أكثرهم من الشيوخ الذين لقيهم و جالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز جيدها من موهو مها، بخلاف مسلم فان اكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عن عصره من التابعين ومن بعدهم، ولاشك أن المحدث اعرف بحديث شيوخه ممن تقدم منهم،

رابعها إن البخاري يخرج من أحاديث أهل الطبقة الثانية انتقاء ومسلم يخرجها أصولا كما فسر أبو بكر البخاري هذه الطبقات،

خامسها إن مسلما كان مذهبه أن الإسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصرا و لم يثبت الاجتماع بينهما إلا إن كان المعنعن مدلسا، و البخاري لا يرى ذلك حتى يثبت الاجتماع ولو مرة، وربما اخرج الحديث الذي لا تعلق له بالباب أصلا إلا ليبين سماع راومن شيخه لكونه قد اخرج له قبل ذلك معنعنا،

وسادسها إن الأحاديث التي انتقدت عليها بلغت مائتي حديث وعشرة أحاديث، اختص البخاري منها بأقل من ثمانين يعني ثمانية وسبعين حديثا وباقي ذلك يختص بمسلم، ولا شك

إن قل الانتقاد فيه ارجح مما كثر مختصرا ما قال في المقدمة والتدريب، و ذكر شيخ الحديث العلامة زكريا: مما يستدل به على ترجيح البخاري على مسلم وهوان الروايات المتكلمة في البخاري اقل عددا من الروايات المتكلمة في مسلم كما في الشعرفدعد لجعفى وقاف لمسلم : وبل لهما فاحفظ وقيت من الردى.

وقال الحافظ والذى يظهرلى من كلام ابى على انه انما قدم صحيح مسلم لمعنى غيرما يرجع الى ما نحن بصدده من الشرائط المطلوبة فى الصحة، بل ذلك لان مسلما صنف كتابه فى بلده بحضوراصوله فى حياة كثير من مشائخه، فكان يتحرز فى الالفاظ ويتحرى فى السياق و لا يتصدى مما تصدى له البخارى من استنباط الاحكام ليبوب عليها، ولزم من ذلك تقطيعه للحديث فى ابوابه، بل جمع مسلم الطرق كلها فى مكان واحد واقتصر على الاحاديث دون الموقوفات فلم يعرج عليها الا فى بعض المواضع على سبيل الند و رتبعا لا مقصودا.

فلهذا قال ابو على ما قال مع انى رأيت بعض ائمتنا يجوز ان يكون ابو على مارأى صحيح البخارى، وعندى فى ذلك بعد، و الاقرب ما ذكرته، واما ما نقل بعض شيوخ المغاربة فلا يحفظ عن احد منهم تقييد الافضلية بالاصحية بل اطلق بعضهم الافضلية، كما حكى القاضى عياض عن ابى

مروان قال، كان بعض شيوخى يفضل صحيح مسلم علـــــى صحيح البخارى واشار بذلك الى ابن حزم.

وقال مسلم بن قاسم القرطبى (كذا فى المقدمـــــة وفى التدريب مسلمة بن قاسم القرطبى) لم يصنع احد مثله اى مثـل صحيح مسلم، فهذا محمول فى حسن الوضع وجودة الـــترتيب لافى الصحة، وقال السيوطى فى الالفية

واول الجامع باقتصار # على الصحيح فقط البخارى.

ومسلم بعده والاول # على الصواب فى الصحيـــــح افضل.

ومن يفضل مسلما فانما # ترتيبه ووضعه قد احكما.

وكما قال ابن العربى

تنازع قوم فى البخارى و مسلم # لدى فقـــــالوا اى ذين يقدم

فقلت لقد فاق البخارى صحة # كما فاق فى حســن الصناعة مسلم

قال فى التدريب قال ابن الملقن: رأيت بعض المتأخرين قال ان الكتابين سواء فهذا قول ثالث، وحكاه الطوفى فى شــــرح الاربعين ومال اليه القرطبى، التنبيه، وقــــال القســـطلانى امـــا الجواب عما انتقد عليه فاعلم انه لا يقدح فى الشيخين كونهما اخرجا لمن طعن فيه لان تخريج صاحب الصحيح لاى راو كان

مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته لا سيما، وقد انضاف الى ذلك اطباق الامة على تسميتهما بالصحيحين، وهذا اذا خرج فى الاصول فان اخرج له فى المتابعات والشواهدوا التعاليق فتتفاوت درجات من اخرج له فى الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم، فان وجدنا مطعونا فيه فذلك الطعن مقابل لتعديل هذاللامام فلا يقبل التجريح الامقسى بقادح يقدح فيه اوفى ضبطه مطلقا اوفى ضبطه بخبر بعينه لان الاسباب الحاملة لائمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها مالا يقدح.

و قال ابو الحسن المقدسى فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح هذا جازالقنطرة يعنى لا يلتفت الى ما قيل فيه، واما الاحاديث التى انتقدت عليها فاكثرها لا يقدح اصل موضوع الصحيح فان جميعها واردة من جهة اخرى، وقد علم ان الاجماع واقع على تلقى كتابيهما بالقبول والتسليم الاما انتقد عليهما فيه، والجواب عن ذلك على سبيل الاجمال انه لا ريب فى تقديم الشيخين على ائمة عصرهما ومن بعدهما فى معرفة الصحيح والمعلل.

وقد روى الفربرى عن البخارى انه قال: ما ادخلت فى الصحيح حديثا الابعدان استخرت الله تعالى وتثبت صحته، وقال مكى ابن عبد ان: كان مسلم يقول: عرضت كتابى على

ابى زرعة وكل ما اشار الى ان له علة تركته، فاذا علم هـــــذا وتقرر انهما لا يخرجان من الحديث الامالاعلة له اوله علـــة الا انها غير مؤثرة، وعلى تقدير توجيه كلام من انتقد عليها يكون كلامه لتصحيحها ولا ريب فى تقديمها فى ذلك على غيرهمـــا، فيندفع الاعتراض من حيث الجملة.

الفائدة الحادية عشرة

فى مذاهب ائمة الكتب الستة

قد اجاد مولنا عبد الرشيد النعمانى فى ما تمس اليه الحاجة لمن يطالع ابن ماجه الكلام على مسالك الائمة الستة فقال: واما مذاهب مؤلفى الاصول الستة فقال الامام العلامة الحافظ محمد انور شاه الكشميرى فى فيض البارى "اعلم ان البخارى مجتهد لا ريب فيه وما اشتهر انه شافعى فلموافقته اياه فى المسائل المشهورة (مثل رفع اليدين وجهر التامين وغيرهما والافقى كثير من المسائل الشهيرة ايضا لا يوافقه كالوضوء من القبلة ومس الذكر ومس المرأة والقلتين والجهر بالبسملة وتثليث الماء لمسح الرأس وطهارة المنى وقيام المأموم بحذاءالامام وكيفية صلوة الكسوف والكلام فى الصلوة وغير ذلك من المسائل الكثيرة التى لا تخفى على من امعن النظر فى تراجمه) والا فموافقته للامام الاعظم ليس باقل مما وافق فيه الشافعى.

وكونه من تلامذة الحميدى لاينفع لانه من تلامذة اسحاق بن راهويه ايضا وهو حنفى، ان ابن راهويه تفقه اولا بمروعلى مذهب الامام ابى حنيفة عند عبد الله بن المبارك واصحابه، ثم لما رحل بالبصرة فى رحلته جلس الى عبد الرحمن بن مهدى واتصل به، فحصل الانحراف عن فقه ابى حنيفة

بصحبة ابن مهدى حتى اصبحت طريقته فى الفقه اشبه شيئ بالظاهرية، فسبحان مقلب القلوب ولاحاجة الى ذكر ابن راهويه ونحوه فان الحنفية من شيوخ البخارى وشيوخ مشائخه كثيرون لا تخفى على من مارس كتب الرجال، ساذكر لهذا فى فصل مستقبل بعده، فعده شافعياباعتبارالطبقة ليس باولى عن عده حنفيا.

والترمذى فهو شافعى المذهب لم يخالفه صراحة الا فى مسألة الابراد، والنسائ وابوداؤد حنبليان، صرح به الحافظ ابن تيمية، وزعم آخرون انهما شافعيان، واما مسلم وابن ماجه فلا يعلم مذهبهما، وقال فى العرف الشذى واما مسلم فلا اعلم مذهبه بالتحقيق، واما ابن ماجه فلعله شافعى والترمذى شافعى، وابوداؤد والنسائ فالمشهور شافعيان، والحق انهما حنبليان.

وقد شحنت كتب الحنابلة بروايات ابى داؤد عن احمد، اماالسيد صديق حسن خان فقد ذكر فى "الحطة فى ذكر الصحاح الستة" صحيح مسلم بلفظ الجامع الصحيح للامام الحافظ ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى الشافعى، وكذا قال فى كتابه "اتحاف النبلاء" وذكر فى كتابه "ابجد العلوم" البخارى واباداؤد والنسائ فى الشوافع، وقال العلامة ابراهيم بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ محمد هاشم التنوى السندى

فى كتابه "سحق الاغبياء من الطاعنين فى كمل الاولياء واتقياء العلماء".

اما مسلم والترمذى وان كان المسموع للعوام فيهما انهما شافعيان، لكن ليس معنى ذلك انهما تقلدا الامام الشافعى بل الظاهر انهما مجتهدان مستنبطان وافق فقههما فقه الشافعى، واشارالى اجتهاد مسلم ابن حجر فى تقريبه اذقال "ثقة امام" وكذا فى جامع الاصول، والى اجتهاد الترمذى الذهبى، الشافعى فى ميزانه، لكن محمد بن احمد الترمذى شافعى، وصاحب السنن اسمه محمد بن عيسى بن سورة الترمذى هو مجتهد، فمن حكم عليه بانه شافعى اخطأ من لفظ الترمذى ولم يحقق، ثم اطلعت فى اتحاف الاكابر على اشارة الى ان الامام مسلماما لكى المذهب، وذلك انه ساق السند المسلسل لمسلم بالمالكية ولم يبين الغاية على عادته ثم وقفت على التصريح بالغاية بقوله الى مسلم، فكان اول دليل على ان الامام مسلماما لكى المذهب.

وذكرالتاج السبكى فى طبقاته ان الامام البخارى شافعى المذهب، وتعقبه العلامة نفيس الدين سليمان بن ابراهيم العلوى فقال: البخارى امام مجتهد براسه كابى حنفية والشافعى ومالك واحمد وسفيان الثورى ومحمد بن الحسن، وقال العلامة الشاه ولى الله الدهلوى فى "الانصاف فى بيان

الاختلاف" واما البخارى فانه وان كان منتسبا الى الشـافعى وموافقاله فى كثير من الفقه فقد خالفه ايضا فى كثير، وكذلك لا يعد ما تفردبه من مذهب الشافعى.

واما ابو داؤد والترمذى فهما مجتهدان منتسـبان الى احمد و اسحق، وكذلك ابن ماجه والدارمى فيما نرى، واما مسلم والذين ذكرناهم بعده (وهـم النسـائ والدارقطـنى والبيهقى والبغوى) فهم منفردون، لمذهب الشافعى يتـاصلون دونه وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح: ان البخارى فى جميع ما يورده فى تفسير الغريب انما ينقله من اهل ذلك الفن كابى عبيد والنضربن شميل والفراء وغيرهم.

وقال الشيخ ابن القيم فى اعلام الموقعـين البخـارى ومسلم وابو داؤد والاثرم وهذه الطبقة من اصحاب احمد اتبع له من المقلدين المحض المنتسبين اليه وكذلك ذكر هؤلاء الثلثـة ابن ابى يعلى فى طبقات الحنابلة، واما التاج السبكى فلم يذكر طبقات الشافعية الاالبخارى واباداؤد والنسائ، واما الحنفيـة والمالكية فلم يذكـروا احـدا منـهم فى طبقـاتهم، وقـال الشيخ طاهرالجزائرى فى توجيه النظر، وقد سأل بعض البارعين فى علم الاثر عن مذاهب المحدثين مرارا بذلك المعنى المشـهور عند الجمهور فاجاب عما سئل بجواب يوضح حقيقة الحـال وان كان فيه نوع اجمال، وقداحببنا ايراده ههنا مع اختصار ما

قال، اما البخارى وابوداؤد فامامان فى الفقه وكانا من اهل الاجتهاد، واما مسلم والترمذى والنسائ وابن ماجه وابن خزيمة وابو يعلى و بزار و نحوهم فهم على مذهب اهل الحديث، ليسوامقلدين لواحد من العلماء، ولاهم من الائمة المجتهدين، بل يميلون الى قول ائمة الحديث كالشافعى واحمد واسحاق وابى عبيدة وامثالهم، وهم الى مذهب اهل الحجاز اميل منهم الى مذهب اهل العراق.

واما ابو داؤد الطيالسى فاقدم من هؤلاء كلهم من طبقة يحيى بن قطان ويزيد بن هارون الواسطى وعبد الرحمن المهدى و امثال هؤلاء من طبقة شيوخ الامام احمد، و هؤلاء كلهم لا يالون جهدا فى ابتاع السنة، غير ان منهم من يميل الى مذهب العراقيين، كوكيع ويحيى بن سعيد، ومنهم من يميل الى مذهب المدينين كعبد الرحمن بن مهدى، وعندى ان البخارى واباداؤد ايضا كبقية الائمة المذكورين ليسامقلدين لواحد بعينه ولا من الائمة المجتهدين على الاطلاق بل يميلان الى اقوال ائمتهم ولوكانا مجتهدين ينقل اقوالهما مع اقوال سائرالائمة من اهل الاجتهاد و الفقه، لكن نرى ان سائر الكتب التى دونت فيها اقوال المجتهدين خالية عن ذكر مذاهبهما.

وهذا الترمذى مع انه خواص اصحاب البخارى لا يذكر فى جامعه مذهب شيخه الذى تخرج به مع ذكراكثر

مذاهب المجتهدين كابن المبارك واسحاق، ولوكان البخارى عند الترمذى من ائمة الفقه والا اجتهاد يذكر مذهبه فى كل باب، انتهى ما فيما تمس اليه الحاجة مختصرا، وذكر صاحب كشف الظنون: ان الامام المسلم كان شافعيا اذقال جامع الصحيح للامام مسلم الشافعى.

وفى اليانع الجنى فى ذكر الامام مسلم، وكان متفردا المذهب الشافعى يناضل دونه لا يتعداه الى غيره الايسيرا بخلاف البخارى فانه وان كان منتسبا الى الشافعى ووافقه فى كثير من الفقه فقد خالفه ايضا فى كثير ولذلك لا يعد ما تفردبه من مذهب الشافعى، وقال فى ذكر ابى داؤد ومن مذهبه ان الحديث الضعيف اقوى عنده من راى الرجال وهو قول جماعة من العلماء منهم الامام احمد بن حنبل الى ان قال وبهذا وشبهه يتقوى ما يقال ان ابا داؤد وكذلك الترمذى مجتهدان مطلقان منتسبان الى احمد واسحاق، وقال وابو عيسى كما قلت سابقا مجتهد مطلق منتسب الى احمد واسحاق،

واختار الشيخ العلامة العثمانى فى مقدمة فتح الملهم ما نقل عن الشيخ طاهرالجزائرى فى توحيه النظر، وقال الشيخ زكريا والذى تحقق لى ان اباداؤد حنبلى المذهب بلاريب لا ينكر ذلك من امعن النظر على سننه والامام البخارى عندى مجتهد برائه وهذا ايضا ظاهر من ملاحظة تراجمه كالائمة

المجتهدين المعروفين فلانه لم يكن اماما متبوعا و لم يقلده احـــد مثل الائمة الاخر، ولذالم يشع مذهبه.

واما بقية الستة فلايبعدان يعدوا فى الطبقة الثانية مـــن الفقهاء، وهى طبقة المجتهدين فى المذهب كابى يوسف ومحمـد فى الفقهاء الحنفية فانهم يخالفون فى الفروع لامامهم، ويبـــنى على هذا ما تقدم من التجارب فى ذكر مسالك هؤلاء العظـام مرة يعدون احدا شافعيا واخرى حنبليا مثلا، فانهم يوافقـــون احدا من الائمة فى بعض الفروع المعروفة فيعدهم الراوى مـــن جملتهم، ولا يبعدايضا ان يكون ذلك مبنيا علـــى اختـــلاف رأيهم باختلاف الزمان، فان كثيرا من اهل العلم من الســـلف والخلف يختارون مسلك واحد من الائمة المجتهدين، ثم ينقلـون الى مسلك امام اخر، لانهم كانوا اهلا لذلك لقـــوة نظرهـــم ومبلغهم الى هذه الرتبة من العلم فانهم كالوا اهـــل الروايـــة والدراية، بخلاف اهل زماننا الذين منتهى علمهم النظــــر الى الكتب العديدة المعروفة المختارة من ذخائر الحديث.

وقد حكى السيوطى جماعة من اهل العلم انتقلوا مـــن مسلك الى اخر، منهم الشيخ عبد العزيز بن عمران الخزاعـــى كان من اكابر المالكية، فلما قدم الشافعى ببغداد تبعه، ومنـهم محمد بن عبد الله بن الحكم كان مالكيا فلما قدم الشـافعى الى مصرانتقل الى مسلكه ثم رجع مالكيا بعدموت الامام الشافعى،

ومنهم ابراهيم بن خالد البغدادى الحنفى صار شافعيا، ومنهم ابو ثوركان له مذهب فتركره وتبع الشافعى، ومنهم ابو جعفر بن نصر الترمذى كان حنفيا ثم صار شافعيا.

ومنهم ابو جعفر الامام الطحاوى كان شافعيا ثم صار حنفيا، ومنهم الخطيب البغدادى الحافظ كان حنبليا ثم عمل شافعيا، ومنهم ابن فارس صاحب كتاب المجمل فى اللغة كان شافعيا ثم صار مالكيا، ومنهم السيف الامدى الاصولى المشهور كان حنبليا ثم صار شافعيا، و منهم الشيخ نجم الدين بن خلف المقدسى كان حنبليا ثم صار شافعيا، ومنهم الشيخ محمد بن الدهان النحوى كان حنبليا ثم انتقل شافعيا، ثم تحول حنفيا ثم رجع شافعيا، ومنهم شيخ الاسلام كمال الدين يوسف الدمشقى كان حنبليا ثم انتقل شافعيا، ومنهم الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد كان اولا مالكيا ثم تحول شافعيا، ومنهم الامام ابو حبان كان اولا على مذهب اهل الظاهر ثم عمل شافعيا،

ذكره الشعرا نى واكثر فى ذكر من انتقل الى الشافعية وغيرهم ممن انتقل من مسلك الى آخر كثيرون كما يظهر من ملاحظة كتب الطبقات، منهم عبد السيد المعروف بابن الزيتونى كان حنبليا ثم صار حنفيا كما فى الجواهر، ومنهم محمد بن عبد الرزاق ابو المناقب الواعظ كان شافعيا ثم تحول

حنفيا كذا فى الجواهر، ومنهم احمد بن محمد بن حسن الشمنى المالكى ثم الحنفى كما قال السخاوى كذافى الفوائد البهيــــة، ومنهم عبد الواحد بن برهان الدين العكبرى النحوى كــــان حنبليا ثم صار حنفيا كما قاله السيوطى فى بغية الوعاة كــذا فى الفوائد، ومنهم يوسف بن فرغانى سبط الحافظ ابن الجوزى كان حنبليا فصار حنفيا كذا فى الفوائد، وغيرهم كثيرون ممــن انتقل من مسلك الى آخر.

ذكر جماعة منهم صاحب ارشاد اهل الملة الى اثبــــات الاهلية منهم ابوالمحاسن محمد بن عبد الله النيســـابورى كــــان شافعيا ثم تحول حنفيا، ومنهم ابو عبد الله محمد بـــــن عمــــر القاهرى المعروف بابن المغربى كان مالكيا ثم انتقــــل حنفيـــا، ومنهم ابو القاسم عبد الواحد بن على البغدادى كان حنبليـــا فتمذهب بمذهب ابى حنيفة، فاى مانع فى هؤلاء ائمة الحديـــث انهم مالوا اولا الى مسلك امام ثم لماوصلت عندهم الروايـــــات الكثيرة التى توافق مسلك امام اخر انتقلوا الى مسلكه، فــــانهم كانوا اهل الرواية والدراية حافظين لذخــــائر الحديـــث مــــن المرفوعات واثارا الصحابة والتابعين رضى الله تعــــالى عنـــهم اجمعين. والله اعلم.

الفائدة الثانية عشرة

فى خصائص الكتاب غير التراجم

قال الشيخ العلامة زكريا فى مقدمة اللامع: منها ما هو المعروف عن الاساتذة الكرام ان الامام البخارى اذا وقعت لـه الفترة فى التاليف ويبدأه بعد الفترة يبتدأ بالتسمية ولذاتـوى فى بعض المواضع يذكر التسمية فى اثناء الكتب، ومنها ما افـاده شيخ مشائخنا الدهلوى فى التراجم فى باب البـول فى المـاء الدائم قوله باسناده انما قال باسناده دون ان يوصل هذه الجملة فى الاسناد المذكور فى هذالكون الاحوط ذلك فى مثل هـذا المقام، وذلك لان شيخه ابا اليمان عن شعيب عن ابى الزنـاد عن عبد الرحمن عن ابى هريرة قد ذكر فى اولها الاسناد ثم بعـد ذلك اورد فيها الاحاديث، روماللاختصار بقوله وباسناده قال كذا وكذا فالاحتياط فى ذلك هوان يقول وباسـناده ذكـر كذالاان يسرد له الاسناد المذكور اولا لانه يحتمل ان يكون له اسناد وراء ذلك الاسناد ومثل هذاكثير فى هـذا الكتـاب و للمؤلف فيه اهتمام تام انتهى،

ومنها ما هوالمعروف عند الشراح ان البخارى يشـير بصيغة التمريض الى ضعف ما يورده، قـال النـووى فى اول شرحه على البخارى: قال العلماء المحققـون مـن المحدثـين وغيرهم اذا كان الحديث ضعيفا لايقال فيه قال رسـول الله

صلى الله عليه وسلم او امرا ونهى وشبه ذلك من صيغ الجـزم، وكذالايقال روى ابو هريرة اوقال او ذكر او حدث او افتى او شبه ذلك، وكذالايقال ذلك فى التابعين ومن بعدهم فيما كان ضعيفا فلا يقال شيئ من ذلك بصيغة الجزم، وانمـا يقـال فى الضعيف بصيغة التمريـض فيقـال روى عنـه او نقـل او ذكراوجاء عنه كذا او بلغنا عنه قالوا، واذا كان الحديـث او غيره صحيحا او حسنا عين المضاف اليه بصبغة الجزم، ودليـل هذا كله ان الجزم يقتضى صحته عن المضاف اليه فلا يقـال الاعلى ما صح والافيكون فى معنى الكاذب عليه الى ان قـال وقد اعتنى البخارى بهذا التفصيل فى صحيحـه، فيقـول فى الترجمة الواحدة بعض كلامه بتمريض وبعضه بجـزم مراعيـا ماذكرنا وهذا مما يزيدك اعتقادا فى جلالتـه وتحريـه ورعـه واطلاعه وتحقيقه واتقانه انتهى.

وتعقب على هذا القول الحافظ العسـقلانى والعيـنى وقالوا تحت باب خوف المؤمن ان يحبط عمله فى قوله "ويذكر عن الحسن" وحاصل ما قالوا ان البخارى لا يخـص صيغـة التمريض لضعف الاسناد بل اذا ذكر المتن بالمعنى او اختصـره اتى بها ايضا وهذا هو التحقيق فى مثل هذا الموضع كما فى هذا المقام لان اثرالحسن ثابت عند البخارى بالصحة ولكنه اتـى ههنا بالاختصار فذكر صيغة التمريض فليتنبه،

ومنها كلما قال البخارى "قال فلان" فهو محمول على المذاكرة، قال الكرمانى لفظ "قال فلان" لا يدل جزما على انه سمعه منه فيحتمل الواسطة وهواحط مرتبة من حدثنا ونحـــوه سواء بزيادةلنا اولا لانه يقال على سبيل المذاكرة، بخلاف نحـو حدثنا فانه يقال على سبيل النقل والتحمل، وقال النـــووى فى التقريب: قال ابو جعفر بن حمد ان النيسابورى كـــل قـــول البخارى قال لى عرض ومناولة، وقال السيوطى فى التدريـــب: افرط ابن مندة فقال حيث قال البخـــارى قـــال لنـــا فهواجازة، وحيث قال قال فلان فهو تدليس، ورد العلمـــــاء عليه فى ذلك ولم يقبلوه.

وقال العسقلانى دليل الرد بانى استقريت كثيرا مـــــن المواضع التى يقول فيها فى الجامع قال لى فوجدته فى غير الجامع يقول فيه حدثنا، والبخارى لا يستجيز فى الاجـــازة اطـــلاق التحديث، فدل على انها عنده من المســـموع لكـــن ســـبب استعماله لهذا الصيغة ليفرق بين ما يبلغ شرطه وما لا يبلـــغ، وقيل انه لا يقول ذلك الا فيما حمله مذاكرة وهو محتمل لكنـــه ليس بمطرد، وتعقبه العينى وقال الصواب ما قال الكرمانى انـــه من باب المذاكرة، وكذا قال صاحب التوضيح انه من بـــاب المذاكرة، واما اذا اورد البخارى حديثا واحدا فى كتابـــــه فى الموضعين فى احدهما بلفظ التحديث وفى الموضع الاخر بلفـــظ

قال فيقال انه اخذ الحديث على طريقتين بطريق المذاكرة والتحديث معا فاورده بكلتا الطريقتين فى الموضعين.

ومنها عادة البخارى اذا وقع فى الحديث لفظة غريبة ووقع مثلها فى القران يحكى قول اهل التفسير فيها لادنى مناسبة، وهذا ترى فى كثير من المواضع فى تحقيق غرائب الالفاظ.

ومنها ما ادعى البخارى فى كتاب الحج من انه لا يورد فى صحيحه حديثا مكررا اذقال فى باب التعجيل الى الموقف قال ابو عبد الله يزاد فى هذا الباب هم هذا الحديث حديث مالك عن ابن شهاب ولكنى، اريدان ادخل فيه غير معاد، قال الحافظ العسقلانى يعنى حديثا لا يكون تكرركله سندا ومتنا وهو يقتضى ان اصل قصده ان لا يكرر فيحمل على ان كلما وقع فيه من تكرار الاحاديث انما هو حيث يكون هناك مغائرة اما في السند واماقى المتن حتى انه لواخرج الحديث فى الموضعين عن شيخين حدثاه به عن مالك لا يكون عنده معادا ولا مكررا.

وايضا قال الحافظ فى المقدمة: فلما يورد حديثا فى موضعين باسناد واحد وانما يورده من طريق اخرى لمعان، منها ما قال السيوطى فى التدريب: ليس فى البخارى بطريق المكاتبة عن شيخه الاحديث واحد فقط لاغيره، ونصه فى القسم

الخامس من اقسام التحمل الكتابة بعد ذكر نوعيها المجردة والمقرونة بالاجازة، منع الرواية بها قوم منهم الماوردى وغيره واجازها كثيرون من المتقدمين والمتأخرين وهو الصحيح المشهور بين اهل الحديث، وفى البخارى فى الايمان والنذور كتب الى محمد بن بشار وليس فى البخارى بالمكاتبة غيره وفى مسلم احاديث كثيرة بالمكاتبة.

منها ما يقول العبد الضعيف ان الامام البخارى اتى فى مبدأ كل كتاب بالآية الكريمة ففيه اشارة الى ان الحديث شرح للقران فلا بد لكل نوع من الاحكام الشرعية ان يكون اصله ثابتا من الكتاب فالامام اشار بالاية الى مأخذ الاحكام كما فى باب الوحى والايمان والطهارة والتيمم والوضوء والغسل والصلوة الى غير ذلك وهذا ما قاله العبد الضعيف اشاراليه الشيخ زكريا ايضا بعبارة اخرى يقول: ان الامام البخارى طالما يشير فى اول كل كتاب فيه الى زمان نزول الحكم ومبدأ شرعيته بنوع لطيف من الاشارات لاسيما ان كان الامر مختلفا بينهم.

ومنها ما افاده الحافظ العسقلانى بان الامام البخارى يعتنى غالبا بان يكون فى الحديث الاخير من كل كتاب من كتب هذا الجامع مناسبة لختمه ولو كانت الكلمة فى اثناء الحديث الاخر او من الكلام عليه، كقوله فى اخر حديث بدأ

الوحى فكان ذلك اخرشان هرقل، وفى اخر كتاب الايمــان ثم استغفرو نزل وغير ذلك، ويقول الشيخ زكريـــا ان الامـــام البخارى يذكر الرجل فى اخر كل كتاب موته فان الاشــارات فى اواخر هذه الكتب الى ختم الرجل وتذكير موتـــه اقــرب واظهر فكانه ينبه على ختم كل كتاب على التذكــير لهــازم اللذات يذكر لفظ الاخر او الهلاك او الاســـتغفار او يذكــر احوال القيمة واحوالها كما يظهر ذلك كله بادنى التامل،

ومنها ما افاده الحافظ اذ قال: قال الشيخ ســراج الدين البلقينى فى كلامه على مناسبة ابـــواب صحيـــح البخارى الذى نقلته فى او اخر المقدمة، لما كان اصـــل العصمة اولا واخرا هو توحيدالله تعالى فختم بكتــــاب التوحيد، وكان آخرالامور التى يظهر المفلح من الخاســر ثقل الموازين وخفتها فجعله آخر تراجم الكتاب، فبــدأ بحديث الاعمال بالنيات وذلك فى الدنيا وختـــم بـــان الاعمال توزن يوم القيمة، واشار الى انه انما يثقل منـــها ما كان بالنية الخالصة لله، وقال الكرمانى: ختم بمبـاحث كلام الله لانه مدار الوحى وبه تثبت الشرائع ولهذا افتتح

ببدء الوحى والانتهاء الى ما منه الابتداء ونعم الختم بهـ
ولكن ذكر هذا الباب ليس مقصودا بالذات بـل هـو
لارادة ان يكون اخر الكلام التسبيح والتحميد، ويقـول
العبد الضعيف بان الامام البخارى شرع كتابه بمبـدء
المبادى اى الوحى وبه يثبت تكليف العباد واختتم باخر
الاواخر وهوالدخول فى الجنة وكلام اهل الجنـة فيـها
التسبيح والتحميد.

الفائدة الثالثة عشرة

فى ترتيب الكتب الستة

قال الشيخ الحافظ انور الكشميرى فى فيض البـــارى:
وبالجملة فالمقدم صحيح البخارى ثم الصحيح لمسلم وبعدهـــا
عندى صغرى النسائ على خلاف ما عندهم لانه قال كل مـا
اخرجت فى الصغرى فهو عندى صحيح، بخلاف ابى داؤد فانه
لم يشترط الصحة بل قال: كل ما اخرجت فى كتـــابى فـــهو
صالح للعمل عندى فيعم الحسن، واما الحــــافظ فـــلا يــترك
احاديث النسائ والمؤطاء بالنقد كانه يشبر الى ان احاديثـــهما
تحتاج الى النقد جزئيا ولا يحكم عليها بالصحة كليا، وعنـــدى
النسائ كله مستغنى عن النقد، قال الســــبكى والذهـــبى ان
النسائ احفظ من مسلم، قلت هذا الفرق فى اشـــخاصهما لا
فى كتابيهما فان كتاب مسلم اصح من النسائ.

ثم قال الشيخ: وبعده ابوداؤد فانه وان اشتمل علــــى
احاديث ضعاف الا ان ضعفها يسير، وقد اخـــرج ابـــو داؤد
رواية عن جابر الجعفى ايضا، وهو اجمع فى السنن حتى قــــال
الخطابى انه اجمع كتاب فى الدين، ويقربه عندى الطحـــــاوى
المشهور بشرح معانى الاثار، فان رواته كلهم معروفـــون وان
كان بعضهم متكلما فيه ايضا، ثم الترمذى وكتابه وان اشتمل

على غرائب وضعاف لكنه ينبه عليه فى كل موضع، وهو وان كان اقل حديثا باعتبار السرد فى الابواب الا انه اخبره بالايماء اليها ضمن قوله وفى الباب.

ثم ان الترمذى ليس عنده اسناد مذهب الامام ابى حنيفة فلذا لا يذكر اسمه صراحة بخلاف مذهب الائمة الاخر فلها عنده اسانيد سردها فى كتاب العلل، ويظن من ليس عنده علم انه لا يذكر اسمه لعدم رضائه منه، وبعده ابن ماجه وفيه نحو من عشرين حديثا منهم بالوضع، واما الموطألمالك فلكونه مشتملا على الآثار كثيرا لم يتكلم عليه، قال ابن حزم لقد احصيت ما فى موطأ مالك فوجدت فيه خمس مائة ونيفا مسندا وثلثمائة و نيفا مرسلا، وفيه نيف وسبعون حديثا قد ترك مالك نفسه العمل عليها، وفيها احاديث ضعيفة اوهاها جمهور العلماء، قال الخطيب: ان الموطأ مقدم على كل كتاب من الجوامع والمسانيد.

قال الشيخ العلامة زكريا فى مقدمة اللامع: وبالجملة ان صحيح البخارى اعلى رتبة فى الصحة وغيرها عند الجمهور ثم الصحيح للامام مسلم ثم السنن للامام ابى داؤد عند هذا العبد الضعيف، وبذلك جزم صاحب مفتاح السعادة اذ قال: اعلم ان رئيس هؤلاء الطائفة وقد وهم يعد مالك الامام ابو

عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى ويليه فى الرتبة كتاب مسلم ويليها ابو داؤد ويليهم ابو عيسى الترمذى ويليهم ابو عبد الرحمن النسائ، وبذلك جزم صاحب نيل الامانى، اذقال فى شرح قول القسطلانى.

ومنهم من لم يتقيد بذلك كباقى الكتب الستة قال وهى سنن ابى داؤد والترمذى و النسائ وابن ماجه وهم على هذا الترتيب فى الصحة وكلام ابن سيد الناس فى شان ابى داؤد يشير الى انه يجعله فى مرتبة مسلم اذقال فهلا الزم مسلم بما الزم به ابو داؤد فمعنى كلامهما واحد الى آخر ما بسطه السيوطى فى التدريب، وكفى لفخره ان الترمذى والنسائ من تلامذته، وعرض ابو داؤد سننه على شيخه الامام احمد بن حنبل فاستحسنه، ويدل ذلك على انه صنف قبل المأتين واحدى واربعين لانه عام وفاة الامام احمد بن حنبل.

وفى الحطة قال السبكى فى طبقاته الفقهاء لايتحاشون من اطلاق لفظ الصحيح عليها وعلى الترمذى، وقال الخطابى كتاب ابى داؤد جامع لنوعى الصحيح والحسن واما السقيم فعلى طبقات، وكتاب ابى داؤد خلامنها برى من جملة وجهها، ثم بعد ذلك سنن النسائ عند ذلك الضعيف لما قال ابن الاثير سأله بعض الامراء عن كتابه السنن الكبرى أكله

صحيح؟ فقال لا، قال فاكتب الصحيح منه مجردا فلخص منه الصغرى وسماه المجتبى بالموحدة او النون والمعنى متقارب، وقال الحافظ ابو على: للنسائ شرط فى الرجال اشد من شرط مسلم وكذلك الحاكم والخطيب يقولان انه صحيح وان له شرطا فى الرجال اشد من شرط مسلم، لكن قولهم غير مسلم كذا فى الحطة، قلت هو كذلك وليس هذا محله لكنهم اجمعوا على ان رتبته بعد الصحيحين.

وفى اليانع الجنى قال النسائ كتاب السنن كله صحيح وبعضه معلول الا انه يبين علته، والمنتخب المسمى بالمجتبى كله صحيح، وقال العلامة الكوثرى فى هامش شروط الائمة للحازم: والنسائ على تأخره زمانا ذكره بعضهم بعد الصحيحين فى المرتبة لانه اشد انتقاد اللرجال من الشيخين واقل حديثا منتقدا بالنظر الى من بعد الشيخين ويحسن بيان العلل، ثم بعد ذلك عندى الترمذى، وفى التدريب قال الذهبى: انحطت رتبة جامع الترمذى من سنن ابى داؤد والنسائ لاخراجه حديث المصلوب والكلبى وغيرها كذا ذكره فى نفع القوت، قلت وايضا ان الروايات التى حكم عليها بالوضع فى الترمذى وان لم يكن صحيحا هى اكثر جدا مما حكم عليها بالوضع فى ابو داؤد والنسائ.

اقول قال فى التدريب: "الفت القول الحسن فى الذب عن السنن" اوردت فيه مائة وبضعة وعشرين حديثا ليس بموضوعة، منها ما فى سنن ابى داؤد اربعة احاديث منها حديث صلوة التسبيح، ومنها ما فى سنن النسائ وهو حديث واحد ومنها ما فى ابن ماجه وهو ستة عشر حديثا، وقال فى اخر كتابه التعقبات على الموضوعات وعدها نحو ثلث مائة حديث، منها فى صحيح مسلم حديث، وفى صحيح البخارى رواية حماد بن شاكر حديث، وفى مسند احمد ثمانية وثلثون حديثا، وفى سنن ابى داؤد تسعة احاديث، وفى جامع الترمذى ثلثون حديثا، وفى النسائ عشرة احاديث، وفى سنن ابن ماجه ثلثون حديثا، وفى المستدرك ستون حديثا على تداخل العدد.

يقول الشيخ زكريا هذا ايضا يوئيد ما اخترته من التدريب وجماعة قد موها على النسائ كما تقدم قريبا عن مفتاح السعادة ونيل الامانى، واليه يشير صنيع شيخ مشائخنا الشاه عبد العزيز فى البستان والعجالة اذذكر الكتب الستة على هذا المنوال البخارى ومسلم وابو داؤد والترمذى والنسائ وابن ماجه، وسبقه والده الشاه ولى الله فى ذلك الترتيب كما فى رسالة الارشاد الى مهمات الاسناد، وتبعهما صاحب اليانع الجنى فى هذا الترتيب، ومن الاسلاف ذكرها النووى فى تقريبه

ايضا على هذا المنوال، وآخر الامهات الستة ابن ماجه بلاخلاف فى كونه آخرها رتبة.

وقد اختلفوا فى ذكره فى الامهات، و لم يذكره النووى فى التقريب واقتصر على الخمسة فقط، اذقال: الصواب انه لم يفت الاصول الخمسة الا اليسيرا عن الصحيحين وسنن ابى داؤد والترمذى والنسائ، قال السيوطى: لم يدخل المصنف سنن ابن ماجه فى الاصول وقد اشتهر فى عصر المصنف، وبعد جعل الاصول ستة بادخال ابن ماجه فيها، قيل اول من ضمه اليها ابن طاهر المقدسى فتابعه صاحب الاطراف والرجال والناس، و قال المزى: كل ما انفرد به عن الخمسة فهو ضعيف، قال الحسينى يعنى من الاحاديث وتعقبه شيخ الاسلام بانه انفرد باحاديث كثيرة وهى صحيحة، فالاولى حمله على الرجال.

وفى ما تمس اليه الحاجة قال ابن حجر الهيثمى فى الفهرست قال المزى: ان الغالب فيما انفرد به ابن ماجه الضعيف، ولذاجرى كثير من القدماء على اضافة الموطاء وغيره الى الخمسة، قال الحافظ: اول من اضاف ابن ماجه الى الخمسة ابوالفضل بن طاهر حيث ادرجه معها فى الاطراف، وكذا فى شروط الائمة الستة، ثم الحافظ عبد الغنى فى كتابه

الاسماء والرجال الذى هذبه الحافظ المزى، وتعقبـــه مولانـــا عبدالرشيد بان قوله: كثير من القدماء على اضافة المؤطأفيـــه، فانا لا نعلم ان احدا من القدماء اضاف الى الخمســـة كتابـــا المؤطأولا غيره، ثم قال: واول من أضاف الموطأ الى الخمســـة المحدث رزين بن معونة العبدرى المالكى المتوفى ســـنة خمـــس وعشرين وخمس مائة، ثم تبعه المبارك بن محمدالجزرى الشهيربا بن الاثير المتوفى سنة ست وست مأة.

الفائدة الرابعة عشرة

فى شروط البخارى

الف العلماء فى شروط الائمة رسائل مستقلة، قال مولانا الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى حاشية شروط الائمة للحازمى: اول من صنف فى شروط الائمة فيما نعلم هو الحافظ ابو عبد الله بن منده المتوفى سنة خمس وتسعين وثلثمائة الف جزءا، ثم الحافظ محمد بن طاهر المقدسى المتوفى سنة سبع وخمس مائة الف جزءا، ثم الحافظ البارع الحازمى فالف هذا الجزء واجاد (الحازمى هذا ولد سنة ثمان واربعين وخمس مائة وتوفى سنة اربع وثمانين وخمس مائة) قال القسطلانى سنده الى ابى الفضل محمد بن طاهر المقدسى قال فى جزء شروط الائمة له قال: اعلم ان البخارى ومسلما ومن ذكرنا بعدهم يعنى اصحاب السنن الاربعة لم ينقل عن واحد منهم انه قال: شرطت ان اخرج فى كتابى مما يكون على الشروط الفلانى، وانما يعرف ذالك من سبر كتبهم، فيعلم بذالك شرط كل رجل منهم.

قال الحافظ ابن حجر: قال الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر: شرط البخارى ان يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات

والاثبات ويكون اسناده متصلا غير مقطـــوع، فـــان كـــان للصحابى راويان فصاعدا فحسن وان لم يكن له الا راو واحـد وصح الطريق اليه كفى، قال: وما ادعاه الحاكم ابو عبد الله ان شرط البخارى ومسلم ان يكون للصحابى راويان فصـاعدا ثم يكون للتابعى المشهور راويان ثقتان الى آخر كلامه فمنتقـض عليه بانهما اخرجا احاديث جماعة من الصحابة ليس لهـــم الا راو واحد.

ثم قال الحافظ الحازمى: وهذا الذى قاله الحاكم قـول من لم يمعن الغوص فى خبايا الصحيح ولو استقرأ الكتاب حـق استقرائه لوجد جملة الكتاب ناقضة دعواه، وفى التدريب قـال ابو على الغسانى ونقله عياض عنه ليس المراد ان يكون كـــل خبر روياه يجتمع فيه راويان عن صحابيه ثم عن تابعيه فمـــن بعده فان ذالك يعز وجوده، وانما المراد ان هذا الصحابى وهـذا التابعى روى عنه رجلان خرج بها عن حد الجهالة.

قال ابو عبد الله المواق: ما حمل الغسانى عليه كـــلام الحاكم وتبعه عليه عياض وغيره ليس بالبين ولا اعلم احـــدا روى عنهما انهما صرحا بذالك ولا وجود له فى كتابيهما ولا خارجا عنهما، فان كان قائل ذالك عرفــه مـــن مذهبـــهما بالتصفح لتصرفهما فى كتابيهما فلم يصب لان الامرين معـاً فى

كتابيهما وان كان اخذه من كون ذالك اكثريا فى كتابيـــهما فلا دليل فيه على كونهما اشترطاه، لعل وجود ذالك اكثريا انما هو لان من روى عنه اكثر من واحد اكثر من لم يـــرو عنــه الاواحد من الرواة مطلقا لابالنسبة الى من خرج له منـــهم فى الصحيحين، وليس من الانصاف التنر امهما هذا الشرط مـــن غير ان يثبت عنهما ذالك مع وجود اخلالهما بـــه لانهمـــا اذا صح عنهما اشراط ذالك كان فى اخلالهما درك عليهما.

قال شيخ الاسلام يعنى ابن حجر: وهذا كلام مقبــول و بحث قوى ثم قال الحا فظ السيوطى فى التدريـــــب: الـــف الحازمى كتابا فى شروط الائمة ذكر فيه شــــرط الشــيخين وغيرهما فقال: مذهب من يخرج الصحيـــح ان يعتـــبر حـــال الراوى العدول فى مشائخه وفيمن روى عنهم وهم ثقات ايضا و حديثه عن بعضهم صحيح ثابت يلزمه اخراجه وعن بعضهم مد خول لا يصح اخراجه الا فى الشاهد والمتابعات، وهـــذا باب فيه غموض وطريقه معرفة طبقات الـــرواة عـــن راوى الاصل ومراتب مداركهم.

ولنوضح ذالك بمثال وهوان تعلم ان اصحاب الزهرى مثلا على خمس طبقات، ولكل طبقة منها مزية على اللتى تليها وتفاوت، فمن كان فى الطبقة الاولى فهو الغايـــة فى الصحـــة

وهى غاية قصد البخارى كمالك وابن عيينة و يونس وعقيل وجماعة، والثانية شاركت الاولى فى العدالة غير ان الاولى جمعت بين الحفظ والاتقان وبين طول الملازمة للزهرى بحيث كان منهم من يلازمه فى السفر ويلازمه فى الحضر كالليث بن سعد والاوزاعى والنعمان بن راشد،

والثانية لم تلازم الزهرى الامدة يسيرة فلم تمارس حديثه وكانوا فى الاتقان دون الطبقة الاولى كجعد بن برقان وسفيان بن حسين السلمى وزمعة بن صالح المكى وهم شرط مسلم،

والثالثة جماعة لزموا الزهرى مثل اهل الطبقة الاولى غير انهم لم يسلموا من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول كمعاوية بن يحيى الصد فى واسحاق بن يحيى الكلبى والمثنى بن الصباح وهم شرط ابى داؤد والنسائ.

والرابعة قوم شاركوا الثالثة فى الجرح والتعديل وتفردوا بقلة ممارستهم لحديث الزهرى لانهم لم يلازموه كثيرا وهم شرط الترمذى.

والخامسة نفر من الضعفاء والمجهولين لايجوز لمن يخرج الحديث على الابواب ان يخرج حديثهم الا على سبيل الاعتبار والاستشهاد عند ابى داؤد فمن دونه فاما عند الشخين فلا،

قال الحافظ ابن حجر: فاما الطبقة الاولى فهم شرط البخارى وقد يخرج من حديث اهل الطبقة الثانية ما يعتمده من غير استيعاب، واما مسلم فيخرج احاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب ويخرج احاديث اهل الطبقة الثالثة على النحو الذى يصنعه البخارى فى الثانية واما الرابعة والخامسة فلا يعرجان عليها.

ثم قال الحافظ: واكثر ما يخرج البخارى حديث الطبقة الثانية تعليقا وربما اخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقا ايضا، وهذا المثال الذى ذكرناه هو فى حق المكثرين فيقاس على هذا اصحاب نافع واصحاب الاعمش وقتاده وغيرهم، فاما غير المكثرين فانما اعتمد الشيخان فى تخريج احاديثهم على الثقة والعدالة وقلة الخطا، لكن منهم من قوى الاعتماد عليه فاخرجاه ما تفرد به كيحيى بن سعيد الانصارى، ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه فاخرجاه ما شاركه فيه غيره وهوالاكثر انتهى.

وقال الحافظ انور شاه الكشميرى فى الفيض- اما شرطه فقال الحازمى انه لم يثبت شرط عن امام على لسانه وانما استفيد من صنيعهم فى مصنفاقم وسبر كتبهم ثم الرواة على خمسة انحاء.

الاول كثير الضبط والاتقان وكثير الملازمة لشيوخهم.

والثانى كثيرا الضبط والاتقان وقليل الملازمة.

والثالث بالعكس (قليل الضبط وكثير الملازمة)

والرابع قليل الضبط و قليل الملازمة.

والخامس قليل الضبط وقليل الملازمة مع غوائل الجرح سوى ذالك، فالبخارى يستوعب الاول وينتخب الثانى ويترك البواقى بالكلية، ومسلم يستوعب الاول والثانى وينتخب الثالث ويترك البواقى، والرابع يأخذ عنهم ابو داؤد، والخلمس يأخذ عنهم الترمذى، والمراد من التنزل الى هؤلاء عند الاعواز فى الباب، فالبخارى لا يتنزل عن الثانى وابو داؤد عن الرابع والترمذى يتزل الى الخامس ايضا لا انهم يأخذون عنهم فقط ولا يخرجون عن غيرهم فانه مغلطة نشأت من قلة الفهم وفرط الوهم.

اقول يظهر بين كلام الحافظين اعنى ابن حجر والسيوطى وبين كلام الحافظ انور شاه الكشميرى فى تفسير كلام الحازمى لطبقات الرواة نوع تخالف، حيث قال الحافظان ان الثانية فى الاتقان دون الطبقة الاول مع قلة الملازمة، وسوى بين الطبقين فى الاتقان الحافظ انور شاه الكشميرى والفرق بينهما فى وصف الملازمة فقط، وكذا قال فى الثالثة قال

الكشميرى بالعكس فقط يعنى قليل الضبط وكثير الملازمة وقال الحافظان كثير الملازمة مثل الاولى ولكن لم يسلموا من غوائل الجرح والتعديل، وفى الرابعة قال الحافظان قوم شلوكوا الثالثة فى الجرح والتعديل مع قلة الملازمة وقال الحافظ الكشميرى قليل الضبط وقليل الملازمة، وفى الخامسة قال الحافظ الكشميرى قليل الضبط وقليل الملازمة مع غوائل الجرح و هذا الوصف اى عدم السلامة عن غوائل الجرح ذكر الحافظان فى الثالثة وقال الحافظان الخامسة نفر من الضعفاء والمجهولين.

فهذا هو التخالف، ففى حله يقول العبد ان الحافظ الكشميرى اختصر كلام الحازمى اختصارا عميقا، حيث اراد فى الطبقتين اعلى الصحة فى وصف الاتقان، ولو كانت الثانية دون الاولى ولكن لم يعتبر هذا فى الفرق بل فرق بينهما بالملازمة بكثرتها وقلتها، واراد بقلة الضبط والاثقان فى الثالثة ما اراد الحافظان اعنى عدم السلامة عن غوائل الجرح، فانطبق كلامهم على معنى واحد، وبقى الخامس فقال الكشميرى فيه قليل الضبط وقليل الملازمة مع غوائل الجرح سوى ذالك، وقال الحافظان هم نفر من الضفاء والمجهولين، فمعنى قلة

الضبط مع غوائل الجرح انما هم من الضعفاء والمجهولين فلا يبقى التخالف والله اعلم.

والتخالف الثانى فى كلامهم بان فى كلام الحافظين ان الثالثة شرط ابى داؤد والنسائ والرابعة شرط الترمذى وفى كلام الكشميرى الرابع يأخذ عنهم ابو داؤد والخامس يأخذ عنهم الترمذى فحله ظاهر من كلامهم بان قال الكشميرى المراد من التنزل الى هؤلاء عند الاعواز فى الباب، فالبخلوى لا يتنزل عن الثانى و ابو داؤد عن الرابع والترمذى يتنزل الى الخامس ايضا لا انهم يأخذون عنهم فقط ولا يخرجون عن غيرهم، اقول مثلا الاولى شرط البخارى لا يتنزل عنه الى الثانى الاعند الاعواز فلذا ينتخب من الثانية، وكذالك الثالثة شرط ابى داؤد تارة يتنزل الى الرابعة ولكن لا يتنزل عن الرابعة الى الخامسة، والرابعة شرط الترمذى ولكن يتنزل الى الخامسة ايضا فلا تخالف والله اعلم.

وبعد هذا لا تغفل بان الفيض ليس من تاليف الكشميرى بنفسه بل من املائه، جمعه تلميذه فيمكن ان يوجد بعض من ذالك لسؤالتعبير فح لا ينتسب ذالك الى الامام الحافظ الكشميرى، فان قيل ان كان الامر على ما مهدت وان الشيخين لم يلتزما استيعاب جميع ما صح بل لم يودعا فى

كتابيهما الا ما صح كما يظهر من كلامهما فما بالهما خرجا حديث جماعة متكلم فيهم، قلت ايداعهما فى كتابيهما حديث نفر نسبوا الى نوع من الضعف لكنه لم يبلغ ضعفهم حدا يـود به حديثهم مع انا لا نقر بان البخارى كان يروى حديث مـن ينسب الى نوع من انواع الضعف، ولو كان ضعف هؤلاء ثبت عنده لما خرج حديثهم.

ثم ينبغى ان يعلم ان جهات الضعف متباينة متعـددة واهل العلم مختلفون فى اسبابه، اما الفقهاء فمدارك الضعـف عندهم محصورة وجلها منوط بمراعاة ظاهر الشرع، وعند ائمة النقد اسباب اخرى مرعية عندهم وهى عند الفقـهاء غـير مرعية، ثم ائمة النقل ايضا على اختلاف مذاهبـهم وتبـاين احوالهم فى تعاطى اصطلاحاتهم يختلفون فى اكثرها، فـرب راو موثوق به عند عبد الرحمن بن مهدى مجروح عند يحـى بـن القطان وبالعكس وهما امامان عليهما مدار النقد فى النقـل، واما البخارى فكان وحيد دهره وفريد عصره اتقانا وانتقـادا وبحثا وسبرا وبعد احاطة العلم بمكانته من هذا الشان لا سـبيل الى الا عتراض عليه فى هذا الباب، ثم له ان يقول: هذا السوال لا يلزمنى لانى قلت لم اخرج الا حديثا محققا على صحتـه و لم اقل لا اخرج الا حديث من اتفق على عدالتـه، لان ذالـك

يتعذر لاختلاف الناس فى الاسباب المؤثرة فى الضعف كـــذا ذكره الكوثرى وفيه بسط وتفصيل ذكره فى مقدمة فتح الملهم .

قال الشيخ الحافظ انور شاه الكشميرى فى الفيض، ثم اعلم ان البخارى شرط اللقاء ايضا للاتصال واكتفى مسلم بالمعاصرة فان روى احد عن احد مع عدم المعاصرة واللقاء يكون رواية منقطعة عندهما، وان روى مع تحقق اللقاء والمعاصرة تكون مقبولة عندهما، نعم ان روى من معاصره الذى لا يثبت لقائه ففيه الخلاف قبله مسلم والجمهور ورده البخارى.

وكنت ارى زمنا ان البخارى انما يحكم باللقاء او عدمه بعد ثبوبه عنده من خارج، ثم اطلعت بعد ذالك على ان حكمه هذا لايكون لنقل عنده على ذالك وانما يحكم لاسناده يصرح به، فانى رأيت ان الترمذى سأله عن رجل هل سمع من فلان قال نعم وساق اسنادا دالا على سماعه، ففهمت منه انه لم يكن عنده نقل من خارج على ذالك فحكمت ان امر السماع يدور عنده على التصريح بالسماع فى اسناد، فاذا ثبت السماع عنده فى موضع يحكم به فى سائر المواضع، قال ابن حزم: ان البخارى اذا انكر السماع لا يقول ان فلانا لم

يسمع من فلان بل يقول لم يثبت سماع فلان من فلان، والناس لا يميزون بينهما فيحكون عنه انه قائل بعدم سماعه منه مع انه ينكر الثبوت عنده دون السماع فى نفس الامر، وهذا يدلك ثانيا على ان امر السماع عنده لا يبنى على ثبوته من خارج جزئيا انما يحكم به نظرا الى الاسناد،

وكيفما كان شرطه هذا انما هو للصحيح فى كتابه خاصة لا للصحيح مطلقا، فلا يخرج حديثا فى صحيحه الا بعد ثبوت السماع فيه على النحو الذى بيناه، وان كان صحيحا فى نفسه عنده ايضا، فمخالفته للجماهير ليس فى نفس تعريف الصحيح بل هو شرط التزم به للصحيح فى كتابه، فهذا تشديد على نفسه فى هذا الكتاب، ولكل ذى همة و عزم ان يشدد على نفسه بما شاء لامساغ لاحد للطعن فيه، ذق هذا فاسترح عما يختلج فى الصدور.

ويقول العبد الضعيف هذا كلام دقيق ويعلم من كلام القدماء ظاهرا ان الخلاف فى قبول المعنعن واشتراط اللقاء ليس هو للتخريج فى الجامع فقط بل هو فى اصل الصحة، قال الحافظ ابن حجر: من حكم على المعنعن بالانقطاع مطلقا شدد، و يليه من شرط طول الصحبة، ومن اكتفى بالمعاصرة سهل، والوسط الذى ليس بعده الاالتعنت

مذهب البخارى و من وافقه، وما اورده مسلم عليـــهم مـــن لزوم ردالمعنعن دائما لاحتمال عدم السماع ليس بـــوارد لان المسئلة مفروضة فى غير المدلس ومن عنعن مالم يسمعه فـــهو مدلس " وكذا مارد مسلم على البخارى كله مشير علـــى ان هذا الخلاف فى نفس الصحة والله اعلم،

الفائدة الخامسة عشرة

فى كون الحديث على شرط البخارى او الشخين

اول من اطلق هذا اعنى هذا الحديث على شرط البخـــارى او مسلم او شرطهما هوالحاكم فى المستدرك، وكذا اطلق بعــض المحدثين ايضا واختلف فى معناه، قال الحافظ الكشميرى: قـــال جماعة معنى كون الحديث على شرطه ان رواتـــه موصوفـــون بصفات رواة البخارى، وليس هذا بمشهور ولاريب ان دركـــه عسير جدا، اقول ويؤيده ما قال الحـــاكم فى خطبتـــه اى فى خطبة المستدرك حيث قال: وقد سألنى جماعة من اعيان اهـــل العلم بهذه المدينة وغيرها ان اجمع كتابا يشتمل على الاحاديث المروية باساتيد يحتج محمد بن اسماعيل ومسلم بـــن الحجـــاج بمثلها الى ان قال وانا استعين الله تعالى على اخراج احـــاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان او احدهما، فقوله بمثلـــها اى بمثل رواتهما لا انهم انفسهم، ويحتمل ان يراد بمثل تلــــك الاحاديث.

قال الشيخ الكشميرى وقال المتاخرون معناه ان رواته رواة البخارى اى مما وقع فى كتابه متفرقا، اقول وهذا عنــــد الجمهور ايضا معناه ان كل واحد من رجال اسناده مذكور فى كتابيهما عند اشتماله على سائر شروط الصحـــة كالعدالـــة

والضبط وهذا التفسير قد ارتضاه جماعة كابن دقيق العبد والنووى والذهبى، ولكن هذا المعنى مغاير ما قال الحاكم بنفسه فى خطبة المستدرك كما مر سابقا.

قال الكشميرى، قال الحافظ الزيلعى فيه نظر، فان هذا القدر لا يكفى لكون الحديث على شرطه لان البخارى لا ينظر الى ثقه الراوى فقط بل الى ملازمته لشيخ روى عنه ايضا، ويمكن ان يكون الراوى ثقه فى نفسه ومن رجاله ومع هذا لا يكون ملازما لهذا الشيخ الذى يروى عنه فح كيف ينبغى ان يحكم عليه مطلقا انه على شرطه، ثم ثقة الراوى وضعفه قد يكون فى نفسه وقد يكون بالنسبة الى شيخ معين، فيكون ثقة فى نفسه و ضعيفا فى هذا الشيخ مثل سفيان بن حسين ثقه فى نفسه وضعيف فى الزهرى لانه لما كتب عنه احاديث ورجع اشتد الريح فى الطريق وطارت باوراقه فكتبها عن حفظه، (وقيل هذا واقعة هشيم).

يقول الشيخ الكشميرى اقول: ينبغى ان يوسع الامر من ذالك فان هذا التضييق انما يناسب شانه وعلمه، وعندى يحكم عليه انه على شرطه مالم توجد فيه علة فى خصوص هذا المقام من اهل الشان فى هذا الفن ولا يلتفت الى ذالك الاحتمالات ليتوفر ذخيرة الحديث ولا يفقد كثير من

الاحكام، اقول قال ابن الصلاح فى شرح مسلم: من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عنه فى الصحيح بانه من شرط الصحيح فقد غفل واخطأ بل ذالك متوقف على النظر فى كيفية رواية مسلم عنه وعلى اى وجه اعتمد عليه، قال السيوطى فى التدريب قال المصنف فى شرح المهذب اتفق الحفاظ على ان تلميذه البيهقى اشد تخريجا منه وقد لخص الذهبى مستدركه وتعقب كثيرا منه بالضعف والنكارة، وجمع جزئا فيه الاحاديث التى فيه وهى موضوعة نذكر نحو مأة حديث.

وقال ابو سعيد المالينى طالعت المستدرك الذى صنفه الحاكم من اوله الى اخره فلم ارفيه حديثا على شرطهما، قال الذهبى وهذا اسراف وغلو من المالينى والا ففيه جملة وافرة على شرطهما وجملة كثيرة على احدهما لعل مجموع ذالك نحو نصف الكتاب وفيه نحوالربع مما صح سنده وفيه بعض الشيئ اوله علة وما بقى وهو نحو الربع فهو مناكير اوواهيات لا تصح وفى ذالك موضوعات، يقول الشيخ الكشميرى وتوهم بعضهم ان فيها الحاقا من الروافض، والامر الذى هو بين الامرين ما صرح به الذهبى،

قال فى التدريب قال شيخ الاسلام: وانما كان للحاكم التساهل لانه سودالكتاب لينقحه فاعجلته المنية، قال وقد وجدت فى قريب نصف الجزء الثانى من تجزئه ستة من المستدرك الى هنا انتهى املاء الحاكم ثم قال: وماعدا ذالك من الكتاب لا يؤخذ عنه الا بطريق الاجازة فمن اكبراصحابه و اكثر الناس له ملازمة البيهقى، وهو اذا ساق عنه فى غير المحلى شيئا لا يذكره الا بالاجازة قال والتساهل فى القدر المملى قليل بالنسبة الى ما بعده فما صححه و لم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحا ولا تضعيفا حكمنا بانه حسن الا ان يظهر فيه علة توجب ضعفه، وذكر السخاوى ويقال ان السبب فى ذالك انه صنف فى اواخر عمره وقد حصلت له غفلة وتغير وانه لم تيسر له تحريره وتنقيحه، ويدل له ان تساهله فى قدر الخمس الاول منه قليل جدا بالنسبة لباقيه، وذكر ابن حجرانه حصل له تغير فى اخر عمره واصابته غفلة اثناء تاليفه المستدرك.

يقول الحافظ الكشميرى ومن الغرائب فى هذا المقام قول الذهبى انه لايحل لاحد ان يعمل قبل المراجعة الى تلخيصه ثم قال: ولا ادرى ما وقع للحافظ الحاكم عليه، واى امر دعاه الى وضع الموضوعات فى كتابه وكيف ساغ له ذالك وقد اعتذر الناس عنه وذكروا فى التفصى عنه وجوها، ثم قال انى

ارى فيه احاديث فى اسانيدها رجال البخارى مـــن اعلاهـــا والوضاعون والكذابون من طرف آخر، ومع ذالك يحكم عليه الحاكم انه على شرطه، ثم ظهرلى ان حكمه هذا ينسحب على قطعة دون قلعة فكانه اصطلاح جديد منه والافالظاهران يحكم باعتبار مجموع الاسناد لاباعتبار طرف منه.

الفائدة السادسة عشرة

فى بيان ان احاديث الصحيحين تفيد القطع ام لا

اختلف العلماء فى ان احاديث الصحيحين تفيد القطع ام لا، قال النووى فى التقريب وذكر الشيخ ابن الصلاح ان ماروياه او احدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعى حاصل فيه، وخالفه المحققون والاكثرون فقالوا مفيد الظن ما لم يتواتر، وقال فى التدريب قال فى شرح مسلم لان ذالك شان الاحاد، ولا فرق فى ذالك بين الشيخين وغيرهما، وتلقى الامة بالقبول انما افاد وجوب العمل بما فيهما من غير توقف على النظر فيه بخلاف غيرهما فلا يعمل به حتى ينظر فيه ويوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من اجماع الامة على العمل بما فيهما اجماعهم على القطعى بانه كلام النبى صلى الله عليه وسلم، قال وقد اشتد انكار ابن برهان على من قال بما قال الشيخ وبالغ فى تغليطه وكذا عاب ابن عبد السلام على ابن الصلاح هذا القول، وقال ان بعض المعتزلة يرون ان الامة اذا عملت بحديث افتضى ذالك القطع بصحته، قال هو مذهب ردى.

وقال البلقينى ما قاله النووى وابن عبد السلام ومن تبعهما ممنوع، فقد نقل بعض الحفاظ المتاخرين مثل قول ابن الصلاح من جماعة من الشافعية كابى اسحاق وابى حامد

الاسفرائيتى والقاضى ابى الطيب والشيخ ابى اسحاق الشيرازى وعن السرخسى من الحنفية والقاضى عبد الوهاب من المالكية وابى يعلى وابى الخطاب وابن الزاغونى من الحنابلة وابن فورك واكثر اهل الكلام من الاشعرية واهل الحديث قاطبة، مذهب السلف عامة بل بالغ ابن طاهرالمقدسى فى صفوة التصوف فالحق به ماكان على شرطهما وان لم يخرجا، وقال شيخ الاسلام يعنى ابن حجر، ما ذكره النووى فى شرح مسلم من جهة الاكثرين اما المحققون فلا، فقد وافق ابن الصلاح ايضا محققون انتهى، قال الجزائرى وقد كثرالرادون على ابن الصلاح و المنتصرون له، اما المنتصرون له فالسابق منهم الى ذالك هوالعلامة ابن تيمية.

قال الحافظ الكشميرى: فالجمهور الى انها لا تفيد القطع وذهب الحافظ الى انها تفيد القطع واليه جنح شمل الائمة السرخسى من الحنفية والحافظ ابن تيمية من الحنابلة والشيخ عمرو بن الصلاح وهؤلاء وان كانوا اقل عددا الا ان رأيهم هو الراى، وقد سبق المثل السائر تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل.

قال الحافظ فى شرح النخبة: الخبر المحتف بالقرائن يفيد العلم خلافا لمن ابى ذالك قال وهو انواع منهاما اخرجه

الشيخان فى صحيحيهما مما لم يبلغ التواتر فانه احتف به قرائن منها جلالتهما فى هذا الشان وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول وهذا التلقى وحده اقوى فى افادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر الا ان هذا مختص بما لم ينتقده احد من الحفاظ وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لاترجيح لاحدهما على الاخر، لاشتمالة ان يفيد المتناقضان العلم بصدقهما من غير ترجيح لاحدهما على الاخر وما عدا ذالك فالاجماع حاصل على تسليم صحته، قال وما قيل من انهم انما اتفقوا على وجوب العمل به لا على صحته ممنوع لانهم اتفقوا على وجوب العمل بكل ما صح، ولو لم يخرجاه فلم يبق للصحيحين فى هذا مزية والاجماع حاصل على ان لهما مزية فيما يرجع الى نفس الصحة.

قال ابن كثير: و انا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وارشد اليه وقال العلامة العثمانى فى مقدمة فتح الملهم: ان اجماع الائمة اوتلقى الامة بالقبول انما يفيد علم اليقين اوعلم الطمانينة بالامر اللذى وقع الاجماع عليه او التلقى بقبوله فالاجماع على قبول مطلق الخبر الواحد المستجمع لشروط الصحة وافادته الظن الموجب للعمل بشرط خلوه عن الموانع

مثلا انما يفيد حصول العلم القطعى بان خبر الواحد مفيد للظن ومقبول فى العمليات وانه يحتمل السهو والغلط والخطأ احتمالا مرجوحا ضعيفا، وظهر ان هذا العلم القطعى المستفاد من الاجماع لا يحول خبر الواحد من افادته الظن الى افادته العلم اليقين، بل يؤكد كونه ظنيا محتملا للخطأ لحصول الاتفاق عليه، والالصار اخبار الاحاد باسرها قطعية وهذا باطل بالاجماع، فهكذا اذا اجمع العلماء على اخبار معينة بانها صحيحة او اصح صحاح او مستجمعة لشروط الصحة على وجه الكمال عند المحدثين فمحصله يرجع الى قطعية كونها بعينها اخبار احاد مفيده للظن مقبولة فى العمليات بشرط الخلو عن العوائق، وهذا لايخرجها عن خبر الظن الى درجة العلم واليقين.

فاحاديث الصحيحين التى ليست بمتواترة انما تفيد الظن فانها احاد والاحاد انما تفيد الظن على ما تقرر ولا فرق بين البخارى ومسلم وغيرهما فى ذالك، وتلقى الامة بالقبول انما افادنا وجوب العمل بما فيهما وهذا متفق عليه فان اخبار الاحاد التى فى غيرهما يجب العمل بها اذا صحت اسانيدها ولا تفيد الاالظن فكذا الصحيحان، وانما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب فى كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج الى

النظر فيه بل يجب العمل به مطلقا لجلالة قدر مصنفيهما ورسوخ قد مهما فى العلم وتقدمهما فى المعرفة بالصناعة وجودة تميز الصحيح من غيره وبلوغهما اعلى المراتب فى الاجتهاد والامامة فى وقتهما، وما كان فى غيرهما لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من اجماع الامة على كونها صحيحة حسب مصطلح المحدثين الاجماع على العمل بمضمونها، كما قال الترمذى فى حديث ابن عباس فى الجمع بين الصلوتين الذى اخرجه مسلم فى صحيحه انه غير معمول به، ولا على كونها مقطوعا بانها من كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى الواقع فان الامة مامورة بالعمل بالظن حيث لا يطلب القطع والظن قد يخطأ انتهى.

اقول هذا كلام جيد دقيق يفهم منه ان الشيخ يرى ان القطع فى طريق ثبوت نفس الحديث فى اخبار الاحاد، فالقطع بمضمونها من النبى صلى الله عليه وسلم بل هذا يؤكد فى افادتها الظن، وعلى حسب ظنى هذا خلاف ما قاله العلماء الفحول، كما ظهر من كلام الحافظ ابن حجر فى شرح النخبة، وهكذا فهم الحافظ الكشميرى، كما يقول ان افادتها القطع نظرى كاعجاز القران فانه معجز قطعا الا انه نظرى لا يتبين الا لمن كان له يد فى علوم العربية عن آخرها، ولذا قيل

لم يدر اعجاز القران الا الاعرجان، فان قيل ان فيها اخبـــارا آحادا وقد تقرر فى الاصول انها لا تفيد غيرا الظن قلت لاضـير فان هذا باعتبار الاصل وذالك بعد احتفاف القرائن واعتضـاد الطرق فلا يحصل القطع الا لاصحاب الفن الذين يسـرلهم الله تعالى التميز بين الفضة والقضة ورزقهم من احـوال الـرواة الجرح والتعديل، فانهم اذا مروا على حديث وتتبعـوا طرقـه فتشوا رجاله وعلموا حال اسناده يحصل لهم القطـع، وان لم يحصل لمن لم يكن له بصر ولا بصيرة.

ومن ههنا تبين ان افادة القطع ليست من جهة اطبـلق الامة على اخبارها بل من جهة ما قلنا من ان النظر فى احـوال الرواة وثقتهم وضبطهم وعدالتهم وجلالتهم قد يفضـى الى الجزم بخبرهم للمعائن العانى والمتبصرالمعانى، والسـرفيه انهـم اعتبروا فى تقسيم الخير القرون الثلثة المشهودة لها بالخير فقـط، فالتواطأ وغيره انما يعتبر فيها لا فيما بعدها لان كثيرا من اخبار الآحاد قد اشتهرت فيما بعدها فلا عبرة باشتهارها، لاما هـو ظنى بالاصل لا يتقلب قاطعا بالاشتهار فيما بعد فاطباق الامـة على خبرهما لا يصلح دليلا على افادة القطع لكونها آحـادا فى الاصل.

نعم يمكن ان يفيد القطع بالنظر الى حـــال الاســناد واحوال الرجال وهذا جهة اخرى، الا ترى ان الواحد جليــل القدر اذا اخبرك بامر فنظرت الى حاله وثقته وعلمـــه ودينـــه ايقنت بخبره كفلق الصبح ولا يبقى فى نفسك قلق واضطـراب وكفاك عن جماعة فان واحدا قد يزن جماعة بـــل يرجحـــهم والآخر قد يكون كريش طائر لايوازى جناح بعوضـــة، وان ابراهيم كان امة قانتا، ومن امته من يجيئى يوم القيامـــة امـــة واحدة، وليس على الله بمستنكر : ان يجمع العالم فى واحـــد، فهذا اختلاف وتفاوت بين الناس، فخبر الواحد مثـــل الاول يفوق على خبرا الذين ليسوا بمثابة قطعا ويقينـــا الا ان تلـــك الافادة تكون لمن له معرفة فى نقد الرجال وصنعة الحديث،

ثم قال ولما كان هذا الامر لا يسع انكاره لاحد جعـل الحافظ هذا النـــزاع راجعا الى النـــزاع اللفظى، كما قـــل فى توضيح التخبة ان الخلاف فى التحقيق لفظى لان مـــن جـــوز اطلاق العلم قيده بكونه نظريا وهوالحاصل بالاستدلال، ومـــن ابى الاطلاق خص لفظ العلم بالمتواتر وما عداه عنده ظنى فلـــم يبق فى نفس افادة القطع خلاف ولا شقاق، وانما هـــو فى ان تلك الافادة بديهية او نظرية، فمن ذهب الى انها تفيد القطـــع اراد به النظرى ومن ذكرها اراد به الضرورى، هذا فانه تحقيق .

حقيق بالقبول ومن حاد عنه فقد عدل عن المسلك القويم، فان قيل وفيهما احاديث يشك فيها الراوى بنفسه ويتردد فيها فكيف السبيل للعلم بها قلت هذا الوهم لم يوجد فى نفس الحديث الذى هو مدار المسئلة، وانما وجد فى الامورالزائدة اللتى ليست لها دخلا فى الحكم كتعيين اسم الراوى او القصة ونحوهما فلا يضر فى افادة القطع.

وبعد التى والتيا يقول العبد الضعف ان اخبار الصحيحين لاتخلو من افادة القطع الا فى موضع يمنع عنه مانع، قال فى التدريب استثنى ابن الصلاح من المقطوع بصحته فيهما ما نتكلم فيه احاديثهما فقال سوى احرف يسيرة تكلم عليها بعض اهل النقد من الحفاظ كالدارقطنى وغيره، قال شيخ الاسلام وعدة ذالك مائتان وعشرون حديثا واشتركا فى اثنين وثلاثين واختص البخارى بثمانين الا اثنين ومسلم بمثله فقال المصنف فى شرح البخارى ما ضعف من احاديثهما مبنى على علل ليست بقادحة.

ومما يدل على ان اخبارالاحاد اذا احتفت بقرائن تفيد القطع حديث تحويل القبلة حيث دار القوم فى الصلوة حين اخبر صحابى واحدان القبلة تحولت الى الكعبة، وان لم يفد ذالك القطع فكيف عملوا عليه وتركوا ما ثبت بالقطع فتفكر.

الفائدة السابعة عشرة

فى بيان مقاصد تصنيف الكتب الاربعة من الصحاح

قال الحافظ فى مقدمة الفتح: تقرر انه التزم الصحة فيه وانه لا يورد فيه الاحديثا صحيحا هذا اصل موضوع الكتاب وهو مستفاد من تسميته اياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه، ثم انه راى انه لا يخليه من الفوائد الفقهية وسكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى ابواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيها بآيات الاحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك فى الاشارة الى تفسيرها السبل الوسيعة.

قال الشيخ محى الدين: ليس مقصود البخارى الاقتصار على الاحاديث فقط بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لابواب ارادها، ولهذا المعنى اخلى كثيرا من الابواب من اسناد الحديث واقتصر فيه على قوله فيه فلان من النبى صلى الله عليه وسلم او نحو ذالك وقد يذكر المتن بغير اسناد وقد يورد معلقا، وانما يفعل هذا لانه اراد الاحتجاج على المسئلة اللتى ترجم لها واشار الى الحديث لكونه معلوما وقد يكون ما تقدم وربما تقدم قريبا.

وقال العلامة الكوثرى: غـــرض البخـــارى تخريـــج الاحاديث الصحيحة واستنباط الفقه والسيرة والتفسير، فذكـــر الموقوف والمعلق وفتاوى الصحابة والتـــابعين وآراء الرجـــال فتقطع عليه المتون وطرقها فى ابواب كتابه. وقصد مسلم تجريد الصحاح بدون تعرض اللاستنباط، فجمع طرق كل حديث فى موضع واحد ليتضح اختلاف المتون و تشعب الاسانيد علـــى اجود ترتيب و لم ينقطع عليه الاحاديث. وهمة ابى داؤد جمـــع الاحاديث التى استدل بها فقهاء الامصار وبنوا عليه الاحكـــام فصنف سننه وجمع فيها الصحيح والحسن و اللـــين والصـــالح للعمل، وهو يقول: ما ذكرت فى كتابى حديثا اجمع النـــاس على تركه، وما كان منها ضعيفا صرح بضعفه وترجم علـــى كل حديث بما قد استنبط منه عالم وذهب اليه ذاهب، ومـــا سكت عنه فهو صالح عنده، واحوج ما يكـــون الفقيـــه الى كتابه.

وطمع الترمذى الجمع بين الطريقتين، فكانه استحسن طريقة الشيخين حيث بين ما ابهم، وطريقة ابى داؤد حيـــث جمع كل ما ذهب اليه ذاهب، فجمع كلتـــا الطريقتـــين وزاد عليهما بيان مذاهب الصحابة والتابعين و فقـــهاء الامصـــار، واختصر طرق الحديث فذكروا واحدا واومأوا الى ما عداه، و

بين امر كل حديث من انه صحيح او حسن او منكر، وكان البخارى نظر فى الرائ وتفقه على فقهاء بخارى من اهل الرائ وحفظ تصانيف عبد الله بن المبارك صاحب ابي حنيفة قبل حزوجه من بخارى لطلب الحديث ولقى فى رحلته فقهاء الفرق حتى اجتهد بنفسه لنفسه انتهى.

وقال الشاه ولى الله فى اول تراجمه: اول ما صنف اهل الحديث فى علم الحديث جعلوه مدونا فى اربعة فنون من السنة الذى يقال له الفقه مثل موطأ مالك وجامع سفيان وفن التفسير مثل كتاب ابن جريج وفن السير مثل كتاب محمد بن اسحاق وفن الزهد والرقاق مثل كتاب عبد الله بن المبارك فاراد البخارى بجمع الفنون الاربعة فى كتاب ويجرده ما حكم له العلماء بالصحة قبل البخارى وفى زمانه ويجرده للحديث المرفوع المسند، وما فيه من الاثار وغيرها انما جاء به تبعا لا بالاصالة، ولذا سمى كتابه بالجامع الصحيح المسند، واراد ايضا ان يفرغ جهده فى الاستنباط من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جدا، وهذا امر لم يسبقه اليه غيره غيرانه استحسن ان يفرق الاحاديث فى الابواب ويودع فى تراجم الابواب سرا لاستنباط، ولذا اشتهر قول جمع من الفضلاء: فقه البخارى فى تراجمه، كما حكاه الحافظ فى مقدمة الفتح.

الفائدة الثامنة عشرة

فى ثلاثيات البخارى

ان فى الصحيح البخارى اثنين وعشرين حديثا من الثلاثيات، ويعد هذا من مزيته، فيه ايماء الى علوا لاسناد وفى الاسناد العالى اقل شبهة مما فى السافل وهو اثبت منه ايضا، ولذا يجتهد العلماء لعلوا لاسناد و يختار الرحلات لذالك، ومن ذالك هذا فاولها فى باب اثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم من حديث مكى بن ابراهيم، وآخرها فى باب قوله تعالى وكان عرشه على الماء من حديث خلاد بن يحي، وكتب فى هامش النسخة الهندية على حديث الانصارى هذا هوالتاسع عشر من الثلاثيات، وهو غلط من النساخ والصواب انه العشرون، والتاسع عشر قبله عن مكى بن ابراهيم فى باب اذا قتل نفسه خطأ،

ومن هذه الثلاثيات العشرون عن تلامذة الامام ابى حنيفة او تلامذة تلامذته، فانه اخرج منها احدى عشرة رواية عن مكى بن ابراهيم، وهذا من كبار مشائخه، امام بلخ دخل الكوفة سنة اربعين ومأة، ولزم الامام اباحنيفة وسمع منه الحديث والفقه واكثر عنه الرواية وكان يحبه ويتعصب لمذهبه كذا فى المناقب للكردرى، وفيه قال اسماعيل بن بشر كنا يومئذ

فى مجلسه اذ قال حدثنا ابو حنيفة فقال رجل حدثنا عن ابن جريج ولا تحدثنا عنه قال: انا لا نحدث السفهاء وحرمت عليك ان تكتب عنى، فلم يحدث حتى اقيم الرجل عن المجلس ثم قال حدثنا ابو حنيفة ومرفيه،

وفى رواية فقال الرجل تبت واخطأت" فاخرج الامام البخارى عنه الاربعة الاول من الثلاثيات والسادسة والسابعة والحادية عشرة والثانية عشرة والرابعة عشرة والسابعة عشرة والتاسعة عشرة، واخرج الستة منها عن ابى عاصم النبيل ضحاك بن مخلد، عده القسطلانى من شيوخ البخارى، وفى الجواهر قال الصيمرى ومن اصحاب الامام الضحاك بن مخلد ابو عاصم المعروف بالنبيل، فاخرج البخارى عنه الخامسة والثامنة والتاسعة والخامسة عشرة والثامنة عشرة والحادية والعشرون.

واخرج ثلثة عن محمد بن عبد الله الانصارى قال فى الجواهر اخذ عن زفر وكانت ولادته ٨٨ وقال الصيمرى ومن اصحاب زفر خاصة محمد بن عبد الله الانصارى من ولد انس بن مالك، وحكى الخطيب انه كان من اصحاب زفر وابى يوسف روى عنه البخارى فى الصحيح عن حميد عن انس رفعه حديث الربيع يا انس كتاب الله القصاص" وهواحد ثلاثيات البخارى، فاخرج البخارى عنه ثلاث روايات احدهما هذه وهى العاشرة واثنين اخرين وهما السادس عشر والعشرون

فلم تبق منها الا اثنتان احدهما الثالثة عشرة اخرجها عن عصام بن خالد الحمصى وثانيتهما الثانية والعشرون اخرجها عن خلاد بن يحى الكوفى، و لم يذكر انهما من الحنفيين والعجب انهم ينوهون شان الثلاثيات ولا يدرون ان جل روايات الامام ابى حنيفة ثلاثيات وكثر منها ثنائيات ايضا، كما يظهر من مسانيد الامام ابى حنيفة وكتاب الآثار للامام بل فيها وحدانيات ايضا.

قال فى الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتانى الوحدانيات لابى حنيفة الامام جمعها ابو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبرى المقرى الشافعى فى جزء، لكن باسانيد ضعيفة وادعى العينى انه راى سبعة من الصحابة، و ردها العلامة قاسم بن تطلوبغا وقال انه لم يثبت له غير رؤية انس رضى الله عنه اما ابن حجر فقال اما رؤية لانس وادراكه لجماعة من الصحابة بالسن فصحيحان لاشك فيهما وفى هذا تفصيل ذكرته فى بيان نبذة من احوال الامام الاعظم.

جمع الحافظ ابن حجر ثلاثيات البخارى وشرحها، واطول اسانيدها تسعة وللترمذى فى جامعه حديث واحد ويقول الشيخ البنورى بل اثنان ولابن ماجه خمسة احاديث و للدارمى خمسة عشر حديثا ولاحمد فى مسنده ثلاثمائة وسبعة و ثلاثون وقيل ثلاثمأئة وثلاثة وستون ٣٦٣.

الفائدة التاسعة عشرة

فى شيوخ البخارى من الحنفيين

ان الحنفيين من شيوخ البخارى وشيوخ مشائخه كثيرون، لا تخفى على من مارس كتب الرجال مثل عبد الله بن المبارك الامام الجليل، ذكره صاحب الجواهر المضيئة وعلى القارى فى مناقب ابى حنيفة، وعده من اصحاب ابى حنيفة وذكره الكردرى تبعا للموفق فى اصحابه من اهل الشورى لتدوين المذهب، ورقم عليه فى الستة للستة، ومثل يحى القطان قال يحى بن معين، كان يفتى بقول ابى حنيفة كذا فى الجواهر وكذا فى تذكرة الحفاظ ورقم فى التقريب للستة.

قال الشيخ الكشميرى فى الفيص: ونقل ابن معين ان ابن القطان سئل عن ابى حنيفة فقال: مارأينا احسن منه رأيا وهو ثقة ونقل عنه ابى لم اسمع احدا يخرج على ابى حنيفة، ومثل المعلى بن منصور ذكره القسطلانى فى شيوخ البخارى، وقال فى الجواهر روى عن ابى يوسف ومحمد الكتب والامالى والنوادر قال الحافظ فى التهذيب ورقم للستة قال احمد بن حنبل معلى من كبار اصحاب ابى حنيفة وابى يوسف و محمد، ومثل ابى عاصم النبيل ذكرناه من قبل، ومثل نعيم بن حماد ذكره القسطلانى فى شيوخ البخارى.

وقال فى الجواهر روى عن ابى حنيفة فرضية الوتر وهو قول زفر قال الحافظ روى عنه الخمسة سوى النسائ، ومثل محمد بن عبد الله بن المثنى الانصارى ذكرناه من قبل، ومثل مكى بن ابراهيم البلخى ذكرناه من قبل، ومثل حسين بن ابراهيم الملقب باشكاب لزم ابا يوسف وتفقه عليه كذا فى الجواهر قال الحافظ روى عنه البخارى حديثا واحدا، ومثل فضيل بن عياض قال فى الجواهر احد صلحاء الدنيا وذكرالصيمرى انه اخذ الفقه عن ابى حنيفة روى عنه البخارى ومسلم، ومثل يحى بن معين قال الذهبى انه من الحنفية الغلاة فى مذهبه وان كان محدثا،

و مثل وكع بن الجراح ذكرالصيمرى انه اخذ العلم عن ابى حنيفة، قال ابن معين مارأيت افضل من وكيع كان يفتى بقول ابى حنيفة وكان سمع منه كثيرا كذا فى الجواهر وذكر الحافظ ورقم عليه للستة وقال الكردرى انه من اهل الشورى بمذهبه،

و مثل يحى بن اكثم قاله فى الجواهر روى عنه البخارى فى غير الجامع، ومثل يحى بن الصالح الوحاظى قال فى الجواهر سمع مالكا و محمد بن الحسن، ومثل يوسف بن بهلول كذا فى الجواهر، و مثل عبد الله بن داؤد الخريبى كذا فى الجواهر،

و مثل ابراهيم بن طهمان و مثل جرير بن عبد الحميد قال فى الجواهر اخذالفقه عن ابى حنيفة وهو من رواة الستة، و مثل حسين بن صالح قال فى الجواهر روى عنه الشيخان، و مثل حفص بن غياث وقال الامام ابو حنيفة فى حقه انتم مسار قلبى وجلاء حزنى كذا فى الجواهر وفى التدريب روى عنه الستة، ومثل داؤد بن رشيد مصغرا من اصحاب حفص بن غياث و محمد بن الحسن كذا فى الجواهر، و مثل زائدة بن قدامة روى عنه الشيخان كذا فى الجواهر، و مثل زكريا بن ابى زائدة وابنه يحى قال يحيى قال لى ابى يا بنى عليك بالنعمان فخذ منه قبل ان يفوتك.

وفى الجواهر كان اصحاب ابى حنيفة الذين دونوا الكتب اربعين رجلا، فكان فى العشرة المتقدمين ابو يوسف وزفر و داؤد الطائ واسد بن عمرو و يوسف بن خالد السمتى و يحى بن زكريا و هوالذى كان يكتب لهم ثلاثين سنة ورقم الحافظ له ولابيه الستة، و مثل زهير بن معاوية من اصحاب ابى حنيفة ذكره فى الجواهر وهو من رواة الستة، و مثل محمد بن فضيل من رواة الستة كذا فى الجواهر، و مثل مغيرة بن مقسم كذا فى الجواهر، و مثل يزيد بن هارون من الحنفية ومن رواة الستة ايضا كذا فى الجواهر.

و فى هذا كفاية لهذا المختصـــر والا ففـــى شـــيوخ البخارى وشيوخ مشائخه جماعات كثيرة من تلامذة الامام ابى حنيفة، و عد مائة و ثمانين محدثا من تلامذة الامـــام او مـــن تلامذة تلامذته صاحب انوار البارى جامع تقرير البخـــارى للامام انور شاه الكشميرى من شاء فلينظر، وعد العلامة المزى خمس وسبعين محدثا من اصحاب ابى حنيفة وكـــذا ذكـــره السيوطى فى تبيض الصحيفة.

وذكر العلامة موفق سبعمائة مشائخ الذين اخـــذوا العلم من ابى حنيفة، والعجب من الحافظ ابن حجر العسقلانى انه ذكر شيوخ البخارى اثنين وعشرين فقط من اصحـاب ابى حنيفة، وهذا من عصبيته لمذهب الاحناف وكثيرا ما يـتركون ذكر الاحناف من شيوخه فى مصنفاته، ولـــذا قـــال الامـــام الكشميرى ما اضر الاحناف احد اكثر من الحافظ ابن حجر.

الفائدة العشرون

فى طبقات كتب الحديث

فيه اقوال مختلفة بين العلماء من جهات مختلفة فعلى مـا قال فى التقريب والتدريب: اول مصنف فى الصحيح المجـــرد الصحيح البخارى ثم مسلم ثم الكتب الثلثة من ســنن ابى داؤد والنسائ والترمذى ثم مستدرك الحاكم ثم صحيح ابن حبــان، وقال فى التدريب صحيح ابى خزيمة اعلى مرتبه من صحيح ابن حبان لشدة تحريه حتى انه يتوقف فى التصحيح لادنى كـلام فى الاسانيد وصرح الخطيب وغيره بان الموطأ مقدم علـــى كـــل كتاب من الجوامع والمسانيد فعلى هذا هو بعد صحيح الحاكم ثم الكتب المخرجة على الصحيحين كالمستخرج للاسمـــاعيلي وغيره.

وقال الشيخ الامام الشاه ولى الله فى حجة الله البالغــة باب الكلام فى هذه المسئلة حاصله قال: ان كتب الحديـــث على طبقات مختلفة ومنازل متبائنة يوجب الاعتنـــاء بمعرفــة طبقات كتب الحديث، فنقول هى باعتبارا لصحة و الشـــهرة على اربع طبقات، وذالك لان اعلى اقسام الحديث ما ثبـــت بالتواتر واجمعت الامة على قبوله والعمل به، ثم ما اســـتفاض من طرق متعددة لا يبقى معها شبهة يعتد بها وافق على العمل

به جمهور فقهاء الامصار، ثم ما صح او حسن سنده وشهد به علماء الحديث و لم يكن قولا متروكا لم يذهب اليه احد من الامة اماما كان ضعيفا موضوعا او منقطعا او مقلوبا فى سنده او متنه او من رواية المجاهيل او مخالفا لما اجمع عليه السلف طبقة بعد طبقة فلا سبيل الى القول به.

فالصحة ان يشترط مؤلف الكتاب على نفسه ايراد ما صح او حسن غير مقلوب ولا شاذ ولا ضعيف الا مع بيان حاله وهذا لا يقدح فى الكتاب، والشهرة ان تكون الاحاديث المذكورة فيها دائرة على السنة محدثين قبل تدوينها و بعد تدوينها فاوردوها فى مسانيدهم و مجاميعهم قبل المؤلف وبعد المؤلف اشتغلوا برواية كتابه مع شرحه، فاذا اجتمعت هاتان الخصلتان كملا فى كتاب كان من الطبقة الاولى ثم وثم فما كان اعلى حد فى الطبقة الاولى فانه يصل الى حد التواتر وما دون ذالك يصل الى الاستفاضة ثم الى الصحة.

فالطبقة الاولى منحصرة بالاستقراء فى ثلاثة كتب الموطأ والصحيحين للامام البخارى ومسلم، والطبقة الثانية كتب لم تبلغ مبلغهن ولكنها يتلوها، كان مصنفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر فى فنون الحديث، ولم يرضوا فى كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على انفسهم فتلقاها

من بعدهم بالقبول واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة واشتهرت فيما بين الناس كسنن ابى داؤد والترمذى والنسائ وكان مسند احمد يكون من جملة هذه الطبقة.

والطبقة الثالثة المسانيد والجوامع والمصنفات اللاتى صنفت قبل البخارى ومسلم وفى زمانهما و بعدهما، جمعت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والغريب والشاذ والمنكر والخطأوالصواب والثابت والمقلوب، ولم تشتهر فى العلماء ذالك الاشتهار كمسند ابى على ومصنف عبد الرزاق وابن ابى شيبة والبيهقى والطحاوى والطبرانى وغير ذالك، وكان قصدهم جمع ما وجدوه لا تلخيصه وتهذيبه وتقريبه من العمل.

والطبقة الرابعة كتب قصد مصنفوها بعد قرون متطاولة جمع ما لم يوجد فى الطبقتين الاوليين، وكانت فى المجاميع والمسانيد المختفية فنوهوا باثارها وكانت على السنة من لم يكتب جديثه المحدثون ككثير من الوعاظ و اهل الاهواء والضعفاء ككتاب الضعفاء لابن حبان وكامل بن عدى و كتب الخطيب وابى نعيم وابن عساكر وابن النجار والد يلمى وغير ذالك، وههنا الطبقة الخامسة منها ما اشتهر على السنة الفقهاء والصوفية والمؤرخين ونحوهم وليس له اصل فى هذه

الطبقات الاربع ومنها مادسها الماجن فى دينه انتهى مختصرا وملخصا.

وقال الشاه عبد العزيز الدهلوى فى رسالة ما يجب حفظه للناظر: الكتب المصنفة على خمس مراتب احدها الكتب المجردة للصحاح، فلا يوجد فيها ما يحكم عليه بالضعف فصلا عن الوضع مثلا الموطأ وصحيح البخارى وصحيح مسلم وصحيح ابن حبان والحاكم و المختار للضياء المقدسى وصحيح ابن خزيمة وابى عوانة وصحيح ابن السكن والمنتقى، وثانيها الكتب اللتى لا يترل احاديثها من الصالح للاخذ منها سنن ابى داؤد وجامع الترمذى ومسند احمد.

وثالثها الكتب اللتى يوجد فيها كل نوع من الاحاديث الحسن والصالح والمنكر، منها سنن ابن ماجه ومسند الطيالسى ومسند عبد الرزاق ومصنف ابن ابى شيبة والمعاجم الثلاثة للطبرانى وغير ذالك، ورابعها الكتب اللتى كلما يوجد فيها الاحاديث يحكم عليه بالضعف، منها نوادر الاصول للحكيم الترمذى وتاريخ الخلفاء وابن النجار والدیلمی والعقيلى وابن عساكر وغير ذالك، وخامسها الكتب اللتى حيزت للموضوعات منها موضوعات ابن الجوزى ومحمد بن طاهر النهروالى وغير ذالك مختصرا.

وايضا قال الشيخ فى الرسالة العجالة النافعة وقسم الكتب على اربع طبقات، الاولى اللتى هى فى اعلى درجة الصحة والتلقى بالقبول وعد منها ثلاثة كتب فقط الموطأ والصحيحين وجمع هذه الثلاثة القاضى عياض فى المشارق الانوار، والطبقة الثانية الكتب اللتى لم تبلغ فى الصحة والشهرة والتلقى بالقبول الى الدرجة الاولى الا انها قريبة الى الاولى وعد منها الترمذى وابا داؤد والنسائ،

والثالثة كتب المحدثين الذين سبقوا الشيخين او عاشروهم او كانوا فى قريب من زمانهما وانهم وان كانوا من الثقات المعتمدين لكتهم ذكرو فى كتبهم من الضعاف بل الموضوعات، وعد منها مسند الشافعى وابن ماجه والدارمى و ابى يعلى وعبد الرزاق والدارقطنى والبيهقى والطحاوى وغير ذالك، والرابعة الكتب اللتى لم تشتهر فى القرون السابقة ودونها المتأخرون فروايات هذه الكتب لا تعتمد عليها، و عد منها كتاب الضعفاء لابن حبان والعقيلى والكامل لابن عدى وغير ذالك مختصرا،

اقول قد ظهر من هذه الاقتباسات ان الامام الشاه عبد العزيز قد اخذ هذا عن كلام والده الشيخ الامام الشاه ولى الله رح وما ذكرنا من التقسيم على هذه الطبقات فهو تقسيم جيد فانما هو اصول و قواعد التى اذا علم الباحث يحكم عليه حكما صحيحا ومن شاء العلم الزايد فليرجع الى تلك الرسائل والكتب والله اعلم.

الفائدة الحادية والعشرون

فى انواع المصنفات فى الحديث

قال شيخ مشائخنا الشاه عبد العزيز الدهلوى فى العجالة النافعة بان المولفات فى فن الحديث على انواع ستة، وفى الحقيقة اكثر منها كما ذكره العلماء فمنها الجامع الذى يحتوى على ثمانية اشياء من العقائد والاحكام والرقاق والآداب والتفسير والتاريخ والفتن والمناقب، وجمع هذه الاشياء بعضهم فى شعر: سير آداب وتفسير وعقائد : فتن اشراط احكام ومناقب، فالمراد بالسير التاريخ بنوعيه من ما يتعلق بخلق السماء والارض والحيوانات والجن والشياطين والملائكة والانبياء ويسمى ببدء الخلق، وما يتعلق بذات النبى النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه من بدء ولادته الى وفاته صلى الله عليه وسلم ويسمى بالسيرة، وفى هذا الفن صنفت كتب كثيرة.

والمراد بالأداب ما هو مفيد للاخلاق الحسنة وحسن المعاشرة والسلوك يسمى بعلم الآداب، وصنف فيه الامام البخارى كتابا مبسوطا المسمى بالآدب المفرد وكذا لغيره و المراد بالتفسير علم التفسير وفى هذا ايضا كتب كثيرة، والمراد بالعقائد علم التوحيد وفيه كتاب التوحيد لابن خزيمة وكتلب الاسماء والصفات للبيهقى وغير ذانك، والمراد بالفتن علم الفتن

وفيه مصنفات عديدة، والمراد بالاشراط احاديث الرقاق والزهد ويسمى بعلم السلوك و فيه كتب الزهد للامام احمد ولعبد الله بن المبارك ولغيرهما تاليفات كثيرة، والمراد بالاحكام السنن على ترتيب كتب الفقه من الطهارة الى كتاب الوصايا تسمى بعلم السنن، والمراد بالمناقب علم المناقب وفيه تصانيف كثيرة، وقد صنف علماء الحديث وفى كل فن من هذه الفنون الثمانية تصانيف مفردة.

فالكتاب الذى يحتوى على هذه الفنون الثمانية يسمى الجامع، فالجامع من الصحاح الجامع البخارى والجامع الترمذى، واما صحيح مسلم فقال الشيخ الكشميرى انه ليس بجامع لقلة التفسير وكذا افاده شيخ مشائخنا الشاه عبد العزيز رح، ولكن المعروف عند المحدثين اطلاق الجامع عليه واحاديث التفسير وان كانت قليلة لكنها موجودة فى آخر الكتاب كذا افاده الشيخ زكريا، وقد اطلق عليه اسم الجامع الشيخ مجد الدين الشيرازى صاحب القاموس حيث قال. ختمت بحمد الله جامع مسلم فكانه لم يلتفت الى قلة التفسير.

وعده صاحب كشف الظنون فى الجوامع اذ قال الجامع الصحيح للامام الحافظ ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى الشافعى، واكثر المتاخرون اطلاق لفظ الجامع عليه

واكثر المتقدمون لفظ الصحيح فقط بدون التقييد بالجامع وغيره.

وقال الشيخ العلامة العثمانى: لعل سبب قلة التفسير قلة الاحاديث الصحيحة الواردة فيه المستجمعة لشروط مسلم واكثر ما يورده البخارى وغيره فى ابواب التفسير اما احاديث قد ذكرت مرارا فى سائر الكتاب لمناسبتها بالتراجم ثم كررت فى التفسير واما آثار موقوفة واقوال لغوية غير مرفوعة ومادون ذالك قليل ومسلم متجانب عن التكرار ومتباعد عن نقل الاقوال والآثار التى ليست بمسندة الى النبى صلى الله عليه وسلم فلهذا قل مادة التفسير فى بابه- هذا هو المختار عند العبد الحقير، و من الجوامع جامع سفيان الثورى وجامع عبد الرزاق وكذا جامع الدارمى كما فى التدريب،

النوع الثانى السنن، وهى التى فيها الاحكام فقط على ترتيب ابواب الفقه و لم يذكر هذا النوع فى العجالة النافقة اصالة وهى من الصحاح سنن ابى داؤد والنسائ وابن ماجه ويسمى الترمذى ايضا سننا تغليبا لان ترتيبه على ترتيب ابواب الفقة ولكن اكثروا اطلاق لفظ الجامع عليه وفى هذا كتب كثيرة،

النوع الثالث المسانيد: والمسند فى اصطلاح المحدثين ما يذكر فيه الاحاديث من الصحابة بحسب رعاية ترتيبهم اما على ترتيب حروف الهجاء او على ترتيب السوابق الاسلامية فى الاسلام او الفضل او على القبائل كذا قال السيوطى فى التدريب، قال الدارقطنى: اول من صنف مسندا نعيم من حماد، وقال الحاكم اول المساند. مسند عبيد الله بن موسى العبسى وقال ابن عدى: ان يحيى الحمانى اول من صنف المسند بالكوفه ومسدد بالبصرة. وفيه كتب كثيرة ذكرها الحافظ فى مقدمة الفتح.

النوع الرابع المعاجم: والمعجم ما يذكر فيه احاديث الشيوخ على الترتيب اما على ترتيب حروف الهجاء او على ترتيب الوفاة او على ترتيب التقدم فى العلم والفضل لكن الاكثر على حروف التهجى وفيه كتب كثير كالمعاجم الثلاثة للطبرانى وغيرها.

النوع الخامس المشيخات: والمشيخة ما يذكر فيه احاديث شيخ واحد او شيوخ عديده على خلاف المسند، فان فى المسند تجمع الروايات على ترتيب الصحابة وفى هذا يذكر احاديث الشيوخ ولا يشترط فيه الترتيب كما فى المعاجم،

ولكن كثير من المشيخات صنفت على ترتيب حروف الهجاء، ولذا عده بعض المحدثين من المعاجم كما افاده الشيخ زكريا،

والنوع السادس الاجزاء، والجزء الذى يحتوى على احاديث مسئلة واحدة معينة ومطلب واحد معين كجزء القراة خلف الامام للبخارى وجزء رفع اليدين له وفيه كتب عديدة لا تعد ولا تحصى.

والنوع السابع المفردات: والمفردالذى يحتوى على احاديث شخص واحد مثل احاديث ابى هريرة او حذيفة، و سمى هذا النوع الشيخ الشاه عبد العزيز بالرسالة ثم بعضهم ادرجهما فى نوع واحد بان الجزء والرسالة واحد بالاتساع كما افاده الشيخ زكريا وبعضهم عدها مستقلا كما افاده الشيخ العثمانى والله اعلم،

والنوع الثامن الاربعينيات: والمصنفات فى ذالك مما لا تعد ولا تحصى، اشتغل فيه المحدثون عملا بما فى البيهقى فى الشعب عن ابى الدرداء رض قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حد العلم الذى اذا بلغه الرجل كان فقيها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على امتى اربعين حديثا فى امر دينها بعثه الله فقيها وكنت له يوم القيامة شافعا

و شهيدا، قال الامام احمد حديث متنه مشهور فيما بين النـلس وليس له اسناد صحيح.

وقال النووى فى اول اربعينه قد روينا عن على بن ابى طالب وابن مسعود ومعاذ بن جبل وابى الدرداء وابن عمـــر وابن عباس وانس وابى هريرة وابى سعيد الخدرى من طـــرق كثيرة بروايات متنوعات ان رسول الله صلى الله عليه وســـلم قال من حفظ على امتى اربعين حديثا من امر دينها بعثـــه الله تعالى يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء، وفى روايـــة ابـــن مسعود قيل ادخل من اى ابواب الجنة شئت، و اتفق الحفـــاظ على انه حديث ضعيف وان كثرت طرقه.

وقد صنف العلماء فى هذا مالا يحصى من المصنفـــات، فاول من صنف فيه عبد الله بن المبارك ثم محمد بـــن اســـلم الطوسى ثم الحسن بن سفيان النسائ انتهى مختصرا قال الحافظ فى التلخيص: روى من ثلثة عشر من الصحابة اخرجها ابـــن الجوزى فى العلل المتناهية وبين ضعفها كلها ومع كل ذالـــك الف الحافظ ابن حجر اربعينتين والف النووى ايضا اربعينـــة وهى مشهورة بين الناس، واتفق العلماء على جـــواز العمـــل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال.

والنوع التاسع الافراد والغرايب جعلـــهما صـــاحب الاتحاف واحدا وفرق بينهما اهل الاصول فرقا يسير اكمـــا فى شرح النخبة، وهى عبارة عن الاحاديث التى تكون عند شـــيخ ولا تكون عند اخر ككتاب الافراد للدار قطنى ولابن شـــاهين وكذا يقال ان لمسلم ايضا كتاب فيه كتاب الافراد.

والنوع العاشر الوحدان: وهو من لم يرو عنه الاواحد كمـــا قال الحافظ فى النخبة والنووى فى التقريب والسخاوى فى فتـــح المغيث قال النووى ومن فوائده معرفة المجـــهول اذا لم يكـــن صحابيا فلا يقبل.

النوع الحادى عشر المستدرك: وهو الذى استدرك فيـــه مافات من كتاب آخر مثل المستدرك على الصحيحين للحاكم ابى عبد الله النيسابورى وفيه ايضا كتب عديدة.

النوع الثانى عشر المستخرج: وهو مـــا اســـتخرج لاثبـــات احاديث كتاب آخر مع رعاية ترتيبه ومتونه وطرق اســـناده، وينتهى سنده الى شيخ ذالك المصنف او شيخ شيخه، وفائدتـــه زيادة الاعتماد و الوثوق علـــى روايـــات ذالـــك المصنـــف كمستخرج ابى عوانة لمسلم وغير ذالك.

والنوع الثالث عشر العلل: قال القسطلانى فى انـــواع التاليف ومنهم من رتب على العلل بان يجمع فى كل متن طرقه

واختلاف الرواة فيه بحيث يتضح ارساله ما يكون متصــــلا او وقف ما يكون مرفوعا وغير ذالك، وقال الحـــافظ فى شـــرح النخبة ان اطلع على الوهم بالقرائن الدالة على وهم راويه مــن وصل مرسل او منقطع او ادخال حديث فى حديث او نحـــو ذالك من الاشياء القادحة ويحصل معرفة ذالك بكثرة التشـــبع وجمع الطرق فهذا هو المعلل وهو من اغمض انـــواع العلـــوم وادقهاولا يقوم به الا من رزقه الله تعالى فهما ثاقبا و حفظـــا واسعا و معرفة تامة بمراتب الرواة و ملكة قويـــة بالاســـانيد والمتنون ولهذا لم يتكلم فيه الا قليل من اهل هذا الشان كعلـى بن المديني واحمد بن حنبل والبخارى وابى حاتم وابى زرعـــة والدارقطنى وفيه كتب كثيرة.

والنوع الرابع عشر الاطراف: قال فى التدريب ومـــن طرق التصنيف ايضا جمعه على الاطراف فيذكر طرف الحديث الدال على بقيته ويجمع اسانيده مستوعبا او مقيـــدا بكتـــب مخصوصة وصنفت فيه كتب كثيرة.

النوع الخامس عشر الـــتراجم: قـــال الســـيوطى فى التدريب ويجمعون ايضا التراجم كما لك عن نافع عن ابـــن عمر. وهشام عن ابيه عن عائشة وسهيل بن ابى صالح عن ابيه عن ابي هريرة، قال الحاكم فى المدخل فى اصول الحديث الفرق

بين الابواب والتراجم ان التراجم شرطها ان يقول المصنف ذكر ما روى عن ابى بكر الصديق عن النبى صلى الله عليه وسلم يترجم على هذا المسند فيقول ذكر ما روى قيس بن ابى حازم عن ابى بكر فحينئذ يلزمه ان يخرج كل ماروى قيس عن ابى بكر الصديق صحيحا كان او سقيما، فاما مصنف الابواب فانه يقول ذكرما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابواب الطهارة او غير ذالك من الابواب، ولذا يعد هذا نوعا مسنقلا فحينئذ يكون هذا النوع السادس عشر اعنى الابواب.

والنوع السابع عشر التعاليق: قال القسطلانى ومنهم من رتب على العلل ومنهم من حذف الاسناد واقتصر على المتن فقط كا لبغوى فى مصابيحه و اللؤلؤى فى مشكواته وفيه كتب كثيرة،

والنوع الثامن عشر: قال القسطلانى ومنهم من اقتصر على الترغيب والترهيب. وعد صاحب الكشف كتبا منها ترغيب الصلواة للبيهقى ومنها الترغيب والترهيب للمنذرى المثوفى سنه٦٥٦النوع التاسع عشر المسلسلات : وهو نوع كثيرالمؤلفات سلفا وخلفا قال الحافظ فى شرح النخبة ان اتفق الرواة فى الاسناد فى صيغ الاداء او من الحالات القولية او

الفعلية او القولية والفعلية فهو المسلسل وهـو مـن صفـات الاسناد وقد يقع التسلسل فى معظم الاسناد وقسم النماوي الى ثمان كما فعله حاكم وقال انما هي مثل ولا حصروفيه ايضـا كتب كثيرة كمسلسلات للسيوطى وللشاه ولى الله الدهلـوى رح وغير ذالك.

والنوع العشرون الثلاثيات: كما مرسا بقا و فيه كتب عديدة.

والنوع الحادى والعشرون الامـالى: قـال صـاحب الكشف هو ان يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيـس فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم ويكتبه التلامذة فيصـير كتابا و يسمونه الاملاء وفيه كتب كثيرة فى علوم شتى منـها امالى الحافظ ابن حجر وغير ذالك،

والنوع الثانى والعشرون : الزوائد. وكـان السـلف يعتنون بهذا النوع من التاليف كثيرا مثل زوائد ابن حبان علـى الصحيحين للغلطاى وزوائد مسند احمد على السـته وغـير ذالك،

النوع الثالث والعشرون التخاريج: وقد اكثر العلمـاء التصانيف فى ذالك منها تخريج احاديث الرافعـى للحسـامى

وتخريج احاديث الهدايه لابن التركمانى وللزيلعى ولابن حجرو وغير ذالك.

والنوع الرابع والعشرون : شرح الآثار، قال ابـــن حجـــر فى شرح النخبة وان كان اللفظ مستعملا بكثرة لكن فى مدلولـــه دقة احتيج الى الكتب المصنفة فى شرح معانى الاخبار وبيـــان المشكل منها، وقد اكثر الائمة مـــن التصـــانيف فى ذالـــك كالطحاوى والخطابى وابن عبد البر وغيرهم و سماه النـــووى بمختلف الحديث، قال السخاوى اول من تكلم فيـــه الامـــام الشافعى وكذا ابن قتيبه وابو جعفر الطحاوى، وقد يسمى هذا بعلم تلفيق الحديث وهو علم يبحث فيه عن التوفيـــق بـــين الاحاديث المتنافية ظاهرا اما بتخصيص العام تارة او بتقييـــد المطلق اخرى او بالحمل على تعداد الحادثة الى غير ذالك مـــن وجوه التاويل وفيه كتب عديد.

النوع الخامس والعشرون اسباب الحديث: قال الحافظ فى شرح النخبة ومن المهم معرفة سبب الحديث وقد صنف فيه بعض شيوخ القاضى ابى يعلى بن الفراء الحنبلى وهـــو ابـــو حفص العكبرى وغير ذالك.

والنوع السادس والعشرون: الترتيب وموضوعه ظـــاهر من اسمه وكانت مولفات السلف اكثرها غير مرتب فرتبـــها

الخلف وبذلوا جهدهم فى ذالك وفيه كتب عديدة مثل ترتيب اطراف المزى على الالفاظ المحاسن الحسينى وترتيب المبهمات على الابواب للمغلطائ وغير ذالك.

والنوع السادس والعشرون التاليف على حروف المعجم فى الفاظ الحديث وفيه كتب كثيره كجامع الصغير للسيوطى الموضوعات الكبير لعلى القارى وغير ذالك.

النوع السابع والعشرون فى الموضوعات : وهى من اهم الانواع وقد اكثر الناس التاليف فى ذالك.

النوع الثامن والعشرون فى الادعية الماثورة : ان هذا علم يبحث فيه عن الادعية انما ثورة والاوراد المشهورة بتصحيها و ضبطها وبيان خواصها، والغرض منه معرفة تلك الادعية و الاوراد على الوجه المذكور لينال من استعمالها الفوائد الدينية والدنياوية وفيه كتب كثيرة.

النوع التاسع والعشرون : الناسخ والمنسوخ: وقد صنف فيه قاسم بن اصبغ وابو عبيد وابن الانبارى وغيرهم.

النوع الثلاثون متشابه الحديث: قال فى الاتحاف وممن جمع بين تشابه القران والحديث شمس الدين محمد بن اللبان وغير ذالك. وهذا القدر كفاية وما سوى ذالك انواع كثيرة، من شاء فليرجع الى الرسالة المستطرفة للكتانى فانه عد فيه قريبا من ستين انواعا وفى كل نوع تفصيل ذكره الشيخ زكريا فى مقدمة اللامع.

الفائدة الثانية والعشرون

فى بيان نسخ البخارى

قال الشيخ الحافظ انور الكشميرى فى الفيض: اعلم ان البخارى صنف كتابه فى ست عشرة سنة، وخرجه من ست مائة الف حديث، وقد سمعه منه سبعون الف رجل، وعلق عليه ثلاث وخمسون شرحا، واثنان وعشرون مستخرجا، واشهر الستخرجات للاسما عيلى، ثم قال وله تسعة عشر نسخة احداها لكريمة بنت احمد وهى امرأة محدثة، وثلاثة من صاحب النسخ حنيفون ابراهيم بن معقل النسفى وهو تلميذ البخارى بلا واسطة وحماد بن شاكر والحافظ شمس الدين الصغانى وكان من علماء القرن السابع.

واولاها عندى نسخة الصغانى لانه يقول انه نقلها من النسخة التى قرأت على المصنف، لكن الحافظ لايرى فيها مزية ويعامل معها ما يعامل مع سائرالنسخ، واما الآن فينبغى ان يعتمد على نسخة القسطلانى لانه اعتمد على نسخة الحافظ شرف الدين اليونينى، لان السلطان اراد مرة ان يعرب البخارى وجمع له افاضل عصره فجاء اليونينى فصحح متون الاحاديث وابن مالك صاحب الالفية اعربها، قال القسطلانى: فوجدت النصف الاول من نسخة اليونينى فاعتمدت عليها فى

شرحى و لم اجد النصف الآخر حتى وجدته ايضا بعد ثلاثين سنة فاعتمدت عليها فى النصف الآخر مختصرا.

وفيه كلام بسيط للحافظ العسقلانى اذكر ههنا مختصرا يقول: ذكر الفربرى انه سمع البخارى من مولفه تسعون الفا و انه لم يبق احد يرويه عنه غيرى، قال الحافظ: اطلق ذالك على علمه وقد تاخر بعده بتسع سنين ابو طلحة منصور بن محمد بن على بن قرينة البزدوى فانه توفى سنه ٣٢٩، قال الحافظ فى الفتح. اتصلت لنا رواية البخارى عنه باربع طرق من طريق ابى عبد الله محمد بن يوسف الفربرى التوفى سنه ٣٢٠. وكان سماعه مرتين مرة سنه ٢٤٨ بفربر و مرة سنه ٢٥٢ بخارى، ومن طريق ابراهيم بن معقل بن الحجاج النسفى المتوفى سنه ٢٩٨ وكان فاته من الجامع اوراق رواها بالاجازة عن البخارى.

اقول ذكره صاحب الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية، وقال الذهبى فى التذكرة انه قاضى نسف وعالمها ومصنف المسند الكبير والتفسير، وكان فقيها حافظا بصيرا باختلاف العلماء عفيفامات سنه٢٩٨ فما فى القسطلانى والحطة انه مات سنه ٢٤٠ انه من تحريف الناسخ، قال الحافظ: ومن طريق حماد بن شاكر النسوى وأطنه انه مات فى حدود التسعين وله فيه فوت ايضا.

اقول قال الكوثرى فى هامش شروط الائمة للحازمى: هذا البخارى لو لا ابراهيم بن معقل النسفى وحماد بن شاكر الحنفيان لكاد ينفرد الفربرى عنه فى جميع الصحيح سماعا كما كاد ان ينفرد ابراهيم بن محمد بن سفيان الحنفى مسلما.

وقال مولانا عبد الرشيد النعمانى فى هامش ابن ماجه و فى رسالته علم حديث: ان الصواب فى نسبته نسفى كما صرح به الكوثرى، فما قال الحافظ النسوى ليس بصواب، و ايضا ما قال الحافظ فى وفاته اظنه مات فى حدود التسعين ليس بصحيح، والصواب انه توفى سنه ٣١١ كما جزم به الكوثرى نقلا عن التقييد للحافظ ابن نقطة، وايضا ما قال السيد مرتضى الزبيدى فى تاج العروس النسوى توهم فى نسبته فان الصحيح نسفى، ولا تغفل ما قال السيوطى فى التدريب ان رواية حماد بن شاكر دون رواية الفربرى بمائتى حديث، ورواية ابراهيم بن معقل دونهما بثلثمائة حديث وماتعقب على ذالك، قال الحافظ ومن رواية ابى طلحة منصور بن محمد بن على بن قرينه المتوفى سنه ٣٢٩ وهو آخر من حدث عن البخارى بصحيحه كما جزم به ابو نصر بن ماكولا وغيره.

والطريق الخامس من طريق القاضى الحسين بن اسماعيل المحاملى قد اختلف فيه، قال الحافظ: لم يكن عنده الجامع الصحيح وانما سمع منه مجالس املاها ببغداد فى آخر قدمة

قدمها البخارى، وقد غلط من روى الصحيح من طريق المحاملى المذكور غلطا فاحشا. وتبعه القسطلانى فى مقدمته واشاربه الحافظ الى الكرمانى فانه ذكر فى مبدأ شرحه سنده الى ابى محمد عبد الله بن عبيد الله بن يحى بن زكريا المؤدب المتوفى سنه ٤٨٠ قال اخبرنا القاضى الفقيه ابو عبد الله الحسين بن اسماعيل الضبى المحاملى وهو آخر من روى عن البخارى، وقال بعضهم سماعه منه انما هو لبعض صحيحه لالكله مات سنه ٣٣٠

اقول فظهر ان المسموع عند المشائخ المذكورين خمس روايات ونسخ للبخارى ثم لاتنس ابا جعفر محمد بن حاتم وراق البخارى فان الفربرى اخذ عنه فى مواضع كما فى البخارى، فهل كان له نسخة ام لا و لم يذكر احد نسخته ولو كان عنده نسخة لكان نسخة سادسة والله اعلم.

اما الفربرى فهوالذى عليه مدارالروايات فى هذا الزمان، قال الكرمانى الفربرى بفتح الفاء وكسرها قرية من قرى بخارى سمع الصحيح من الامام البخارى مرتين وقيل ثلاث مرات، قال الحازمى الفتح اشهر و قال النووى بكسرها ثم قال النووى فى مقدمة شرحه ورواه عن الفربرى خلائق،

منهم ابو محمد الحموى وابو زيد المروزى وابواسحاق المستملى وابو سعيد احمد بن محمد وابوالحسن على بن احمد

بن عبد العزيز الجرجانى وابو الهيثم محمد بن مكى الكشـميهنى وابو بكر اسمعيل بن محمد بن احمد بن حـــاطب الكشـــانى و محمد بن احمد بن مت ثم رواه عن كل من هؤلاء جماعات.

وقال الحافظ فى الفتح: فاما رواية الفربرى فـــاتصلت الينا عنه من طريق الحافظ ابى على سعيد بن عثمان بن سـعيد بن السكن والحافظ ابى اسحاق ابراهيم بن احمد المستملى وابى نصر احمد بن محمد بن احمد الاخسيكثى والفقيه ابى زيد محمد بن احمد المروزى وابى على محمد بن عمر بن شبويه وابى احمـد محمد بن محمد الجرجانى وابى محمد عبد الله بن احمد السـرخى وابى الهيثم محمد بن مكى الكشميهنى وابى على اسماعيل بـــن محمد بن احمد بن حاجب الكشانى وهو أخر مــــن حـدث بالصحيح عن الفربري.

اقول فعلم من كلام الحافظين ان الرواة عن الفربـــرى تسعة عند الحافظ وثمانية عند النووى ولكـــن الســتة منـــها مذكورة فى كلام الحافظ والاثنان زائدان وهما ابو سعيد احمـد بن محمد و محمد بن احمد بن مت. بفتح الميم واشديد الثاء، ثم اعلم قال النووى اما الحموى فهو بفتح الحاء المهملة وضم الميم الشدده هوابو محمد عبد الله بن احمد بن حموية السرخســــى، وفى اليانع الجنى الحموى بتشديد الميم المفتوحة نسبة الى جـــده حموية، فعلم من هذا ان نسخة السرخسى والحموى واحـــد،

فما فى مقدمة الشيخ مولانا احمد على السهار نفورى من جعلهما نسختين والوضع لكل منهما رمزا مشكل والله اعلم،

فالحاصل من كلام الحافظين ان الرواة احدى عشر رجلا الذين رووا عن الفربرى، وفى اليانع الجنى رجل آخر وهو احد الابدال بسمرقند الشيخ ابو لقمان يحى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلانى المعمر مائة وثلثا واربعين سنة قال وقد سمع جميعه عن الفربرى (وروى عنه اسيخ ابو يوسف الهروى المعروف بسيصدساله) فحصل المجموع اثنا عشر رجلا من رواة الفربرى،

ثم اعلم فما قال الحافظ الشاه انور الكشميرى ان له تسعة عشر نسخة لم يظهر له وجه، الا ان يقال ان الذين رووا عن هؤلاء التسعة الذين اخذوا عن الفربرى رووا بتسعة عشر روايات كما يظهر من كلام الحافظ فى الفتح، ولكن الا نفس اثنا عشر نفسا فصح ما قال احدها لكريمة بنت احمد فانها تروى من ابى الهيشم محمد بن مكى الكشميهنى، ومع ذالك لم اعلم احدا ذكر الحافظ شمس الدين الصغانى من رواته عن احد من هؤلاء اثنا عشر رجلا، وقال الشيخ بنفسه انه هومن علماء القرن السابع واخذها من النسخة التى قرئت على المصنف ففى الاصل النسخة نسخة التى قرأت فليس لهذه النسبة وجه وجيه والله اعلم،

اما ضبط الالفاظ: فهو اما الحموى فقد علمت ضبطه سابقا واما الاخسيكثى فهو بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهملة وسكون التحتيه وفتح الكاف ثم مثلثة نسبة الى اخسكث مدينه على شاطئ نهر الشاس من بلاد فرغانه كما فى اللب كذا فى نيل الامانى، واما شبويه فهو بشين مفتوحة فموحدة مضمومة مشددة فواو ساكنة فمثناة تحتية مفتوحة.

واما السرخى بالسين المهملة الراء المفتوحتين والخاء المعجمة الساكنة ثم سين مهملة مكسورة نسبة الى سرخس مدينة بخراسان، واما ابو الهيثم فهو بفتح الهاء واسكان المثناة التحتية وفتح المثلثة محمد بن مكى بفتح ميم وتشديد الكاف، الكشميهنى بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وفتح الميم واسكان الياء وفتح الهاء قرية بمرو وقيل بكاف مضمومة وشين معجمة ساكنة وفتح الميم وبعدها الف الكشماهنى وقد تمال الالف، واما الكشانى فهو بضم الكاف وفتح الشين المشددة نسبة الى كشانية بلد بصقة وهو آخر من حدث عن الفربرى.

امااختلاف النسخ فقال القسطلانى وقد وقع فى بعض نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث الى حديث لم يذكر فيه باب فاستشكله بعضهم لكن ازال الاشكال الحافظ ابو ذرالهروى بما رواه عن الحافظ ابى اسحاق المستملى مما

ذكره ابو الوليد الباجى فى كتابه اسماء رجال البخارى، قال استنسخت كتاب البخارى من اصله الذى كان عند الفربوى فرأيت اشياء لم تتم واشياء مبيضة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا واحاديث لم يترجم فها فاضفنا بعض ذالك الى بعض.

قال الباجى: ومما يدل على صحة ذالك ان رواية المستملى والسرخسى والكشميهنى وابى زيد المروزى مختلفة بالتقديم والتاخير مع انهم استنسخوها من اصل واحد، وانما ذالك بحسب ما قد راى كل واحد منهم فيما كان فى طرة او رقعة مضافة انه من موضع ما فاضافه اليه، ويبين ذالك انك تجد ترجمتين واكثر من ذالك متصلة ليس بينها احاديث، قال الحافظ ابن حجر وهذه قاعدة حسنة يفزع اليها حيث يتعسرالجمع بين الترجة والحديث وهى مواضع قليلة الخ.

قال القسطلانى وهذا الذى قاله الباجى فيه نظر من حيث ان الكتاب قرئ على مؤلفه ولاريب انه لم يقرأ عليه الامرتبا مبوبا فالعبرة بالرواية لا بالمسودة التى ذكر صفتها انتهى،

وقال الشيخ زكريا فى مقدمة تقريرالبخارى بان اختلاف النسخ لو كان بين تلاميذ الامام لكان له وجه لان المؤلفِ درس اولا على ترتيب ثم لما نظر فى الكتاب نظرا ثانيا فقدم او اخر واصلح ثانيا ثم درس ثانيا فبين تدريسين اختلاف

فلذا بين تلاميذه اختلاف فصار اختلاف النسخ، ولكن لما اخذ كل الرواة عن الفربرى فلم يوجدالاختلاف فى هذه النسخة الواحدة، فهذا اشكال وله جوابان معقول وغير معقول.

واما الذى هو غير معقول فهو اقوى وهو ان الاستاذ يقرر ويبين وهو يملى احاديث والتلاميذ يسمعون ويكتبون وتارة يقع الاختلاف فى النقل والكتابة بحسب قوة التيقظ والفهم والناس متفاوتون فيه ولهذا ظهراختلاف الالفاظ والاسماء، وهكذا فى زماننا ايضا يوجد الاختلاف فى ضبط تقارير الاستاد فكذا ههنا ايضا والجواب الثانى الذى هو معقول وهو ان الفربرى سمع البخارى من مولفه ايضا كذالك او لا وثانيا بالاختلاف والذى سمع اخيرا وهو النسخة التى اصلح المولف بنفسه، ومع ذالك لشدة حبه بالاستاذ ذكر الذى ما سمع منه اولا فظهر الاختلاف.

واستمد على ذالك الشيخ زكريا بقصة يقول لما مر شيخه العلامة خليل احمد السهار نفورى على حديث ترتيب عبد الله بن مسعود وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم تارة يجمع بين السورتين كذا وكذا فقال لى شيخى يا زكريا اكتب لي سورتين على وفق ماروى ابن مسعود رض اقرء ها الليلة فى صلواة التهجد، فهذا قال شيخى لشدة حبه اياه وهو يعلم ان

هذا على خلاف المصحف العثمانى ومع ذالك اراد ان يعمل به، فكذا فعل الفربرى يدرس بالاختلاف فظهر بين التلاميذ. انتهى.

وقال الحافظ الكشميرى اعلم انه قد يتغير المراد باختلاف النسخ ولعل وجهه ان الناس لما اخذوا عن المصنف رح اخذوا اصل الحديث وجعلوا الخصوصيات هدرا وحسبوه كالواجب المخير فردوها كيفما رأوا والله اعلم انتهى.

ويقول العبد الفقير الاختلاف بين النسخ بنوعين نوع بالتقدير والتاخير والحذف والذكر ونوع فى ضبط الاسماء والالفاظ، وقد ثبت ان الصحيح سمعه من المؤلف تسعون الفاقى ازمنة مختلفه وفى امكنة شتى وقد بين المؤلف بنفسه كما حكى الحافظ فى موضع عن محمد بن ابى حاتم الوراق قال سمعت البخارى يقول: لو نشر بعض استارى هولاء لم يفهموا كيف صنفت البخارى ولا عرفوه، ثم قال صنفته ثلاث مرات.

وايضا قال العلماء ان المؤلف كتب اولا بالمسودة ثم حول من المسودة فى المبيضة جمعا وتوفيقا بين الاقوال المتعارضة فى بيان ترتيب الابواب والتصنيف فى المسجدالحرام والمسجد النبوى الشريف زاد هما الله شرفا وكرامة، وايضا قال القسطلانى قال الذهبى و غيره انه حدث بالحجاز والعراق

وماوراء النهر وكتبوا عنه وما فى وجهه شعرة ثم قال روى عنه محمد بن نصرالمروزى الفقيه وصالح بن محمد جزرة الحافظ وابو بكر بن ابى عاصم ومطين وابو العباس السراج و ابراهيم بن معقل النسفى و مهيب بن سليم و سهل بن شاذريه ومحمد بن يوسف الفربرى و محمد بن احمد ولويه ومحمد بن احمد بن هارون الحضرمى والحسين بن اسماعيل المحاملى وذكر اسماء خلق.

فمن هذه الاقوال يمكن ان يقال ان الرواية المستقلة ولو كانت من الفربرى فقط ولكن سوى هذا ايضا تلاميذ آخر الذين سمعوا الصحيح منه يمكن انهم ايضا يحدثون الصحيح كيف ما سمعوا من المولف بالاختلاف لان المصنف ايضا رتب الجامع واصلح مرة بعد مرة وسمع بعضهم كذا وبعضهم كذا وروى كل بهذا الاختلاف ايضا بين التلاميذ، فلما حدث الفربرى نسخته بين التلاميذ يمكن لبعض تلاميذته انه اخذ بعض الاختلاف الذى روى غير الفربرى فقدم او اخر حذف او بين فخلط فى النسخة كما قال القسطلانى عن ابى ذر الهروى ويؤيده ما قال السيوطى: ان نسخة حماد بن شاكر دون نسخة الفربرى بماتى حديث ونسخة ابراهيم بن معقل دونهما بثلثمائه حديث وما تعقب على ذالك.

واما الاختلاف فى ضبط الالفاظ فهو امر سهل اما يقال جوابه هو الذى ذكره الشيخ زكريا او جوابه الذى ذكره الحافظ الكشميرى، وهذا ما ذكرته انما هو حسب مافهمته بعد التدبر التام والفكر الغاير والله اعلم بحقيقة الحال فان كان صوابا فمن الله والا فمن عند نفسى وما ابرئ نفسى والله هو المستعان.

الفائدة الثالثة والعشرون

فى عدد احاديث الجامع وعدد ابوابه وكتبه وعددمشائخه وعدد الصحابى والصحابيات

قال القسطلانى اما عدد احاديث الجامع فقال ابن الصلاح سبعة الاف ومأتان وخمسة وسبعون سنه ٧٢٧٥ بالاحاديث المكررة و تبعه النووى و ذكرها مفصلة وساقها ناقلا لها من كتاب جواب المتعنت لابى الفضل بن طاهر.

و تعقب على ذالك الحافظ ابن حجر بابا بابامحررا ذالك، وحاصله انه قال جميع احاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حررته واتقنته سبعة الاف وثلثمائة وسبعة وتسعون حديثا سنه ٧٣٩٧، فقد زاد على ما ذكروه مائة حديث و اثنين و عشرين حديثا سنه ١٢٢، والخالص من ذالك بلا تكرار الفا حديث وستمائة وحديثان سنه ٢٦٠٦ واذا ضم له المتون المعلقة المرفوعة التى لم يوصلها فى موضع آخر منه وهى مائة وتسعة وخمسون سنه ١٥٩،

فصار مجموع الخالص الفى حديث وسبعمائة واحدى وستين حديثا سنه ٢٧٦١، وجملة مافيه من التعالبق الف وثلثائة وواحد واربعون حديثا سنه ١٣٤١ و اكثرها مكرر مخرج فى الكتاب اصول متونه وليس فيه من المتون التى لم

تخرج فى الكتاب ولو من طريق اخرى الا مائة وستون حديثا سنه ١٦٠،

وجمله مافية من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلثمائة و اربعة و اربعون حديثا سنه ٣٤٤، فجملة ما فى الكتاب على هذا بالمكرر تسعة الاف واثنان وثمانون حديثا سنه ٩٠٨٢ خارجا عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات على التابعين فمن بعدهم انتهى.

اقول ما قال القسطلانى فهو مذكور فى مقدمة الفتح، ولكن الذى قاله الحافظ فى اخر شرحه من الكتاب جميع ما فى الجامع من الاحاديث بالمكرر موصولا ومعلقا وما فى هذه من المتابعة تسعة الاف واثنان وثمانون حديثا، و جميع ما فيه موصولا ومعلقا بغير تكرار الفا حديث وخمسائة حديث و ثلاثة عشر حديثا سنه ٢٥١٣ فمن ذالك المعلق وما فى معناه من المتابعة مائة وستون حديثا سنه ١٦٠ والباقى موصول وافقه مسلم على تخريجها سوى ثمانمائة وعشرين حديثا سنه ٨٢٠.

ففى هذا كلام لانه ما قال اولا من المجموع سنه ٩٠٨٢ فهو صحيح موافق ما قال فى المقدمة، اذ ذكر فى المتقدمة مجموع الخالص اى من غير تكرار سنه ٢٧٦١ موصولا ومعلقا فح لا مخلص منه الا ان يقال بان الذى ذكر

فى المقدمة فهو صواب وما فى اخر الشرح ففيه تسامح والله اعلم والقسطلانى ايضا اعتمد على ما ذكره فى المقدمة وعليه اعتمد العلماء،

ثم اعلم ذكر فى المقدمة وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلثمائة وواحد و اربعون حديثا ففى هذا سهو من قلم الناسخ والصحيح اربعة واربعون كما ذكره القسطلانى والا لم يصح الحساب فى المجموع كما هو الظاهر، ثم اعلم ذكر العلامة هاشم السندى فى كتابه حياة القارى باطراف صحيح البخارى كلام الحافظ ابن جز فذكر: و فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروابات ثلثمائة واربعة وثمانون حديثا هذا ايضا سهووالصحيح ما قاله القسطلانى فتنبه.

واما عدد كتبه فقال الكرمانى: انها مائة وشيئ وابوابه ثلاثة الاف واربع مائة وخمسون بابا مع اختلاف قليل فى نسخ الاصول وعدد مشائخه الذين صرح عنهم فيه مائتان وتسعة وثمانون سنه ٢٨٩ وعدد من تفرد بالرواية عنهم دون مسلم مائة و اربعة وثلاثون سنه ١٣٤ انتهى.

واما عدد الصحابى والصحابيات الذين اخرج عنهم الامام موصولا ومعلقا مائة واربع وثمانون سنه ١٨٤ ومن ذالك احدى وثلاثون صحابيات والباقى اى مائة ثلاثة وخسون سنه ١٥٣ رجال. هذا ما عددته من المقدمة الفتح والله اعلم.

الفائدة الرابعة والعشرون

فى بيان تقطيعه للحديث واختصاره واعادة الحديث مكررا

قال القسطلانى قال الحافظ ابو الفضل بن طاهر فى جواب المتعنت: اعلم ان البخارى رح كان يذكر الحديث فى كتابه فى مواضع ويستدل به فى كل باب باسناد آخر ويستخرج منه معنى يقتضيه الباب الذى اخرجه فيه وقلما يورد حديثا فى موضعين باسناد واحد ولفظ واحد و انما يورده من طريق آخر لمعان يذكرها.

فمنها انه يخرج الحديث عن صحابى ثم يورده عن صحابى اخر والمقصود منه ان يخرج الحديث عن حدالغرابة،

ومنها انه صحح احاديث على هذه القاعدة يشتمل كل حديث منها على معان متغايره فيورده فى كل باب من طريق غير الطريق الاول،

ومنها احاديث يرويها بعض الرواة تامة وبعضهم مختصرة فيريها كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقلها،

ومنها ان الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدث راو بحديث فيه كلمة تحتمل معنى آخر فيورده بطرقه اذا صحت على شرطه ويفرد لكل لفظة بابا مفردا،

ومنها احاديث تعارض فيها الوصل والارسال و رجح عنده الوصل فاعتمده واورد الارسال منهما على انه لا تاثير له عنده فى الموصول،

ومنها احاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذالك،

ومنها احاديث زاد فيها بعض الرواة رجلا فى الاسناد ونقصه بعضهم فيورده على الوجهين حيث يصح عنده ان الراوى سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقى اخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين،

ومنها انه ربما اورد حديثا عنعنه راويه فيورده من طريق اخرى مصرحا فيها بالسماع على ما عرف من طريقه فى اشتراط ثبوت اللقاء من المعنعن, هذا كله فيما يتعلق باعادة المتن الواحد فى موضع اخر او اكثر.

واما تقطيعه للحديث فى الابواب تارة واقتصاره على بعض اخرى فلانه ان كان المتن قصيرا و مرتبطا بعضه ببعض وقد اشتمل على حكمين فصاعدا فتارة يعيده لفائدة حديثية، وهى ايراده عن شيوخ لا ظهار كثرة الطرق، وتارة ضاق عليه مخرج الحديث بحيث له طريق واحد فقط فيتصرف فيه فيورده موصولا ومعلقا تاما و مقتصرا على ما يحتاج اليه، وان كان المتن مشتملا على جمل متعددة لا تعلق لاحداها بالاخرى فانه

يخرج كل جملة منها فى باب مستقل فرارا من التطويل وربما نشط فساقه بتمامه.

وقال الحافظ ولا يخرج فى كتابه حديثا معادا بجميع اسناده و متنه وان كان قد وقع له من ذالك شيئ فعن غير قصد وهو قليل جدا ثم قال القسطلانى: بانه حصل ورقة من خط الحافظ ابن حجر ذكر عشرين حديثا التى ذكرها البخارى فى موضعين سندا ومتنا وذكره تفصيلا وانالا اذكره خوفا للطوالة.

ثم قال واما اقتصاره على بعض المتن من غيران يذكر الباقى فى موضع آخر فانه لا يقع له ذالك فى الغالب الا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابى وفيه شي قد يحكم يرفعه فيقتصر على الحملة التى يحكم لها بالرفع و يحذف الباقى لانه لا تعلق له بموضوع كتابه وذكر مثالا عن الصحيح تركته اختصارا ثم قال فقدا تضح انه لا يعيد الالفائدة حتى لو لم يظهر لا عادته فائدة من جهة الاسناد ولا من جهة المتن وكان ذالك لاجل معايرة الحكم السابق كيف وهو لا يخليه عن فائدة اسنادية او غير ذالك على ما سبق انتهى مختصرا.

الفائدة الخامسة والعشرون

فى بيان سبب ايراد الاحاديث المعلقة مرفوعة وموقوفة

ففى هذا ذكر العسقلانى وتبعه القسطلاني كلاما طويلا وانا اذكره مختصرا المراد بالتعليق ما حذف من مبدأ اسناده واحد فاكثر ولو الى آخر الاسناد، فيوردها تارة مجزوما بها كقال وفعل فلها حكم الصحيح، وتارة غير مجزوم بها كيروى ويذكر، فالمرفوع تارة يوجد موصولا وتارة معلقا، فالاول انما يورده معلقا حيث ضاق مخرج الحديث لانه لا يكرر الالفائدة، فمتى ضاق المخرج واشتمل على احكام فكرره، وتصرف فى الاسناد اختصارا خوف التطويل.

والثانى اما يذكره بصيغة الجزم او بصيفة التمريض، ففى الاول يستفاد منه الصحة الى من علق عنه، لكن يبقى النظر فيمن ابرز من رجال ذالك الحديث، فمنه ما يلحق بشرطه ومنه ما لا يلحق.

فاما الاول فالسبب فى كونه لم يوصل اسنادا لكونه اخرج ما يقوم مقامه و فاستغنى عن ايراده مستوفيا، ومع ذالك لم يحمله بل او رده معلقا اختصارا او لكونه لم يحصل عنده مسموعا او سمعه و شك فى سماعه له من شيخه او سمعه،

مذاكرة فلم يسقه ساق الاصل، وغالب هذا فيما اورده عن مشائخه وذكر مثالا. واما الثانى اى ما لا يلحق بشرطه فقد يكون صحيحا على شرط غيره، وقد يكون حسنا صالحا للحجة، وقد يكون ضعيفا لا من جهة قدح فى رجاله بل من جهة انقطاع يسير فى اسناده.

قال الاسماعيلي قد يصنع البخارى ذالك اما لانه سمعه من ذالك الشيخ بواسطة من يثق به عنه وهو معروف مشهور عن ذالك الشيخ، او لانه سمعه ممن ليس من شرط الكتاب، فنبه على ذالك الحديث بتسمية من حدث به لا على جهة التحديث به عنه، قال الحافظ والسبب فيه انه اراد ان لا يسوقه ساق الاصل، وذكر الحافظ لكل نوع من ذالك مثالا،

واما الصيغة الثانية اى صيغة التمريض فلا يستفاد منه الصحة عن المضاف اليه، لكن فيه ما هو صحيح وفيه ما ليس بصحيح، فاما ما هو صحيح فلم يوجد فيه ما هو على شرطه الا فى مواضع يسيره جدا، ولا يذكرها الا حيث يذكر ذالك الحديث المعلق بالمعنى و لم يجزم بذالك. واما ما لم يورده فى موضع آخر مما اورده بهذه الصيغة، فمنه ما هو صحيح الا انه ليس على شرطه، ومنه ما هو حسن ومنه ما هو ضعيف فرد، الا ان العمل على موافقته، ومنه ما هو ضعيف فرد لاجابرله،

وهو فى البخارى قليل جدا، وحيث يقع ذالك فيـــه يتعقبـه المصنف بالتضعيف بخلاف ما قبله، وذكرالحافظ لكل ذالـــك امثلة، فهذا حكم جميع ما فى البخارى من التعاليق المرفوعـــة بصيغتى الجزم والتمريض.

واما الموقوفات فانه يجزم فيها بما صح عنـــده ولـــو لم يكن على شرطه، ولا يجزم بما كان فى اســـناده ضعـــف او افقطاع الا حيث يكون منجبرا اما بمجيئه من وجه آخر،

واما بشهرته عمن قاله، وانما يورد مـــا يـــورد مـــن الموقوفات من فتاوى الصحابة رض والتابعين ومن تفاســـيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستيناس و التقوية لما يختاره مـن المذاهب فى المسائل اللتى فيها الخلاف بين الايمة، فحينئذ ينبغى ان يقال جميع ما يورده فيه اما ان يكون مما ترجم به او ممـــا ترجم له.

فالمقصود فى هذا التاليف بالذات هـــو الاحـــاديث الصحيحة وهى اللتى ترجم لها، والمذكور بالعرض والتتبع الاثار الموقوفه والاحاديث المعلقة والأيات المكرمة، فجميع ذالـــك مترجم به الا انه اذا اعتبر بعضها مع بعض واعتـــبرت ايضـا بالنسبة الى الحديث يكون بعضها مع بعض منها مفسر ويكون

بعضها كالمترجم له باعتبار، ولكن المقصود بالذات هو الاصل انتهى مختصراماقال القسطلانى،

وقال النووى فى التقريب ما روایاه بالاسناد المتصل فهو من المحكوم بصحته، و اما ما حذف من مبتدأ اسناده واحد فاكثر، فما كان منه بصيغة الجرم كقال وفعل وامر وروى و ذكر فلان فهو حكم بصحته عن المضاف اليه، وما ليس فيه جزم كيروى ويذكر ويحكى ويقال وروى وذكر و حكى عن فلان كذا فليس فيه حكم بصحته عن المضاف اليه وليس بواه لادخاله فى الكتاب المرسوم بالصحيح، وكذا ذكره فى اول شرحه على البخارى.

وعليه قال الحافظ ابن حجر، وهاتان الصيعان قد نقل النووى اتفاق محققى المحدثين وغيرهم على اعتبارها، وانه لا ينبغى الجزم بشئ ضعيف لانها صيغة تقتصى صحته عن المضاف اليه فلا ينبغى ان تطلق الا فيما صح، وقد اهمل ذالك كثير من المصنفين من الفقهاء وغيرهم، واشتدا نكار البيهقى على من خالف ذالك، وهو تساهل قبيح جدا من قاعله، اذ يقول فى الصحيح يذكر ويروى بالتمريض وفى الضعيف قال وروى بالجزم، وهذا قلب للمعانى وحيد عن الصواب.

قال وقد اعتنى البخارى باعتبار هاتين الصيغتين واعطائها حكمهما فى صحيحه، فيقول فى الترجمة الواحدة بعض كلامه بتمريض وبعضهم بجزم مراعيا ما ذكرنا، هذا مشعر بتحريه وورعه، وعلى هذا فيحمل قوله ما ادخلت فى الجامع الاما صح اى مما سقت اسناده والله اعلم انتهى كلامه، ثم قال الحافظ ابن حجر: وقد تبين ما فصلنا به اقسام تعاليقه، انه لا يفتقر الى هذا الحمل، وان جميع ما فيه صحيح باعتبار انه كله مقبول ليس فيه ما يرد مطلقا الا النادر،

وتعقب على هذا الكلام الحافظ ابن حجر تحت "باب خوف المؤمن ان يحبط عمله" فى قوله ويذكر عن الحسن، فقال وقد يستشكل ترك البخارى الجزم به مع صحته عنه، وذالك محمول على قاعدة ذكرهالى شيخنا ابو الفضل بن الحسين، وهى ان البخارى لا يخص صيغة التمريض بضعيف الاسناد، بل اذا ذكرالمتن بالمعنى او اختصره اتى بها ايضا لما علم من الخلاف فى ذالك، و وافقه الحافظ العينى وقال وهذا هو التحقيق فى مثل هذا الموضع، وليس مثل ما ذكره الكرمانى بقوله ليشعربان قولهما ثابت عنده صحيح الاسناد، لان قال هو صيغة الجرم بخلاف يذكر فانه لا جزم فيه فيعلم ان فيه ضعفا وهو المختار عند الحافظ انور الكشميرى،

الفائدة السادسة والعشرون

فى بيان انتقاد الاحاديث والرواة فى البخارى

اما الاول فما انتقد عليه من الروايات فيه فد عرفت ما سبق ان الروايات التى انتقدت فيه مائة عشرة كما ذكـــر فى شعر معروف قد عد لجعفى وقاف لمسلم وبل لهما فــــاحفظ وقيت من الردى.

وقال الحافظ فى مقدمة الفتح وقبل الخوص فيه ينبغـــى لكل منصف ان يعلم ان هذه الاحاديث وان كان اكثرهـــا لا يقدح فى اصل موضوع الكتاب، فان جميعها وارد من جهـــة اخرى، وهى ما ادعاه الامام ابو عمرو بن الصلاح وغيره مـــن الاجماع على تلقى هذا الكتاب بالقبول والتسليم لصحة جميـــع ما فيه، فان هذه المواضع متنازع فى صحتها فلم يحصل لها مـــن التلقى ما حصل لمعظم الكتاب.

وقد تعرض لذالك ابن الصلاح فى قوله "الا مواضـــع يسيرة انتقدها عليه الدارقطنى وغيره"، وقال فى مقدمة شـــرح مسلم له ما اخذ عليهما يعنى على البخارى ومسلم وقدح فيـه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الاجماع علـــى تلقيه بالقبول انتهى وهو احتراز حسن.

واختلف كلام الشيخ محى الدين النووى فى هذه المواضع فقال فى مقدمة شرح مسلم ما نصه: فصل قد استدرك جماعة على البخارى ومسلم احاديث اخلا فيهما بشرطهما و نزلت عن درجة ما التزماه، وقد الف الدارقطنى فى ذالك ولابى مسعود الدمشقى ايضا عليهما استدراك. ولا بى على الغسانى فى جزء العلل من التقييد استدراك عليهما وقد اجيب عن ذالك او اكثره،

وقال فى مقدمة شرح البخارى: فصل قد استدرك الدارقطنى على البخارى ومسلم احاديث فطعن فى بعضها وذالك الطعن مبنى على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا مخالفة لما عليه الجمهور من اهل الفقه والاصول وغيرهم، فلا تغتر بذالك، قال الحافظ وسيظهر من سياقها والبحث عنها على التفصيل انها ليست كلها كذالك، وقوله فى شرح مسلم وقد اجيب عن ذالك او اكثره هو الصواب.

ثم قال ان الجواب مما يتعلق بالمعلق سهل، لان موضوع الكتابين انما هو للمسندات والمعلق ليس بمسند، ولهذا لم يتعرض الدارقطنى فيما نتبعه على الصحيحين الى الاحاديث المعلقة التى لم توصل فى موضع آخر لعلمه بانها ليست من موضوع الكتاب، وانما ذكرت استيناسا واستشهادا والله اعلم،

وقد ذكرنا الاسباب الحامله للمصنف على تخريج ذالك التعليق وان مراده بذالك ان يكون الكتاب جامعا لاكثر الاحـــاديث التي يحتج بها، الا ان منها ما هو على شرطه فساقه سياق اصل الكتاب، ومنها ما هو غير شرطه فغاير السياق فى ايراده ليمتاز فانتفى ايراد المعلقات،

وبقى الكلام فيما علل من الاحاديث المسندات وعـدة ما اجتمع لنا من ذالك ما فى كتاب البخارى، وان شـــاركه مسلم فى بعضه مائة وعشرة احاديث، منها ما وافقه مســـلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا، ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا.

والجواب عنه على سبيل الاجمال ان نقول: لاريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على اهل عصرهما ومن بعدهما مـــن ائمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والمعلل، فانهم لا يختلفــون فى ان على بن المدينى كان اعلم اقرانه بعلـــل الحديـــث، وعنـــه اخذالبخارى ذالك حتى كان يقول: ما استصغرت نفسى عنـد احد الا عند على بن المدينى، ومع ذالك فكان على بن المديـنى اذا بلغه ذالك عن البخارى يقول دعوا قوله فانه ماراى مثـــل نفسه، وكان محمد بن يحيى الذهلى اعلم اهل عصـــره بعلـــل حديث الزهرى، وقد استفاد منه ذالك الشيخان جميعا، وروى

الفربرى عن البخارى قال: ما ادخلت فى الصحيح حديثا الا بعد ان استخرت الله وتيقنت صحته.

وقال مكى بن عبد الله سمعت مسلم بن الحجاج يقول: عرضت كتابى هذا على ابى زرعة الرازى فكل ما اشار ان له علة تركته، فاذا عرف وتقرر الهما لا يخرجان من الحديث الا ما لا علة له او له علة الا انها غير مؤثرة عندهما فتبقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما، ولا ريب فى تقديمها فى ذالك على غيرهما، فيندفع الاعتراض من حيث الجملة،

ثم قال الحافظ العسقلانى فى اخر الفصل: هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الاسانيد المطلعون على خفايا الطرق وليست كلها من افراد البخارى، بل شاركه مسلم فى كثير منها كما تراه واضحامر قوما، وعدة ذالك اثنان وثلاثون حديثا فافراده منها ثمانيه وسبعون فقط، وليست كلها قادحة بل اكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع، وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه فى الجواب عنه تعسف كما شرحته مجملا فى اول الفصل، واو ضحته مبينا اثر كل حديث منها.

فاذا تامل المنصف ما جررته من ذالك عظم مقـــدار هذا المصنف فى نفسه وجل تصنيفه فى عينه، وعذر الائمة مــن اهل العلم فى تلقيه بالقبول والتسليم وتقديمهم له علــى كــل مصنف فى الحديث والقديم، ثم قال وانما اقتصرت علــى مــا ذكرته عن الدارقطنى عن الاستيعاب، فانى اردت انه يكـــون عنوانا بغيره لانه الامام المقدم فى هذا الفن وكتابــه فى هــذا النوع اوسع واوعب، وقد ذكرت فى اثناء ما ذكره عن غــيره قليلا على سبيل الامثلة انتهى،

قال الحافظ واما من حيث التفصيل فالا حاديث اللــتى انتقدت عليهما تنقسم اقساما.

القسم الاول منها ما تختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الاسناد، فان اخرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليــل مــردود، كمــا فى الحديث الخامس والاربعين لان الراوى ان كان سمعه فالزيــادة لاتضر و ان اخرج الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة فينظر ان كان الراوى صحابيا او ثقة غير مدلــس قــد ادرك شيخه ادراكا بينا او صرح بالسماع ان كان مدلسا من طريق اخرى فان وجد ذالك فاندفع الاعتراض، و ان لم يوجــد والا نقطاع ظاهر فيجاب انما اخرج مثل ذالك فى باب ماله متــابع

وعاضد والتصحيح من حيث المجموع كما فى الحديث الرابع والعشرين، وربما علل بعض النقاد بالاقطاع لكونه غير مسموع كما فى المكاتبة والاجازة، ولكن هذا لايلزم الانقطاع عند من يسوغه ذالك كما فى السادس والثلاثين.

والقسم الثانى ما تختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الاسناد فالجواب فان امكن الجمع بان الحديث مروى على الوجهين فاخرجهما كذالك، حيث يكون المختلفون متعالين فى الحفظ والعدد كما فى الحديث الثامن والاربعين، وان امتنع بانهم غير متعادلين فيخرج المصنف الراجح ويعرض عن المرجوع او يشيراليها كما فى الحديث السابع عشر فالتعليل بجميع ذالك بمجرد الاختلاف غير قادح اذ لا يلزم منه اضطراب.

والقسم الثالث ما تفرد بعض الرواة بزيادة فيه دون من هو اكثر عددا او اضبط ممن لم يذكرها، فهذا لا يوثرا التعليل الا ان كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع، اما ان كانت الزيادة لامنافة فيها بحيث كالحديث المستقل فلا علة الا ان وضح بالدلائل القويه بانها مدرجة فى المتن من بعض الرواة فهذا موثر كما فى الرابع والثلاثين،

والقسم الرابع ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة وليس فى هذا الصحيح من هذا القبيل غير حديثين،ن وهما الحديث السابع و الثلاثون والثالث والاربعون، ولكن المصنف اخرجهما لان كلا منهما قد توبع فالتصحيح بالمجموع دون الانفراد.

القسم الخاسم ما حكم فيه بالوهم على بعض رجاله فمنه ما يوثر ذالك الوهم قدحا و منه مالا يوثر.

القسم السادس ما اختلف فيه بتغيير بعض الفاظ المتن فهذا اكثره لا يقدح لا مكان الجمع او الترجيح انتهى مختصرا، الثانى اى الانتقاد على رواة البخارى فقد الف الحافظ ابو زرعة ابن العراقى فى ذالك تاليفا وهو اول تاليفه البيان والتوضيح لمن خرج له فى الصحيح وكذا كتاب لمحمد بن طاهرالمقدسى جمع فيه كتاب ابى نصر الكلاباذى وكتاب ابى بكر الاصفهانى وذكرهم الحافظ ابن حجر فى مقدمة الفتح فى فصل مستقل بسط اسماء هم فردا فردا وذكر الكلام عليهم والجواب عنهم.

قال السيوطى فى التدريب: ان الذين انفرد البخارى بالاخراج لهم دون مسلم اربعمائة وبضعة و ثلاثون رجلا، المتكلم فيهم بالضعف منهم ثمانون رجلا، والذين انفرد مسلم

بالاخراج لهم دون البخارى ستمائة وعشرون، المتكلم فيهم بالضعف مائة وستون.

وقال السخاوى فى فتح المغيث ان الذين الفردالبخارى بالاخراج لهم دون مسلم اربعمائة وخمسة وثلاثون رجلا، المتكلم فيهم بالضعف نحو من ثمانين، والذين انفرد مسلم باخراج حديثهم دون البخارى ست مائة وعشرون رجلا، والمتكلم فيهم منهم مائة وستون رجلا على الضعف من كتاب البخارى.

قال الشيخ زكريا قوله على الضعف من كتاب البخارى ليس بسديد فان الثمانين فى البخارى من اربع مائة وخمسة و ثلاثين، ومائة وستين من ست مائة و عشرين.

قال الحافظ ابن حجر: ينبغى لكل منصف ان يعلم ان تخريج صاحب الصحيح لاى راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته، ولاسيما ما انصاف الى ذالك من اطباق جمهور الائمة على تسمية الكتابين بالصححين، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه فى الصحيح فهو بمتابة اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا اذا خرج فى الاصول، فاما ان خرج له فى المتابعات والشواهد والتعاليق فهذا يتفاوت درجات من اخرج له منهم فى الضبط وغيره مع حصول اسم

الصدق لهم، وحينئذ اذا وجدنا لغيره فى احد منهم طعنا فذالك الطعن مقابل لتعديل هذا الامام، فلا يقبل الامبين السبب مفسرا بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى وفى ضبطه مطلقا او فى ضبطه لخبر بعينه لان الاسباب الحاملة لائمة على الجرح متفاوتة. منها ما يقدح ومنها مالا يقدح.

وقد كان الشيخ ابوالحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح هذا جاز القنطرة يعنى بذالك انه لا يلتفت الى ما قيل فيه، قال الشيخ ابوالفتح القشيرى فى مختصره وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه الا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد فى غلبة الظن على المعنى الذى قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ومن لوازم ذالك تعديل رواتهما.

ثم قال الحافظ العسقلانى فلا يقبل الطعن فى احدمنهم الابقادح واضح، لان اسباب الجرح مختلفة ومدارها على خمسة اشياء البدعة او المخالفة او الغلط او جهالة الحال او دعوى الانقطاع فى السند بان يدعى فى الراوى انه كان يدلس او يرسل، ثم بسط الكلام فيه.

قال القسطلانى: فاما البدعة فالموصوف بها ان كان غير داعية قبل والافلا، وقال ابن دقيق العيد ان وافق غير

الداعية غيره فلا يلتفت اليه اخمادا لبدعته و اطفاء ناره وان لم يوافقه احد و لم يوجد ذالك الحديث الا عنده مع كوفه صادقا متحرزا عن الكذب مشهورا بالتدين وعدم تعلــق الحديــث ببدعته فينبغى ان تقدم مصلحة تحصيل ذالك الحديث ونشــر تلك السنة على مصلحة اهانته،

واما المخالفة وينشا عنها الشدوذ والنكارة فــاذا روى الضابط والصدوق شيئا فراده من هو احفظ منه او اكثر عــددا بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعدا لمحدثين فــهذا شاذ، وقد تشتد المخالفة او يضعف الحفظ فيحكم على مــــا يخالف فيه بكونه منكرا وهذا ليس فى الصحيح منه سوى نــذر يسير.

واماالغلط فتارة يكثر من الرواى وتارة يقل، فحيـــث يوصف بكونه كثير الغلط ينظر فيما اخرج له ان وجد مرويــا عنده او عند غيره من رواية غير هذا الموصوف علم ان المعتمد اصل الحديث لاخصوص هذه الطريق وان لم يوجد الا مــــن طريقه فهو قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هــــذا سبيله وليس فى الصحيح بحمد الله من ذالك شيئ.

واما الجهالة فمندفعة عن جميع مـــن اخـــرج لهـــم فى الصحيح، لان شرط الصحيح ان يكون راويه معروفا بالعدالة،

فمن زعم ان احدا منهم مجهول فكانه تازع المصنف فى دعواه انه معروف، ولا ريب ان المدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم، ومع ذالك فلا نجد فى رجال الصحيح ممن يسوغ اطلاق الجهالة عليه اصلا.

واما دعوى الانقطاع فمد فوعة عمن اخرج لهم البخارى لما علم من شرطه، ثم قال الحافظ العسقلانى، واعلم انه قد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد، فينبغى التنبه لذالك وعدم الاعتداد به الا بحق، وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا فى امر الدنيا فضعفوهم لذالك ولا اثر لذالك التضعيف مع الصدق والضبط، وبعد ذالك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بامر بكون الحمل فيه على غيره او للتحامل بين الاقران، واشد من ذالك تضعيف من ضعف من هو اوثق منه واعلى قدرا او اعرف بالحديث فكل هذا لايعتبر انتهى.

الفائدة السابعة والعشرون

فى بيان او هام البخارى واغلاطه والايرادات عليه

قد عرفت مما سبق من كلام الحافظ، ان فى البخارى منتقدات تتبعها الحافظ فى شرحه وكذا العينى والكرمانى والبرماوى وغيرهم، واوردوا عليه ايرادات فى مواضع شتى، ففى هذا الموضوع الف ابو ذر احمد بن ابراهيم بن السبط الحلبى المتوفى سنه ٨٨٤ كتابا "التوضيح للاوهام الواقعة فى الصحيح". وقد ذكر فيه جميع الايرادات والمواخذات على البخارى التى ذكرها الشارحون السابقون من قبل.

وكذا ذكر الشيخ العلامة خليل احمد السهار نفورى ايرادات على البخارى بالاجمال، وفصلها الشيخ العلامة زكريا فى مقدمة اللامع وههنا اذكر خلاصته، والعبد يزيد عليهما مواضع ايضا ففى الجزء الاول عند الشيخ ثلاثون موضعا وزاد عليه العبد الضعيف تسعة مواضع و فى الجزء الثانى عند الشيخ عشرون موضعا، وزاد عليه العبد سبعة عشر موضعا.

الاول: س ١٣ صـ ٩١ فى باب اذا اقيمت الصلواة فلا صلواة الا المكتوبة. يقال له مالك بن بحينة والصواب عبد الله بن بحينة، قال الحافظ والوهم فيه فى موضعين احدها ان بحينة والدة عبد الله لا مالك، والثانى ان الصحبة والرواية لعبد الله لا لمالك، فحكم عليه البخارى بالوهم لكن الاشكال ههنا بان

البخارى حكم بالوهم ثم ذكرله متابعات فكانه رجحه. وهـذا ليس باحسن.

الثانى: س ١٠ صـ ١٣٩ فى باب اذا استشـفع المشـركون بالمسلمين. قوله زاد اسباط عن منصور الخ، قـال صـاحب التوضيح اساط هو ابن محمد بن عبد الرحمن ولكن الصحيـح اسباط بن نصر كما قال الحافظ كذا جاء فى رواية البـهيقى مصرحا انه اسباط بن نصر، والذى قال البخارى زاد اسـباط فيه اعتراض، قال الداؤدى: ادخل قصة المدينة فى قصة قريـش وهو غلط، وقال ابو عبد الملك فيه وهم واختلاط لانه ركـب سند عبد الله بن مسعود على متن حديث انس مالك، كذ قال شرف الدين الدمياطى وقال حديث عبد الله بن مسعود كـان بمكة وليس فيه هذا، والعجب من البخارى كيف اورد هـذا وكان مخالفا لما رواه الثقات، نعقب علـى ذالـك الحـافظ العسقلانى وساعد البخارى حيث قال اذلا مانع من ان يقـع ذالك مرتين، ثم بسبط مؤيداته فى انه وقع فى هذه القصة ايضـا وتعقبه العينى وقال فيه نظر.

الثالث: س ١٦ صـ ١٤٠ فى باب رفع الناس ايديهم، بشـق للسافر اى مل وهذا ليس بشي والصواب لثق، قال الخطـابى بشق ليس بشى انما هو لثق، وقال ابن بطال لم اجد فى اللغـة لشق معنى، فمتقضى هولاء ان الـذى فى روايـة البخـارى

تصحيف، ومع ذالك يمكن ان يوجه قوله ولو مع بعد كما قال الحافظ.

الرابع: س ٢٦ ١٧٠صـ في باب احداد المرأة، "لما جاء نعى ابى سفيان" قال العسقلانى هو وهم لان ابا سفيان مات بالمدينة بلاخلاف، والذى جاء نعيه من الشام وام حبيبة فى الحيواة هو اخوها يزيد بن ابى سفيان، ثم فى هذا الحديث ١٧١ اشكال اخر ذكره العينى، فان فى الحديث "ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى اخوها" وان لزينب ثلاثة اخوة عبد الله و عبيد الله وابو احمد. الاول قتل باحد قبل ان يتزوح النبى صلى الله عليه وسلم لزينب، والثانى مات بالحبشة نصرا ينا وزينب صغيرة وابو احمد لم يتوف بل توفيت زينب قبل اخيها هذا، وهذا شكال قوى ذكره زين الدين العراقى ايضا واراد العسقلانى ان يدفع الاشكال لكنه وقع فى مشكل فانظر.

الخامس: س ٦ /١٩١ فى باب فضل صدقة الشحيح الصحيح. "وكانت اسرعنا لحوقا" اى سودة كما صرح البخارى فى تاريخه الصغير والبيهقى فى الدلائل وابن حبان وابن سعد، وقال الخطابى لحوق سودة من اعلام النبوة، لكن هذا خلاف المعروف عند اهل العلم باتفاق اهل السير، على انها زينب، وهى اول من مات من ارواج النبى صلى الله عليه

وسلم، كذا صرح به ابن بطال والنووى وقال ابن الجوزى هذا غلط من بعض الرواة والعجب من البخارى كيف لم يتنبه عليه لان اهل السير قالوا ان وفاة سودة فى زمان معاوية سنه ٥٤ فى شوال، وقال ابن بطال قد سقط لفظ زينب اى وكانت زينب اسرعنا الحوقا. وفيه كلام اكثر من ذالك.

السادس: س ٢/ ٢١٤ فى باب من اين يخرج من مكة. "وخرج من كدى من اعلى مكة." هذا ماروواه ابو اسامة فقلب، والصواب ماروواه غيره فان كدى بالقصر ليس باعلى مكة بل اسفلها، وكداء بالمداعلى مكة كذا قال العسقلانى والعينى وغير ذالك،

السابع: س ٣ /٢٢٦ فى التعجيل الى الموقف. "يزاد فى هذا الباب هم هذا الحديث" هم كلمة فارسية قال العينى الظاهر انه وقع فى كلام البخارى من غير قصد فنقل هكذا وان هذه فارسيه ليست بعربية، وذكر العسقلانى قال الكرمانى: وقيل عربية معناها قريب من معنى هذا، ثم قال الحافظ انها لفظة اصطلح عليها اهل بغداد ليست بفارسية ولا هى عربية قطعا، ولكن الظاهر انها فارسية وبعض النسح خالية عن ذكر هذا. فتفكر،

الثامن: ١٤ /٣٢٦ فى باب السير اذا دفع من عرفة، "مناص ليس حين فرار" يتوهم من ذكرالبخارى اياه فى ذيل حديث

اذا وجد فجوة نص، ان البخارى وهم فيه فظن ان مادة النص ومناص واحد كما يظهر من بيان تحقيق النص والفجـــوة ثم المناص، قال العينى لم يثبت فى كثير من النسخ اماوجه المذكور من ذالك انما ذكره لدفع وهم من يتوهم ان المناص و النـــص من باب واحد، فان احدهما مشتق من الآخر وليس كذالـــك. اقول هذا ليس بظاهر.

التاسع: س ١٤ ٢٢٨ فى باب متى يصلى الفجر بجمع قولـــه. "الا صلوتين جمع بين المغرب والعشاء" قال الشيخ خليل احمـــد السهار نفورى هذا يخالف مامر قبل فى ٢٢٧ المغرب والفجـــر فى باب من اذن واقام، والظاهر ان لفظ العشـــاء فى حديـــث الباب مقحم، فانها لم تحول عن وقتها، وما تقدم مـــن لفـــظ المغرب والفجر واضح، فان الفجر ايضا تحولت عـــن وقتـــها المعتاد، وقال القسطلانى فى حديث الباب وسقط فى رواية ابـــن عساكر والعشاء. بقول العبد ما قال الشيخ ليس بوارد عندى، لان ذكر العشاء ههنا ليس لتحول بل للجمع وهذا الجمـــع فى التاخير وفى هذا الجمع يكون واحد محولا عن وقته والاخـــر لا يكون فذكر العشاء ليس للتحول بل للجمع فليس بوارد وهذا هوالظاهر.

العاشر: س ٢ /٢٣١ فى من اشترى هديه من قديد. "اراد ابن عمر الحج عام حجة الحرورية فى عهد ابن الزبير" قال الشـــيخ

خليل احمد رحمه الله هذا بظاهره مشكل. وقال العسقلانى هذا مغاير بقوله فى باب طواف القارن عام نزول الحجاج بابن الزبير لان حجة الحرورية كانت فى السنة اللتى مات فيها يزيد بن معاويه سنة اربع وستين، وذالك قيل ان تولى ابن الزبير بالخلافة، ونزول الحجاج بابن الزبير كان فى سنة ثلث و سبعين، وذالك فى اخر ايام ابن الزبير، فاما ان يحمل على ان الراوى اطلق على الحجاح واتباعه حرورية لجامع ما بينهم من الخروج على ائمة الحق واما ان يحمل على تعددالقصة و بهذين الجوابين اجاب العينى وتبعهما القسطلانى، وفيهما نظر لان نزول الحجاج مؤخر عن حجة الحرورية فكيف يعد الحرورية من اتباعه وان تعدد الواقعة لا يصح.

الحادى عشر: س ١٩/ ٢٦٦ فى باب الصوم من آخر الشهر. اظنه قال رمضان ثم قال قال ابو عبد الله وشعبان اصح. قال العينى والخطابى ذكر رمضان وهم وكذا قال الداؤدى وابن الجوزى فكيف ذكر البخارى الرواية اللتى هى غير الاصح اصالة، والاصح تبعا وكان حقه العكس هذا هو الايراد.

الثانى عشر: س ١٩/ ٣٠٥ باب اذا احال دين الميت على رجل جاز، اخرج البخارى تحت الباب حديث ابى سلمة وهو فى الضمان وترجم عليه بالحوالة ظاهره ليس بصحح، فقال ابن

بطال انما دخل هذا لان الحوالة والضمان عند بعض العلماء متقار بان واليه ذهب ابو ثور،

الثالث عشر: س /١٨ ٣٤٢ فى باب اذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، فيه قال "واخبرنى ابن فلان" قال الحافظ عن الدار قطنى كان البخارى كنى عنه فى الصحيح عمدا لضعفه ثم قال وابن سمعان المذكور مشهور بالضعف متروك الحديث كذبه مالك واحمد وغيرهما، وماله فى البخارى شيئ الا فى هذا الموضع،

الرابع عشر: س ١٠/ ٣٦١ فى باب شهادة القاذف، قال (اى عمر) من تاب قبلت شهادته قال الحافظ العسقلانى وصله الشافعى فى الام قال: سمعت الزهرى يقول: زعم اهل العراق ان شهادة المحدود فى القذف لا تجوز فاشهد لاخبرنى فلان ان عمر بن الخطاب قال لابى بكرة تب و اقبل شهادتك قال سفيان سمى الذى اخبره فحفظته ثم نسيته، فقال عمر بن القيس هو ابن المسيب، وتعقب عليه الحافظ العينى يقول: قال الطحاوى ابن المسيب لم ياخذ عن عمر الا بلاغا لانه لم يصح عنه سماعا، وقال ابن سعد عن الواقدى لم اراهل العلم يصححون سماعه عن عمر، وما ذكر الحافظ مسندا فيه ذكر سماع ابن المسيب عن عمر لايقاوم اقوال اهل العلم، والدليل على ان الحديث لم يكن عند ابن المسب بالقوى انه كان

يذهب الى خلافه روى عنه قتاده وعن الحسن انهما قالا القاذف اذا تاب توبة فيما بينه وبين ربه لا تقبل له شهادة، وهذا محال ان يسمع من عمر بحضرة الصحابة ثم يتركه ويذهب الى خلافه.

الخامس عشر: س ٢٣/ ٣٨٩ فى باب اذا وقف ارضا او بيرا، من حفر بير رومة فله الجنة، قال ابن بطال هذا وهم من بعض رواته، والمعروف ان عثمان اشتراها لا انه حفرها. وهو المشهور فى الروايات.

السادس عشر: س ١٤/ ٣٩٢ فى باب الحورالعين. او موضع قيده يعنى سوطه قال العسقلانى او موضع شك من الراوى هل قال قاب او قيد، وقد تقدم انهما بمعنى واحد وهو المقدار، قوله يعنى سوطه تفسير للقيد غير معروف، و لهذا جزم بعضهم بانه تصحيف وان الصواب القد بكرالقاف وتشديد الدال، وقال الكرمانى لا تصحيف اذ معنى الكلام صحيح، غاية ما فى الباب ان يقال قلبت احدى الدالين ياء وذالك كثير، وتعقب الحافظ العينى على الحافظ العسقلانى والكرمانى كليهما بان القيد المقدار وهو السوط وبينما بون عظيم، و بان قلب احد الحرفين المتماثلين ياء انما يجوز اذا امن من اللبس، وههنا ليس كذالك، فهذا قول من ليس له وقوف على علم الصرف.

السابع عشر: س ٢٣/ ٣٩٣ فى باب من ينكب او يطعن. قوله اقواما من بنى سليم، قال الحافظ العسقلانى قال الدميا طى هو وهم فان بنى سليم مبعوث اليهم والمبعوثون هم القراء من الانصار، وقد تكلف بعض الشراح فى تاويله بان اقواما منصوب بنزع الخافظ وغير ذالك من التاويلات البعيدة وكذا ذكرها العينى وتعقب عليها،

الثامن عشر: س ٢٣/ ٤٠٣ فى باب حمل النساء، قال ابو عبد الله تزفر تخيط. قال الحافظ تزفر اى تحمل وزنا ومعنى، وما قال البخارى لا يعرف فى اللغة وهكذا ذكره الحافظ العينى.

التاسع عشر: س ٢٣/ ٤٠٦ فى باب التحريض على الرمى. قال ابو عبد الله اكثبوكم يعنى اكثروكم قال العسقلانى هذا التفسير لا يعرف وتفسير الكثب بالكثرة غريب.

العشرون: س ١٣/ ٤٣١ باب العون بالمدد. قوله اتاه رعل وذكوان وعصية وبنولحان، قال الحافظ العسقلانى قال الدمياطى قوله فى هذا الطريق اتاه الخ وهم لان هؤلاء ليسوا بآتين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، انما الذى اتاه ابو لواء من بنى كلاب واجار اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاخفر جواره عامر بن الطفيل وجمع هذه القبائل من بنى سليم وليسوا باصحاب بئر معونة وهم اصحاب رجيع فذكر بنى لحيان لا يصح.

الحادى والعشرون: ٤٣١ الحديث المذكور. الانتقاد فى هذا الحديث على ما قال الدمياطى بان فيه وهمين فى موضعين كمامر سابقا، يقول العبد متعقبا على الدمياطى بان الذى قلل ليسوا باصحاب بئر معونة وهم اسحاب رجيع. لايصح بل هم من اصحاب معونة كما يعلم من التاريخ،

الثانى والعشرون: س ٣٧ /٤٣٤ فى باب ما يقول اذا رجع من الغزو قوله "مقفله من عسفان" قال الدمياطى هذا وهم لان غروة عسفان الى بنى لحيان كانت سنة ست وارداف صفية كانت فى غزوة خيبر سنة سبع، وجوز بعضهم ان يكون فى طريق خيبر فى مكان يقال عسفان وهو مردرد.

الثالث والعشرون: س ٢١/ ٤٣٥ فى باب فرض الخمس. قوله قال ابو عبد الله اعتراك افتعلت من عروته، قال الحافظ لعله كان افتعلك وكذا وقع فى المجاز لابى عبيدة وكذالك قلل البخارى فى التفسير فلذا تفسير اعتراك افتعلت وهم جدا،

الرابع والعشرون: ٤٤٢ فى باب بركة الغازى فى ماله حيا وميتا، قوله: كان للزبير اربع نسوة ورفع الثلث فاصاب كل امرأة الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون الف الف ومأئتا الف" اى جميع ماله المحتوى على الوصية بالثلث والميرات والذين ما بلغ المذكور، ولكن هو غلط بحسب الحساب، لانه لما اصاب كل امراة الف الف ومائتا الف

(١٢٠٠٠٠٠) فمجموع نصيب الثمن. اربعة الاف الف ثمانمائة الف (٤٨٠٠٠٠٠) فيكون مجموع الثلثين من التركة بضرب الثمان فى نصبيت الثمن فالمجموع (٣٨٤٠٠٠٠٠) ثمانية وثلثون الف الف واربع مائة آلاف، واذا اضغت اليه الثلث وهى (١٩٢٠٠٠٠٠) تسعة عشر الف الف ومائتا الف فيصير المجموع خمسون الف الف وسبعة الاف الف وست مائة الف (٥٧٦٠٠٠٠٠) وان اعتبر مع الدين الذى (٢٢٠٠٠٠٠) الفا الف ومائتا الف. فيكون جميع ماله من الوصية والدين والميراث خمسون الف الف وتسعة الاف وثمانمائة الف (٥٩٨٠٠٠٠٠) فكيف صح الحساب،

قال الدمياطى انما وقع الوهم فى رواية ابى اسامة فى قوله فى نصيب كل زوجة انه الف الف ومائتا الف وان الصواب انه الف الف سواء بغير كسر فح يصح الحساب. لانه يقتضى الثمن اربعة الاف الف اى (٤٠٠٠٠٠٠) فيصير مجموع ماله كما ذكر فى الحديث، اما منشأ الوهم فلعل بعض رواته لما وقع له ذكر مائتا الف عند الجملة ذكرها عند نصيب كل زوجة سهوا، وهذا توجيه حسن. ويؤيده ما روى ابو نعيم فى المعرفة من طريق ابى معشر عن هشام عن ابيه قال ورثت كل امراة للزبير ربع الثمن الف الف درهم.

ثم بين الدمياطى توجيها آخر وهوا حسن منـــه حاصلـه ان مجموع ماله كما ذكر فى الكتاب واما الزائد على ذالك وهـو تسعة الاف الف وست مائه الـــف (٩٦٠٠٠٠٠) بمقتضـى الحساب الذى ذكرنا من قبل فهو حاصل من نمـــاء العقـار والاراضى فى المدة اخرجها عبد الله بن الزبير قســـم التركـة استبراء للدين كما وهذا التوجيه فى غاية الحسن لعدم تكليفه و تبقية الرواية الصحيحة على وجها، هذه خلاصة ما ذكـــر فى الفتح للعسقلانى وفى القسطلانى والكرمانى.

الخامس والعشرون: س ٢١ /٤٤٣ قوله. اى داء ادوى مـــن البخل. هذا كلام من ابى بكر الصديق رضـ كما وقـــع فى رواية الحميدى فى سننه عن سفيان، قال ابن المنكدر فى حديثـه فظهر بذالك اتصاله، بخلاف رواية الاصيلى فانها تشعر بـــان ذالك من كلام ابن المنكدر، و ايضا قال عياض كذاوقع ادوى غير مهموز من دوى اذا كان به مرض فى جوفه، والصـــواب ادوأ بالهمزة من داء،

السادس والعشـــرون: س ١١ /٤٥٠ فى بـــاب الموادعـــة والمصالحة. قوله محيصة بن مسعود بن زيد، قال العسقلانى هـذا وهم والصواب محيصة بن مسعود بن كعب. والعجب منـه ان ذكر زيد وردفى كثير من الروايات، مع ذالك لم ينبـــه علـى ذالك فى التهذيب ولا فى الاصابة.

السابع العشرون: س ٢٣/ ٤٨٧ فى باب قوله تعـالى عتيـا عصيا. بفتح العين وكسر الصاد قـالوا والصـواب بالسـين المهملة، روى الطبرانى باسناد صحيح عن ابن عباس قال مـا ادرى اكان رسول الله يقرأ عتيا او عسيا. يقال قـرأ مجـاهد عسيا بالسين، قال الجوهرى عتا الشيخ يحتو عتيا بضم العـين و كسرها كبر و ولى وقال الاصمعى عسا الشيخ يعتو عسيا ولى وكبر مثل عتا كذا فى الفتح والعينى،

الثامن والعشرون: س ٢٠ /٥٠١ فى باب خاتم النبوة. قـال ابن عبيد الله الحجلة من حجل الفرس الذى بين عينيه، استبعـد هذا القول الحافظ العسقلانى والخطابى لان التحجيل انما يكون فى القوائم واما الذى فى الوجه فهو الغرة.

التاسع والعشرون: س ٢١ /٥٠١ هناك. قال ابو عبـد الله الصحيح بتقديم الراى قبل الزاى. قال الشيخ خليـل احمـد السهار نفورى هذا خلاف المعروف من الروايات وان المشهور الزر بتقديم الزاى. وكذا قال التور فشتى بتقديم الزاى المتقوطـه المكسورة.على الراء المهملة المشددة وقيل انما هو رز بتقـديم الراء وهو اوفق لظاهر الحديث لكن الرواية لا تساعده. ايضـا قال الشيخ السهار نفورى: ليس هذا القول يعنى قال ابو عبـد الله الصحيح الراء قبل الزاى. فى نسخ الشروح الثلاثة الفتـح والعينى والقسطلانى و لم يتعرضوا عن ذالك،

الثلاثون: س /١٦ ٥١٤ حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مـــلك عن زيد بن اسلم. هذا الحديث معاد سندا ومتنا فانه قد تقـــدم ٤٠٠ لهذا السند والمتن، وقد قال فى كتاب الحج انـــه اراد ان يدخل فى كتابه غير معاد اى لايدخل فيه حديث مكررا. لكن هذا على خلاف ما اراد،

هذه المواضع التى تكلمت عليها انما هو على ضوء مـــا قـــال الشيخ خليل احمد السهار نفوزى مجملا وما ذكـــره الشـــيخ زكريا الكاندهلوى مشرحا انما ذكرت اختصارا.

والعبد الضعيف يزيد على هذا تسعة مواضع.

الحادى والثلاثون: فى كتاب الايمان قوله "وهو قـــول وفعل" قال الحافظ الشاه انور الكشـــميرى فى عامـــة نســـخ البخارى قول وفعل ولا اعلم وجهه، ولفظ السلف الايمـــان الاعتقاد والقول والعمل. فلا ادرى ما وجه تغيـــيره عنـــوان السلف ووضع الفعل بدل العمل مع ان الاظهر هو العمل.

والثانى والثلاثون: ٣٣ فى باب المسح على الخفين. يمسح على عمامته. قال ابن بطال قال الاصيلى ذكر العمامـــة فى هـــذا الحديث من خطأ الاوزاعى لان شيبان وغيره رووه عن يحـــيى بدونها، رواه عبد الرزاق فى مصنفـــه عـــن معمـــر بـــدون ذكرالعمامة وابن منده اخرجه باثباتها، و قال العسقلانى وعلى تقدير تفرد الاوزاعى بذكرها لا يستلزم ذالك تخطبتـــه لانهـــا

تكون زيادة من ثقة حافظ غير منافية لرواية رفقته فتقبل ولا تكون شاذة، قلت قال الشيخ الكشميرى مرابو عمرو فى التمهيد على احاديث المسح على العمامة وحكم عليها بانها معلولة كلها ثم قال والبخارى وان اخرج حديث المسح على العمامة الا انه لم يترجم عليه بهذه المسألة فدل على ضعفه لانه تحقق عندى من عاداته كذالك.

الثالث والثلاثون: س ٨/ ٢٨٥ قوله حتى اتى سوق بنى قينفاع فجلس بفناء بيت فاطمة. قال الحافظ الكشميرى هذا غلط لان بيت فاطمة لم يكن هناك انما كان فى بيوت النبى صلى الله عليه وسلم والصحيح ما رواه مسلم ثم انصرف حتى اتى فناء ناطمة.

الرابع والثلاثون: ١٠١ قال باب ايجاب التكبير. قال الحافظ العينى. كان ينبغى ان يقول وجوب التكبير، لان الايجاب هو الخطاب الذى يعتبر فيه جانب الفاعل، والوجوب هو الذى يعتبر فيه جانب المفعول وهو فعل المكلف، واطلاق الايجاب على الوجوب تسامح.

الخامس والثلاثون: س ٢٦/ ٣٤٧ قال الليث ثنى يونس عن ابن شهاب. اورد عليه الحافظ العينى فى موضعين الاول ان رواية الليث عن ابن شهاب من غير واسطة فذكرا لواسطة ليس بصحيح، والثانى ذكر خمس اواق مكان تسعة اواق غلط

والمشهور ما فى رواية هشام بن عروة اللتى فيها ذكر تسعة اواق فلهذا جزم الاسماعيلى ان هذه الرواية العلقة غلط كذا ذكره الحافظ الكشميرى.

السادس والثلاثون: س ١٣/ ٤٧٥ مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى اسفل مكة، كذا وقع فى جميع الروايات، واستشكله بعضهم بان كدا هو اعلى مكة والذى فى اسفل مكة فهو كدى فيكون الصواب كدى.

السابع والثلاثون: س ٤/ ١١٥ عبد الله بن مالك بن بحينة. اقول الظاهر من هذا ان بحينة اسم ام مالك، والحال انها ام عبد الله. فذكر ابن بحينة بدون الالف غلط والصواب عبد الله بن مالك ابن بحينة.

الثامن والثلاثون: س ٨ /٥١٤ قال سمعت الحى يتحدثون عن عروة البارقى. اقول هذه رواية عن المجاهيل اذا لحى مجهول و لم يسمهم، فالحديث ضعيف للجهل واجاب عن هذا الحافظ العسقلانى بان وجد له متابع عند احمد وابى داؤد والترمذى وابن ماجه اقول هذا لا يكفى للدفع لان كم حديث ضعيف روى بطرق كثيرة ولكن لم يخرج الامام فى الكتاب، وهذا يخالف دابه فى كتابه قطعا، وقال الكرمانى اذا علم ان شبيبا لايروى الا عن عدل فلا بأس، ولما كان ثابتا بالطريق المعين المعلوم اعتمد على ذالك فلم يبال بهذا الابهام واراد نقله بوجه

اكد، اذ فيه اشعار بانه لم يستمع من رجل واحد فقط بل من جماعة متعددة ربما يفيد خبرهم القطع انتهى. اقول هذا لا يغني شيئا لما علم من شدة التزام الشروط للصحة فليتامل.

التاسع والثلاثون: س ٩ /٥٢٩ قال ابو عبد الله وزادني بعض اصحابي. اقول لفظ بعض الاصحاب مجهول فكيف اتى البخارى به على خلاف دابه، قال العسقلانى ان بعض الاصحاب اما هو يعقوب بن سفيان فانه رواه فى تاريخه عن سليمان بالاسناد المذكور، واما الذهلى فانه اخرجه عن سليمان ايضا، اقول لا يزيد هذا الا شبهة فى تعيين بعض الاصحاب، وقال الكرمانى لا بأس به، معلوم ان البخارى لايروى الا عن العدل، اقول لا يغنى هذا فى هذا الكتاب كما يعلم من دابه والله اعلم.

اما فى الجزء الثانى فعشرون موضعا عند الشيخ السهارنفورى.
والعبد الضعيف يزيد على هذا سبعة عشر موضعا

الاول: س ٢٤/ ٥٦٣ فى باب قصة غزوة بدر، طعيمة بن عدى بن الخيار، قال الحافظ العينى والعسقلانى والقسطلانى وغيرهم "ابن الخيار" وهم، وصوابه ابن نوفل، قال الدمياطى وتبعه فى التنقيح انما هو طعيمة بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، واما عدى بن الخيار فهو ابن اخى طعيمة لانه عدى بن الخيار ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف.

الثانى: س ٣/ ٥٢٣ فى باب شهود الملائكة بدرا، ابو مسعود البدرى. قال الحافظ العسقلانى اختلف فى شهوده بدرا، فالاكثر على انه لم يشهدها، ولم يذكره محمد بن اسحاق ومن تبعه من اصحاب المغازى فى البدر يين، وقال الواقدى وابراهيم بن الحربى لم يشهد بدرا، وانما نزل بها فنسب اليها، وكذا قال الاسماعيلى لم يصح شهوده بدرا، وانما كانت مسكنه فقيل له البدرى، وكذا قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب انه لم يشهد بدرا وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب، وقد ذهب جماعة الى شهودها منهم البخارى ومسلم، ويرجح العسقلانى

شهوده بدرا وقواه بوجوه مع ذالك اصحاب المغازى على خلافه.

الثالث: س ٢٢/ ٥٧٨ فى باب غزوة احد، "يوم احد هذا جبرائيل" فى هذا الحديث وهم من وجهين، احدهما ان هذا الحديث تقدم بسنده ومتنه فى باب شهود الملائكة بدرا ٥٧٠ ولهذا لم يذكره ههنا ابو ذر ولا غيره من متقنى رواة البخارى، ولا استخرجه الاسماعيلى ولا ابو نعيم. و ثانيهما ان المعروف فى هذا الخبر يوم بدر كما تقدم لا يوم احد، وذكر هذا فى ههنا ابو الوقت والاصيلى فقط فهذا وهم والصواب اسقاطه، كذا ذكره الحافظ العينى.

الرابع: ٥٧٨ تكرار الحديث المذكور. الذى هوا الوهم الثانى.

الخامس: س ١٢/ ٥٨٤ فى باب من قتل المسلمين يوم احد، "والنضر بن انس" قال العسقلانى النضر بن انس كذا وقع لابى ذر عن شيوخه، وكذا وقع عند النسفى وهو خطأ، والصواب ما عند الباقين انس بن النفر واما النضر بن انس فهو ولده.

السادس: س ١٢/ ٥٨٥ فى باب غزوة الرجيع ورعل وذكر ان الخ قال العسقلانى سباق هذه الترجمة يوهم ان غزوة الرجيع وبئر معونة شيئ واحد، وليس كذالك، فغزوة الرجيع كانت سرية عاصم وخبيب فى عشرة انفس وهو مع عضل والقارة،

وبئر معونة كانت سرية القراء السبعين وهى مع رعل وذكـــو ان، فوقع من البخارى خلط فى الترجبه قد مر الكلام عليــه فى السابق الحادى والعشرين.

السابع: س ٢٤ /٥٨٦ فا نطلق حرام اخوام سليم وهو رجـل اعرج، هذا سهو لعله من الكاتب، والصواب هـــو ورجـــل اعرج، لان الا عرج ليس هو حرام بل الا عرج اسمه كعب بن زيد وهو من بنى دينار، واما الآخر فاسمه المنذر بـــن محمـــد الخزرجى، كذا ذكره الكرمانى والعسقلانى.

الثامن: س ٢٧/ ٦١٣ فى باب اين ركز النبى صلى الله عليـــه وسلم الراية يوم الفتح دخل النبى صلى الله عليه وســـلم مـــن كدى، هذا مخالف للاحاديث الصحيحة لان خالدا دخل مـــن اسفل مكة والنبى صلى الله عليه وسلم من اعلى مكة كذا جزم به ابن اسحاق. هكذا قال العسقلانى و القسطلانى.

التاسع: س ٦ /٦٦٦ فى تفسير سورة الالغام. "الصور جماعـــة صورة" كقوله سورة وسور، قال العسقلانى ههنا قـــال ابـــو عبيدة انها جمع صورة، والثابت فى الحديث ان الصـــور قـــرن ينفخ فيه، وقال الامام الرازى فى التفسير الكبير عن ابى الهيثـــم انه خطأ فاحش، وبسط فى الرد علـــى ابى عبيـــدة، وقـــال الازهرى قد احسن ابو الهيثم فى هذا الكلام، ولا يجوز عندنـا

غيره وقوى بدلائل، وقد وقع هذا اللفظ بضم المهملة وسكون الواو فى القراءات المشهورة والاحاديث وهو الا صح.

العاشر: س ٦/ ٦٦٧ فى باب قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش، قبلا جمع قبيل والمعنى انه ضروب للعذاب، قال العسقلانى هذا من كلام ابى عبيدة، ولم ار من فسره باصناف العذاب فليحرر، ولكن قال ابن جرير عن مجاهد قال قبلا اى افواجا، اى حشرنا عليهم كل شئ قبيلة قبيلة صنفا صنفا جماعة، جماعة فيكون القبل جمع قبيل، الذى هو جمع قبيلة فيكون القبل جمع الجمع، ومر عليه العينى ولم يورد على البخارى شيئا، وقال الشيخ زكريا ان نقل الكلام ههنا من سهوالكاتب وهو تفسير لما فى سورة الكهف او تاتيهم العذاب قبلا والتفسير هناك فى محله.

الحادى عشر: س ٢٢/ ٦٦٨ فى باب قوله تعالى "انى رسول الله اليكم" قال ابو عبد الله غامر سابق بالخير، هذا اللفظ ساقط فى نسخة الحموى والكشميهنى، وثابت فى رواية ابى ذر وابى الوقت، وهذا تفسير مستغرب عزاه المحب الطبرى الى عبيدة بن المثنى فهو سلف البخارى، اورد العسقلانى على هذا فقال غامر اى خاصم، والمعنى دخل فى غمرة الخصومة، والغامر الذى يرمى بنفسه فى الامر العظيم كالحرب وغيره،

وقيل هو من الغمر بكر المعجمة وهو الحقد وقال القسطلانى و الذى فى الصحاح و النهاية اى خاصم اى دخل فى غمرة الخصومة، فيعلم من هذا كله انه تفسير مستغرب حرى ان يسقط كما فى بعض النسخ، والعينى لم يورد على هذا المقام شيئا.

الثانى عشر: س ٢٦ /٢٧٧ فى باب قوله كان عرشه على الماء. اعتراك افتعلت، هكذا عند ابى عبيدة، وفى بعض النسخ افتعلك، اما التفسير بافتعلت فغلط فاحش، وافتعلك قال العينى بكاف الخطاب ليس باصطلاح احد من اهل العلوم الآلية والصواب. ان يقال اعترى افتعل، فلا يحتاج الى ذكر كاف الخطاب فى الوزن.

الثالث عشر: س ٧ /٢٧٨ مجراها موقفها وهو مصدر اجريت، هكذا فى رواية ابى الحسن القابسى، قال العسقلانى هو تصحيف لم ارفى شيئ من النسخ وهو فاسد المعنى، والصواب مدفعها كما فى نسخة العينى والقسطلانى، وفى عدة من النسخ الصحيحة الموجودة حين الطبع، مجراها مسيرها ومرسها موقفها، وعليه شرح الكرمانى حيث قال: قوله مجراها بضم الميم مسيرها ومرسها موقفها ومحبسها مصدران بمعنى الاجراء والارساء، اقول يمكن ان يكون لفظ الكتاب من غلط

الناسخ وسهوالقلم، موقفها ليس هو معنى مجراها، بل هو معنى مرسها، وفى الاصل كان الفظ هكذا مجراها ومرسها موقفها وهو مصدر الخ فيصح المعنى،

الرابع عشر: س ١٦/ ٦٧٨ الرفد المرفود العون المعين، قال فى المصابيح فيه نظر، قال البرماوى: الوجه العون المعان، قال الكرمانى وفى النسخ اللتى عندنا فاما يقال الفاعل بمعنى المفعول واما من باب ذى كذا،

الخامس عشر: س ٤ /٦٧٩ فى تفسير يوسف، وابطل الذى قال الاترنج، اعلم ان البخارى يريدان يبين ان المتكا فى قوله تعالى واعتدت لهن متكأ اسم مفعول من الاتكاء وليس هو بمتكا بمعنى الاترج، ولا بمعى طرف البظر اى الفرج، فى تحقيق هذا الكلام بسط وتفصيل فى كلام الحافظين العسقلانى والعينى وغيرهما قال العينى روى عن ابن عباس انه كان يقرأ متكا مخفقة، ويقول هو الاترج، والبخارى تبع ابا عبيدة فلحقه أفة التقليد، وقال صاحب التوضيح هذه الدعوى اعنى ليس فى كلام العرب من الاعاجيب، وقد قال فى المحكم المتكأ الاترج، وفى القاموس الاترج والاترجة والترنجة والترنج معروف، وقال المتك الاترج فيقال ان المتك المخفف يكون بمعنى الاترج وطرف البظر، وان المشددة ما يتكأ عليه من وسادة وجسد،

فلا تعارض بين النقلين وما قال البخارى تبعا لابى عبيدة لا يصح،

السادس عشر: س ٨ /٦٨٣ فى قوله تعالى جعلوا القران عضين، "المقتسمين الذين حلفوا ومنه لا اقسم" هذا تفسير غير معروف فان عامة اهل اللغة من صاحب التاموس وغيره لم يذكروا معنى الحلف فى الاقتسام، بل عامة المفسرين القاموس وغيره لم يذكروا معنى الحلف فى الاقتسام بل عامة المفسرين جعلوها من القسمة، قال العسقلانى المعروف انه من القسمة، وبه جزم الطبرى وغيره وسياق الكلام يدل عليه، وقال الحافظ العينى بعدما بسط الكلام وكلها يرجع الى معنى القسمة ليس الامر كما ذكره بل هو من الا قتسام لا من القسم فلا يصح جعل لا اقسم منه، ولكن فى لسان العرب عن ابن عرفة فى قوله المقتسمين قال هم الذين تقاسموا وتحالفوا على كيد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال فى الكشاف الاقتسام بمعنى التقاسم، وروى الطبرى عن مجاهد ان المراد بالمقتسمين قوم صالح الذين تقاسموا على اهلاكه وقال البيضاوى المقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا بداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر، والرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام

وقيل المقتسمون هم الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما، فالحاصل لعل المصنف اعتمد على هذا القول الاخر فتفكر.

السابع عشر: س ٥ /٧٠٢ قوله الليكة والايكة جمع ايكة وهى جمع الشجر، قال العسقلانى كذا لابى ذر ولغيره جمع شجر، وللبعض جماعة الشجر، والكلام الاول من قول مجاهد ومن قوله جمع ايكة هو من كلام ابى عبيدة، ووقع فيه سهو فان الليكة والايكة بمعنى واحد عند الاكثر والمسهل الهمزة فقط، وقيل ليكة اسم القرية، والايكة الغيضة وهى الشجر الملتف، واما قوله جمع شجر يقال جمعها ليك وهوالشجر الملتف الخ، وقال الحافظ العينى: الايك الشجر الكثير الملتف الواحدة ايكة، وقوله جمع ايكة كذا فى النسخ وهو غير صحيح، والصواب ان يقال الليكة والايكة مفرد ايك او يقلل جمعها ايك، والعجب من بعض الشراح لم يذكر ههنا شيئا، بل قال الكلام الاول من مجاهد الخ وحاش من مجاهد ومن ابى عبيدة ان يقولا الايكة جمع ايك، اقول اشار من هذا الى العسقلانى وتعقب عليه فليتامل.

الثامن عشر: س ٢٢/ ٧٠٢ قوله الصرح كل ملاط اتخذ مــن القوارير، قال العسقلانى الملاط بالميم المكسورة الطين الــــذى يوضع بين سافتى البناء، وقيل الصخر، وقيل كل بنــاء عــال منفرد، وقال ابو عبيدة الصرح كل بلاط اتخذ مــــن قواريــر والصرح القصر، وهكذا ذكر الحافظ العينى، اقول يعلم من مــا ذكرالحافظان ان ماقال البخارى تبعا لابى عبيدة غير معــروف، والمعروف فى اللغة ان الملاط هوالطين الذى يوضع بين ســافتى البناء فتامل.

التاسع عشر: س /١٢ ٧٤٤ قوله خنسه الشيطان، هذا تفسير منقول عن ابن عباس، ولكن وقع فى نسخة ابى ذر قال ابـــن عباس، والاولى ما فى النسخة التى بايدينا يذكر عن ابن عباس، لان اسناده الى ابن عباس ضعيف، اخرجه الطبرى والحــاكم، وفى اسناده حكيم بن جبير وهو ضعيف، وقال ابن التين ينظــر فى قوله خنسه الشيطان فان المعروف فى اللغة خنس اذا رجــع وانقبض وقال عياض وهو تصحيف وتغيير ولعله كان نخســه، وكذا قال الصاغانى الاولى نخسه مكان خنسه. كذا فى العيــنى والفتح.

العشرون: س ٤ /٨٢٠ قوله وهو ورق الاراك، كــذا لابى ذر عن مشائخه وكذا فى الروايات، قال العسقلانى الصواب ثمــر

الاراك ووقع للنسفى ثمر الاراك، قال ابن التين ورق الاراك ليس بصحيح، والذى فى اللغة انه ثمر الاراك، انتهى ما ذكره الشيخ السهار نغورى، والعبد يزيد على هذا سبعة عشر موضعا.

الحادى والعشرون: س ٢٠/ ٥٢٤ باب حديث النضير فيه، "من وقعة بدر قبل احد" ذكرالامام البخارى قصة بنى النضير بعد وقعة بدر قبل احد، وبنى قوله على رواية الزهرى عن عروة، انها كانت على راس ستة اشهر من وقعة بدر قبل احد، وهذا مخالف لما عليه عامة اهل السير من انها كانت بعد وقعة بئر معونة، ويزيد.

الاشكال بان الامام البخارى ذكر بعد قوله حديث بنى النضير، ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فى دية الرجلين، والمعلوم ان هذا الخروج الذى كان فى قصة الدية كان بعد بئر معونة باتفاق المحدثين والمورخين كذا قال الرزقانى وابن اسحاق وغيرهم، فهذا وهم من البخارى ومنشأه رواية الزهرى عن عروة، ولعله مشى فى نوع هذه التحقيقات وترتيب الواقعات الى الاحاديث الصحاح فقط، ولا ينظر الى الايمة اهل السير كما فى هذا، لانه ذكر فيما بعد "وجعله ابن اسحاق بعد بئر معونة واحد" و لم يبن الترجمة عليه و لم يرتب

الواقعات كذالك، وكذا فى مواضع كثيرة جعـــل البخـــارى ترتيب الواقعات على الروايات الصحيحة خلافا لائمة الســـير وهذا هو منشأ الوهم عندى والله اعلم.

و بعد ذالك يمكن توجيه ما قال كما ذكـــره ابـــن حجـــر العسقلانى وغيره. فانظر.

والثانى والعشرون: س ١ /٥٩٢ باب غزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب خصفة من بنى ثعلبة من غطفان، يفهم من ظـاهر هذا ان خصفة المذكور من بنى ثعلبة من غطفان، وهو يقتضـى ان ثعلبة جد محارب، قال ابن حجر: وليس كذالك فانه مـــن ذرية غطفان، وغطفان هو ابن سعد بن قيس، ومحارب هـــذا هو ابن خصفة بن قيس، فمحارب وغطفان ابنا عم، فكيـــف يكون الا على منسوبا الى الادنى، والصواب مافى الباب الاحق وهو عند ابن اسحاق وغيره، وبنى تعلبة بواو العطف، ولذا نبه على ذالك ابو على الغسانى فى اوهام الصحيحين، وكذا قـــال الكرمانى والصواب محارب خصفة وبنى ثعلبة بن غطفان بالواو العاطفة. وكذا ذكره العينى.

الثالث والعشرون: س ١٤/ ٥٩٣ وقال موسى بن عقبة سـنه اربع، قال العسقلانى كانه سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمـــس فكتب سنة اربع، لان الذى فى مغازى موسى ابن عقبة من عدة

طرق سنة خمس، قال السيوطى فى التوشيح الذى فى مغـــازى موسى من عقبة سنة خمس، فالذى ذكر ههنا سبق من قلـــم البخارى، ثم قال هذا اصح من قول ابن اسحاق، اقول والذى قال ابن اسحاق جزم به الطبرى وغيره.

الرابع والعشرون: س ٢٠/ ٥٩٣ باب غزوة انمـــار، قـــال العسقلانى وكان محل هذا قبل غزوة بنى المصطلق لانه عقبـــه بترجة حديث الافك، والا فك كان فى غزوة بنى المصطلق فلا معنى لا دخال غزوة بنى انمار بينهما، بل غزوة انمار تشـــبه ان تكون غزوة محارب وبنى ثعلبة والذى يظهر ان التقديم والتاخير فى ذالك من النساخ، وقال الكرمانى لا اهتمـــام للبخـــارى بترتيب الابواب فلذا جعله هكذا.

الخامس والعشرون: س ١٨ /٥٩٥ فقام سعد اخو بنى عبـــد الاشهل، قال القاضى: هذا مشكل لان هذه القضية كـلنت فى غزوة المريسيع المصطلقية سنة ست، وسعد مات اثـــر غـــزوة الخندق، وذالك سنة اربع، فقال بعضهم ذكر سعد فيه وهـــم، بل المتكلم اولا واخرا اسيد بن حضير كما فى مغـــازى ابـــن اسحاق، واجاب بعض عن هذاالاشكال ولكن هـــو تكلـــف فانظر.

السادس والعشرون: س ٩ / ٦١٠ هذا ما قاضانا عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا اللفظ لابى ذر عن الكشميهنى قال ابن حجر هذا غلط، والصحيح ماقاضا عليه محمد رسول الله لان هذا من المسلمين، اقول قول ابن حجر غير متجه فا معن النظر.

السابع والعشرون: س ٣ /٦١٣ قوله. "على راس ثمان سنين ونصف" هكذا وقع فى رواية معمر وهو وهم، والصواب على راس سبع سنين ونصف، وانما وقع الوهم من كون غزوة الفتح فى سنة ثمان، ومن اثناء ربيع الاول الى اثناء رمضان نصف سنة سواء، فالتحرير انها سبع سنين ونصف، اقول ويمكن ان يوجه بتوجيهات لا تخلو عن التكلف فانظر فى الفتح.

الثامن والعشرون: س ٥ /٦١٣ قوله فى رمضان الى حنين، المشهور ان خروجه لحنين انما كان فى شوال سنة ثمان، اذ مكة فتحت فى سابع عشر رمضان واقام بها تسعة عشر يوما، فيكون خروجه الى حنين فى شوال بلا ريب، هذا اشكال قوى، فاجيب عنه بتوجيهات بعيدة.

التاسع والعشرون: س ٢١/ ٦١٨ قوله لاها الله اذا، هاؤه بدل من الواو اى لا والله، وصوابه ذا بحذف همزة،

الثلاثون: س ٢٠/ ٦٢١ قوله عشرة الاف من الطلقاء، ووقع لابى ذر عن الكشميهنى والطلقاء بحرف العطف واسقاط حرف الجر، وهو الصواب لان الطلقاء لم يبلغوا ذالك بل ولا عشرعشرة.

الحادى والثلاثون: س ١٦ /٦٢٤ كان بيت فى الجاهلية يقال له ذوالخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية، قال القاضى ذكر الشامية غلط، قال الكرمانى قال النووى فيه اشكال اذكانوا يقولون له الكعبة اليمانية فقط، واما الكعبة الشامية فهى الكعبة العظمى التى بمكة، فلابد من التاويل بان "يقال لها الكعبة الشامية" واول الكرمانى بان الكعبة مبتدا والشامية خبر والجملة حال، وقال العسقلانى يقال لها اليمانية باعتبار كونها باليمن، والشامية ماعتبار كون بابها الى الشام، وهذه التاويلات كلها تعسف.

الثانى والثلاثون: س ٢٠ /٦٢٨ فى باب قصة الاسود العنسى قوله. وهى ام عبد الله بن عامر، قال العسقلانى قيل الصواب ام اولاد عبد الله بن عامر لانها زوجته لا انها امه، لان ام ابن عامر ليلى نبت ابى حثمة العدوية وهو اعتراض متجه، فاول العسقلانى بكلام محتمل فانظر.

الثالث والثلاثون: س ١٢/ ٦٣٣ باب غزوة تبوك وهى غزوة العسرة، قال القسطلانى وكانت فى شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع اتفاقا فذكرها قبلها خطأ من النساخ.

الرابع والثلاثون س٢٥/١٠٤٨ باب اذا التقى المسلمان بسيفيهما،قوله عن رجل لم يسمه عن الحسن- قيل عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة وكان سيء الضبط، وقيل هشام بن حسان ابو عبد الله الفردوسي- فظهر الاختلاف في تعيين الراوي فكيف اورد البخاري عن رجل لم يعرف حاله مع انه التزم على نفسه الا يكون الراوي مجهزلا.

الخامس و الثلاثون س ٢١/١٠٨٥ باب ما يكره من التعمق و التنازع والغلو في الدين والبدع- قوله، اقض بيني وبين الظالم- قال المازري، هذا اللفظ لا يليق بالعباس وحاشا على من ذلك فهو سهو من الرواة.

السادس والثلاثون س ١٨/١٠٨٦ باب اثم من اوى مقرئا- قوله فاخبرني موسى بن انس، قال الدار قطني في كتاب العلل موسى بن انس وهم من البخاري او من موسى بن اسماعيل شيخه- والصواب النظر بسكون المعجمة بن ابن انس كما رواه مسلم في صحيحه- ذكره الكرماني والعيني. السابع والثلاثون س ١/١٠٢٦ باب ما جاء في المأولين- قوله روضة

خاج- قال النووي قال فيه العلماء هو غلط من ابي عوانةوعانه اشتبه عليه مكان آخر يقال ذات حاج بالهاء المهملة و الجيم وهو موضع بين المدينة و الشام يسلكه الحاج و زعم السهيلي ان هشيما كان يقولها ايضا حاج بالحاء المهملة و الجيم وهو وهم ايضا والأصح خاخ بمعجمتين ذكره العيني.

الفائدة الثامنة والعشرون

فى داب الامام فى تراجم جامعه الصحيح البخارى

اعلم ان مسئلة التراجم من اهم مقاصد الامام فى صحيحه، حتى اجمع اهل العلم كلهم سلفا وخلفا ان معظم مقصود البخارى فى صحيحه مع اهتمام صحة الاحاديث استخراج المعانى الكثيرة من المتون، ولذا كرر الاحاديث فى كتابه فى الابواب المختلفة، وذكر بعض الاحاديث اكثر من عشرين مرة كحديث عائشة فى قصة بريرة وغير ذالك، ولذا اشتهر قول اهل العلم فقه البخارى فى تراجمه.

وقد صنفت فى ذالك تأليفات من السلف والخلف مثل الامام ناصرالدين على من محمد بن منير الا سكندرا ني صنف رسالة سماها المتوارى على تراجم البخارى، وابى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى السبتي المتوفى ٧٢١، و الفقيه ابى عبد الله محمد بن منصور بن حمامة وابي عبد الله محمد بن الى بكر عمر القرشى المخزومى الملقب ببدرا الدين المعروف بالرمانيى صنف رسالة سماها تعليق المصابيح على ابواب الجامع الصحيح، ولا توجد فى ديارنا تلك الرسائل.

وتوجد رسالتان مختصرتان فى ذالك الموضوع، احدها رسالة شرح تراجم البخارى للعارف الربانى شيخ المشائخ مسندا لهند الشاه وسلى الله الدهلوى الولود ١١١٤ والمتوفى ١١٧٦ ، واخطأ ههنا الشبلى اذ هو قال انه ولى الله الذى كان سبط الشيخ عبد الاحد السرهندى، لان هذا هو ولى الله بن عبد الرحيم

الدهلوى والثانية رسالة وجيزة باللغة الاردوية لشيخ مشائخنا مولانا محمود الحسن المعروف شيخ الهند المولود ١٢٦٨ والمتوفى ١٣٣٩ هـ وماسوى ذالك تكلم على هذا الموضوع كل شواح الصحيح مثل الكرمانى والعسقلانى والقسطلانى ومن بعدهم.

وجمع كل هذه الاصول الشيخ العلامة زكريا الكاندهلوى فى مقدمة اللا مع، واضاف على ذالك اصولا كثيرة من عند نفسه فلله دره حتى ذكر سبعين الاصول فيذكر الاصول التى ذكرها امام الهند الشاه ولى الله وهى العشرون ثم يذكر الاصول التى ذكرها شيخ الهند هى خمسة عشر الاصل ثم يذكر الاصول التى ذكرها غيرهما سلفاوخلفا من العلماء البارعين او يستنبط من كلامهم.

وعندى كلام الحافظ العسقلانى فى مقدمة الفتح وكلام الامام الشاه ولى الله الدهلوى وشيخ الهند مولانا محمود الحسن يكفى لنا فى هذا الموضوع خاصة، وعلى كلام هؤلاء الثلاثة الكرام بنى الشيخ زكريا مبحثه وكلامه فى مقدمة الجامع، وانا اذكر منه اختصار احسب ما ذكره.الاول من الاصول التى ذكرها شيخ المشائخ فى مبتدأ تراجمه انه ترجم بحديث مرفوع ليس على شروطه ويذكر فى الباب حديثا شاهدا له على شرطه وهذا اصل مطرد كثير ال شيوع فى صحيحه مثاله ما قال الحافظ بباب الامراء من قريش وبباب الاثنان فما فوقهما جماعة.

والثانى انه يترجم بمسئلة استنباطها من الحديث نحو من الاستنباط من نعة او اشارته او عموبه او ايمائه. جمع فى هذا الاصل اربعة اصولا وهذه الانواع وسيعة فى تراجم البخارى.

والثالث انه يترجم بمذهب ذهب اليه قبل ويذكر فى الباب ما يدل عليه بنحو من الدلالة من غير قطع بترجيح ذالك المذهب فيقول باب من قال كذا. وهذا اصل معروف عند المشائخ وامثلته كثيرة فى الصحيح.

الرابع قد يترجم بمسئلة اختلفت فيها الاحاديث فياتى بتلك الاحاديث على اختمفها ليقرب الى الفقيه من بعده امرها مثاله باب خروج النساء الى البروز جمع فيه حديثين مختلفين. وهذا ايضا اصل مطرد معروف عند الشراح.

الخامس قد تتعارض الادلة ويكون عند البخارى وجه التطبيق بينها بحمل كل واحد على محمله مثاله خوف المؤمن ان يحبط عملة وما يحذر من الاصرار على التقائل" وهذا الاصل ايضا مطرد كثيرالشيوع فى الكتاب.

السادس قد يجمع فى باب احاديث كثيرة داله على الترجمة ثم يظهر له فى حديث فائدة اخرى سوى الفائدة المترجم عليها فيعلم على ذالك الحديث بعلامة الباب وليس غرضه ان الباب الاول قد القضى هذا اصل مطرد كثيرالوقوع فى كتابه.

السابع يكتب لفظ الباب مكان قول المحدثين بهذا الماسناه كما يكتمون مثاله باب ذكر الملائكة اطال فيه الكلام ثم كتب باب اذا قال امين والملائكة فى السماء امين وقال الاسماعيلى فى موضع الباب وبهذا الاسباب وكانه ليشير الى ان لفظة باب علامة لقوله وبهذا الاسناد.

والثامن قد يترجم بخذهب بعض الناس وبما كاد مذهب اليه بعضهم او بحديث لم يثبت عنده ثم ياتى بحديث ليستدل له

على خلاف ذالك المذهب والحديث اما بعمومه او غير ذالك، كهذا اصل شاذ ولكنه مشهور على السنة المشائخ.

التاسع: قد يذهب فى كثير من التراجم الى طريقة اهل السير فى استنباطهم خصوصيات الوقائع ولاحوال من اشارة طرق الحديث و ربما يتعجب العقية من ذالك لعدم ممارسعة هذا الفن ولكن اهل السيرلهم اعتناء شديد بمعرفة تلك الخصوصيات. متاله باب كيف كان برء الحيض.

والعاشر قد يقصر التمرن على ذكر الحديث وفق المسئلة المطلوبة ويهدى طالب الحديث الى هذا النوع وهذا اصل مطرد شائع فى جميع كتابه .

الحادى عشر قد يذكر حديثا لا يدل هو بنفسه على الترجمة اصلا لكن له طرف وبعض طرفه يدل عليها اشارة او عموما وقد اشار بذكر الحديث الى ان له اصلا يتاكد به ذالك الطريق وسئل هذا لا ينتفع به المهرة من اهل الحديث" وهذا فى الحقيقة اصلان مطرد ان احدهما بعض طرقه الذى يذكر فى غير هذا الموضع من الجامع وثانيهما ما يكون مذكورا فى غير الجامع.وهكذا اشار الحافظ العسقلانى الى كلا الاصلين مستقلا.

والثانى عشر كثيرا يترجم لامر ظاهرة قليل الجدوى لكنه اذا تحقق المتامل اجدى كقوله باب قول الرجل ما صلينا فانه اشار به الى الرد على من كره ذالك .

الثالث عشر اكثرها تعقبا على مصنف عبد الرزاق وابن ابى شيبة فى تراجم مصنفيهما و لا ينتفع له الا من مارس الكتابين

واطلع على ما فيهما" كما يظهر من كـــلام الحـــافظين العيـــنى والعسقلانى.

الرابع عشر: كثيرا ما يستخرج الاداب المفهومة بـــالعقل بالكتاب والسنة والعادات الكائنة فى زمانه صلى الله عليه وســـلم وسئل هذا لايدرك حسنه الا الا من مارس كتب الاداب واجـــال عقله فى ميدان اداب قومه ثم طلب لها اصلا من السنة. كما يظهر ذالك بمطالعة كتاب العلم والجهاد والنكاح والا طعمة" وغيرها.

الخامس عشر: كثيرا ما يأتى شواهد الحديث من الايـــات ومن سئواه الاية من الاحاديث تظاهر او بتسين بعض المجمـــلات دون البعض فيكون كقول المحدث المراد بهذا العام المخصـــوص او بهذا الخاص العموم و نحو ذالك ومثل هذا لا يدرك الا بفهم ثاقب وقلت حاضر وهذا اصل واحد وفى الحقيقة عدة اصول ســـقاربة يظهر الفرق بالتامل.

السادس عشر: الاستدلال لكل المحتمل كما فى بـــاب الرجل ياتم بالامام" هذا يحتمل معنيـــين وذهـــب المصنـــف الى كلاالاحتمالين.

السابع عشر: قد يورد حديثا واحدا متعدد الطرق مرارا متعددة ويعقد كل ترجمة بلفظ اخر واقـــع فى ذالـــك الحديـــث ومقصوده ليس الا اكثار طرق.

الثامن عشر: ربما يعقد الترجمة لامر خاص من بين العام مع انه مراده اثبات ذالك العام وذالك لتعيين صورة مـــن بـــين صوره المحتملة اعنى ارادة العام بالترجمة الخاصة مثاله "باب غســـل

المرأة اباها الدم" مقصود الترجمة جواز الا مستعانة ولكن الترجمة خاصة.

التاسع عشر: قد يذكر فى الترجمة امرين يثبت احدهما بالنص والاخر بالاولية ومثاله باب ما يذكر فى المقاولة وكتاب اهل العلم بالعلم الى البلدان اثبت الامام الامر الثانى بالحديث واثبت الامر الاول بالطريق الاولى.

العشرون: ان الباب الخالى عن الترجمة يكون بمنزلة العضل عن الباب السابق وكذا ذكره الحافظان وهذه عشرون اصلا ذكرها شيخ المشائخ الشاه ولى الله الدهلوى فى تراجمه وذكر شيخ الهند فى مبدأ رسالته فى التراجم وهى باللغة الاردوية خمسة عشر اصلا الا ان بعضا منها تقدم فى كلام شيخ المشائخ فيذكر ههنا مجملا تكميلا للعدد وابقاء لترتيب كلامه.

الحادى والعشرون ان الامام البخارى كثيرا ما يترجم بجزء من الحديث اوبكلام اخر ولا يريد بلفظ الترجمة مدلوله الاصلى اللفظى الصريح بل يريد مدلوله الالتزامى الثابت بالاشارة والايماء فيكون جميع ما يورده تحت الباب موافقا للترجمة ومن اراد تطبيقه بالاول يقع فى التخبط كما يظهر من اول الباب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثانى والعشرون: ان الامام لا يكرر عمدا فى صحيحه حديثا ولا ترجمة فلو ظهر فى موضع تكراب الترجمة فلا بد ان يجعل لهما محمل يميزهما كما فى باب فضل العلم فى الموضعين بان المراد بالفضل فى احدهما غيره فى الثانى وهكذا فى كثير من المراجم

الثالث والعشرون ان الاصل فى التراجم ان تكون دعاوى والتى اخرجت تحتها من الاحاديث تكون دلائلهما وبمثبتة لها لكن الامام كثيرا ما يترجم مما يكون بمنزلة شرح الحديث وهكذا قاله العلامة الذى ايضا ومثاله باب الصفرة والكدرة وبين حديث عائشة حتى ترين القصة البيضاء. وذكر ههنا شيخ الهند اصلا رابعا وخامسا و سادسا وتقدم بيان تلك الاصول فى ضمن كلام الشاه ولى الله رحمه الله.

والرابع والعشرون: ما ذكر شيخ الهند فى الاصل السابع ان الامام البخارى كثيرا ما يذكر فى الترجمة آثار الصحابة وغيرها فمنها ما يكون مشبتا...... للترجمة ومنها ما يذكر لادنى مناسبة فان الشي بالشي يذكر فمن حبل كلها دلائل وقع فى التكلفات الباردة وكذا ذكره العلامة السندى والشيخ الجنجوهى كما فى باب تقضى الحائض المناسك كلها وفى باب قرأة القران بعد الحدث وغيره. وفى باب وضوء الرجل مع امرأته .

الخامس والعشرون ذكر شيخ الهند فى الاصل الثامن ان المصنف قد يذكر الباب بلا ترجمة والشراح يذكرون فى ذالك احتمالات بعيدة عن شان المولف والمؤلف كليهما و اكثر اعزارهم انه كالفصل من الباب السابق لكن هذا لا يتمشي فى بعض المواضع وعندنا ان المولف احيانا يترك الترجمة عمدا و مقصوده انى تخرجت من هذا الحديث حكما او احكاما فينبغى انى تخرجوا منه حكى غير ذالك مناسبا لتلك الابواب ويفعل ذالك تشحيذا للاذهان و تنبيها وايقاظا للناظرين كما خة دابه فى امور كثيرة فعندنا هذا الاحتمال اقوى واليق وافع .

السادس والعشرون قد يحذف الامام الترجمة تكثيرا للغوائد فان الحديث الوارد فى الباب يستنبط منه مسائل عديدة مناسبة لهذا المحل فيحذف الترجمة تمرينا و تشحيذا ان يخرجوا منه تراجم عديدة مناسبة هذه الابواب .

السابع والعشرون تارة يذكر بابا مع الترجمة لكن لايذكر فيه حدثا فيحمله الشراح على سهوالناسخين او سهوالمصنف او عدم ارادته بوجه من الوجوه ولا يخفى استبعاده و التحقيق عندنا ان المؤلف لا يفعل ذالك الا فى موضع يكون دليل الترجمة مذكورا قبلها فى الباب السابق او بعدها مع ان هذه الصورة قليلة جدا فلا يكون الترجمة غير ثابتة بل ثابتة بالدليل المذكور وان لم يذكره مع الترجمة لقصد التمرين ومثل هذه المواضع قريب من عشرة فقط.

الثامن والعشرون ذكره شيخ الهند فى الاصل العاشر ان الامام البخارى طالما يكرر الترجم لفوائد شي كـا الاجمال فى ترجمة سابقة و التفصيل فى اخرى او اثباتها فى الاولى بغير حديث مسند وفى الثانية بحديث مسند وتارة ما يكرر التراجم لاثبات دعوى واحد وذكر الشيخ تحت هذا الاصل اصولا عديدة سوى هذا اعنى لاثبات دعوى واحدة ثلاثة اصول آخر وكل هذه دخلت فى كلام شيخ المشائخ الشاه ولى الله ولذا لم بعد ههنا .

التاسع والعشرون ذكر شيخ الهند فى الاصل الرابع عشر ان الامام البخارى قد يورد بعد الترجمة حديثا يوافقها ثم يذكر بعد ذالك حديثا لا يوافقها بل قد يخالفها ويكون ذكر هذا

الحديث الثانى لمصلحة الحديث الاول كتوضيح رجال ما فى الحديث الاول كما فى باب ترك القيام للمريض.

"الثلاثون ما ذكرة شيخ الهند فى الاصل الخامس عشر ان الامام البخارى كثبرا ما ياتى بالترجمة مطلقة ويذكر الحديث مبتدا فطالا يظهر ذالك وضوحا وقليلا ما يخفى ذالك على الناظرين، فيوردون على البخارى عدم الصباق الحديث بالترجمة فينبغى ان ذالك ان يلاحظ فى الترجمة قيدا مناسبا للحديث كما فى باب اخا اقيمت الصلوة فلا صلواة الا المكتوبة وهذا آخر الاصول التى ذكرها شيخ الهند وقد يوجد فى كلام الشائخ اصول كثيرة غيرما سبق فنذكر ههنا.

الحادى والثلاثون ما افاده الشيخ القطب الحنجوىي ان المقصود كثيرا ما يحصل بالنظر الى مجموع الروايات الموردة فى الباب فلا تستقل كل رواية بافادة ما وضعت عليه الترجمة وهكذا قال العينى الفيا فى اول الجامع او المراد بالباب بجملته بيان كيفية بدء الوحى لا من كل حديث منه، فلو علم من مجموع ما فى الباب كيفية بد والوحى ومن كل حديث شيئ مما يتعلق به صحت الترجمة.

"الثانى والثلاثون ما قال الحافظ العسقلانى الى الامام البخارى كثيرا ما يترجم بلفظ الاستقهام كقول باب هل يكون كذا او من كان كذا ونحو ذالك وحينئذ لا يتجه له الجزم ما جد الاضمالين وغرضه بيان هل يثبت ذالك الحكم او لم يثبت فيترجم على الحكم ومراوه ما يفسر بعد من اثباته او نفيه او انه محتمل لهما.

الثالث والثلاثون. قال القسطلانى فى مقدمة شـرحه فى بيان موضوعه ومن ثم اخلى كثيرا من الابواب عن ذكر اسـناد الحديث واقتصر فيه على قوله فلان عن النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذالك" وهذا اصل مطرد ذكره العسقلانى ديقا.

الرابع والثلاثون ما قال حـافظ العصـر اميـد انـور الكشميرى فى فيض البارى فى باب الفتيا وهو واقف على ظـهر الدابة او غيرها قد استفدت من عادة البخارى الى الحديـث اذا اشتمل على جزء مخصوص ويكون الحكم عاما عنـده فيضـع البخارى هناك هكذا ويضع لفظ او غيرها وفعالا يهام التخصيص وافادة التعميم ثم لا يخرج له دليلا مما بعد فالمصنف اخرج مـن الحديث مسألة الدابة فقط وانما اضاف او غيرها افـادة تعميـم الحكم.

الخامس والثلاثون ما فان الحافظ العسقلانى فى الفتـح فى باب كتابة العلم طريقة البخارى فى الاحكام الـتى يقـع فيـها الاختلاف ان لا يجزم فيها بشئ بل يوردها على الاحتمال "مراده لا يجزم بالحكم لاختلاف العاماء ولا لاختلاف الروايات ولـذا ترى تارة لا يذكر نحت الترجمة الاحديثا واحدا فقل.

السادس والثلاثون ما قال الامام الشاه ولى فى تراجمـه فى باب الوضوء من النوم حاصله ان التعليل بالعلة البعيدة تاركا للعلة القريبة دليل على ان العلة القريبة غير مؤثرة.

السابع والثلاثون: ما قال العينى حاصله انه يأتى بباب بلا ترجمة تنبيها على اختلاف طرق الرواية او الاختلاف فى بعـض الفاظ المتن كما فى باب بلا ترجمة بعد ما جاء فى غسل البول وقد

ذكر فيه البخارى حديث الرجلين بعد بان فى القبر وعلى هـــذا الحديث ترجم باب من الكبائر ان لا يستتر و مخرجهما واحد غير ان الاختلاف فى طرق الحديث وبعض امتن لان هناك عن مجــاهد عن ابن عباس وههنا عن مجاهد عن طأوس عن ابن عباس .

الثامن والثلاثون طالما يترجم بترجمتين فلايذكر الحديـــث الا لواحد منها ويترك الاخرى سدى فقال العســقلانى فى هــذه الابواب انه اشار بالترجمة الشافية الى روايات ليست على شــرطه فقد قال فى باب غسل اعنى وفركه مم يخرج البخارى حديـــث الفرك بل اكتفى بالاشارة اليه فى الترجمة على عادره .

التاسع والثلاثون اذا ذكر جزئين فى الترجمــة و لم يذكــر الحديث الالواحد منهما فقال الشراح ان الامام البخارى يشـــير بذالك الى ان احدا بجزئين ثابت والثانى لايثبت فكان البخارى رد عليه بالترجمة وانكره.وبذالك جزم الكرمانى فى باب غسل المــنى وفركه. وكذا قال العينى والعسقلانى فى بعض مواضعه كذالك .

الاربعون ما قال الحافظ فى باب كم اصلى المــرأة مــن الثياب ان من عادة البخارى انه طالما لا يذكر فى الترجمة حكمــا لكن مختاره يظهر عما ذكر فى الباب من الاثار وتبعه القســطلانى وكذا اخذه الحافظ العينى ايضا اذ قال واختياره يؤخذ فى مادتـــه من الاثار التى يترجم بهما .

الحادى والاربعون كثيرا ما يقوى بالترجمة معنى حديـــث ليس على شرطه لكن معناه صحيح عنده فيستدل بالرواية الـــتى هى على شرطه على صحة معنى حديث ليس على شرطه كما فى

باب كم بين الاذان والاقامة وباب الصلواة فى النعال وباب المساجد فى البيوت وغيرها .

الثانى والاربعون أنه قد ينبه بالترجمة على مسألة مهمة غير متعلقة بالكتاب استطرادا، فيشكل على الناظرين توفيق هذه الترجمة بالكتاب، مثلا ترجم فى ابواب المساجد بباب الاغتسال اذا اسلم واشكل على الشراح قاطبة او خاله فى ابواب المساجد، قال الحافظ العسقلانى، لا تعلق له باحكام المساجد ثم اتى بتوجيهات بعيدة حتى قال والاوجه عندى ان يقال ان الحديث من الباب السابق ولذا نبه عليه بربط الامير ايضا وذكرمسئلة الاغتسال استطرادا اهتماما بشأنها لشدة اختلاف الأئمة الأربعة في تلك المسألة حتى لم يتفق اثنان منهم على قول واحد، وهكذا قال الشيخ الكشميري بهذا الأصل في كثير من المواضع يعني انه يأتي بباب كالتنبيه على المسئلة او الفائدة كما قال في باب فضل صلواة الفجر.

الثالث والأربعون كثيرا ما يذكر الترجمة بخلاف لفظ الحديث ويكون الغرض منه الاشارة الى اختلاف الرواية الواردة في الباب، وهذا مطرد كما في باب من ادرك من الصلوات ركعة و اورد فيه حديثا فيه من ادرك ركعة من الصلواة.

الرابع و الأربعون ان الحافظ العينى اختار اصلا في شرحه في كثيرمن التراجم بان التوافق بجزء من الترجمة يكفي للمطابقة كما في باب فضل صلواة الفجر في الجماعة.

الخامس و الأربعون ما هو المعروف عند المشائخ، ان ما يذكره البخاري في تراجمه بصيغة التمريض فهو اشارة الى ضعفه ،

وهكذا قاله النووي في مبدأ شرحه، ولكن قال العسقلاني في مقدمته و بسط الكلام عليه، والحق ان هذه الصيغة لا تختص بالضعيف بل قد تستعمل في الصحيح ايضا بخلاف صيغة الجزم فانها لا تستعمل الا في الصحيح.

السادس و الأربعون ان البخاري طالما يبت الحكم في الترجمة في مسئلة خلافية شهيرة ايضا لثبوت الجزم عنده في هذه، كما في باب وجوب صلواة الجماعة، وباب وقت الجمعة اذا زالت الشمس.

السابع والأربعون انه كثيرا مالا يجزم بالحكم في الترجمة اشاره الى التوسع في ذلك، فيذكر الروايات المختلفة في الباب اشارة الى جواز كل ذلك، ذكر هذا الأصل الشيخ الجنجوهي.

الثامن و الأربعون ان الامام البخاري قد يشير بذكر حديث الصحابي الذي لا يناسب الترجمة الى حديث آخر لذلك الصحابي الذي هو مناسب للترجمة وانما يفعل هذا من اشد تشحيذاته للاذهان كمافي باب طول القيام في صلواة الليلواورد فيه حديث حذيفة الذي فيه يشوص فاه بالسواك، فاشكل على الشراح قاطبة فقالوا ما قالوا،وقال البدر بن جماعة: يظهرلي ان البخاري اراد بهذا الحديث استحضار حديث حذيفة الذي اخرجه مسلم: انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة، وكان اذا مر بآية فيها تسبيح سبح او سؤال سأل او تعوذ تعوذ،ثم ركع نحوا مما قام، الحديث، قال وانما لم يخرجه لكونه على غير شرطه، فح لا اشكال عليه.

التاسع والأربعون ان الشراح كثيرا ما يثبتون الترجمة بالعادة المعروفة عنه صلى الله عليه وسلم واخذ بذلك الأصل شيخ المشائخ الشاه ولى الله رحمه الله تحت باب دفع السواب الى الاكبر وقال العسقلانى تحت باب طول القيام فى صلواة الليل من ذكرحديث حذيفة قال قال ابن رشيد الذى عندى ان البخارى انما ادخله لقوله اذا قام للتهجد اى اذا قام لعادته وقد تبينت عادته فى الحديث الآخر، ثم قال الحافظ بعد ذكر التوجيهات واقربها عندى توجيه ابن رشيد.

الخمسون ما هو المعروف المطرد عند الشراح والمشائخ من الامام البخارى كثيرا ما يستدل على الترجمة بالعموم واخذ بهذا الاصل الشيخ الجنجوهى فى مواضع منها باب وجوب القراة للامام والمأموم وكذا اخذ به الحافظ العسقلانى والنووى فى كثير من التراجم.

الحادى والخمسون ان الامام البخارى ترجم فى صحيحه بباب كيف كان اصالة ثلثين ترجمة عشرون منها فى النصف الاول وعشر فى النصف الثانى ولا يثبت الكيفية فى اكثر هذه التراجم واضطربت اقوال الشراح فى اثبات الكيفية من احاديث هذه الابواب فقال الشيخ زكريا والاوجه عندى فى هذه الابواب الخالية عن بيان لكيفية ان الامام البخارى لم يرد فى هذه الابواب اثبات الكيفية بل اراد اثبات ما بعد لفظ كيف ونبه بلفظ كيف على الاختلاف الوارد فى كيفية هذه الامور كما فى باب كان بدء الحيض وكيف يهل الحائض بالحج والعمرة وكيف يعتمد على الارض اذا قام من الركعة وكيف حول النبى صلى الله

عليه وسلم ظهره الى الناس وكيف الاشعار للميت وغيرها فالبخارى نبه بلفظ كيف على الاختلاف فلا بد للتدبر فى الابواب المبدوءة على اختلاف العلماء فى كيفية هذه الامور.

الثانى والخمسون يقول الشيخ زكريا ان العام البخارى طالما يجمع الابواب العديدة ويأتى بعد تلك الابواب حديثا واحدا يثبت الابواب السابقة كلها ويفعل ذالك تشحيذا للاوهان ومن لم يمعن النظر فى ذالك يعد الابواب السابقة خالية عن الحديث ويأتى لذالك بتوجيهات بعيدة مسهوالمصنف او عدم وجد انه للحديث او تحريف من الناسخ وغير ذالك من التوجيهات المعروفة العامة كما فى باب الرياء فى الصدقة ثم باب لا يقبل الله صدقة من غلوى ولا يقبل الا من كسب طيب ثم باب الصدقة من كسب طيب ولم يذكر حديثا للاولين وذكر فى الثابت ولم يتعرض لذالك الشراح الا بقوهم تخلو الترجمة عن الحديث اقتصارا على الاستدلال بالاية وقال الشيخ زكريا رح بهذا الاصل.

الثالث والخمسون: ان الامام البخارى كثيرا ما يثبت الترجمة بالنظير والقياس وهذا الاصل معروف عند المشائخ والشراح كما فى باب الدخول على الميت اذا ادرج فى اكفانه وفى باب القسمة وتعليق القنو فى المسجد.

الرابع والخمسون ما قال الحافظ العسقلانى فى المقدمة ان الامام البخارى كثيرا ما يترجم مابر مختص ببعض الوقائع لا يظهر فى بادى الراى كقوله باب استياك الامام بحضرة رعيته فانه لما كان الاستياك قد يظن انه من افعال المهنة فلعل بعض الناس

يتوهم اذاخفاء اولى مراعاة للمروة فلما وقع فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم استاك بحضرة الناس دل على انه من باب التطيب لا من الباب الاخر فبه على ذالك ابن دقيق العيد.

الخامس والخمسون ما قال الحافظ العسقلانى فى المقدمة ربما اكتفى اعيانا بلفظ الترجمة التى هى لفظ حديث لم يصح على شرطه واورد معها اثرا او اية فكانه يقول لم يصح فى الباب شيئ على شرطى وللغفلة من هذه المقاصد الدقيقة اعتقد من لم يمعن النظر انه ترك الكتاب بلا تبييض كما فى باب فضل العلم وهذا عنده وفى باب صدقة العلانية وفى باب زكواة البقر وغير ذالك.

السادس والخمسون ما قال الحافظ فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء اهله عليه قال هذا تقييد من المصنف لمطلق الحديث وهذا الاصل غير التطبيق بين الروايتين.

السابع والخمسون كثيرا ما يكون فى الباب بلاترجمة رجوعا الى الاصل كما اخذ به الحافظ فى باب بلا ترجمة بعد باب فصل ربنا لك الحمد وهذا غير الاصل فيه كالفصل للباب السابق فان موداه ان له تعلقا بالباب السابق وميز عنه بالباب لنوع من الفرق بخلاف هذا فانه رجوع الى الباب الذى تقدم قبل ذالك وهذا هو الفرق فيه.

الثامن والخمسون: ما يستنبط من كلام الحافظ بان الامام البخارى تارة يذكر فى ترجمة الباب اية وغرضه منه الاشارة الى حديث تفسيرها كما فى باب قوله عزوجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن مم يذكر المصنف فى هذا الباب حديثا واللائق به

حديث ابن عباس الذى تقدم فلى صفة الصلواة فى توجه النبى صلى الله عليه وسلم الى عكاظ واستماع الجن لقرأته وقد اشار اليه المصنف بالاية التى صدر بها هذا الباب وكذا فى باب امور الايمان وقول الله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم وجه الاستدلال بهذه الاية ومناسبتها لحديث الباب تظهر من الحديث الذى رواه عبد الرزاق وغيره فى تفسير هذه الاية.

التاسع والخمسون ما كنت اقول اصلا من طويل الرمان ثم رأيت هذا بعينه يقول الشيخ زكريا بالناطق متقاربة وهوان الامام البخارى كثيرا ما يذكر فى اول الكتاب ماخذه من الاية او يعبر هكذا انه يذكر فى مبدا الكتاب ما يدل على مبدأ ولحكم المذكور فى الكتاب كما فى كتاب الوضوء والغسل والتيمم والحيض والصلواة وغيرها.

الستون قد يذكر ترجمة لاثبات الترجمة السابعة فهى تكون مثبتة بكسرالوحدة حتى يحتاج لها الى دليل وقد جزم بذالك السندى فى باب اذا قال احدكم امين وكذا فى باب من صلى ملتحفافى ثوب واحد تحت باب وجوب الثياب.

الحادى والستون يقول الشيخ زكريا ان الامام البخارى قد يغير سياق التراجم على الاحكام الواردة فى الاحاديث على نسق واحد مثلا ورد فى الاوقات المنهية عن الصلواة فيها الروايات على سياقين احدهما النهى عن الصلواة عند الطلوع والغروب مطلقا كما فى حديث ابن عباس عن عمر رض ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلواة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب وهكذا فى روايات عديدة

والسياق الثانى ما ورد عن ابن عمر رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحروا بصلواتكم طلوع الشمس ولا غروبها والامام البخارى اورد السباقين معا فى صحيحه بترجمتين مستقلبين اشارة الى اختلاف المذاهب كذا قاله الشيخ الجنجوهى.

والثانى والستون طالما يغير الترتيب الوجودى لمصلحة شحذ الاذهان ليتدبر فى ذالك الناظر كما فى باب الاذان بعد الفجر قدمه على باب الاذان قبل الفجر قال الزين بن المنير قدم المصنف ترجمة الاذان بعد الفجر على الاذان قبل الفجر مخالف الترتيب الوجودى لان الاصل فى الشرع ان لايؤذن الا بعد دخول الوقت فقدم ترجمة الاصل على ما ندر عنه وقال الشيخ زكريا عرض الامام منه ان يبين المعنى الذى كان يؤذن لاجله قبل الفجر غير المعنى الذى كان يؤذن لاجله بعد الفجر وان الاذان قبل الفجر لا يكفى عن الاذان بعده كما فى الفتح.

الثالث والستون طالما يدخل الباب الاجنبى بين الابواب المتناسقة للتنبيه على لطيفة يرشد الناظر الى التدر كما فى باب الجهاد من الايمان بين باب قيام ليلة القدر من الايمان وبين باب تطوع قيام رمضان من الايمان قال الحافظ حاصله ان الحديث الذى اورده فى باب الجهار له مناسبية بالتماس ليلة القدر لان هذا الالتماس يستدعى محافظة و مجاهدة فق يوافقها وتارة لا يوافقها وكذالك المجاهد يلتمس الشهادة فقد يحصل لخ ذالك وقد لا يحصل فتناسبا وعند العبد الحقير الجهاد جهاد ان جهاد مع الكفار وجهاد مع انفس والاصل فى كل منهما المجاهدة وتحمل المشاق فمن كان ديدنه هذا فيسهل له الامران معا فتنا سبا.

الرابع والستون قال الشيخ زكريا ان الامام البخارى قد يغير لفظ الحديث فى الترجمة لمويعة يرشد اليها الناظر شحذا لذهنه فى انواع الاستخراج من الحديث كما فى باب فضل من خرج الى المسجد ومن راح وفى الحديث من غدا الى المسجد وراح اعدالله نزله من الجنة فغير البخارى لفظ غدا بلفظ خرج لبويعة وهى ان المعروف فى اللغة الغدوة المضى بكرة النهار وقد يطلق على الخروج مطلقا فيكون مقتضى الحديث من اكثر الخروج الى المسجد والرجوع منه.

الخامس والستون ان البخارى كثيرا ما يورد الروايات المتضمنة لاحكام عديدة لكنه لاياخذ بجملتها فيترجم على بعضها دون بعض مثلا اخرج رواية صدقة الفطر وذكر فيها خمسة اصناف وترجم لكل صنف ترجمة مستقلا غير الاقط قال الحافظ العينى فعل ذالك تنبيها على جواز التخيير بين هذه الاشياء فى دفع الصدقة و لم يذكر الا قط كانه لايراه مجزئا عند وجود غيره كما هو مذهب احمد وهكذا قال العسقلانى ايضا.

السادس والستون: قال الشيخ زكريا ان بعض تراجمه قد يكون تفصيلا لما اجمل اولا مثلا ترجم اولا باب وجوب القراءة للامام والماموم فى الصلواة كلها فى الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت ثم ذكر الابواب الكثيرة تفصيلا لذالك الباب المجهل فلا يحتاج الى اثبات غرض لكل باب سوى هذا.

السابع والستون ان الامام البخارى قد يذكر التراجم فى غير محلها ظاهرا محملت الشراح ذالك على وهم الامام او غلط النساخ كما قال الحافظ حاصله ان البخارى ذكر بابى

السجود فى ابواب الثياب وذكر بابي الثياب فى ابواب صفة السجود ولو لا انه ليس من عادة المصنف اعادة الترجمة وحديثها معا لكان يمكن ان يبين مناسبة ولكن المختار عنده الحمل على النساخ بدليل سلامة رواية المستملى من ذالك وهو احفظهم لان فيها ذكر بابي السجود فى ابواب السجود فقط. وهكذا قال الامام الشاه ولى الله رحمه الله لكن قال الشيخ زكريا فيه اشكال لان تغير الترتيب بين ترجمتين واقع فى كلا الموضعين فانه قدم فى ابواب الثياب باب اذا لم يتم السجود على باب يبدى ضبعيه بخلاف ما فى صفة السجود فانه قدم فيها الثانى وآخر الاول فانطاهرأن ذالك كله من بدائع دقائق البخارى فعل كل ذالك عمدا للطائف، وقال الحافظ العسقلانى تترلا يمكن ان يقال مناسبة الترجمة الاولى لابواب سترالعورة الاشارة الى من ترك شرطا لا تصح صلواته كمن ترك وكذا ومناسبة الترجمة الثانية الاشارة الى ان المجارفة فى السجود لا تستلزم عدم سترالعورة فلا تكون مسطلة للصلوة.

وقال الحافظ انور الكشميرى فى الغيض و يمكن ان يقال ان الفقهاء ذكر واللسجدة شرائط كوجد ان حجم الارض فى سجوده فهى من شرائط الصلواة من هذه الجهة ومن جهة التعديل والطمانينة معدردة فى صفة الصلواة وشرح قوله الشيخ بدر العالم الميرتى يقول وهو الاظهر عندى والانسب بانظار البخارى مع ايمائه اليه حيث بوب ههنا اولا باب اذا لم يتم السجود فكانه اشار الى ان تمامية السجود من شراط الصلواة وثانيا باب يبدى ضبعيه فهذا وان كان من تمام السجدة لكنه

اشار الى انه ليس من شرائط الصلواة ثم اذا بوب فى صفة الصلواة بوب اولا باب يبدي ضبعيه في السجود وهذه هي صفة السجود فقدمها في باب صفة الصلاة بوب اولا باب يبدي ضبعيه في السجود وهذه هي صفة السجود فقدمها في باب صفة الصلواةبحذف تبويبه فى شرائط الصلواة ثم بوب فى آخرها باب اذا لم يتم السجود لانه من صفات السجود عدما كما كانت الاولى من صفاته وجودا.

التاسع والستون من عادة البخارى المطردة فى كتابه ذكرالاضداد فى الكتب كما ذكر فى كتاب الايمان ابواب الكفر والنفاق، قال الحافظ مناسبة هذه الترجمة لامور الايمان من جهة كون الكفر ضد الايمان، ويقول العبد الحقيبر غرضه بيان انواع الكفر و مراتبه دليلا على امور الايمان استدلالا بالضد.

السبعون ومن دابه انه اذا كان فى حديث واحد اوامر عديدة او النواهى كذالك فح يترجم لكل من ذالك ترجمة مستقلة تنبيها على استقلال كل ذالك من الماموارت و المنهيات مثلا ورد فى الحديث ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعابدعوى الجاهلية فترجم الامام لكل من تلك الامور تراجم مستقلة، يقول العلامة الشيخ زكريا الكاندهلوى هذا آخر ما اكتفيت به من الاصول المفصلة رعاية بعدد للسبعين المرعية فى كثير من الاحاديث والافد قائق استنباطه واصول تراجمه كثيرة غير ما تقدم. والله اعلم

الفائدة التاسعة والعشرون

فى ترتيب وضع الكتب والابواب فى الجامع

نذكر ههنا كلاما جملا مختصرا مما قالـــه الحـــافظ فى مقدمة الفتح ناقلا عن كـــلام شـــيخ الاســـلام ابى حفـــص عمر البلقيني وما قاله العيني وغيرها من الشارحين نقول: بـــدأ البخارى بقوله كيف كان بدء الوحى و لم يقل كتاب الوحـــى لان بدء الوحى من بعض ما يشتمل عليه الوحى، ولان كـــل باب يأتى بعده ينقسم منه فهو ام الابواب فلا يكون فســـيما لها، وقدمه لانه منبع الخيرات وبه قامت الشـــرائع و جـــاءت الرسالات، ومنه عرف الايمان والعلوم، وكان اوله الى النـــبى صلى الله عليه وسلم بما يقتضيه الايمان من القراءة والربوبيـــة وخلق الانسان فذكر بعده كتاب الايمان والعلوم.

او يقال انه قدم العلم على سائر الكتـــب بعـــده لان مدارها كله على العلم، و لم يقدم العلم على الايمان لوجوبـــه اولا او لشرفه، على ما قاله العينى اولان العلم المعتبر هوالـــذى يترتب على الايمان، وكان الايمان اشرف العلوم فعقبه بكتـــاب العلم وبعد العلم يكون العمل، وافضل الاعمال البدنية الصلواة

ولا يتوصل اليــــها الابالطــهارة فقـــال كتـــاب الطـــهارة، فذكرانواعها واجناسها مما يشترك فيه الرجال والنســـاء ومـــا تنفرد به النساء، ثم كتاب الصلواة وانواعها.

ثم كتاب الزكواة ثم كتاب المناسك من الحـــج والعمرة لان الاعمال ما كانت بدنية محضة و مالية محضـــة و بدنية ومالية معافرتبها كذالك فذكر الصلـــواة ثم الزكـــواة ثم الحج ثم الصوم فانه عبادة تركية، ولانه الركن الخامس المذكور فى حديث ابن عمر رضــ بنى الاسلام على خمـــس، وهـــذه التراجم كلها معاملة العبد مع الخالق وبعدها معاملة العبد مـــع الخلق.

فذكر كتاب البيوع بجميع انواعها واقسامها من بيع العين وبيع الدين والبيع القهرى كالشفعة، وذكر جميـــع مـــا يحتاج اليه البائع والمشرى فى معاملالة كالحوالـــة والكفالـــة والاستقراض وغير ذالك، وكثيرا ما يحتاج الى الاشهاد وقـــت التنازع فذكر كتاب الشهادات والصلح والشـــروط ســـواء كانت فى الحيواة او بعد الممات كما فى الوصية والوقف.

فلما انتهى ما يتعلق بالمعاملات مع الخالق ثم مـــا يتعلق مع الخلق، فترجم بما يتعلق مع الخلق والخـــالق فذكـــر

كتاب الجهاد، اذ به يحصل اعلاء كلمة الله واذلال الكفار، و من نتائجه صيانة الايمان والاعمال نذكر فضل الجهاد وانواعه ى احكامه كلها، ولما تمت المعاملات الثلث وكلها من الوحى المترجم عليه بدء الوحى فذكر بعد هذه المعاملات بدء الخلق فذكر الجنة والنار اللتين مآل الخلق اليهما و ذكر ابليس و جنوده ثم ذكر الجن ومما كان خلق الدواب قبل خلق آدم وعقبه بخلق آدم وترجم الأنبياء نبيا على الترتيب الذي نعتقده ثم ذكر اشياء من العجائب الواقعة في بني اسرائيل ثم ذكر الفضائل و المناقب المتعلقة بهذه السلعة و انهم ليسوا بأنبياء ومما كان ذكر سيد الأنبياء عليه السلام اصلا و مقصودا بسط في البيان فذكر قريشا لأنه من قبيلته ثم ذكر اسماء النبي صلى الله عليه و سلم و شمائله وعلامات نبوته في الاسلام ثم ذكر فضائل الصحابة و مناقبهم فذكر المهاجرين اولا ثم الأنصار ثانيا.

ثم ذكر سيرهم في اعلاء كلمة الله مع نبيهم فذكر أشياء من أحوال الجاهلية قبل البعثة ثم ذكر أذى المشركين ثم ذكر احوال النبي صلى الله عليه و سلم قبل الهجرة ثم احوال الهجرة ثم ساق المغازي على ترتيب ما صح عنده ثم ذكر

الوفود ثم حجة الوداع ثم مرض النبي صلى الله عليـــه وســلم ووفاته وما قبض الاوقد كلمت شريعته ونزل كتابهمما خلافـا عقب ذلك بكتاب التفسير ثم بفضائل القـــرآن ومتعلقاتـــه و آداب تلاوته وكان ما يتعلق بالكتاب والسنة من الحفـــظ و التفسير وتقرير الأحكام يحصل به حفظ الديـــن في الأقطـار واستمرار الأحكام على الأعصار وبذلك تحصل الحيواة المعتبرة أعقب ذلك بما يحصل به النسل و الذرية التي يقوم منها جيـل بعد جيل يحفظون احوال التنزيل فقال كتاب النكاح.

ثم اعقب بارضاع مما فيه من متعلقاتالتحريم فذكـــر احكام الحل والحرام وانواعها ومايتعلق بها ثم ذكـــر كتـــاب الطلاق وبين جميع اقسام الفرقة واحكامهاثم ذكـــر كتـــاب النفقات لأنها تتعلق بالنكاح تعلقا مستمرا وهي من الماكولات غالبا فذكر كتاب الأطعمة وأحكامـــها وآدابهـــا وأنواعـــها واقسامها ثم ذكر كتاب الأشربة لأنها تالية الماكولات وكثـــيرا يحتاج في ذلك الى الطبيب فذكر كتاب الطب وذكر تعلقـــات المرض وثواب المرض وأحكام الدواء فلما ذكـــر المـــاكولات والمشروبات وأحكام الدواء ادرف بكتاب اللبـــاس والزينـــة

والطب وانواعه وكان كثيرا منها يتعلق بآداب النفس فاردفه الآداب و البر والصلة ثم ذكر كتاب الدعوات.

التي هي فتح الابواب العلوية مذكر الاستغفار والتوبة وسائر الاذكار الموقتة وغيرها، ولما كان الذكر والدعاء سببا للاتعاظ ذكر المواعظ والزهد وكثيرا من احوال يوم القيامة، ثم ذكر ان الامور كلها بتصريف الله فقال كتاب القدر و ذكر احواله، ولما كان القدر قد تحال عليه الاشياء المنذورة فقال كتاب النذور، وفيه كفارة فاضاف اليه الايمان وفيهما تحتاج الى الكفارات فقال كتاب الكفارات.

ولما تمت احوال الناس فى الحيواة الدنيا ذكر احوالهم بعد الموت فقال كتاب الفرائض فذكر احكامها ولما تمت الاحوال بغير جناية ذكر الجنايات الواقعة بين الناس او قد يحرم الناس عن الفرائض بسبب جناية كقتل العمد، ذكرالجنايات فقال كتاب الحدود، وذكر فى اخره احوال المرتدين، ولما كان المرتد قد لا يكفر اذا كان مكرها قال كتاب الاكراه، وكان المكره قد يضمر فى نفسه حيلة دافعة فذكر الحيل وما يحل منها و ما يحرم، ولما كانت الحيل فيها ارتكاب ما يخفى اردف ذالك تعبير الرويا لانها مما يخفى وان ظهر للمعبر، وقد تكون

الرؤيا فتنة للناس فاعقب ذالك بكتاب الفتن، وكان من الفتن ما يرجع الى الحكام فقال كتاب الاحكام، وذكر احوال الامراء و والقضاة.

ولما كانت الامامة والحكم قد يتمناها قوم اردف كتاب التمنى، ولما كان مدار حكم الحكام فى الغالب على اخبار الآحاد فقال ما جاء فى اجازة خبرالواحد الصدوق ولما كانت الاحكام كلها تحتاج الى الكتاب والسنة قال الاعتصام بالكتاب والسنة، وذكر احكام الاستنباط من الكتاب والسنة والاجتهاد و كراهية الاختلاف.

وكان اصل العصمة اولا وآخرا هو توحيد الله فختم بكتاب التوحيد وكان آخر الامور التى يظهر بها المفلح من الخاسر ثقل الموازين وخفتها فجعله آخر التراجم، فقال باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وان اعمال بنى آدم توزن، فبدأ بحديث انما الاعمال بالنيات وختم بان اعمال بنى ادم توزن، واشار بذالك الى انه انما يتقبل منها ما كان بالنية الخالصة لله تعالى و هو حديث كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، فقوله كلمتان فيه ترغيب

وتخفيف، وقوله حبيبتان فيه حث على ذكرهما لمحبة الرحمـــــن اياهما، وقوله خفيفتان فيه حث بالنسبة الى ما يتعلق بالعمل، و قوله ثقيلتان فيه اظهار ثوابهما، وجاء الترتيب بهذا الحديـــــث على اسلوب عظيم،

الفائدة الثلاثون

كيف جاء علم الحديث فى الهندونبذة من احوال المحدثين فى هذه العصور الماضية

يقول المورخون ان العلاقات التجارية والدينية قـــامت بين الهند والعرب منذ زمن بعيد، فقد كان التجـــار العـــرب يسافرون الى السواحل الهندية للتجارة قبل اللاسلام، ومن اهم المدائن الهندية التى كان يستورد العرب منها البضائع ميناء تـيز الذى يقع فى بلوجيستان ثم ميناء ديبل الذى يقع فى الســـند، وميناء تانة الذى وقع فى غجرات وكولم تلى الذى يقـــع فى مالابار.

قال ابن حوقل المورخ فى كتاب المســالك ٢٣٠ ان ميناء ديبل ميناء كبير للتجارة و نجد فى هذه المينـــاء انواعـــا التجارة، وقال جوزج حور انى المـــورخ فى كتابـــه العـــرب والملاحة فى المحيط الهندى ٣١١ ان ميناء كولمتلـــى مقصـــد التجار العرب، سواء كان للتجارة مع اهل مالا بار او لـــتزويد السفن العربية بما يحتاج اليه من مئون خلال رحلاتها الطويلـــة الى الصين.

واستمرت هذه العلاقات التجارية وتقدمت تقدما مزدهرا فى العصر الاموى حتى اصبح لساحل مالا بار اهمية اقتصادية كبرى للعرب، لانه كان يمدهم وكان يلزمهم من خشب الساح الذى كان يستخدم فى بناء السفن، وقال ابو حنيفة الدينورى فى الاخبار الطوال ٣٢٦ قال سائح لعمر رض عن الهند, ان بحرها در و جبلها ياقوت و شجرها عطر، يفيد من هذا ان التجار العرب كانوا يستوردون الياقوت والجوهرات والبخور عموما.

وذكر المقدسى فى كتابه. حسن التقاسيم ٣٢٦ ان التجار العرب كانوا يستوردون من السند الارز و الثياب والنارجيل، ومن المنصورة النعال والعاج والعقاقير.

بالجملة ان جنوب الهند كان يتصل اتصالا وثيقة بالجزيرة العربية من اقدم العصور بفضل موانيها، فكان لما لا بار فى ساحل شرقى الهند شرف السبق للتعرف على الاسلام واعتناقه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما فى تاريخ فرشته ٢ /٣١١.

ان طائفة من العرب المسلمين وفد واعلى مالابار فى طريق بحثهم عن مكان نزول آدم عليه السلام، لما يقال من انه

نزل فى الهند او فى سيلان، فلما بلغ ذالك ملك مـــا لا بـــار (زيمور) دعاهم اليه واستضافهم وانزلهم متزلة كبيرة فى بلاطـه ثم عرف منهم ان نبيا بعث فى بلاد العرب ودعـــا النـــاس الى الاسلام وجاء بمعجزات كثيرة، فتشوق الملك الى الاسلام والى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم كما امن به، ووزع ثروتـــه فى اهله بالعدالة ثم اتخذ طريقه الى بلاد العرب.

ويقول بعض المؤرخين ان الملك شاهد بنفسه معجـــزة شق القمر وامر ان يســـجل هـــذه الحادثـــة فى الســـجلات الحكمومية، ولما جاء الوفد وآمن ورحل الى العرب توفى الملك فى الساحل اليمنى فلم تتحقق امنيته برؤية البنى صلى الله عليـــه وسلم، كما فى رجال الهند والسند ٨٦، ولا غرابة فى هـــــذه الرواية لما ان العلاقات التجارية ثابتة بين الهند والعـــرب مـــن قبل.

حتى ذكر الامام ابو عبد الله الحاكم فى مســـتدركه ٢ /١٣٥ اهدى ملك الهند الى رسول الله صلى الله عليه وســـلم جرة فيها زنجبيل فاطعم اصحابه قطعة واطعمنى منها قطعة.

فكل هذه يشير الى العلاقات الوطيدة بـــين العـــرب والهند، وتوجد ثلاث كلمات هندية ايضا فى القرآن الكـــريم،

وهى المسك والكافور والزنجبيل، وكذا توجد بعض كلمات الهندية فى الحديث والشعر العربى، و هذه ايضا من نتيجة تلك العلاقات الثابتة، وغير مسنغرب وفود العرب على الهند فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفى عصر عمر بن الخطاب ترى ان المسلمين اتجهوا الى البلاد حتى الهند كما يقول البلاذرى فى فتوح البلد ان ٦٠٧، ولى عمر بن الخطاب رضـ عثمان بن ابى العاص الثقفى على البحرين وعمان سنة خمسة عشرة، فوجه اخاه الحكم الى البحرين ومضى الى عمان،

فاقطع جيثا الى تانه فلما رجع الجيش الى عمر رض ليعلمه بذالك فكتب اليه عمر يا اخا ثقيف حملت دودا على عود و انى احلف بالله ان لو اصيبوا لاخذت من قومك مثلهم، ووجه الحكم الى بروص ووجه اخاه المغيرة بن ابى العاص الى خور الديبل فلقى العدو فظفر وفى صدد هذا اسباب حملت المسلمين على الاتجاه نحو الهند.

ان الفارس والسند كانت بينهما علاقة ثابتة حتى اهل الفرس استمدوا من الزط ضد خالد بن الوليد رض فى حرب السلاسل. (٢) ثم فى معركة القادسية ١٦ ان ملك ايران يزد

جرد قد اعد جيشا لمقابلة المسلمين واستمد من بعض ملــوك البلدان وفيهم كان ملك الهند ايضا (٣) ان القراصنة الهنـود كانوا خطرا على السغن التجارية التى كـانت نشـطة بـين السواحل العربية والهندية، وان بعض المناطق كانت تعتبر تجمعا هاما للقراصنة الهنود، وغير ذالك من الاسباب الـتى دعـت المسلمين الى التوجه نحو الهند.

وقال المورخ ياقوت الحموى فى معجم البلـدان ٣ /٢٨١ والد يبل من ناحية السند مدينة على ساحل بحر الهنـد وجه اليه عثمان بن ابى العاص ففتحه وفى عصر الخليفة عثمان رض توجه حكم بن عمرو التغلبى الى مكران، وكان يحكـم عليها راسل الذى استنجد بامير السند ووقعت معركة على نهر هلمند قتل فيه عدد كبير مـن مكرانـين، وكـان النجـاح للمسلمين، فولى عليه عبيد الله بن معمر حاكما فجرى القتـال حتى فتح نهر سند ثم اصدر عثمان امرا بوقف تقـدم الجيـش الاسلامى لاجل عدم موافقة الجولهم، وفى عصر خلافة علـى بن ابى طالب رضـ عين فى ٣٧ الحارث بن مرة العبدى قائدا على حدود الشرقية الذى وصل بجيشه الى مر قيقان (قلات).

وهناك وقعت معركة فى آخر سنة ٣٨-٣٩ هـــــ ثم اشتهد على رض والجيش الاسلامى فى قيقان، و من المعــروف ان حدوه الهند متصلة بحدود ايران، والحرب بـــين المســلمين والايرانيين بجرى، والجيش الاسلامى يتقدم كل يوم فى ايــوان، ففى تلك الفترة لاذت جماعة من الفرس بولاية السند، و كـلن ملجا لهؤلاء الفارين، ولذلك ادرك المسلمون ان القضاء علـــى القراصنة يقتضى البقاء بالهند.

فارسل معاوية رض فى سنة ٤٣ عبد الله بن ســـوار العبدى الى ثغورالهند، وذهب باربعة الاف جيش ونحـــج فى مهمته ورجع بعد شهور، ثم عاد مرة ثانية واستشهد فيها، وفى عام ٤٤ دخل القائد هلب من ابى صفرة الى الهند من طريـــق خيبر ووصل الى ملتان وبشاور.

وهذا اول من دخل فى عمق الهند وفى هذه العصـور دخل بعض الصحابة الكـــرام فى تلـــك الارض و فتحوهـــا، وكانت عادتهم كلما دخلوا ارضا بلغوا الاسلام فى ســـكانها وبينوا لهم احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هــــذه نعلم مجئ الحديث فى الارض الهند.

و كم صحابيا دخلوا فى هذه البلاد لم نعلم كلها و الذين نعلمهم فهم عبد الله بن عبد الله (٢) شيم بن عمرو التميمى (٣) مسهر بن العبدى (٤) سهيل بن عدى (٥) حكم بن ابى العاص الثقفى (٦) عبيد الله بن معمر التميمى (٧) عبد الرحمن بن سمرة البصرى (٨) سنان بن سلمة بن محبق الهذلى قيل انه تابعى وقيل صحابى رض الله عنهم.

و بعد هذا كان المسلمون يرسلون جيوثا الى حدود الهند حينا بعد حين، ثم فى عصر الوليد بن عبد المالك امر حاكمه على العراق حجاج بن يوسف فاسند هذه المهمة الى محمد بن القاسم اعظم فاتح وقائد فى تاريخ الفتوحات الاسلامية فقد رضف محمد بن القاسم ٩٢ وفتح مدنا كثيرة وارسى فيها قواعد دولة اسلامية عربية التى تنمو و تزدهر قرونا طويلة.

(١) واما سبب هذه المهمة فقال المورخون ان ملك سرنديب الذى كان يود ان يقيم علاقة الصداقة مع الوليد، ولهذا الغرض ارسل ملك ثمانية سفن الى خدمة الوليد معها الهدايا الثمينة التى تشتمل على المجو هرات والعبيد والجوارى وبعض نساء

المسلمين اللاتى كن يردن زيارة دار الخلافة والكعبة المكرمة، ولكن بسبب الجو غيرت السفن مسيرها الى ساحل ديبل.

وقال بعض المؤرخين فاستولى على تلك السفن جماعة القراصنة واسروالرجال والنساء وانتهبوا الاموال، وصاحت امرأة فى ذلك الوقت يا حجاج يا حجاج، وهرب بعضهم والتجأ الى الحجاج واخبر القصة، ولما سمع الحجاج ذالك تاثر منها كثيرا وارسل خطابا الى ملك السند داهر، وطلب منه اطلاق الاسراء وتعويض الاموال التى فقدت فى هذه الحادثة،

ولكن امير داهر رد عليه بدون اية عناية و كتب اليه ان هذه عملية ارتكبها جماعة القراصنة وانه لا يملك شئيا تجاههم.

وقال بعض المحققين ان هذه الحادثة وقعت من نفس امير داهروحاول ان يخدع الحجاج فاجاب ما اجاب، لان مسئلة القراصنة غير صحيحة لان محمد بن القاسم لما فتح "الور" وجد هؤلاء المسافرين فى السجون الحكومية كما فى تاريخ سند ١٠٠ بناء على هذا وجه الحجاج اولا بعض قواده ولكنه فشل فى مهمته ثم ارسل ابن اخيه الشاب محمد بن

القاسم الثقفى سنه ٩٣ ووصل جيشه يوم جمعة ديبل، ونصب منجانيق وامر ان يرمى منه الى معبدهم فكسره، ثم حمى الحرب وانتهى باستيلاء المسلمين على المدينة.

ومكث محمد يقتل فيها ثلاثة ايام وهرب داهروا ختط المسلمون بها وبنى لهم مسجدا، فكان اول مسجد بنى بهذه المنطقة، ثم تتابع محمد سيره والبلاد تخضع له صلحا او عنوة، حتى فتح السور و ملتان واصاب ذهبا كثيرا وسيقت الغنائم الى الحجاج، وفى ذالك الوقت جاء خبر وفاة عمه الحجاج سنه ٩٥، وبعد قليل جاء خبر وفاة الخليفة وليد بن عبد الملك، وتولية سليمان بن عبد الملك فدعا سليمان محمد بن القاسم الى العاصمة واسره حتى مات.

ولما قامت الحكومة الاسلامية فى السند حتى الى المأتين عاما تقريبا واتصلت العلاقة الاسلامية بالشام و بغداد، فجاء كثير من التابعين واتباعهم فى هذه المنطقة واشاعوا الحديث الشريف، ولذا نجد العلماء المحدثين الذين هنديون نسلا تعلموا العلم من هؤلاء الوافدين الناز لين من العرب وهم بعدد كيثر.

منهم من رأوا باعينهم الصحابة رض الله عنهم مثلا

(١) عبد الرحمن بن ابي زيد البيلمانى الذى روى من عثمان

وابن عباس وابن عمر ومعاوية و عمرو بن اوس و عمرو بن عنبسة ونافع بن جبير وعبد الرحمن بن الاعرج رضى الله عنهم، ومنه رواية فى النسائ والترمذى ٢٨٧.

(٢) الامام المكحول السندى الذى روى عن ابى امامة الباهلى وواثلة بن اسقع وانس رضى الله عنهم. (٣) ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى الذى روى عن ابى امامة وسهل بن حنيف. (٤) عبد الرحمن السندى (٥) حارث البيلمانى. (٦) موسى السيلانى وغيرهم كلهم من السند و رأو الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وحدثوا عنهم.

(٧) يزيد بن ابى كشة الدمشقى الذى روى عن ابى الدرداء وشرحبيل من اوس رض وكان واليا على السند مقام محمد بن القاسم من امر الخليفة سليمان بن عبد الملك. (٨) عمرو بن مسلم الباهلى روى عن يعلى بن عبيد رض كان حاكما فى السند من امر الخليفة عمر بن عبد العزيز. (٩) مفضل بن مهلب بن ابى صفرة الذى روى عن نعمان بن بشير رض. وهو جاء فى كاندبيل (بنجاب) ودرس الحديث. (١٠) موسى بن يعقوب التقفى كان قاضيا فى السند من جانب

محمد بن القاسم وهو ايضا توطن فيه ودرس الحديث، فهؤ لاء كلهم تابعون جاءوا من خارج وسكنوا فى السند.

ومن اتباعهم بعدد كثير الذين درسوا الحديث فى السند مثلا (١) ابو موسى اسرائيل بن موسى البصرى الذى روى عن الحسن البصرى وابى موسى الاشجعى توطن فى السند (٢) ابو بكر ربيع بن صبيح البصرى روى عن الحسن البصرى وغيرهم قدم فى عهد الخليفة المهدى ١٥٨ فى السند وتوفى فيها وكان درس فيها.

(٣) ابو معشر نجيح السندى المتوفى ١٧٠ وهو اول من اشتهر فى المغازى من اهل الهند وكان محدثا شهيرا. (٤) خلف بن سالم السندى المتوفى ٢٣١ (٥) محمد بن ابي معشر نجيح السندى المتوفى ٢٤٤ (٦) عبد بن حميد الكسى المتوفى ٢٤٩ (٧) محمد بن رجاء السندى المتوفى ٢٨٦ استخرج على مسلم وغيره كان محدثا كبيرا، (٨) محمد بن ابراهيم الديبلى المتوفى ٣٢٢.

(٩) احمد بن عبد الله الديبلى المتوفى ٣٤٣، (١٠) ابو الفوارس احمد بن محمد السندى المتوفى ٣٤٩، (١١) احمد بن عبد الله الديبلى المتوفى ٣٤٥ كان محدثا كبيرا تلمذ عليه

الحاكم ابو عبد الله النسابورى، (١٢) ابراهيم بن محمد الديبلى المتوفى ٣٤٥، (١٣) محمد بن محمد الديبلـــى المتـــوفى ٣٥٤، (١٤) خلف بن محمد الديبلى المتوفى ٣٦٠، (١٥) محمد بـــن على السندى المتوفى، (١٦) ابو العباس احمـــــد بـــن محمـــد المنصورى المتوفى كان يدرس فى منصورة من السند و لذا يقال المنصورى. (١٧) ابو بكر احمد بن محمد بن هارون الديبلـــى كان محدثا كبيرا، (١٩) ابو محمد عبد الله بن جعفر المنصورى اخذ عنه الحاكم ابو عبد الله النيسابورى وغيرهم من كبـــار العلماء والمحدثين الذين اشاعوا علم الحديث فى نا-ـــة ارض السند من قارة الهند الى ان فتح السلطان محمـــود الغزنـــوى الفنجاب ٤١٢ واللاهور وغيرهما، واقام دولة اسلامية واشـاع العلوم الدينية.

ومن هذا العصر اى من المأة الخامسة الى المأة الثامنـــة نشأ محدثون كثيرون منهم (١) الشيخ اسمـــاعيل اللاهـــورى المتوفى ٤٤٨ كان عالما متبحرا محدثا كبيرا وهو اول مـــن درس الحديث فى لاهور وفنجاب واسلم على يديه اناس كثـــيرون، (٢) محمد بن عبد الصمد بن عبد الرحمن اللاهورى المتـــوفى ٤٣٩. (٣) نصر الله بن احمد السندى المتوفى ٤٣٣، (٤) على

بن حسين السندى المتوفى ٤٦١، (٥) هبة الله بن سهل السندى، (٦) على بن عثمان الجوهرى اللاهورى المعروف، اتاغونج المتوفى ٤٦٥.

(٧) ابو الحسن على بن عمر اللاهورى المتوفى ٥٢٩ كان محدثا كبيرا، (٨) ابو القاسم محمد بن محمد اللاهورى المتوفى ٥٤٠ اخذ عنه صاحب الانساب المظفر السمعانى، (٩) ابو الحسن بختيار بن عبد الله الصوفى الهندى المتوفى ٥٤٢، (١٠) ابو محمد بختيار بن عبد الله المتوفى ٥٤١، (١١) ابو الفتح عبد الصمد بن عبد الرحمن اللاهورى المتوفى ٥٥٠ اخذ عنه صاحب الانساب.

(١٢) والامام حسن بن محمد الصغانى اللاهورى المتوفى. ٦٩٠ صاحب مشارق الانوار وغيره من الكتب الكثيرة، وكان سفيرا من الخليفة ناصر بالله فى دهلى عند السلطان التمش وكان فى ذالك المنصب اربعة وعشرين عاملا، ولذا افاض العلوم الكثيرة فى دبار هند، (١٣) الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى المتوفى ٦٦٦ اخذ علم الحديث من الشيخ كمال الدين المحدث اليمنى و حصل الخلافة والاجازة فى التصوف من

الشيخ شهاب الدين السهر وردى واقام فى ملتـــان واســس مدرسة فيها، (١٤)

القاضى منهاج السراج الجوز جانى المتوفى ٦٦٨ ولـــد فى خراسان و توطن فى الهند واشاع علم الحديث فيها، (١٥) برهان الدين محمود البلخى المتوفى ٦٨٩ اخذ العلم عن الامـــام الصغانى وعن صاحب الهداية الشيخ برهان الدين المرغبنـــانى وقدم فى الدهلى فى عهد غياث الدين بلبن و درس الحديـــث، (١٦) كمال الدين النواهد المتـــوفى ٦٨٤ كـــان يـــدرس فى الدهلى. (١٧) رضي الدين الصغانى البدايونى توفى فى لاهور و يدرس فيها وله كتاب فى الحديث.

(١٨) شرف الدين ابو توامة الدهـــاكوى قـــدم فى سونارغاو فى عهد السلطان التمش وكان يدرس فيها واقـــام مدرسة فيها و اخذ عنه الشيخ شرف الدين يحيى المنيرى وهـــو اول من يدرس الحديث فى البنجالة. (١٩) ابو عبد الله محمـــد بن مامون اللاهورى المتوفى ٦٠٣، (٢٠) شمس الدين محمد بن يحيى الاودهى المتوفى ٧٤٧ له مضغات جليلة فى العلوم وكـــان عالما جيدا. (٢١) فخر الدين الزرادى المتوفى كان من مشاهير علماء الدهلى. (٢٢) سليمان زكريا الملتانى المتوفى كان يدرس

فى الدهلى. (٢٣) عبد العزيز الديبلى المتوفى ٧٥٠ اخذ العلم عن الشيخ ابن تيمية.

(٢٤) نظام الدين الاعلياء المتوفى ٧٢٥ كان عالما جيدا ومحدثا حافظا لمشارق الانوار واخذ الحديث عن كمال الدين اليمنى. (٢٥) محى الدين الكاشانى الدهلوى المتوفى ٧١٩ كان محدثا مفسرا فقيها، (٢٦) فريد الدين محمود الناغورى المتوفى ٧٢٥، (٢٧) شرف الدين احمد بن يحيى المنيرى البهارى المتوفى ٧٨٢، (٢٨) وجيه الدين الدهلوى المتوفى، (٢٩) نصير الدين جراغ الدهلوى المتوفى ٧٥٧. (٣٠) زين الدين الدهلوى المتوفى وغير ذالك من المحدثين.

وفى المأة التاسعة الشيخ نور الدين بن احمد بن عبد الله الشيرازى اخذ العلم من شمس الدين محمد بن الجزرى وعن العلامة سيد شريف الجرجانى والشيخ مجد الدين الفيرسهوزا بادى وقرأ الصحيح البخارى على الشيخ بابايوسف الهروى المعمر صدساله وهو اول من كان يدرس الحديث فى الهند وتوفى، (٢) الشيخ ركن الدين القرشى ظفر آبادى المتوفى ٨٢٠ كان من اكابر الحنيفيه ذا كعب فى التفسير والحديث، كان يحفظ مأة الف حديث.

(٣) الشيخ حسين بن معز الدين البلخى البهارى المتوفى ٨٤٤ قدم بهار و درس الحديث وكان محدثا جيدا، (٤) بدر الدين محمد بن ابى بكر الاسكندرى الدماميني المتوفى ٨٢١ كان يدرس فى عجزات، (٥) يحيى بن عبد الرحمن الهاشمى المتوفى ٨٤٣ كان يدرس فى كلبرك، (٦) ابو الفتح بن الرازى المكى الملاوى المتوفى ٨٨٦ قدم فى غجرات وكان يدرس الحديث فيها وغير ذالك من المحدثين.

وفى المائة العاشرة (١) الشيخ احمد بن صالح المتوفى ٩٠٦ اخذ عن السخاوى ويدرس فى ملايا، (٢) الشيخ جلال الدين الدوانى المتوفى ٩٢٨ اخذ المنطق عن قطب الدين الرازى وقدم فى الدهلى عهد السلطان فيروزشاه و يدرس الحديث والتفسير، (٣) ملك المحدثين وجيه الدين محمد المالكى المتوفى ٩١٩ قدم فى غجرات عهد السلطان محمود الاول وكان وزير الماليات ايضا ويدرس الحديث.

(٤) محمد بن يزدان بخش البنغالى الشيروانى المتوفى ٩٢٧، (٥) السيد رفيع الدين الصفوى المتوفى ٩٥٤ اخذ العلم عن السخاوى وعن الدوانى قدم غجرات فى عهد السلطان سكندر اللودى ثم اقام فى آغره درس الحديث زمانا طويلا قريبا من اربع وثلاثين عاما، (٦) الشيخ ابو الفتح التهانيسرى المتوفى ٩٦٠ و جلس مجلس شيخه الصفه بعد ما توفى. (٤) عبد الاول الجونفورى المتوفى ٩٦٨ كان يدرس فى غجرات ثم جاء فى الدهلى فى عهد اكبر وشرح صحيح البخارى المسمى بفيض البارى و هذا هو اول الشروح للبخارى فى ديارهند.

(٨) الشيخ على المتقى ولدفى ٨٨٥ فى برهان فور و حصل العلم وقدم ٩٤١ فى غجرات واقام فيها اعواما يدرس الحديث ثم رحل الى مكة وتوفى فيها ٩٧٥ وهو صاحب كنز

العمال وله تصانيف كثيرة، (٩) نظام الدين بن عمر الكاكورى العرقارى المتوفى ٩٨٣ يدرس فى لكهناؤ.

(١٠) الملا على القاري المتوفى ٩٨١. (١١) عبد الله بن سعد الله السندى المتوفى ٩٨٤. (١٢) جمال الدين محمد طاهر الفتنى اخذ العلم عن على المتقى صاحب مجمع البحار والمغنى وغيره وكان امام المحدثين فى العصر، (١٣) عبد النبى الجنجوهى ٩٩٠ حفيد الشيخ عبد القدوس الجنجوهى كان صدر الصدور فى عهد اكبر.

(١٤) الشيخ عبد المالك العباسى الغجراتى المتوفى ٩٧٧ تلميذ السخاوى حافظ البخارى، (١٥) رحمت الله بن عبد الله السندى المتوفى ٩٩٣. (١٦) وجيه الدين العلوى الغجراتى المتوفى ٩٩٨. (١٧) يعقوب بن حسين الكشميرى المتوفى ١٠٠٣. (١٨) جوهر ناته الكشميرى المتوفى. (١٩) فريد البنغالى المتوفى ١٠١٤. (٢٠) الحاج محمد الكشميرى المتوفى ١٠٠٦ صاحب التصانيف الكثيرة وغير ذالك من المحدثين.

حتى جاء عهد الشيخ عبد الحق بن سيف الدين المحدث الدهلوى و الامام الربانى الشيخ احمد بن عبد الاحد المجدد الالف الثانى رحمهم الله تعالى. ومن عهدهما الى عهد الامام الشاه ولى الله رحمه الله عهد شاع فيه علم الحديث فى ديار الهند كثيرا، ومن

عهد الشاه ولى الله الى عهد الشيخ القاسم النانوتوى والشيخ رشيد احمد الجنجوهى حتى الى قيام دار العلوم ديوبند عهد كبير.

وفيه فاض العلم فى جميع اكنافها ونواحيها، وسال العلم فى كل مكان فى القرى والمدن كثيرا، ومن قيام دار العلوم ديوبند الى يومنا هذا عهد طويل، وفى كل هذه المعصور نشأ العلماء الكبار والمحدثون العظام الذين تفخربهم شبه قارة الهند علما و عملا و زهدا وتقوى وجهادا وكفاحا و تضحية فى سبيل الله، فلهم فضل كبير فى كل ميدان الحياة الدينية لله الحمد.

وانما ذكرنا قبل هذه العصور اسماء عدة من العلماء المحدثين ليكون نموذجا ودليلا على وجود بركة علم الحديث فى ديار الهند من قديم الزمان حتى لا يفهم احد بان الحديث جاء من عهد الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى فقط.

بل فى الحقيقه جاء الحديث الشريف عن عصر الخلفاء الراشد بن، ولكن كان ذالك فى بعض نواحى الهند. مثل السند والملتان والغجرات والدهلى وليس فى جميع نواحها، و لكن فى هذه العصور الى اليوم شاع علم اللحديث فى سائر اكنافها و نواحيها، ولما كان اكثر مدرسى زماننا لايعلمون احوال علماء هذه العصور، ولذا نذكر فى هذا المقام نبذة من اسماء المحدثين واحوالهم بالاختصار من غير تفصيل وعدهم جميعا،

(١) الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوى المتوفى ١٠٥٢ اخذ العلم والحديث عن الملا على القارى وعبد الوهاب المتقى اشاع العلم من الدهلوى كثيرا وصاحب التصانيف الكثيرة مثل اشعة اللمعات واللمعات والاكمال فى اسماء الرجال وغير ذالك.

(٢) الشيخ المجدد الالف الثانى المتوفى ١٠٣٤ اخذ العلم الظاهر من الشيخ يعقوب الكشميرى والقاضى بهلول بدخشى والشيخ كمال الدين الكشميرى و حصل العلم الباطن من الشيخ باقى بالله وهو صاحب المناقب الفاضلة والمكاتيب الجليلة المجاهد فى سبيل الله، خالف السلطان اكبر حين غير فى الاسلام مخالفة شديدة حتى سجن فى غواليار ثم اطلق وكان يدرس الحديث والتفسير.

(٣) الشيخ فيروز الكشميرى المتوفى ١٠٥٢ كان اخذ الحديث عن الشيخ عبد الحق يدرس الحديث فى الكشمير وكان محدثا كبيرا، (٤) الشيخ نور الحق بن الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى المتوفى ١٠٧٣ اخذ العلم عن والده وكان محدثا كبيرا وله شرح فى البخارى المسمى بتيسير القارى وشرح فى مسلم وغير ذالك.

(٥) الشيخ معصوم بن الشيخ المجدد الالف الثانى المتوفى ١٠٧٧ اخذ العلم الظاهر والباطن من والده وكان عالما جيدا محدثا كبيرا وشيخا عظيما حتى بايع على يديه السلطان عالمكير.

(٦) الشيخ معين الدين بن خواجه محمود الكشــــميرى المتــوفى ١٠٨٥ اخذ العلم عن الشيخ عبد الحق ويدرس فى الكشـــميرى، (٧) الشيخ داؤد المشكوتى المتوفى ١٠٩٧ كان من اكابر المحدثين فى الكشمير وحافظ المشكواة سندا ومتنا.

(٨) الشيخ يحيى بن المجدد الالف الثانى المتــوفى ١٠٩٨ كان من اصغر اولاده. (٩) الشيخ فخر الدين بن محب الله بـــن نور الله المتوفى كان من احفاد الشيخ عبد الحق كان عالما كبــيرا ومحدثا جيدا، (١٠) الشيخ محمد اعظم بن الشيخ سيف الدين بن الشيخ معصوم السرهندى المتوفى ١١١٤ كان محدثا كبيرًا ولـــه شرح البخارى المسمى بفيض البارى.

(١١) الشيخ فروخ شاه بن الشيخ محمد سعيد بن الشيخ المجدد الالف الثانى المتوفى ١١٢٢ كان محدثًا كبيرًا، (١٢) الشـيخ عنايت الله الكشميرى المتوفى ١١٢٥ كان محدثا كبـــيرًا. (١٤) الشيخ ابو الحسن نور الدين السندى المتوفى ١١٣٨ كان محدثـــا كبيرًا وله حواش للستة (١٥) الشيخ محمد افضل بن الشيخ محمـد معصوم السرهندى المتوفى ١١٤٢ كان محدثا كبيرًا.

(١٦) الشيخ العلامه محمد معين بن محمد امين الســندى المتوفى ١١٦١ كان عالماً جيدًا ومحدثا كبيرًا. (١٧) الشيخ محمــد حيات بن ابراهيم السندى المتوفى ١١٦٣ كـــان محدثـــا كبــيرًا صاحب التصانيف، (١٨) الشيخ محمد هاشم بن عبــد الغفــور

السندى المتوفى١١٧٤ كان محدثا كبيرًا صاحب التصانيف وغيرهم من العلماء والمحدثين.

الى ان جاء (١) عهد الامام الحجة العالم الربانى الشاه ولى الله بن الشاه عبد الرحيم المتوفى ١١٧٦ اخذ العلم عن والده ثم رحل الى الحرمين واخذ العلم عن ابى طاهر الكردى الشافعى وغيره من العلماء، كان اماما حجة فى الدين وله تصانيف جليلة مثل حجة الله البالغة وازالة الخفاء والمسوى شرح المؤطا وفتح الرحمن ترجمة القران والفوز الكبير وغير ذالك.

(٢) الشيخ محمد امين الكشميرى المتوفى ١١٨٧ كان عالماً جيدًا وكان من تلامذة الشاه ولى الله ومن اساتذة الشاه عبد الفريز رح. (٣) الشيخ المحدث شمس الدين بن حبيب الله مرزا جان جانان الدهلوى المتوفى ١١٩٥ كان اخذ العلم عن محمد افضل السيالكوتى. وعن عابد السندى وكان صوفيا زاهدا شهيرًا، (٤) الشيخ المحدث فخر الدين بن محب الله بن نور الدين بن نور الحق بن عبد الحق الدهلوى المتوفى وكان عالما جيدًا و محدثا كبيرًا.

(٥) الشيخ العلامه مرتضى الحسينى الزبيدى المتوفى ١٢٠٥ كان عالماً كبيرا اخذ العلم عن الشاه ولى الله ثم رحل الى الحرمين وحصل فيهما علوما كثيرة وهو صاحب التصانيف الجليلة مثل تاج العروس شرح القاموس واتحاف السادة المتقين

شرح احياء علوم الدين وغير ذالك. (٦) الشيخ القاضى ثناء الله الفانى فتى المتوفى ١٢٢٥ اخذ العلم عن الشاه ولى الله كان محدثا مفسرًا صاحب التفسير المظهرى وغير ذالك من الكتب الكثيرة.

(٧) الشيخ سلام الله بن شيخ الاسلام المتوفى ١٢٢٩ كان محدثا كبيرًا وصاحب التصانيف الكثيرة، (٨) الشيخ عبد القادر بن الشيخ ولى الله المتوفى ١٢٣٠ اخذ العلم عن اخيه الكبير الشاه عبد العزيز وكان عالماً جيدا محدثا كبيرا له ترجمة القرآن وغيره، (٩) الشيخ رفيع الدين بن الشاه ولى الله الدهلوى المتوفى ١٢٣٣ اخذ العلم عن اخيه الكبير الشاه عبد العزيز وكان عالماً جيدا ومحدثا كبيرا وله تصانيف جليلة.

(١٠) سراج الهند الشاه عبد العزيز بن الشاه ولى الله الدهلوى المتوفى ١٢٣٩ اخذ العلم اولاً عن والده وتوفى والده اذ كان عمره ست عشرة سنةً ثم استكمل من اجل تلامذة والده الشيخ نور الله البدهانوى والشيخ محمد امين الكشميرى والشيخ عاشق الفهلتى، وصار مرجع العلماء والمحدثين الكبار وله تصانيف جليلة.

(١١) الشيخ اسماعيل الشهيد ابن عبد الغنى الدهلوى المتوفى ١٢٤٦ اخذ العلم عن عمه الشاه عبد القادر واستفاد ايضا عن عمه الشاه عبد العزيز واستشهد مع شيخه السيد احمد البريلوى فى معركة بالاكوت وله تصانيف جليلة مثل العقبات

والصراط المستقيم ومنصب الامامة وغير ذلك. (١٢) الشيخ المحدث محمد عابد بن احمد على بن يعقوب السندى المتوفى ١٢٥٧ كان محدثا كبيرًا وله تصانيف.

(١٣) الشيخ اسحاق بن محمد افضل بن احمد بن محمد الدهلوى المتوفى ١١٦٢ كان ابن بنت الشاه عبد العزيز الدهلوى، و يتصل به اكثر اسانيد الهند اليوم، اخذ العلم عن الشاه عبد القادر و حصل اجازة الحديث عن الشاه عبد العزيز و جلس مجلس جده من الام بعد وفاة جده، وهاجر الى مكة ١١٥٨ مع اخيه يعقوب وتوفى فيها ١٧ رجب ودفن قرب السيدة خديجة الكبرى رض فى الجنة المعلى بمكة.

(١٤) الشيخ احمد سعيد بن الشاه ابى سعيد الدهلوى المتوفى ١٢٧٧ كان محدثا كبيرا و شيخا عظيما. صاحب التصانيف، (١٥) الشيخ يعقوب بن محمد افضل العمرى الدهلوى المتوفى ١٢٨٦ الاخ الصغير للشيخ اسحاق هاجر مع اخيه الى مكة.

(١٦) الشيخ المفتى صدر الدين بن لطف الله الكشميرى المتوفى ١٢٨٥ كان محدثا ومفسرا و فقيها اخذ العلم عن الشاه رفيع الدين و استفاد عن الشاه عبد العزثز ايضا صاحب التصانيف الكثيرة، (١٧) الشيخ قطب الدين النواب بن محى الدين الدهلوى المتوفى ١٢٨٩ كان محدثا جامعا للمعقول

والمنقول اخذ العلم عن الشاه اسحاق وهو صاحب التصانيف مثل مظاهر حق وغيره.

(١٨) الشاه عبد الغنى بن الشاه ابى سعيد المجددى المتوفى ١٢٩٢ كان من نسب المجدد الالف الثانى اخذ العلم الحديث عن الشاه اسحاق و رحل الى الحرمين ١٢٤٩ وقرأ الحديث على الشيخ عابد السندى ثم رجع الى الهند و درس الحديث والتفسير وقرأ عنده الشيخ النانوتوى والشيخ الجنجوهى وغيرهما ولما تسلط الافرينج على الدهلى ١٢٧٣ فهاجر مع اهله و عياله الى الحرمين، واقام بالمدينة المنورة واستفاد عنه الوف من العلماء وكان كثيرا التواضع والخشية الله.

(١٩) الشيخ محمد بن احمد الله التهانوى المتوفى ١٢٩٦ كان محدثا شهيرا وشيخا مرشدا اخذ العلم عن الشيخ مملوك على والشيخ فضل حق الخيرآبادى ثم قرأ الحديث على الشيخ اسحاق وكان بين الشيخ امداد الله والشيخ ضامن والشيخ محمد التهانوى اخوة دينية شديدة و كانوا يسكنون فى تهانه بهون معا وغيرهم من المحدثين والعلماء الكبار.

الى ان جاء عهد الشيخ القاسم النانوتوى والشيخ الجنجوهى رحمه الله ومن عهدهما الى يومنا نشأ علماء كثيرون فمنهم (١) الشيخ العلامه القاسم بن اسد على الصديقى النانوتوى المتوفى ١٢٩٧ ولد الشيخ فى نانوته ١٢٤٨ اخذ العلوم

الابتدائية من الشيخ مملوك على وقرأ الحديث على الشيخ عبد الغنى وبايع على يد سيد الطائفة الحاج امداد الله المهاجر المكى، وكان اماما فى الحديث والتفسير والفقه والكلام وصاحب التصانيف الجليلة مثل آب حيات وقبله نما وغيره ومن اهم مأثر انه اسس مع المشائخ الكبار دار العلوم ديوبند اقامها الله الى يوم القيامة مزدهرا حينا بعدحين.

(٢) الشيخ احمد على بن لطف الله السهارنفورى المتوفى ١٢٩٧ كان من كبار العلماء والمحدثين اخذ العلم اولا عن الشيخ مملوك على قم قرأ الحديث على الشيخ وجيه الدين ثم رحل الى الحرمين وقرأ الحديث على الشاه اسحاق ثم رجع الى الهند ويدرس فى مظاهر العلوم السهارنفور وتوفى بعد وفاة القاسم النانوتوى بيومين.

(٣) الشيخ عبد القيوم بن عبد الحى البدهانوى المتوفى ١٢٩٩ كان محدثا كبيرا قرأ الحديث على الشيخ اسحاق ونكح بنته واقام فى بهوفال ودرس العلوم. (٤) المحدثة الفاضلة امة الغفور بنت الشاه اسحاق بن افضل الدهلوى المتوفى كانت محدثة كبيرة اخذت العلم عن والدها الشاه اسحاق ونكحها الشيخ عبد القيوم البدهانوى وكان زوجها يراجعها فى حل مشكلات الحديث رحمها الله.

(٥) الشيخ محمد يعقوب بن الشيخ مملوك على النانوتوى المتوفى ١٣٠٢ كان محدثا شهيرا صاحب الكرامات اخذ العلم عن والده و عن الشيخ القاسم النانوتوى وكان صدرا المدرسين فى دار العلوم ديوبند تسعة عشر عامًا. (٦) الشيخ محمد مظهر بن الحافظ لطف على النانوتوى المتوفى ١٣٠٢ كان محدثا شهيرا وصدر المدرسين فى مظاهر العلوم بسهارنفور اخذ العلم عن والده و عن الشيخ مولنا مملوك على وقرأ الحديث على الشيخ عبد الغنى المجددى.

(٧) الشيخ ابو الحسنات عبد الحى بن مولانا عبد الحليم اللكهنوى المتوفى ١٣٠٤ ولد ١٢٦٤ واخذ العلم عن والده وفرغ فى عمر سبعة عشر عاما و اشتغل فى التاليف والتصنيف ورحل الى الحرمين ١٢٧٩ وحصل الاجازة عن السيد احمد بن دحلان المفتى الشافعى بمكة. صاحب التصانيف الكثيرة مثل الرفع والتكميل ونفع المفتى والسائل وعمده الرعاية وغيرة.

(٨) الشيخ السيد صديق حسن خان بن المولوى آل حسن القنوجى المتوفى ١٣٠٧ كان حاذقا فى العلوم وكان من جماعة اهل الحديث اخذ العلم عن المفتى صدر الدين وعن الشاه اسحاق وغيرهما وكان كثيرا التصانيف مثل ابجد العلوم. اتحاف النبلاء والحطة بذكر الصحاح الستة وغير ذالك ووقعت الاغلاط

كثيرا فى تصانيفه و نبه عليها الشيخ عبد الحى اللكهنوى رحمه الله تعالى.

(٩) الشيخ مولانا محمد احسن بن الحافظ لطف على بن حافظ محمد حسن النانوتوى المتوفى ١٣١٤ اخذ العلم اولا عن والده ثم عن الشيخ عبد الغنى ومولانا مملوك على ومولانا احمد على السهارنفورى وله تصانيف مفيدة، (١٠) الشيخ مولانا فضل الرحمن بن محمد فياض غنج مرادآبادى المتوفى ١٣١٣ اخذ العلم عن الشاه اسحاق ومن الشاه عبد العزيز وكان شيخا مرشدا كاملا.

(١١) الشيخ مولانا القارى عبد الرحمن بن القارى المحمدى الفاتى فتى المتوفى ١٣١٤ كان محدثًا كبيرا اخذ العلم اولا عن والده ثم عن مولانا مملوك على وحصل الاجازة للصحاح الستة عن الشاه اسحاق. (١٢) الشيخ فخر الحسن الجنجوهى المتوفى ١٣١٧ انه كان من اخص تلامذه الشيخ النانوتووى والشيخ الجنجوهى وكان حكيما مع انه كان محدثا كبيرا وعلق على سنن ابى داؤد تعليقا مفيدا. (١٣) الشيخ مولانا ندير حسين بن جواد على الدهلوى المتوفى ١٣٢٠ كان محدثا من جماعة اهل الحديث و حصل الاجازة من الشاه اسحاق يوم هاجر الى مكة اجازة مجملة فقط.

(١٤) الشيخ قطب الارشاد الامام الربانى رشيد احمد الجنجوهى المتوفى ١٣٢٣ ولد فى قصبة جنجوه ١٢٤٤ اخذ العلم اولا عن الشيخ مملوك على وقرأ الحديث على الشيخ الشاه عبد الغنى والشاه احمد سعيد وبايع على يد سيد الطائفة الحاج امداد الله المهاجر المكى وكان يدرس اولا جميع العلوم و من ١٣٠٠ الى ١٣١٥ كان يدرس كتب الحديث فقط ثم منه الى اخر حياته ترك التدريس وافاض المسترشدين من فيوضاته الباطنية و من كماله فى التدريس انه يدرس الصحاح الستة وحده من شوال الى شعبان ويختم كلها وهو فقيه النفس وله تصانيف كثيرة والامالى للبخارى والترمذى جمعهما تلميذه الشيخ محمد يحيى الكاندهلوى و علق عليهما تعليقات مفيدة ابنه الشيخ زكريا.

(١٥) الشيخ شمس الحق بن الشيخ امير على العظيم آبادى المتوفى ١٣٢٩ كان من جماعة اهل الحديث اخذ العلم اولاً عن علماء اهل بلده. ثم استكمل عن السيد نذير حسين وغيره وله تصانيف كثيرة. (١٦) الشيخ مولانا احمد حسن بن اكبر حسين الامروهى المتوفى ١٣٣٠ اخذ العلم من الشيخ القاسم النانوتوى وعن الشيخ احمد على السهارنفورى والشيخ القارى عبد الرحمن الفانى فتى والشيخ عبد القيوم البهوفالى، ثم رحل الى الحرمين وحصل الاجازة من الشاه عبد الغنى وكان صدر المدرسين فى المدرسة شاهى مرآداباد.

(١٧) الشيخ محمد يحيى بن محمد اسماعيل الكاندهلوى المتوفى ١٣٣٤ كان عالما جيدًا محدثا كبيرًا كان من اخص تلامذة الشيخ الجنجوهى. كتب تقرير البخارى والترمذى من شيخه الجنجوهى.

(١٨) الشيخ العلامة محمود الحسن بن مولانا ذوالفقار على الديوبندى المتوفى ١٣٣٩ ولد ١٢٦٨ وهو اول تلميذ اسس عليه دار العلوم ديوبند تحت ظل شجرة الرمان امام مسجد الجامع جهتة بديوبند عام ١٢٨٣ فى يوم مسعود وافتتح درسه فيه الاستاذ ملا محمود وقرأ الصحاح الستة على الشيخ النانوتوى و حصل الاجازة عن الشاه عبد الغنى واحمد على السهارنفورى ومظهر النانوتوى والجنجوهى رحمهم الله وفى عام ١٢٩٠ انيط العمائم عليه وعلى مولانا فخر الحسن الجنجوهى وغيرهما على خمس علماء ثم صار مدرسا فيه وصار فى ١٣٠٨ صدر المدرسين فيها، و رحل الى الحرمين عام ١٣٣٣ واقام مقامه للتدريس تلميذه العلامة الشاه انور الكشميرى، واسر الشيخ فى عامه بمكة مع تلامذته الشيخ حسين احمد المدنى وعزير غل وغيرهما واطلق عن السجن عام ١٣٣٨ ورجع الى الهند وتوفى ١٨ ربيع الاول ١٣٣٩ المطابق ٣ نومبر ١٩٢٠ م ودفن فى المقبرة القاسميه بديوبند على جنب استاذه القاسم النانوتوى وله تصانيف مفيدة

فى العلوم المختلفة مثل ترجمة القرآن مع حواشية. وشرح الابواب والتراجم للبخارى وحاشية لمختصر المعانى وجهد المقل وغيره.

وله تلاميذ كثيرون الذين هم كبار المحدثين بعده فى انحاء بلاد الهند وانتشر منهم العلم كثيرًا ومن اشهرهم مثل حافظ العصر العلامة انور الشاه الكشميرى وشيخ العرب والعجم شيخ الاسلام العلامة حسين احمد المدنى ومحقق العصر العلامة شبير احمد العثمانى والمفتى الاعظم فى الهند المفتى عزيز الرحمن والمفتى الاعظم كفايت الله و مولانا حبيب الرحمن العثمانى رئيس دار العلوم ديوبند و مولانا عبيد الله السندى ومولانا ابراهيم البليلوى و مولانا اعزاز على الامرو هى ومولانا فخر الدين المرادآبادى و مولانا مناظر احسن الجيلانى و مولانا احمد على اللاهورى ومولانا سعيد احمد المحدث الصاتغامى والمفتى الاعظم فى البنغال المفتى فيض الله الميكهلى وهذا آخر من تلميذ عليه من البنغال وقرأ عليه اسباقا عديدة واجازه ومن معه فى تلك السنة اجازة خاصة و اكمل باقى دروسه القائم مقامه الحافظ العصر العلامة انور الشاه الكشميرى وغيرهم من المحدثين والعلماء.

فبعد ذلك غالب العلماء المحدثين الذين نشأوا وقاموا بنشر الحديث والعلوم الاسلامية اما فى الهند فمتخرجو ازهر الهند دار العلوم ديوبند او مظاهر العلوم بسهارنفور، واما فى البنغال فمتخرجو مركز العلوم الاسلامية دار العلوم بهاٹهزارى وغيرها من

المراكز والمدارس، ومن اجل ذلك عد جميع المحدثين من بعد شيخ الهند عسير جدًا فاذكرهنا عدة من احوال كبارالمحدثين.

(١) الشيخ العارف بالله حكيم الامة مولانا اشرف على التهانوى المتوفى ١٣٦٢ وكان محدثا ومفسرا وفقيهًا ولد ١٢٨٠ وفرغ من تحصيل العلوم و تكميلها ١٣٠١ على ايدى المحدث الشيخ يعقوب النانوتوى وشيخ الهند رحمهما الله وجلس فى تهانابند لافاضة الفيوض الباطنية وله تصنيفات كثيرة جليلة مفيدة فى جميع انواع العلوم فى الفقه والحديث والتفسير والنحو والصرف وغير ذلك.

(٢) الشيخ العلامة المفتى عزيز الرحمن بن مولانا فضل الرحمن الديوبندى المتوفى ١٣٤٢ كان محدثا و مفسرًا و فقيها فرغ من تحصيل العلوم ١٣٩٨ ودرس الحديث والفقه فى ديوبند من ١٣٠٩ الى ١٣٤٦ وله مصنفات فى الحديث والفقه وكان من خلفاء مولانا رفيع الدين الرئيس الثانى لديوبند.

(٣) الشيخ الحافظ الحجة العلامة انور الشاه بن مولانا محمد معظم الشاه الكشميرى المتوفى ١٣٥٢ كان نسبه يتصل بالامام الاعظم ابى حنيفه وكان اصله من بغداد وتوطن ابائه فى كشمير ولد الشيخ ١٢٩٢ وفرغ من تكميل العلوم فى ديوبند ١٣١٢ على شيخ الهند رحمه الله واستفاد الفيوض الباطنية من الشيخ الجنجوهى وكان مجاز امنه ايضًا وكان الشيخ الانور مثال

لائمة المحدثين فى العصور الماضية وكان محققا بحاثا فى سائر العلوم الدينية والعصرية وحافظا للعلوم كانه مكتبة علمية وكان هو نظير لنفسه. تلمذ عليه كبار المحدثين بعده وما صنف بنفسه الشيخ كثيرًا ولكن له الامالى فى الجامعين والتعليقات على بعض الصحاح مفيدة جدا وله مصنفات عديدة فى اصعب الموضوعات واهمها ويااليتما يتوجه الى التصيفات وشروح الحديث.

س(٤) الشيخ العلامة شيخ الاسلام العارف بالله الحافظ السيد حسين احمد المدنى المتوفى ١٣٧٧ كان محدثا كبيرًا ومحققا جيدًا زاهدا مجاهدا وجامعا للمعقول وللنقول و جامع الشريعة والطريقة وهو من اخص تلامذة شيخ الهند فرغ من تكميل العلم ١٣١٥ كان يدرس اولا بالمسجد النبوى الشريف زاد الله شرفا وكرامة مدة طويلة ثم اسر مع شيخه شيخ الهند وبعد السراح منه قدم فى الهند، ثم قدم بامر الشيخ فى آسام فكان يدرس فى سلهت.

ثم اقام بالجامعة ديوبند من ١٣٤٦ على مسند شيخ الحديث و درس الى ان توفى، ثلاثة وثلاثين عاما، فتلمذ عليه رجال كثير منهم المحدثون والمفسرون والصحافيون والسياسيون والصلحاء والخلفاء وغيرهم وافاض العلم فى جميع انحاء البلاد حتى خارج الهند وكان مجازًا من الشيخ الجنجوهى قدس سره. كتب تقاريره للبخارى والترمذى كثير من تلامذه وبعضها طبع، وله

تصنيفات جليلة و خاصة مكاتيبه وكلها مشحونة علما وهى مفيدة جدًا، تشير الى جلالة العلم الظاهر والباطن.

(٥) الشيخ العلامة المحدث المفتى كفايت الله الشاهجهان فورى المتوفى ١٣٧٢ كان محدثًا فقيهًا من اخص تلامذة شيخ الهند فرغ من تحصيل العلم ١٣١٣ وكان فى المدرسة الامينية بدهلى وله تصنيفات مفيدة. (٦) العلامة المحدث السيد اصغر حسين الديوبندى المتوفى ١٣٦٤ كان محدثا كبيرا وفقيهًا، فرغ من تحصيل العلم ١٣١٨ وكان من تلامذة شيخ الهند وكان عنده تقرير شيخه للترمذى فطبعه باسم الورد الشذى على جامع الترمذى وهذا مفيدة جدًا.

(٧) العلامة المحدث شبير احمد العثمانى المتوفى ١٣٦٩ كان محدثا ومتكلما و جامع المعقول والمنقول من اخص تلامذة شيخ الهند وفرغ من تحصيل العلم ١٣٢٥ وكان يدرس اولاً فى المدرسة العالية فتحفور ثم درس فى ديوبند الى ١٣٤٦ وكان يستفيد من الحافظ الشاه انور الكشميرى و لما ذهب الحافظ انور الشاه الى دا بهيل ذهب معه ايضا وكان يدرس فى دا بهيل اولا الصحيح المسلم فى حياة حافظ العصرالشاه انورس وبعد وفاته كان يدرس صحيح البخارى. وله فى درس المسلم اختصاص حتى صنف فى شرحه كتابًا مفيدًا.

"فتح الملهم شرح الصحيح المسلم" فى ثـــلاث مجلـــدات وسواه ايضا مصنفات كثيرة. وبعد تقســـيم الهنـــد هـــاجر الى باكستان واسس هنا مدرسة. درس صحيح البخارى وغيره فيـــها ولم ينشب حتى توفى وغيرهم مـــن المحدثـــين الكبـــار فى الهنـــد والباكستان والبنغال وغيرها فى انحاء العالم بعدد كثير لا يحصـــى. والله اعلم.

الفائدة الحادية والثلاثون

كيف جاء علم الحديث فى البنغال وبيان نبذة من احوال المحدثين

ما ذكرنا ففيه اشارة الى طبقات المحدثين فى ديار الهند، وايضا فيه كفاية فى اثبات شيوع الحديث من خير القرون الى يومناهذا، و الان اردت ان اذكر نبذة من الكلام على انه كيف جاء علم الحديث فى ديار بنغال.

اعلم انه متى جاء علم الحديث فى ديار بنغال، ومن هو اول من درس الحديث فبيانه امر مشكل، لا نعلم ذالك باليقين، ولكن يقال بالجزم، بان تدريس الصحاح الستة على هذا المنهج الدراسى كان اولا فى دارالعلوم معين الاسلام الهاتهزارى من عام ١٩٠٨ الميلادى، ثم فى المدرسة العالية كلكته عام ١٩٠٩ م.

وبعد هذين المركزين جرى تدريس الصحاح السته فى كثير من المدارس والمراكز اللاتى تجرين على منحمى نحويهما، ومع ذالك نجزم بان العلماء وكبار الاولياء لما جاءوا لتبليغ الاسلام ودعوة الدين فى هذه الديار، فاكثرهم كانوا علماء محدثين، ولاغروباهم ايضا شاعو الحديث النبوى فى مجال الدعوة والتبليغ والارشاد، ولذا يعدهذ الموضوع من عهد تبليغ الاسلام ودعوته فى بنغال.

فنذكر نبذه من احوال هؤلاء الرجال الدعاة (١)
الشيخ الشاه جلال التبريزى المتوفى ٦٤٢هـ وكان الشيخ من

خلفاء الشيخ شهاب الدين السهروردى، وكان معاصرا للشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى، والشيخ قطب الدين بختيار كاكى، والشيخ فريد الدين شكر غنجى، وكان الشيخ قدم اولا فى الدهلى، ثم رحل الى مغرب بنغال، وتوفى فى فندوا فى عمر ١٥٠ سنين اسس الشيخ التبريزى فى فندوا دار تربيت المريدين ومسجدا، و اسلم على يديه اناس كثير، وكان يعلم الناس امور الدين والاسلام.

(٢) الشيخ شرف الدين ابو توأمة المترفى ٧٠٠ هـ، كان اصله من بخارا، وقدم الى دهلى فى عهد السلطان غياث الدين بلبن ٦٨٥ هـ وكان يدرس الحديث والتفسير والفقه، فطار صيته بين الناس، فامر السلطان بالرحلة الى بنغال، ثم سافر ومعه من البهار الشيخ شرف الدين يحيى المنيرى فى سونارغاؤ ٦٦٨ هـ و اسس الشيخ فى سونارغاؤ مدرسة ودار التربية، وكان يدرس الحديث والتفسير وله تصانيف.

(٣) الشيخ اخى سراج البنغالى المتوفى ٧٣٠ اسمه الشيخ عثمان شاه، وحصل علم الطريقة من الشيخ نظام الدين الاولياء، والعلم الظاهر من الشيخ فخر الدين الزرادى، وكان حافظا لمشارق الانوار، فامر شيخه نظام الدين برحله الى بنغال وتبليغ الاسلام فيدرس المشارق.

(٤) الشيخ العلامة علاء الحق الفندوى (المعروف بفيروزآباد) المتوفى ٨٠٠ هـ، وكان اخذ العلم الظاهر والباطن من الشيخ اخى سراج البنغالى، فرحل بامر الشيخ الى

سونارغاؤ، ويبلغ الدين والاسلام، (٥) الشيخ نور قطب العالم الغندوى المتوفى ٨١٣ اخذ العلم الظاهر والباطن من والـــده الشيخ علاء الحق الفندوى واسلم على يديه ابن الملك راجـــه غنيش، وسمى جلال الدين، وجلس على كرسى السلطنة.

(٦) الشيخ الشاه جلال المجرد اليمنى المتـوفى ٨١٥ هـــ كان قدم الى سلهت من اليمن مع رفقائه ثـــلاث مائـــة وستين رجلا من الصلحاء والمجاهدين، وكلهم اشاعوا الديـــن المتين فى نواى سلهت، (٧) الشيخ السيد احمد التنورى بـــن الشيخ عز الله بن الشيخ عبد القادر الجيلانى المعروف ميرن شاه المتوفى، كان عز الله ابن الشيخ عبد القادر الجيلانى حين سقط بغداد على يد هلاكوخان قدم الى دهلى، ثم رجع الى بغـداد، وقدم ابنه الشيخ ميرن شاه الى بنغال لارشاد الناس ونـــزل فى النواكهالى، وكان داعيا مبلغا ومعاصرا للشاه جـــلال المجـــرد اليمنى.

(٨) الشاه بدر الدين بدر عالم الزاهدى المتـــوفى ٨٤٤ هـــ، كان عالما جامعا للعلوم الظاهرة والباطنة، قدم من ميرته الى صاتغام مع رفقائه الكثيرة، وكانوا يبلغون الاسلام.

(٩) الشيخ خانجهان على المتوفى ٨٦٣ هـــ كـــان عالما زاهدا يبلغ الاسلام فى ناحية كهلنا، (١٠) الشيخ السـيد على البغدادى المتوفى٩١٣ هـــ قدم من بغداد مع رفقائـــه الى دهلى، ثم قدم الى ناحية فريد فور وتوفى فى دهاكـــــه، (١١) الشيخ محمد بن يزدان نجش البنغالى المتوفى، كان عالما جيـــدا نقل الصحيح البخارى بيده واهداه الى السلطان علاء الديـــن

ملك سونارغاؤ، ولعله كان من شرق دهاكه المجاور غهوراشال، (١٢) الشيخ فريد البنغالى المتوفى ١٠١٤ هـ كان عالما محدثا.

(١٣) الشيخ الشاه نورى البنغالى كان من سكان دهاكه وكان عالما وله تصنيف المسمى كبريت احمر فى التصوف، (١٤) الشيخ مولانا حميد الدين المعروف ملا مدن الشاه جهان فورى المتوفى كان عالما محدثا معاصر الشاه عبد العزيز قدس سره، ولما اقيم المدرسة العالية بكلكتة على ايدى الحكومة البريطانيا كان صدر المدرسين فيها، وفى ذالك الوقت لا يدرس فيها الصحاح الستة دراسة رسمية بل كان اعلى دراسة الحديث درس المشكوة، ومع ذالك لا يبعد عن انه كان يدرس الحديث فوق ذالك المنهج الدراسى.

(١٥) الشيخ مولانا كليم الفاروقى السلهتى المتوفى كان عالما جيدا وكان مجازا من الشيخ مرزا مظهر جان جانان رحمة الله، (١٦) الشيخ مولانا ادريس السلهتى المتوفى كان حفيدا المولانا كليم، وكان صدر الصدور لملك بنغال، وله شرح لجمع الجوامع، (١٧) الشيخ مولانا الحاج شريعة الله الفريد فورى المتوفى ١٢٤٥ هـ ولد الشيخ ١١٨٦ ورحل الى مكة حين كان عمره ثمان عشر سنوات، واخذ العلم عن الشيخ طاهر وعن الشيوخ الاخرين، ورجع الى بلاده فاسس حركة الفرائض، وكان عالما جيدا صالحا.

(١٨) الشيخ امام الدين الحاجى فورى النواكهالوبى المتوفى ١٢٧٩ هـ كان تلميذا الشيخ عبد العزيز

الدهلوى، واشترك مع الشهيد سيد احمد البريلوى فى معركة بالاكوت، وبعد ما استشهد شيخه الشهيد السيد البريلوى رجع الى بلاده، ثم توفى فى سفر الحرمين وقت الرجوع فى بحيرة العرب، (١٩) الشيخ مولانا الصوفى نور محمد النظام فورى المتوفى ١٢٧٥ هـ حصل العلم فى كلكتة عند الشيوخ الكبار، وكان عالما جيدا ومجازا من الشهيد سيد احمد الدهلوى، واشترك معه فى جهاد بالاكوت، ثم رحل الى بلاده وتوفى.

(٢٠) الشيخ مولانا ابو الحسن الصاتغامى المتوفى ١٢٨٣ هـ حصل العلم فى المدرسة المحسنية بدهاكه، ثم فى المدرسة العالية بكلكته، ثم اخذ عن شيوخ الهند ورجع الى البلاد وكان عالما كبيرا، (٢١) الشيخ مولانا كرامت على الجونغورى المتوفى ١٢٦٠ هـ ولد الشيخ فى ١٢١٥ هـ واخذ العلم عن الشيخ احمد الله الامينى والشيخ قدرة الله الردولوى وغيرهما وبايع على يد السيد احمد الشهيد البريلوى، وقدم الى البنغال بامر الشيخ وتوفى فى رنغفور، وكان صاحب التصانيف الكثيرة، مثل دخيره كرامت و مكاشفات رحمة و تزكية العقائد وغيرها.

(٢٢) الشيخ عبد القادر السلهتى المتوفى وهو ابن مولانا ادريس السلهتى، وكان عالما جيدا له تصانيف كثيرة يبلغ عددها الى الواحد والاربعين، مثل الفوائد القادرية فى شرح العقائد النسفية. الدرالازهر شرح الفقه الاكبر وغيرهما (٢٣) الشيخ مولانا حبيب الله السلهتى، اخذ العلم عن الشيخ

مولانا قطب الدين الدهلوى، وكان عالما جيدا، (٢٤) الشيخ مولانا حافظ احمد الجونفورى المتوفى ١٣١٢ هـ ولد فى ١٢٢٠ هـ وكان يرافق الشيخ كرامت على الجونفورى فى الدعوة والتبليغ فى ديار بنغال، وكان عالما جيدًا توفى فى دهاكه.

(٢٥) الشيخ مولانا عبد الواحد الصاتغاى المتوفى ١٣٢٨ هـ اخذ العلم فى دار العلوم ديوبند عن الشيخ يعقوب النانوتوى، وحصل علم الطريقة عن الشيخ فضل الرحمن غنج مرادآبادى، واسس هو مع المشائخ الآخرين دار العلوم الهاتهزارى ١٣١٩ هـ وكان عالما جيدا وزاهدا كبيرا، (٢٦) الشيخ مولانا عبد الله الرايفورى النواكهالوى المتوفى ١٣٣١ هـ و اخذ العلم مع الشاه انور الكشميرى عند الشيخ محمود الحسن شيخ الهند قدس سره، وكان درس اياما فى المدرسة الاحمدية بنواكهالى، و كان عالما جيدا و واعظا كبيرا.

(٢٨) الشيخ مولانا عبد الحميد المدار شاهى الصاتغاى المتوفى ١٣٣٨ هـ اخذ العلم فى ديوبند عند المشائخ الكبار مثل الشيخ يعقوب النانوتوى وذوالفقار على وغيرهما، واسس دار العلوم الهاتهزارى مع الشيخ عبد الواحد وغيره وكان عالما كبيرا، (٢٩) الشيخ مولانا محمد حسن المعروف بالمحدث المتوفى ١٣٣٩ هـ اخذ العلم فى مظاهر العلوم السهارنفور عند الشيخ احمد على السهارنفورى، وكان

محدثا كبيرا وكان يدرس فى المدرسة المحسنية بصاتغام مدة طويلة.

(٣٠) الشيخ مولانا محمد سعد المعروف اسد الله الحبيب غنجى المتوفى ١٣٦٤ هـ اخذ العلم عن مشائخ بلاده ثم اخذ العلم الظاهر والباطن عن الشيخ الشهيد العارف بالله كنوميان ثم عند الشيخ مولانا عبد الحق صاحب دلائل الخيرات المهاجر المكى بمكة المكرمة، وحصل منه الخلافة الخاصة وكان عالما جيدا فقيها ومجاهدا عظيما وشيخا كبيرا، وكان يراسل مع الشيخ الجنجوهى بالخطوط والمكاتب، واسس مدرسة مباركة فى قصبته برايدر و تلمذ عليه كبار العلماء و استفاد منه اناس كثيرون، وخرج من هذه المدرسة المباركة اكثر العلماء فى ديار حبيب غنج، واسرته اسرة علم وتقوى، واولاد الشيخ كلهم علماء كبار، ومن احفاده ايضا نشأ المحدثون والمفسرون.

(٣١) الشيخ مولانا احمد على الدرغاه فورى السلهتى المتوفى اخذ العلم فى المدرسة الشاهى مراداباد عند الشيخ عبد الرحمن وغيره من المحدثين، ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث على الشيخ الحافظ انور الشاه الكشميرى وغيره، وكان يدرس فى مدارس دياره.

(٣٢) الشيخ مولانا ضمير الدين الصاتغامى المتوفى ١٣٥٩ هـ اخذ العلم عن علماء بلاده ثم رحل الى الشيخ الجنجوهى فى الهند، واخذ العلم بامر الشيخ الجنجوهى فى ديوبند عند شيخ الهند والمفتى عزيز الرحمن وغيرهما، ثم بايع

على يد الشيخ الجنجوهى وحصل الخلافة الخاصة ورجع الى بلاده وكان الشيخ ظهير لمدرسة دار العلوم معين الاسلام الهاتهزارى، وكان شيخا كبيرا عالما جيدًا فقيها محدثا تلمذ عليه كبار المحدثين، واستفاد منه العلوم الباطنية العلماء الكثيرون، منهم شيخنا واستادنا بحر العلوم العلامة المحدث الشيخ عبد القيوم رحمه الله شيخ الحديث السابق فى دار العلوم الهاتهزارى وغيره من المشائخ الكبار.

(٣٣) الشيخ مولانا محمد طاهر السلهتى المتوفى ١٣٥٩ هـ اخذ العلم عن مشائخ بلده ثم فى المدرسة العالية بكلكته ثم فى لكهناؤ عند الشيخ عبد الحى الكهنوى ثم فى الدهلى عند الشيخ نذير حسين وغيره وله تصانيف، (٣٤) الشيخ مولانا حبيب الله بن القاضى مطيع الله الهاتهزارى الصاتغاى المتوفى ١٣٢١ هـ ولد فى ١٢٨٧ ه اخذ العلم فى المدرسة المحسنية بصاتغام، ثم فى كانفور، ثم فى دار العلوم ديوبند من شيخ الهند وغيره، ورجع الى بلاده، وهو اول المؤسسين الذين اسسوا دار العلوم الهاتهزارى، وكان رئيسا لها الى ان توفى، وكان عالما كبيرا ومجاهدا عظيما.

(٣٥) الشيخ المحدث مولانا سعيد احمد بن نور بخش الشودرى السند يفى المتوفى ١٣٧٥ هـ اخذ العلم عن مشائخ بلده، ثم رحل الى ديوبند وحصل العلوم والفنون وقرأ الحديث على شيخ الهند قدس سره، وكان بايع على يد الجنجوهى واجازه شيخ الهند اجازة خاصة، وكان شيخ الحديث فى دار العلوم الهاتهزارى من ١٣٢٣ الى ١٣٦٣

اربعين سنة، وقرأ عليه كثير من العلماء والمحدثين، ثم رحل الى المدرسة صاريا، وكان هناك شيخ الحديث ورئيسها، ومن اخص تلامذه وخلفائه المفتى الاعظم فيض الله رحمة الله عليه وغيره من المحدثين والمشائخ.

(٣٦) الشيخ مولا محمد الله النواكهالوى المتوفى ١٣٦٦ هـ اخذ الحديث فى دار العلوم ديوبند عند شيخ الهند، وحصل النصوف عن شيخ الهند ايضا، وكان عالما كبيرا. (٣٧) الشيخ مولانا الحافظ ظهور الحق السلهتى المتوفى اخذ العلم عن علماء بلاده، ثم رحل الى ديوبند وسهارنفور وحصل العلم عن مشائخه. وخاصة فى ديوبند عن الشاه الانور الكشميرى ١٣٣٤ هـ ثم بايع على يد الشيخ حكيم الامة مولانا الشاه اشرف على التهانوى وحصل الاجازة ١٣٣٦ هـ ومن اولاده الشيخ عبيد الحق الجلال ابادى خطيب بيت المكرم فى دهاكة وغيره كلهم علماء.

(٣٨) الشيخ مولانا يعقوب الجيروى المتوفى ١٣٧٦ هـ اخذ العلم فى دار العلوم الهاتهزارى، ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث على الشيخ الحافظ عصره انور الشاه الكشميرى، ثم رجع الى بلاده وكان محدثا فى دار العلوم الهاتهزارى من سنه ١٣٦٦ هـ الى ان توفى.

(٣٩) الشيخ المفتى الاعظم فيض الله الميكهلى الهاتهزارى المتوفى ١٣٩٦ هـ ولد فى ١٣١٨ هـ قرأ اولا فى دار العلوم الهاتهزارى، ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث عند مشائخه ١٣٣٣ هـ قرأ من اوائل البخارى والترمذى اياما

عند الشيخ محمود الحسن شيخ الحديث الهند قدس سره ثم لما اراد الشيخ الى زيارة الحرمين اجازه، ومن معهم اجازة فاكمل باقى دروسه الشيخ الشاه انور الكشميرى، وقرألعبد الضعيف ثمانية اجزاء للبخارى عنده دراسه وحصل الاجازة الخاصة ايضا، فلله الحمد، فلما رجع المفتى الاعظم من الهند كان يدرس فى دارالعلوم الهاهزارى، و تلمذ عليه فى حياته العلماء الكبار والمشائخ العظام، وكان شديد التمسك بالسنة، وحصل الخلافة من مولانا سعيد احمد المحدث السنديفي الذى حصل الخلافة من شيخ الهند قدس سره، وكان المفتى الاعظم صاحب التصانيف الكثيرة مثل فيض الكلام وهداية العباد ورافع الاشكالات وغيرها من الكتب والرسائل يبلغ عددها قريبا من المائة.

(٤٠) الشيخ المفتى عزيز الحق المتوفى ١٣٨٠ هـ

ولد سنه ١٣٢٢ هـ وقرأ فى المدرسة جيرى، ثم رحل الى مظاهر العلوم بسهارنفور، وحصل الاجازة من المشائخ الكبار ورجع الى بلاده، واسس المدرسة قاسم العلوم ببفتيه ١٣٥٧ هـ وكان خليفة ومجازا من الشيخ ضمير الدين قدس سره، واستفاد منه كثير من العلماء والعوام وله تصانيف.

(٤١) الشيخ مولانا على احمد الخدر خيلى المتوفى ١٣٨٢ هـ اخذ العلم فى المدرسة جيرى ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث على الشيخ قطب العالم شيخ الاسلام حسين احمد المدنى قدس سره، ورجع الى بلاده وكان درس اولا فى المدرسة جيرى، ثم فى مدرسة صاريا، ثم فى مدرسة مظاهر

العلوم صاتغام، وفى مدارس شتى وله تصانيف مثل هدية المجتنى تقرير الشيخ المدنى لجامع الترمذى صنف جزأ واحدا فقط، والانكشاف فى حل تفسير الكشاف، وفيوض السعادات وغيرها.

(٤٢) الشيخ مولانا عبد الوهاب ابن عبد الحكيم رئس دار العلوم الهاتهزارى المتوفى سنه ١٤٠٢ هـ ولد الشيخ فى قرية روح الله فور سنه ١٣٢٠ هـ قرأ اولا فى دار العلوم الهاتهزارى ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث من الشاه انور الكشميرى، وقد بايع على يد الشيخ مولانا الشاه اشرف التهانوى وحصل الاجازة الخاصة منه، كان رئيسا لدار العلوم هاتهزارى بعد وفاة الشيخ حبيب الله الى ان توفى، وكان عالما جيدا شيخا كبيرا واستفاد منه العلم الباطنى كثير من العلماء والمحدثين فى ديار بنغال.

(٤٣) الشيخ مولانا صديق احمد ابن وجيه الله الخطيب البنغالى الصتغامى المتوفى سنه ١٩٨٧ ولد الشيخ سنه ١٩٠٥ م قرأ اولا فى دار العلوم الهاتهزارى عند الشيخ المحدث سعيد احمد والشيخ المفتى الاعظم فيض الله والشيخ عبد الوهاب ثم رحل الى ديوبند وقرأ الفنون على مولانا اعزاز على و مولانا ابراهيم البلياوى وغيرهم، وقرأ الحديث فى مظاهر العلوم السهارنفور على الشيخ عبد الرحمن الكامل فورى والشيخ زكريا وغيرهما، ثم رجع الى بلاده ودرس اولا فى الهاتهزارى اربعة عشر سنة، ثم فى المدارس المختلفة، وكان عضوا المجلس الاعلى الحكومى سنه ١٩٥٤ ع ثم كان شيخ

الحديث فى المدرسة بفتيه الى ان توفى، و تلمذ عليه كثير من العلماء.

(٤٤) الشيخ العلامة نذير احمد بن غلام حسين الانورى المتوفى قرأ اولا فى دار العلوم الهاتهزارى، ثم رحل الى دابهيل وقرأ الحديث. سنه ١٣٥١ هـ على الشاه انور الكشميرى ومولانا شبير احمد العثمانى، ثم رحل الى ديوبند سنه ١٣٥٢ ه وقرأه الحديث ايضا على شيخ الاسلام السيد حسين احمد المدنى والسيد اصغر حسين الديوبندى قدس اسرار هم، ثم رجع الى بلاده فدرس فى دار العلوم الهاتهزارى، ثم لما اسس مولانا حفظ الرحمن السيوهارى و مولانا المفتى عتيق الرحمن والشيخ مولانا نذير احمد مدرسة فى كلكته فكان يدرس فيها حديثا وفنونا، ثم رجع فى ايام الحرب العالمى الثلنى الى البلاد، وكان يدرس فى الهاتهزارى، وكان محدثا كبيرا وشاعرا وله تصانيف مفيدة اسس ندوة المؤلفين واشاع منها كتبا كثيرة وهو استاذى فى الحديث.

(٤٥) الشيخ العلامة بحر العلوم مولانا عبد القيوم بن مظهر الله الشودرى شيخ الحديث فى الجامعة الاسلامية دار العلوم الهاتهزارى المتوفى سنه ١٤٠١ هـ ولد الشيخ سنه ١٣٣٢ هـ فى القرية غهيرا، قرأ اولا فى دار العلوم الهاتهزارى ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث سنه ١٣٥٧ هـ على شيخ الاسلام العلامة السيد حسين احمد المدنى قدس سره، ورجع الى بلاده وكان يدرس فى دار العلوم الهاتهزارى كتب الفنون والحديث، ثم لما توفى شيخ الحديث مولانا يعقوب سنه ١٣٧٦

هـ صار شيخ الحديث فيها الى ان توفى، وكان جامعا للمعقول والمنقول ومحدثا كبيرا، وكان خليفة من الشيخ ضمير الدين قدس سره والعبد الحقير قرأ الحديث دراسة عنده سنه ١٣٨٣ هـ ، وتلمذ عليه كبار المحدثين والمفسرين فى ديار بنغلاديش.

(٤٦) الشيخ العلامة شمس الحق الفريدفورى المتوفى سنه ١٩٨٢ م ولد فى سنه ١٨٩٥ م اخذ العلم من العلماء بلاده ثم رحل الى سهارنفور ثم الى ديوبند، وقرأ الحديث سنه ١٣٤٦ هـ اسباقا عديدة على الشيخ الانور الكشميرى، ثم اكمل السنة الدارسية على الشيخ المدنى قدس سره، وبايع على يد حكيم الامة الشاه مولانا اشرف على التهانوى قدس سره، واجازه مولانا ظفر احمد العثمانى ورجع الى البلاد، ودرس فى المدارس شتى واسس مدرسة اشرف العلوم براكترا سنه ١٩٣٦ م ودرس فيها خمس عشرة عاما، ثم اسس المدرسة العربية لال باغ سنه ١٩٥١ م ورجع اليها وصار رئيسها و محدثها، كان عالما جيدا ومحدثا كبيرا، وله تصنيفات كثيرة فى اللغة البنغالية.

(٤٧) الشيخ المحدث مولانا مشاهد على البايم فورى السلهتى المتوفى سنه ١٣٩٠ هـ و لد فى سنه ١٣٢٧ هـ فى قرية بايمفور، قرأ اولا فى بلاده ثم رحل الى رامفور فى الهند، فقرأ العلوم والفنون فيه، وقرأ الحديث فى ميرته ثم رجع الى البلاد ثم رحل الى دار العلوم ديوبند وقرأ الحديث على شيخ العرب والعجم السيد حسين احمد المدنى قدس سره

وغيره سنه ١٣٥٦ هـ ثم رجع الى بلاده فدرس فى مدارس شتى ثم كان يدرس الحديث فى المدرسة بايم فور كنائ غات الى ان توفى، كان الشيخ محدثا كبيرا وسيع النظر فى الكتب، وله تصانيف مغيدة مثل فتح الكريم فى سياسة النبى الامين وغيره وكان عضواللمجلس القانونى للباكستان سنه ١٩٦٢ ع، وتلمذ عليه كثر من المحدثين والعلماء .

(٤٨) الشيخ العلامة فخر البنغال مولانا تاج الاسلام البرهمن بار يوى المتوفى ١٩٧٢ ولد فى قرية بهوين سنه ١٣٠٣ هـ وكان والده الشيخ مولانا انوار الدين عالما جيدا، وقرأ الشيخ اولا فى المدرسة العالية سلهت، ثم رحل الى ديوبند، فقرأ الحديث على الحافظ العصر الشيخ انور الكشميرى والشيخ مولانا شبير احمد العثمانى والمفتى عزيز الرحمن وغيرهم، ثم رجع الى البلاد ودرس فى المدارس المختلفة، ثم فى المدرسة اليونوسية يرهمن باريه، وكان شيخ الحديث فيها الى ان توفى، وكان حصل العلم المعرفة من الشيخ المدنى وحصل الاجازة منه، وكان محدثا كبيرا وماهرا فى اللغة العربية ومناظرا متكلما وخطيبا كبيرا، وتلمذ عليه كثير من المحدثين والمحققين.

(٤٩) الشيخ مولانا قربان على بن الشاه محمد الشيرازى المتوفى كان عالما جيدا محدثا كبيرا، قرأ الحديث فى ديوبند على الشيخ المدنى قدس سره، وحصل الخلافة من المحدث الكبير الشيخ سعيد احمد الصاتغامى، وكان شيخ

الحديث فى المدرسة برورا فى مديرية كوميــــلا الى ان تـــوفى، وتلمذ عليه كثير من العلماء والفضلاء.

(٥٠) الشيخ مولانا دلاور حسين الفينوى المتوفى ولـــد فى سنه ١٣٢٦ هـــ وقرأ اولا فى المدرسة الاسلامية نواكــهالى وفرغ منها، ثم اشتغل بالتدريس فيها، ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث ثانيا على الشيخ قطب العرب والعجم السيد حســين احمد المدنى قدس سره، وبايع على يده وحصل الخلافة منـــه، وكان درس الحديث فى المدارس المختلفة، وكان الشيخ محدثـــا كبيرا وعالما جيدا وزاهدا عابدًا.

(٥١) الشيخ المحدث العلامة مولانا عبد العزيز قـــدس سره المتوفى ١٤٢٠ هـــ ولد الشيخ فى فتكصرى سـنه ١٣٣٦ هـــ وقرأ الحديث على الشيخ شيخ الاسلام حسين احمد المدنى وغيره فى ديوبند، ورجع الى البلاد واشتغل بـــالتدريس فى دار العلوم الهاٹهزارى، فكان يدرس الحديث والعلوم والفنون وهـــو جامع المعقول والمنقول، وخليفة من الشيخ عبد الوهاب رئيس الجامعة قدس سره، ولما توفى شيخ الحديث العلامة عبد القيــوم قدس سره قام مقامه الى ان توفى وله تصانيف وهواســتاذى فى الحديث قرأت عليه الجامع الترمذى.

(٥٢) الشيخ المحدث العلامة ابو الحسن الفتكصـــرى قدس سره ولد الشيخ سنه ١٣٣٤ هـــ قرأ اولا فى المدرســـة ناظرهات ثم رحل الى ديوبند، فقرأ الحديث على شيخ الاسلام المدنى قدس سره، ورجع الى البلاد سنه ١٣٦٣ هـــ فـــدرس اولا فى المدرسة فتيه، ثم فى دار العلوم الهاٹهزارى، فصار شـــيخ

التفسير فيهاوكان يدرس الحديث والتفسير والفنون وهو جامع للمعقول والمنقول، وصنف شرحا للمشكوة على الموضوعات الصعية سماه تنظيم الاشتات لحل عويصات المشكوة، فهذا كتاب مفيد للطلبة والاساتذة، وله مصنفات أخر.

(٥٣) الشيخ المفتى احمد الحق ابن الشيخ محمد اسماعيل دام ظله ولد الشيخ بقرية فتكصرى سنه ١٣٣٨ وقرأ الحديث فى دار العلوم ديوبند على الشيخ قطب العالم المدنى قدس سره سنه ١٣٥٨ هـ و حصل منه الاجازة والخلافة ايضا، ورجع الى البلاد، وكان يدرس فى دار العلوم الهاتزارية الحديث والتفسير من سنه ١٣٦٠ الى يومنا هذا، وهو عالم جيد ومحدث كبير و زاهد عابد، وكان نائب المفتى فيها حين كان المفتى الاعظم فيض الله حيا رح، ولما توفى المفتى الاعظم رح قام مقامه حتى الان، قرأت عليه الصحيح لمسلم.

(٥٤) الشيخ مولانا محمد حامد بن مولانا افاض الدين الهاتهزارى المتوفى سنه ١٢٠٧ هـ ولد الشيخ سنه ١٣٤٤ هـ وقرأ فى دار العلوم الهاتهزارى، ثم رحل الى ديوبند، وقرأ الحديث على شيخ الاسلام المدنى قدس سره سنه ١٣٦٦ هـ، ثم رجع الى بلاده وكان يدرس الحديث والفنون فى دار العلوم الهاتهزارى، وصار رئيس الجامعة من سنه ١٤٠١ هـ وكان محدثا كبيرا شديدالتمسك بالسنة، وكان خليفة من المفتى الاعظم فيض الله قدس سره، وهو استاذى فى الحديث وغيره قرأت عليه السنن الى داؤد.

(٥٥) الشيخ مولانا احمد شفيع الصاتغامى اطال الله بقاءه، اخذ العلم عن علماء بلاده ثم رحل الى ديوبند، وقرأ الحديث على شيخ الاسلام المدنى قدس سره، وحصل علم المعرفة منه وحصل الاجازة ايضا، و رجع الى بلاده، فكان يدرس فى دار العلوم الهاتهزارى، ولما توفى رئيس الجامعة المرحوم مولانا حامد صار رئيسها الى الان، وهو عالم جيد محدث كبير وله تصانيف كثيرة فى لغات مختلفة.

(٥٦) الشيخ المحدث مولانا رياست على السلهتى المتوفى سنه ولد سنه ١٣٢٠ هـ، وقرأ اولا فى بلاده، ثم رحل الى ديوبند، فقرأ الحديث على الشيخ الشاه انور الكشميرى وملانا شبير احمد العثمانى وغيرهم سنه ١٣٤٣ هـ، ثم رجع الى البلاد ودرس فى مدارس شتى، ثم اسس المدرسة الحسينية رانافنج سنه

١٣٥١ هـ فكان رئيسها و محدثها الى زمان طويل، ثم استراح من منصب الرياسة وصار ظهيرها الى ان توفى، وهو محدث كبير تلمذ عليه كثير من العلماء والمحدثين.

(٥٧) الشيخ مولانا عزيز الحق البكرم فورى الدهاكوى، اخذ العلم فى المدرسة اشرف العلوم براكترا وفرغ منها، ثم رحل الى داهيل، فقرأ الحديث على الشيخ العلامة شبير احمد العثمانى، ثم رجع الى بلاده، فدرس فى مدارس شتى، وهو عالم جيد محدث كبير صاحب التصانيف، وتلمذ عليه كثير من العلماء.

(٥٨) الشيخ مولانا ابو الحسن الجسرى المتوفى سنه١٩٩٣م اخذ العلم عن علماء بلاده، ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث على شيخ الاسلام المدنى قدس سره سنه ١٣٦٧ هـ ورجع الى بلاده ودرس اولا فى غوهردانغا، ثم قدم فى المدرسة جسر قرب محطة قطار الحديد وصار رئيسها ومحدثها الى ان توفى وهو عالم جيد محدث كبير وخليفة من مولانا الشاه عزيز الحق الفتيوى الصاتغامى، وتلمذ عليه كثير من العلماء والفضلاء.

(٥٩) الشيخ مولانا عبيد الحق الجلال آبادى السلهتى ولد فى سنه ١٩٢٨م واخذ العلم عن والده، ثم رحل الى ديوبند، وقرأ الحديث على الشيخ قطب العالم السيد حسين احمد المدنى قدس سره، ورجع الى بلاده، درس اولا فى المدرسة اشرف العلوم، ثم درس فى الجامعة دارالعلوم كراتشى، ثم صار استاذا سنه

١٩٥٤م فى المدرسة العالية بدهاكه الى ان استراح منـــــها ســـنه ١٩٨٥ م، وهو عالم جيد ومحدث كبير وله تصنيفات مفيـــــدة، والان هو خطيب فى المسجد الحكومى بيت المكرم بداكا.

(٥٤) الشيخ مولانا نور الدين الجوهرفورى السلهتى كان ولد فى قرية جوهرفور وقرأ فى المدرسة بهاغا ثم رحل الى ديوبنـد، وقرأ الحديث على شيخ الاسلام الشيخ المدنى قدس سره، ثم رجع الى بلاده ودرس الحديث واسس مدرسة دار العلـــوم الحســنية جوهرفور وهو رئيس المدرسة وشيخ الحديث فيها، وهو عــــالم شهيرو واعظ كبير تلمذ عليه كثير من العلماء والفضلاء .

(٦١) الشيخ مولانا مخلص الرحمن ابن العـــارف بـــالله الشيخ محمد سعد المعروف باسدالله الحبيب غنجى المتوفى ١٤٢٢ هـــ اخذ العلم اولا فى المدرسة السعدية برايدر التى اسسها والده، ثم رحل الى ديوبند وقرأ الحديث على شيخ الاسلام المدنى ســـنه ١٣٧٣ هـــ ورجع الى بلاده ودرس الحديـــث وســـائر العلــوم والفنون فى المدارس المختلفة، ولما توفى رئيس المدرسة الســـعدية مولانا عبد اللطيف المرحوم رجع الى تلك المدرسة وصار رئيســها الى ان توفى، وهو عالم جيد محدث كبير ما هر فى العلوم والفنون، ومجاهد بطل وزعيم القوم فى الحركات الاسلامية، يرجع النـــاس اليه فى المشاكل الدينية والمسائل الصعبة الدنياوية، وتلمذ عليـــــه كثير من العلماء والمحدثين.

والى ههنا طويت الكلام واختصرته ولا يسع تفصيله فى هذا المقام، وفيه اشارة الى خدمات جليلة لا كابرنا المحدثين فى ديارنا بنغال، وقد مضى الوف من المحدثين الذين صرفوا العمر فى خدمة الحديث ونشره فى المدارس الاهلية والحكومية، والوف من العلماء الذين يدرسون العلوم الدينية والعقلية ويخدمون الاسلام بانحاء الخدمات، وكل هذه من فيوض العلماء السابقين وبركاتهم، اولئك اباءى فجئنى بمثلهم. اذا جمعتنا يا جرير المجامع= وقد ذكرنا نبذة منهم كى يكون نموذ جالمن جاء بعدهم والله اعلم.

الفائدة الثانية والثلاثون

فى الاسناد لهذا العبد الى صاحب الكتاب الامام البخارى والى سائر مولفى الصحاح الستة المسمى "بجواهر الارشاد فى اسانيد الامداد."

قال الشيخ ابو عمرو عثمان بن الصلاح رحمه الله، اعلم ان الرواية بالاسانيد المتصلة ليس المقصود بها فى عصرنا وكثيرمن الاعصار قبله اثبات مايروى، اذ لا يخلواسناد منها عن شيخ لا يدرى ما يرويه ولا يضبط فى كتابه ضبطا يصلح لان يعتمد عليه فى ثبوته، وانما المقصود ابقاء سلسلة الاسناد التى خصت بها هذه الامة زادها الله كرامة انتهى. فالاسناد خصية فاضلة من خصائص هذه الامة وسنة بالغة من السنن المؤكدة، كما روى من

غير وجه عن عبد الله بن المبارك انه قال: الاسناد من الدين لولا الاسناد لقال من شاء، ماشاء، بل هولازم للعلوم الدينية خاصة للحديث الشريف.

لان الاسناد يثبت به الاستناد والاعتماد فى اخذ العلم، وبذالك تنشأ العقيدة والمحبة، وهذه ترشد ابى الاتباع والاطاعة، وعليها يبنى الايمان والعمل، واليه اشار سفيان بقوله: ان هذا العلم دين فانظروا عمن تاخذون دينكم، وقال بقية بن مخلد: العلم ما يأخذه الاصاغر عن الاكابر.

ولذا ترى اصحاب التاليف للحديث فى العصر الغابر انهم يذكرون اسانيدهم الى صاحب الرسالة مفصلة كى يمتاز الصحيح من الضعيف والمقبول من المردود، وكذالك يفضلون الاسانيد العالية على الاسانيد النازلة لقلة وسائطم فيها.

ولذالك استحبت الرحلة فيه كما قال احمد بن حنبل: طلب الاسناد العالى سنة عمن سلف، وقد روى عن محمد بن اسلم الطوسى انه قال: قرب الاسناد قرب او قربة الى الله عز وجل، وهذا كما قال، لان قرب الاسناد قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرب اليه قرب الى الله عزوجل.

وفى البخارى: رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى عبد الله بن انيس فى حديث واحد، قال العسقلانى: فيه دليل على طلب علوالاسناد، لانه بلغه الحديث عن عبد الله بن انيس فلم يقنعه حتى رحل فاخذه عنه بلا واسطة، واخرج الخطيب عن ابى العالية قال: كنا نسمع عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نرضى حتى خرجنا اليهم فسمعنا منهم، ولذا ترى

العلماء الا علام يتحينون الاسانيد العالية، ويحصلون الاجازة لرواية الحديث لهذه النقطة السنية.

فنجد فى اسانيد اسلافنا ايضا اسانيد عالية ونازلة، ولبعضهم ثبت خاص فيها، كما للشيخ الامام ولى الله الدهلوى الارشاد، الى مهمات الاسناد وللشيخ عابد السندى حصر الشارد فى اسانيد عابد، وللشيخ عبد الغنى اليانع الجنى فى اسانيد عبد الغنى، وغيرهم فذكروا اسانيدهم مفصلة من طرق متعدده لابقاء سلسلة الاسناد فهنا نذكر على نمط هؤلاء الاكابر اسانيدى الى صاحب الكتاب الامام البخارى عاليا ونازلا من طرق عديدة.

فانا اروى هذا الكتاب الصحيح البخارى وعلى تبعه سائر الكتب الحديثية من طرق شتى بعضها قراءة على الشيخ وانا اسمع وبعضها قراءة على الشيخ بنفسى، وبعضها اجازة من الشيخ بقرأتى من اوائله فقط، فعلى كل ذالك من طرق حصلت لى الاجازة لرواية الحديث من الشيوخ الكرام والاكابر الاعلام.

فالاول وهذا هواصل السند، فاروى عن شيخ المعقول والمنقول بحرالعلوم والفهوم العلامة عبد القيوم الصاتغامى المتوفى ١٤٠١ صدر المدرسين وشيخ الحديث فى الجامعة الاسلامية دار العلوم معين الاسلام الهاٹهزارية بصاتتغام عن شيخ العرب والعجم قطب العالم السيد حسين احمد المدنى المتوفى ١٣٧٧ هـ صدر المدرسين وشيخ الحديث فى الجامعة الاسلامية دار العلوم ديوبند فى الهند.

والثانى عن فقيه النفس المفتى الاعظم العلامة فيض الله الجاٹجامى عن حافظ العصر العلامة السيد محمد انور الكشميرى

١٣٥٢ هـ والثالث عن المحدث الكبير العلامة السيد محمد يوسف البنورى الباكستانى عن حافظ العصر العلامة انور الكشميرى، الرابع عن الشيخ القاري محمد طيب رئيس الجامعة الاسلاميه بديوبند عن الشيخ العلامة الكشميرى، الخامس عن الشيخ المفتى الاعظم محمد شفيع الباكستانى عن الشيخ الكشميرى، السادس عن الشيخ العلامة زكريا الكاندهلوى شيخ الحديث فى الجامعة الاسلامية مظاهر العلوم بسهارنفور عن والده الشيخ محمد يحيى وعن العلامة خليل احمد السهارنفورى. السابع عن خطيب بنغال العلامة صديق احمد الصاتغامى عن الشيخ العلامة زكريا وغيره من شيوخ مظاهر العلوم بسهارنفور.

فهذه سبع طرق اروى الكتب الصحاح وسائر كتب الحديث من اسانيدهم، واما الشيخ الحافظ العلامة السيد حسين احمد المدنى والشيخ حافظ العصر السيد انور الكشميرى فهما يرويان عن الشيخ المحدث شيخ العالم العلامة محمود الحسن شيخ الهند ١٣٣٩ صدر المدرسين وشيخ الحديث فى الجامعة ديوبند.

ويروى المفتى الاعظم العلامة فيض الله الصاتغامى عاليا عن الشيخ العلامة شيخ الهند من غير واسطة، واما الشيخ العلامة زكريا فانه يروى عن والده الشيخ العلامة يحيى الكاندهلوى ١٣٣٤ عن الامام الربانى قطب العالم الشيخ رشيد احمد الجنجوهى ١٣٢٣.

ح ويروى الشيخ زكريا عن الشيخ المحدث العلامة خليل احمد السهارنفورى ١٣٤٦ عن الشيخ العلامة مظهر النانوتوى ١٣٠٢ وعن الشيخ العلامة عبد القيوم ١٣٩٩ بن مولانا عبد

الحى البدهانوى وعن الشيخ المسند الحافظ الحجة الشيخ عبد الغنى، كلهم عن الشيخ مولانا الشاه اسحاق.

ح ويروى الشيخ المدنى عن الشيخ خليل احمد السهارنفورى باسانيده، ح ويزوى الشيخ القارى محمد طيب عن الشيخ المدنى وعن الشيخ خليل احمد السهانفورى باسانيدهما.

واما حضرة العلامة شيخ الهند فانه يروى عن الحافظ الحجة مولانا قاسم النانوتوى ١٢٩٧ وعن الفقيه قطب العالم الشيخ رشيد احد الجنجوهى، كلاها عن الشيخ الحافظ الحجة الشيخ عبد الغنى ١٢٩٦ وعن الشيخ مولانا احمد على السهارنفورى ١٢٩٧ وعن الشيخ احمد سعيد المجددى، كلهم عن الشيخ الحافظ الحجة الشاه محمد اسحاق.

ح ويروى الشيخ انور الكشميرى عاليا عن الشيخ قطب العالم رشيد احمد الجنجوهى، ح ويروى شيخ الهند عاليا عن الشيخ مولانا احمد على السهارنفورى وعن الشيخ مولانا مظهر النانوتوى وعن الشيخ المقرى عبد الرحمن الفانىفتى وعن الشيخ العلامة عبد الغنى الدهلوى، كلهم عن الشيخ الاجل الشهير فى الافاق الشاه محمد اسحاق الدهلوى عن الحافظ الحجة الشاه عبد العزيز ١٢٤٩.

ح ويروى الشيخ مولانا مظهر النانوتوى عن الشيخ العلامة مملوك على عن الشيخ رشيد الدين الدهلوى عن الشاه عبد العزبز الدهلوى، ح ويروى الشيخ عبد الغنى عن والده الشيخ مولانا ابى سعيد ١٢٥٠ عن الشاه عبد العزيز الدهلوى.

ح والشاه عبد العزيز فانه يروى عن والده الامام الهمام مسند الهند الحافظ الشاه ولى الله الدهلوى، ح ويروى الشيخ انور الكشميرى عن الشيخ محمد اسحاق الكشميرى عن الشيخ السيد نعمان الالوسى عن والده الشيخ مولانا محمود الآلوسى صاحب روح المعانى باسناده، ح يروى الشيخ الكشميرى فى اسانيده الحجازية عن الشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسى الشامى عن الشيخ عبد القادر الداجانى اليا فى عن والده الشيخ محمد الجسر و الشيخ محمد بن حسن الكتبى كلاهما عن ابى عبد الله محمد بن محمد المالكى وعن الشيخ الفقيه المحدث السيد احمد الطحطاوى باسناده، وكذا يروى عن الشيخ حسين الجسر بسنده الى الشيخ محمد امين المدعو بابن عابدين الشامى باسناده.

ويروى الشيخ المدنى فى اسانيده الحجازية عن شيخ التفسير حسب الله الشافعى المكى وعن الشيخ عبد الجليل برادة المدنى وعن الشيخ عثمان عبد السلام الداغستانى مفتى الاحناف بالمدينة المنورة وعن الشيخ السيد احمد البرزنجى مفتى الشافعية بالمدينة المنورة باسانيدهم.

ويروى الشيخ خليل احمد السهارنفورى والشيخ انور الكشميرى عن الشيخ السيد احمد بن زينى دحلان مفتى الشافعية بمكة، ثم هؤلاء المشائخ اعنى السيد احمد البزنجى وحسب الله المكى وعبد الجليل برادة المدنى وعثمان عبد السلام الداغستانى يروون كلهم اجازة عن الشيخ عبد الغنى المجددى الدهلوى ثم المهاجر المدنى ايضا، فاتفق الاسنادان الهندية والحجازية من هذه الجهة.

فاما الاسناد من امام الهند الشاه ولى الله الدهلوى ١٢٧٦ الى الامام البخارى وسائر المؤلفين لكتب الصحاح فمذكـورة فى ثبته باسانيد شتى، نذكر ههنا اختصارا. ففى اسناد البخارى بقول مولانا احمد على السهارنفورى: قال الشيخ ولى الله اخبرنا الشيخ ابو طاهر محمد بن ابراهيم الكردى المدنى قال اخبرنـا والـدى الشيخ ابراهيم الكردى المدنى قال قرأت علـى الشيخ احمـد القشاشى قال اخبرنا احمد بن عبد القدوس ابو المؤهب الشـناوى قال اخبرنا الشيخ شمس الدين محمد بن احمد بن محمد الرملى عـن الشيخ زين زكريا بن محمد ابو يحيى الانصارى قال قرات علـى الشيخ الحافظ ابى الفضل شهاب الدين احمد بن على بن حجـر العسقلانى عن ابراهيم بن احمد التنوخى عن ابى العباس احمد بـن ابى طالب الحجار عن السراج الحسين بن المبارك الزبيدى عـن الشيخ ابى الوقت عبد الاول بن عيسى بن شـعيب السـجزى الهروى عن الشيخ ابى الحسن عبد الرحمن بن مظفر الداودى عـن ابى محمد عبد الله بن احمد السرخسى عن ابى عبد الله محمد بـن يوسف بن مطر بن صالح بشر الفربرى عن مؤلفه امير المؤمنين فى الحديث الشيخ ابى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخـلرى رحمه الله تعالى.

فعلى هذا الاسناد اربعة عشر وسائط من الامام الشـله ولى الله الى الامام البخارى، وله اسناد عـال ذكـره فى كتابـه المسلسلات فى الحديث المسلسل بالمشارقة فقال: شـافهنى ابـو طاهرا لكردى المدنى عن ابيه الشيخ ابراهيم الكردى عن المعمـر الصوفى عبد الله بن ملاسعد الله اللاهورى نزيل المدينة المنورة عـن

الشيخ قطب الدين النهروالى عن والده علاء الدين النهروالى عن الحافظ نور الدين ابى الفتوح احمد بن عبد الله الطاوسى عن الشيخ المعمر بابا يوسف الهروى المشهور بسه صد ساله عن الشيخ المعمر محمد بن شاد بخت عن ابى لقمان يحيى بن عمار الختلانى المعمر ١٤٣ عن ابى عبد الله محمد بن يوسف الفربرى عن صاحب الكتاب الامام البخارى.

يقول الامام الشاه ولى الله انا اروى صحيح البخارى كله بهذا السند، وهو كما ترى فى غاية العلو بينى وبين البخارى عشرة، وفى قطف الثمر وتبعه صاحب اليانع الجنى عن الشيخ عبد الخالق الزجاجى انه صح ان الشيخ قطب الدين النهروالى روى صحيح البخارى عن الحافظ نور الدين ابى الفتوح، وعلى هذا فلم تبق الا تسعة.

ويروى الشيخ عبد الغنى عن الشيخ عابد السندى ١٢٥٧ عن الشيخ صالح العمرى عن الشيخ محمد بن سنة العمرى عن الشيخ ابى الوفاء احمد بن العجلى اليمنى عن الشيخ العلامة مفتى مكة قطب الدين محمد بن احمد النهروالى عن ابى الفتوح احمد بن عبد الله الطاوسى عن العلامة المعمر بابا يوسف الهروى عن المعمر محمد بن شاد بخت الفارسى الفرغانى عن احد ابدال سمر قند ابى لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلانى عن محمد بن يوسف الفربرى عن امير المؤمنين ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله.

اقول هذا اعلى الاعالى فى الاسانيد، لان الشيخ عبد الغنى قد بلغ الى الامام البخارى بعشرة وسائط، وانا ابلغ الى الشيخ

عبد الغنى بواسطتين وهو ثالث، فللعبد هذا اسناد عال فى غاية العلو، هكذا اروى عن الشيخ المفتى الاعظم فيض الله الصاتغامى عن الشيخ محمود الحسن شيخ الهند عن الشيخ عبد الغنى وهو يروى باسناد سابق كما مر انفابعشرة واسطة الى الامام البخارى، فالمجموع ثلثة عشر و سائط ابلغ بها الى الامام البخارى، فلله الحمد والمنة اللهم بارك لنا فى علومنا ومتعنا بعلوم اسلافنا ومشائخنا واحشرنا فى زمرة هو لاء الكرام البررة مع سيدنا و مولانا محمد صلى الله عليه وسلم امين.

الذى ذكرنا من اسانيدنا الى الامام البخارى فهو من رواية تلميذه الفربرى، وقد بينا فيما ذكرنا قبل ى بيان نسخ الكتاب انه سمع البخارى من مولفه تسعون الفا، لكن الرواية عن الامام ثبتت من خمس فقط، من طريق ابى عبد الله محمد بن يوسف الفربرى المتوفى ٣٢٠، ومن طريق ابراهيم بن معقل بن الحجاج النسفى المتوفى ٢٩٤، ومن طريق حماد بن شاكر النسفى المتوفى ٣١١، ومن طريق ابى طلحة منصور بن محمد البزدوى المتوفى ٣٢٩، و من طريق القاضى الحسين بن اسماعيل المحاملى المتوفى ٣٣٠.

قال العلامة الكوثرى: هذا البخارى لولا ابراهيم بن معقل النسفى وحماد بن شاكر الحنفيان لكاد ينفرد الفربرى عنه فى جميع الصحيح سماعا، كما كاد ان ينفرد ابراهيم بن محمد بن سفيان الحنفى عن مسلم سماعا.

قال الحافظ العسقلانى فى المقدمة: والرواية اتصلت بالسماع فى هذه الاعصار و ما قبلها هى رواية محمد بن يوسف

الفربرى، وذكر الحافظ فى الفتح اسانيده الى هولاء الثلاثة اعنى الفربرى وابراهيم بن معقل النسفى و حماد بن شاكر، وقال النووى: اعلم ان صحيح البخارى متواتر عنه واشتهر عنه من رواية الفربرى روينا عن الفربرى وعنه خلائق، اقول لا يذهب عليك ما تقدم فى عدد روايات البخارى عن السيوطى، ان رواية حماد بن شاكر دون رواية الفربرى بمائتى حديث ورواية ابراهيم بن معقل دونهما ثلثمائة حديث.

فالنسخة التى بايدينا فهى من رواية الفربرى، فلذا اشتهر اسناده الى الفربرى فى هذه الاعصار وما قبلها، ولكن استحسنا ان اذكر الاسناد من طريق الحنفين اعنى ابراهيم بن معقل و حماد بن شاكر ايضا، لاصل نسخة البخارى لتحصيل البركة والنسبة من هذين الطريقين.

فاما الاسناد من طريق ابراهيم بن معقل النسفى الحنفى، فانا ارويه باسانيدى الى شيخ الهند، ثم باسانيده الى الشيخ ولى الله، ثم باسانيده التى ذكرت فى طريق الفربرى الى الشيخ الحافظ ابن حجر العسقلانى فهو عن ابى على محمد بن احمد بن على عن يحيى بن محمد بن سعد عن جعفر بن على الهمدانى عن عبد الله بن عبد الرحمن الديباجى عن عبد الله بن محمد بن محمد بن على البابلى عن ابى على الحسين بن محمد الجيانى عن الحكم بن محمد عن ابى الفضل عيسى بن ابى عمران الهروى عن ابى صالح خلف بن محمد بن اسماعيل البخارى عن ابراهيم بن معقل النسفى عن الامام البخارى رحمه الله.

واما رواية حماد بن شاكر النسفى الحنفى فارويه باسانيدى الى الامام الشاه ولى الله ثم الى الشيخ الحافظ ابن حجر: وهو عن احمد بن ابى بكر بن عبد الحميد عن ابى الربيع بن ابى طاهر بن قدامة عن الحسن بن السيد العلوى عن ابى الفضل بن ناصر الحافظ عن ابى بكر احمد بن على بن خلف عن الحاكم ابى عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ عن احمد بن محمد بن رميح النسفى عن حماد بن شاكر النسفى عن الامام البخارى رحمه الله تعالى، فاتصلت هذه الطرق الثلاثة منا الى الامام البخارى رحمه الله فلله الحمد والمنة.

اما فى اسناد الصحيح لمسلم يقول الامام الحافظ الحجة الشاه ولى الله: اخبرنى به الشيخ ابو طاهر عن والده الشيخ ابراهيم الكردى المدنى عن الشيخ سلطان بن احمد المزاحى قال: اخبرنى الشيخ احمد السبكى عن النجم الغيطى عن الزين زكريا عن ابى الفضل الحافظ ابن حجر العسقلانى عن الصلاح بن ابى عمرو المقدسى عن على بن احمد بن البخارى عن المؤيد السطوسى عن ابى عبد الله الفراوى عن عبد الغافر الفارسى عن ابى احمد محمد بن عيسى الجلودى عن ابى اسحاق ابراهيم بن محمد عن مولفه الامام مسلم بن الحجاج رحمه الله.

اما فى اسناد الجامع الترمذى فقال الشيخ ولى الله اخبرنا الشيخ ابو طاهر عن والده الشيخ ابراهيم الكردى عن الشيخ سلطان بن احمد المزاحى قال: اخبرنى الشيخ احمد السبكى عن النجم الغيطى عن الزين زكريا عن العز عبد الرحيم عن الشيخ عمر المراغى عن الفخر بن البخارى عن عمر بن طبرزد البغدادى قال: اخبرنا ابو الفتح عبد الملك بن عبد الله بن سهل الهروى الكروخى قال: اخبرنا القاضى الزاهد ابو عامر محمد بن القاسم بن محمد الازدى والشيخ ابو نصر عبد العزيز بن محمد بن على بن ابراهيم الترياقى والشيخ ابو بكر احمد بن عبد الصمد بن ابى الفضل ابى حامد الغورجى قراة عليهم وانا اسمع قالوا: اخبرنا ابو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن ابى الجراحى المروزى المرزبانى قراة عليه قال: اخبرنا ابو العباس محمد بن احمد بن محمود بن فضيل المحبوبى قال: اخبرنا ابو عسيى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذى رحمه الله.

واما فى اسناد سنن النسائ فقال الامام الشاه ولى الله: باسناده كما مر الى الشيخ زين زكريا عن الشيخ عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات عن الشيخ ابى حفص عمر بن الحسن المراغى عن الشيخ فخر الدين بن البخارى عن الشيخ ابى المكارم احمد بن محمد الليان عن الشيخ ابى على حسن بن

احمد الحداد عن القاضى ابى نصر احمد بن الحسن الكسارى عن الحافظ ابى بكر احمد بن محمد الدينورى عن مؤلفه الامام ابى عبد الرحمن احمد بن شعيب بن على النسائ رحمه الله.

واما فى اسناد سنن ابى داؤد فقال الشيخ ولى الله الدهلوى: اخبرنى الشيخ ابو طاهر محمد بن ابراهيم عن الشيخ الاجل الحسن بن على العجيمى عن الشيخ عيسى المغربى عن الشيخ شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجى عن الشيخ المسند بدرالدين الحسن الكرخى عن الحافظ جلال الدين السيوطى عن الشيخ محمد بن مقبل الحلبى عن الصلاح بن ابى عمرو المقدسى عن ابى الحسن على بن محمد بن احمد البخارى عن ابى حفص عمر بن طبرزد البغدادى عن ابى الوليد ابراهيم بن منصور الكرخى وابى الفتح مصلح بن احمد بن محمد الدومى كلاهما عن الحافظ ابى بكر احمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى قال: اخبرنا الامام القاضى ابو عمر اللؤلؤى قال: حدثنا ابو داؤد سليمان بن اشعث السجستانى رحمه الله تعالى.

واما فى اسناد الموطأ فقال الشاه ولى الله الدهلوى: اخبرنا بجميع ما فى الموطا برواية يحيى بن يحيى الشيخ محمد وفد الله المكى المالكى قرأة منى عليه من اوله الى اخره بحق سماعه لجميعه على شيخ الحرم المكى حسن بن على العجيمى والشيخ عبد الله بن سالم البصرى المكى قال: اخبرنا الشيخ عيسى

المغربى سماعا من لفظه فى المسجد الحرام بقرأته لجميعه على الشيخ السلطان بن احمد المزاحى بقراته لجميعه على الشيخ احمد بن خليل هو السبكى بقرأته لجميعه على النجم الغيطى بسماعه لجيمعه على الشرف عبد الحق بن محمد السنباطى بسماعه لجميعه على بدرالحسن بن ايوب الحسينى النسائية بسماعه على ابى عبد الله بن محمد بن جابر الوادبا شى عن ابى محمد عبد الله بن محمد هارون القرطبى سماعا عن القاضى ابى القاسم احمد بن يزيد القرطبى سماعا عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجى القرطبى سماعا عن ابى عبد الله محمد بن فرح مولى من الطلاع سماعا عن ابى الوليد بن عبد الله بن مغيث الصفار سماعا عن ابى عيسى يحيى بن عبد الله سماعا قلل اخبرنا عم والدى عبيد الله بن يحيى سماعا قال اخبرنا والدى يحيى الليشى المصمودى سماعا عن امام دار العجرة مالك بن انس الا ابواب ثلثة من اخر الاعتكاف فعن زياد بن عبد الرحمن عن الامام مالك بن انس رحمه الله تعالى.

واما فى اسناد سنن ابن ماجه فقال الشيخ الشاه ولى الله: باسناده المذكور فى البخارى الى الشيخ زين زكريا الانصارى عن الحافظ ابن حجر العسقلانى عن الشيخ ابى الحسن على بن ابى المجد الدمشقى عن الشيخ ابى العباس الحجار عن الا نجب بن السعادات عن الحافظ ابى زرعة عن

الفقيه ابى منصور محمد بن الحسن بن احمد القزوينى عـــن ابى طلحة القاسم ابن المندز الخطيب عن ابى الحسن علـــى بـــن ابراهيم بن سلمة بن البحرالقطان عن المؤلف ابى عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة القروينى رحمه الله. فالى هذا مـــا ذكرنا كان بيان الاسانيد مـــن العبـــد الى مؤلفـــى الكتـــب الصحاح.

وللعبد اسناد آخر فى مناسبة المسلســـلات والـــدر الثمين ومسند الجن المسمى بالنوادر كل هذه للامام الشاه ولى الله الدهلو رحمه الله تعالى، وهو هكذا اروى هذه المجموعة عن الشيخ رئيس الجامعة الاسلامية دار العلوم ديوبند مولاناالقاري محمد طيب عن الشيخ العلامة خليل احمد السهارنفورى عـــن الشيخ العلامة عبد القيوم بن مولانا عبد الحى البدهانوى عـــن العلامة الشاه اسحاق عن الامام الشاه عبد العزيز عن والـــده الامام الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى.

و ايضا بهذا الاسناد حصلت اجازة الحديث الخـــاص المسمى الحديث المسلسل بالضيافة بالاسود ين التمر والمـــاء، فلله الحمد والمنة،

الفائدة الثالثة والثلا ثون
فى تعريف الحديث لغة واصطلاحا

قال السيوطى: الحديث ضد القديم: وقد استعمل فى قليل الخبر و كثيره، لانه يحدث شيئا فشيئا قال الحافظ ابن حجر العسقلانى: المراد بالحديث فى عرف الشرع: ما يضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم، وكانه اريد به مقابلة القران لانه قديم.

وقال الشيخ العلامة شبير احمد العثمانى فى مقدمة فتح الملهم: اعلم ان اطلاق الحديث على ما يضاف اليه صلى الله عليه وسلم مقتبس من قوله تعالى "واما بنعمة ربك فحدث"، فانه سبحانه تعالى عدد اولا فى سورة والضحى مننه العظيمة على نبيه صلى الله عليه وسلم من ابوائه بعد يتمه، واغنائه بعد عيله، وهدايقه بعد ما و جده هالا، اى وجده غافلا عن الشرائع التى لا تستبد العقول بدركها، كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان، فهداه الى مناهجها فى تضاعيف ما اوحى اليه من الكتاب المبين، وعلمه ما لم يكن يعلم: ثم رتب على هذه المنن الثلاثة، امورا ثلاثة، اى النهى عن قهر اليتيم والنهى عن نهر السائل والامر

بتحديث النعمة، والاقرب الى الذوق السليم ان هذا الـــترتيب بطريق اللف والنشر المشؤش دون المرتب كما زعمه بعضهم.

و حاصل المعنى انك كنت يتيما و ضالا و عــائلا، فاواك وهداك واغناك، فمها يكن من شئ فلا تنس نعمـــة الله تعالى عليك فى هذه الثلاث، واقتد با الله تعالى فتعطف علـــى اليتيم وترحم على السائل فقد ذقت اليتم والفقر، وقوله تعـالى اما بنعمة ربك فحدث هو فى مقابلة قوله تعالى ووجدى ضالا فهدى، اى حق هذه النعمة الجسيمة التى هى الهدايـــة بعــد الضلال، وكان ليس ما سواها فى جنبها نعمـــة ليـس الا ان تحدث بها عباد الله تعالى و تشيعها فيهم و تبين لهم ما نـــزل اليهم، وظاهر ان اقواله وافعاله صلى الله عليه وســلم الــتى سميناها احاديث انما جلها شرح و تبيين لما هــداه الله بهــا، و تحديث وتنويه لما انعم الله عليه من صنوف الهدايــة و فنــون الارشاد.

قلت هذا الذى قاله المحقق العلامة قول حسن، والذى يظهر عند العبد الضعيف وكان يقوله منذ عشرين سنة بـــان الحديث الذى عند علماء هذا الفن فهو مأخوذ من الحديـــث مثل قوله عليه السلام اللهم ارحم خلفائ قلنا يا رســول الله: ومن هم خلفائك؟ قال الذين ياتون من بعدى يروون احاديثى ويعلمونها الناس، ومثل قوله عليه السلام: من حــدث عــنى

بحديث يرى انه كذب فهو احد الكــاذبين، و قولــه عليــه السلام: من حفظ على امتى اربعين حديثا فى امر دينها بعثه الله فقيها و كنت له يوم القيامة شافعا و شهيدا، وغيرهــا مــن الاحاديث وهكذا كان يقوله بعض المحدثين فى العصر الحاضر.

ولما امعنت النظرفا قول: بان فى لفظ الحديـث لـه جهتان، الجهة الاولى بان لفظ الحديث الذى يوجد فى القـران والحديث ما ذا اصله، فاذا القول الذى قاله السيوطى او الشيخ العثمانى يكون له وجه، واما الجهة الثانية بان لفظ الحديـث الذى مستعل فى مصطلح علماء هذا الفن، يمكن ان يقال بـان عنوان اصطلاح الحديث فى كتب علم الحديث وعند علمائـه انما هو ماخوذ من اصطلاح القران والحديث فحينئذ يصح مـا قلنا وما قال هؤلاء العلماء الكبار معا من غير مشـاحة والله اعلم.

ثم اختلف فى تعريف الحديث لان علم الحديث لما كان فى قديم الزمان حاويا لرواية الحديث ودرايته اختلـط كـلام المشائخ فيه، فعرف بعضهم بما يصدق على اصول الحديـث، و عرف البعض بما يصدق على درايته، قال الزرقانى فى شـرح البيقونيه: ان علم الحديث علم بقوانين او قواعد يعرف بهـا احوال السند والمتن من صحة و حسن.

وقال السيوطى فى الفيته: علم الحديث ذوقوانين تحد يدرى بها احوال متن وسند، وغير ذالك فكل هذه التعاريف لنوع خاص من علم الحديث اى اصول الحديث، و لكن علم الحديث باطلاقه عام كلى يتضمن جملة من الانواع، والذى نحن فى صدده يسمى علم رواية الحديث.

قال الحافظ العينى: هو علم يعرف به اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله واحواله، و كذا قاله الكرمانى، وفى فتح الباقى شرح الفية العراقى، الحديث ويرادفه الخبر على الصحيح، ما اضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم، قيل او الى الصحابى او الى من دونه، قولا او فعلا او تقريرا او صفة، و يعبر عن هذا بعلم الحديث، و يحد بانه علم يشتمل على نقل ذالك "

وفى التدريب قال ابن الاكفانى: علم الحديث الخاص بالرواية علم يشتمل على اقوال النبى صلى الله عليه وسلم و افعاله وروايتها وضبطها وتحرير الفاظها، و قال الشيخ زكريا: والاوجه عندى فى حد علم رواية الحديث، علم يبحث فيه عن اقوال النبى صلى الله عليه وسلم و افعاله واحواله من حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا وغير ذالك، اما موضوعه فقال الكرمانى: وهو ذات الرسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول.

وقال السيوطى: و لم يزل شيخنا العلامة محى الدين الكافيجى يتعجب من قوله ان موضوعه ذات الرسول، ويقول هذا موضوع الطب لا موضوع الحديث، وانا اتعجب من الكافيجى: كيف التبس عليه ذالك بالطب، فان ذاته صلى الله عليه وسلم من حيث انه نبى او رسول الله لا مدخل للطب فى ذالك، نعم لو تعجب من ان هذا موضوع لمطلق علم الحديث الجامع لا نواعه كان وجيها، اما المخصوص بعلم الرواية فيكون موضوعه ايضا مخصوصا، فقيل موضوعه ذات النبى صلى الله عليه وسلم من حيث اقواله وافعاله وتقريراته واوصافه كذا فى لقط الدرر.

و قال الشيخ زكريا: والاوجه عندى ان موضوعه المرويات والروايات من حيث الاتصال والانقطاع، واما ذاته الشريفة فموضوع لمطلق علم الحديث دون النوع الخاص منه وهو علم رواية الحديث، وقال الطيبى: الحديث اعم من ان يكون قول النبى صلى الله عليه وسلم او الصحابى او التابعى و فعلهم وتقريرهم، وقال الحافظ فى شرح النخبة: الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث فيطلقان على المرفوع، وعلى الموقوف والمقطوع وقيل الحديث ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم، والخبر ما جاء عن غيره، وقيل بينما عموم وخصوص مطلقا، فكل حديث خبر ولا عكس.

وقال العلامة عبد الحى اللكنوى فى ظفر الامانى: واما الاثر فهو لغة البقية من الشيئ يقال اثر الدار لما بقى منها، واصطلاحا هوالمروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او صحابى او تابعى مطلقا، و بالجملة مرفوعا كان او موقوفا، وعليه جمهور المحدثين من السلف والخلف و هو المختار عند الجمهور كما ذكره النووى فى شرح مسلم، و بهذا المعنى سمى الحافظ الطحاوى كتابه شرح معانى الاثار المختلفة الماثورة مع انه شرح فيه الاحاديث المرفوعة ايضا، وللطبرى كتاب سماه تهذيب الاثار مع انه مخصوص بالمرفوع، وما ذكر فيه من الموقوف فبطريق التطفل والتبع، ومنه قولهم الادعية الماثورة لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واصطلح الفقهاء الخراسانيون ومن تبعهم على ان الحديث اسم المرفوع، والاثر اسم للموقوف على الصحابة والتابعين.

وقال العلامة القاضى محمدا على التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون لاصل الحديث: اولها الطالب وهو المبتدى الراغب فيه ثم المحدث وهو الاستاذ الكامل وكذا الشيخ والامام بمعناه، ثم الحافظ وهو الذى احاط علمه بمأة الف حديث متنا واسناد او احوال رواة جرحا وتعديلا وتاريخا ثم الحجة و هو الذى احاط علمه بثلاث مأة الف حديث، كذالك قاله ابن المطرى، وقال الجرزى: الراوى ناقل الحديث

بالاسناد، والمحدث من تحمل روايته واعتنى بدرايته، والحافظ من روى ما يصل اليه ووعى ما يحتاج لديه، قال فى التدريب: قال الشيخ تقى الدين السبكى انه سأل الحافظ جمال الدين المزى عن حد الحفظ الذى اذا انتهى اليه الرجل جاز ان يطلق عليه الحافظ، قال: يرجع الى اهل العرف.

قال الشيخ عبد الفتاح ابو غدة فى حاشية قواعد علم الحديث: هذا هو الصواب، لان مدار ذالك فى كل زمان على عرف اهله، فالمحدث فى زماننا: من كان كثير الاستغال بمطابعة كتب الحديث و درسه و تدريسه باجازة الشيوخ له مع معرفة معانى الحديث رواية ودراية، والحافظ من اذا سمع الحديث عرف انه فى الصحاح ام فى غيرها وكان يحفظ الف حديث فصاعدا بالمعنى، والحجة من كان قوله ان فى الحديث كذا حجة بين اقرانه لا ينكرونه عليه.

وقال العلامة الزاهد الكوثرى: بان هذه اصطلاحات متأخرة لم تعرف فى السلف، وقدسمى الحافظ الذهبى كتابه تذكرة الحافظ وترجم فيه بجماعات من الصحابة وغيرهم و لم يرو كثير منهم عشر العدد الذى ذكروه فى الحافظ والحجة والحاكم، و انكر الشيخ عبد الله الغمارى وجود مرتبة الحاكم بين مراتب الحفاظ، وقال فى مقدمة كتابه الكتر الثمين وليس لفظ الحاكم من القاب الحفظ، خلافا لما نقله الباجورى فى

اول حاشية الشمائل وقال فى حاشية النخبة عن شرح الشرح، الحاكم هو الذى احاط علمه بجميع الاحاديث متناو اسنادا واحوال رواة جرحا وتعديلا وتاريخا، وكذا قاله جماعة من المحققين، و كذا قاله حسين خاطر المالكى فى لقط الدرر.

وقال ابن سيدا الناس: والمحدث فى عصرنا من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواة واطلع على كثير من الرواة و الروايات فى عصره و تميز فى ذالك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه، فان توسع فى ذالك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه فى كل طبقة مما يجهله منها فهذا هو الحافظ.

الفائدة الرابعة والثلاثون
فى اقسام التواتر

التواتر عند الامام الكشميرى اربعة اقسام (١) تواتر الاسناد: وهو ان يروى الحديث من البداية الى النهاية جماعة يستحيل عادة ان يتواطئوا على كذب فى كل قرن من القرون الثلاثة، وهذا تواتر المحدثين، كحديث من كذب على متعمدا الخ حيث رواه ثلاثون من الصحابة بطرق صحيحة او حسنة كما فى الفتح للحافظ ابن حجر، وكاحاديث ختم النبوة جاوزت مائة و خمسين حديثا، منها نحو ثلاثين فى الصحاح الستة، وكاحاديث نزول عيسى عليه السلام ما يربو على ستين حديثا بين صحاح و حسان، ومن هذا القبيل احاديث المسح على الخفين حيث بلغت الى سبعين حديثا، كما قاله تقى الدين ابن دقيق العيد فى الامام، حكاه الزيلعى فى نصب الراية والعراقى فى التقييد والايضاح، واحاديث من كذب على الخ او صلها ابن الجوزى الى ثمانية و تسعين، كما قاله العراقى فيما كتبه على المقدمة من التقييد والايضاح، وراجعه تجد هناك ابحاثا وفوائد، وحكى النووى عن بعضهم رواه مائتان من الصحابة.

(٢) تواتر الطبقة وهو ان يأخذ طبقة عن طبقة، وهكذا من بدئه الى ختامه من دون التزام لتواتر الاسناد فيه، كتواتر القران على بسيط الارض شرقا وغربا درسا وتلاوة حفظا وقراءة، فتلقاه الكافة عن الكافة طبقة بعد طبقة وقرنا بعد قرن، وهو فوق تواتر الاسناد بحيث لوجزأناه قطعا واجزاء لكفى جزء من الف جزئه لافادة العلم اليقين، وجزء من الف جزء اقوى و اتقن من تواتر اسنادهم، وهذا التواتر هو ما يعنونه فى كثير من كتب الفقه فهو تواتر الفقهاء فى اكثر تعبيراهم ومصطلحاهم، ولا يحتاج هذا القسم من التواتر الى اسناد يكون عن فلان عن فلان، بل لو طلبنا تواتر اسناد كل اية من التنزيل لا عوزنا ذالك ولعجزنا عنه، ومع هذا فلا يوازيه تواتر الاسناد.

(٣) تواتر العمل وبلفظ اخر هو التعامل والتوارث: وهو ان يتوارث فى المسلمين عمل فى كل قرن من القرون من اعمال العبادات والشرائع فيستبعد خطأه كل الاستبعاد بل يكاد يكون خطأه مستحيلا، و من هذا القبيل عند الشيخ الكشميرى: العمل برفع اليدين و ترك الرفع عند الركوع وبعد الركوع كلاهما متواتر بهذا التواتر، وهذا القسم الثالث يقرب من الثانى.

(٤).تواتر القدر المشترك: و هوان تكون امور مروية بطرق كثيرة غير ان كل امر منها يكون مرويا بالاحاد، ثم هذه الامور المروية بطريق الاحاد تتفق على قدر مشترك فى جميعها، وهذا كتواتر المعجزة، فان افرادها وان كانت من اخبار الاحاد ولكن القدر المشترك فيها واحد وهو متواتر، و حكم الثلاثة الاول تكفير جاحدها ومنكرها واما الرابع فحكمه كذالك ان كان بديهيا، وان كان نظريا فلا، هذا ما افاده الشيخ الكشميرى فى اوائل اكفار المحدثين وفى نيل الفرقدين، وقال الشيخ العثمانى فى مقدمة فتح الملهم واول من ربع المتواتر وسمى كل قسم منه باسم هو العلامة الشيخ الانور رحمه الله انظر معارف السنن للشيخ البنورى،

الفائدة الخامسة والثلاثون
فى جواز الرواية بالمعنى

اختلف الناس فى انه هل يجوز نقل الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بالمعنى ام لا، ففيه فريقان، فريق يجوزه مثل الامام ابى حنيقة والشافعى ومالك واحمد والحسن البصرى واكثر الفقهاء، وبعض المحدثين اشترطوا امورا ثلاثة، الاول ان لا تكون الترجمة قاصرة عن الاصل فى افادة المعنى، والثانى ان لا يكون فيها زيادة ولا نقصان، والثالث ان تكون الترجمة مساوية للاصل فى الجلاء والخفاء، لان الخطاب قديقع بالمحكم والمتشابه لحكمة خفية فلا يجوز تغييرها عن وصفها.

واحتجوا بوجوه، الاول بان الصحابة نقلواقصة واحدة مذكورة فى مجلس واحد بالفاظ مختلفة ولم ينكر بعضهم على بعض فيه، وهذا يدل على قبوله، والثانى يجوز شرح الشرع للعجمى بلسانه، وهو ابدال العربية بالعجمية فبالمعربية اولى، والثالث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم: ان اصبتم المعنى فلا باس، وهذا الحديث قد اختلف فيه العلماء فقال بعض المحدثين: انه مضطرب، وبعضهم قال: انه موضوع، وقال السحاوى: فيه نظر، بعضهم سلمه بالضعف، وعلى هذا استدلوا.

الرابع كان بعض الصحابة اذا يروى الاحاديث يقول بعد الرواية اوكما قال او نحوه او مثله وغير ذالك، كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه يحدث يوما عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد علاه كرب و جعل العرق ينحدر منه عن جبينه، وهو يقول فوق ذالك واما دون ذالك واما قريب من ذالك، الخامس نعلم قطعا ان الصحابة لم يكتبوا ما نقلوه ولا كرروه بل كما سمعوا اهملوا الى وقت الحاجة بعد مدد متباعدة، وذالك يوجب القطع بانهم لم ينقلوا نفس اللفظ بل المعنى.

السادس بان اللفظ غير مقصود بالذات، وانما القصد المعنى، واللفظ اداة فى استعلامه، فلا فرق لاثبات ذالك المعنى باى لفظ اتفق، السابع قال مكحون وابو الازهر دخلنا على واثلة رضى الله عنه فقلنا له حدثنا بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه وهم ولا تزايد ولا نسيان، فقال هل قرأ احد منكم من القران شيئا فقلنا نعم وما نحن له بحافظين جدا، قال فهذا القران مكتوب بين اظهركم لا تالونه حفظا، وانتم تزعمون انكم تزيدون فيه وتنقصون منه، فكيف باحاديث سمعناها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ان لا تكون سمعناها الامرة واحدة، حسبكم اذا حدثناكم بالحديث على المعنى، و الثامن احتج حماد بن سلمة بان الله

تعالى اخبر عن موسى عليه السلام وعدوه بالفاظ مختلفـــة فى معنى واحد، كقوله بشهاب قبس و قبس او جذوة من النـــار، وكذالك قصص سائر الانبياء عليهم السلام فى القران، وقولهم لقومهم بالسنة مختلفة، وانما نقل الينا ذالك بالمعنى.

ويقول فريق بان الرواية بالمعنى لا تجوز، و احتجوا بوجوه، الاول قوله عليه السلام نضر الله امراسمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها، هذا يصرح بانه اداء اللفظ المسموع، والثانى بان بالمتأخرين يستخرجون فوائد من الفاظ النبى صلى الله عليه وسلم ما لم يسبقه المتقدم عليه، وهذا لا يكون الا اذا يكون الحديث مرويا بلفظه، كما روى عن شعبة انه سمع عن اسماعيل بن علية حديث النهى عن ان يتزعفر الرجل، فرواه بالمعنى بلفظ: نهى عن التزعفر، فانكر اسماعيل ذالك، لان هذا يدل على العموم، مع ان الرواية فى الاصل مختصة بالرجال، والثالث انه روى انه عليه السلام علم رجلا ما يقول حين اخذ مضجعه، فرد عليه صلى الله عليه وسلم اسمعه، وقال ورسولك، فقال عليه السلام لا و نبيك، قال السخاوى: يحتمل ان المنع عنه لكون الفاظ الاذكار توقيفية فلها خصائص واسرار لايدخلها القياس فيجب المحافظة على اللفظ الذى ورد به الحديث.

ثم للمجيزين فيه ثمانية اقوال ذكرها الجزائرى، الاول قول من فرق بين الالفاظ التى لا مجال للتاويل فيها وبين الالفاظ التى لتاويل فيها مجال، فاجاز الرواية بالمعنى فى الاولى دون الثانية، نقل ذالك ابو الحسين القطان عن بعض اصحاب الشافعى، والثانى قول من فرق بين الاوامر والنواهى وبين

غيرها، فاجازالرواية بالمعنى فى الاولى دون الثانية، قال الماوردى والرؤيانى: شرط الرواية بالمعنى ان يكون ما جاء به مساويا للاصل فى الجلاء والخفاء، والا فيتمنع، الثالث قول من فرق بين من يستحضر لفظ الحديث وبين من لا يستحضر لفظه بل نسيه وانما بقى فى ذهنه معناه، فاجاز الرواية بالمعنى للثلن دون الاول، وهذا القول اقوى الاقوال، لان الرواية بالمعنى انما اجازها من اجازها من العلماء الاعلام للضرورة، ولا ضوورة الافى هذه الصورة والافلا كمال فى تبديل كلام النبى صلى الله عليه وسلم مع استحضاره لها بالفاظ من عنده ثم ينسبها الى النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ فى صدورها منه وهكذا قال الماوردى.

الرابع قول من فرق بينهما غير انه عكس الحكم، فاجاز الرواية بالمعنى لمن يستحضر اللفظ لتمكنه حينئذ من التصرف فيه با يراد الفاظ تقوم مقام تلك الالفاظ فى المعنى، ولم يجزها لمن لا يستحضر اللفظ بعدم تمكنه من ذالك، ولم يكتف بوجود المعنى فى الذهن فقط، القول الخامس قول من اجاز الرواية بالمعنى بشرط ان يقتصر فى ذالك على ابدال اللفظ بمرادفه مع بقاء تركيب الكلام على حاله، وذالك لان تغيير تركيب الكلام كثيرا ما يخل بالمرام، بخلاف ابدال اللفظ بمرادفه فانه يفى بالمقصود من غير محذور، وهو قول قوى وقدا

دعى بعض العلماء ان هذا جائز بلا خلاف، القول السادس قول من فرق بين من يورد الحديث على قصد الاحتجاج او الفتيا وبين من يورده لقصد الرواية، فاجاز الرواية بالمعنى للاول دون الثانى.

القول السابع قول من اجاز الرواية بالمعنى للصحابة خاصة، وذالك لامر بن احدهما كوهم من ارباب اللسان الواقفين على ما فيه من اسرار البيان، وثانيهما سماعهم اقوال النبى صلى الله عليه وسلم مع مشاهدهم لافعاله ووقوفهم على احواله بحيث وقفوا على مقصده جملة، فاذا رووا الحديث بالمعنى استوفوا المقصد كله، على انهم لم يكونوا يروون بالمعنى الا حيث لم يستحضروا اللفظ، واذا رووا بالمعنى اشاروا فى اكثر الاحيان الى ذالك، فصارت النفس مطمئنة مما يروونه بالمعنى، بخلاف من بعدهم فانهم لم يكونوا فى درجتهم فى معرفة اللسان و الوقوف بالطبع على اسرار البيان، مع عدم سماعهم بشئ من اقواله عليه السلام ولا مشاهدهم لشئ من افعاله ولا وقوفهم على حال من احواله، قد حكى هذا القول الماوردى والرؤيانى، وجزما بانه لا يجوز لغير الصحابى الرواية بالمعنى، وجعلا الخلاف فى المسألة فى الصحابى دون غيره، وقد استدل بعهضم على ان بعض الصحابة كانوا يروون الاحاديث بالمعنى، كماروى عن بعض التابعين انه قال لقيت انا سا من

الصحابة فاجتمعوا فى المعنى واختلفوا فى اللفظ، فقلت ذالك لبعضهم؟ فقال لا بأس به ما لم يخل معناه، حكاه الامام الشافعى وبما روى عن جاير من عبد الله عن حذيفة انه قال انا قوم عرب نورد الاحاديث فنقدم ونوخر.

والقول الثامن قول من اجاز الرواية بالمعنى للصحابة والتابعين فقط، ومنع ذالك عن غيرهم، لان الحديث اذا قيده الاسناد وجب ان لا يختلف لفظه فيدخله الكذب، وذالك لان الرواية بالمعنى لاسيما ان تعدد الراوون بها توجب رواية الحديث على وجوه شئ مختلفة فى اللفظ، والاختلاف فى اللفظ كثيرا ما يوجب الاختلاف فى المعنى، وان كان يسيرا بحيث لا يشعر به الا قليل من اهل الفضل والنبل، والاختلاف فى المعنى يدل على ان ذالك الحديث لم برو كما ينبغى، بل وقع خطأ فى بعض رواياته او فى جميعها فيكون فيها ما لم يقله النبى صلى الله عليه وسلم، وهذا المحذور انما يظهر بعد تدوين الحديث وتقييده بالاسناد، فاذا منع اتباع التابعين فمن بعدهم من الرواية بالمعنى لم يظهر ذالك المحذور، وقد كان التابعون فريقين فريق يورد الاحاديث بالفاظها، وفريق يوردها بمعانيها روى عن ابن عون انه قال كان الحسن وابراهيم والشعبى يأتون بالحديث على المعانى، و كان القاسم بن محمد وابن

سيرين و رجاء بن حيواة يعيدون الحديث على حروفه، الى ههنا تم بيان الاقوال الثمانية فختصرا.

ومع كل ذالك لا شك: ان الاولى ايراد الحديث بالفاظه دون التصرف فيه، قال القاضى عياض ينبغى سدباب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن انه يحسن، كما وقع لكثير من الرواة قديما وحديثا، قال ابن الصلاح: ينبغى لمن يروى حديثا بالمعنى ان يتبعه بان يقول او كما قال او نحو هذا وما اشبه ذالك من الالفاظ، روى ذالك من الصحابة عن ابن مسعود وابى الدرداء وانس، وقال الخطيب: والصحابة ارباب اللسان واعلم الخلق بمعانى الكلام و لم يكونوا يقولون ذالك الاخوفا من الزلل لمعرفتهم بما فى الرواية بالمعنى من الخطر.

قال الشيخ امام الهند الشاه ولى الله الدهلوى، وقد يختلف صبغ حديث لاختلاف الطرق، وذالك من جهة نقل الحديث بالمعنى، فان جاء حديث و لم يختلف الثقات فى لفظه، كان ذالك لفظه صلى الله عليه وسلم ظاهرا و امكن الاستدلال بالتقديم والتاخير والواؤ والفاء و نحو ذالك من المعانى الزائدة على اصل المراد، وان اختلفوا اختلافا محتملا وهم متقاربون فى الفقه والحفظ والكثرة سقط الظهور، فلا يمكن الاستدلال بذالك الاعلى المعنى الذى جاءوا به جميعا، و جمهور الرواة كانوا يعتنون برؤس المعانى لا بحواشيها، وان اختلفت مراتبهم اخذ بقول الثقة والاكثر والاعرف بالقصة.

وفى قنو الاثر، الاصح ان الحديث ان كان مشتركا او مجملا او متشابها او من جوامع الكلم لم يجز نقله بالمعنى، او محكما جاز للعالم باللغة او ظاهرا يحتمل الغير كعام يحتمل الخصوص او حقيقة تحتمل المجاز جاز للمجتهد فقط، ثم متى خفى معناه احتيج فى معرفة المعانى الافرادية الى الكتب المصنفة فى شرح الغريب، وفى معرفة المعانى التركيبية المشكلة الى الكتب المصنفة فى شراح معانى الاخبار.

وقال ابو عمرو بن الصلاح فى مقدمته: اذا اراد رواية ما سمعه على معناه دون لفظه، فان لم يكن عالما عارفا بالالفاظ ومقاصدها وخبيرا بما يخل معانيها وبصيرا بمقادير التفاوت بينها فلا خلاف انه لا يجوز له ذالك، وعليه ان لا يروى ما سمعه الاعلى اللفظ الذى سمعه من غير تغيير، فاما اذا كان عالما عارفا بذالك فهذا مما اختلف فيه السلف واصحاب الحديث وارباب الفقه والاصول، فجوزا كثرهم و لم يجوزه بعض المحدثين و طائفة من الفقهاء والاصوليين من الشافعيين وغيرهم، و منعه بعضهم فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، واجازه فى غيره، والاصح جواز ذالك فى الجميع اذا كان عالما بما وصفناه قاطعا بانه راى معنى اللفظ الذى بلغه، لان ذالك هوالذى تشهد به احوال الصحابة والسلف الاولين، وكثيرا ما كانوا ينقلون معنى واحدا فى امر واحد بالفاظ مختلفة، وما ذالك الا لان معولهم كان على المعنى دون اللفظ،

الفائدة السادسة والثلاثون
فى اقسام طرق نقل الحديث وتحمله

اعلم ان طرق الحديث وتحمله على انواع متعددة، ولنقدم على بيانها بيان امور، احدها يصح التحمل قبل وجود الاهلية، فتقبل رواية من تحمل قبل الاسلام وروى بعده، وكذالك رواية من سمع قبل البلوغ وروى بعده، و منع من ذالك قوم فاخطأوا، لان الناس قبلوا رواية احداث الصحابة كالحسن بن على وابن عباس وابن الزبير و النعمان بن بشير واشباههم من غير فرق ما بين تحملوه قبل البلوغ و ما بعده، ولم يزالوا قديما و حديثا يحضرون الصبيان مجالس الحديث والسماع و يعتدون بروايتهم لذالك، والله اعلم.

الثانى قال ابو عبد الله الزبيرى: يستحب كتب الحديث فى العشرين لانها مجتمع العقل، قال واحب ان يشتغل دونها بحفظ القران والفرا ئض، وورد عن سفيان الثورى قال: كان الرجل اذا اراد ان يطلب الحديث تعبد قبل ذالك عشرين سنة، وقيل لموسى بن اسحاق كيف تكتب عن ابى نعيم؟ فقال: كان اهل الكوفة لا يخزجون اولادهم فى طلب الحديث صغارا حتى يستكملوا عشرين سنة، وقال موسى بن هارون:

اهل البصرة يكتبون لعشر سنين، واهل الكوفة لعشرين، واهل الشام لثلاثين.

يقول ابو عمرو بن الصلاح: و ينبغى بعد ان صار الملحوظ ابقاء سلسلة الاسناد ان يبكر باسماع الصغير فى اول زمان يصح فيه سماعه، اما الاشتغال بكتبه الحديث و تحصيله و ضبطه و تقييده فمن حين يتأهل ذالك و يستعدله، و ذالك يختلف باختلاف الاشخاص، وليس منحصرا فى سن مخصوص، كما سبق ذكره انفا عن قوم، و الله اعلم.

والثالث اختلفوا فى اول زمان يصح فيه سماع الصغير، فروى عن موسى بن هارون اذا فرق بين البقرة والدابة، و عن احمد بن حنبل اذا عقل و ضبط، و ذكر عنده عن رجل انه قال: لا يجوز سماعه حتى يكون له خمس عشرة سنة، فانكر قوله و قال بئس القول، وعن القاضى عياض قال قد حدد اهل الصنعة فى ذالك ان اقله سن محمود بن الربيع، وذكر برواية البخارى فى صحيحه باب متى يصح سماع الصغير، باسناده عن محمود بن الربيع قال عقلت من النبى صلى الله عليه وسلم مجة مجهافى وجهى و انا ابن خمس سنين من دلو، وفى رواية اخرى انه كان ابن اربع سنين.

قال ابن الصلاح التحديد بخمس هوالذى استقر عليه عمل اهل الحديث المتاخرين، فيكتبون لابن خمس فصاعدا

سمع، ولمن لم يبلغ خمسا حضرا و احضر، والـــذى ينبغـــى فى ذالك ان يعتبر فى كل صغير حاله على الخصوص فان وجدنــاه مرتفعا عن حال من لا يعقل فهما للخطاب وردا للجــــواب ونحو ذالك صححنا سماعه، وان كان دون خمس، وان لم يكن كذالك لم نصحح سماعه، وان كان ابن خمس سنين بل ابـــن خمسين، وقد بلغنا عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال: رأيـت صبيا ابن اربع سنين ر قد حمل الى المامون قد قرأ القـــران، و نظر فى الرأى غير انه اذا جاع يبكى، وعن القاضى ابى محمـد عبد الله بن محمد الاسبهانى قال حفظت القـــران ولى خمـس سنين، وحملت الى ابى بكر بن المقرى لا سمع منه ولى اربـــع سنين، كذا فى مقدمة ابن الصلاح مختصرا.

وروى الخطيب فى الكفاية: ان يحيى بـــن معـين قال: اقل سن التحمل خمس عشرة سنة لكون ابن عمـــر رض رد يوم احدا ذلم يبلغها فبلغ ذالك احمد فقال: بل اذا عقل مـــا يسمع، وانما قصة ابن عمر فى القتال، ثم اورد الخطيب اشـــياء مما حفظها جمع من الصحابة ومن بعدهم وحدثوا بهـــا بعـد ذالك وقبلت عنهم وهذا هوالمعتمد، و ما قاله ابن معــين ان اراد به تحديد ابتداء الطلب بنفسه فموجـــه، وان اراد بـــه رد حديث من سمع اتفاقا او اعتنى به فسمع به و هو صغير فلا، و قد نقل ابن عبد البر الاتفاق على قبول هذا، كذا فى الفتح.

واما سن الاسماع فقال ابن خلاد: اذا بلغ الخمسين فيحسن ان يتصدى فيه لاسماعه لانها انتهاء الكهولة وفيها مجتمع الاشد، قال ولا ينكر عند الاربعين، لانها حد الاستواء و منتهى الكمال، وانكر ذالك القاضى عياض وقلل: كم من السلف فمن بعدهم من لم ينته الى هذا السن، و نشر من الحديث والعلم ما لا يحصى، كعمر بن عبد العزيز و سعيد بن جبير والنخعى وجلس مالك للناس و هوابن نيف و عشرين، وقيل ابن سبع عشرة سنة، والناس متوافرون وشيوخه احياء ربيعة والزهرى و نافع وغيرهم، وكذالك الشافعى و ائمة من المتقدمين والمتاخرين، وقد حدث بندار وهو ابن ثمان عشرة، وحدث البخارى وما فى وجهه شعرة.

واما اقسام تحمل الحديث فهى ثمانية، القسم الاول: السماع من لفظ الشيخ وهو ينقسم الى املاء و تحديث من غير املاء وسواء كان من حفظه او من كتابه، وهذا القسم من ارفع الاقسام عند الجماهير، وقال القاضى عياض يجوز فى هذا ان يقول السامع منه حدثنا واخبرنا وانبأنا و سمعت فلانا يقول وقال لنا فلان وذكرلنا فلان، وقال الخطيب ان ارفع العبارات فى ذالك سمعت ثم حدثنا و حدثنى، ثم يتلو ذالك اخبرنا وهو كثير فى الاستعمال، حتى ان جماعة من اهل العلم كانوا لا يكادون يخبرون عما سمعوه من لفظ من حدثهم الا

بقولهم اخبرنا، منهم حماد بن سلمة و عبد الله بن المبـــارك و هشيم بن بشير و عبد الله بن موسى و عبد الرزاق بن همـام و يزيد بن هارون و عمرو بن عون و يحيى بن يحيى التميمـــى و اسحاق بن راهويه وابو مسعود احمد بن الفرات ومحمد بـــن ايوب الرازيان وغيرهم، ثم يتلو قول اخبرنا انبأنا و نبانا وهــو قليل الاستعمال.

قال ابن الصلاح حدثنا واخبرنا ارفع من سمعت من جهة اخرى، وهى انه ليس فى سمعت دلالة علـــى ان الشـيخ رواه الحديث وخاطبه به وفى حدثنا واخبرنا دلالة على انــــه خاطبه به، ورواه له، واما قوله قال لنا فلان او ذكرلنا فـــلان فهو من قبيل قوله حدثنا فلان، غير انه لائق بما سمعه منـــه فى المذاكرة، وهو به اشبه من حدثنا.

و القسم الثانى القراءة على الشيخ، واكثر المحدثـــين يسمونها عرضا من حيث ان القارى يعرض على الشيخ مـــا يقرأه، كما يعرض القران على المقرى، ولا خلاف انها روايـــة صحيحة، الاما حكى عن بعـــض مـــن لا يعتـــد بخلافـــه، واختلفوافى انها مثل السماع من لفظ الشيخ فى المرتبة او دونـــه او فوقه، فنقل عن الامام ابى حنيفة وابن ابى ذئب و غيرهمـــا ترجيح القراءة على الشيخ على السماع من لفظه، وروى عـــن مالك وغيره انهما سواء، وقد قيل ان التسوية بينهما مذهـــب

معظم علماء الحجاز والكوفة، و مذهب مالك واصحابه واشياخه من علماء المدينة، و مذهب البخارى وغيرهم، قال ابن الصلاح الصحيح ترجيح السماع من لفظ الشيخ على القرأة على الشيخ، و قد قيل ان هذا مذهب جمهور اهل المشرق.

واما العبارة عنها عند الرواية بها فهى على مراتب، اجودها واسلمها ان يقول قرات على فلان او قرئ على فلان و انا اسمع فاقربه فهذا شائع من غير اشكال، و اما اطلاق حدثنا و اخبرنا فى القراءة على الشيخ فقد اختلفوا فيه على مذاهب، فمن اهل الحديث من منع منهما جميعا، وقيل انه قول ابن المبارك و يحيى بن يحيى التميمى و احمد بن حنبل و النسائ وغيرهم، و منهم من ذهب الى تجويز ذالك وانه كالسماع من لفظ الشيخ فى جواز اطلاق حدثنا و اخبرنا وانبأنا، وقد قيل ان هذا مذهب معظم الحجازين و الكوفيين، وقول الزهرى ومالك و سفيان بن عيينة و يحيى بن سعيد القطان، فى الآخرين من المتقدمين، وهو مذهب البخارى صاحب الصحيح.

و المذهب الثالث الفرق بينهما فى ذالك، والمنع من اطلاق حدثنا و تجويز اطلاق اخبرنا، و هو مذهب الشافعى واصحابه، وهو منقول عن مسلم صاحب الصحيح و جمهور

اهل المشرق، وقال محمد بن الحسن التميمى المصرى ان هذا مذهب الاكثر من اصحاب الحديث الذين لا يحصيهم احد، و قيل ان اول من احدث الفرق بين هذين اللفظين ابن وهب بمصر، قال ابن الصلاح يدفعه ان ذالك مروى عن ابن جريح والاوزاعى حكاه عنهما الخطيب.

قال ابن الصلاح الفرق بينهما صار هوالشائع الغالب على اهل الحديث، والاحتجاج بذالك من حيث اللغة عناء و تكلف، و خير ما يقال فيه انه اصطلاح منهم ارادوا به التمييز بين النوعين، ثم خصص النوع الاول بقول حدثنا لقوة اشعاره بالنطق والمشافهة، كذا فى مقدمة ابن الصلاح مختصرا.

قال السيوطى اختلفوا فى مساواتها اى القراءة للسماع من لفظ الشيخ فى المرتبة ورجحانه عليها و رجحانها عليه على ثلاثة مذاهب، فحكى المساواة عن مالك واصحابه واشياخه من علماء المدينة و معظم علماء الحجاز والكوفة والبخارى وغيرهم، و عندى ان هؤلاء انما ذكروا المساواة فى صحة الاخذ بها ردا على من انكرها لا فى اتحاد الرتبة.

و حكى ترجيح السماع عليهما عن جمهور اهل الشرق قال النووى هو الصحيح و حكى ترجيح القراءة على السماع عن ابى حنيفة وابن الى ذنب، و هو رواية عن مالك، و حكى عن الليث وشعبة وابن لهيعة و يحيى بن سعيد وابى

حاتم والثورى و جماعة ذكر مع السيوطى، و انكر اهل العراق القراءة على الشيخ، ويروى عن ابى عاصم النبيل، و يسمى عند المحدثين عرضا لان القارى يعرض على الشيخ، وقال وكيع ما احدث عرضا قط.

والقسم الثالث الاجازة وهى متنوعة انواعا، اولهذا ان يجيز لمعين فى معين، مثلا ان يقول اجزت لك الكتاب الفلانى او ما اشتمل عليه فهرستى هذه، فهذا اعلى انواع الاجازة المجردة عن المتاولة، وزعم بعضهم انه لا خلاف فى جوازه، وقال القاضى ابو الوليد الباجى المالكى لا خلاف فى جواز الرواية بالاجازة من سلف هذه الامة وخلفها، وادعى الاجماع من غير تفصيل.

قال ابن اصلاح: هذا باطل فقد خالف فى جوازها جماعات من اهل الحديث والفقهاء والاصوليين، و ذالك احدى الروايتين عن الشافعى، وكذا جماعة من الشافعيين مثل القاضى حسين بن محمد المروروزى وابو الحسن الماوردى، وقالا لو جازت الاجازة لبطلت الرحلة، وكذالك هو مروى عن شعبة وغيره، وكذا قال ابراهيم بن اسحاق الحربى وابو محمد عبد الله من محمد الاصبهانى والحافظ ابو نصر الوابلى، و روى عن ابى طاهر الدباس احد ائمة الحنفية قال من قال لغيره

اجزت لك ان تروى عنى مالم تسمع، فكانه يقول اجزت لـك ان تكذب علي.

ثم ان الذى استقر عليه العمل وقال به جماهير اهـل العلم من اهل الحديث و غيرهم، القول بتجويز الاجازة واباحة الرواية بها، وفى الاحتجاج لذالك غموض، و يتجه ان نقـول اذا اجاز له ان يروى عنه مروياته وقد اخبره بها جملة فهو كما لو اخبره تفصيلا، واخباره بها غير متوقف على التصريح نطقا، كما فى القراءة على الشيخ كما سبق، و انما الغرض حصـول الافهام والفهم، وذالك يحصل بالاجازة المفهمة.

والنوع الثانى ان يجيز لمعين فى غير معـين، مثـل ان يقول اجزت لك او لكم جميع مروياتى او مسموعاتى، ومـا اشبه ذالك، فالخلاف فى ذالك اقوى و اكثر، و الجمهور مـن العلماء من المحدثين و الفقهاء و غيرهم على تجويز الرواية بهـا ايضا.

والنوع الثالث ان يجيز لغير معين بوصف العمـوم، مثل ان يقول اجزت للمسلمين او اجزت لكل احد او اجـزت لمن ادرك زمانى وما اشبه ذالك، فـهذا نـوع تكلـم فيـه المتأخرون، فقال بعضهم ان كان ذالك مقيدا بوصف خاص او نحوه فهو الى الجواز اقرب كما هو مروى عن الخطيب، وروى عن الحافظ ابن منده انه قال: اجزت لمن قال لا الـه الا الله،

وجوز القاضى ابو الطيب الطبرى الاجازة لجميع المسلمين من كان منهم موجودا عند الاجازة، واجاز ابو محمد بن سعيد احد شيوع اندلس: لكل من دخل على قرطبة من طلبة العلم، قال الحافظ ابو عمرو ابن الصلاح، لم نرلم نسمع عن احد ممن يقتدى به انه استعمل هذه الاجازة فروى بها، ولا عن الشرذمة المتأخرة الذين سوغوها، والاجازة فى اصلها ضعف و تزداد بهذا التوسع والاستر سال ضعفا كثيرا.

النوع الرابع الاجازة للمجهول او بالمجهول، و يتثبث بذيلها الاجازة المعلقة بالشرط، وذالك مثل ان يقول اجزت لمحمد بن خالد الدمشقى، وفى وقته جماعة مشتركون فى هذا الاسم والنسب، ثم لا يعين المجازله منهم، فهذه اجازة فاسدة لا فائدة فيها، وان اجاز للمسلمين المنتسبين فى الاستجازة ولم يعرفهم باعيانهم ولا بانسابهم ولا يعرف عددهم و لم ينصفح اسماءهم واحدا فواحدا فينبغى ان يصح ذالك ايضا، كما يصح سماع من حضر مجلسه للسماع منه وان لم يعرفهم اصلا، واذا قال اجزت لمن يشاء فلان او نحو ذالك فهذا فيه جهالة و تليق شرط، فالظاهر انه لا يصح، و بذالك افتى القاضى ابو الطيب الطبرى، و علل بانه اجازة لمجهول.

و النوع الخامس الاجازة لمعدوم وكذا الاجازة للطفل الصغير، هذا نوع خاص فيه قوم من المتأخرين و

اختلفوا فى جوازه، ومثاله ان يقول "اجزت لمن يولد لفلان او اجزت لك ولو لدك ولعقبك ماتنا سلوا" كان اقرب الى الجواز من الاول، و لمثل ذالك اجاز اصحاب الشافعى رض فى الوقف القسم الثانى دون الاول، وقد اجاز اصحاب مالك و ابى حنيفة، و فعل هذا الثانى ابو بكر بن ابى داؤد السبحتانى فانا روينا عنه انه سئل الاجازة فقال: قد اجزت لك ولاولادك و لحبل الحبلة يعنى الذين لم يولدوا بعد، واما الاجازة للمعدوم ابتداء من غير عطف على موجود فقد اجازه الخطيب، و ذكر عن ابى يعلى بن الفراء الحنبلى و ابى الفضل بن عمروس المالكى انهما يجيزان ذالك، وكذا هو مروى عن ابى نصر بن الصباغ و هذا انما ذهب اليه من ينعقد ان الاجازة اذن فى الرواية لامحادثة، وقال القاضى ابو الطيب الطبرى: هذه الاجازة لمعدوم باطلة وهو الصحيح، لان الاجازة فى حكم الاخبار جملة بالمجاز، فكما لا يصح الاخبار للمعدوم لاتصح الاجازة للمعدوم، وقال الخطيب سألت القاضى باالطيب الطبرى عن الاجازة للطفل الصغير هل يعتبر فى صحتها سنه او تمييزه، كما يعتبر ذالك فى صحة سماعه؟ فقال لا يعتبر ذالك، قال وعلى هذا رأينا كافة شيوخنا يجيزون للاطفال الغيب عنهم من غير ان يسألوا عن مبلغ اسناهم وحال تمييزهم ولم توهم اجازوا لمن لم يكن مولودا فى الحال.

قال ابن الصلاح كانهم رأو الطفل اهلا لتحمل هذا النوع من انواع تحمل الحديث ليؤدى به بعد حصول اهليتــــه حرصا على توسيع السبيل الى ابقاء سلسلة الاســـناد الــذى اختصت به هذه الامة وتقريبه من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم.

النوع السادس اجازة مالم يسمعه المجيز و لم يتحمله اصلا بعد ليرويه المجازله اذا تحمله المجيز بعد ذالك، قال القاضى عياض: هذا لم ار من تكلم عليه من المشائخ، قال ابن الصلاح ينبغى ان يبنى هذا على ان الاجازة فى حكم الاخبار بالمجـــاز جملة او هى اذن، فان جعلت فى حكم الاخبار لم تصح هـــذه الاجازة، اذ كيف يخبر بما لاخبر عنده منه، وان جعلت اذنـــا يبنى هذا على الخلاف فى تصحيح الاذن فى باب الوكالة فيمـــا لم يملكه الموكل بعد، و الصحيح بطلان هذه الاجازة، قال ابن الصلاح: ينبغى للمجيز اذا كتب اجازة ان يتلفظ بهـــا، فـــان اقتصر على الكتابة كان ذالك اجازة جائزة اذا اقترن بقصـــد الاجازة غير انها انقص مرتبة من الاجازة الملفوظة بها.

القسم الرابع المناولة: وهى على نوعـــين، احدهمـــا المناولة المقرونة بالاجازة وهى اعلى انـــواع الاجـــازة علـــى الاطلاق، ولها صور، منها ان يدفع الشيخ الى الطالب اصـــل سماعه او فرعه مقابلا به، ويقول هذا سماعى او روايتى عـــن فلان فاروه عنى او اجزت لك روايته عنى، ثم يملكه ايـــاه او يقول خذه وانسخه وقابل ثم رده الى و نحوه، ومنها ان يجـــئ

الطالب الى الشيخ بكتاب او جزء من حديثه فيعرضه، فيتأمله الشيخ وهو عارف متيقظ، ثم يعيده اليه و يقول له وقفت على ما فيه، وهو حديثى عن فلان او روايتى عن شيوخى فيه فاروه عنى او اجزت لك روايته عنى، و هذا قد سماه غير واحد من ائمة الحديث عرضا، والعرض عرضان عرض القرادة كما مر و هذا عرض المناولة.

و هذه المناولة المقترنة بالاجازة حاله محل السماع عند مالك و جماعة من ائمة اصحاب الحديث، و حكى ابو عبد الله النيسابورى عن كثير من المتقدمين انه سماع، منهم ابن شهاب الزهرى و ربيعة الراى ويحيى بن سعبد الانصارى و مالك بن انس الامام و مجاهد وابو النربير وابن عيينة و علقمة وابراهيم النخعى و الشعبى و قتادة وابو العالية وابن وهب وابن القاسم واشهب وغيرهم، قال ابن الصلاح فى كلامه بعض التخليط من حيث كونه خلط بعض ما ورد فى عرض القراءة بما ورد فى عرض المناولة، وساق الجميع مساقا واحدا، و الصحيح ان ذالك غير حال محل السماع، وانه منحطة عن درجة التحديث لفظا و الاخبار قراءة، و لها صور اخرى ذكرت فى مقدمة ابن الصلاح فارجع اليه.

والثانى المناولة المجردة عن الاجازة: بان يناوله الكتاب ويقتصر على قوله هذا من حديثى او من سماعاتى ولا يقول اروه عنى او اجزت لك روايته عنى و نحو ذالك، فهذه مناولة مختلة لا تجوز الرواية بها، وعا بها غير واحد من الفقهاء

والاصوليين على المحدثين الذين اجازوها وسوغوا الرواية بها، وحكى الخطيب عن طائفة من اهل العلم، انهم صححوها واجازوا الرواية بها، قال ابن الصلاح: والقول فى عبارة الراوى بطريق المناولة والاجازة حكى عن قوم من المتقدمين و من بعدهم، انهم جوزوا اطلاق حدثنا و اخبرنا فى الرواية والمناولة، حكى ذالك عن الزهرى و مالك وغيرهما وهو لائق بمذهب جميع من سبقت الحكاية عنهم انهم جهلوا عرض المناولة المقرونة بالاجازة سماعا، وقال ابن الصلاح: والصحيح المختار الذى عند الجمهور واياه اختار اهل الورع المنع فى ذالك اطلاق حدثنا واخبرنا و نحوهما من العبارات، وفيه تفصيل ذكره ابن الصلاح فى مقدمته.

القسم الخامس المكاتبة و هو ان يكتب الشيخ الى الطالب وهو غائب شيئا من حديثه بخطه او يكتب له ذالك وهو حاضر، و يلتحق بذالك ماذا امر غيره بان يكتب له ذالك عنه اليه، وهذا القسم ينقسم ايضا الى نوعين، احدهما ان تتجرد المكاتبة عن الاجازة والثانى ان يقترن بالاجازة، بان يكتب اليه و يقول اجزت لك ما كتبته لك او ما كتبت به اليك او نحو ذالك، اما الاول فقد اجاز الرواية بها كثير من المتقدمين والمتأخرين، منهم ايوب السختيانى و منصور والليث بن سعد، وابى ذالك قوم آخرون، و منهم القاضى الماوردى وقطع به، والمذهب الاول هو الصحيح المشهور بين اهل الحديث، و كثيرا ما يوجد فى مسانيدهم و مصنفاتهم قولهم

كتب الى فلان قال حدثنا، والمراد به هذا و ذالك معمول بـــه عندهم معدود فى المسند الموصول، وفيها اشعار قوى بمعـــنى الاجازة، فهى وان لم تقترن بالاجازة لفظا فقـــد تضمنـــت الاجازة معنى.

ثم يكفى فى ذالك ان يعرف المكتـــوب اليـــه خـــط الكاتب وان لم تقم البينة عليه، و من الناس قال الخط يشـــبه الخط فلا يجوز الاعتماد على ذالك، وهذا غير مرضـــى، لان ذالك نادر، والظاهر ان خط الانسان لا بشبه بغيره ولا يقـــع فيه التباس، ثم ذهب غير واحد من علماء المحدثين واكـــابرهم منهم الليث بن سعد و منصور الى جواز اطلاق حدثنا واخبرنا فى الرواية بالمكاتبة، و المختار قول من يقول فيها: كتـــب الى فلان قال حدثنا بكذا و كذا، هذا هو الصحيح اللائق بمذهب اهل التحرى و النزاهة، اما المكاتبة المقرونة بلفظ الاجازة فـــهو فى الصحة والقوة شبيه بالمناولة المقرونة بالاجازة.

القسم السادس اعلام الراوى للطالب بـــان هـــذا الحديث اوهذا الكتاب سماعه من فلان او روايته مقتصرا علـــى ذالك من غير ان يقول اروه عنى او اذنت لك فى روايته او نحو ذالك، فهذا عند كثيرين طريق مجوز لرواية ذالك عنه، و حكى ذالك عن ابن جريج و طوائـــف مـــن المحدثـــين والفقـــهاء والاصوليين والظاهريين، وبه قطع ابو نصر بـــن الصبـــاغ، و حكى القاضى الرامهرمزى عن بعض اهل الظاهر انه ذهب الى ذالك ووجه ذالك اعتبار ذالك بالقرأة على الشيخ، والمختار ما

ذكره عن غير واحد من المحدثين وغيره من انه لا تجوز الرواية بذالك وبه قطع الشيخ ابو حامد الطوسى.

القسم السابع الوصية بالكتب ان يوصى الراوى بكتاب يرويه عند موته او سفره لشخص فروى عن بعض السلف انه جوز بذالك رواية الموصى له بذالك عن الموصى الراوى، وهذا بعيد جدا، وهو اما زلة عالم او متأول على انه اراد الرواية على سبيل الوجادة التى يأتى شرحها، وقد احتج بعضهم لذالك فشبه بقسم الاعلام وقسم المناولة ولا يصح ذالك،

القسم الثامن الوجادة مثاله ان يقف على كتاب شخص فيه احاديث يرويها بخطه ولاله منه اجازة ولا نحوه، فله ان يقول وجدت بخط فلان او قرأت بخط فلان ين فلان بالانقطاع والارسال، وربما يدلس بعضهم و ذالك تدليس قبيح اذا كان يوهم سماعه منه/ قال ابن الصلاح الصواب ما قدمناه ان كان المطلع عالما فطنا بحيث لا يخفى عليه فى الغالب مواضع الاسقاط و السقط وما احيل عن جهته من غيرها رجونا ان يجوز له اطلاق اللفظ الجازم فيما يحكيه من ذالك، والى هذا استروح كثير من المصنفين فيما نقلوه من كتب الناس، والعلم عند الله واليك هذا الكلام المختصر فى بيان الاقسام الثمانية و فى كل قسم تفصيل زائد على ما ذكرنا هذا. وانما اختصرناه ما قال ابو عمرو بن الصلاح فى مقدمته والله اعلم،

الفائدة السابعة والثلاثون
فى اصول معرفة وضع الحديث وحكمه ونبذة من احوال الوضاعين

روى الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم (١) عن على رض قال قال النبى صلى الله عليه وسلم: لا تكذبوا على فانه من كذب على فليلج النار، (٢) وفيه عن الزبير رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كذب على فليتبوا مقعده من النار، (٣) وفيه عن انس رض ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار" (٤) وكذالك عن سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من يقل على ما لم اقل فليتبوأ مقعده من النار" (٥) و كذالك عن ابى هريرة رض انه صلى الله عليه وسلم قال: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، (٦) وكذا اخرج البخارى هذا الحديث مع اختلاف اللفظ عن المغيرة فى الجنائز (٧) و عن عبد الله بن عمرو بن العاص فى اخبار بنى اسرائيل ومن (٨) واثلة بن الاسقع فى مناقب قريش، واتفق معه مسلم على تخريج حديث على وانس وابى هريره والمغيرة، (٩) واخرج من ابى سعيد ايضا.

وصح فى غير الصحيحين من حديث (١٠) عثمان بن عفان (١١) و ابن مسعود (١٢) وابن عمرو (١٣) وابى قتادة و (١٤) جابر (١٥) وزيد بن ارقم، و وردباسانيد

حسان من حديث (١٦) طلحة من عبيد الله (١٧) و سعيد بن زيد (١٨) و ابى عبيدة بن الجراح (١٩) و سعد بن ابى وقاص (٢٠) و معاذ بن جبل (٢١) و عقبة بن عامر (٢٢) و عمران بن حصين (٢٣) و ابن عباس (٢٤) و سلمان الفارى (٢٥) و معاوية بن ابى سفيان (٢٦) ورافع بن خديج (٢٧) وطارق الاشجعى (٢٨) والسائب بن يزيد (٢٩) وخالد بن عرفطة (٣٠) وابى امامة (٣١) وابى قرصاتة (٣٢) وابى موسى الغافقى (٣٣) وعائشة، فهولاء ثلاثة وثلاثون نفسا من الصحابة، وورد ايضا عن نحو من خمسين غيرهم باسانيد ضعيقة، وعن نحو من عشرين اخرين باسانيد ساقطة.

قال الحافظ ابن حجر وقد اعتنى جماعة من الحفاظ بجمع طرقه، فاول من وقفت على كلامه فى ذالك على بن المدنى و تبعه بعقوب بن شيبة، فقال روى هذا الحديث من عشرين وجها عن الصحابة من الحجازيين وغيرهم، ثم ابراهيم الحربى وابو بكر البزار فقال كل منهما انه ورد من حديث اربعين من الصحابة، وجمع طرقه فى ذالك العصر ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد فزاد قليلا، وقال ابو بكر الصيرفى شارح رسالة الشافعى: رواه ستون نفسا من الصحابة، وجمع طرقه الطبرانى فزاد قليلا، وقال ابو القاسم بن منده رواه اكثر من ثمانين نفسا، وقد خرجها بعض النيسابوريين فزادت قليلا، وقد جمع طرقه ابن الجوزى فى مقدمة كتاب الموضوعات فجاوز التسعين وبذالك جزم ابن دحية، وقال ابو موسى

المديني يرويه نحو مأئة من الصحابة، وقد جمعها بعده الحافظان يوسف بن خليل وابو على البكرى وهما متعاصران فوقع لكل منهما ما ليس عند الاخر، و تحصل من مجموع ذالك كله رواية مأئة من الصحابة على ما فصلته من صحيح و حسن و ضعيف وساقط، مع ان فيها ما هو فى مطلق ذم الكذب عليه من غير تقييد بهذا الوعيد الخاص.

و نقل النووى انه جاء عن مائتين من الصحابة، ولاجل كثرة طرقه اطلق عليه جماعة انه متواتر، و نازع بعض مشائخنا فى ذالك، قال لان شرط المتواتر استواء طرفيه وما بينهما فى الكثرة، وليست موجودة فى كل طريق منها بمفردة، واجيب بان المراد باطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن الجموع من ابتدائه الى انتهائه فى كل عصر، وهذا كاف فى افادة العلم، وايضا فطريق انس وحدها قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم، و حديث على رواه عنه ستة من مشاهيرالتابعين و ثقاتهم، وكذا حديث ابن مسعود و ابى هريرة و عبد الله بن عمرو، فلو قيل فى كل منها انه متواتر عن صحابته لكان صحيحا، فان المعين لا يشترط فى المتواتر، بل ما افاد العلم كفى، والصفات العلية فى الرواة تقوم مقام العدد او تزيد عليه، انتهى.

وقال الحافظ السيوطى روى هذا الحديث اكثر من مائة من الصحابة، وقد نقل ابن الجوزى عن ابى بكر محمد بن احمد بن عبد الوهاب الاسفرائني: انه ليس فى الدنيا حديث

اجتمع عليه العشرة المشهودلهم بالجنة غير حديث من كـــذب على الخ، وقال ابن الجوزى عن عبد الله ابن الزبير انه قال يوما لاصحابه اتدرون ما تاويل هذا الحديث مـــن كـــذب علـــى متعمدا فليتبوأ مقعدة من النار؟ رجل عشق امراءة فـــاتى الى اهلها مساء فقال انى رسول الله بعثنى اليكم ان اتضيـف فى اى بيوتكم شئت، وكان ينتظر بيوته المساء فاتى رجل منهم النبى صلى الله عليه السلام فقال: ان فلانا اتانا يزعم انك امرتـه ان يبيت فى اى بيوتنا شاء فقال: كذب يا فلان؟ انطلق معه فـان امكنك الله منه فاضرب عنقه واحرقه بالنار، ولا اراك الاقـــد كفيته، فجاءت السماء فصبت فخرج ليتوضأ فلسعته افعـــى، فلما بلغ ذالك النبى صلى الله عليه وسلم قال هو فى النار"

ولابن عدى فى الكامل عن بريدة قال كان حى من بنى ليث على ميلين من المدينة، وكان رجل قد خطب منهم فى الجاهلية فلم يزوجوه فاتاهم و عليه حلة فقال ان رســـول الله صلى الله عليه وسلم كسانى هذا و امرنى ان احكم فى اموالكم و دمائكم، ثم انطلق فترل على تلك المرأة التى خطبها فارســـل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذب عـــدوالله ثم ارسل رجلا فقال: ان وجدته حيا فاضرب عنقه وان وجدته ميتا فاحرقه، فوجده قد لدغته افعى فمات فحرقـــه بالنـــار، فذالك قوله عليه السلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعـــده من النار، و بمثل هذه القصة روى فى الطبرانى ايضا.

قال العلى القارى فى الموضوعات الكبير قال شيخ مشائخنا الحافظ السيوطى لا اعلم شيئا من الكبائر قال احد من اهل السنة بتكفير مرتكبه الا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الشيخ ابا محمد الجوينى من اصحاب الشافعى وهو والد امام الحرمين قال ان من تعمد الكذب عليه يكفر كفرا يخرجه عن الملة و تبعه على ذالك طائفة منهم الامام ناصر الدين بن المنير من ائمة المالكية قال الحافظ العسقلانى: ووجهه بان الكاذب عليه فى تحليل حرام مثلا لا ينفك عن استحلال ذالك الحرام او الحمل على استحلاله واستحلال الحرام كفر والحمل على الكفر كفر، و فيما قاله نظر لا يخفى، والجمهور على انه لا يكفر الا اذا اعتقد حل ذالك ايضا.

قال الحافظ ولا يعتبر بمن خالف ذالك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب فى الترغيب والترهيب فى تثبيت ما ورد فى القران والسنة، واحتج بانه كذب له لا عليه وهو جهل باللغة العربية و تمسك بعضهم بما درد فى بعض طرق الحديث من زيادة لم تثبت وهى ما اخرجه البزار من حديث ابن مسعود بلفظ من كذب على ليضل به الناس الحديث وقد اختلف فى وصله وارساله و رجح الدار قطنى والحاكم ارساله واخرج الدارمى من حديث يعلى بن مرة بسند ضعيف وعلى تقدير ثبوته فليست اللام فيه للعلة بل للصيرورة كما فسرفى قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله

كذبا ليضل الناس والمعنى ان مآل امره الى الاضلال او هو من تخصيص بعض افراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله تعلى "لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة ولا تقتلوا اولادكم من املاق" فان قتل الاولاد و مضاعفة الربا والاصلال فى هذه الايات انما هو لتاكيد الامر فيها لاختصاص الحكم.

وقال النووى لا فرق فى تحريم الكذب عليه السلام بين ما كان فى الاحكام و ما لا حكم فيه كا ترغيب و الترهيب والوعظ وغير ذالك من انواع الكلام فكله حرام من اكبر الكبائر واقبح القبائح باجاع المسلمين الذين يعتدبهم فى الاجماع الى ان قال وقد اجمع اهل الحل والعقد على تحريم الكذب على آحاد الناس فكيف ممن قوله شرع وكلامه وحى والكذب عليه كذب علَيه تعالى قال عزوعلا وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى.

وقال الشيخ الكشميرى فى الفيض واعلم ان الجمهور على ان الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم عمدا من أشدالكبائر و ذهب ابو محمد الجوينى من كبار الفقهاء الى انه كفر و ايده من المتأخرين الشيخ ناصرالدين بن المنير واخوه الصغير زين الدين بن المنير واما من فرق بين الكذب عليه والكذب له تمسكا بقول لا تكذب على فانه جاهل فان الكذب كيف كان ليس له فى حال بل هو عليه فى كل حال فلا يجوز الكذب فى الترغيب والترهيب ايضا الى ان قال وهو عندى عن خمسين منهم والحاصل انه حديث متواتر قطعا"

وقال النووى يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعا او غلب على ظنه وضعه فمن روى حديثا علم وضعه او ظن وضعه فهو مندرج فى الوعيد" وقال العينى من ذكر حديثا موضوعا بدون ذكر وضعه او غلط فى الاعراب فهو ايضا تحت هذا الوعيد" وقال السيوطى اتفق علماء الحديث على انه لا يحل رواية الموضوع فى اى معنى كان الا مقرونا ببيان وضعه بخلاف الضعيف فانه يجوز روايته فى غير الاحكام والعقائد وممن جزم بذاك النووى وابن ماجه والطيبى والبلقينى والعراقى.

" قال العلى القارى فى الموضوعات الكبير و اللتحرز عن مثل ذالك كان الخلفاء الراشدون والصحابة المنتخبون يتقون كثرة الحديث عنه صلى الله عليه وسلم، وكان ابو بكر و عمر يطالبان من روى لهما حديثا عنه عليه السلام لم يسمعاه عنه باقامة البينة عليه ويتواعد انه فى ذالك، وكان على يستحلفه عليه وكان بعض المحتاطين من المحدثين من الصحابة والتابعين كان يقول قريبا من هذا او نحو هذا او شبه هذا كل ذالك خوفا من الزيادة والنقصان او السهو والنسيان، قال العقيلى بسنده الى حماد بن زيد يقول وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر الف حديث.

وقال ابن عدى باسناده الى جعفر بن سليمان قال سمعت المهدى يقول اقر عندى رجل من الزنادقة انه وضع اربعائة حديث فهى تجول فى ايدى الناس، واخرج ابن عساكر

عن الرشيد انه جيئ اليه بزنديق فامر بقتله فقال يا امير المؤمنين اين انت عن اربعة الاف حديث وضعتها فيكم احــرم فيــها الحلال واحل فيها الحرام ما قال النبى صلى الله عليه وسلم منها حرفا فقال له الرشيد اين انت يا زنديق عن عبد الله بن المبارك وابن اسحاق الغوارى ينخلانه فيخرجانه حرفــا حرفــا. وفى كتاب العقيلى عن يعلى بن عبد الرحمن الواسطى انه قال عنــد موته وضعت فى فضل على سبعين حديثا".

وايضا قال العلى القارى روى انه صلى احمد بــن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة فقام بين ايديهم قاص فقال حدثنا احمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا حدثنــا عبــد الرزاق عن معمر عن قتادة عن انس قال قال رسول الله صلــى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خلق الله تعالى من كـــل كلمة منها طيرا منقاره من ذهب وريشه من مرجان واخــذ فى قصه نحو امن عشرين ورقة، فجعل احمد بن حنبل بنظـــر الى يحيى و يحيى ينظر الى احمد فقال له انت حدثته بهذا فقــال والله ما سمعت بهذا الا الساعة، فلما فرغ مــــن قصصــه واخــذ القطيعات ثم فقد ينتظر بقيتها قال له يحيى بن معين بيده تعــلى، فجاء متوهما لنوال فقال له يحيى من حدثك بهذا الحديث فقــل احمد بن حنبل ويحيى بن معين فقال: انا يحيى بن معين و هـــذا احمد بن حنبل ماسمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله صلــى الله

عليه وسلم، فان كان لا بد الكذب فعلى غيرنا، فقال له انت يحيى بن معين قال نعم قال لم ازل اسمع ان يحيى بن معين احمق ما تحققته الا الساعة فقال له يحيى كيف علمت اني احمق قال كانه ليس فى الدنيا يحيى بن معين واحمد بن حنبل غير كما، قد كتبت عن سيعة عشر احمد بن حنبل و يحيى بن معين فوضع احمد كمه على وجمه و قال دعه يقوم فقام كا المستهزئ بهما".

وعن الطرطوش لما دخل سليمان بن مهران الاعمش البصرة نظر الى قاص يقص فى المسجد فقال حدثنا الاعش عن ابى اسحاق عن ابى وائل، فتوسط الاعمش الحلقة وجعل ينتف شعرابطه فقال له القاص يا شيخ الا تستحيى نحن فى علم وانت تفعل مثل هذا، فقال الاعمش الذى انا فيه خير من الذى انت فيه قال: كيف؟ قال: لانى فى سنة وانت فى كذب انا الاعمش وما حدثتك ما تقول شيئا" اقول هكذا حال القصاص والوعاظ الجاهلين بالتفسير والحديث يبينون الاحاديث الموضوعة والقصص المخترعة بين العوام و من ذالك يشهر كثير منها بينهم والعياذ بالله.

قال العلى القارى فى الموضومات ومن القواعد الكلية ان نقل الاحاديث النبوية والمسائل الفقهيه والتفاسير القرآنيه الا يجوز الا من الكتب المتداولة لعدم الاعتماد على غيرها من

وضع الزنا وقة والحاق الملاحدة بخلاف الكتب المخفو فان نسخها يكون صحيحة متعددة و قد حكى السيوطى عن ابن الجوزى، ان من وقع فى حديثه الوضوع و الكذب والقلب انواع منهم من غلب عليه الزهد فغفل عن الحفظ او ضاعت كتبه فحدث عن حفظه فغلط فى نقله و منهم قوم ثقات لكن اختلط عقولهم او اخرا عمارهم و منهم من روى الخطا سهوا فلما راى الصواب و ايقن لم يرجع انفة ان ينسبوه الى الغلط و منهم زنا وقة وضعوه قصدا الى افساد الشريعة وايقاع الشك والتلاعب بالدين وقد كان بعض الزنادقة يتفضل الشيخ فيدرس فى كتابه ما ليس عن حديثه و منهم من يضع لنصرة مذهبه ومنهم من يضع حسبة ترغيبا وترهيبا ومنهم من احاز وضع الاسانيد لكلام حسن و منهم من قصد التقرب الى السلطان و منهم القصاص لانهم يريدون احاديث ترفق و تنفق انتهى، وقد سئل ابن القيم الجوزية هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير ان ينظر فى سنده فقال: هذا سوال عظيم القدر، وانما يعرف ذالك من تطلع فى معرفة السنن الصحيحة و خلطت بلحمه و دمه، و صار له فيها ملكة واختصاص شديد بمعرفة السنن والاثار، ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه فيما يا مربه و ينهى عنه، و يخبر عنه ويدعو اليه و يحبه ويكرهه، ويشرعه للامة بحيث كانه

مخالط له عليه السلام بين اصحابه الكرام، فمثل هذا يعرف من احواله وهديه و كلامه واقواله وافعاله وما يجوز ان يخبر به وما لا يجوز ما لا يعرفه غيره، و هذا شان كل متبوع مع تابعه، فان الاخص به لحريص على تتبع اقواله وافعاله من العلم بها والتمييز بين ما يصح ان ينسب اليه و ما لا يصح ليس كمن لا يكون كذالك، و هذا شان المقلدين مع ائمتهم يعرفون من اقوالهم و نصوصهم و مذاهبهم واساليهم ومشاربهم ما لا يعرفه غيرهم".

وقال الشيخ ظفر احمد العثمانى فى قواعد علم الحديث: والموضوع المختلق اى المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدا، وهم شر الضعيف واقبحه سواء عرف وضعه باقراره او بقرينة تؤخذ من حال الراوى، كاتباعهه فى الكذب هوى بعض الروساء، او بوقوعه فى اثناء اسناده و هو كذاب لا يعرف ذالك الخبر الا من جهته، ولا يتابعه عليه احد وليس له شاهد، او حال المروى كركاكة الفاظه او معانيه، او مخالفته بعض القران او السنة المتواترة او الاجماع القطعى او صريح العقل، وسواء اخترع ما وضعه او اخذه عن كلام غيره، او كان حديثا ضعيف الاسناد فركب له اسنادا صحيحا ليروج، وسواء و ضعه اضلالا او احتسابا او تعصبا او اغرابا او اتباعا لهوى بعض الروساؤ، او يكون الوضع وهما وغلطا انتهى.

وقال ابو عمرو ابن الصلاح فى مقدمته: وانما يعرف كون الحديث موضوعا باقرار واضعه او ما يتزل منزلة اقراره، وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوى او المروى، فقد وضعت احاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة الفاظها و معانيها، و لقد اكثر الذى جمع فى هذا العصر الموضوعات فى نحو مجلدين فاودع فيها كثيرا مما لا دليل على و ضعه، و انما حقه ان يذكر فى مطلق الاحاديث الضعيفة، والواضعون الحديث اصناف واعظمهم ضررا قوم من المنسوبين الى الزهد، و ضعوا الحديث احتسابا فيما زعموا، فتقبل اناس موضوعاتهم

ثقة منهم بهم وركونا اليهم، ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارها و محو عارها والحمد لله.

و فيما روينا عن الامام ابى بكر السمعانى، ان بعض الكرامية ذهب الى جواز وضع الحديث فى باب الترغيب والترهيب، ثم ان الواضع ربما صنع كلاما من عند نفسه فرواه وربما اخذ كلاما لبعض الحكماء او غيرهم فوضعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما غلط غالط فوقع فى شبه الوضع من غير تعمد، كما وقع لثابت بن موسى الزاهد فى حديث من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار، روينا عن ابى عصة و هو نوح بن ابى مريم انه قيل له: من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القران سورة سورة: فقال: انى رأيت الناس قد اعرضوا عن القران واشتغلوا بفقه ابى حنيفة ومغازى محمد بن اسحاق، فوضعت هذه الاحاديث حسبة، و هكذا حال الحديث الطويل الذى يروى عن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل القران سورة فسورة، بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى الى من اعترف بانه و جماعة و ضعوه، و ان اثر الوضع لبين عليه، و لقد اخطأ الواحدى المفسر و من ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم والله اعلم.

قال العلى القارى فى الموضوعات: و نحن ننبه على امور كلية يعرف بها من كون الحديث موضوعا، و ذكر

فصولا كثيرة، وانا اذكرهها مختصرا، يقـــول: فمنـــها (١) اشتماله على امثال هذه المجاز فات التي لا يقول مثلها رســـول الله صلى الله عليه وسلم، وهى كثيرة، كقولـــه فى الحديـــث المكذوب: من قال لا اله الا الله خلق الله من تلـــك الكلمـــة طائرا له سبعون الف لسان، لكل لسان سبعون الـــف لغـــة، يستغفرون الله له، و من فعل كذا و كذا اعطى فى الجنة سبعين الف مدينة، فى كل مدينة سبعين الف قصر، فى كـــل قصـــر سبعين الف حوراء وامثال هذه التي لا يخلو حال و اضعها مـــن احد الامرين، اما ان يكون فى غاية من الجهل و الحمق، وامـــا ان يكون زنديقا قصد التنقيص برسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم باضافة مثل هذه الكلمات.

ومنها (٢) تكذيب الحس له كحديث الباذ نجان لمـــا اكل له و حديث "الباذ نجان شفاء من كل داء" قبـــح الله و اضعهما فانه لو قاله بعض جهلة الاطباء يسخر الناس منـــه، و منها (٣) سماحة الحديث و كونه مما يسخر منه، كحديـــث لوكان الارز رجلا لكان حليما ما اكله جائع الا اشبعه، وهذا من السمح البارد الذى يصان عنه الفضلاء فضلا عـــن ســـيد الانبياء، و منها (٤) مناقضة الحديث لما جاءت بـــه الســـنة الصريحة مناقضة بينة، فكل حديث بشمل على فساد او ظلـــم او عبث او مدح باطل او ذم حق او نحو ذالك فرســـول الله صلى الله عليه وسلم منه برئ، و من هذا الباب احاديث مـــن

اسمه محمد او احمد و ان كل من يسمى بهذا الاسم لم يدخل النار، فهذا يناقض ما هو معلوم من دينه ان النار لا يجار منها بالاسماء والالقاب، وانما النجاة منها بالايمان والاعمال الصالحة.

و منها (٥) ما يدعى على النبى صلى الله عليه وسلم انه فعل امرا ظاهرا بمحضر من الصحابة كلهم، و انهم اتفقوا على كتمانه و لم يفعلوه، كما يزعمه اكذب الطوائف انه عليه السلام اخذ بيد على بمحضر الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع، فاقامه بينهم حتى عرفه الجميع، ثم قال: هذا و صيى و اخى والخليفة من بعدى فاسمعوا له واطيعوا له، ثم اتفق الكل على كتمان ذالك وتغييره ومخالفته، فلعنة الله على الكاذبين.

ومنها (٦) ان يكون الحديث باطلا فى نفسه، فيدل بطلانه على انه ليس من كلامه عليه السلام، كحديث اذا غضب الرب انزل الوحى بالفارسية، و اذا رضى انزله بالعربية، و منها (٧) ان يكون الحديث لا يشبه كلام الانبياء بل لا يشبه كلام الصحابة، كحديث ثلاثة تزيد فى البصر، النظر الى الخضرة و الماء الجارى والوجه الحسن، اقول فيه كلام يقول البعض من وضع الزنادقة، وقال بعضهم انه ضعيف لا موضوع.

ومنها (٨) ان يكون فى الحديث تاريخه كذا و كذا مثل قوله اذا كان سنة كذا و كذا وقع كيف و كيف، واذا كان شهر كذا و كذا وقع كيت و كيت، كقول الكذاب الاشر: اذا انكسف القمر فى المحرم كان الغلاء و القتال، ومنها (٩) ان يكون الحديث بوصف الاطباء والطرقية اشبه واليق كحديث الهريسة تشد الظهر، و حديث اكل السمك يذهب الجد، و منها (١٠) احاديث العقل كلها كذب، كقوله لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل، ثم قال له ادبر، فادبر فقال ما خلقت خلقا اكرم على منك، بك آخذ و بك اعطى، قلت فيه اختلاف، قال العراقى: انه اخرجه الطبرانى فى الكبير و الاوسط و ابو نعيم باسنادين ضعيفين، وقال البعض: موضوع، ومنها (١١) الاحاديث التى يذكر فيها الخضر و حياته كلها كذب، ولايصح فى حيواته حديث واحد، كحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المسجد فسمع كلاما من ورائه فذهبوا ينظرون فاذا هو الخضر.

و منها (١٢) ان يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، كحديث عوج بن عنق الطويل، الذى قصد واضعه الطعن فى اخبار الانبياء، فان فى هذا الحديث ان طوله كان ثلاثة الف ذراع و ثلثمائة وثلث وثلثين، وان نوحا لما خوفه الغرق قال احملنى فى قصعتك هذه، وان الطوفان لم يصل الى كعبه وانه خاض البحر فوصل الى حجزته، وانه كان

ياخذ الحوت من قرار البحر فيثويه فى عين الشمس، وانه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى، واراد ان يرضخهم بها فقورها على عنته مثل الطوق، وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله، انما العجب ممن يدخل هذا الحديث فى كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين امره، ولاريب ان هذا و امثاله من زنا دقة اهل الكتاب الذين قصدوا السخرية والاسنهزاء بالرسل و اتباعهم، ومنها (١٣) مخالفة الحديث لصريح القران.

كحديث مقدارا لدنيا وانها سبعة الاف سنة ونحن فى الالف السابعة، وهذا بين الكذب لانه لو كان صحيحا لكان كل احد علم انه قد بقى للقيامة من وقتها هذا وهذا، والله يقول يسئلونك عن الساعة ايان مرسها الاية، ومنها (١٤) احاديث صلوات الايام و الليالى، كصلواة يوم الاحد وليلة الاحد و يوم الاثنين و ليلة الاثنين الى اخر الاسبوع كلها كذب، وكذالك احاديث صلواة الرغائب اول جمعة من رجب كلها كذب.

ومنها (١٥) احاديث صلواة ليلة النصف من شعبان، كحديث يا على من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بالف قل هو الله احد قضى الله له كل حاجه طلبها تلك الليلة، وساق خرافات كثيرة، واعطى سبعين الف حوراء لكل حوراء سبعون الف غلام وسبعون الف ولدان الى ان قال، و

يشفع والداه كل واحد منهما فى سبعين النساء، و العجب ممن شم رائحة العلم بالسنة ان يغتر بمثل هذا الهذيان، ووضعت هذه فى الاسلام بعد الاربع مائة و نشئت من بيت المقدس فوضع لها عدة احاديث كلها لا يصح.

و منها (١٦) ركاكة الفاظ الحديث وسماجتها بحيث يمجها السمع و يدفعها الطبع كحديث اربع لا يشبع من اربع، انثى من ذكر و ارض من مطر و عين من نظر و اذن من خبر، وقال البعض انه ضعيف لا موضوع، وحديث الصواغير والحاكة والاساكفة و صنعة من الصنائع المباحة فكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و منها (١٧) احاديث ذم الحبشة والسودان كلها كذب، كحديث دعونى من السودان انما الاسود لبطنه و فرجه.

ومنها (١٨) احاديث ذم الترك وذم الخصيان و ذم المماليك، كحديث لو علم الله فى الخصيان خيرا لاخرج من اصلابهم ذرية يعبدون الله، ومنها (١٩) ما يقترن بالحديث من القرائن التى يعلم بها انه باطل، مثل حديث وضع الجزية عن اهل خيبر، فهذا كذب من عدة وجوه، و ذكر وجوها ثمانية على بطلانه، ومنها (٢٠) احاديث ذم الاولاد كلها كذب من اولها الى اخرها، كحديث لو يربى احدكم بعد الستين ومائة جرو كلب خيرله من ان يربى ولدا.

و منها (٢١) الاكتحال يوم عاشوراء والتزين والادهان فذالك من وضع الكذا بين، وقابلهم اخرون فاتخذوه يوم تألم وحزن، وفيه طائفتان مبتدعتان خارجتان عن اهل السنة والجماعة اى الخوارج والرافضة، فالخوارج يكتحلون اظهار اللفرح والسرور، والرافضة يتركوها ويلبسون لباس السود وغيره للحزن، وكل هذه من الخرافات.

ومنها (٢٢) ذكر فضائل السور وثواب من قرأ سورة كذا فله اجر كذا من اول القران الى اخره كما ذكره الثعبلى و الواحدى فى اول كل سورة والزمخشرى فى اخرها، وكذا تبعه البيضاوى، قال عبد الله بن المبارك اظن ان الزنادقة وضعوه، اقول هذا سوى الاحاديث الصحاح والحسان التى رويت فى فضائل القران او فى سورة مخصوصة.

ومنها (٢٣) ما وضعه جهلة المنتسبين الى السنة فى فضل الصديق رض كحديث ان الله يتجلى للناس عامة يوم القيامة ولابى بكر خاصة، قال الخليلى فى كتاب الارشاد، و ضعت الرافضة فى فضائل على واهل البيت نحو ثلاثمائة الف حديث، ولا يستيعد هذا فانك لو تتبعت ما عندهم من ذالك وجدت الامر كما قال، وكذالك الاحاديث فى ذم ابى حنيفة والشافعى وفى ذم معاوية و عمرو بن العاص و ذم بنى امية ومدح المنصور والسفاح و كذا فى ذم يزيد والوليد ومروان

وكذا كل حديث فى يتعداد و ذمها و البصرة والكوفة و مرو وغيرها كلها كذب.

و منها (٢٤) احاديث مدح العزوية فكلها باطلة، و من ذالك احاديث مدح الباقلاء والرمان والزبيب وغير ذالك كل ذالك كذب، و منها (٢٦) وصايا على كلها موضوعة سوى الحديث الاول، وهو يا على انت منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبى بعدى، قال الصغانى كلها موضوعة، واخر هذه الوصايا يا على اعطيتك فى هذه الوصية علم الاولين والاخرين، وضعها حماد بن عمرو النصبى، و كذا الاربعون الودعانية كلها كذب، قال السيوطى فى الذيل ان الاربعين الودعانية لا يصح فيها حديث مرفوع على هذا النسق فى هذه الاسانيد، و هى مسروقة سرقها ابن ودعان من واضعها زيد بن رفاعة.

وهكذا الف الاف من الاحاديث الموضوعة فى الفضائل والتواريخ والاخبار المستقبلة وغير ذالك، فبعضها لا اصل له قطعا فهى مكذوبة من اصلها، و بعضها مكذوبة من الفاظها، و لكن معناها ثابتة من القران والسنة، وبعضها موضوعة اسنادا بحديث ان الراوى كذاب، ولايروى من غير وجه، ولاله اصل ثابت، فقيل انه موضوع، وعلى هذا الموضوع صنفت رسائل كثيرة و كتب عديدة، وانما ذكرنا ههنا مختصرا فمن شاء فليرجع الى المطولات والله اعلم.

الفائدة الثامنة والثلاثون
فى نبذه من اصول الجرح و التعديل والرد والقبول

التعديل يقبل مبهما بدون بيان السبب، لان اسبابه كثيرة فيثقل ذكرها، واما الجرح فانه لا يقبل الا مفسرا مبينا سبب الجرح، لان الجرح يحصل بامر واحد فلا يشق ذكره، و لان الناس مختلفون فى اسباب الجرح، فيطلق احدهم الجرح نباء على ما اعتقده جرحا و ليس بجرح فى نفس الامر، فلا بد من بيان سببه ليظهر اهو قادح اولا، قال ابن الصلاح وهذا ظاهر مقرر فى الفقه واصوله، قلت وهو مذهب ائمتنا السادة الحنيفية، قال فى كشف الاسرار شرح اصول البزدوى: اما الطعن من ائمة الحديث فلا يقبل مجملا اى مبهما من غير ان يذكر سبب الطعن، وهو مذهب عامة الفقهاء والمحدثين.

وذكر الخطيب: انه مذهب الائمة من حفاظ الحديث كالشيخين وغيرهما، ولذالك احتج البخارى بجماعة سبق من غيره الجرح لهم كعكرمة وعمرو بن مرزوق، واحتج مسلم بسويد بن سعيد وجماعة اشتهر الطعن فيهم، و هكذا فعل ابو داؤد، و ذالك دال على انهم ذهبوا الى ان الجرح لا يثبت الا اذا فسر سببه، و ههنا قول ثان ايضا و هو قبول الجرح و التعديل من غير بيان السبب اذا كان الجارح والمعدل عالما باسباب الجرح والتعديل والخلاف فى ذالك مرضيا فى اعتقاده وافعاله.

قال السيوطى فى التدريب: و هذا اختيار القاضى ابى بكر الباقلانى و نقله عن الجمهور، و اختاره الغزالى والرازى والخطيب، و صححه ابو الفضل العراقى والبلقينى فى محاسن الاصطلاح، وهو الذى جرى عليه علماء الجرح والتعديل من المتاخرين ايضا، فدونك كتب هؤلاء الائمة الحفاظ المندرى والنووى وابن دقيق العيد وابن تيمية و ابن عبد الهادى والذهبى و المار دينى و ابن القيم والسبكى والزيلعى و ابن كثير والزركشى وابن رجب والعراقى والهيثمى وابن حجر والعينى وابن الهمام و السخاوى والسيوطى والمناوى وسواهم من لحق بهم من ائمة هذا الشان، فانهم فى كتبهم يعدلون و يصححون و يجرحون و يضعفون دون بيان السبب.

فتبين من هذا ان المسئلة مختلفة، ويلزم على القول الاول التوقف فى الراوى المجروح حتى تتزاح الريبة عنه، فالصحيح الذى يعول عليه بان هذا يختلف باختلاف احوال المزكى، فمن كان ثقة و عرف بالبصيرة والضبط يكتفى باطلاقه و من عرفت عدالته فى نفسه و لم تعرف بصيرته بشروط العدالة فقد يراجع و ليستفسر و هكذا قال الحافظ ابن كثير فى كتابه اختصار علوم الحديث ا ما كلام هؤلاء الائمة المنتصين هذا الشان فينبغى ان يؤخذ مسلما من غير ذكر اسباب و ذالك للعلم بمعرفتهم واطلاعهم واضطلاعهم فى هذا الشان واتصافهم بالانصاف والديانة والخبرة والنصح لا سيما اذا اطبقوا على تضعيف الرجل او كونه متروكا او كذابا او

نحو ذالك" او يقال بان الراوى اذا لم يكن فيه توثيق من احد وجرحه واحد جرحا مبهما توقف عن حديثه واذا وثقه احد فلا يقبل فيه الجرح مبهما بل لا بد من كونه مفسرا ببيان السبب.

وقد مال الحافظ فى شرح النخبة الى قبول الجرح مبهما فيمن لم يوثقه احد وهكذا قال فى لسان الميزان يقول بل الصواب التفصيل فان كان الجرح والحالة هذه اى قد وثقه بعضهم وجرحه اخرون مفسرا قبل والا عمل بالتعديل وعليه يحمل قول من قدم التعديل فاما من جهل حاله و لم يعلم فيه سوى قول امام من ائمة الحديث انه ضعيف او متروك او ساقط او لا يحتج به و نحو ذالك فان القول قوله ولا نطالبه بتفسير ذالك" .

(٢) اذا اجتمع فى الراوى جرح و تعديل فان كانا مبهمين يقدم التعديل كما قدمنا و ان كان الجرح مفسرا والتعديل مبهما قدم الجرح هذا هوالاصح عند الفقهاء و الاصوليين و نقله الخطيب عن جمهور العلماء لان مع الجارح زيادة علم لم يطلع عليها العدل، وان كان التعديل مفسرا ايضا بان يقول العدل عرفت السبب الذى ذكره الجارح و لكنه تاب وحسنت حالته انه حينئذ يقدم التعديل هكذا فى تدريب الراوى.

(٣) من ثبتت عدالته واذ عنت الامة لامامته لا يوثر فيه جرح و لو مفسرا و كان حديثه صحيحا لا حسنا فقط قال ابو جعفر ابن جرير الطبرى: من ثبتت عدالته لم يقبل فيه

الجرح و ما تسقط العدالة بالطن، و لو كان كل من ادعـــى ميله لمذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادعـــى بــه و سقطت عدالته و بطلت شهادته بذالك للازم ترك اكثر محدثى الامصار، لانه ما منهم الاوقد نسبه قوم الى ما يرغب به عنــه، فهذا الامام البخارى المجمع على مامته قد ترك حديثه ابو حاتم وابو زرعة الرازيان عندما كتب اليهما محمد بن يحيى الذهلـــى انه اظهر عندهم ان لفظه بالقران مخلوق" فهل نترك حديـــث البخارى كما تركه ابو حاتم وابو زرعة والذهلى؟

(٤) لا يحل لك ان تأخذ بقول كل جـــارح فى اى راو كان وان كان ذالك الجارح من الائمة او مـــن مشـــاهير علماء الامة فكثيرا ما يوجد امر مانع من قبول جرحه و حينئذ يحكم برد جرحه وله صور كثيرة لا تخفى على المهرة منـــها ان يكون الجارح نفسه مجروحا فحينئذ لا يبادر الى قبول جرحه و كذا تعديله ما لم يوافقه غيره ومنها ان يكون الجـــارح مـــن المتعنتين المشددين فى الجرح فان هناك جمعا من ائمة الجـــرح والتعديل لهم تشدد فى هذا الباب فيجرحون الـــراوى بـــادنى جرح و يطلقون عليه مالا ينبغى اطلاقه فمثل توثيقه معتـــبر و جرحه لا يعتبر ما لم بوافقه غيره ممن ينصف و يعتـــبر فمـــن المتعنتين المشددين ابو حاتم والنسائ وابن معين وابو الحسن بن القطان و يحيى بن سعيد القطان وابن حيان وغـــيرهم فـــانهم معروفون بالاسراف فى الجرح والتعنت فيه.

قال السخاوى فى فتح المغيث قسم الذهـــبى مـــن تكلم فى الرجال اقساما فقسم تكلموا فى سائر الرواة كـــابن

معين وابي حاتم وقسم كلموا فى كثير من الرواة كمـــالك و شعبة و قسم تكلموا فى الرجل بعد الرجـــل كـــابن عيينـــة والشافعى قال والكل على ثلاثة اقسام (١) قسم منهم متعنـت فى التجريح مثبت فى التعديل يغمز الراوى بالغلطين و الثـلاث فهذا اذا وثق شخصا فعض على قوله بالنواجذ وتمسك بتوتيقه واذا ضعف رجلانا نظر هل و افقه غيره على تضعيفـــه فـــان وافق و لم يوثق ذالك الرجل احد من الحذاق فهو ضعيـف وان وثقه احد فهذا هو الذى قالوا فيه لا يقبل فيه الجرح الامفسـوا يعنى لا يكفى فيه قول ابن معين مثلا ضعيف و لم يبين سـبب ضعفه ثم يجيئ البخارى وغيره يوثقه. (٢) وقسم منهم متسمح كالترمذى والحاكم. (٣) وقسم معتدل كاحمد والدارقطـــنى وابن عدى.

وقال الحافظ ابن حجر فى نكته على ابن الصلاح ان كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد و متوسط فمـن الدولى شعبة وسفيان الثورى وشعبة اشد منه و من الثانية يحيى القطان وابن مهدى ويحيى اشد منه و من الثالثة يحيى بن معـين واحمد بن حنبل و يحيى اشد من احمد ومن الرابعة ابو حـــاتم والبخارى وابو حاتم اشد من البخارى.

وفى الرفع والتكميل للعلامة عبد الحـــى اللكـؤى والمتشددون من المتأخرين منهم. (١) ابن الجـــوزى مؤلـــف كتاب الموضوعات والعلل المتناهية.(٢) وعمر بن بدر الموصلي مؤلف رسالة في الموضوعاتملخصة من موضوعاتابن الجـــوزي (٣) والرضى الصاغانى اللغوى لة رسالتان فى الموضوعـــات.

(٤) والجوز فانى مولف كتاب الاباطيل. (٥) والشيخ ابن تيمية الحرانى مولف منهاج السنة. (٦) والمجد اللغوى مولف القاموس وسفر السعادة والمثالهم فلهم تعنت فى جرح الاحاديث فيبادرون الى الحكم بوضع الحديث او ضعفه بوجود قدح ولو يسيرا فى راويه او لمخالفته لحديث اخر فكم من حديث قوى حكموا عليه بالوضع او الضعف وكم من حديث ضعيف لضعف يسير حكموا عليه بقوة الجرح، فالواحب على العالم ان لا يبادر الى قبول اقوالهم بدون تنقيح احكامهم انتهى.

ومن النقاد من له تعنت فى جرح اهل بعض البلاد او بعض المذاهب خاصة دون الكل (١) كا الجوجانى فان له تعنتاقى جرح الكوفيين خاصة قال الحافظ فى تهذيب التذيب الجوزجانى لاعبرة بحطه على الكوفيين وقال ايضا فى مقدمة اللسان وممن ينبغى ان يتوقف فى قبول قوله فى الجرح من كلن بينه و بين من جرحه عداوة سببهما الاختلاف فى الاعتقاد فان الحاذق اذا تأمل ثلب ابى اسحاق الجوزجانى لاهل الكوفة رأى العجب وذالك لشدة انحرافه فى النصب وشهرة اهلها بالتشيع فتراه لا يتوقف فى جرح من ذكر منهم بلسان ذلعة و عبارة طلقة و يلتحق بذالك ما يكون سببه المنافسة فى المراتب فكثيرا ما يقع بين العصرين الاختلاف والتبائن بهذا وغيره فكل هذا ينبغى ان يتأنى فيه و يتامل.

(٢) و كالذهبى فانه لتقشفه و غاية ورعه مسرف فى جرح الصوفية والاشاعرة جدا قال التاج السبكى فى طبقات

الشافعية هذا شيخنا الذهبى له علم وديانة وعنده على اهل السنة تحمل مفرط فلا يجوز ان يعتمد عليه وهو شيخنا و علمنا غير ان الحق احق بالاتباع وقد وصل من التعصب المفرط الى حد يستحيى منه" (٣) وكالدارقطنى وامثاله من متأخرى اهل الحديث، فان لهم تعنتا فى ابى حنيفة واصحابه كما لا يخفى على من طالع كتبسم.

قال العلامة بحرالعلوم فى فواتح الرحموت لابد للمزكى ان يكون عدلا عارفا باسباب الجرح والتعديل وان يكون منصفا ناصحا لا ان يكون متعصبا و معجبا بنفسه فانه لا اعتداد بقول المتعصب كما قدح الدارقطنى فى الامام ابى حنيفة بانه ضعيف فى الحديث واى شناعة فوق هذا الى ان قال والحق ان الاقوال التى صدرت عنهم فى حق هذا الامام الهمام كلها صدرت من التعصب لا تستحق ان يلتفت اليها ولا ينطفئ نوى الله ما فواههم فاحفظه.

(٤) وكالخطيب البغدادى صاحب تاريخ بغداد قال مؤلف تنوير الصحيفة لا تغتر بكلام الخطيب فان عنده العصبية الزائدة على جماعة من العلماء، كابى حنيفة واحمد و بعض اصحابه وتحامل عليهم بكل وجه وصنف فيه بعضهم السهم المصيب فى كبد الخطيب.

(٥) وكابن الجوزى فانه قد تابع الخطيب وهذا عجيب لامه نقل عن السروجى عن ابن الجوزى انه قال: والخطيب لا ينبغى ان يقبل جرحه ولا تعديله لان قوله و نقله يدل على قلة دين كذا قال العينى فى البناية وقال التاج السبكى

فى طبقات الشافعية الحذر الحذر ان تفهم ان قاعدتهم الجرح مقدم على التعديل على اطلاقها بل الصواب ان من ثبتت امامته وعدالته وكثرما وجوه وندرجارحوه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى او غيره لم يلتفت الى جرحه.

وفيه ايضا قد عرفناك ان الجارح لا يقبل منه الجرح وان فسره فى حق من غلبت طاعاته على معاصيه وماوجوه على اميه و مذكره على جارحيه اذا كانت هناك قرينة ليشهد العقل بان مثلها حامل على الوقيعة فى الذى جرحه من تعصيب مذهبى او منافسة دينوية كما يكون بين النظراء او غير ذالك فلا يلتفت لكلام الثورى وغيره فى ابى حنيفة وابن ابى ذئب وغيره فى مالك وابن معين فى الشافعى والنسائ فى احمد بن صالح المصرى و كوه ولو اطلقنا تقديم الجرح لما سلم لنا احد من الائمة اذما من امام الاوقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.

وقال الذهبى فى الميزان كلام الاقران بعضهم فى بعض لا يعبأبه لاسيما اذا لاح لك انه بعداوة او لمذهب او لحسد وما ينجو منه الا من عصمه الله وما علمت ان عصرا من الاعصار سلم اهله من ذالك سوى الانبياء والصديقين ولو شئت لسردت من ذالك كراريس و بالجمله اذا صدر الجرح من تعصب او عداوة او منافسة او بحو ذالك فهو جرح مردود وكذا جرح الاقران بعضهم فى بعض اذا كان بغير حجة

وبرهان وكان مبنيا على التعصب والمناولة والافهو مقبول فافهم.

(٥) جهالة الصحابى لا تضر صحة الحديث فانهم كلهم عدول فلا يحتاج الى رفع الجهالة عنهم بتعدد الرواه كذافى تدريب الراوى و قال الامدى فى الاحكام اتفق الجمهور من الائمة على عدالة الصحابة (مطلقا) و قد ذكرنا هذه المسئلة فى اول الكتاب فارجع اليه.

و اما جهالة غير الصحابى فعلى ضربين اما ان يكون مبهما او غير مبهم نالمبهم اختلف فى قبول حديثه والمذهب عند الحنفية قبوله وان ابهم بغير لفظ التعديل ولكن بمثل الشرط الذى اعتبر فى المرسل كذا فى ففو الاثر و هو ان يكون من القرون الثلاثة دون ما عداه وغير المبهم اما يكون مجهول العين والحال جميعا او يكون مجهول الحال فقط او يكون عدل الظاهر خفى الباطن ويقال له المستور عندهم فمذهب الشافعى واحمد واكثر اهل العلم ان مجهول الحال غير مقبول الرواية بل الابد من خبرة باطنة بحاله وقال ابو حنيفة و اتباعه يكتفى فى قبول الرواية بظهور الاسلام و السلامة عن الفسق ظاهرا كذا فى اصول الأموى.

وفى قرة العين للشيخ عبد الغنى البحرانى لا يقبل مجهول الحال وهو على ثلاثة اقسام احدها مجهول العدالة ظاهر او باطنا فلا يقبل عند الجمهور ثانيها مجهول العدالة باطنا لا ظاهرا و هو المستور والمختار قبوله وقطع به سليم الرازى وعليه العمل فى اكثر كتب الحديث المشهورة فيمن تقادم

عهدهم و تغذرت معرفتهم ثالثها مجهول العين وهو كل من لم يعرفه العلماء و لم يعرف هديثه الا من جهة را و واحد".

وفى التدريب اعلم ان مجهول العين وهو الذى روى عنه واحد ليس بمردود الرواية عند المحدثين اتفاقا بل فيه اختلاف فقيل لا يقبل مطلقا وقيل يقبل مطلقا وهو قول من لا يشترط فى الراوى مزيدا على الاسلام وقيل ان تفرد بالرواية عنه من لا يروى الا عن عدل كابن مهدى ويحيى بن سعيد قبل والا فلا وقيل ان كان مشهورا فى غير العلم بالزهد او النجرة قبل والا فلا واختاره ابن عبد البر وقيل ان زكاه احد من ائمة الجرح والتعديل مع رواية واحد قبل والا فلا و اختار ابو الحسن بن القطان و صححه شيخ الاسلام اى الحافظ ابن حجر.

وفى قفو الاثر مختصرا والمجهول اى مجهول العين عندنا هو من لم يعرف الا بحديث او حديثين و جهلت عدالته سواء انفرر بالرواية عنه واحد ام روى عنه اثنان فصاعدا فحكمه ان هذا المجهول ان كان صحابيا فلا يضر جهالته كما روان كان غيره فاما ان يظهر حديثه فى القرن الثانى او لا فلن لم يظهر جازا لعمل له فى الثالث لا بعده وان ظهر خان شهد له السلف بصحة الحديث او سكتوا عن الطعن فيه قبل او ردوه رد او قبله البعض او رده البعض مع نقل الثقات عنه فان وافق حديثه قياساما قبل وانا رد" فظهر من كلام خقهاءنا ان المراد بقبول رواية المستور ين غير الصحابة عندهم هو جواز العمل بها دون الوجوب وكذا مجهول العين من غيرهم.

(٦) تثبت العدالة بالاستفاضة والشهرة فمن اشتهرت عدالته بين اهل العلم من اهل الحديث او غيرهم وشاع الثناء عليه بها كفى فيها ولا يحتاج مع ذالك الى معدل ينص عليها و فى التدريب ملحضا قال القاضى ابو بكر الباقلانى الشاهد و المخبر انما يحتاجان الى التزكية او اذا لم يكونا مشهورين بالعدالة والرضى وكان امرهما مشكلا ملتبسا قال والدليل على ذالك ان العلم بظهور سرهما واشتهار عدالتهما اقوى فى النفوس من تعديل واحد واثنين يجوز عليهما الكذب والمحاباة" اقول فمثل ابى حنيفة ومالك والسفيانين والا وزاعى والشافعى و محمد و ابى يوسف واحمد بن حنبل والليث وشعبة وابن المبارك ووكيع وابن معين وابن المدينى و من جرى مجراهم فى نباهة الذكر و استقامة لا يسأل عن عدالتهم وانما يسأل عن عدالة من خفى امره.

واما هؤلاء فقد اشتهرت عدالتهم عند المحدثين او غيرهم من الفقهاء واهل العلم كما فى تدريب الراوى وقد سئل احمد بن حنبل عن اسحاق بن راهويه فقال مثل اسحاق يسأل عنه؟ وسئل ابن معين عن ابى عبيد فقال مثلى يسأل عن ابى عبيد ابو عبيد يسأل عن الناس" و كذا قال الذهبى فى الميزان وكذا لا اذكر فى كتابى من الائمة المتبوعين فى الفروع احدالجلالتهم فى الاسلام و عظمتهم فى النفوس مثل ابى حنيفة والشافعى والبخارى.

(٧) المروى عنه اذا انكر الرواية فان كان انكار جاحد بان يتول كذبت على وما رويت لك هذا يسقط العمل

الحديث اتفاقا وان كان انكار متوقف بان قال لا اذكـــر انى رويت هذا الحديث اولا اعرفه فعتد ابى يوسف والكرخـــى و احمد بن حنبل يسقط العمل به و عند محمد والشافعى ومـــلك لا يسقط كذا فى المنار ونور الانوار مع حاشيته. (٨) عمـــل الراوى بخلاف روايته بعد الرواية ما هو خلاف يقين يســـقط العمل به عندنا واما اذا كان قبل الرواية او لم يعرف تاريخـــه فليس ذالك بجرح كمافى المنار و شرحه.

(٩) عمل الصحابة او صحابى بخلاف الحديـــث يوجب الطعن فيه اذا كان الحديث ظاهرا لا يحتمـــل الخفـــاء عليهم او عليه و اذا كان يحتمل الخفاء فلا يوجب ذالك جرحا فيه كذا فى المنار و شرحه و كذا عملهم بمقتضى حديث دليل على صحته كما قال الشافعى رح فى الرسل اذا عضده قـــول صحابى يحتج به فكذا عمله".

(١٠) اذا قالوا فى رجل له اوهام او يهم فى حديثه او يخطئ فيه فهذا لا يترله عن درجة الثقة فان الوهم اليسير لا يضر و لليخلو عنه قال الذهبى ما كل من له هفوة ارد نـــوب يقدح فيه بما يوهن حديثه ولا من شـــرط الثقـــة ان يكـــون معصوما من الخطايا و الخطا و لكن فائدة ذكرنا كثيرا مـــن الثقات الذين فيهم ادنى بدعة او لهم اوهام يســـيرة فى ســـعة علمهم ان يعرف ان غيرهم ارجح منهم واوثق اذا عارضهم او خالفهم فزن الاشياء بالعدل و الورع مختصرا".

(١١) الاختلاف على الحفاظ فى الحديث لا يوجب ان يكون مضطرا الابشرطين احدهما استواء و جوه الاختلاف

فمتى رجح احد الاقوال قدم ولا يعل الصحيح بالمرجوح ثانيها مع الاستواء ان يتعذر الجمع على قواعد المحدثين و يغلب على الظن ان ذالك الحافظ لم يضبط ذالك الحديث بعينه فحينئذ يحكم على تلك الرواية وحدث بالاضطرات كذا فى مقدمة الفتح و فيه ايضا فالتعليل من اجل مجرد الاختلاف غير قادح اذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الصعف.

وقال فى الجوهر النقى واذا اقام ثقة اسنادا اعتمد و لم يبال بالاختلاف و كثير من احاديث الصحيحين لم تسلم من مثل هذا الاختلاف" وقال فى التدريب ان الاضطراب قد يجامع الصحة وذالك بان يقع الاختلاف فى اسم رجل واحد و ابيه و نسبته و نحو ذالك و يكون ثقة فيحكم للحديث بالصحة ولا يضر الاختلاف فيما ذكر مع تسميته مضطر با وفى الصحيحين احاديث كثيرة هذه المشابة".

(١٢) اذا كان الراوى مختلفا فيه و ثقه بعضهم وضعفهم بعضهم فالاقتصار على ذكر التضعيف والسكوت عن التوثيق عيب شديد و كذا بالعكس الا ان يكون ممن ثبتت عدالته واذ عنت الامة لامامته فلا باس بالاقتصار على التوثيق اذن بل قد يجب ذالك اذا تبين صدور الجرح من متعصب او متعنت او مجروح بنفسه او متحامل عليه للمتعاصرة او المنافرة الدنياوية او ممن لا يلتفت الى كلامه لكونه جاهلا بحال الراوى و هذا كله ظاهر بعد التامل فيما ذكرنا قال الذهبى فى الميزان فى ترجبة امان بن يزيد العطار وقد اورده العلامة ابو الفرج بن

الجوزى فى الضعفاء ولم يذكر فيه اقوال من وثقه ومن عيوب كتابه سرد الجرح و يسكت عن التوثيق".

(١٣) لا يلزم من قولهم لا يصح اولا يثبت هذا الحديث كونه موضوعا او ضعيفا و كذا لا يلزم من قولهم لم يصح او لم يثبت فى هذا الباب شئ خلوه عن الحسن ايضا قال الزركشي فى نكته على ابن الصلاح بين قولنا موضوع و بين قولنا لا يصح بون كثير فان الاول اثبات الكذب والاختلاف والثانى اخبار عن عدم الثوبوت ولا يلزم فيه اثبات العدم وهذا يجي فى كل حديث قال فيه ابن الجوزى لا يصح ونحوه".

وقال الشيخ العلامة عبد الفتاح ابو غدة فى حاشية قواعد علوم الحديث توضيح المقام ان قولهم في الحديث لا يصح او لا يثبت او لم يصح او لم يثبت او ليس بثابت او غير ثابت اولا يثبت ونحو هذه التعابير اذا قالوه فى كتب الضعفاء المتروكين والوضاعين او كتب الموضوعات فالمراد به ان الحديث موضوع لا يتصف بشيئ من الصحة واذا قالوه فى كتب احاديث الاحكام فالمراد به نفى الصحة الاصطلاحية عنه فيمكن ان يكون حسنا او ضعيفا" اقول يمكن ان يحمل قول الزركشى على هذا التفصيل فيكون سديدا".

(١٤) يجوز ان يكون را و ضعيفا عند واحد ثقة عند غيره و كذا الحديث ضعيفا عند بعضهم صحيحا او حسنا عند غيره قال الامام الترمذى فى علله وقد اختلف الائمة من اهل العلم فى تضعيف الرجال كما اختلفوا فيما سوى ذالك من العلم ذكر عن شعبة انه ضعف ابا الزبيرا لمكى و عبد اللك

بن ابى سليمان و حكيم بن جبير و ترك الرواية عنهم ثم حدث شعبة عن هو دون هؤلاء فى الحفظ و العدالة، حدث عن جابر الجعفى وابراهيم بن مسلم الهجرى و محمد بن عبيد الله العزرمى و غير واحد ممن يضعفون فى الحديث.

اه وقال الحافظ العسقلانى فى الفتح تعليل الائمة للاحاديث مبنى على غلبة الظن فاذا قالوا اخطأ فلاق فى كذا لم يتعين خطأه فى نفس الامر بل هو راجح الاحتمال فيعتمد اه" وقال الذهبى فى ديباجة تذكرة الحفاظ هذه تذكرة باسماء معدلى حملة العلم النبوى و من يرجع الى اجتهادهم فى التوثيق والتضعف والتصحيح والتزييف اه وقال النووى فى مقدمة شرح مسلم عاب عائبون سلما بروايته فى صحيحه عن جماعة من الضعفاء ولا عيب عليه فى ذالك، وجوابه من اوجه ذكرها ابن الصلاح احدها ان يكون ذالك فى ضعيف عند غيره ثقة عنده، ولا يقال الجرح مقدم على التعديل لان ذالك فيما اذا كان الجرح ثابتا مفسرا لسبب والا فلا يقبل الجرح اذا لم يكن كذا.

وقال الحافظ فى مقدمة الفتح: و قبل الخوض فيه ينبغى لكل منصف ان يعلم ان تخريج صاحب الصحيح لاى راوكان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته هذا اذا خرج له فى الاصول، فاما ان خرج له فى المتابعات والشواهد والتعاليق فهذا يتفاوت درجات من اخرج له فى الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم، و حينئذ اذا وجدنا لغيره فى احد منهم طعنا فذالك الطعن مقابل لتعديل هذا الامام فلا يقبل الا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى وفى ضبطه مطلقا او فى ضبطه لخبر بعينه، لان الاسباب الحاملة للائمة على الجرح متفادتة، منها ما يقدح و منها ما لا يقدح الخ ملخصا.

اقول: فظهر من تصريحات هذه النصوص ان توثيق الرجال و تضعيفهم و تصحيح الاحاديث و تزييفها امر اجتهادى في المواضع ممكنة الخلاف، فلا يلزم من جرح واحد فى رجل كونه مجروحا عند الكل، ولا من صحة حديث عند واحد صحته عند الاخر ولا من ضعفه عنده ضعفه عند غيره فافهم و احفظ"

(١٥) قال العلماء الحديث الضعيف اذا تعددت طرقه ولو طريقا واحدة اخرى ارتقى بمجموع ذالك الى درجة الحسن وكان محتجابه، اقول ليس هذا مطلقا قال الحافظ ابن الصلاح فى علوم الحديث: ليس كل ضعف فى الحديث يزول بمجيئه من وجوه بل ذالك يتفاوت فمنه ضعف يزيله ذالك ان يكون ضعفه ناشئا من ضعف حفظ راويه مع كونه من اهل الصدق والديانة فاذا رأينا ما قد رواه قد جاء من وجه اخر عرفنا انه مما قد حفظه ولم يختل فيه ضبطه له، و كذالك اذا كان ضعفه من حيث الارسال زال بنحو ذالك، كما فى المرسل الذى يرسله امام حافظ اذ فيه ضعف قليل يزول بروايته من وجه اخر، و من ذالك ضعف

لا يزول نحو ذالك لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذالك كا لضعف الذى ينشأ من كون الراوى متهما بالكذب او كون الحديث شاذا اه.

و هكذا قال السيوطى فى التدريب: واما الضعيف لفسق الراوى او كذبه فلا يوثر فيه موافقة غيره له، اذا كان الاخر مثله لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر نعم يرتقى بمجموع طرقه عن كونه منكرا او لا اصل له" اه و فيه ايضا ان كان ضعفها لارسال او تدليس او جهالة رجال زال بمجيته من وجه اخر و كان دون الحسن نواته فعلم ان الضعف البسير يزول بتعدد الطرق لا مطلقا وقال فى الدر المختار شرط العمل بالحديث الضعيف عدم شدة ضعفه وان يدخل تحت اصل عام وان لا يعتقد سنية ذالك الحديث، واما الموضوع فلا يجوز العمل له بحال ولا روايته الا اذا قرن ببيانه.

وقال الحافظ ابن القيم فى اعلال الموقعين واصحاب ابى حنيفة رحمه الله مجمعون على ان مذهب ابى حنيفة ان ضعيف الحديث عنده اولى من القياس والرأى وعلى ذالك بنى مذهبه كما قدم حديث القهقة مع ضعفة على القياس و الرأى. فتقديم الحديث الضعيف واثار الصحابة على القياس و الرأى، قوله وقول الامام احمد وليس المراد بالحديث الضعيف فى اصطلاح اسلف هو الضعيف فى اصطلاح المتأخرين بل ما يسميه المتاخرون حسنا قد يسميه المتقدمون ضعيفا اه.

وقال ايضا فى ذكر اصول احمد: وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا مافى روايته منهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه فالعمل به، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من اقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث الى صحيح و

حسن و ضعيف، بل الى صحيح و ضعيف للضعيف عنده مراتب فاذا لم يجد فى الباب اثرا يدفعه ولا قول صاحب ولا اجماع على خلافه كان العمل به عنده اولى من القياس، و ليس احد من الائمة الاوهو موافقه على هذا الاصل من حيث الجملة، فانه ما منهم احد الا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس".

وقال الحافظ ابن تيمية فى مجموع الفتاوى، كان فى عرف احمد بن حنبل ومن قبله من العلماء ان الحديث ينقسم الى نوعين صحيح و ضعيف، والضعيف عندهم ينقسم الى ضعيف متروك لا يحتج به والى ضعيف حسن واول من عرف انه قسم الحديث ثلاثة اقسام صحيح و حسن وضعيف هوابو عيسى الترمذى، والحسن عنده ماتعددت طرقه و لم يكن فى رواته منهم وليس بشاذ فهذا الحديث وامثاله يسميه احمد ضعيفا و يحتج به".

قال الشيخ الامام الكشميرى فى فيض البارى قول الشيخ ابن تيمية اثبات الحسن اصطلاح الترمذى دعواه غير صحيحة لان البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى تبع فى ذالك شيخه يعنى البخارى فشهره ونوه بذكره و عليه مشئ فى جميع كتابه" اقول اطلاق الحسن على الحديث او الراوى وارد على السنة عدة من العلماء السابقين للترمذى من طبقة شيوخه و شيوخ شيوخه بل على لسان الامام مالك والامام احمد والشافعى و كذا هو ثابت عن الامام ابى الوليد الطياسى شيخ البخارى و ابى حاتم الرازى وابى زرعة و البخارى وعلى بن المدينى وابن نمير و يعقوب بن شيبة السدوسى وغيرهم.

وهذا قال ابن الصلاح و يوجد اى التعبير بالحسن الاصطلاحى فى متفرقات من كلام بعض مشائخ الترمذى والطبقة

التي قبله كاحمد بن حنبل والبخارى وغيرهما"فهذه النصوص ترد دعوى الشيخ ابن تيمية ان الترمذى اصطلح على ايجاد الحديث الحسن واحدثه. بالجمله المراد بالضعيف فى كلام اصحابنا ان الحديث الضعيف مقدم على القياس ما يسمه المتأخرون ضعيفا فى ذاته وحسنا لغير اذا تأيد بالشاهد و نحوه والله اعلم اليك هذه الكلمات المختصرة فى نبذة من اصول الجرح والتعديل والقبول والرد وعليك بالمطولات خاصة باسميناه فى اثناء كلامنا.

الفائدة التاسعة والثلاثون
فى حكم التعارض وحله و بيان وجوه الترجيح

قال الامام الشاه انور الكشميرى فى مقدمة فيض البارى:
واعلم ان الحديثين اذا لاح بينهما تعارض فحكمه عندنا ان يحمل اولا على النسخ فيجعل احدهما ناسخا والآخر منسوخا ثم يتنزل الى الترجيح فان لم يظهر وجه ترجيح احدهما على الآخر يصار الى التطبيق، فان مكن فبها والافالى التساقط، هذا هوالترتيب عند التعارض عندنا كما فى التحرير وعند الشافعية يبدأ اولا بالتطبيق ثم بالنسخ ثم بالترجيح ثم بالتساقط قال الشيخ:
و ما اختاره الشافعية رأى حسن فى بادى النظر وما يظهر بعد التعمق هو ان ماذ هبنا اليه اولى لان الترتيب بين التطبيق والتساقط ظاهر فان التساقط انما هو عند تعذر التطبيق وما دام امكن الجمع لا معنى للتساقط وكذا تقديم الترجيح على التطبيق ايضا واضح فان الاخذ بالراجح مما جبل عليه الانسان فهو مودع فى قطرته الاترى انك اذا سمعت رجلا فى سألة بجواب ثم تسمع رجلا افضل منه يجيب بغير جوابه تاخذ بما اجاب به الافضل بدون تأمل ولا تركن الى قول المفضول اصلا، هذا هو الاخذ بالراجح من حيث لا ندريه.
بقى تقديم النسخ على الترجيح فغير ظاهر و ما يحكم الوجدان ان النسخ آخر الحيل، فينبغى ان يؤخر من الكل وقد تصدى بجوابه بعض العلماء المتأخرين فكتب عليه رسالة مستقلة وبذل جهده فيها ثم لم يقدر على الجواب و ما فتح الله على ان المراد من النسخ ما جاء مصرحا فى الحديث كقوله عليه اسلام نهيتكم عن زيارة القبور الافز وروها وكما رواه الترمذى عن ابى

بن كعب انما كان الماء من الماء رخصة فى اول الاسلام ثم نهى عنها و لا يستريب فى تقديم هذا النوع الامن سفه نفسه فانه اذا تعين النسخ فى باب فالتصدى الى الجمع او الترجيح لا يكون الاسفها وغباوة .

نعلم ان ما اختاره الحنفية هو الترتيب العقلى و هو الحق بعد الامعان وان كان النظر الظاهر يحكم بخلافه" قال فى فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت لا يكون التدافع فى الحجج الشرعية فى نفس الامر والالزم التناقض والعبث الذى الشارع متره عنه بل يتصور التعارض ظاهرا فى بادى النظر بالجهل بالتاريخ او الخطأ فى فهم المراد و حكمه النسخ ان علم المتقدم والمتأخر و يكونان قابلين له والافا لترجيح ان امكن لان ترك الراجح خلاف المعقول والاجماع والا فالجمع بقدر الامكان للضرورة وان لم يمكن الجمع تساقطا فالمصير الى مادونهما من الحجج مرتبا ان وجد فاذا كان التعارض بين الايتين فالمصير الى خبرالواحد واذا كان بين الخبرين من فالمصير الى اقوال الصحابة او القياس اه" فظهر من هذه النصوص ان النسخ مقدم على الكل.

فعند التعارض يعرف النسخ الابمساعدة القرآن و هذه تسمى بمعرفات النسخ وهى اربعة اولها ما يعرف بتصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم به كحديث مسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور الافزوروها ثانيها ما يعرف بقول الصحابى كحديث النسائ عن جابر بن عبد الله كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار ثالثها ما يعرف نسخه بالتاريخ كحديث شداد بن اوس افطر الحاجم والحجوم وفى بعض رواياته ان ذالك كان سنة ثمان من الهجرة نسخه حديث ابن عباس احتجم النبى صلى الله عليه وسلم وهو

محرم صائم وفى بعض رواياته ان ذالك كان فى حجة الوداع سنة عشر.

وقد يعرف النسخ من القرائن المشيرة اليه كان يكون صحابى هذا الحديث متأخر الاسلام وصرح بسماعه الحديث فيكون ناسخا لحديث رواه صحابى اخر متقدم الاسلام على ذالك وقد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم حين اسلامه وغير ذالك من ملابسات دقيقة لابد من اعتباره و النظر فيها رابعها ما يعرف نسخه بانعقاد الاجماع على خلافه وهذه مسئلة مشكلة فى تحقيق انعقاد الاجماع وان لا مخالف له.

قال فى قفو الاثر وليس من الناسخ ما يرويه الصحابى المتأخر الاسلام معارضا متقدم الاسلام الا ان يصرح بسماعه من النبى صلى الله عليه وسلم وان يكون لم يتحمل عنه صلى الله عليه وسلم شيئا قبل اسلامه وان يكون المتقدم الاسلام قد سمعه قبل سماعه اه".

وفى فواتح الرحمرت مختصرا تقدم احد الخبرين على الاخر قد يعلم بالتاريخ صراحة فلابد ان يكون المتأخرنا سخا للمتقدم وقد يعرف دلالة كالحاظر والمبيح اذا اجتمعا فى حكم ولم يعلم بالتاريخ ايما اقدم فحينئذ يجعلون الحاظر مؤخرا عن المبيح دلالة كيلا لا يلزم النسخ مرتين وفيه الاحتياط ايضا فانه لا خرج فى الاجتناب عن المباح ولا ذنب ان كان المبيح متاخرا وفى العمل بالاباحة حرج ان كان المحرم متأخرا .

قلت المراد بالنسخ فى كلام السلف وهو غير اصطلاح المتأخرين لان النسخ عندهم لا يختص ببيان التبديل ورفع الحكم جملة بل يعم جميع البيان و على هذا المعنى كثر استعماله فى عصر الامام الطحاوى وفى كلامه وليس هذاهوالمراد فى كلام السلف

وفيما قلنا من قبل كما قال الحافظ ابن القيم فى اعلام الموقعين مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين و رفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة اما بتخصيص او تقبيد او حل مطلق على مقيد و تفسيره و تبيينه حتى انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذالك رفع دلالة الظاهر و بيان المراد فالنسخ عندهم وفى لسانهم هو بيان المراد بغير ذالك اللفظ بل بامر خارج عنه ومن تامل كلامهم راى من ذالك فيه ما لا يحصى وزال عنهم اشكالات او جبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحاديث المتأخر.

" اقول فمن لم يتنبه على هذا الفرق يطلق لسان الاعتراض على الامام الطحاوى و يجعله هدفا لسهام الملام فما قلنا ان النسخ مقدم على الكل هو النسخ بمعنى الذى عند السلف و يعرف ذالك بمعرفاته كما اشرفا واذا لم يثبت النسخ فالمرجع الى الترجيح، وهذا الموضوع شاق و مجهد الغاية لانه يتطلب وراية وروایة والدراية تحتاج الى فهم المعنى و نظر ثاقب والرواية تحتاج الى اطلاع على كل كلية وجز ئية تتصل باحاديث المسألة الواحدة اسانيدها و رواتها من الصحابة تاريخهم واوصافهم والفاظهاء ما شاكل ذالك.

وقد تعب علماء الاصول فى تحقيق وجوه الترجيح بين التعاغرضين وقد تعرض الحازمي هذا فى مقدمة كتابه. والاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الاثار" فذكر خمسين وجها من وجوه الترجيح مع ذكره امثلة على اكثرها وقال فى ختام كلامه وثم وجوه كثيرة اخر بنا عن ذكرهما كيلا يطول بها هذا المختصر فجاء العراقى و نقل كلمته هذه فى حاشيته على ابن الصلاح وقال وجوه الترجيحات تريد على المائة وقدرأيت عدها مختصرا

فابدأ بالخميم التي عده الحازمي ثم اسرد بقيتها على الولاء اه وسردها مائة وجه وعشرة وجوه وقال فى اخر كلامه وثم وجوه اخر للترجيح فى بعضها نظر و بعضها اذا خر مقبول.

ومن هنا فدرك جهل بعض الناس حينما يذكر لهم حديثان متعارضان فى الظاهر يبادرون الى ترجيح الحديث المروى فى الصححين على الاخر غير المروى فيهما دون اى اعتبار منهم لاى وجه اخر من هذه الوجوه الكثيرة فى حين ان الحافظ العراقى لما ذكر هذه الوجوه مرتبة متتالية ذكر ان الوجه الثانى بعد المائة كون الحديث المروى فى الصحيحين راجحا على حديث اخر غير مروى فيهما فيكون هؤلاء قد اهدروا مائة وجه ووجها من وجوه الترجيح غافلين او متغافلين. فاذكر نبذة من وجوهه ومن فواتح الرحموت وكتاب الاحكام للامدى الترجيح عندنا اخبار زيادة احد المتمائلين المتعارضين على الاخر بما لا يستقل حجة لوانفرد فمنه ما يعود الى السند والرواية ومنه ما يعود الى المتن و منه ما يعود الى المدلولى والحكم ومنه ما يعود الى امر خارج فالترجيح فى المتن قد يكون بقوة الدلالة كالمحكم عندنا يترجح على المفسر والمفسر على النص والنص على الظاهر والظاهر على الخفي والخفى على المشكل ولا يصح معارضة المجمل لقسيماته الا بعد البيان فيصير متضح الدلالة و المتشابه غير معلوم المراد فلا يصح معارضته واحدا من القسيمات اصلا.

والاجماع يترجح على النص لان الاجماع لا يكون ناسخا ولا منسوخا والعام الغير المخصوص يترجح على العام المخصوص لكون الاول قطعيا و الثانى ظنيا والحكم الموكد يترجح على غيره لان الموكد لا يحتمل التاويل او يبعد فيه بخلاف غير الموكد والرواية باللفظ تترجح على الرواية بالمعنى لاحتمال

الغلط فى نقل المعنى وما جرى بحضرته صلى الله عليه وسلم فسكت يترجح على ما بلغة فسكت، والاقل احتمالا يترجح على الاكثر احتمالا والمجاز الاقرب يترجح على الا بعد لانه اقوى فى الفهم غالبا والمجاز الاشهر علاقة واستعمالا يترجح على غير.

والعموم بصيفة الشرط والجزاء بترجح على علعموم بالنكرة المنفية وغيرها من الفاظ العموم لا فادة صسغة الشرط تعليل الحكم المعلق به وقد يخص منه النكرة التى بعد لا التى لنفى الجنس لكونه انص فى العمرم من صينع الشرط وهو الاظهر والجمع المحلى باللام والاصول يترجح على الفرد المعرف باللام او الاضافة والقول يترجح على الفعل لان من خالف فى دلالة الفعل وجواز الاحتجاج به لم يخالف فى القول اللهم الا ان يكون الفعل مقارنا بدليل التأس فيتعارضان كما مر.

و ما يكون بسماع من النبى صلى الله عليه وسلم يترجح على ما فيه حكاية عما جرى فى مجلسه او زمانه و سكت عنه و ما يكون حظره مع السكوت عنه اعظم يترجح على ما حظره ما بسكوت عنه اخف وما لا تعم به البلوى يترجح على خبر واحد ورد فيما بقم به البلوى واذا كان احدهما يدل على مدلوله بالوضع الشرعى والاخر باللغوى وكل واحد منهما مستعمل فى الشرع فالعمل باللفظ اللغوى اولى الا اذا استعاره الشارع فى معنى وصار عرفاله حتى صار الاول مهجورا شرعا فالشرعى اولى.

واختلفوا فى ان كثرة طرق الحديث من امارات الترجيح ام لا ذهب عامة الحنفية و بعض الشافعية الى الثانى وقالوا لا تترجح احدى الشهادتين على الاخرى بكثرة العدد ما لم يخرج عن حيز الاحاد الى حيز التواتر او الشهرة و ذهب اكثر الشلفعية

وابو عبد الله الجرجانى من اصحابنا وابو الحسن الكرخى فى رواية الى الاول وفى مسلم الثبوت مع شرحه لمولى الله اللكنوى لا ترجيح بكثرة الرواية عند ابى حنيفة وابى يوسف خلافا لا كثر العلماء كالائمة الثلاثة ومنهم محمد فيترجح بكثرة الادلة والرواة عندهم وان لم تبلغ الشهرة واما فقه الراوى فقال الحازمى الوجه الثالث والعشرون من وجوه الترجيح ان يكون رواة احد الحديثين مع تساويهم فى الحفظ والاتقان فقهاء عارفين باجتناء الاحكام من مثمرات الالفاظ فالاسترواح الى حديث الفقهاء اولى و حكى على بن خشرم قال لنا وكيع اى الاسنادين احب اليكم الاعمش عن ابى وائل عن عبد الله او سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله فقلنا الاعمش عن ابى وائل عن عبد الله فقال يا سبحان الله الاعمش شيخ وابو وائل شيخ و سفيان فقيه و منصور فقيه وابراهيم فقيه و علقمة فقيه و حديث تتداوله الفقهاء خير من ان تتداوله الشيوخ رواه الحاكم فى معرفة علوم الحديث.

قال ابن الاثير فهذا من طريق الفقهاء رباعى الى ابن مسعود وثنائى من طريق المشائخ ومع ذالك قدم الرباعى لاجل فقه رجاله وفى التدريب ثالثها اى من وجوه الترجيح فقه الراوى سواء كان الحديث مرديا بالمعنى او باللفظ لان الفقيه اذا سمع ما يمتنع حمله على ظاهره بحث عنه حتى يطلع على ما مزول به الاشكال بخلاف العامى وفى شرح مسلم الثبوت بخلاف غير الفقيه فانه لا يقدر على ذالك فينقل القدر المسموع و هذا بعينه يقتضى ترجيح الافقه على من هذا اونى منه فى الفقه فترجح رواية من هواكثر فقها على من ليس بتلك المرتبة.

وفى فتح القدير ذكر مناظرة مشهورة بين ابى حنيفة والاوزاعى انه اجتمع هو والاوزاعى فى دار الحناطين بمكة فقال

الاوزاعى لابى حنيفة ما بالكم لا ترقعون ايديكم فى الصلواة عند الركوع و عند رفع الراس منه فقال ابو حنيفة لانه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيئ فقال كيف لم يصح و قد حدثنى الزهرى عن سالم عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يرفع يدير اذا افتتح الصلواة و عند الركوع و عند الرفع منه فقال ابو حنيفة حدثنا حماد عن ابراهيم عن علقة والاسود عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايرفع يديه الا عند افتتاح الصلواة ثم لا يعود بشئ من ذالك فقال الاوزاعى احدثك عن الزهرى عن سالم عن ابيه و تقول حدثنا حماد عن ابراهيم فقال ابو حنيفة كان حماد افقه من الزهرى وابراهيم افقه من سالم وعلقمة ليس بدون ابن عمر فى الفقه وان كانت صحية وله فضل الصحية فالاسود له فضل كبير و عبد الله فسكت الاوزاعى فرجح ابو حنيفة بفقه الرواة كما رجح الاوزاعى بعلو الاسناد و هو الذهب المنصور عندنا.

والمسنلزم لمجاز واحد اولى من المتلزم لمجازين والدال على مدلوله بالمطابقة اولى من الدال عليه بالالتزام والدال بدلالة الاقتضا واولى بن الدال بالمفهوم والدال بمفهوم الموافقة اولى من الدال بمفهوم المخالفة والدال ما بمنطرق اولى من الدال بغير المنطرق. والترجيح العائد الى الحكم والمدلول قد يكون بالاهمية بان يكون الحكم المفاد باحدهما اهم فى نظر الشارع من الحكم المستفاد من الاخر فالاهم ارجح من غيره كالحكم التكليفى يترجح على الحكم الوضعى والثابت بالاقتضاء لاجل صدق الكلام و كونه معقولا يترجح على الثابت بالاقتضاء لاجل وقوعة مشروعا فان الصدق اهم.

والنهى يترجح على الامر فان دفع المفسدة اهم من جلب المنفعة والتحريم يترجح على غيره من الاحكام لذالك و قيل تترجح الاباحة لانه صلى الله عليه وسلم يحب التخفيف على امته وهو مختار الشيخ الا كبر والمختار الاول لكونه اهم وفيه الاحتياحا. والحكم ولا ثقل اولى من الاخف لان الفالب على الظن تأخره عن الاخف فان ابتداء الشرع كان بالتخفيف ثم نزلت الاحكام بالتدريج. و مثبت درء الحدود اولى من موجبه لان الداء اهم وموجب الطلاق والعتاق يترجح على ما ينفيهما لان موجبهما فى قوة المحرم والحكم المعلل اى المذكور مع العلة يترجح على غير المعلل والحكم المحتاج الى التخصيص اولى من المحتاج الى التاويل لان التخصيص اكثر بالنسية الى التاويل والموافق للقياس اولى من المخالف له والنفى يترجح على الاثبات فيما الغالب فيه الشهرة و لم يشتهر.

وما عمل به الخلفاء الراشدون اولى مما عمل به غيرهم والترجيح الفائد الى السند والرواية يكون بفقه الراوى وقوة ضبطه ودرعه ولا ترجيح عندنا بعلو الاسناد وقلة الوسائط خلافا للشافعية ولا باعتياء عند شمس الائمة لان الاعبياد لا دخل له فى الصدق ولا فى الضبط فكم من معتادين يتساهلون بل يكذبون وكم ممن لا اعتياد له بالرواية يهتم بشان الحديث ويكون الترجيح بعلمه بالعربية فالعارف بالعربية اولى من الجاهل بها والمحدث عن الحفظ اولى من الراوى عن الكتاب و يكون بكون الراوى من اكابر الصحابة فقها و دراية والمباشر لما رواه اولى من غير المباشر والاقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم حال سماعه اولى من الا بعد،

و متقدم الاسلام اولى من المتأخر الا ان يكون التقدم لم يسمع بعد اسلامه وصرح المتأخر بسماعه بنفسه فالمتــأخر اولى و من تحمل بعد بلوغه اولى ممن تحمل الرواية فى زمن الصبا و كـــذا من تحمل بعد الاسلام اولى ممن تحمل قبله ايضا، والحكم الـــوارد بعد الهجرة اولى من الوارد قبل الهجرة ومـــن لا يلتبـــس اسمـــه بضعيف اولى ممن يلتبس اسمه باحد من الضعفاء، والمسند اولى من المرسل، والمصرح به بالسماع والوصل اولى من المعنعن اذا كـــان من مدلس، و مقطوع الرفع ارجح مما اختلف فى رفعه الاما ليـــس للرأى فيه مجال، فالوقف هناك كالرفع، ورواية الذكور اولى مـــن رواية الاناث فى غير احكام النساء.

والحديث المسند الى كتاب من كتب المحدثين اولى من الثابت بطريق الشهرة على الالسنة، والخبر التواتر والمشهور اولى من الاحاد، وهذا ظاهر، و مرسل التابعى اولى من مراسيل من بعده، وماكان راويه مشهور العدالة والنسب اولى مما ليس راويه كذالك، ومن كثر مزكوه اولى ممن قل معدلوه، وكذا من كان تزكيته بصريح المقال اولى ممن كان تزكيته بالرواية عنه او الحكم بشهادته، والتزكية بالحكم بشهادته اولى من التزكية بالرواية عنه.

والترجيح بامر خارج يكون بامور منها ان يكون احدهما قد عمل به بعض الامة فهو اولى مما لم يعمل به احد، ومنها ان يكون احدهما موافقا لدليل اخر من كتاب او سنة او اجماع او قياس او عقل او حس والاخر على خلافه، فالموافق اولى واذا كانا كلاهما دالين على الحكم والعلة الا ان دلالة احدهما على العلية اقوى فهو اولى، واذا كانا عاميين الا ان احدهما قد اتفق على العمل به فى صورة بخلاف الاخر فاتفق على العمل به اولى عندنا خلافا للشافعية، واذا كان احدهما قد قصديه بيان الحكم المختلف فيه فهو اولى مما لم يقصديه بيان ذالك الحكم، والاقرب الى الاحتياطا وبراءة الذمة اولى من الا بعد منه، والحديث الذى عمل به راويه اولى مما لم يعمل به راويه، واذا ذكر احد الراويين سبب و رود ذالك النص دون الاخر فالذاكر للسبب اولى.

اليك هذا الكلام الموجز وعليك بالمطولات، والله أعلم.

الفائدة الاربعون
فى بيان تحقيق المناط وتخريج المناط وتنفيح المناط

اعلم ان العلة هى ركن القياس وانها الوصف المتميز الذى يشهد له اصل شرعى بانه الذى نيط الحكم به، فيثبت الحكم فى كل ما يتحقق فيه ذالك الوصف ولا شك ان الاصل الذى يقاس عليه اذا كان مشتملا على عدة اوصاف لا بد ان يتعرف من بينهما الوصف الذى يكون علة للحكم، و طريق معرفته امران احدهما نص من الشارع او اجماع من المجتهدين فى عصر من العصور على ان ذالك الوصف هو العلة التى تعرف، فهى اما تعرف بصريح اللفظ او بالايماء او بالاشارة وكل منها مراتب فى المعرفة يدركها العالمون لنصوص الشريعة وثانيها هو الاستنباط وذالك عند عدم وجود نص من كتاب او سنة او اثر لصحابى او اجماع وذالك بتعرف فى الوصف الذى تشهد له المصادر الشرعية بانه علة نشاط به الاحكام.

والقياس باعتبار العلة ينقسم عندهم الى اقسام الى قياس العلة وقياس الشبه وقياس الدلالة وقياس المعنى وقياس العكس وقياس الطرد وقياس الشبه وان العلة باعتبار الشارع الوصف علة للحكم تنقسم الى موثر وملائم وغريب و مرسل، ثم الموثر وصف اعتبر عينه فى عين الحكم بنص، والملائم وصف اعتبر عينه فى حنس الحكم، او جنسه فى عين الحكم او جنسه فى جنس الحكم ههذه اقسام ثلاثة للملائم والاول للمؤثر، وهذه الاربعة هى بسائط عندهم والتعليل بكل منها مقبول عندهم كمافى كتب الفن.

واستخراج الوصف من بين اوصاف الشيئ الذى يقاس عليه ليعرف حكم غير للنصوص عليه، هو المسمى عند العلماء تخريج المناط فى بعض الاحوال و تنقيح المناط فى بعضهاو تحقيق المناط حينا. وهذه الاسماء وضعها الشافعية و لكن لا اختلاف فى العمل بمسمياتهاء موجباتها عند الحنفية ايضا كما قاله ابن الهمام فى التحرير، و مرجع عدم وضع هذه الاسماء الاحتراز عن تكثير الاصطلاح، وان عند الحنفية مصطلحات اخر تغنى عن هذه. فيجدر بنا فى هذا المقام ان نبين معانى هذه العبارات الثلاث.

قال الشيخ العلامة يوسف البنورى شرحا لما قال شيخه الكشميرى فى معارف السنن اما تحقيق المناط فهو ان يصدر حكم من الشارع فى مسألة خاصة وتعرفت عليه الحكم بنص او اجماع، ثم يفكر فى معرفة وجود هذه العلة فى مسائل اخرى تضاهيها من ذالك النوع و خذ لذالك مثلا الشارع امر بقطع يدالسارق، فينظر هل ذالك المعنى وتلك العلة يوجد فى الطرار والنباش اولا؟ و كما ان الشارع امر بشهادة رجلين واناط الاجماع قبولها بالعدالة، فهذه العلة عرفت بالاجماع غير ان تعيينها و تحقيقها فى كل شاهد يعرف بالتفكير و الاجتهاد فهذه المعرفة لوجود العلة فى المنصوص قطعية وفى غيره ظنية.

فالمناط هوالوصف المدار للحكم ومعرفته فى غير المنصوص تحقيق لذالك المناط فسمى لذالك تحقيق المناط وهذا النوع من الاجتهاد لا خلاف فيه بين الائمة فيه كما قاله الغزالى، يذعن اليه من لا يقول بالقياس ايضا، فهو ليس بقياس وليس من وطألف الاجتهاد الدقيقة فيشترك فيه الخاصى

والعامى، فان النص او الاجماع افاد تعرفها اجمالا، و حقيقة ذالك يرجع الى تمثيل شئ بنظيره وادراج الجزىء تحت الكلى، وذاك يسمى قياس التمثيل وهذا يسمى قياس الشمول و هما متلازمان، فان القدر المشترك بين الافراد فى قياس الشمول الذى يسميه المنطقيون الحد الاوسط، هو القدر المشترك فى قياس التمثيل الذى يسميه الاصوليون الجامع والمناط والعلة والامارة والداعى والباعث والمقتضى والموجب والمدار والمشترك وغير ذالك من العبارات، و يلخص بانه تعرف العلة المنصوصة او المجمع عليها فى غير الصور المنصوصة.

واما تخريج المناط فهو ان ينص حكم من الشارع او يثبت باجماع و لم يتعرف علة الحكم من النص او الاجماع و اقترنت هناك عدة اوصاف كل منها يصلح للعلية فيرجح المجتهد برأيه احدا منها و يعينه مدارا و مناطا للحكم فاستخراج المجتهد من بينها ما هو مدار للحكم وابدائه و تعيينه هو تخريج المناط ويسمى بالمناسبة ايضا ويلخص بانه تعيين العلة بمجرد ابداء المناسبة من ذاته لا بنص او اجماع.

مثاله حديث النهى عن الربا فالحرمة فى الاشياء السنة منصوصة و هو حكمها لكنه لم يض هناك بعلة الحكم واجتمعت هناك عدة من القدر والجنسية ومن الطعم والثمنية ومن الاقتيات والادخار فاختلفت انظار المجتهدين فى التعيين ما هو مناط للحكم فى نظر الشارع فذهب ابو حنيفة الى انه القدر والجنسية والشافعى الى انه الطعم والثمنية ومالك الى انه الاقتيات والاذخار وهذا النوع من القياس وظائف الاجتهاد وفى مثل هذا يتبين دقة مأخذ المجتهد و دقة مدارك المجتهدين

وغير المجتهد لا يساهمه فى ذالك لان النص او الاجماع لم يصرح بالعلة التى اعتبرت فى الحكم لا تفصيلا ولا اجمالا فاعتبار ما لم يعتبره الشارع صراحة يحتاج الى اجتهاد دقيق لا يقول باعبائه الا المجتهد النظار والفقيه الغواص.

واما تنقيح المناط فهو ما يحكم الشارع فى مسألة خاصة لم يكن غرضه منوطا بهذه الجزئية بل يريد قاعدة كلية، و انما مثلها فى صورة جزئية و تجتمع هناك اوصاف بعضها يصلح للعلية و بعضها لا يصلح، فتفقيح المجتهد وصفا من بينها لاناطة الحكم هو تنفيح المناط حتى يدور الحكم مع هذا الوصف مطردا، ان شئت فقل هو حذف صفات غير موثرة فى محل الحكم لا مدخل لها فى العلية واستيفاء ماله مدخل فيها.

و مثاله حديث اعرابي واقع اهله فى نهار رمضان فامره صلى الله عليه وسلم باعتاق رقبة، فهناك امور من كونه اعرابيا و كون المواقع اهلا وكون المواقع عامدا و كونه فى رمضان او كونه جماعا او كونه مضطرا وما الى ذالك من اوصاف و عوارض، فقال ابو حنيفة ومالك منقحين لاصل العلة الموثرة فى وجوب الكفارة هو كونه مفطرا وهو اعم من ان يكون جماعا او اكلا او شربا من سائر المفطرات بشرط ان يكون ذالك متعمدا لانا سيا، ولا يختص بالجماع بل انما وقعت صورة الجماع فى تلك الواقعة المخصوصة، والحكم اعم من ذالك حيث لا مدخل لخصوص الجماع فى علة وجوب الكفارة، بل هو فوات ركن الصوم وهو الامساك عن المفطرات الثلاثة، فالجماع عمدا مثل الاكل والشرب عمدا من غير فارق، و نقح الشافعي واحمد كونه جماعا عمدا فالحكم

عندهما مقصور عليه ولا يعدى الى غيره من المفطرات واستدلا بحديث ايضا لذالك و ليس هذا موضع بيانه وهذا النوع من الاستدلال ايضا من و ظائف الاجتهاد و يتبين فى امثال هذا من هو ابعد شأو او ردق نظرا والطف مأخذا.

قال الحافظ الكشميرى فى مقدمة الفيض نعم بقى الفرق بين القياس والتنقح والرأى فيه مختلف اما الغز الى رح فذهب الى انه نوع من القياس الا ان القياس ابداء للجامع والتنقيح الغاء للفارق، وهو الذى اختاره الاسنوى فى شرح المنهاج واليه ذهب الشوكانى فى ارشاد الفحول، يقول الشيخ قلت والحكم اذا احتوى على اشياء موثرة وغير موثرة فتخصيص الموثرة منها هو تنقيح المناط، فيجرى فى المنصوص ايضا كما اختاره البيضاوى فى المنهاج فهو نوع مغابر للقياس لا انه قسم منه.

والفرق الاخر انه لا بد فى القياس ان يتعدى الحكم الشرعى الثابت بالنص بعينه الى فرع هو نظيره ولا يجب ذالك فى التنقيح كقول النبى صلى الله عليه وسلم تحريمها النكبير فنقح ابو حنيفة مناطه بكل ذكر شعر بالتعظيم، و مع ذالك لم يلزم منه جواز غير تلك الصيغة كما صرح به الشيخ ابن الهمام و كقوله صلى الله عليه وسلم و تحليلها التسليم، فالمناط فيه وان كان هو الخروج بصنعه على ما قيل لكته لم يوجب جواز غيره كالحدث العمد فصيغة الله اكبر واجبة وغيرها مكروه وكذالك لفظ السلام واجب وغيره مكروه مع وجود المناط فيهما.

وهذا لان ابا حنيفة رح لم يقس غيرها تين الصيغتين عليهما ليشترط استواء الحكمين بل نقح المناط فى المنصوص ولا يوجب ذالك تعديته الى غير المنصوص فضلا ان يكون جاترا. والفرق الاخر ان النظر فى القياس يكون اولا الى الفرع ثم يلحقه المجتهد بنص من النصوص يراه اقرب اليه واشبه به بخلاف التنقيح فان النظر فيه اولا الى المنصوص لانه يتعرف مناط حكمه ثم يتعدى الى فرع يكون مشتركا فى المناط والحاصل ان التنقيح ليس بقياس عندى واليه ذهب البيضاوى فيجرى فى الحدود والكفارات ايضا بخلاف القياس فانه لا يجرى فيهما انتهى والله اعلم.

الفائدة الحادية والاربعون

هل تجوز الزيادة على كتاب الله باخبار الاحاد ام لا

اعلم ان الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اما يرويه جم غفير عن النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يستحيل تواطئهم على الكذب فهو المتواتر، او يرويه واحد فصاعدا من غير ان يبلغ الى تلك المرتبة ثم ارتقت حاله الى حالة المتواتر فى القرن الثانى فهو المشهور، وان لم ترتق فى الثانى ولا فى الثالث فهو خبر الواحد، ولا عبرة بالاشتهار والتواتر فيما بعد القرون الثلاثة.

والا حسن عن الشيخ الكشميرى فى تعريف هذه الاقسام ما قاله بعض اهل الاصول بان الخبران تلقاه الامة بالقبول فى القرن الاول فهو المتواتر، او فى القرن الثانى فهو المشهور، اوفى القرن الثالث فهو خبر الواحد، والمتواتر موجبه القطع، وخبر الواحد موجبه الظن، ولا ريب ان كتاب الله تعالى قطعى لا يشوبه شك، وانه خبر الواحد بالنظر الى وسائط وصوله الينا ظنى يدور حوله شك ففرق جلى بين مرتبة هذا وذالك، فاذا جاء النص من كتاب الله تعالى ساكتا عن شيئ وجاء الخبر يثبته فهل تجوز تلك الزيادة وتزادبه على القاطع ففيه اختلاف بين الائمة.

فالشافعية اثبتوا لا خبار الاحاد حكما يساوى حكم ايات القران القطوع بها، وعاملوا بالظنى معاملة القطعى،

فسوغوا اثبات الاركان والشرائط بها لا مر ثبت فى كتلب الله فخصصوا بها عمومه وقيدوا بها اطلاقه.

واما ساد اتنا الحنفية فذهبوا الى انها لا تجوز لانهـا فى معنى النسخ وهو لا يجوز من خبر الواحد و من اجل هذا شنع عليهم بعض المحدثين حتى ان ابا عمرو بن الصلاح عدها من النكارة على ابى حنيفة فانهم فهموا ان امامنا الهمام لا يبالى بخبر النبى صلى الله عليه وسلو مبالاة .

قال الشيخ الحافظ الكشميرى: وهذا كما ترى يبنى على صورة التعبير فقط. فلذا غيرت عنوانهم من السلب الى الايجاب وكم من مواضع فعلت فيها مثل صنيعى فى هذا المقام غيرت العنوان وابقيت المألة على حالها فانى احد كثيرا من اعتراضاتهم علينا من هذا القبيل فاذا غير العنوان اندفعت وطاحت وهذا كما قيل والحق قد يعتربه سوء تعبير وبعض الاعتراضات تبنى على سور الفهم وفرط التعصب و هذا ايضا من باب و كم من عائب لا صحيحا : وافته من الفهم السقيم.

قال الشيخ فاقول مغيرا كلامهم ان خبر الواحد تجوز فيه الزيادة لكن فى مرتبة الظن، فلا بزاد به على القاطع ركنا او شرطا فما ثبت من الفاطع يكون ركنا او شرطا و ماثبت من الخبر يكون واجبا او مستحبا حبسما افتضاه المقام، وليس هذا من باب التغيير فى المسألة بل من باب التعرف فى التعبير، فان الزيادة عندهم فى مرتبة الركنية والشرطية هى التى تسمى زيادة اصطلاحا، واما فى مرتبة الوجوب والاستحباب فلا يسمونها زيادة، فحينئذ معنى قولهم لا تجوز الزيادة اى فى

مرتبة الركنية والشرطية، ومعنى قولي تجوز الزيادة اى فى مرتبة الوجوب فلا خلاف ولا شقاق، نعم عباراتنا شتى و حسنك واحد، غير انه يرد على تعبيرهم التهوين ما مر الخبر بخلاف ما اخترته فانه يشعر من اول الامر باعمال الخبر والاعتناء واعطاء حقه و توفير حظه ووضعه فى مكانه.

والحاصل ان الخبر عندنا معمول به ايضا كما هو عندهم بل نقول ان لنامزية عليهم فانه يلزم على قولهم توقف القاطع على الظنى والتسويه بين مقطوع الوجود و متردده وهو غير معقول بخلاف مذهبنا فان فيه اعمالا للكل فى مرتبته وتوفير الكل ذى حظ حظه واعطاء لكل ذى حق حقه ووضعا لكل شئ فى مكانه فاين هذا من ذالك فالركن والشرط للامر القطعى لا يثبتان بالظنى نعم اذا ثبت امر بالنص الظنى صح اثبات ركنه و شرطه بالظنى مثله، ولقد احسن صاحب الهداية عند ذكر وجوب الفاتحة والسورة حيث قال الفاتحة لاتتعين ركنا عندنا وكذا ضم السورة اليها لقوله تعالى فاقرأوا ما تيسر من القرآن، والزيادة عليه بخبر واحد لا يجوز لكنه يوجب العمل فقلنا بوجوبهما، فنحن لا نلغى العمل بخبر الواحد ولا نترك حكمه سدى كما زعمه بعض من لا حظ له من الانصاف وهو النواب صديق حسن فان القنوجى.

وقال الشيخ الكشميرى ايضا انهم يأخذون النصوص عند تلاقيها مع الاخبار على إعتبارات، و يعلم من صنيع الشيخ ابن الهمام انه يأخذ الكتاب فى مرتبة الاطلاق اى لا شرط شيئ والشئ ههنا هو تعيين السورة ولوضح ذالك بمسئلة ومثال فلاحظ قوله تعالى فاقرأ و اما تيسر من القران مع

قوله صلى الله عليه وسلم لا صلواة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب، فاخذ الشيخ النص فى مرتبة الاطلاق وجعله ساكتا عن تعيين السور و حمله على بيان الاقدار اى اقرأوا اى قدر شئتم من القران فالمسوق له هو بيان الاقدار و يستفاد من سكوته ان الفاتحة والسورة سواء والحديث انما ورد فى ذكر التعيين، و حينئذ لم يبق بينيهما تعارض وصار طريق كل غير طريق الاخر فما ذكره النص ليس بمذكور فى الحديث وما تعرض اليه الحديث لم يسق له النص فماثبت بالنص يكون فرضا وما ثبت بالخبر يكون واجبا.

و يستفاد من صنيع فخر الاسلام انه يأخذ النص فى مرتبة التجرد اى بشرط لا شيئ و حينئذ لا يكون طريق كل على حدة بل بتلاقى و يتعارض فى بعض الاجزاء فيعطى كل ذى خط حظه فاذا تعارض النص والخبر كما ههنا جعل ماثبت باكتساب فرضا وما ثبت بالخبر واجبا رفعا للتناقض فهذا غير طريق الشيخ وان اشتركا فى المال فانه حل النص على نفى التعيين ثم اذا ورد التعيين فى الحديث صار ظاهره التعارض ودفع باقامة اطراتب لا بتفريق الطرق كما فعله الشيخ رح واقامة المراتب تكون فى الشيئ الواحد و تفريق الطرق يكون فى الشيئين فاعلمه.

والطريق الثالث ما اختاره الشافعية فانهم يأخذون النص فى مرتبة بشرط الشيئ، ويخرجون الحكم من المجموع، فيكون المستفاد من النص بعد لحاظ الخبر له فرضية الفاتحة قطعا. قال الكشميرى اقول: ان الامر ليس كما زعموه من ان المامور به فى القران بعد ضم الحديث معه هو الفاتحة فقط بل

الامر ما ثبت من النص نجعله ركنا وماثبت من الخبر نجعله واجبا كما ذكره صاحب الهداية، وقد مرانه لو لم نعط النص حظه بل نجعله موقوفا على الخبر فى معناه لزم توقف القاطع على الظنى وهو باطل.

ولئن سلمنا طريقهم قلنا ان نقول ان القاطع قطعى فى مراده قطعا وما يستفاد منه بعد لحاظ الخبر معه فهو ظنى لانه لم يثبت الابالظنى فلا يفيد الحكم الا بقدر دليله فلا يثبت منه غير الوجوب لاماراموه من الركنية و كذا ما زعمه الحنفية من ان المراد من النص اي قوله تعالى فاقرأوا القراءة مطلقا ولو باية ايضا مرجوع لان المراد منه ما تفعله الامة الان اى الفاتحة مع ال سورة والايلزم حمل القران على الكراهة ودرجها فى نظمه، نعم كون هذا المراد مرادا بالنص ظنى.

ولذا كانت قراءة الفاتحة مع السورة واجبة، الاترى انا لو فرضنا رجلا قرأ اية فى صلاته ثم ركع فهل تراه خالف قوله تعالى فاقرأوا الخ كيف وانه قداتى بما امر على هذا التقدير، فهل تستطيع ان تحكم على رجل امتثل بما فى القران واتى بما امران صلاته مكروهة تحريما مع انه اداها كما امره الله سبحانه، وهذا معنى قولنا يلزم درج كراهة التحريم فى النظم وحمل النص عليه فانه يلزم ان تبقى صلاته مكروهة بعد الاتيان بما فى القران ايضا.

فان قلت واذ قد منعت ان تراد من الكتاب الفاتحة فقط، فكيف ساغ لك ان تريد منه الفاتحة مع السورة؟ قلت هذا غير متأت علينا فانا لا نقول بركنيتهما، بل نقول بالوجوب فيهما ايضا، بخلاف الشافعية فانهم اخذوا الفاتحة فى

مرتبة الركنية فمنعناه، فانظر هـــداك الله بتدقيـــق النظـــر فى الموضوع ايهم هدى الى الصواب وأيهم اســـعد بـــالدليل و البرهان، فمن هناك و ضعنا ما اثبته كتاب الله فى مرتبة الفرض المقطوع به الذى لا تصح الصلواة بدونه، و جعلنا مـــا اثبتـــه الخبر فى مرتبة الواجب الذى تصح بدونه الصلواة مع نقص، او مرتبة السنية على اختلاف بين الحنفية والله اعلم.

ثم يلحق بهذه المسقلة مسئلة تخصيص عـــام الكتـــاب بالخبر، فقيل انه من باب واحد فلا يجوز كالزيادة، وقيل من با بينَ فيجوز، وفى كتبنا عامة ان عام الكتاب لا يخصص بالخـــبر عندنا والذى وضح لدى انه يجوز لان كتب المذاهب الثلاثـــة صرحوا بجوازه عند الائمة الاربعة كما فى المحصول والمختصرو شرحه للعضد و شرح الاســـنوى علـــى المنـــهاج للقـــاضى البيضاوى والمستصفى وغيرها فاختلف علماءنـــا و علمـــاء المذاهب الأخر فى نقل مذهبنا.

قال الشيخ الكشميرى كنت اظن اولا ان المذهـــب الصحيح ما نقلوه لان ما فى كتبنا نقل المتأخرين و قد نســـب الى الكرخى منا ان التخصيص جائز عنده، فاعتمدت عليـــه للمذهب وجعلت ما اختاره مذهب الامام لانه اقدم واثبـــت، وما فى كتبنا فكانه مختارهم و ليس مذهبنا اللهم الا ان يكـــون عندهم نقل صحيح من صاحب المذهب، وجعل الشيخ ابـــن الهام مسئلة الزيادة والتخصيص من واد واحد، وقال انه زيـــادة كتقييد المطلق الا انهم لا يسمونها زيادة اصطلاحا بل يســـمونها تخصيصا و التقييد زيادة.

اقول بل هما مسئلتان مختلفتان و ليس التخصيص من باب الزيادة فان الزيادة انما تكون فيما يكون النس ساكتا عنه فجاء الخبر بالمسكوت عنه، والتخصيص يجرى فيما يتناوله النص لا فى المسكوت عنه لانه اخراج بعض متناولات النص فينبغى شموله اولا ليصح اخراجه اخرا كما فى مقدمة الفيض البارى والله اعلم.

الفائدة الثانية والاربعون.

فى بيان الرجوع عن قول بعد العمل به والاقتداء خلف امام مخالف لمذهبه

قال الشيخ النبووى فى معارف السنن: قـــال علمـــاء اصول الفقه ان الرجوع عن قول بعد العمل به تقليدا لا يجـــوز ومرادهم بذالك ان رجلا مثلا عمل فى حكم مقلد المذهب او قول ثم بعد العمل بداله ان عمله عليه لم يصح لوجـــــه مـــن الوجوه فيرجع فى هذا الحكم عن التقليد ويتقلد قـــولا اخـــر تصحيحا لعمله السابق كمثل حنفى صلى ثم عثر علـــى انـــه نقض وضوء بخروج الدم السائل من جسده فيرجع فيه عــــن المذهب الحنفى و يقول اختار فيه مذهب الشافعية تصحيحـــا لصلواته التى صلاها، فذالك غير جائز، المسألة هذه ذكره ابـــن الهمام فى او اخر التحرير، وقال لا يرجع المقلد فيما قلد فيــــه اى عمل به اتناقا اه.

و نقل الآمدى و ابن الحاجب الاجماع علـــى عـــدم جوازه وانكر الزركشى الاجماع قالـــه البخـــارى فى شـــرح التحرير، ومن اراد اسقيفاء القول فى تحقيق اطرافه، فليرجع الى ما ذكره المحقق ابن امير الحاج فى شرح التحرير، ولا يفوتـــك ان المسألة فى العامى المقلد لا غير، و اما الرجوع قبل العمل به فجائز اتفاقا لمن لم يلتزم مذهبا معينا واختلافا لمن التزمه، كـــل ذالك اذا لم يكن تتبعا للرخص وتلفيقا للاقوال، فان ذالــــك

يفضى الى تلاعب بالدين واهانة لائمة المسلمين، واما رجوع المقلد عن مذهب امامه فى احادا المسائل فسوغه المحققون من اهل المذاهب الاربعة، و ليس هذا محل استيفاء البيان فيه وراجع رد المحتار.

و يحكى ان الامام ابا يوسف توضأ من حوض حمام وصلى ثم اخبربرؤية فارة فيها، فقال نعمل بقول اخواننا اهل الحجاز، اشار الى هذه الواقعة ابن عابدين الشامى فى رد المحتاز، فى مسائل المياه نقلا عن الشيخ عبد الغنى النابلسى، و هذا لا يقدح فى المسألة المذكورة اذ بعد تسليم الحكاية يحتمل ان يكون جوابه على اسلوب الحكيم، و يكون فى الحقيقة عملا بمذهبه فى الحكم بنجاسة الماء بعد العلم بها، فاما ما قبل العلم فلا فاذن صحت صلواته، ولا يفوتك هنا امران.

الاول انه ليس المراد باهل الحجاز الشافعى، فان الشافعى لم يكن له مذهب فى حياة ابى يوسف، بل كان كاحد من اصحاب مالك و محمد بن الحسن و تكون له مذهب بعد وفاة ابى يوسف بسنوات، والاحسن فى ذالك ان يرجع الى محمد بن الحسن حيث تلقى عنه فقه امام العراق ابى حنيفة، واول رحلاته الى العراق ١٨٤ هج وتوفى ابو يوسف ١٨٢ هج بل كون مذهبه بعد وفاة محمد بن الحسن بيضع سنين، راجع بلوغ الامانى من سيرة الامام محمد بن الحسن الشيبانى للشيخ الكوثرى، ولم يدرك ابا يوسف بل يروى فى الام عنه بواسطة محمد بن الحسن، بل المراد غيره من علماء مكة والمدينة من شيوخ الشافعى ومالك.

والامر الثانى انه يمكن تقريب قول ابي يوسف الى رواية عن مالك فى عدم نجاسة الماء القليل ايضا بوقوع النجاسة كما هى فى بداية المجتهد لابن رشد، وايضا مما يتنبه له ان ابا يوسف مجتهد منتسب والمسألة فى عدم جواز الرجوع كان للمقلد لا للمجتهد، فيحتمل ان يكون المجتهد فى سعة من امره اذا اجتمعت عنده وجوه متجاذبة لالحاق النظائر بالنظائر، و قياس الاشباه بالاشباه، ولاستيفاء القول مجال غير هذا.

ثم رأيت انه ذكر الواقعة ابن عابد بن قبيل كتاب الطهارة فى رد المحتار عن البزارية ما لفظها، انه روى عن ابى يوسف انه صلى الجمعة مغتسلا من الحمام ثم اخبر بفأرة ميتة فى بئرالحمام، فقال نأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا، والذى اراه بعد امعان النظر ان يكون التخريج على ما حكيت مذهبه عن البدايع وغيره، و يكون جوابه هذا من قبيل اسلوب الحكيم، او انه متقارب من مذهب ويكاد يكون المال واحدا او يقال بتاتا ان التقليد فى مثل هذا جائز لمثله بعد العمل ايضا، لانه فصل مجتهد فيه لا قطع فى احد الطرفين، ثم رابت قول ابي يوسف فى شرح التحرير و بين له تخريجا اخر راجعه والله اعلم.

وان ما قالوا بعدم جواز الرجوع بعد العمل للتوارث عن السلف هكذا، فلم يثبت عن احد منهم الرجوع فى مثل هذا، نعم الرجوع عن تحقيق الى تحقيق لا بحث فى جوازه، كما ان الشافعى كان يقول بعدم وجوب القراءة

خلف الامام فى الصلواة الجهرية ورجع عنه قبل موته بسنتين، فقال بوجوب الفاتحة و لم يقض ما كان اداه على مذهبه القديم، ولذالك نظائر ووقائع لا تعد كثرة.

واما مسألة الاقتداء خلف امام مخالف للمقتدى فى المسائل الفرعية، كحنفى خلف شافعى او على ضد ذالك فاختلفوا فيها على اقوال، الاول ما قاله صاحب الهداية بانه يجوز الا اذا علم المقتدى منه ما يزعم به فساد صلواته كالنضد وغيره، و تلخيصه يرجع الى اشتراطا تحامى الامام مواضع الخلاف، كما فى الهداية من الوتر، والثانى انه يجوز و لكن يكره وان راعى مواضع الفساد، والثالث المنع مطلقا سواء احتاط مواضع الخلاف اولا، و سواء شاهد منه شيئا مفسدا على زعم المقتدى او لم يشاهد، والرابع الجواز مطلقا من غير كراهة ما لم يكن غير مراع فى الفرائض والاركان.

ثم اختلف المجوزون هل العبرة لاعتفاد الامام او المامو او كليهما اقوال ثلاثة، انظر التفصيل فى الموضوع فى البحرا الرائق من الوتر ورد المحتاز من الامامة و فتح القدير من الوتر، ولا يجب على المقتدى بان يسأل عن امامه الشافعى حاله من بقاء طهارته او مثل ذالك، قال شيخنا اى الشيخ الكشميرى والحق انه لا عبرة لراى المأموم، بل للامام حيث تووارث عن السلف والقدماء كلهم الاقتداء خلف ائمة مخالفين لهم فى الفروع.

فالصحابة والتابعون وكذا الائمة المتبوعون كـــانوا يصلون خلف امام واحد، مع انهم مجتهدون اصحاب المذاهـب رالاراء فى الفروع، مع كثرة الاختلاف و التباين فى ارائـــهم واقواهم و لم ينقل عن احد منهم نكير او خلاف فى ذالـــك، نعم هم اذا صلوا منفردين كانوا يتبعون مذاهبهم ان كانوا اهل مذهب، او يتبعون اهل المذاهب ان كانوا مقلدين لهم، و هـــذا امامنا ابو حنيفة صاحب المذهب حج خمسين حجة و قيـــل خمسا و خمسين وكان كثير من اهل الحرمين مخـــالفين لـــه فى الفروع، فكان يصلى خلفهم و لم يثبت فى ذالك نكير عنـــه، ولا تخلف عن الاقتداء بهم.

وهذا احمد بن حنبل قيل له لو كنت ادركت مـــلك بن انس هل صليت خلفه، قال وكيف لا مع ان مذهبـــه ان الدم الكثير مفسد للصلواة وناقض للطهارة و عند مالك القليل والكثير سواء فى عدم النقض، وهذا القاضى ابو يوسف صلـــى خلف هارون الرشيد وكان هارون الرشيد احتجـــم وكـــان الامام مالك افتى هارون الرشيد بعدم الفساد به، وكان مذهب ابي يوسف ضد ذالك حكاه ابن تيمية فى فتاواه، و فيه فصلـــى خلفه و لم يعد، و حكى واقعة احمد بن حنبل ونصـــه وكـــان احمد يرى الوضوه من الحجامة والرعاف، فقيل له فان كـــان الامام قد خرج منه الدم و لم يتوضأ تصلى خلفه؟ فقال: كيف لا اصلى خلف سعيد بن المسيب ومالك.

فكل ذالك دليل على جواز الاقتداء، وان العبرة لراى الامام لا الماموم، وقال ابن الهمام فى فتح القدير كان شيخنا سراج الدين قارى الهداية يعتقد قول ابى بكر الرازى فى جواز اقتداء الحنفى خلف شافعى، و انكر مرة ان يكون فساد الصلواة بذالك مرويا عن المتقدمين، حتى ذكرته بمسألة الجامع يريد الجامع الصغير فى الذين تحروا فى لليلة المظلمة وصلى كل الى جهة مقتدين باحدهم، فان جواب المسألة ان من علم منهم بحال امامه فسدت لاعتقاد امامه على الخطاء .

قال شيخنا رح ولابرد هذا فان بين المسألتين فرقا، القبلة من الحسيات لها سبيل الى درك الواقع فيتبين فيه الخطا من الصواب، وليس كذالك اكثر المسائل الاجتهادية، فان استبانة الخطاء من الصواب فى الفصل المجتهد فيه مشكل، هذا توضيح غرض الشيخ رح وفى القلب منه ان قبلة المشتبه جهة التحرى فاصبحت هى قبلة اجتهادية، فكان الاختلاف من قبيل الاختلاف فى الفصل المجتهد فيه، و حصول العلم على تخالف جهتى الامام و الماموم عند الصلواة يكون مفسدا لا بعدها، ولا سبيل الى ادراك الصواب قبل النهار اللهم الا ان يقال ان التخالف ثم العلم به خلاف موضوع الاقتداء، فلذا لم يصح الاقتداء عند حصول العلم به والله اعلم، وكذالك صرحوا بجواز اقتداء الحنفى خلف شافعى فى الوتر وان سلم على الشفع ثم اتم، قال الشيخ ابن و هبان فى منظومه ولو حنفى قام خلف مسلم، لشفع ولم يوتر وتم فموتر.

وههنا تحقيق اخر من اختلاف النيـــة فاستشــكل الجواز بعضهم وجوزه الامام ابو بكر محمد بن الفضل انظـــر فتح القدير، وراجع مذهب الشافعية من شرح المهذب، فـــلا يتوهم ان فى ذالك خروجا عن مذهب امامه فان صلواة كـــل صحيحة على مذهبه.

ثم الحق فى موضع الخلاف واحد ام متعـــدد، الاول هو المشهور عند علماء الاصول، والثانى بنسب الى المعتزلـة، و يحكيه ابن حجر فى فتح البارى عن الائمـــة الاربعـــة، وهـــو مذهب ابي يوسف و محمد، واليه مال الشيخ الشـاه ولى الله فى عقد الجيد فى الاجتهاد والتقليد، وحكاه فى جمع الجوامع عـــن الاشعرى، و مع كل ذالك لم يجز الخروج عن تحقيقه، انظـــر تحقيقه فى شرحى التحرير من قوله المجتهد بعـــد اجتـــهاده فى حكم ممنوع من التقليد بغيره، والمسألة فيها بحـــث طويـــل لا مجال هنا لاستقصاء القول فيها. والله اعلم.

الفائدة الثالثة والاربعون
فى بيان معنى الخاص والعام وقطعيتهما فى السنة والقران

قال البزدوى فى اصوله: الخاص لفظ وضع لمعنى واحد على سبيل الانفراد اى انه اللفظ الذى يدل على معنى واحد لا يقبل الشركة فى ذات المعنى المقصود، سواء كان ذالك المعنى جنسا كحيوان ام نوعا كانسان و كرجل ام شخصا كزيد، فما دام المسمى المراد واحدا غير متعدد مقطوع الشركة فهو الخاص، والعام هو لفظ ينتظم جمعا سواء كان اللفظ ام المعنى، والاول كزيدون والثانى مثل الاسماء الدالة على العموم، من غير صيغ الجموع كالاسماء الموصولة الدالة على الجمع واسماء الشرط وغير ذالك، مثل جن و انس وغير ذالك من الالفاظ الدالة على الجمع، وهذا يغاير تعريف المناطقة للعام والخاص، ويغاير تعريف بعض من علماء الاصول.

وحكم الخاص عند الحنفية ان يتناول المخصوص قطعا ولا يحتاج الى بيان بل لا يحتمل البيان، فخاص القران قطعى فى دلالته، لا يحتاج الى بيان ولا يحتمل بيانا وراءه، وكل تغيير فى حكمه بنص اخر هو نسخ له، فلابد ان يكون الناسخ فى قوة المنسوخ من حيث قوة الثبوت، فاذا لم يكن فى قوته من حيث الثبوت فلا عبرة به بجواز خاص القران، ولا يلتفت اليه كالاختلاف فى اشتراط الطمانينة فى الركوع واشتراط الترتيب والتسمية فى الوضوء وغيرها، وفى كل هذه وردت الايات

قطعية وهى خاصة و على جنبها الاحاديث ظنية، و لا ترتفع الى مرتبة القران فلا يزاد عليه، ولان دلالة الخاص لا تحتمل البيان فلا تحتاج فى بيانها الى زائد، وان الزائد ان خالفها كان ناسخا لها، وانه لاجل اعماله يجب ان يستوفى شروط الناسخ للقرآن ان كان الخاص قرآنا.

والعام كالخاص قطعى فى دلالته سواء كان ذالك فى السنة ام فى القران الكريم، وذالك عند علماء الاصول من الحنفية، ولقد ذكر البزدوى ان ذالك هو رأى ابى حنيفة وقلل فى ذالك، والدليل على ان المذهب هو الذى حكينا ان ابا حنيفة رح قال: ان الخاص لا يقضى على العام بل يجوز ان ينسخ الخاص به، مثل حديث العرنيين فى بول ما بوكل لحمه" ثبت من هذا ان العام قطعى لان الخاص قطعى ايضا، ولا ينسخ القطعى فى دلالته الاقطعى مثله، و ان عام القران قطعى فى دلالته ما دام غير مؤول، فيجتمع له امران من القطعية قطعية الدلالة وقطعية الثبوت، و على ذالك لا يقف امامه حديث احاد معارضا، لان القران وان كان عاما قطعى فى ثبوته ودلالته، وحديث الاحاد وان كان خاصا ظنى فى دلالته، ولا يقف الظنى امام القطعى.

وهذا هو اصل الخلاف بين الاحناف والشوافع فان الحنفية يطلقون عمومات القران فى عمومها، لا يخصها حديث احاد وان الشوافع يجعلون الحديث ولو كان حديث احاد مبيتا للكتاب يخصص عمومه و يقيد مطلقه و يفصل

مجمله و يوضح مبهمه فلا يهملون احاديث الاحاد بجوار النص القراني، والقطعية التى يثبتها الحنفية للعام ليس معناها الا يدخل الدلالة احتمال تخصيص قط، لانه ما دام التخصيص جائزا ممكنا لم يقم دليل على استحالته، فهو محتمل فى كل حال.

فالعام قطعى فى دلالته كالخاص اذا لم يخصص العا لم فاذا خصص بدليل خاص مقترن به مستقل عنه فانه تصبح دلالته فى الباقى ظنية، ولا يعتبر الحنفية مطلق اجتماع دليل خاص مع دليل عام موجبا لتخصيص العام بالخاص كما يقرر الشافعية، بل لا يعتبر الخاص مخصصا للعام الا اذا اقترن احدهما بالاخر وكان الاخر مستقلا، فاذا تراخى الخاص عن العام او العكس كان المتاخر ناسخا للمتقدم و ليس مخصصا للعمومه، ولذالك يقولون فى تعريف التخصيص وهو قصر العام على بعض افراده بدليل مستقل مقترن.

والتخصيص ليس اخراجا لبعض احاد العام من الحكم بعد دخولها فى عمومه، انما هو بيان ارادة الشارع الخصوص من اول الامر، وان الاحاد التى لا يشملها لفظ العام لم تدخل فى ضمن الدلالة من اول الامر، فعند الحنفية ان العام اذا خصص تكون دلالته فى الباقى بعد التخصيص ظنية، ولذالك يمكن تخصيص ذالك الباقى بحديث الاحاد بل بالقياس، لعل حديث الربوا مع اية احلال البيع يصلح مثلا لذالك، فان الله تعالى قال واحل الله البيع و حرم الربوا" فكلن احلال البيع مخصصا بكونه خاليا من الربوا، و قوى ذالك

المعنى اودل على التخصيص قوله عليه السلام فيما رواه ابو سعيد الحدزى: الذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيدا والفضل ربوا الخ، و هذا حديث مشهور تلقاه العلماء بالقبول و العمل به ويخص به القران و قد اتفق العلماء على قبوله وعللوه وقاسوا الاشياء غير المنصوص عليها على المنصوص عليه، فكان اية احلال البيع قد خصصت بتخصيصين بتحريم الربوا فى الامور المنصوص عليها فى الحديث وبتحريم غيرها مما هو فى معناها على اختلاف الائمة المجيتدين.

فالحاصل ان عام القران قطعى فى ثبوته و دلالته فلا يقف امامه حديث احاد كما بينا، الا اذا كان مخصصا بشروط ذكرنا، فاذا خصص جاز تخصيصه بعد ذالك بالقياس ايضا، فلا يقتصر على الالفاظ المخصصة بل الاوصاف والعلل المستنبطة منها لها قوة التخصيص، كاللفظ كما مر فى اية احلال البيع وتحريم الربوا.

وقال الشيخ الكشميرى فى مقدمة الفيض: واعلم ان فى علماء الحنفية طبقتين عراقى و ما وراء النهر، فمن مشاهير الاولى الجرجانى والقدورى والجصاص و من مشاهير الثانيه صاحب البدائع وفخر الاسلام والكرخى والسرخسى وصاحب الكتر والوقايه والشاشى والمنار والتوضيح والحسامى، والاولى اثبت فى نقل المذهب، والثانية اكثر شغلا بالفروع والاجتهاديات.

فذهب الاولون الى ان العام قطعى والاخـــرون الى انه ظنى وهو مذهب اكثر الشافعية والحنابلة وهـــو المختـــار عندى، وثمرة الخلاف تظهر فى التخصيص قال الشيخ قلت وما نسب الى العراقيين ايضا محل تردد، لما فى البديع والميزان مـــا يدل على انكارهم القطعية، والحق عندى كما اختاره الشـــيخ ابن الهمام رح انه قطعى فى الدلالة، لان اللفظ وضـــع لمعـــنى العموم و ظنى فى المراد قلت و عليه فليحمل مذهب العرافيـــين يعنى ان مرادهم بالقطع هو القطع فى الدلالة فقط دون المراد.

و يقول العبد او يقال عام القـــران قطعـــى قبـــل التخصيص وظنى بعده، والعام محتمل التخصيص دائما و لكـــن بشرائط وقيود اللى ذكرناها، فالاولون نظروا الى اصل معـــنى العمومية فقالوا الى قطعيته والاخرون نظروا الى جميع احـــوال العموم حتى حال التخصيص ايضا، فقالوا الى ظنيته والله اعلم.

الفائدة الرابعة والاربعون
فى بيان الفرق بين المدلول والغرض والمنطرق والمفهوم

اعلم ان المتطرق هو مدلول اللفظ والمسوق لـــه هـــو غرض المتكلم و بينهما فرق، فان غرض المتكلم قد يكون اعم من المدلول، وقد يكون اخص، وقد يباينه واخرى يســـاويه، مثاله قوله تعالى: واوتيت من كل شيئ لم يردبه ذالك العمـــوم الذى يدل عليه لفظ كل، و كقوله تعالى فاقرأ و اما تيسر مـــن القران لم يرد به القرأة مطلقا ولو باية كما علمت مما سبق، و كما فى الحديث: ما الحدث قال: فساء او ضراط، فان مدلـــول التركيب القصر و ليس بمراد قطعا.

قال الشيخ الكشميرى: ان علماء الاصول والمعانى قد بنوا بعض مسائل على الفرق بينهما الا انهم لم يفصحوه به و لم يذكروه كالمقدمة فى الفن و كان لابد منه، فالاصوليون فرقـــوا بين المنطوق و المسوق له، فما كان منطوقا سموه اشارة النص، و ما كان مسوقاله سموه عبارة النص، فالمنطوق هو مدلـــــول اللفظ، والمسوق له هو غرض المتكلم، و كذالك علماء البيـــان ايضا كالتفتازانى فى شرح التلخيص، فان المتن اذا قال تقـــديم المسند لكذا مثلا، يزيد الشارح بعده يعنى لغرض كذا، فكانــــه يشير الى انه غرض لا انه من مدلولات الكلام، وصرح هـــــو بنفسه فى المطول فى شرح مقدمة التلخيص: ان الاغراض الـــتى يريدها المتكلم اثباتا و نقيا هى المعانى الثوانى لا المعـــانى الاول

التى تفهم من حاق اللفظ ومنطوقه، فكانه يشير الى الفرق بين مدلول اللفظ و بين غرض المتكلم منه.

واما الفقهاء فقد دلوا عليه از يد من الفريقين، فقالوا فى كتاب الايمان: ان مبناها على عرف القران عندمالك رح، و على اللغة عند الشافعية، و على العرف العام عندنا، فلم يرو فيها الى مدلول اللفظ، بل راعوا الغرض باعتبار متفاهم العرف عاما كان او خاصا، واذا علمت ان المدلول لا يلزم ان يكون مساويا لغرض المتكلم دائما.

فاعلم ان معنى العموم قد يقصده المتكلم و حينئذ يكون عمومه مؤكد او لا يلائم تخصيصه، و قد لا يقصده المتكلم فيضعف جدا و يجوز تخصيصه ولو بالرأى، و هذا كحديث رواه ابو داؤد فى باب اذا اخر الامام الصلوٰة الخ قال: صل الصلواة لوقتها واجعل صلواتك معهم سبحة، حمله الشافعية على ان المخلص من جهة الشرع فى زمن امراء الجور، هو مجموع الامرين، يعنى الصلواة لوقتها فى البيوت، والصلواة معهم فى المساجد، وزعموا ان الصلواة فى البيوت لادراك فضل الوقت، والصلواة معهم لادراك فضل الجماعة، فلزمت الاعادة لادراك الفضلين، و حينئذ الاعادة مع الجماعة معنى مقصود، فيكون العموم فيه عموما فى المقصود و تتبادر الاعادة فى الصلوات الخمس، و يكون التخصيص فيه افقاد الغرض الشارع واعداما لمراده.

وحمله الحنفية على ان المخلص هو الصلواة فى البيوت فقط، اما الصلواة معهم فليست مقصودة، فلو ادركها معهم فى الوقت يصليها والا لا، كما عند ابى داؤد قال رجل يا رسول الله اصلى معهم؟ قال: نعم ان شئت، و هذا صريح فى ان الصلواة معهم ليست مقصودة لا فى ذهن الصحابة رضى الله عنهم ولا فى ذهن النبى صلى الله عليه وسلم، ولهذا خيره و تركه على مشيئته كيف شاء فعل، فاذا كان المخلص هو الامر الواحد دون ادراك الجماعة فانه فى خيرته، فقد يكون وقد لا يكون، علمنا ان الاعادة ليست مقصودة، والعموم فيها عموما فى غير مقصود فيجوز تخصيصه بلا تامل.

ثم ان العام اذا كان قطعيا عندهم اشكل عليهم تخصيصه بالرأى، فاذا اضطروا اليه فى بعض المواضع ركبوا هناك تأويلات باطلة اخرى، مع ان التخصيص بالرأى جائز عندنا ولو ابتداء، كما ذكره الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد فى شرح حديث تلقى الجلب قال: ان الحنفية انما يحملون النهى فيما يكون تلقى الجلب مضرا لاهل البلد، وهذا و ان كان تخصيصا بالرأى لكنه جائز لا نجلاء المناط، قال الشيخ ثم رايت انهم كلهم لا يكترثون بتخصيص الاحاديث الواردة فى الاخلاق والمعاملات، ويخصصونها بالرأى ابتداء بلا نكير، بخلاف العبادات و ذالك لظهور المناط فى الطائفة الاولى وخفائه فى الثانية، فعلم ان مناط التخصيص على انجلاء الوجه

لا غير، فحيث يكون المناط ظاهرا يجوز التخصيص، و حيث يكون خفيا لا يجوز.

وقال الشيخ البنورى فى معارف السنن شرحا لكلام شيخه فقال: الكلام له منطوق وهو ما دل عليه صريح اللفظ وسياق العبارة دلالة لغوية، و مفهوم يستنبط من فحوى الكلام، فان كان لاثبات حكم موافق للمنطوق يسمى مفهوم الموافقة وفحوى الخطاب وان كان لاثبات ضد حكم المنطوق و نقيضه للمسكوت يسمى مفهوم المخالفة و دليل الخطاب، و ينقسم مفهوم المخالفة الى مفهوم الصفة والشرط والعلة والغاية والعدد واللقب والاستثناء والحصر والزمان والمكان فاتفقوا فى قبول مفهوم الموافقة.

واختلفوا فى مفهوم المخالفة، فالشافعى و اتباعه ذهبوا الى حجية المفهوم المخالف باقسامه بشروط بينت فى محلها، نعم على اختلاف من بعضهم فى بعض الاقسام، فالمفهوم المخالف عندهم حجة شرعية وان كانت ظنية، فجعلوا التنصيص على الشيئ والتخصيص بذكره دليلا شرعيا عندهم على نفى ما عداه، والحنفية لا يعتبرونه حجة شرعية بهذه المثابة، والحق ان نفيه مطلقا غير صحيح، كما ان اثباته مطلقا كذالك غير صحيح، بل يحتاج الى بيان نكات و فوائد للشروط والقيود والصفات التى و ردت فى النصوص، نعم لا تدل نفيها على نفى الحكم المنصوص حتى يكون دليلا شرعيا فى المسكوت.

وانما قال شيخنا اى الشيخ الكشميرى: باعتبـلره فى مرتبة الحكمة والنكتة والفائدة، لان الكلام البليـــغ يقتضـــى ذالك، لكيلا يشتمل على حشو فى الكلام و لغو فى الغــرض، وايضا لو لم نعتبره فى هذه المرتية لا لغيـــت فـــائدة القيـــود والصفات فى كلام البليغ، وكلام الله سبحانه ثم كلام الرسول صلى الله عليه وسلم اجل من ان تكون هناك زيادة غير محتـاج اليها فى المقصود، و على كل حال فهو محوج الى النكتـــة فى ذكر القيد، واليه جنح الشاه ولى الله فى المصفى شرح الموطـا، ولعله اخذه من صاحب المدارك فى تفسير قوله تعالى: الحربالحر الاية، وقد اطال بعض الكلام فيه ابو البقاء فى كلياته.

و من جملة فوائد القيود والشروط ان تكون احيانـــا لتحسين الغرض المقصود والحث على اتيانه كما تكون احيانـا لتقبيح الامر و تبشيع الحال ايعازا فى تركه، و قدنبه على ذالك الشيخ احمد بن المنير الما لكى فى حاشيته على الكشاف حيـث قال فى بيان فائدة الشرط فى قوله تعالى ولا تكرهوا فتيـــاتكم على البغاء ان اردن تحصنا" مالفظه: ان فائدة ذالك والله اعلـم ان يبشع عند المخاطب الوقوع فيه لكى يتيقظ انه كان ينبغـى له ان يأنف من هذه الرذيلة، وان لم يكن زاجر شـــرعى اه و اشار الى هذا المعنى ابو المسعود فى تفسيره ايضا فى تفسير هـذه الاية، و هذا الطف واولى مما قاله ابن تيمية فى كتاب الايمـان: هذا بيان للوصف المناسب للحكم.

فالحاصل ان مفهوم المخالفة لم يعتبره معاشر الحنفيـــة فى نصوص الشارع، ومنشأ ذالك غاية احتياطهم فى غــــرض

الشارع، حيث ان اغراضه تكون دقيقة، ربما يجل ادراكها عن العقول، وقد اعتبروه فى عبارات الفقهاء و متفاهم العرف، حيث تكون اغراضهم اقرب الى الفهم واسهل للتناول، قال المحقق الشيخ ابن الهمام فى تحريره: والحنفية ينفون مفهوم المخالفة باقسامه فى كلام الشارع فقط.

ويقول شارحه ابن امير الحاج حاكيا عن شمس الائمة الكردرى: ان تخصيص الشيئ بالذكر لا يدل على نفى الحكم عما عداه فى خطابات الشارع، فاما فى متفاهم الناس و عرفهم وفى المعاملات والعقليات فيدل، حكاه ابن عابدين فى رد المختار، و حكاه هناك عن البيرى عن المصفى و خزانة الروايات والسراجية، و ذكره فى شرح الوقاية وفى النهاية شرح الهداية وفى الطحطاوى شرح المراقى و لفظه: ومفاهيم الكتب حجة الخ وكذا ذكره الشيخ عبد الحى اللكنوى فى الدراسة الخاصة من مقدمة عمدة الرعاية ببسط و تفصيل فراجعه، و من اراد وجوه ابطال المفهوم فى نصوص الشارع فليراجع الى تحرير الاصول لا بن الهمام و شرحيه التقرير والتحجير لابن امير الحاج والتيسير للشيخ امير البخارى انتهى والله اعلم.

الفائدة الخامسة والاربعون
فى آداب الشيخ والمحدث

(١)قال السيوطى فى التدريب: علم الحديث شريف يناسب مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم، و ينافرضد ذالك، وهو من علوم الاخرة المحضة، قال ابو المحسن: من اراد علم القبر فعليه بالاثر، من حرمه حرم خيرا كثيرا، و من رزقه نال فضلا جسيما، فعلى صاحبه تصحيح النية واخلاصها، و تطهر قلبه من اعراض الدنيا وادناسها، كحب الرياسة ونحوها، وليكن اكبر همه نشر الحديث والتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالاعمال بالنيات.

(٢) قال النووى والاولى ان لا يحدث بحضرة من هو اولى منه لسنه او علمه او غيره، وقيل يكره ان يحدث فى بلد فيه اولى، و ينبغى له ان يرشد اليه، فالدين النصيحة، قال السيوطى: الصواب ان اطلاق التحديث بحضرة الاولى، ليس بمكروه ولا خلاف الاولى فالصحابة كانوا يفتون فى عهده صلى الله عليه وسلم.

(٣) و ينبغى ان لا يأخذ عليه اجرا ان استطاع ذالك قال السيوطى من اخذ على التحديث اجرا لا تقبل روايته عند

احمد بن حنبل و اسحاق بن راهويه وابى حاتم الرازى، و تقبل عند ابى نعيم الفضل بن دكين شيخ البخارى و على بن عبد العزيز البغوى و اخرين ترخصا، وافتى الشيخ ابو اسحاق الشيرازى بجوازه، لانه ممن امتنع عليه الكسب لعياله بسبب التحديث، وفى قرة العين: الاعدل انه ان تعطل بانقطاعه لذالك كسبه قبل والا فلا.

(٤) و يستحب له اذا اراد حضور مجلس التحديث ان يتطهر بغسل ووضوء، و يتطيب و يتبخر و يستاك كما ذكره السمعانى، و يسرح لحيته ويجلس فى صدر مجلسه متمكنا فى جلوسه بوقار وهيبة، وقد كان مالك رح يفعل ذالك، فقيل له فقال: احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كان يكره ان يحدث فى الطريق او هو قائم اسنده البيهقى و اسند من قتادة قال: يستحب ان لا يقرأ الاحاديث الا على طهارة، قال: وكانوا يكرهون ان يحدثوا على غير طهر.

(٥) و من الاداب ايضا انه ان رفع احد صوته فى المجلس زجره وانتهره، فقد كان مالك يفعل ذالك ويقول قال الله: يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى، فمن رفع صوته عند حديثه فكانما رفع صوته فوق صوته، (٦) ومنها ان يبتدئ مجلسه و يختمه بتحميد الله تعالى والصلواة

على النبى صلى الله عليه وسلم، ولا يسرد الحديث سردا وعجلا يمنع فهم بعضه.

(٧) و كلما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم صلى عليه قال الخطيب ويرفع بها صوته، وكلما ذكر صحابيا ترضى عليه فان كان ابن صحابى قال رضى الله عنهما، و كذا يترحم على الائمة، فقد روى الخطيب ان الربيع بن سليمان قال له القارى يوما: حدثكم الشافعى و لم يقل رضى الله عنه فقال الربيع: ولا حرف حتى يقال رضى الله عنه.

(٧) و يحسن للمحدث الثناء على شيخه حال الرواية عنه بما هو اهله، كما فعله جماعات من السلف، كقول ابى مسلم الخولانى: حدثنى الجيب الامين عوف بن مسلم، و كقول عطاء: حدثنى البحر ابن عباس، وكقول شعبة: حدثنى سيدالفقهاء ايوب وغير ذالك، و ليعتن بالدعاء لهم فهو اهم من الثناء.

(٩) و ينبه على صحة الحديث او حسنه او ضعفه او علته، و على ما فيه من علو و فائدة فى المتن او السند و ضبط مشكل فى الاسماء او غريب او معنى غامض فى المتن، (١٠) و يجتنب ما لا يحتمله عقو لهم وما لا يفهمونه، قال الخطيب: و يجتنب ايضا فى روايته للعوام احاديث الرخص وما شجر بين

الصحابة و الاسرائليات، قال ابن مسعود: ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الاكان لبعضهم فتنه، وروى المقدام مرفوعا قال: اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعزب او يشق عليهم.

(١١) ويختم بحكايات ونوادر وانشادات باسانيدها كعادة الائمة فى ذالك، وقد استدل له الخطيب بما رواه عن على رض قال: روحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة، وكان الزهرى يقول لاصحابه: هاتوا من اشعاركم، هاتوا من احاديثكم فان الاذن مجاجة والقلب حمض.

(١٢) وينبغى ان يشتغل بالتحزيج والتصنيف اذا تأهل لذالك مبادرا اليه، وليعتن بالتصنيف فى شرحه وبيان مشكله متقنا واضحا، فقلما تمهر فى علم الحديث من لم يفعل هذا، قال الخطيب: لا يتمهر فى الحديث ويقف على غوامضه و يستبين الخفى من فوائده الا من جمع متفرقه والف متشتته وضم بعضه الى بعض فان ذالك مما يقوى النفس ويثبت الحفظ ويزكى القلب ويشحذ الطبع ويبسط اللسان و يجيدالبيان و يكشف المشتبه ويوضح الملتبس ويكسب ايضا جميل الذكر و يخلده الى اخر الدهر، كما قال الشاعر يموت قوم فيحيى العلم ذكرهم: والجهل يلحق امواتا باموات،

قال النووى فى شرح المهذب: بالتصنيف يطلع على حقائق العلوم ودقائقه و يثبت معه، لانه يضطره الى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق و جزله من ركيكه، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد، قال الربيع: لم ار الشافعى اكلا بنهار ولا نائما بليل لاهتمامه بالتصنيف.

(١٣) و ينبغى للمحدث ان يمسك عن التحديث اذا خشى التخليط بهرم او حزن او عمى، و يختلف ذالك باختلاف الناس، و ضبطه بالثمانين اغلبى، فقد حدث بعدها انس والشعبى ومالك وغيرهم، وحدث بعد المائة من الصحابة حكيم بن حزام و من غيرهم، والمدار على ثبوت العقل واجتماع الرأى كما فى نيل الامانى،

الفائدة السادسة والأربعون
في آداب من يطلب الحديث

١- يجب عليه أيضا تصحيح النية والاخلاص لله تعالى في طلبه والحذر كل الحذر من التوصل به الى أعراض الدنيا، فقد روي أبو داؤد وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا :من تعلم علما مما ينبغي به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة. وقال حماد بن سلمة، من طلب الحديث لغير الله مكر به.

٢- ويسأل الله تعالى التوفيق و التسديد و التيسير و الاعانة عليه و يتحمل الأخلاق الحميدة والآداب المرضية، فقد قال ابو عاصم النبيل : من طلب هذا الحديث فقد طلب اعلى أمور الدين فيجب ان يكون خير الناس ثم ليفرغ جهده في تحصيله ويغتنم امكانه. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، أحرص على ما ينفعك و استعن بالله ولا تعجز. وقال يحي بن كثير ، لاينال العلم براحة الجسم. وقال الشافعي، لايفلح من طلب هذا العلم بالتحمل

وغني النفس ولكن من يطلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم أفلح.

٣- وينبغي ان يقرأ اولا شيئا من النحو وغيره فقد قال الأصمعي، اخوف ما اخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو ان يدخل في جملة قوله صلى الله عليه وسلم: من كذب علي متعمدا.... الحديث. فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه فعلى طالب الحديث ان يتعلم من النحو واللغة ما يسلم به اللحن و التحريف والطريق في السلافة من التحريف والتصحيف الأخذ من افواه اهل المعرفة و الضبط و التحقيق من بطون الكتب-

٤- ويبدأ بالسماع من أرجح شيوخ بلده اسنادا و علما وشهرة ودينا وغيره، فاذا فرغ من مهماتهم وسماع عواليهم فليرحل الى سائر البلدان على عادة الحفاظ ولا يرحل قبل ذلك. قال الخطيب : فالمقصود بالرحلة امران، احدهما: تحصيل علو اسناد وقدم السماع، والثاني: لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم، فاذا كان الأمران موجودين في بلده و معدومين في غيره فلا فائدة في الرحلة.

٥- ولا يحمله الشره والحرص على التساهل في التحمـــل فيخل بشيء من شروطه السابقة فان شهوة السماع لا ينتهي ونهمه الطلب لا تنقضي والعلم كالبحار الـــتي يتعذر كيلها والتعاون التي لا ينقطع كيلها.

٦- وينبغي له الصلواة و الترضي والترحم على مواضعـها كما تقدم في آداب المحدث.

(٧) و ينبغى ان يستعمل ما يسمعه من احـــاديث العبـــادات والاداب وفضائل الاعمال، فذاك زكوة الحديـــث وســبب حفظه، وقال عمرو بن القيس الملائ: اذا بلغك شيئ من الخبر فاعمل به ولو مرة تكن من اهله، وقال وكيـــع: اذا اردت ان تحفظ الحديث فاعمل به وقال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمـــع: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل، وبه قال احمـــد بـــن حنبل: ما كتبت حديثا الاوقد عملت به، حتى مربى ان النـــبى صلى الله عليه وسلم احتجم و اعطى اباطيبة دينارا فاحتجمت واعطيت الحجام دينارا.

(٨) وينبغى للطالب ايضا ان يعظم شيخه ومـــن يسمع منه، فذالك من اجلال العلم واسباب الانتفاع به، وقـد قال المغيرة: كما نهاب ابراهيم كما نهـــاب الامـــير، وقـــال البخارى: مارأيت احدا اوقر للمحدثين من يحيى بن معين، وفى الحديث تواضعوا لمن تعلمون منه، ورجح البيهقى وقفه علـــى عمر رض، (٩) و يعتقد جلالة شيخه ورجحانه على غـــيره

فقد روى الخليلى فى الارشاد عن ابى يوسف القاضى قال: سمعت السلف يقولون: من لا يعرف لاستاذه لا يفلح.

(١٠) و يتحرى رضاه ويحذر سخطه، ولا يطول عليه بحيد يضجره بل يقنع بما يحدثه به، فان الاضجار يغير الافهام و يفسد الاخلاق و يحيل الطباع قال ابن الصلاح و يخشى على فاعل ذالك ان يحرم من الانتفاع قال وروينا عن الزهرى انه قال: اذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب، (١١) يستشيره اموره و فيما يشتغل فيه و كيفية اشتغاله وعلى الشيخ نصحه فى ذالك.

(١٢) و ينبغى له اذا طفر بسماع ان يرشد اليه غيره فان كتمانه قوم يقع فيه جهلة الطلبة، فيخاف على كاتمه عدم الانتناع فان من بركة الحديث افادته و ينشره و ينميه، وقال ابن معين: من بخل بالحديث وكتم على الناس لم يفلح، وكذا قال اسحاق بن راهويه، وقال ابن المبارك من بخل بالعلم ابتلى بثلث اما ان يموت فيذهب علمه او ينسى او يتبع السلطان، وعن ابن عباس مرفوعا اخواتى تنا صحوا فى العلم ولا يكتم بعضكم بعضا فان خيانة الرجل فى علمه اشد من خيانته فى ماله، قال الخطيب: ولا يحرم الكتم على من ليس باهل او لا يقبل الصواب اذا ارشد اليه و نحو ذالك، و على ذالك يحمل ما نقل عن الائمة من الكتم، قال وكيع: اول بركة الحديث اعارة الكتب، وقال سفيان الثورى: من بخل بالعلم ابتلى باحدى ثلث ان ينساه او يموت ولا ينتفع به او تذهب كتبه.

(١٣) وليحذر كل الحذر ان يمنعه الحياء او الكبر من السعى التام فى التحصيل، واخذ العلم ممن دونه فى نسب

اوسن او غيره، فقد ذكر البخارى عن مجاهد قال: لا ينال العلم مستحى ولا مستكبر، وقال عمر بن الخطاب: من رق وجهه دق علمه و قال وكيع: لا ينبل الرجل من اصحاب الحديث حتى يكتب عمن هو فوقه و عمن هو مثله و عمن هو دونه، و عن الاصمعى قال: من لم يتحمل ذل التعليم ساعة بقى فى ذل الجهل ابدا.

(١٤) و ليصبر على جفاء شيخه، ففيه فوائد مجرية لا تحصى، وليعتن بالمهم ولا يضيع وقته فى الاستكثار من الشيوخ لمجرد اسم الكثرة، (١٥) و ليكتب و ليسمع ما يقع له من كتاب او جزء بكماله ولا ينتخب، فربما احتاج بعد ذالك الى رواية شيئ منه لم يكن فيما انتخبه فيندم، و قد قال ابن المبارك: ما انتخبت على عالم قط الا ندمت، وقال ابن بعين: صاحب الانتخاب يندم، (١٦) ولا ينبغى ان يقتصر من الحديث على سماعه و كتبه دون معرفته و فهمه، فليعرف صحته و ضعفه و فقهه و معانيه ولغته واعرابه واسماء رجاله محققا،

(١٧) قال السيوطى و ليذاكر بمحفوظه ويباحث اهل المعرفة، فان المذاكرة تعين على دوامه، قال على بن ابى طالب: تذاكروا هذا الحديث ان لا تفعلوا يدرس، وقال ابن مسعود: تذاكروا الحديث فان حياته مذاكرته، وقال ابن عباس: مذاكرة العلم ساعة خير من احياء ليلة، وقال ابو سعيد الخدرى: مذاكرة الحديث افضل من قراءة القران، وقال الزهرى: افة العلم النسيان وقلة المذاكرة، وليكن حفظه له بالتدريج قليلا وقال الزهرى: من طلب العلم جملة فاته جملة.

(١٧) رباعيات البخارى: و قد روى عن امام المحدثين محمد بن اسماعيل البخارى اثر فى اداب طالب الحديث، ذكره جمع من المشائخ باسنيدهم عن ابى المظفر محمد بن احمد بن حامد بن الفضل البخارى عن ابى ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الختلى يقول لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسى الى معرفة الحديث ورواية الاخبار وسماعها، فقصدت محمد بن اسماعيل البخارى وسألته الا قبال على ذالك، فقال لى: يا بنى! لا تدخل فى امر الا يعد معرفة حدوده و الوقوف على مقاديره، فقلت عرفنى رحمك الله حدود ما قصدتك له و مقادير ما سألتك عنه، فقال لى: اعلم ان الرجل لا يصير محدثا كاملا فى حديثه الا بعد ان يكتب اربعا مع اربع كاربع مع اربغ مثل اربع فى اربع عند اربع باربع على اربع عن اربع لاربع، و كل هذه الرباعيات لا تتم الا باربع مع اربع، فاذا تمت له كلها هان عليه اربع وابتلى باربع، فاذا صبر على ذالك اكرمه الله تعالى فى الدنيا باربع و اما به فى الاخرة باربع.

قلت له فسرلى رحمك الله ما ذكرت من احوال هذه الرباعيات عن قلب صاف بشرح كاف و بيان شاف طلبا للاجر الوافى، فقال نعم: الاربعة التى يحتاج الى كتبها هى اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم و شرائعه والصحابة رضى الله عنهم ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء و تواريخهم مع اسماء رجالهم و كناهم وامكنتهم واز منتهم كالتحميد مع الخطب الدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات فى صغره وفى ادراكه وفى شبابه و فى كهولته عند

فراغه و عند شغله و عند فقره و عند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبرارى على الاحجار والاخزاف والجلود و الاكتاف الى الوقت الذى يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه و عمن هو مثله و عمن هو دونه و عن كتاب ابيه يتيقن انه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله عزوجل. منها و نشرها بين طالبيها و محبيها والتأليف فى احياء ذكره بعده.

ثم لا تتم له هذه الاشيئاء الا باربع هى من كسب العبد اعنى معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هى من اعطاء الله تعالى اعنى القدرة والصحة والحرص والحفظ، فاذا تمت له هذه الاشياء كلها هان عليه اربع الاهل والمال والولد والوطن وابتلى باربع بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء و طعن الجهلاء و حسد العلماء.

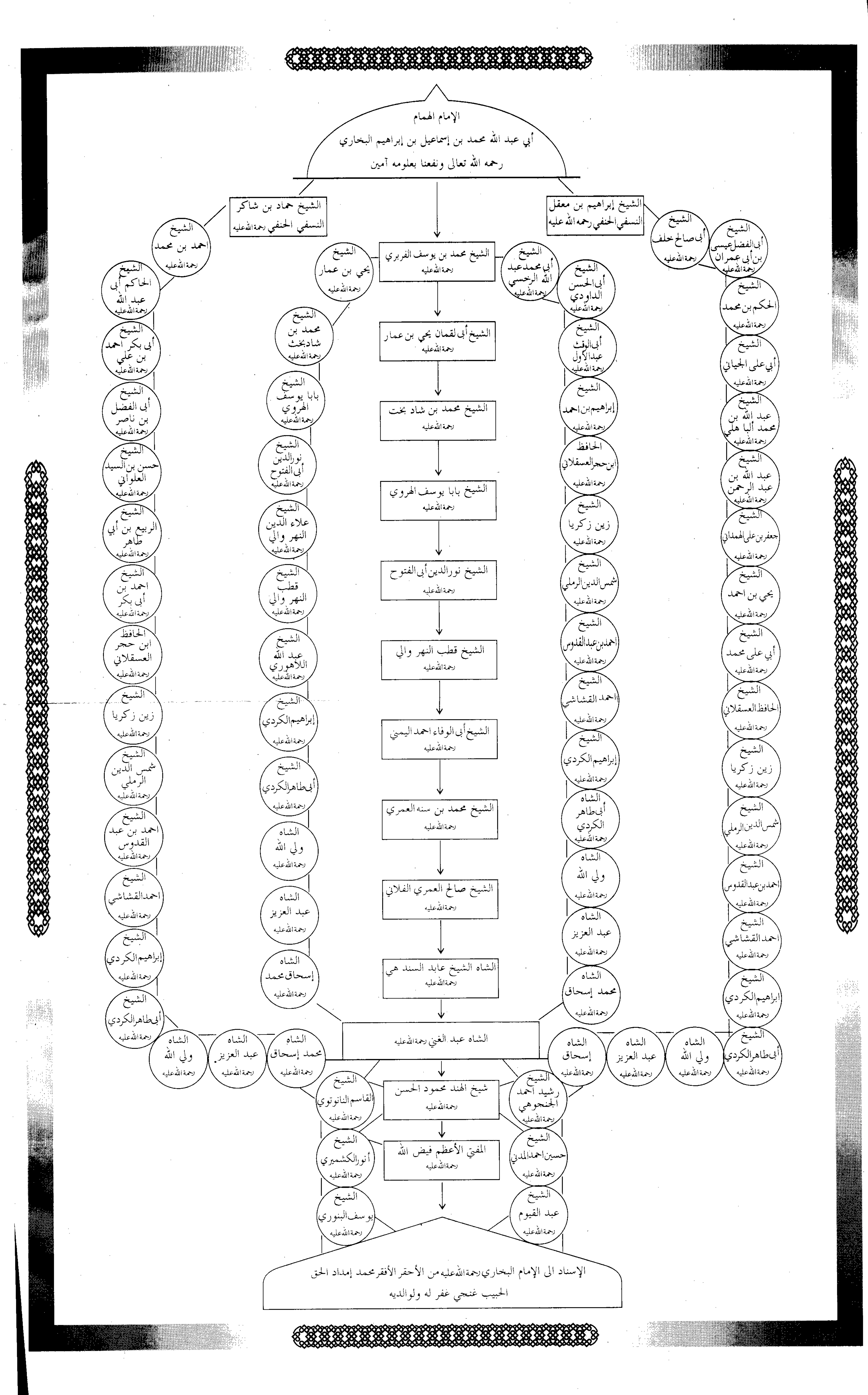
فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله تعالى عز وجل فى الدنيا باربع بعز القناعة و بهيبة النفس و بلذة العلم و بحياة الابد، و اثابه فى الاخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه و يظل العرش يوم لا ظل الا ظله و يسقى من اراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم بمجاورة النبيين فى اعلى عليين فى الجنة، فقدا علمتك يابنى مجملا لجميع ما سمعت من مشائخى متفرقا فى هذا الباب، فا قبل الان الى ما قصدت اليه اودع.

فهالنى قوله فسكت متفكرا واطرقت متأدبا، فلما راى ذالك منى قال وان لم تطق حمل هذه المشاق كلها، فعليك بالفقه و يمكنك تعلمه وانت فى بيتك قار ساكن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطى الديار وركوب البحار، وهو مع ذاثمرة

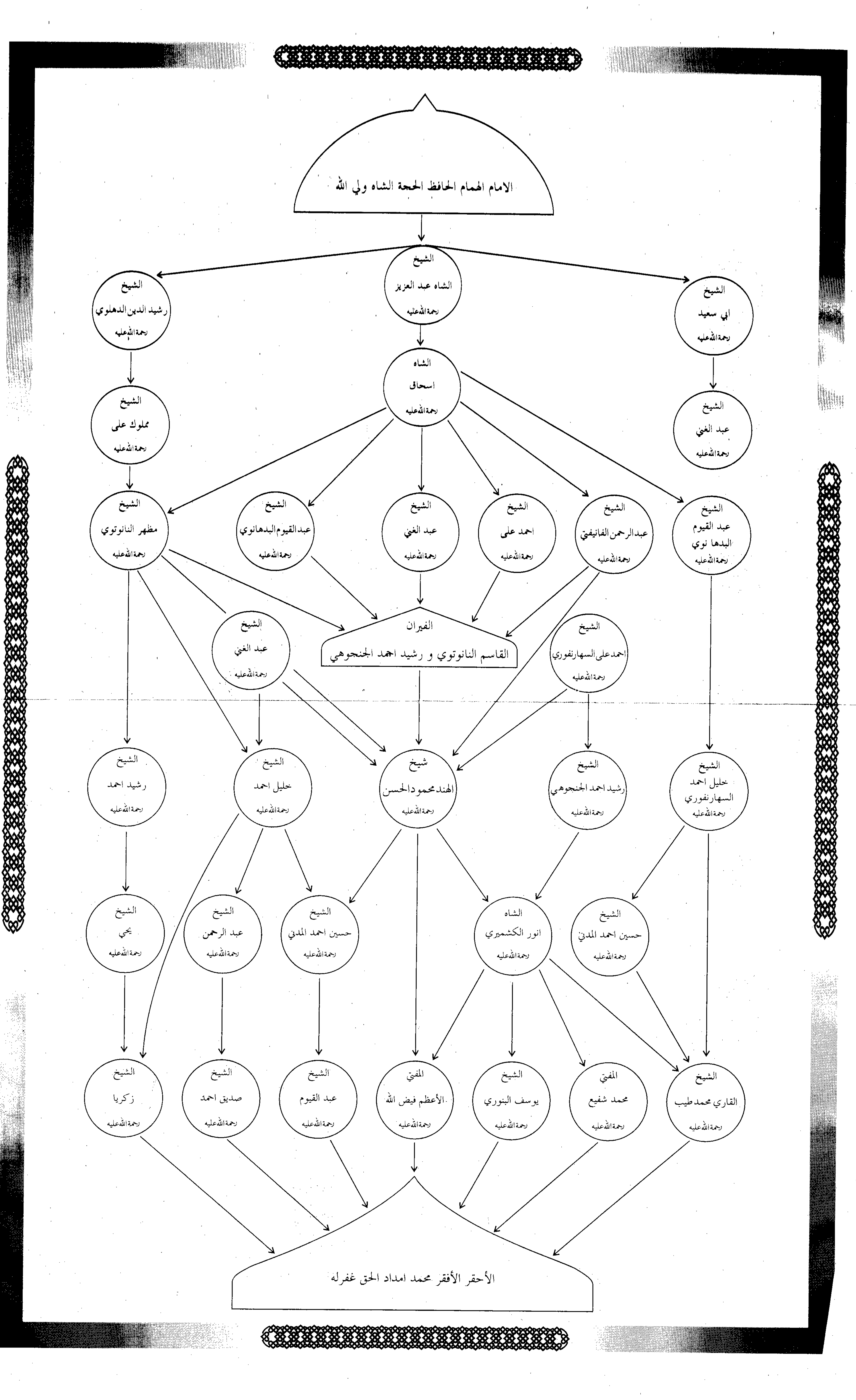
الحديث وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث فى الاخــرة، و لا عزه باقل من عز المحدث، فلما سمعت ذالك نقص عزمـى فى طلب الحديث واقبلت على دراسه الفقه و تعلمه الى ان صرت فيه متقدما ووقفت منه على معرفة ما امكننى من تعلمه بتوفيـق الله تعالى و منته انتهى.

قال الحافظ ابن الحجر هذا بعيديــــن البخـــارى رتلوح عليه امارة الوضع ويقول العبد لا يصح الانتســاب الى البخارى قطعا ولكن اشتهر ان هذه الرباعيات من البخـــارى يمكن ان تكون هذه من ابى ابراهيـــم الختلـــى واســـندت الى البخارى والله اعلم.

تمت الفوائد التى كنت اردت ذكرها فى هذه التقدمـــة بعون الله تعالى و توفيقه وصلى الله على ســـيدنا و مولانـــا محمد وآله واصحابه وسلم.



الإمام الهمام
أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري
رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين
الشيخ حماد بن شاكر النسفي الحنفي رحمة الله عليه
الشيخ إبراهيم بن معقل النسفي الحنفي رحمه الله عليه
الشيخ محمد بن يوسف الفربري رحمة الله عليه
الشيخ أبي لقمان يحي بن عمار رحمة الله عليه
الشيخ محمد بن شاد بخت رحمة الله عليه
الشيخ بابا يوسف الهروي رحمة الله عليه
الشيخ نورالدين أبي الفتوح رحمة الله عليه
الشيخ قطب النهر والي رحمة الله عليه
الشيخ أبي الوفاء احمد اليمني رحمة الله عليه
الشيخ محمد بن سنه العمري رحمة الله عليه
الشيخ صالح العمري الفلاني رحمة الله عليه
الشاه الشيخ عابد السندهي رحمة الله عليه
الشاه عبد الغني رحمة الله عليه
شيخ الهند محمود الحسن رحمة الله عليه
المفتي الأعظم فيض الله رحمة الله عليه
الشيخ يحي بن عمار رحمة الله عليه
الشيخ محمد بن شادبخت رحمة الله عليه
الشيخ بابا يوسف الهروي رحمة الله عليه
الشيخ نورالدين أبي الفتوح رحمة الله عليه
الشيخ علاء الدين النهر والي رحمة الله عليه
الشيخ قطب النهر والي رحمة الله عليه
الشيخ عبد الله اللاهوري رحمة الله عليه
الشيخ إبراهيم الكردي رحمة الله عليه
الشيخ أبي طاهر الكردي رحمة الله عليه
الشاه ولي الله رحمة الله عليه
الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه
الشاه إسحاق محمد رحمة الله عليه
الشيخ احمد بن محمد رحمة الله عليه
الشيخ الحاكم أبي عبد الله رحمة الله عليه
الشيخ أبي بكر احمد بن علي رحمة الله عليه
الشيخ أبي الفضل بن ناصر رحمة الله عليه
الشيخ حسن بن السيد العلواني رحمة الله عليه
الشيخ الربيع بن أبي طاهر رحمة الله عليه
الشيخ احمد بن أبي بكر رحمة الله عليه
الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه
الشيخ زين زكريا رحمة الله عليه
الشيخ شمس الدين الرملي رحمة الله عليه
الشيخ احمد بن عبد القدوس رحمة الله عليه
الشيخ احمد القشاشي رحمة الله عليه
الشيخ إبراهيم الكردي رحمة الله عليه
الشيخ أبي طاهر الكردي رحمة الله عليه
الشاه ولي الله رحمة الله عليه
الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه
الشاه محمد إسحاق رحمة الله عليه
الشيخ أبي محمد عبد الله الرخسي رحمة الله عليه
الشيخ أبي الحسن الداودي رحمة الله عليه
الشيخ أبي الوقت عبد الأول رحمة الله عليه
الشيخ إبراهيم بن احمد رحمة الله عليه
الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه
الشيخ زين زكريا رحمة الله عليه
الشيخ شمس الدين الرملي رحمة الله عليه
الشيخ احمد بن عبد القدوس رحمة الله عليه
الشيخ احمد القشاشي رحمة الله عليه
الشيخ إبراهيم الكردي رحمة الله عليه
الشاه أبي طاهر الكردي رحمة الله عليه
الشاه ولي الله رحمة الله عليه
الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه
الشاه محمد إسحاق رحمة الله عليه
الشيخ أبي صالح خلف رحمة الله عليه
الشيخ أبي الفضل عيسى بن أبي عمران رحمة الله عليه
الشيخ الحكم بن محمد رحمة الله عليه
الشيخ أبي على الجياني رحمة الله عليه
الشيخ عبد الله بن محمد ألبا هلي رحمة الله عليه
الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن رحمة الله عليه
الشيخ جعفر بن على الهمداني رحمة الله عليه
الشيخ يحي بن احمد رحمة الله عليه
الشيخ أبي على محمد رحمة الله عليه
الشيخ الحافظ العسقلاني رحمة الله عليه
الشيخ زين زكريا رحمة الله عليه
الشيخ شمس الدين الرملي رحمة الله عليه
الشيخ احمد بن عبد القدوس رحمة الله عليه
الشيخ احمد القشاشي رحمة الله عليه
الشيخ ابراهيم الكردي رحمة الله عليه
الشيخ أبي طاهر الكردي رحمة الله عليه
الشاه ولي الله رحمة الله عليه
الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه
الشاه إسحاق رحمة الله عليه
الشيخ القاسم النانوتوي رحمة الله عليه
الشيخ أنور الكشميري رحمة الله عليه
الشيخ يوسف البنوري رحمة الله عليه
الشيخ رشيد احمد الجنجوهي رحمة الله عليه
الشيخ حسين احمد المدني رحمة الله عليه
الشيخ عبد القيوم رحمة الله عليه
الإسناد الى الإمام البخاري رحمة الله عليه من الأحقر الأفقر محمد إمداد الحق
الحبيب غنجي غفر له ولوالديه



الامام الهمام الحافظ الحجة الشاه ولي الله
الشيخ الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه
الشيخ رشيد الدين الدهلوي رحمة الله عليه
الشيخ ابي سعيد رحمة الله عليه
الشاه اسحاق رحمة الله عليه
الشيخ مملوك على رحمة الله عليه
الشيخ عبد الغني رحمة الله عليه
الشيخ مظهر النانوتوي رحمة الله عليه
الشيخ عبدالقيوم البدهانوي رحمة الله عليه
الشيخ عبد الغني رحمة الله عليه
الشيخ احمد على رحمة الله عليه
الشيخ عبدالرحمن الفانيفتي رحمة الله عليه
الشيخ عبد القيوم البدها نوي رحمة الله عليه
الشيخ عبد الغني رحمة الله عليه
الفيران القاسم النانوتوي و رشيد احمد الجنجوهي
الشيخ احمدعلى السهارنفوري رحمة الله عليه
الشيخ رشيد احمد رحمة الله عليه
الشيخ خليل احمد رحمة الله عليه
شيخ الهند محمود الحسن رحمة الله عليه
الشيخ رشيد احمد الجنجوهي رحمة الله عليه
الشيخ خليل احمد السهارنفوري رحمة الله عليه
الشيخ يحي رحمة الله عليه
الشيخ عبد الرحمن رحمة الله عليه
الشيخ حسين احمد المدني رحمة الله عليه
الشاه انور الكشميري رحمة الله عليه
الشيخ حسين احمد المدني رحمة الله عليه
الشيخ زكريا رحمة الله عليه
الشيخ صديق احمد رحمة الله عليه
الشيخ عبد القيوم رحمة الله عليه
المفتي الأعظم فيض الله رحمة الله عليه
الشيخ يوسف البنوري رحمة الله عليه
المفتي محمد شفيع رحمة الله عليه
الشيخ القاري محمد طيب رحمة الله عليه
الأحقر الأفقر محمد امداد الحق غفرله